

كتاب الأغاني


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

(٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م)

اعداد

مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي

الجزء الثالث

طبعة كاملة وجديدة ، مصححة ، ملونة

محققة على تسع مخطوطات ومزيدة بفهارس شاملة

دار احياء التراث العربي

بيروت - لبنان



دار إحياء التراث العربي

طبعة جديدة مصححة

الطبعة الأولى

١٩٩٤ ميلادية ١٤١٥/١٤ هجرية

بيروت – لبنان – بناية كليوبترا – شارع [illegible] – ص.ب: ١١/٧٩٥٧

تلفون المستودع [illegible] المنزل [illegible]

Beyrouth Liban - Imm. Cleopatre - Rue [illegible] - B.P. 11/7957

Tél. Dépôt [illegible] - Domicile [illegible]

١٥٩/٢

/بسم الله الرحمن الرحيم
الجزء الثالث
من كتاب الأغاني

ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه

نسبه:

هو قَيس بن الخَطيم[١] بن عَدِيّ بن عمرو بن سُود[٢] بن ظَفَر، ويُكنى قيس أبا يَزيد.

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلَاء قال حدّثنا محمد بن موسى بن حَمّاد [قال حدّثنا حماد][٣] بن إسحاق عن أبيه قال:

أنشد ابنُ أبي عَتيق قولَ قيس بن الخطيم:

بين شُكُولِ[٤] النساء خِلقتُها ... حَذْواً[٥] فلا جَبْلَةٌ[٦] ولا قَضَفُ[٧]

/ فقال: لولا أن أبا يَزيد قال: حَذْواً ما درَى الناسُ كيف يَحْشُون[٨] هذا الموضع. [٣/٢]

أخذه بثأر أبيه وجدّه واستعانته في ذلك بخداش بن زهير:

وكان أبوه الخطيم قُتِل وهو صغير، قتله رجلٌ من بني حارِثة بن الحارث بن الخَزرَج، فلما بلَغ قتَل قاتلَ أبيه، ونشِبتْ لذلك حروبٌ بين قومه وبين الخزرج وكان سببَها.

فأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرني أحمد بن يحيى ثَعْلَب عن ابن الأعرابيّ عن المفضّل قال:

كان سبب قتل الخَطيم أنّ رجلاً من بني حارِثة بن الحارث بن الخزرج يقال له مالِك اغتاله فقتله، وقيسٌ يومئذ صغير، وكان عديّ أبو الخطيم أيضاً قُتل [قبلَه][٩]، قتله رجل من عبد القَيْس[١٠]، فلما بلَغ قيس بن الخطيم وعرَف أخبارَ قومه وموضعَ ثأرِه لم يزل يلتمس غِرّة من قاتل أبيه وجَدّه في / المواسم حتى ظفِر بقاتل أبيه بيَثْرِبَ فقتله، وظفِر ١٦٠/٢

(١) سمي أبوه الخطيم لضربة كانت خطمت أنفه كما في «ديوانه» طبع ليبزج سنة ١٩١٤ ص ١.

(٢) في أ، م وهامش ط: «سعد». وفي «خزانة الأدب» للبغدادي ج ٣ ص ١٦٨: «سواد».

(٣) هذه الجملة في ط، أ، م، ء. وساقطة من باقي النسخ.

(٤) الشكول: الضروب.

(٥) الحذو: التقدير، ومنه حذو النعل بالنعل أي تقديرها على مثالها، يريد أنها بين ضروب النساء وسط لا هي بالسمينة ولا بالمهزولة. وفي «ديوانه» و «اللسان» مادتَي قضف وجبل: «قصد» وسيأتي بهذه الرواية في «الأغاني» غير مرة.

(٦) كذا في «ديوانه» و «اللسان» مادتَي قصف وجبل ونسختي ط، ء. والجبلة: الغليظة، من جبل كفرح فهو جَبِل وجَبْل. وفي ب، س: «جثلة» والجثلة: الضخمة.

(٧) القضف: دقة اللحم، وهو وصف بالمصدر.

(٨) كذا في ء، ط، أ. وهي محرفة في سائر النسخ.

(٩) زيادة في م، أ.

(١٠) كذا في أغلب النسخ. وفي ب، س، حـ، «بني عبد القيس».

بقاتل جَدّه بذي المَجَاز[١] ، فلما أصابه وَجَده في رَكْبٍ عظيم من قومه، ولم يكن معه إلا رَهْطٌ من الأوْس، فخرج حتى أتى حُذَيفةَ بنَ بَدْر الفَزَارِيّ، فاستنجده فلم يُنْجِدْه، فأتى خِدَاشَ بن زُهَير فنهَض معه ببني عامر حتى أتوْا قاتلَ عديّ، فإذا هو واقفٌ على راحلتِه في السُّوق، فطعَنه قيس بحَرْبة فقتله، ثم استمرّ. فأراده رهطُ الرجل، فحالتْ بنو عامر دونَه؛ فقال في ذلك قيس بن الخَطيم:

[٣/٣] / ثَأرتُ عَدِيّاً والخَطيمَ فلم أُضِعْ ... وِلايةَ أشياخٍ جُعلتُ[٢] إزاءَها

ضربتُ بذي الزُّجَّيْنِ[٣] رِبْقَةَ[٤] مالكٍ ... فأُبتُ بنفسٍ قد أصبتُ شفاءَها

وسامَحَني[٥] فيها ابنُ عمرو بنِ عامرٍ ... خِدَاشٌ فأدّى نعمةً وأفاءها

طعنتُ ابنَ عبد القَيْس طعنةَ ثائرٍ ... لها نَفَذٌ لولا الشُّعاعُ[٦] أضاءها

ملكتُ[٧] بها كفّي فأنْهرْتُ[٨] فَتْقَها ... يَرَى قائمٌ من دونها ما وراءَها

هذه رواية ابن الأعرابيّ عن المفضَّل. وأما ابن الكَلْبيّ فإنه ذكر أن رجلاً من قُرَيش أخبره عن أبي عبيدة أن محمد بن عَمّار بن ياسِر، وكان عالماً بحديث الأنصار، قال:

كان من حديثِ قيس بن الخطيم أن جَدّه عديّ بن عمرو قتله رجل من بني عمرو بن عامر بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة يقال له مالِك، وقتل أباه الخَطيمَ بن عديّ رجل من عبد القيس[٩] ممن يسكن هَجَرَ؛ وكان قيس يوم قُتل أبوه صبياً صغيراً، وقُتل الخَطيم قبل أن يَثْأر بأبيه عديّ؛ فخشيتْ أمّ قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثأر أبيه وجده فيَهْلِكَ، فعمَدتْ إلى كُومة من تراب عند باب دارهم، فوضعتْ عليها أحجاراً تقول لقيس: هذا قبر أبيك وجَدّك، [٤/٣] فكان قيس لا يشكّ أن / ذلك على ذلك. ونشأ أيِّداً شديدَ الساعدين، فنازع يوماً فتى من فِتْيان بني ظفَر، فقال له ذلك الفتى: والله لو جعلتَ شدّةَ ساعديْك على قاتل أبيك وجدّك لكان خيراً لك من أن تُخرجَها عليّ؛ فقال: ومن قاتلُ أبي وجَدي؟ قال: سَلْ أمّك تخبرْك؛ فأخذ السيفَ ووضَع قائمَه على الأرض وذُبَابَه[١٠] بين ثدييه وقال لأمه: أخبريني مَنْ قتل أبي وجدّي؟ قالت: ماتا كما يموت الناس وهذان قبراهما بالفِناء؛ فقال: والله لتُخْبِرِنَنِي[١١] مَنْ قتلهما أو لأتَحامَلَنّ على هذا السيف حتى يخرجَ من ظهري؛ فقالت: أمّا جَدُّك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن

---

(١) ذو المجاز: موضع بعرفة، وكانت تقام فيه في الجاهلية سوق من أسواق العرب.

(٢) جعلت إزاءها: جعلت القيم عليها، يقال: هو إزاء مال أي يقوم عليه ويتعهده.

(٣) في «ديوانه» وط، ء: «بذي الزربن» والزر: حد السيف. والزج: الحديدة في أسفل الرمح. وقد ذكرت في شرح ديوانه رواية أخرى: «بذي الخرصين» وربما رجحها ما سيأتي بعدُ من حكاية قيس مع خداش وكيف كان قتله لمالك قاتل جده.

(٤) الربقة: العروة، يريد موضعها.

(٥) سامحني: تابعني ووافقني.

(٦) النفذ: الثقب. والشعاع: حمرة الدم. ويروى: «الشماع» بفتح الشين وهو انتشار الدم. يريد: لولا الدم لأضاءها النفذ حتى تستبين.

(٧) ملكت: شددت وضبطت.

(٨) أنهرت: أوسعت.

(٩) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢ من هذا الجزء.

(١٠) ذباب السيف: طرفه الذي يُضرب به.

(١١) كذا في الأصول: من غير توكيد وهذا الوجه يجيزه الكوفيون، والبصريون يوجبون توكيد الفعل في مثل هذا الموضع بالنون (انظر «الأشموني» ج ٢ ص ٤٣٧ طبع بولاق).

رَبيعة يقال له مالك، وأما أبوك فقتله رجل من عبد القَيْس[١] ممن يسكن هَجَرَ؛ فقال: والله لا أنتهي حتى أقتلَ قاتلَ أبي وجدّي؛ فقالت: يا بُنيّ إن مالكاً قاتِلَ جَدِّك من قوم خِدَاش بن زُهَير، ولأبيك عند خداش نعمةٌ هو لها شاكر، فَأْتِه فاستشِرْه في أمرك واستعِنْه يُعِنْك؛ فخرج قيسٌ من ساعتِه حتى أتى ناضِحَه[٢] وهو يَسْقِي نخلَه، فضرَب الجَرِيرَ[٣] بالسيف فقطعه، فسقطت الدلوُ في البئر، وأخذ برأس الجمل فحمل عليه غِرَارَتَيْن من تمر، وقال: مَنْ يَكفيني أمرَ هذه العجوز؟ (يعني أمّه) فإن مِتُّ أنفق عليها من هذا الحائط[٤] حتى تموت ثم هو له، وإن عشتُ فمالي عائد إليّ وله منه ما شاء أن يأكل من تمره[٥]؛ فقال رجل من قومه: أنا له، فأعطاه الحائط ثم خرج يسأل عن خداش بن زهير حتى دُلَّ عليه بمَرِّ الظَّهْرَانِ[٦]، /فصار إلى خبائه فلم يجده، فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافُه، ١٦١/٢ ثم نادى امرأةَ خداش: هل من طعام؟ فأطلعَتْ إليه فأعجبها جمالُه، وكان من أحسن الناس وجهاً؛ / فقالت: والله ما عندنا من نُزُلٍ[٧] نرضاه لك إلا تمراً؛ فقال: لا أُبالِي، فأخرجي ما كان عندكِ؛ فأرسلتْ إليه بقُبَاع[٨] فيه تمر، [٥/٣] فأخذ منه تمرة فأكل شِقَّها وردّ شِقَّها الباقي في القُباع، ثم أمَر بالقُباع فأُدخِل على امرأة خداش بن زهير، ثم ذهب لبعض حاجاته. ورجع خداش فأخبرته امرأته خبرَ قيس، فقال: هذا رجل متحرِّم[٩]. وأقبل قيس راجعاً وهو مع امرأته يأكل رُطَباً؛ فلما رأى خداش رِجْلَه وهو على بعيره قال لامرأته: هذا ضيفكِ؟ قالت: نعمْ؛ قال: كأن قدمَه قدم الخطيم صديقي اليَثْرِبِيّ؛ فلما دنا منه قَرَع طُنُبَ البيت بسنان رمحه واستأذن، فأذِن له خداش فدخل إليه، فنَسَبه[١٠] فانتسب[١١] وأخبره بالذي جاء له، وسأله أن يُعينه وأن يشير عليه في أمره؛ فرحّب به خداش وذكر نعمة أبيه عنده، وقال: إن هذا الأمر ما زلتُ أتوقّعه منك منذُ حِين. فأمّا قاتلُ جدّك فهو ابن عم لي وأنا أُعينك عليه، فإذا اجتمعنا في نادينا جلستُ إلى جنبه وتحدّثتُ معه، فإذا ضربتُ فخذَه فثِبْ إليه فاقتله. فقال قيس: فأقبلت معه نحوَه حتى قمتُ على رأسه لمّا جالَسه خداشٌ، فحينَ ضرب فخذَه ضربتُ رأسه بسيف يقال له: ذو الخُرْصين، فثار إليّ القومُ ليقتلوني، فحال خداش بينهم وبيني وقال: دَعُوه فإنه والله ما قتلَ إلا قاتلَ جدّه. ثم دعا خداشٌ بجمل من إبله فركبه، وانطلق مع قيس إلى العَبْدِي الذي قتل أباه، حتى إذا كانا قريباً من هَجَرَ أشار عليه خداش أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه، فإذا دُلّ عليه قال له: إن لصًّا من لصوص قومك عارضني فأخذ متاعاً لي، فسألتُ مَنْ سيدُ قومه فدُلِلتُ عليك، فانطلقْ معي حتى تأخذ متاعي منه؛ فإن اتّبعكَ وحدَه فستنال / ما تريد منه، وإن أخرج[١٢] معه غيره [٦/٣] فاضحك، فإن سألك ممّ ضحكتَ فقل: إن الشريف عندنا لا يصنع كما صنعتَ إذا دُعِي إلى اللص من قومه، إنما

(١) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢ من هذا الجزء.
(٢) الناضح: البعير يستقى عليه الماء.
(٣) الجرير: الحبل.
(٤) الحائط: البستان.
(٥) في أ، م، ء: «ثمره» بالثاء المثلثة.
(٦) الظهران: واد قرب مكة عنده قرية يقال لها «مر» تضاف إليه فيقال مر الظهران.
(٧) النزل: ما يهيأ للضيف من قرى.
(٨) القباع: المكيال الضخم.
(٩) متحرّم: له عندنا حرمة وذمة.
(١٠) نسبه: طلب إليه أن ينتسب.
(١١) في ب، س: «فانتسب إليه».
(١٢) كذا في ط، ء. وفي سائر النسخ: «معك» والسياق يرجح الأول.

يخرج وحده بسوطه دون سيفه، فإذا رآه اللص أعطى[١] كل شيء أخذ هيبةً له، فإن أمر أصحابَه بالرجوع فسبيل ذلك، وإن أبَى إلاّ أن يَمضوا معه فأْتِني به، فإني أرجو أن تقتله وتقتل أصحابَه. ونزل خداش تحت ظل شجرة، وخرج قيس حتى أتى العَبْديَّ فقال له ما أمره خداش فأحْفَظَه، فأمر أصحابَه فرجعوا ومضى مع قيس؛ فلما طلع على خداش، قال له: اختَرْ يا قيس إما أن أُعِينك وإما أن أَكْفيكَ؛ قال: لا أريد واحدة منهما، ولكن إن قتلني فلا يُفْلِتَنَّك؛ ثم ثار إليه[٢] فطعنه قيس بالحَرْبة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانَه، فلما فرغ منه قال له خداش: إنا إن فرَرْنا الآن طلبَنا قومُه، ولكن ادخل بنا مكاناً قريباً من مقتَله، فإن قومه لا يظنون أنك قتلته وأقمتَ قريباً منه[٣]، ولكنهم إذا افتقَدُوه اقتفَوْا أثَره، فإذا وجدوه قتيلاً خرجوا في طلبنا في كل وجه، فإذا يئسوا رجعوا. قال: فدخلا في داراتٍ من رمال هناك، وفقَد العَبْديَّ قومهُ فاقتفَوْا أثرَه فوجدوه قتيلاً، فخرجوا يطلبونهما في كل وجه ثم رجعوا، فكان من أمرهم ما قال خداش. وأقاما مكانَهما أياماً ثم خرجا، فلم يتكلما حتى أتَيا منزلَ خداش، ١٦٢/٢ ففارقه عنده/ قيس بن الخطيم ورجع إلى أهله. ففي ذلك يقول قيس:

تـذكَّـر ليلَـى حسنَهـا وصفـاءَهـا ... وبـانـتْ فمـا إن يستطيـعُ لقـاءَهـا

ومِثْلُـكِ قـد أصبيـتُ ليسـت بكَنَّـةٍ[٤] ... ولا جـارةٍ أَفْضـتْ إلـيّ خِبـاءَهـا[٥]

[٧/٣] / إذا مـا اصطبَحتُ أربعاً خَطَّ مِئْزَري[٦] ... وأتْبعـتُ دَلْـوِي فـي السَّمـاح رِشـاءَهـا[٧]

ثَـأرتُ عـديّـاً والخَطيـمَ فلـم أُضِـعْ ... وصيّـة[٨] أشيـاخٍ جُعِلـتُ إزاءَهـا

وهي قصيدة طويلة.

استنشد رسول الله ﷺ شعره وأعجب بشجاعته:

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا زكريا بن يحيى المِنْقَريّ قال حدّثنا زِياد بن بَيان[٩] العُقَيليّ قال حدّثنا أبو خَوْلةَ الأنصاريّ عن أنَس بن مالك قال:

جلس رسول الله ﷺ في مجلس ليس فيه إلا خَزْرَجيّ ثم استنشدهـم قصيدةَ قيس بن الخطيم، يعني قولَه:

أتعـرفُ رسمـاً كـاطّـرادِ[١٠] المـذاهـبِ ... لعَمْـرةَ وَحْشـاً غيـرَ مـوقِـف راكـبِ

فأنشده بعضهم إياها، فلما بلغ إلى قوله:

---

(١) كذا في أغلب النسخ. وفي ب، س، حـ: «أعطاه... أخذه».

(٢) في ط، حـ، ء: «نازله».

(٣) في أ، م: «منهم».

(٤) الكنة: امرأة الابن أو الأخ.

(٥) في «ديوانه»: «حياءها» يريد أنه ليس بينه وبينها ستر.

(٦) يريد أنه إذا شرب أربعاً اختال حتى جرّ ثوبه من الخيلاء.

(٧) يريد أنه بلغ في السماح منتهاه. يقال: أتبع الدلو رشاءها وأتبع الفرس لجامها إذا بذل آخر مجهوده.

(٨) رويت في صفحة ٣ من هذا الجزء: «ولاية».

(٩) في ط، ء: «بنان» بالنون.

(١٠) الاطراد: التتابع. والمذاهب: واحدها مُذهب وهو جلد تجعل فيه خطوط مذهبة بعضها في أثر بعض.

أُجَالِدُهم يومَ الحَدِيقة[١] حاسِراً كأن يدي بالسيف مِخْراقُ[٢] لاعبِ

فالتفت إليهم رسول الله ﷺ فقال: «هل كان كما ذكر»؛ فشهد له ثابت بن قيس بن شمّاس وقال له: والذي بعثك بالحق يا رسول الله، لقد خرج إلينا يومَ سابع عُرْسه عليه غِلَالة ومِلْحَفة مورّسة[٣] فجالدَنا كما ذكر. هكذا في هذه الرواية.

[٣/٨] / وقد أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني عمي مصعَب قال:

لم تكن بينهم في هذه الأيام حروب إلا في يوم بُعَاث[٤] فإنه كان عظيماً، وإنما كانوا يخرجون فيترامَوْن بالحجارة ويتضاربون بالخشب.

قال الزُّبير وأنشدتُ محمدَ بن فَضَالة قولَ قيس بن الخطيم:

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا كأن يدي بالسيف مخراقُ لاعبِ

فضحك وقال: ما ٱقتتلوا يومئذ إلا بالرطائب والسَّعَف.

قال أبو الفرج: وهذه القصيدة التي ٱستنشدهم إياها رسولُ الله ﷺ من جيّد شعر قيس بن الخطيم، ومما أَنْشَده نابغةَ بني ذُبْيان فٱستحسنه وفضّله وقدّمه من أَجْلِه.

أنشد النابغة من شعره فٱستجاده:

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال قال أبو غَزِيّة قال حسّان بن ثابت:

قدِم النابغةُ المدينةَ فدخل السُّوقَ فنزل عن راحلته، ثم جثا على ركبتيه، ثم ٱعتمد على عصاه، ثم أنشأ يقول:

عرفتُ منازلاً بعُرَيْتِنَاتٍ[٥] فأعلَى الجِزْع للحَيّ المُبِنِّ[٦]

[٣/٩] / فقلت: هلَك الشيخ ورأيتُه قد تبع قافيةً مُنْكرة. قال ويقال: إنه قالها في موضعه، فما زال يُنْشِد حتى أتى على آخرها، ثم قال: ألا رجلٌ يُنْشِد؟ فتقدّم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشده:

* أتعرف رَسْماً كٱطّراد المذاهبِ *

حتى فرغ منها؛ فقال: أنت أشعرُ الناس يٱبنَ أخي. قال حسان: فدخَلَني منه، وإنّي في ذلك لأجد القوّةَ في نفسي عليهما[٧]، ثم تقدّمتُ فجلست بين يديه؛ فقال: أنشِدْ فوالله إنك لشاعر قبل أن تتكلّم، قال: وكان يعرفني قبل ذلك، فأنشدتُه؛ فقال أنت أشعر الناس. قال الحسن[٨] بن موسى: وقالت الأوس: لم يَزِدْ قيسُ بن / الخطيم النابغةَ على: ١٦٣/٢

(١) الحديقة: قرية من أعراض المدينة في طريق مكة، كانت بها وقعة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام (كذا في ياقوت).
(٢) المخراق: خرقة مفتولة يلعب بها الصبيان، وتسمى في مصر «بالطرة».
(٣) مورّسة: مصبوغة بالورس وهو نبات أصفر تصبغ به الثياب ويتخذ منه طلاء للوجه.
(٤) بعاث: موضع في نواحي المدينة، كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية
(٥) عريتنات: واد ذكره ياقوت في «معجمه»، واستشهد بأبيات لداود بن شكم أولها:

معرّسنا ببطن عريتنات ليجمعنا وفاطمة المسير

(٦) المبن: المقيم.
(٧) كذا في أ، م. وفي سائر النسخ: «عليهم».
(٨) كذا في حـ. وفي سائر النسخ: «حسين» وسيأتي قريباً «الحسن» باتفاق النسخ.

* أتعرف رسماً كأطّراد المذاهبِ *

ـ نصف البيت ـ حتى قال أنت أشعر الناس.

صفاته الجثمانية:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبير قال قال سُلَيمان بن داود المُجَمِّعِيّ:

كان قيس بن الخطيم مقرونَ الحاجبين أَدْعج[1] العينين أحمر الشفتين بَرّاق الثّنايا كأن بينها بَرْقا، ما رأته حَليلةُ رجل قطُّ إلاّ ذهب عقلُها.

أمر حسان الخنساء بهجوه فأبت:

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني حسن بن موسى عن سليمان بن داود المُجَمِّعِيّ قال:

[١٠/٣] / قال حَسّان بن ثابت للخَنْساء: أُهْجِي قيسَ بن الخطيم؛ فقالت: لا أهجو أحداً أبداً حتى أراه. قال: فجاءته يوماً فوجدته في مَشْرَقَةٍ[2] ملتفّا في كِساء له، فنخَسَتْه برجلها وقالت: قم، فقام؛ فقالت: أدبِرْ، فأدبر؛ ثم قالت: أقبِلْ، فأقبل. قال: والله لكأنها تعترض عبداً تشتريه، ثم عاد إلى حاله نائماً؛ فقالت: والله لا أهجو هذا أبداً.

عرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام فاستنظره حتى يقدم المدينة:

قال الزُّبير وحدّثني عمّي مصعَب قال:

كانت عند قيس بن الخطيم حَوّاء بنت يَزِيد بن سِنَان بن كُرَيز بن زَعُورَاء[3] فأسلمتْ، وكانت تكتم قيسَ بن الخطيم إسلامَها، فلما قدِم قيس مكة عرَض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، فاستنظره قيس حتى يَقْدَم رسول الله ﷺ المدينة؛ فسأله رسول الله ﷺ أن يجتنب زوجته حواءَ بنت يزيد، وأوصاه بها خيراً، وقال له: إنها قد أسلمت؛ ففعل قيس وحفظ وصيّة رسول الله ﷺ؛ فبلغ رسولَ الله ﷺ، فقال: «وفَى الأُدَيْعِجُ».

قال أبو الفرج وأحسَب هذا غلطاً من مصعَب، وأن صاحبَ هذه القصة قيسُ بن شَمّاس، وأما قيس بن الخطيم فقُتل قبل الهجرة.

قتله الخزرج بعد هدأة الحرب بينهم وبين الأوس:

أخبرني علي بن سليمان الأَخفش النحويّ عن أبي سَعيد السُّكَّريّ عن محمد بن حَبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل:

[١١/٣] / أن حرب الأَوْس والخَزْرَج لما هَدأتْ، تذكرت الخزرجُ قيسَ بن الخطيم ونكايتَه فيهم، فتوامروا[4]

(١) الدعج في العين: شدة سوادها مع سعتها.

(٢) كذا في ط، ء، حـ. والمشرقة مثلثة الراء: موضع القعود في الشمس بالشتاء. وفي سائر النسخ: «مشربة» وهي (بفتح الراء وضمها): الغرفة التي يشرب فيها، وقيل: هي كالصفة بين يدي الغرفة.

(٣) كذا في أغلب النسخ. وفي ب، س، ء. «زعواء» ولم نجد أنه سمي به.

(٤) توامروا: لغة غير فصيحة في تآمروا بمعنى تشاوروا. وفي هامش ط: «فتذامروا» بالذال المعجمة ومعناه تحاضّوا على القتال.

وتواعدوا قتلَه؛ فخرج عشيّةً من منزله في مُلاءَتين يريد مالاً له بالشَّوْط[١] حتى مرّ بأُطُم[٢] بني حارِثة، فرُمِيَ من الأطم بثلاثة أسهم، فوقع أحدها في صدره، فصاح صَيْحةً سمعها رَهْطُه، فجاؤوا فحملوه إلى منزله، فلم يَرَوْا له كُفْئاً إلا أبا صَعْصَعَةَ يزيدَ بن عَوْف بن مُدْرِك النَّجَّارِيّ، فأندسَّ إليه رجل حتى أغتاله في منزله، فضرب عُنُقَه وأشتمل على رأسه، فأتى به قيساً وهو بآخر رَمَق، فألقاه بين يديه وقال: يا قيس قد أدركتُ بثأرك؛ فقال: عضَضْتَ بأير أبيك إن كان غيرَ أبي صَعْصَعة! فقال: هو أبو صعصعة، وأراه الرأسَ! فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات.

مهاجاته حسان بن ثابت:

وهذا الشعر أغْنِي:

* أجَدّ بعَمْرة غُنْيَانُها *

فيما قيل يقوله قيس في عَمْرة بنت رَوَاحة، وقيل: بل قاله في عَمْرةَ: أمرأةٍ كانت لحَسّان بن ثابت، وهي عَمْرة بنت صامت بن خالد. وكان حَسّان ذكر[٣] ليلى بنت الخطيم في شعره، فكافأه قيسٌ بذلك، وكان هذا في حربهم التي يقال لها يوم الرَّبيع[٤].

فأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال أخبرنا الزُّبير قال حدّثني مصعَب قال:

/ مَرّ حَسّان بن ثابت بليلى بنت الخَطيم ـ وقيس بن الخطيم أخوها بمكة حين خرجوا يطلبون الحِلْفَ في قريش ـ فقال لها حسان: اظعَنِي فالحَقي بالحيّ فقد ظعَنوا، وليت شعري/ ما خلَّفك وما شأنُك: أقَلَّ ناصرُك أم راث رافدُكِ[٥]؟ فلم تكلّمه وشتَمه نساؤها؛ فذكرها في شعره في يوم الربيع الذي يقول فيه: [١٢/٣] [١٦٤/٢]

لقد هاج نفسَك أشجانُها	وعاودها اليومَ أديانُها[٦]
تذكرتَ ليلَى وأنَّي بها	إذا قُطِّعتْ منك أقرانُها[٧]
وحَجَّل[٨] في الدار غِربانُها	وخَفَّ من الدار سُكَّانُها
وغيَّرها مُعْصِراتُ الرِّياح	وسَحُّ الجَنُوب وتَهْتانُها
مَهَاةٌ من العِينِ تَمْشِي بها	وتَتْبَعُها ثَمّ غِزلانُها
وقفتُ عليها فساءلتُها	وقد ظعَن الحيُّ: ما شأنُها
فعَيَّتْ وجاوبني دونَها	بما راع قلبيَ أعوانُها

(١) الشوط: بستان بالمدينة، كذا ذكره ياقوت في «معجمه» وأستشهد بأبيات لقيس بن الخطيم منها:
وبالشوط من يثرب أعبد ... ستهلك في الخمر أثمانها

(٢) الأطم: الحصن.

(٣) في ب، س، حـ: «يذكر».

(٤) يوم الربيع: يوم من أيام الأوس والخزرج. والربيع موضع من نواحي المدينة.

(٥) كذا في أ، م. ورفده: أعانه. وفي سائر النسخ: «وافدك» بالواو.

(٦) الأديان: جمع دين وهو الداء، يريد داء حبه القديم.

(٧) الأقران: جمع قرن وهو الحبل.

(٨) حجل بالتشديد كحجل بالتخفيف. والحجل: أن يرفع رجلاً ويقفز على الأخرى، ويكون برجلين جميعاً، إلا أنه قفز وليس بمشي.

وهي طويلة. فأجابه قيس بن الخطيم بهذه القصيدة التي أوّلها:

* أجدّ بعَمْرة غُنْيَانُها *

وفَخر فيها بيوم الرَّبيع وكان لهم فقال:

ونحن الفوارسُ يومَ الرَّبيـ ـع قد علِمُوا كيف فُرْسانُها
حِسانُ الوجوه حِدادُ السيو ف يَبْتَدِرُ المجدَ شُبَّانُها

وهي أيضاً طويلة.

[١٣/٣] **غنت عزة الميلاء النعمان بن بشير بشعره:**

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال أخبرنا الأصمعيّ قال حدّثني شيخ قدِم من المدينة[1]، وأخبرني إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا أبو غَسّان عن أبي السائب المَخْزُوميّ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال ذُكِر لي عن جعفر بن مُحْرز[2] السَّدُوسِيّ، قالوا[3]:

دخل النُّعْمان بن بَشير الأنصاريّ المدينةَ أيامَ يزيدَ بنِ معاويةَ وأبنِ الزُّبير، فقال: والله لقد أخْفَقتْ[4] أُذُنَايَ من الغناء فأَسْمِعُوني؛ فقيل له: لو وجَّهتَ إلى عَزّة فإنها من[5] قد عرفتَ! قال: إي وربِّ البيت، إنها[6] لَمِنْ يزيد النفسَ طِيباً والعقل شَحْذاً، إبعثوا إليها عن رسالتي، فإن أبتْ صِرْنا إليها؛ فقال له بعض القوم: إن النُّقْلة تشتدُّ عليها لِثقَل بدنها وما بالمدينة دابة تحملها؛ فقال النعمان: وأين النجائب عليها الهوادج! فوجَّه إليها بنَجيب فذكرتْ علّة، فلما عاد الرسول إلى النعمان قال لجَليسه أنت كنت أخبرَ بها، قوموا بنا؛ فقام هو مع خواصّ أصحابه حتى طرَقوها، فأذِنتْ وأكرمتْ وأعتذرتْ، فقبل النعمان عُذرها وقال: غنِّيني، فغنّته:

أجَدّ بعَمْرة غُنْيانُها فتهجُرَ أم شأنُنا شأنُها

فأشير إليها أنها أمُّه فسكتتْ؛ فقال: غنِّيني فوالله ما ذكرتِ إلا كرماً وطِيباً! لا تغنِّيني سائرَ اليوم غيرَه؛ فلم تزل تغنِّيه هذا اللحنَ فقطْ حتى أنصرف.

وتذاكروا هذا الحديثَ عند الهيثم بن عَدِيّ، فقال: ألا أَزِيدكم فيه طريفة[7]! قلنا بَلَى يا أبا عبد الرحمن؛ قال [١٤/٣] قال لَقيط: كنت عند سعيد الزُّبيريّ قال سمعت عامراً الشعبيّ / يقول: إشتاق النُّعمان بن بَشير إلى الغناء فصار إلى منزل عَزَّة، فلما أنصرف إذا أمرأةٌ بالباب منتظرة له، فلما خرج شكتْ إليه كثرة غِشْيان زوجها إياها؛ فقال لها النعمان بن بشير: لأَقضِينّ بينكما بقضية لا تُردّ عليّ، قد أحلّ الله له / من النساء مَثْنَى وثُلاث ورُباع، فله أمرأتان ١٦٥/٢

(١) في بعض النسخ: «شيخ قديم من أهل المدينة».
(٢) في حـ، ء: «محمد».
(٣) في ب، س، حـ: «قال».
(٤) يريد: أوحشت أذناي من الغناء لطول عهدها به.
(٥) في ب، س: «ممن».
(٦) كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «لمن».
(٧) كذا في أ، ط، ء. وفي سائر النسخ: «طريقة» بالقاف.

بالنهار وأمرأتان بالليل. فهذا يدلّ على أن المعنيّةَ بهذا الشعر عمرة بنت رواحة[١].

وأما ما ذُكر أنه عَنَى عَمْرة أمرأةَ حسان بن ثابت، فأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار عن عمه:

أن قيس بن الخطيم لما ذكر حَسّانُ أختَه ليلى في شعره ذكر آمرأته عمرةَ، وهي التي يقول فيها حسان:

* أزمعتْ عَمْرة صرْماً فأبْتكِرْ *

حسان بن ثابت وزوجه عمرة بنت الصامت وما قاله فيها من الشعر بعد طلاقها:

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي مصعب قال:

تزوّج حَسّانُ بن ثابت عمرةَ بنت الصامِت بن خالد بن عطية الأَوْسِيّة ثم إحدى بني عمرو بن عَوْف، فكان كل واحد منهما معجَباً بصاحبه، وإن الأوْس أجاروا مخلَّد بن الصامِت الساعِديّ فقال في ذلك أبو قيس بن الأَسْلَت:

أجرتُ مخلَّداً ودفعتُ عنه ... وعند الله صالح ما أتيتُ

فتكلم حسان في أمره بكلام أغضب عمرةَ، فعيّرتْه بأخواله وفَخرتْ عليه بالأوس؛ فغضب لهم فطلقها، فأصابها من ذلك ندَم وشدّة؛ وندِم هو بعدُ فقال:

[١٥/٣]

صوت

أزمعتْ[٢] عمرةُ صرماً فأبتكِرْ ... إنما يُدْهَنُ[٣] للقلبِ الحَصِرْ[٤]

لا يكن حبُّكِ حبّاً ظاهراً ... ليس هذا منك يا عمْر بسِرّ

سألتْ حَسّانَ مَن أخوالُه ... إنما يَسأل بالشيء الغُمُرْ[٥]

قلتُ أخوالي بنو كَعبٍ إذا ... أسلم الأبطالُ عوراتِ الدُّبُرْ

يريد يُدْهَن القلبُ، فأدخل اللامَ زائدةً للضرورة. عمر: ترخيم عمرة. والسر: الخالص الحَسَن. غنَّت في هذه الأبيات عَزّةُ المَيْلاءُ ثاني ثَقيل بالبِنْصر من رواية حَبَش.

وتمام القصيدة:

رُبَّ خالٍ ليَ لو أبصرتِه ... سَبِطِ المِشْية في اليوم الخَصِرْ[٦]

عند هذا الباب إذ ساكنَه ... كلُّ وجهٍ حسنِ النُّقْبَة[٧] حُرّ

(١) لأنها أم النعمان بن بشير (انظر «طبقات ابن سعد» طبع أوروبا ج ٨ ص ٢٦٢ و «الإصابة» طبع مطبعة السعادة ج ٨ ص ١٤٦).

(٢) رواية «الديوان» وط، ء، أ: «أجمعت».

(٣) يدهن: ينافق ويصانع.

(٤) الحصر: الضيق.

(٥) الغمر مثلثة: من لم يجرب الأمور والجاهل الأبله.

(٦) الخصر: البارد. يريد أنه يسعى على الناس لا يقعد عنهم في اليوم البارد المجدب. وفي «اللسان» مادة سبط: «سبط الكفين» وهو السمح الجواد. وفي هذه القصيدة سناد التوجيه وهو تغير حركة ما قبل الرويّ المفيد (أي الساكن) بفتحة مع غيرها من ضمة أو كسرة، وهو أقبح أنواع السناد عند الخليل.

(٧) النقبة بالضم: اللون، وبالكسر هيئة الانتقاب.

يُـوقِـد النـارَ إذا مـا أُطفِئَـتْ يُعْمِـل القِـدْرَ بـأثْبَـاج الجُـزُرْ[١]

[١٦/٣] / مـن يغُـرُّ الـدهـرُ أو يـأمنُـه مـن قَبيـلٍ[٢] بعـد عمـرو وحُجُـرْ[٣]

ملَكَـا مـن جبـل الثلـج إلـى جـانِبَـيْ أيلَـةَ[٤] مـن عبـدٍ وحُـرّ

ثـم كـانـا خيـرَ مـن نـالَ النَّـدَى سبقَـا النـاسَ بـإقسـاطٍ[٥] وبِـرّ

فـارسـيْ خيـلٍ إذا مـا أمسكـتْ ربّـةُ الخِـدْرِ بـأطـرافِ السُّتُـرْ

أتَيَـا فـارسَ فـي دارهـمُ فتنـاهَـوْا بعـد إعصـارٍ[٦] بقُـرّ

ثـم نـادَوْا يـالَغَسّـانَ اصبِـرُوا إنـه يـومُ مَصَـاليـتَ[٧] صُبُـرْ

اجعلـوا مَعْقِلَهـا أيمـانكـم بـالصَّفِيـح المُصْطَفَـى غيـرِ الفُطُـرْ[٨]

بِضِـرَابٍ تـأذَنُ[٩] الجِـنُّ لـه وطِعـانٍ مثـلِ أفْـواه الفُقُـرْ[١٠]

ولقـد يعلَـم مَـنْ حـارَبنـا أننـا ننفـع قِـدْمـاً ونضُـرّ

صُبُـرٌ للمـوت إن حَـلَّ بنـا صـادِقُـو البـأسِ غَطَـاريـفُ فُخُـرْ

[١٦٦/٢] / وأقـام العـزُّ فينـا والغِنَـى فلنـا فيـه علـى النـاس الكُبُـرْ[١١]

[١٧/٣] / منهـمُ أصْلِـي فمـن يفْخَـرْ بـه يَعـرِف[١٢] النـاسُ بفخـرِ المفتخِـرْ

نحـن أهـل العـزّ والمجـد معـا غيـرُ أنكـاسٍ[١٣] ولا مِيـلٍ عُسُـرْ

فـاسـألـوا عنـا وعـن أفعـالنـا كـلُّ قـومٍ عنـدهـم علـمُ الخَبَـرْ

قال الزبير فحدّثني عمّي قال: ثم إن حَسّان بن ثابت مرّ يوماً بِنسْوة فيهن عَمْرة بعد ما طلّقها، فأعرضتْ عنه وقالت لامرأة منهنّ: إذا حاذاكِ هذا الرجلُ فاسأليه مَنْ هو وانْسُبيه وانْسُبي أخوالَه وهي متعرِّضة له، فلما حاذاهنّ

---

(١) أثباج الجزر: أوساطها، يقول: إذا أطفئت نيران الناس من الجدب أوقد ناره وأطعم.

(٢) كذا في ء، ط، و «ديوان حسان بن ثابت» المطبوع بليدن. وفي سائر النسخ: «من قتيل» بالتاء.

(٣) عمرو هو ـ كما في «شرح ديوان حسان» ـ: عمرو بن الحارث بن عمرو بن عديّ بن حجر بن الحارث. وحجر، كما في «اللسان» مادة حجر، هو حجر بن النعمان بن الحارث بن أبي شِمر، وكلاهما من ملوك غسان.

(٤) في «شرح ديوان حسان»: جبل الثلج بدمشق، وأيلة ما بين الحجاز والشام.

(٥) الإقساط: العدل.

(٦) الإعصار: الزوبعة. وفي «ديوانه»: «إعصام» وفسره بالاستمساك، والقر: الاستقرار. وفي م، ء، ط: «بعد ما صابت بقر». وصابت من الصوب وهو النزول. أي نزل الأمر في قراره فلا يستطاع له تحويل. وهو مثل يضرب للشدّة إذا نزلت بقوم.

(٧) المصاليت: جمع مصلات وهو الشجاع.

(٨) الفطر: جمع فطير، والفطير من السيوف: المتشلم.

(٩) تأذن: تستمع.

(١٠)الفقر: جمع فقير وهو مخرج الماء من فم القناة.

(١١)الكبر بضم فسكون أو كسر فسكون: الشرف، وقد حركت الباء هنا لضرورة الشعر، إذ للشاعر أن يحرك الساكن فيما قبل القافية بحركة ما قبله.

(١٢)يعرف: يقر ويعترف.

(١٣)النكس: الضعيف الدنيء: والميل: جمع أميل وهو الذي به ميل خلقة، وعسر جمع أعسر وهو الذي يعمل بشماله.

سألته مَنْ هو ونسَبْته فانتسب لها، فقالت: فمَنْ أخوالُك؟ فأخبرها، فبصَقتْ عن شِمالها وأعرضتْ عنه؛ فحدّد النظرَ إليها وعجِب من فعلها وجعلَ ينظر إليها، فبُصر بأمرأته وهي تضحك فعرفها وعلم أن الأمر من قِبَلها أتى، فقال في ذلك:

قالت له يوماً تخاطِبُه ... رَيّا الروادفِ[1] غادةُ الصُّلبِ

أما المروءةُ والوَسَامةُ أو ... حُشُم[2] الرجال فقد بدا، حَسْبي

فوَدِدْتُ أنك لو تُخَبِّرنا ... مَنْ والداكَ ومنصِبُ[3] الشَّعْبِ[4]

فضحكتُ ثم رفَعتُ متَّصِلاً[5] ... صوتي كرفعِ[6] المنطق الشَّغْبِ

/ جَدِّي أبو لَيْلَى ووالدُه ... عمرٌو وأخوالي بنو كَعْبِ [١٨/٣]

وأنا من القوم الذين إذا ... أزَم[7] الشتاءُ بحَلْقة الجَدْبِ

أعطَى ذوو الأموال مُعْسِرَهم ... والضاربين بمَوْطِن الرُّعْبِ

قال مصعَب: وأبو ليلى الذي عناه حسّان: حَرَام بن عمرو بن زَيْد مَنَاة.

ومما فيه صنعة من المائة المختارة من شعر قيس بن الخطيم:

صوت

حَوْراءُ مَمْكورةٌ[8] منعَّمةٌ ... كأنما شَفَّ وجهَها نُزُفُ[9]

تنامُ عن كُبْرِ شأنها فإذا ... قامتْ رُوَيداً تكاد تنقصفُ

أوحشَ من بَعدِ خُلَّةٍ سَرِفُ ... فالمُنْحَنَى فالعَقيقُ فالجُرُفُ[10]

الشعر لقيس بن الخطيم سوى البيت الثالث. والغناء لقَفَا النَّجّار، ولحنُه المختارُ ثاني ثقيل، هكذا ذكر

---

(١) في «ديوانه»: نفج الحقيبة، والحقيبة: الردف.

(٢) كذا في أغلب النسخ، والحشم كما في «اللسان»: الاستحياء. وقد كتب مصححه عليه أنه هكذا بدون ضبط وذكر أنه مضبوط بالتحريك في نسخة غير موثوق بها من «التهذيب». وفي ط، حـ، ء: «جسم الرجال». وفي «ديوانه»: «رأي الرجال».

(٣) المنصب: الأصل والمحتد.

(٤) قال صاحب «الكشاف»: الشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة، فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن يجمع الأفخاذ، والفخذ تجمع الفصائل.

(٥) متصلاً: منتسباً، من قولهم: اتصل إلى بني فلان: انتمى وانتسب.

(٦) كذا في هامش ط. وفي «ديوانه»، حـ: «أوان المنطق الشغب». وفي سائر النسخ: «ورفع المنطق الشغب».

(٧) أزم: اشتدّ.

(٨) الممكورة: المدمجة الخلق.

(٩) النزف بضم فسكون وحرك هنا للضرورة: خروج الدم. وفي «شرح ديوان قيس بن الخطيم»: «قال العدوي: أراد أن في لونها مع البياض صفرة، وذلك أحسن».

(١٠) سرف: موضع على ستة أميال من مكة، وهو مصروف وبعضهم يمنع صرفه على أنه اسم للبقعة. والمنحنى والعقيق والجرف: أسماء مواضع.

يحيى بن عليّ في الأختيار الواثقيّ. وهو في كتاب إسحاق لقفا النجّار ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر، ولعلّه غير هذا اللحن المختار.

الحرب بين مالك بن العجلان وبني عمر بن عوف وسبب ذلك:

وهذا الشعر يقوله قيس بن الخطيم في حربٍ كانت بينهم وبين بني جَحْجَبَى وبني خَطْمَةَ، ولم يشهدها قيس ولا كانت في عصره، وإنما أجاب عن ذكرها شاعراً منهم يقال له: دِرْهم بن يَزِيد. قال أبو المِنهال عُيَيْنةُ[1] بن المِنهال: بعث رجل من غَطَفانَ من بني ثَعْلبة بن سعد بن ذُبيان إلى يَثْرِب بفرَسٍ وحُلّةٍ مع رجل من غَطَفانَ وقال: [٣/١٩] / ادفعهما إلى أعز أهلِ يثربَ ـ قال وقيل: إن الباعث بهما عَبْدُ يَالِيل[2] بن عمرو الثَّقَفيّ. قال وقيل: بل الباعثُ بهما عَلْقمةُ بن عُلاثةَ ـ فجاء الرسولُ بهما حتى / ورد سوقَ بني قَيْنُقَاع فقال ما أُمِرَ به، فوثَب إليه رجلٌ من غَطَفان كان ١٦٧/٢ جاراً لمالك بن العَجْلان الخَزْرَجيّ يقال له كعب الثَّعْلَبيّ، فقال: مالك بن العَجْلان أعزّ أهل يثرب؛ وقام رجل آخر فقال: بل أُحَيْحةُ بن الجُلاَح أعزّ أهل يثرب، وكثر الكلام؛ فقَبِل الرسولُ الغطفانيّ قولَ الثعلبيّ الذي كان جاراً لمالك بن العَجْلان ودفعهما إلى مالك؛ فقال كعب الثعلبيّ: ألم أقل لكم: إن حَلِيفي أعزُّكم وأفضلكم! فغَضِب رجلٌ من بني عمرو بن عَوْف يقال له سُمَيْر فرصَد الثعلبيّ حتى قتله، فأُخبر مالك بذلك، فأرسل إلى بني عَوْف بن عمرو بن مالك بن الأوس: إنكم قتلتم منّا قَتيلاً فأرسِلوا إلينا بقاتله؛ فلما جاءهم رسول مالك تَرَامَوْا به: فقالت بنو زيد: إنما قتلتْه بنو جحجبى، وقالت بنو جَحْجَبَى: إنما قتلتْه بنو زيد؛ ثم أرسلوا إلى مالك: إنه قد كان في السوق التي قُتِل فيها صاحبُكم ناسٌ كثير، ولا يُدْرَى أيُّهم قتَله؛ وأمر مالكٌ أهلَ تلك السوق أن يتفرّقوا، فلم يبق فيها غيرُ سُمَير وكعب، فأرسَل مالك إلى بني عمرو بن عوف بالذي بلَغه من ذلك وقال: إنما قتله سُمَير، فأرسِلوا به إليّ أقتلْه؛ فأرسَلوا إليه: إنه ليس لك أن تقتل سُمَيراً بغير بيّنة؛ وكَثُرت الرسلُ بينهم في ذلك: يسألهم مالك أن يُعطوه سُمَيراً ويأبَوْن أن يُعطوه إياه. ثم إن بني عمرو بن عوف كرِهوا أن يُنْشِبوا بينهم وبين مالك حرباً، فأرسلوا إليه يَعْرِضون عليه الدِّيَةَ فقبِلها؛ فأرسَلوا إليه: إن صاحبكم حليف وليس لكم فيه إلا نصفُ الدية، فغضِب مالك وأبى أن يأخذ فيه إلا الديةَ كاملة أو يقتلَ سُميراً؛ فأبت بنو عمرو بن عوف أن يعطوه إلاّ ديةَ الحليف وهي نصف الدية، ثم [٣/٢٠] دعَوْه أن يَحْكُم بينَهم / وبينَه عمرُو بن آمرىء القيس أحد بني الحارث بن الخزرج وهو جدّ عبدالله بن رَوَاحةَ ففعل؛ فآنطلقوا حتى جاءوه في بني الحارث بن الخزرج، فقضى على مالك بن العَجْلان أنه ليس له في حليفه إلاّ دية الحليف، وأبى مالكٌ أن يرضَى بذلك وآذَن بني عمرو بن عوف بالحرب، وآستنصر قبائلَ الخزرج، فأبت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصُره غضباً حين ردّ قضاءَ عمرو بن آمرىء القيس؛ فقال مالك بن العجلان يذكر خِذْلانَ بني الحارث بن الخزرج له وحَدَبَ بني عمرو بن عوف على سُمَير، ويحرِّض بني النجّار على نُصْرته:

إن سُمَيـــراً أرَى عشيــرتَـــه قــد حَــدِبُــوا دونَــه وقــد أَنِفُــوا
إن يكــن الظــنُّ صــادقــاً ببنــي النَّـ ـجّــار لا يَطْعَمُــوا الــذي عُلِفُــوا
لا يُسْلِمُــونــا لمعشـــرٍ أبـــداً مـــا دام منّـــا ببَطْنِهـــا شَــرَفُ[3]

---

(١) كذا في ب، س، ط. وفي أ، م: «عيينة». وفي ء: «عتبة».
(٢) عبد ياليل: رجل كان في الجاهلية، وياليل: صنمٌ أضيف إليه كعبد يغوث وعبد مناة وعبد ودّ وغيرها.
(٣) الشرف: الشريف، يقال هو شرف قومه وكرمهم أي شريفهم وكريمهم.

لكنْ مَوَالِيَّ قد بدا لهمُ رأيٌ سِوَى ما لديَّ أو ضَعُفُوا

[يقال: عُلفوا الضيمَ إذا أقرّوا به، أي ظنّي أنهم لا يقبلون الضيم](١) .

صوت

بينَ بني جَحْجَبَى وبين بني زيدٍ فأنّى لجاريَ التَّلَفُ(٢)

يمشون في البَيْض والدروع كما تمشي جِمالٌ مَصَاعبٌ قُطُفُ(٣)

كما تَمَشَّى الأسودُ في رَهَجٍ(٤) الـ ـمَوتِ إليه وكلُّهم لَهِفُ

/ غنّى في هذه الأبيات مَعْبد خفيفَ ثقيلٍ عن إسحاق، وذكر الهِشَاميّ أن فيه لحناً من/ الثقيل الأوّل للغَرِيض. [٣/ ٢١] ١٦٨/٢

وقال درهم بن يزيد(٥) بن ضُبَيْعة أخو سُمَير في ذلك:

يا قومِ لا تقتلوا سُميراً فإ نَّ القتلَ فيه البَوارُ والأسفُ

إن تقتُلوه تَرِنَّ(٦) نِسْوتُكم على كريمٍ ويَفْزَع السَّلَفُ

إني لعَمْرُ الذي يَحُجُّ له النـ ـاسُ ومن دون بيتِه سَرِفَ

يمينُ بَرٍّ بالله مجتهدٍ يَحْلِف إن كان ينفع الحَلِفُ

لا نرفَعُ العبدَ فوقَ سُنَّتِه ما دام منّا ببَطْنِها شَرَفُ

إنك لاقٍ غداً غُوَاةَ بني عمِّي فانظرْ ما أنت مُزْدَهِفُ(٧)

فأبْدِ سِيمَاكَ يَعْرِفوكَ كما يُبْدُون سِيمَاهُمُ فَتعترِفُ

معنى قوله «فأبد سيماك»: أن مالك بن العَجلان كان إذا شهد الحربَ يغيِّر لباسه ويتنكّر لئلا يُعرف فيُقصَد.

وقال درهم بن يزيد في ذلك:

يا مالِ لا تَبْغِيَنْ ظُلامَتَنا يا مالِ إنّا مَعَاشِرٌ أُنُفُ

يا مالِ والحقُّ إن قَنِعْتَ به فيه وفينا لأمرنا نَصَفُ

إنّ بُجَيراً عبدٌ فخُذْ ثمناً فالحقُّ يُوفَى به ويُعترَفُ

ثم اعلَمنْ إن أردتَ ضَيْمَ بني زَيدٍ فإنّي ومَنْ له الحَلِفُ

(١) هذه الزيادة في أ، م، ط: وساقطة من باقي النسخ.

(٢) كذا في أ. وفي م، ط، وهامش أ: «فأنى لجارك التلف». وفي سائر النسخ: «فأنى تخاذل السلف».

(٣) البيض: جمع بيضة وهي ما يلبس على الرأس من حديد كالخوذة للوقاية في الحرب، والمصاعب: جمع مصعب وهو الفحل الذي لم يركب ولم يمسه حبل حتى صار صعباً. والقطف: السريعة الخطو.

(٤) الرهج: الغبار.

(٥) كذا تقدّم هذا الاسم في ص ١٨ من هذا الجزء وسيذكر أخوه سمير باسم سمير بن يزيد في ص ٤٠ من هذا الجزء. وفي ء وهامش ط: «دلهم بن يزيد». وفي باقي النسخ: «درهم بن زيد».

(٦) ترن نسوتكم: يرفعن أصواتهن بالبكاء.

(٧) مزدهف: مقتحم، أي انظر ما أنت مقتحمه ومقدم عليه من الشر.

[٣/٢٢] / لأُصْبَحَــنْ دارَكــم بــذي لَجَــبٍ جَــوْنٍ لــه مــن أمــامِــه عَــزَفُ(١)

البَيْــضُ حِصْــنٌ لهــم إذا فَــزِعُــوا وســابِغــاتٌ كــأنهــا النُّطَــفُ(٢)

والبِيــضُ قــد ثُلِّمــت مضــارِبُهــا بهــا نفــوسُ الكُمــاةِ تُختطَــفُ

كــأنهــا فــي الأكــفِّ إذ لَمعــتْ وَمِيــضُ بــرقٍ يبــدو وينكســفُ(٣)

وقال قيس بن الخطيم الظَّفَرِيّ أحد بني النَّبيت في ذلك، ولم يدركه وإنما قاله بعد هذه الحرب بزمان، ومن هذه القصيدة الصوت المذكور:

رَدّ الخَليــطُ الجِمــالَ فــانصــرفــوا مــاذا عليهــم لــو أنهــم وقَفُــوا

لــو وقَفُــوا ســاعــةً نســائلُهــم رَيْــث يضحِّــي جِمــالَــه السَّلَــفُ(٤)

فيهــم لَعُــوبُ العِشــاءِ آنســةُ الــ ـــدَّل عَــرُوب يَسُــوءهــا الخُلُــفُ(٥)

بيــن شُكُــول النســاءِ خِلقَتُهــا قَصْــدٌ فــلا جَبْلــةٌ ولا قَضَــفُ

تنــام عــن كُبْــر شــأنِهــا فــإذا قــامــت رُويــداً تكــاد تَنْغَــرِفُ(٦)

تَغْتــرِقُ الطــرفَ(٧) وهــي لاهيــةٌ كــأنمــا شــفَّ وجهَهــا نُــزُفُ

[٣/٢٣] / حَــوْراءُ(٨) جَيْــداءُ يُستضــاء بهــا كــأنهــا خُــوطُ بــانــةٍ قَصِــفُ(٩)

قضَــى لهــا اللّــهُ حيــن صَــوّرهــا الــ ـخــالــق أن لا يُكِنَّهــا سَــدَفُ(١٠)

خَــوْدٌ يَغِــثُّ الحــديــثُ مــا صَمَتَــتْ(١١) وهْــو بفِيهــا ذو لــذة طَــرِفُ(١٢)

تخــزُنُــه وهْــو مشتهًــى حسَــنٌ وهْــو إذا مــا تكلمــت أُنُــفُ(١٣)

---

(١) كذا في ب، س، حـ. والعزف: الصوت وحرك للضرورة. وفي سائر النسخ: «عرف» بالراء المهملة.

(٢) النطف: (بالتحريك أو بضم الأول وفتح الثاني): جمع نطفة (بالتحريك أو الضم) وهي اللؤلؤة الصافية اللون أو قطرة الماء. وكلاهما تشبه بها الدروع لصفائها.

(٣) كذا في ط، ء. وفي سائر النسخ: «وينكشف».

(٤) الريث: مقدار المهلة من الزمان. ويضحي من الضحاء وهو أن يرعى الإبل ضحى، والسلف: القوم الذين يتقدّمون الظعن ينفضون الطرق.

(٥) لعوب العشاء: تسمر مع السمار وتلهو. والعروب: الحسناء المتحببة إلى زوجها، وقيل: الضحاكة.

(٦) تنغرف: تنقصف من دقة خصرها، وفي رواية مرت في ص ١٨ «تنقصف».

(٧) يريد: من نظر إليها استغرقت طرفه وبصره وشغلته عن النظر إلى غيرها وهي لاهية غير محتفلة.

(٨) الحوراء: ذات الحور، وهو سعة العين، أو شدّة سواد الحدقة مع شدّة بياضها. والجيداء: الطويلة الجيد، والخوط: الغصن.

(٩) كذا في أغلب النسخ. ومعناه الخوار الناعم المتثنى. وفي ب، س، حـ: «قضف» بالضاد المعجمة.

(١٠) كذا في أغلب النسخ، والسدف: الظلمة، والمراد أنها مضيئة لا تسترها ظلمة. وفي ء: «شدف» وهي بمعنى السدف. وفي ب، س: «صدف».

(١١) هذه رواية أبي عمرو كما في «شرح ديوانه». ورواية «ديوانه»:

* ولا يغث الحديث ما نطقت *

والخود: الشابة الناعمة ما لم تصر نصفاً.

(١٢) الطرف: المستطرف المحبوب.

(١٣) الأنف: المستأنف الجديد.

وهي طويلة يقول فيها:

[١٦٩/٢]

/ أبلغْ بني جَحْجَبَى وإخوتَهم زيداً بأنّا وراءَهم أُنُفُ[١]

إنا وإن قلّ نصرُنا لهُم أكبادُنا من ورائِهم تَجِفُ

لمّا بدتْ نحونَا جِباهُهمُ حنّت إلينا الأرحامُ والصُّحُفُ[٢]

نَفْلِي بحدّ الصَّفيح هامَهمُ وفَلْيُنا هامَهم بها جَنَفُ[٣]

يَتْبَع آثارَها إذا اختُلِجتْ سُخْنٌ عَبِيطٌ عُروقُه تكِفُ[٤]

إنّ بني عمِّنا طغَوْا وبغَوْا ولَجّ منهم في قومِهم سَرَفُ

[٢٤/٣]

/ فردّ عليه حَسّان بن ثابت ولم يدرك ذلك:

ما بالُ عينيك دمعُها يَكِفُ[٥] من ذكر خَوْدٍ شَطَّت بها قَذَفُ[٦]

بانتْ بها غَرْبَةٌ تؤمّ بها أرضاً سِوانا والشكل مختلِفُ

ما كنتُ أدْري بوَشْكِ بَيْنِهمُ حتى رأيتُ الحُدوجَ تَنقذِفُ

دَعْ ذا وَعدّ القَرِيضَ في نَفَرٍ يَرْجُون مدحي ومدحيَ الشرفُ

إن تَدْعُ قومي للمجد تُلْفِهمُ أهلَ فَعالٍ يبدو إذا وُصِفُوا

إن سُمَيراً عبدٌ طغَى سَفَهاً ساعده أعبدٌ لهم نَطَفُ[٧]

قال: ثم أرسَل مالكُ بن العَجْلان إلى بني عمرو بن عوف يُؤْذِنُهم بالحرب، ويَعِدُهم يوماً يلتقون فيه، وأمرَ قومَه فتهيّئوا للحرب، وتحاشد[٨] الحيّان وجمع بعضهم لبعض. وكانت يَهُودُ قد حالفتْ قبائلَ الأوْس والخَزْرج، إلاّ بني قُرَيظة وبني النَّضِير فإنهم لم يحالفوا أحداً منهم، حتى كان هذا الجمع، فأرسلت إليهم الأوسُ والخزرج، كلٌّ يدعوهم إلى نفسه، فأجابوا الأوسَ وحالفوهم، والتي حالفتْ قُرَيظةُ والنَّضيرُ من الأوس أوسُ اللّهِ وهي خَطْمَةُ ووَاقِفُ وأمَيّةُ ووَائِلُ، فهذه قبائلُ أوسِ الله. ثم زحفَ مالكٌ بمن معه من الخزرج، وزحَفَت الأوسُ بمن معها من

(١) أنف: ذوو أنفة ندفع الضيم عنهم وننصرهم. ورواية «الديوان»:

أبلغ بني جحجبى وقومهم خطمة أنا وراءهم أنف

(٢) الصحف: العهود.

(٣) يقال: فلاه بالسيف إذا علاه. والصفيح: جمع صفيحة وهي السيف العريض. والجنف: انحراف وميل عما توجبه القربى والرحم. وفي حـ وهامش ط «والديوان»: «عنف» بدل «جنف» وقال في «شرحه»: «يريد أن قتلنا إياهم عنف منا لأنهم قومنا وبنو عمنا».

(٤) اختلجت: انتزعت. وسخن عبيط: دم طري ساخن.

(٥) في «ديوانه»:

* ما بال عيني دموعها تكف *

(٦) قذف: بعيدة، يقال: نوى قذف ونية قذف: أي بعيدة تقذف بمنتويها.

(٧) النطف بالتحريك: القرط، وغلام منطف ووصيفة منطفة بتشديد الطاء وفتحها أي مقرطة، قال الأعشى:

يسعى بها ذو زجاجات له نطف مقلص أسفل السربال معتمل

(٨) في أ، م، ء، ط: «وتحاشد الحيان بعضهم لبعض».

حلفائها من قُرَيظة والنضير، فألتقَوْا بفضاء كان بين بئر سالم[1] وقُبَاء، وكان أوّل يوم التقَوْا فيه، فأقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انصرفوا وهم متنصِفُون جميعاً، ثم ألتقَوْا مرة أخرى عند / أُطُم بني قَيْنُقَاع، فأقتتلوا حتى حَجز الليلُ بينهم، وكان الظَّفَر يومئذ للأوس على الخزرج، فقال أبو قَيْس بن الأَسْلَت في ذلك: [٢٥/٣]

لقد رأيتُ بني عمرٍو فما وهَنُوا عند اللقاء وما هَمُّوا[2] بتكذيبِ

ألاَ فِدًى لَهُمُ أمّي وما ولَدتْ غداةَ يَمْشُون إرْقالَ المَصاعيبِ

بكلِّ سَلْهَبةٍ[3] كالأَيْمِ ماضيةٍ وكلِّ أبيضَ ماضي الحدّ مخشوبِ

ـ أصل المخشوب: الحديث الطبع، ثم صار كل مصقول مخشوباً؛ فشبهها بالحية في انسلالها ـ قال: فلبث الأوسُ والخزرج متحاربيْن عشرين سنة في أمر سُمير يتعاودون القتالَ في تلك السنين، وكانت لهم فيها أيامُ ومواطنُ لم تُحفظ، فلما رأت الأوسُ طولَ الشرّ وأن مالكاً لا يَنْزِع[4]، قال لهم سُوَيد بن صامِت الأوسيّ ـ وكان يقال له الكاملُ في الجاهلية، وكان الرجل عند العرب[5] إذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً سابحاً رامياً سمَّوْه الكاملَ، وكان / سويدٌ أحدَ الكَمَلة ـ: يا قوم، أرْضُوا هذا الرجل من حليفِه، ولا تقيموا على حرب إخوتكم فيقتلَ بعضُكم بعضاً ويطمعَ فيكم غيرُكم، وإن حَمَلتُم على أنفسكم بعضَ الحَمْل. فأرسلت الأوسُ إلى مالك بن العَجْلان يَدْعونه إلى أن يحكُم بينه وبينهم ثابتُ بن المُنْذِر بن حَرَام أبو حَسّان بن ثابت، فأجابهم إلى ذلك، فخرجوا حتى أتَوْا ثابتَ بن المنذر، وهو في البئر التي يقال لها سُمَيْحة[6]، فقالوا: إنا قد حَكّمناك بيننا؛ فقال: لا حاجة لي في ذلك؛ قالوا: ولم؟ قال: أخاف أن تردّوا حُكمي / كما رددتم حكم عمرو بن أمرىء القيس؛ قالوا: فإنا لا نردّ حكمَك فاحكم بيننا؛ قال: لا أحكم بينكم حتى تُعطوني مَوْثِقاً وعهداً لتَرْضَوُنّ بحكمي وما قضيتُ به ولتُسْلِمُنّ له؛ فأعطَوْه على ذلك عهودَهم ومواثيقَهم، فحكم بأن يُودَى حليفُ مالكٍ ديةَ الصريح ثم تكون السنّةُ فيهم بعده على ما كانت عليه: الصريح[7] على دِيته والحليفُ على ديته، وأن تُعَدّ القتلى الذين أصاب بعضُهم من بعض في حربهم [ثم يكون بعضٌ ببعض][8] ثم يُعطوا الدية لمن كان له فضلٌ في القتلى من الفريقين، فرضي بذلك مالكٌ وسلّمت الأوسُ وتفرّقوا على أنّ علَى بني النَّجّار نصفَ ديةِ جارِ مالكٍ معونةً لإخوتهم، وعلى بني عمرو بن عوف نصفَها؛ فرأت بنو عمرو بن عوف أنهم لم يُخْرِجوا إلا الذي كان عليهم، ورأى مالكٌ أنه قد أدرك ما كان يطلبُ، ووُدِيَ جارُه ديةَ الصريح.
ويقال: بل الحاكمُ المنذر أبو ثابت.

[١٧٠/٢] [٢٦/٣]

(١) في أكثر النسخ «بني سالم» ولعلها محرفة عن بئر سالم التي أثبتناها في الأصل وفي ط، ء: «سالم».
(٢) في أ، م: «ولا هموا».
(٣) السلهبة من الخيل: الطويلة على وجه الأرض.
(٤) ينزع: يكف وينتهي.
(٥) كذا في أ، م، ط. وفي سائر النسخ: «وكان الرجل في الجاهلية».
(٦) هي بئر بالمدينة وقيل بناحية قديد، قال السكري: يروي سميحة (بالتصغير) وسميحة (بفتح السين وكسر الميم) ومسيحة.
(٧) كذا في أغلب الأصول. وفي ب، س، حـ: «في الصريح ....» بزيادة «في».
(٨) هذه الجملة ساقطة من ب، س، حـ.

/ ذكر طويس وأخباره[1]

[٣/٢٧]

اسمه وكنيته:

طُوَيْس لقبٌ غلَب عليه، وأسمه عيسى بنُ عبدالله، وكنيته أبو عبد المُنْعِم وغيّرها المخنَّثون فجعلوها أبا عبد النَّعِيم، وهو مَوْلَى بني مَخْزوم. وقد حدّثني جَحْظَةُ عن حَمّاد بن إسحاقَ عن أبيه عن الواقِديّ عن ابن أبي الزِّنَاد: قال سعد بن أبي وَقّاص: كُنِيَ طويس أبا عبد المُنْعِم.

أوّل من غنى بالعربية في المدينة وألقى الخنث بها:

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن المُسَيَّبِي[2] ومحمدِ بن سَلّام الجُمَحِيّ، وعن الواقديّ عن ابن أبي الزِّنَاد؛ وعن المدائني عن زيد بن أَسْلَم عن أبيه، وعن ابن الكلبيّ عن أبيه وعن أبي مِسكين.

قالوا: أوّل من غنّى بالعربيّ بالمدينة طويسٌ، وهو أوّل من ألقى الخَنَث بها، وكان طويلاً أحول يُكنى أبا عبد المنعم، مولى بني مخزوم، وكان لا يضرب بالعود، إنما كان ينقُر بالدفّ، وكان ظريفاً عالماً بأمر المدينة وأنساب أهلها، وكان يُتَّقَى للسانِه.

شـؤمـه:

قالوا[3]: وسئل عن مولده فذكر أنه وُلد يوم قُبض رسولُ الله ﷺ، وفُطم يوم مات أبو بكر، وخُتن يوم قتل عمر، وزُوِّج يوم قُتل عثمان، ووُلد له يوم قُتل عليّ رضوان الله عليهم أجمعين. قال وقيل: إنه وُلد له يوم مات الحسن بن عليّ / عليهما السلام. قال: وكانت أمي تمشي بين نساء الأنصار بالنَّميمة. قالوا: وأوّل غناء غنّاه وهزِج به[4]: [٣/٢٨]

صوت

كيـف يـأتـي مـن بعيـدٍ ... وهـو يُخفيـه القـريـب

نـازحٌ بـالشـام عنـا ... وهـو مِكسـالٌ هَيُـوبُ

قـد بَـرانـي الحـبُّ حتـى ... كـدتُ مـن وَجْـدِي أذُوبُ

---

(١) تكررت ترجمة طويس في كتاب «الأغاني»، فقد ترجم له المؤلف هنا وأعاد ترجمته في الجزء الرابع. ولم نشأ أن نضم الترجمتين في باب واحد لأنا وجدنا النسخ المخطوطة في دار الكتب كالنسخ المطبوعة. ويغلب على ظننا أن ذلك من صنع أبي الفرج نفسه، ولعل ذلك راجع إلى إنه سها عن هذه الترجمة فترجم له الترجمة الثانية. وواجب الأمانة في النقل وفي مراعاة ترتيب الكتاب أن نترك الترجمتين كما هما كل على حدة كما وضعهما مؤلفهما أو كما وردا كذلك في نسخ «الأغاني».

(٢) كذا في أ، م وهو محمد بن إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن المخزومي المسيبي المدني نزيل بغداد توفي سنة ٢٣٦ هـ وكان معاصراً لإسحاق الموصلي الذي توفي سنة ٢٣٥ هـ. وفي سائر النسخ: «الشعبي» وهو تحريف لأنه توفي سنة ١٠٣ هـ.

(٣) في أكثر النسخ «قال». وفي ب، س، حـ: «قالوا».

(٤) في أ، م، ء، ط: «وهزج هزجه».

١٧١/٢ / الغناء لطُويس هزجٌ بالبنصر.

قال إسحاق: أخبرني الهَيْثم بن عديّ قال قال صالح بن حَسّان الأنصاريّ أنبأني أبي قال:

اجتمع يوماً جماعةٌ بالمدينة يتذاكرون أمر المدينة إلى أن ذكروا طويساً، فقالوا: كان وكان؛ فقال رجل منا: أمّا لو شاهدتموه لرأيتم ما تُسَرُّون به علماً وظَرْفاً وحسنَ غناء وجودةَ نَقْرٍ بالدفّ، ويُضحك كلَّ ثكلى حَرَّى؛ فقال بعض القوم: والله إنه على ذلك كان مشؤوماً؛ وذكر خبرَ ميلاده كما قال الواقدي، إلا أنه قال: وُلد يوم مات نبيّنا ﷺ، وفُطِم يوم مات صدِّيقُنا، وخُتِن يوم قُتِل فاروقُنا، وزُوّج يوم قُتل نورُنا، ووُلد له يوم قُتل أخو نبينا[1]؛ وكان مع هذا مخنّثاً يَكِيدنا ويطلُب عَثَراتنا؛ وكان مُفْرِطاً في طُوله مضطرِباً في خَلْقه أحولَ. فقال رجل من جِلّة أهل المجلس: لئن كان كما قلتَ لقد كان مُمْتِعاً فَهِماً يُحسن رِعايةَ من حَفِظ له حقَّ المجالسة، ورعايةَ حُرْمة الخِدْمة، وكان لا يحمِل قولَ من لا يَرْعَى له بعضَ ما يَرْعاه له.

كان يحب قريشاً ويحبونه:

ولقد كان مُعظِّماً لمواليه بني مخزوم ومَنْ وَالاهم من سائر قريش، ومسالماً لمن عاداهم دون التَّحْكيك به؛ وما يلام من قال بعلم وتكلّم على فهم، والظالم / المَلوم، والبادىء أظلم. [٢٩/٣] فقال رجل آخر: لئن كان ما قلتَ لقد رأيتُ قريشاً يَكْتَنِفُونه ويُحْدِقون به ويُحبّون مجالستَه ويُنْصِتون إلى حديثه ويتمنَّوْن غناءه، وما وضعه شيء إلا خَنَثُه، ولولا ذلك ما بقي رجلٌ من قريش والأنصار وغيرهم إلا أَدْناه.

أخبرني رِضْوان بن أحمد الصَّيْدلاني قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن المهديّ قال حدّثني إسماعيل بن جَامع عن سِيَاط قال:

كان أوّل من تَغَنّى بالمدينة غناءً يدخُل في الإيقاع[2] طويس، وكان مولدُه يوم مات رسول الله ﷺ، وفِطامُه في اليوم الذي تُوُفّي فيه أبو بكر، وخِتانُه في اليوم الذي قُتل فيه عمر، وبناؤه بأهله في اليوم الذي قتل فيه عثمان، ووُلد له يوم قتل عليّ رضوان الله عليهم أجمعين، ووُلد وهو ذاهبُ العينِ اليمنى.

كان يلقب بالذائب وسبب ذلك:

وكان يلقَّب بالذائب، وإنما لُقِّب بذلك لأنه غنى:

قَد بَرانِي الحُبُّ حتى . كِدتُ مِن وَجْدِي أَذُوبُ

أخبرني الحسين عن حَمّاد عن أبيه قال أخبرني ابنُ الكلبيّ عن أبي مِسْكِين قال:

مروان بن الحكم والنغاشي المخنث:

كان بالمدينة مخنَّث يقال له النُّغَاشِيّ، فقيل لمَرْوانَ بنِ الحَكَم: إنه لا يقرأ من كتاب الله شيئاً، فبعث إليه يومئذ، وهو على المدينة، فاستقرأه أمَّ الكتابِ؛ فقال: والله ما معي بناتُها، أوْ ما أقرأ البنات فكيف أقرأ أُمَّهنّ!

(١) كان أبو بكر يلقب بالصديق، وعمر بالفاروق، وعثمان بذي النورين، ويشير بقوله: «أخو نبينا» إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم.

(٢) الإيقاع: بناء ألحان الغناء على موقعها وميزانها.

فقال: أتهزأ لا أمَّ لك! فأمَر به فقُتِل في موضع يقال له بَطِحَان[١] ، وقال: من جاءني فمخنَّث فله عشرة دنانيرَ.

طلبه مروان في المخنثين ففر منه حتى مات:

فأُتِيَ طويسٌ وهو في بني الحارث بن الخَزْرَج من المدينة، وهو يغنّي بشعر حَسّان بن ثابت:

[٣٠/٣] / لقد هاج نفسَك أشْجانُها ... وعاودها اليومَ أدْيانُها

تذكَّرْتَ هنداً وما ذكْرها ... وقد قُطِّعَتْ منك أقْرانُها

وقفتُ عليها فساءلتُها ... وقد ظَعَن الحيُّ ما شأنُها

فصَدَّتْ وجاوب مَن دونها ... بما أوجع القلبَ أعوانُها

/ فأُخبر بمقالة مَرْوان فيهم؛ فقال: أمَا فضَّلني الأمير عليهم بفضل حتى جعل فيّ وفيهم أمراً واحداً! ثم خرج [١٧٢/٢] حتى نزل السُّوَيداءَ ـ على ليلتين من المدينة في طريق الشأم ـ فلم يَزَلْ بها عُمرَه، وعُمِّر حتى مات في ولاية الوَليد بن عبد الملك.

هيت المخنث وبادية بنت غيلان:

قال إسحاق وأخبرني ابن الكلبيّ قال أخبرني خالد بن سعيد عن أبيه وعَوَانةُ قالا:

قال هِيتٌ[٢] المخنَّث لعبدالله بن أبي أُمَيّة: إنْ فَتح الله عليكم الطائفَ فسَل النبيَّ ﷺ باديةَ بنت غَيْلان بن سَلَمة بن معتِّب، فإنها هَيْفاءُ شَمُوعٌ[٣] نَجْلاء، إن تكلّمت تغنّتْ، وإن قامت تثنَّت، تُقْبِل بأربع وتُدْبِر بثَمَان[٤] ، مع ثَغْر كأنه الأُقْحُوَان، وبين رجليْها كالإناء المَكْفُوء[٥] ، كما قال قيس بن الخطيم:

تَغْتَرِقُ الطرفَ وهي لاهيةٌ ... كأنما شَفَّ وجهَها نُزُفُ

بين شُكُول النساءِ خِلْقَتُها ... قَصْدٌ فلا جَبْلَةٌ ولا قَضَفُ

/ فقال النبيّ ﷺ: «لقد غَلْغلتَ النظرَ يا عدوَّ الله»، ثم جَلاَه عن المدينة إلى الحِمَى[٦] . قال هشام: وأوّلُ ما [٣١/٣] اتُّخِذت النُّعوشُ[٧] من أجلها. قال: فلما فُتحت الطائف تزوّجها عبد الرحمن بن عَوْف فولدت له بُرَيهةَ. فلم يزل هِيتٌ بذلك المكان حتى قُبض النبيُّ ﷺ؛ فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه كُلِّم فيه فأبى أن يُردّه؛ فلما وَلِيَ عمر رضي الله عنه كلّم فيه فأبى أن يردّه وقال: إن رأيتُه لأضربنَّ عنقَه؛ فلما ولي عثمانُ رضي الله عنه كُلِّم فيه فأبى أن

(١) بطحان ـ بفتح أوله وكسر ثانيه كما ضبطه أهل اللغة ـ: واد بالمدينة وهو أحد أوديتها الثلاثة: العقيق وبطحان وقناة. والمحدّثون ينطقونه بضم أوله وسكون ثانيه.

(٢) كذا في ء، ط، س. وفي ب: «هنب» وقد رواه أصحاب الحديث هكذا: «هيت» وبعضهم يقول: إن هذا تصحيف من الرواة وصوابه «هنب» بالنون والباء. والأزهري يرجح أن يكون «هيت» صواباً لأنه رواه كذلك الشافعي وغيره من كبار الأئمة (انظر «القاموس» و «شرحه» و «اللسان» في مادّتَيْ هنب وهيت).

(٣) الشموع: اللعوب الضحوك.

(٤) يريد أن عكن بطنها إذا أقبلت أربع وإذا أدبرت ثمان كما فسره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» ج ١ ص ٢٨٤ في باب صفات النساء.

(٥) في ب، س: «وبين رجليها المكفأ كالإناء المكفوء». وكلمة «المكفأ» هنا مقحمة. مستغنى عنها في الكلام.

(٦) في ط، ء: «الجماء» والجماء: جبل بالمدينة على ثلاثة أميال من العقيق.

(٧) كذا صححه الأستاذ الشنقيطي بهامش نسخته، وهو جمع نعش وهو شبه المحفة يحمل عليها الملك إذا مرض. وفي جميع النسخ: «النقوش» ولم يتبين لها معنى في هذا المقام.

يردّه؛ فقيل له: قد كبر وضعُف وٱحتاج؛ فأذِن له أن يدخل كلَّ جمعة فيسألَ ويرجعَ إلى مكانه. وكان هيتٌ مولًى لعبدالله بن أبي أُمَيّة بن المُغِيرة المَخْزوميّ، وكان طُوَيس له؛ فمن ثَمّ قِيل[1] الخَنِثُ.

وجلس يوماً فغنّى في مجلسٍ فيه ولدٌ لعبدالله بن أبي أمية:

* تغترقُ الطرفَ وهي لاهيةٌ *

إلى آخر البيتين؛ فأشير إلى طُوَيس أن ٱسكتْ؛ فقال: والله ما قيل هذان البيتان في ٱبنة غَيْلان بن سَلَمة وإنما هذا مَثَلٌ ضربه هيتٌ في أمّ بُرَيهةَ؛ ثم ٱلتفت إلى ابن عبدالله فقال: يٱبنَ الطاهر، أوجَدْتَ عليّ في نفسك؟ أُقْسِم بالله قسماً حقاً لا أغنّي بهذا الشعر أبداً.

ضافه عبدالله بن جعفر فأكرمه وغناه:

قال إسحاق وحدّثنا أبو الحسن الباهليُّ الراويةُ عن بعض أهل المدينة، وحدّثنا الْهَيثمُ بنُ عَدِيّ والمدائنيُّ، قالوا: [٣٢/٣] / كان عبدالله بن جعفر معه إخوانٌ له في عَشِيّة من عَشَايا الربيع، فراحت عليهم السماءُ بمطر جَوْدٍ فأسال[2] كلّ شيء؛ فقال عبدالله: هل لكم في العَقيق؟ ـ وهو متنزَّه أهل المدينة في أيام الرَّبيع والمَطَر ـ فركبوا دوابَّهم ثم ٱنتهوْا إليه فوقفوا على شاطئه وهو يَرْمِي بالزَّبَد مثلَ مَدِّ الفُرات، فإنهم لينظرون إذ هاجت السماءُ، فقال عبدالله لأصحابه ليس معنا جُنَّة نستجنُّ بها وهذه سماءٌ خَليقةٌ أن تَبُلَّ ثيابَنا، فهل لكم في منزل طُويس فإنه قريبٌ منا فنستكِنّ فيه ويحدّثَنا ويُضْحِكَنا؟ وطُويس في النَّظّارة يسمع كلامَ عبدالله بن جعفر؛ فقال له عبد الرحمن بن حَسّان بن ثابت: جُعِلت فِداءَك! وما تريد من طُوَيس عليه غضبُ الله: مخنَّثٌ شائنٌ لمن عرفه؛ فقال له عبدالله: لا تقلْ ذلك، فإنه مَليح خَفيف لنا فيه أُنْس؛ فلما ٱستوفى طُويسٌ كلامَهم تعجَّل إلى منزله فقال لامرأته: وَيْحَكِ! قد جاءنا [١٧٣/٢] عبدالله بن جعفر سيدُ الناس، فما / عندكِ؟ قالت: نذبح هذه العَناق[3]، وكانت عندها عُنَيْقَةٌ قد ربَّتْها باللبن، وٱختبزَ خبزاً رُقَاقاً؛ فبادر فذبَحها وعجَنتْ هي. ثم خرج فتلقَّاه مقبِلاً إليه؛ فقال له طُويس: بأبي أنت وأمي؛ هذا المطرُ، فهل لك في المنزل فتستكنَّ فيه إلى أن تكُفَّ السماءُ؟ قال: إياكَ أُريد؛ قال: فٱمْض يا سيدي على بركة الله، وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا، فتحدّثوا حتى أُدرك الطعامُ، فقال: بأبي أنت وأمي، تُكْرِمني إذ دخلتَ منزلي بأن تتعشّى عندي؛ قال: هاتِ ما عندكَ؛ فجاءه بعَنَاقٍ سمينةٍ ورُقَاق، فأكل وأكل القومُ حتى تَملّئوا[4]، فأعجبه طِيبُ طعامِه، [٣٣/٣] فلما غسَلوا / أيديَهم قال: بأبي أنت وأمي، أتَمَشَّى معك وأُغَنِّيكَ؟ قال: افعلْ يا طُويس؛ فأخذ مِلْحَفةً فٱتَّزر بها وأرْخَى لها ذَنَبَيْن، ثم أخذ المُرَبَّعَ[5] فتمشَّى وأنشأ يغنّي:

يـــا خَلِيلـــي نـــابنِـــي سُهْـــدِي ... لـــم تَنَـــمْ عينـــي ولـــم تَكَـــدِ

كيـــف تَلْحُـــونـــي[6] علـــى رجـــلٍ ... آنـــسٍ تَلتَـــــذُّه كبِـــــدِي

(١) كذا في ط، ء، حـ. وفي سائر النسخ: «قيل الخنث».

(٢) كذا في أغلب النسخ. وفي ب، س، حـ: «فانسال» ولم نجد هذه الكلمة في كتب اللغة. ولعلها محرفة عن «فانثال» بمعنى تتابع وانصب.

(٣) العناق وزان سحاب: الأنثى من ولد المعز.

(٤) تملئوا: امتلئوا من كثرة الأكل.

(٥) المربع: آلة من آلات الطرب، يريد دفه لتربيعه كما سيأتي وصفه بذلك بعد في ص ٣٧ من هذا الجزء.

(٦) لحاه يلحوه ويلحاه (من بابي نصر وفتح): لامه وعذله.

مثـــلُ ضـــوءِ البـــدرِ طَلْعَتُـــه ليـــس بـــالـــزُّمَّيْلَـــةِ[١] النَّكِـــدِ

فطرِب القومُ وقالوا أحسنتَ والله يا طويس. ثم قال: يا سيدي، أتدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا والله، ما أدري لمن هو، إلا أني سمعت شعراً حسناً؛ قال: هو لفارعة[٢] بنت ثابت أختِ حَسّان بن ثابت وهي تتعشّق عبدَ الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميّ وتقول فيه هذا الشعر؛ فنكّس القومُ رؤوسهم، وضرب عبدُ الرحمن برأسه على صدره[٣]، فلو شُقَّت الأرضُ له لدخل فيها[٤].

عرّض بسعيد بن عبد الرحمن في شعر غناه فأغضبه:

قال وحدّثني ابنُ الكَلْبيّ والمَدَائنيُّ عن جَعْفر بن مُحْرز قال:

خرج عمر بن عبد العزيز، وهو على المدينة، إلى السُّوَيداء وخرج الناسُ معه، وقد أُخِذت المنازلُ، فلحق بهم يَزِيدُ بن بَكْر بن دَأْب اللَّيْثيّ وسَعيدُ بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاريّ، فلقيهما طويس فقال لهما: بأبي أنتما وأمّي! عرِّجا إلى منزلي؛ فقال يزيد لسعيد: مِلْ بنا مع أبي عبد النَّعِيم[٥]؛ فقال سعيد: أين تذهب / مع [٣/٣٤] هذا المخنَّث! فقال يزيد: إنما هو منزلُ ساعة فمالاً، واحتمل طويسٌ الكلامَ على سعيد[٦]، فأتيا منزلَه فإذا هو قد نضَحه ونصَّعه[٧]، فأتاهما بفاكهة من فاكهة الماء[٨]؛ ثم قال سعيد: لو أسمعتَنا يا أبا عبد النَّعيم! فتناول خَرِيطةً[٩] فاستخرج منها دُفًّا ثم نقَره وقال:

يـــا خَليلـــي نـــابَنِـــي سُهُـــدِي لـــم تَنَـــمْ عينـــي ولـــم تَكَـــدِ

فشَـــرَابِـــي مـــا أُسِيـــغُ ومـــا أشتكـــي مـــا بـــي إلـــى أحـــدِ

كيـــف تَلْحُـــونـــي علـــى رجـــلٍ آنِـــسٍ تلتـــذُّه كبِـــدِي

مثـــلُ ضـــوءِ البـــدر صـــورتُـــه ليـــس بـــالـــزُّمَّيْلَـــةِ النَّكِـــدِ

مـــن بنـــي آل المُغِيـــرة لا خـــامـــلٍ نِكْـــسٍ ولا جَحِـــدِ[١٠]

نظـــرتْ يـــومـــاً فـــلا نظـــرتْ بعـــدَه عينـــي إلـــى أحـــدِ

ثم ضرب بالدفّ الأرضَ؛ فقال سعيد: ما رأيتُ [كاليوم][١١] قطُّ شعراً أجود ولا غناءً أحسنَ منه؛ فقال له

---

(١) الزميلة: الرذل الجبان الضعيف، يزمل في بيته خوفاً وجبناً.

(٢) كذا في ء: وهي محرفة في سائر النسخ.

(٣) ضرب برأسه على صدره: أطرق استحياء وخجلاً، وهو يريد بعبد الرحمن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت.

(٤) في ب، س، حـ: «فلو شقت الأرض لدخل فيها خالداً».

(٥) في ب، س، حـ: «مل بنا المنزل مع. . .».

(٦) أي حفظه له واضطغن عليه من أجله.

(٧) يريد أنه رشه بالماء ونظفه.

(٨) لم نعثرْ على معنى خاص لهذه الكلمة. وأقرب الكلمات تحريفاً لها هي: «فاكهة الشتاء» وهي النار ولكنها غير مناسبة في هذا المقام.

(٩) الخريطة: وعاء من أدم.

(١٠) النكس: الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه. والجحد: القليل الخير.

(١١) هذه الكلمة ساقطة من ب، س، حـ.

طويس: يابنَ الحُسَام، أتدري مَنْ يقولُه؟ قال: لا؛ قال: قالته عمَّتُك خَوْلةُ بنت ثابت تُشَبِّب بعُمَارةَ بن الوَليد بن المُغِيرة المَخْزوميّ؛ فخرج سعيد وهو يقول: ما رأيتُ كاليوم قطُّ[1] مثلَ / ما أستقبلني به هذا المخنَّثُ! والله لا يُفْلِتُني! فقال يزيدُ: دَعْ هذا وأمِنْه ولا ترفَع به رأساً. قال أبو الفرج الأَصْبَهاني: هذه الأبيات، فيما ذكر الحَرَمِيّ بن أبي العَلاء عن الزُّبير بن بكّار، لابن زُهَير المخنَّث.

[١٧٤/٢]

[٣٥/٣] / مدح ابن سريج غناءه:

قال إسحاق وحدّثني الهيثم بن عديّ عن ابن عَيّاش، وابنُ الكلبي عن أبي مِسْكين، قالا:

قدِم ابنُ سُرَيج المدينةَ فغنّاهم، فأستظرف الناسُ غناءَه وآثروه على كلّ مَنْ غنّى؛ وطلَع عليهم طُوَيس فسمعهم وهم يقولون ذلك[2]، فأستخرج دُفًّا من حِضْنِه ثم نقَر به وغنّاهم بشعر عُمَارةَ بن الوَليد المَخْزوميّ في خَوْلة بنت ثابت، عارضَها بقصيدتها فيه:

يا خليلَيَّ نابني سُهُدي ... لم تَنَمْ عَيْني ولم تَكَدِ

وهو:

تَناهَى فيكُم وَجْدي[3] ... وصدَّعَ حبّكم كَبِدي

فقلبي مُشْعَرٌ حزناً ... بذات الخالِ في الخدّ

فما لاقَى أخو عشقٍ ... عَشِيراً[4] العُشْر من جَهْدي

فأقبل عليهم ابن سُرَيج فقال: والله هذا أحسنُ الناس غناء.

أخبرني وَكِيعٌ محمدُ بن خَلَف قال حدّثنا إسماعيلُ بن مجمِّع قال حدّثني المدائنيُّ قال:

قدِم ابنُ سُرَيج المدينةَ فجلَس يوماً في جماعةٍ وهم يقولون: أنت والله أحسن الناس غناء، إذ مرّ بهم طُوَيس فسمِعهم وما يقولون: فأستلَّ دُفَّه من حِضْنه ونقَره وتغنّى:

إن المُجَنَّبةَ[5] التي ... مَرَّتْ بنا قبلَ الصَّباحِ

[٣٦/٣] / في حُلَّةٍ مَوْشيّةٍ ... مَكْيَّةٍ غَرْثَى الوِشَاحِ[6]

زَيْنٌ لمشهدِ فِطْرِهم ... وتَزِينُهم يومَ الأَضاحي

ـ الشعر لأبن زُهَير المخنَّث. والغناء لطُوَيس هَزَجٌ، أخبرنا بذلك الحَرَميّ بن أبي العَلاء عن الزُّبير بن بكّار ـ فقال ابنُ سُرَيج: هذا والله أحسنُ الناس غناءً لا أنا.

---

(١) كذا في ط، أ، م. وفي سائر النسخ «ما رأيت قط كاليوم ولا مثل ما استقبلني به إلخ».

(٢) كذا في ط، ء. وفي سائر النسخ: «وهم يقولون ذلك له».

(٣) في هامش ط إشارة إلى رواية أخرى وهي:

* خويلة شفني وجدي *

(٤) العشير: جزء من العشرة كالعشر.

(٥) المجنبة: وصف من جنبه إذا أبعده. وفي ب، س، حـ: «المخنثة».

(٦) غرثى الوشاح: خميصة البطن دقيقة الخصر.

تبع جارية فزجرته ثم تغنى بشعر:

قال إسحاق حدّثني المَدَائِنيُّ قال: حُدّثت أنّ طويساً تبع جاريةً فراوغتْه فلم ينقطع عنها، فخَبَّتْ[١] في المشي فلم ينقطع عنها؛ فلما جازت بمجلسٍ وقفتْ ثم قالت: يا هؤلاء، لي صَديقٌ ولي زوجٌ ومولًى يَنْكِحُني، فسَلُوا هذا ما يريد منّي! فقال أُضيِّق ما قد وسّعوه. ثم جعل يتغنّى:

أَفِـقْ يـا قلـبُ عـن جُمْـلٍ ... وجُمْـلٌ قطّعـتْ حَبْلـي

أفِـق عنهـا فقـد عُنّيـ ... ـتَ حَـوْلاً فـي هَـوَى جُمْـلِ

وكيـف يُفيـق محـزونٌ ... بجُمْـلٍ هـائـمُ العقـلِ

بَـراه الحُـبّ فـي جمـلٍ ... فحَسْبِـي الحـبُّ مـن ثِقْـلِ[٢]

وحَسْبِـي فيـكِ مـا أَلْقَـى ... مـن التَّفْنيـد والعَـذْلِ

وقِـدْمـاً لامنـي فيهـا[٣] ... فلـم أحْفِـل بهـم أهلـي

حديث طويس والرجل المسحور:

قال إسحاق وقال المدائنيّ قال مَسْلَمة بن مُحَارب حدّثني رجل من أصحابنا قال:

خرجنا في سَفْرة ومعنا رجلٌ، فانتهينا إلى وادٍ فدعَوْنا بالغَداء، فمدّ الرجل يده إلى الطعام فلم يقدِرْ عليه، وهو قبل ذلك يأكل معنا في كلّ منزل، فخرجنا نسأل عن حاله/ فلقِينا رجلاً طويلاً / أحولَ مضطربَ الخَلْق في زِيّ الأعراب، فقال لنا: مالكم؟ فأنكرنا سؤاله لنا، فأخبرناه خبرَ الرجل؛ فقال: ما ٱسمُ صاحبِكم؟ فقلنا: أُسَيد؛ فقال: هذا وادٍ قد أُخِذَتْ[٤] سِباعُه فارحلُوا، فلو قد جاوزتُم الواديَ استمرّ[٥] صاحبكم وأكل. قلنا في أنفسنا: هذا من الجنّ، ودخلتْنا فَزْعةٌ؛ ففهم ذلك وقال: ليُفْرِخْ[٦] رَوْعُكم فأنا طويس. قال له بعض مَنْ معنا من بني غِفَارٍ أو من بني عَبْس: مرحباً بك يا أبا عبد النَّعيم، ما هذا الزّيّ! فقال: دعاني بعضُ أَوِدّائي من الأعراب فخرجتُ إليهم وأحببت أن أتخطَّى الأحياءَ فلا يُنْكِروني. فسألت الرجل أن يغنّينا؛ فاندفع ونَقَر بدُفٍّ كان معه مربَّعٍ، فلقد تخيّل لي أنّ الواديَ يَنطِق معه حسناً، وتعجَّبْنا من علمه وما أخبرنا [به][٧] من أمر صاحبنا.

[٣: ٣٧ / ١٧٥ / ٢]

وكان الذي غنّى به في شعر عُرْوة بن الوَرْد في سَلْمى ٱمرأته الغِفَاريّة حيث رهَنها على الشراب:

سَقَـوْنـي الخمـرَ ثـم تكنَّفـونـي ... عُـداةُ الله مـن كَـذِبٍ وزُورِ

وقـالـوا لسـتَ بعـدَ فِـداء سَلْمَـى ... بمُفْـنٍ مـا لـديـك ولا فقيـرِ

(١) خبت: أسرعت.

(٢) كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س، حـ: «فحسب القلب من ثقل».

(٣) في ط: «وقد وبخني فيها» وبهامشها ما بسائر النسخ.

(٤) كذا في ط، ء، و«نهاية الأرب» ج ٤ ص ٢٦٤ طبع دار الكتب، وأخذت: سحرت. وفي سائر النسخ: «أخاف سباعه».

(٥) استمر: قوي واستقام أمره.

(٦) ليفرخ روعكم: ليذهب رعبكم وفزعكم. (انظر الحاشية رقم ٤ ص ٢٢٦ من الجزء الأول).

(٧) زيادة في أ، م، حـ.

فـلا واللّـهِ لـو مُلِّكْـتُ أمـري ... ومَـنْ لـي بـالتَّـدَبُّـر فـي الأمـورِ

إذاً لعَصَيتُهـمْ فـي حـبّ سَلْمَـى ... علـى مـا كـان مـن حَسَـكِ[1] الصدورِ

فيـا لَلنّـاسِ كيـف غُلِبْـتُ أمـري ... علـى شـيءٍ ويكـرَهُـهُ ضميـري

[٣٨/٣] / **قصة عروة وامرأته سلمى الغفارية:**

قال إسحاق وحدّثني الوَاقِديّ قال حدّثني عبدُ الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه قال:

لما غَزَا النبيُّ ﷺ بني النَّضِير وأجلاهم عن المدينة خرجوا يريدون خَيْبَرَ يضربون بدُفوفٍ ويَزْمِرُون بالمزامير وعلى النساء المُعَصْفَرَاتُ وحُلِيُّ الذهب مُظْهِرين لذلك تجلُّداً، ومرَّتْ في الظُّعُنِ[2] يومئذٍ سَلْمَى امرأةُ عُرْوَةَ بن الوَرْدِ [العبسي][3]، وكان عُرْوة حليفاً في بني عمرو بن عَوْف، وكانت سَلْمَى من بني غِفَار، فسباها عروة من قومها وكانت ذاتَ جمالٍ فولدتْ له أولاداً وكان شديدَ الحب لها وكان ولدُه يعيَّرون بأمِّهم ويسمَّوْن بني الأَخِيذة ـ أي السَّبِية ـ فقالت: ألا ترى ولدك يعيَّرون؟ قال: فماذا تَرَيْنَ؟ قالت: أرى أن تَرُدَّني إلى قومي حتى يكونوا هم الذين يزوّجونك فأَنْعَم[4] لها، فأرسلتْ إلى قومها أنِ الْقَوْه بالخمر ثم اتركوه حتى يسكر ويَثْمَل فإنه لا يُسأل حينئذ شيئاً إلا أعطاه؛ فلَقُوه وقد نزل في بني النَّضِير فسقَوْه الخمرَ، فلما سكِر سألوه سَلْمَى فردّها عليهم ثم أنْكَحُوه بعدُ. ويقال: إنما جاء بها إلى بني النَّضِير، وكان صُعْلوكاً يُغِير، فسقَوْه الخمرَ، فلما انْتشى منعوه ولا شيءَ معه إلا هي فرهنها، ولم يزل يشرب حتى غَلِقَتْ[5]؛ فلما قال لها: انطلِقي قالت: لا سبيل إلى ذلك، قد أَغْلَقتني. فبهذا صارتْ عند بني النَّضِير. فقال في ذلك:

سقَـوْنـي الخمـرَ ثـم تكنَّفـونـي ... عُـداةُ اللّـهِ[6] مـن كـذبٍ وزورِ

[٣٩/٣] / هذه الأبيات مشهورة بأن لطُوَيس فيها غناءً، وما وجدتُه في شيء من الكتب مجنَّساً فتُذكر طريقتُه.

كان يغري بين الأوس والخزرج ويتغنى بالشعر الذي قيل في حروبهم:

قال إسحاق وحدّثني المَدَائنيُّ قال: كان طويسٌ وَلِعاً بالشعر الذي قالته الأَوْسُ والخَزْرَجُ في حروبهم، وكان ١٧٦/٢ يريد بذلك الإغراءَ، فقَلَّ مجلسٌ اجتمع فيه هذان/ الحَيّانِ فغنَّى فيه طُوَيسٌ إلا وقع فيه شيء؛ فنُهِيَ عن ذلك، فقال: والله لا تركتُ الغناءَ بشعر الأنصار حتى يُوَسِّدُوني الترابَ؛ وذلك لكثرة تولُّع القوم به، فكان يُبْدِي السرائرَ ويُخْرِج الضغائنَ، فكان القوم يتشاءمون به.

---

(١) الحسك: الشوك، ويكنى به عن العداوة والحقد.

(٢) الظعن: جمع ظعينة وهي المرأة في هودجها، وقد يقال للمرأة ظعينة وإن كانت في بيتها لأنها تصير ظعينة أي مظعوناً بها. ويسمى الهودج أيضاً ظعينة سواء كانت فيه امرأة أم لا.

(٣) زيادة في أ، م.

(٤) أنعم لها: قال لها نعم.

(٥) غلق الرهن في يد المرتهن: استحقه، وذلك إذا لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط.

(٦) في أ، م، ء، ط:

* ألا لله من كذب وزور *

وقد تقدم هذا البيت باتفاق الأصول كما في رواية الصلب.

وكان يُستحسن غناؤه ولا يُصْبَر عن حديثه ويُستشهَد على معرفتِه، فغنَّى يوماً بشعر قيس بن الخطيم في حرب الأوس والخزرج وهو:

رَدّ الخَليطُ الجِمالَ فانصرفوا ... ماذا عليهم لو أنهم وقفُوا

لو وقفوا ساعةً نسائلُهم ... رَيْث يضحِّي جِمَالَه السَّلَفُ

فليت أهلي وأهلَ أَثْلَةَ في الـ ... ـدّار قَرِيبٌ من حيثُ نختلِفُ

فلما بلَغ إلى آخرِ بيت غنَّى فيه طويسٌ من هذه القصيدة وهو:

أبلغْ بني جَحْجَبَى وقومَهمُ ... خَطْمَةَ أنّا وراءَهم أُنُفُ

تكلّموا وانصرفوا وجرتْ بينهم دماءٌ، وانصرف طويسٌ من عندهم سليماً لم يكلَّم ولم يُقَلْ له شيءٌ.

سبب الحرب بين الأوس والخزرج:

قال إسحاق فحدّثني الواقِديّ وأبو البَخْتَرِيّ[١]، قالا:

قال قَيْس بن الخَطيم هذه القصيدةَ لشَغَبٍ أثاره القومُ بعد دهر طويلٍ[٢]. ونذكُر سببَ أوّلِ ما جرى بين الأَوْسِ والخَزْرجِ من الحرب:

/ قال إسحاق قال أبو عبدالله اليَزيدي [وأبو البَخْتَرِيّ][٣]، وحدّثني مشايخ لنا قالوا: كانت الأوسُ والخَزْرج [٣/٤٠] أهلَ عزٍّ ومَنَعةٍ وهما أخوانِ لأبٍ وأمّ وهما ابنا حارثةَ بن ثَعْلبةَ بن عمرو بن عامر، وأمُّهما قَيْلةُ بنتُ جَفْنة بن عُتْبةَ بن عمرو؛ وقُضَاعة تذكُر أنها قَيْلة بنتُ كاهِل بن عُذْرةَ بن سعد بن زيد بن سُود بن أَسْلم بن الحاف بن قُضَاعة. وكانت أوّلُ حرب جرت بينهم في مولًى كان لمالك بن العَجْلان قتله سُمَير بنُ يَزيد بن مالك، وسُمَير رجل من الأوس ثم أحدُ بني عمرو بن عَوْف، وكان مالك سيدَ الحيَّيْن[٤] في زمانه، وهو الذي ساق تُبَّعاً إلى المدينة وقتل الفِطْيون[٥] صاحب زُهْرة[٦] وأذلّ اليهودَ للحيَّيْن جميعاً، فكان له بذلك الذكرُ والشرف عليهم، وكانت ديةُ المَوْلَى فيهم ـ وهو الحليفُ ـ خَمساً من الإبل، وديةُ الصريح عشراً، فبعث مالك إلى عمرو بن عوف: ابعثوا إليّ سُمَيراً حتى أقتلَه بمولاي فإنّا نكرَه أن تَنْشَبَ بيننا وبينكم حربٌ؛ فأرسلوا إليه: إنّا نُعطيك الرضا من مولاك فخذ منا

---

(١) في ب، س: «أبو البحتري».

(٢) في ب، س، حـ: «قال قيس بن الخطيم شعراً أثار القوم وهو طويل».

(٣) زيادة في ء، ط وهامش أ.

(٤) في حـ، أ، م: «الحضر».

(٥) حدّث عنه «ياقوت» في الكلام على يثرب حيث قال في ج ٤ ص ٤٦٣: «وكان ملك بني إسرائيل يقال له الفيطوان. وفي «كتاب ابن الكلبي»: الفطيون بكسر الفاء والياء بعد الطاء، وكانت اليهود والأوس والخزرج يدينون له إلخ». وذكره ابن الأثير في «الكامل» ج ١ ص ٤٩٢ طبع ليدن سنة ١٨٦٦ م، وضبط فيه بالقلم بكسر أوله وإسكان ثانيه، فقال ما ملخصه: إنه كان عظيم اليهود بالمدينة وكان رجل سوء فاجرا، وكانت اليهود تدين لهذا الرجل إلى أن كانت لا تزوّج امرأة منهم حتى تدخل عليه قبل دخولها على زوجها، ويقال: إنه كان يفعل ذلك بنساء الأوس والخزرج، وكانت الغلبة يومئذ لليهود عليهم، حتى جاء زفاف أخت لمالك بن العجلان فأثارت في أخيها عوامل الحمية والغيرة، فتزيا مالك بزيّ امرأة وتقلد سيفه واندس فيمن كان معها من النساء وقتل الفطيون، ثم فر هارباً إلى الشأم حتى دخل على أبي جبيلة عبيد بن سالم بن مالك الخزرجي، وكان أثيراً عند ملوك غسان، فشكا إليه حاله، فأقسم أبو جبيلة ليذلنّ اليهود وليجعلن الغلبة للأوس والخزرج عليهم. وقد فعل اهـ بتصرف في العبارة.

(٦) زهرة: القبيلة المعروفة التي ينتسب إليها عبد الرحمن بن عوف الزهري.

[٣/٤١] عَقْلَه(١) ، فإنك قد عرفت / أن الصريح لا يُقْتَل بالمَوْلَى؛ قال: لا آخذ في مولاي دون دية الصريح، فأبوا إلا ديةَ المولى. فلما رأى ذلك مالكُ بن العَجْلان جَمع قومَه من الخزرج، وكان فيهم مُطاعاً، وأمرهم بالتهيُّؤ للحرب. فلمّا بلغ الأوسَ استعدُّوا لهم وتهيَّئُوا للحرب واختاروا الموت على الذلّ؛ ثم خرج بعضُ القوم إلى بعض فَٱلْتقَوْا بالصَّفِينة بين بئر سالم(٢) وبين قُبَاء (قريةٍ لبني عمرو بن عوف) فٱقتتلوا قتالاً شديداً حتى نال بعضُ القوم من بعض. ثم إنّ رجلاً من الأوس نادى: يا مالك، نَنْشُدك اللّهَ والرَّحِمَ(٣) ـ وكانت أمُّ مالك إحدى نساء بني عمرو بن عوف ـ فاجعلْ بيننا وبينك عَدْلاً من قومك فما حكَم علينا سلّمْنا لك؛ فٱرعَوى مالكٌ عند ذلك، وقال نعم؛ فاختاروا عمرو بن امرىء القيس أحدَ بني الحارث بن الخزرج فرضِي القومُ به، واستوثق منهم، ثم قال: فإنّي أقضي بينكم: إن كان سُمَير قتلَ صَرِيحاً من القوم فهو به قَوَدٌ، وإن قبِلوا العَقْلَ فلهم/ دية الصريح؛ وإن كان قتل مَوْلًى فلهم دية المولى بلا نقصٍ، ولا يُعْطَى فوقَ نصف الدية، وما أصبتُم منا في هذه الحربِ ففيه الديةُ مسلَّمةً إلينا، وما أصبْنا منكم فيها علينا فيه ديةٌ مسلَّمةٌ إليكم. فلما قضى بذلك عمرو بن امرىء القيس غضِب مالكُ بن العَجْلان ورأى أن يَرُدّ عليه رأيَه، وقال: لا أقبل هذا القضاءَ؛ وأمَر قومَه بالقتال، فجمَع القومُ بعضُهم لبعضٍ ثم ٱلتقَوْا بالفضاء(٤) عند آطَامِ بني قَيْنُقَاع، فٱقتتلوا قتالاً شديداً، ثم تداعَوْا إلى الصلح فحكَّموا ثابت بن حَرَام بن المُنْذِر أبا حَسّانَ بنِ ثابت النَّجّارِيّ، فقضى بينهم أن يَدُوا مَوْلَى مالكِ بن العَجْلان بدية الصَّرِيح ثم تكونَ السُّنَّةُ فيهم بعدَه على مالكٍ وعليهم كما كانت أوّلَ مرّة: المَوْلَى على ديته؛ والصَّريح على ديته؛ فرضِي مالكٌ وسلَّم الآخرون. وكان ثابت إذ حَكَّموه / أراد إطفاءَ [٣/٤٢] النائرةِ(٥) فيما بينَ القومِ ولَمَّ شَعَثِهم، فأخرج خمساً من الإبل من قبيلته حين أبتْ عليه الأوسُ أن تؤدّيَ إلى مالكٍ أكثَر من خمسٍ وأبى مالكٌ أن يأخذ دونَ عشرٍ. فلما أخرج ثابتٌ الخَمْسَ أرْضَى مالكاً بذلك ورضيتِ الأوسُ، واصطلحوا بعهدٍ وميثاقٍ ألا يُقْتَلَ رجلٌ في داره ولا مَعْقِله ـ والمعاقل: النخل ـ فإذا خرج رجل من داره أو مَعْقِله فلا دية له ولا عَقْل. ثم انظروا(٦) في القتلى فأيُّ الفريقين فَضَل على صاحبه وَدَى له صاحبُه. فأفضلت الأوسُ على الخزرج بثلاثة نَفَر فوَدَتْهم الأوسُ وٱصطلحوا. ففي ذلك يقول حسّان بن ثابت لِمَا كان أبوه أصلح بينهم ورضاهم بقضائه في ذلك:

وأبِـي فـي سُمَيْحَـة القـائـلُ الفـا ... صِـلُ حيـن التَقَـتْ عليـه الخصـومُ

وفي ذلك يقول قيس بن الخطيم قصيدتَه وهي طويلة:

رَدّ الخليـطُ الجمـالَ فـانصـرفـوا ... مـاذا عليهـم لـو أنهـم وقَفـوا

أنشد عمر بن عبد العزيز شيئاً من شعره وقال هو أنسب الناس:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن أبيه قال:

(١) عقله: ديته.

(٢) كذا في ط: وفي سائر النسخ: «بني سالم» انظر ص ٢٤ من هذا الجزء.

(٣) في ب، س، حـ: «ننشدك بالله والرحم».

(٤) كذا في ط، ء: والفضاء كما في «ياقوت»: موضع بالمدينة، ولم يعينه. ولعله هو المراد هنا أو أنه أراد مطلق الفضاء المتسع.

(٥) كذا في ط، ء. والنائرة: الفتنة القائمة المنتشرة. وفي باقي الأصول: «إطفاء الثائرة» بالثاء المثلثة.

(٦) كذا في جميع الأصول. وكان الأولى بالسياق أن يقول: «ثم قال انظروا إلخ» أو «ثم أن ينظروا» على أن يكون معطوفاً على معمول «نقضى» المتقدمة.

كان عمر بن عبد العزيز يُنشِد قولَ قيس بن الخطيم:

بيـــن شُكـــول النســـاء خِلقتُهـــا قَصْـــدٌ فـــلا جَبْلـــةٌ ولا قَضَـــفُ

تنـام عـــن كُبْـر شـأنهـا فـإذا قـامـت رُويـداً تكـاد تنقصـفُ

تغتـــرق الطـــرفَ وهـــي لاهيـــةٌ كـــأنمـــا شَـــفَّ وجههـــا نُـــزُفُ

ثم يقول: قائلُ هذا الشعر أنسبُ[1] الناس.

/ ومما في المائة المختارة من أغاني طويس [٤٣/٣]

صوت

أصوات من المائة المختارة:

يـــا لَقَـــوْمِـــي قـــد أرّقتنـــي الهمـــومُ ففـــؤادي ممـــا يُجِـــنُّ سقيـــمُ

أنْـــدَبَ الحـــبُّ فـــي فـــؤادي ففيـــه لـــو تَـــرَاءى للنـــاظـــريـــن كلـــومُ

يُجِنّ: يُخفي، والجُنّة من ذلك، والجنّ أيضاً مأخوذ منه. وأندب: أبقى فيه نَدَباً وهو أثر الجرح؛ قال ذو الرُّمّة:

تُـرِيـكَ سُنّـةَ[2] وجـهٍ غيـرَ مُقْـرِفـةٍ ملسـاءَ ليـس بهـا خـالٌ ولا نَـدَبُ

الشعر لابن قيس الرُّقيّات فيما قيل. والغناء لطويس، ولحنه المختار خفيفُ رمل مطلق/ في مجرى الوسطى، [١٧٨/٢] قال إسحاق: وهو أجود لحن غنّاه طويس، ووجدتُه في كتاب الهشاميّ خفيفَ رمل بالوسطى منسوباً إلى ابن طُنبورة. قال وقال ابنُ المكيّ: إنه لحَكَم، وقال عمرو بن بانة: إنه لابن عائشة أوّلُه هذان البيتان، وبعدهما:

مـــا لِـــذَا الهـــمّ لا يَـــرِيـــمُ فـــؤادي[3] مثـــلَ مـــا يَلـــزَمُ الغـــريـــمَ الغـــريـــمُ

إنّ مَـــنْ فَـــرّق الجمـــاعـــةَ منّـــا بعـــد خَفْـــضٍ[4] ونَعْمـــةٍ لـــذميـــمُ

انقضت أخبارُ طُوَيس.

/ صوت [٤٤/٣]

من المائة المختارة من صنعة قفا النجار

حُجِـــبَ الأُلـــى كنّـــا نُسَـــرّ بقـــربهـــم يـــا ليـــتَ أنّ حجـــابَهـــم لـــم يُقْـــدَرِ

---

(١) أنسب الناس: أرقهم غزلاً ونسيباً بالنساء.

(٢) سنة الوجه: صورته. وغير مقرفة: غير كريهة. والمراد وصف صورة وجهها بالحسن. وقد أورد صاحب «اللسان» هذا البيت شاهداً على أن مقرفاً في قولهم: «وجه مقرف» بمعنى غير حسن. وقيل: إن «مقرفة» هنا بمعنى مدانية الهجنة، يقال: أقرف الرجل إذا دنا من الهجنة، وعلى هذا التفسير ذهب الصاغاني فقال: هو يقول: إنها كريمة الأصل لم يخالطها شيء من الهجنة.

(٣) في أ، م، ط، ء: «لا يريم وسادي». ولا يريم: لا يبرح.

(٤) الخفض: سعة العيش ولينه. والنعمة (بالفتح): النعيم ورغد العيش.

حُجِبُوا ولـم نَقِـضِ اللُّبـانـةَ منهـمُ ... ولنـا إليهـم صَبْـوةٌ لـم تُقْصِـرِ[1]

ويُحيـط مِئـزرُهـا بـردْفٍ كـامـلٍ ... رَابـى المَجَسَّـةِ[2] كـالكَثيـب الأعفـرِ

وإذا مَشَـتْ خِلـتَ الطـريـقَ لمشيهـا ... وَحِـلاً[3] كمشي المُرْجحِنِّ[4] المُوقَرِ

لم يقع إلينا قائلُ هذا الشعر. والغناء لقفا النجّار، ولحنه المختار من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. ويقال: إن فيه لحناً لابن سُرَيج. وذكر يحيى بن عليّ [ابن يحيى][5] في الاختيار الواثقيّ أنّ لحن قفا النجّار المختار من الثقيل الأوّل.

صوت

من المائة المختارة

أفِـقْ يـا دَارِمِـيُّ فقـد بُلِيتَـا ... وإنـك سـوف تُـوشِـك أن تَمُـوتَـا

أراكَ تَـزِيـدُ عشقـاً[6] كـلَّ يـومٍ ... إذا مـا قلـتَ إنـك قـد بَـرِيتـا

الشعر والغناء جميعاً لسَعيدٍ الدارِميّ، ولحنه المختار من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

---

(١) لم تقصر: لم تكف ولم تنته.

(٢) المجسة الموضع التي تقع عليه اليد عند الجس، فمعنى رابي المجسة: أنه عظيم سمين حيث يجس.

(٣) وحلا: ذا وحل.

(٤) المرجحنّ: المائل من ثقله. والموقر: الذي يحمل حملاً ثقيلاً.

(٥) زيادة في أ، م.

(٦) في أ، م، ط، ء: «غشيا كل يوم». وغشي عليه (مجهولاً غشيا بالفتح والضم وغشياناً): نابه ما غشي عقله.

/ ذكر الدارميّ وخبره ونسبه

[٤٥/٣]

نسبه وكان من الشعراء وأرباب النوادر:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني أبو أيّوب المَدِينيّ قال حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه قال:

الدارميّ من ولد سُوَيد بن زيد الذي كان جَدُّه قتل أسعد بن عمرو بن هِنْد، ثم هرَبوا إلى مكة فحالفوا بني نَوْفَل بن عبد مَنَاف.

وكان الدارميّ في أيّام عمر بن عبد العزيز، وكانت له أشعار ونوادر، وكان من ظُرَفاء أهل مكّة، وله أصوات يسيرة. وهو الذي يقول:

ولمّا رأيتُكَ أوليتني الْـ ... قبيحَ وأبعدتَ عني الجميلا
تركتُ وِصالَك في جانبٍ ... وصادفتُ في الناس خِلاًّ بَدِيلا

شيب بذات خمار أسود فنفقت الخمر السود ولم تبق فتاة إلا لبسته:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن/ الأصمعيّ، [١٧٩/٢] وأخبرني عمّي قال حدّثنا فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعيّ، وأخبرني عمّي قال حدّثنا أبو الفضل الرِّيَاشيّ عن الأصمعيّ، قال وحدّثني به التُّوشْجانِيّ عن شيخ له من البِصريّين عن الأصمعيّ عن ابن أبي الزِّنَاد، ولم يقل عن ابن أبي الزناد [غيره][1] :

أنّ تاجراً من أهل الكوفة قَدِم المدينةَ بخُمُر[2] فباعها كلها وبقِيت السودُ منها فلم تَنْفُق[3] ، وكان صديقاً للدارميّ، فشكا ذاك إليه، وقد كان نسَك[4] وترك الغناءَ وقولَ الشعر؛ فقال له: لا تهتمّ بذلك فإني سأُنفقها لك حتى تبيعَها أجمعَ؛ ثم قال:

/ صوت

[٤٦/٣]

قُلْ للمليحةِ في الخمَارِ الأسودِ ... ماذا صَنَعتِ براهبٍ متعبِّدِ
قد كان شَمَّر للصلاة ثيابَه ... حتى وقَفتِ له ببابِ المسجدِ

(١) التكلمة من ط، ء، حـ.

(٢) الخمر: جمع خمار، وهو ما تغطي به المرأة رأسها.

(٣) نفقت السلعة (وزان نصر) نفاقاً: راجت ورغب فيها. وأنفقها ونفقها: روّجها.

(٤) نسك (وزان ضرب): تعبد وتزهد وتقشف.

وغنّى فيه، وغنّى فيه أيضاً سِنَانٌ الكاتب، وشاع في الناس وقالوا: قد فتكَ[١] الدارميّ ورجَع عن نُسكه؛ فلم تبقَ في المدينة ظريفةٌ إلا أبتاعت خِماراً أسود حتى نَفِد ما كان مع العراقيّ منها؛ فلما علم بذلك الدارميّ رجع إلى نسكه ولزم المسجد.

فأما نسبة هذا الصوت فإنّ الشعر فيه للدارميّ والغناءَ أيضاً، وهو خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لسِنَانٍ الكاتبِ رملٌ بالوسطى عن حَبَش. وذكر حَبَش أن فيه لأبن سُرَيج هزَجاً بالبنصر.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني أبو هَفّان قال: حضرتُ يوماً مجلسَ بعض قوّاد الأتراك وكانت له سِتارةٌ فنُصِبتْ، فقال لها[٢]: غنّي صوتَ الخمار الأسود المليح، فلم ندرِ ما أراد حتى غنّتْ:

* قل للمليحةِ في الخمار الأسودِ *

ثم أمسك ساعةً ثم قال لها غنّي:

* إني خريت وجئت أنتقله *

فضحِكتْ ثم قالت: هذا يشبهك! فلم ندر أيضاً ما أراد حتى غنّتْ:

* إنّ الخليطَ أجدّ مُنتقَلَهْ *

بخله وظرفه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد قال حدّثني محمد بن أخي سَلْم[٣] الخُزَاعيّ قال حدّثني الحِزمازيّ قال زعَم [لي][٤] ابن مَوْدود قال:

[٤٧/٣] / كان الدارميّ المكيّ شاعراً ظريفاً وكانت مُتَفتّيات[٥] أهل مكة لا يطيبُ لهن مُتنَزَّه إلاّ بالدارمي، فأجتمع جماعةٌ منهنّ في متنزَّه لهنّ، وفيهنّ صديقةٌ له، وكلُّ واحدة منهنّ قد واعدتْ هَوَاها[٦]، فخرجن حتى أتيْنَ الجُحْفَةَ[٧] وهو معهنّ؛ فقال بعضهنّ لبعض: كيف لنا أن نَخْلو مع هؤلاء الرجالِ من الدارميّ؟ فإنّا إن فعلْنا قطَعَنَا في الأرض[٨]! قالت لهنّ صاحبتُه: أنا أكفيكُنّه؛ قلن: إنا نريد ألاّ يلومَنا؛ قالت: عليّ أن ينصرف حامداً، وكان أبخل الناس، فأتته فقالت: يا دارميّ، إنّا قد تَفِلْنا[٩] فاجلُبْ لنا طِيباً[١٠]؛ قال نعم هو ذا، آتي سوقَ الجُحْفة آتيكنّ منها بطِيبٍ؛ فأتَى المُكَارِين فأكترى حماراً فصار عليه إلى مكة وهو يقول:

(١) فتك: مجن.
(٢) لم يتقدم لهذا الضمير مرجع ولكنه مفهوم من سياق الكلام أنه للجارية التي أمرت بالغناء.
(٣) كذا في أغلب النسخ. وفي ب، س، حـ: «محمد بن أبي سلمة الخزاعي».
(٤) هذه الكلمة ساقطة من ب، س.
(٥) متفتيات: وصف من تفتت الجارية إذا راهقت فخدّرت ومنعت من اللعب مع الصبيان.
(٦) هواها: من تهواه وتحبه.
(٧) الجحفة: قرية بطريق المدينة على أربع مراحل من مكة، وهي ميقات أهل مصر والشأم إن لم يمروا على المدينة، فإن مروا بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة.
(٨) يريد أنه يمزق أعراضهن وينشر ذلك في الأرض بين الناس.
(٩) تفل كفرح: تغيرت رائحته لطول عهده بترك الطيب.
(١٠) في ط، أ، م: «فاحتل لنا طيباً».

أنَــــا بـــــالله ذي العِـــزِّ وبـــالُــركـــنِ وبـــالصَّخْـــرهْ
مِـــنَ الـــلائـــي يُـــرِدنَ الطِّيـــبَ فـــي اليُســر وفـــي العُسْـرهْ[1]
ومـــا أقـــوَى علـــى هـــذا ولـــو كنـــتُ علـــى البَصْـــرهْ

فمكث النسوةُ ما شئن. ثم قَدِم من مكة فلقِيَه صاحبتُه ليلةً في الطَّوَاف، فأخرجته إلى ناحية المسجد وجعلتْ تُعاتبه على ذَهَابه ويُعاتبها، إلى أن قالت له: يا دارميّ، بحقّ هذه / البَنِيّة[2] أتُحبُّني؟ فقال نعم، فبِربِّها أتُحبِّيني؟ قالت نعم؛ قال: فيا لَكِ الخيرُ فأنتِ تحبِّيني وأنا أُحبّك، فما مَدْخلُ الدراهم بيننا!. [١٨١/٢]

/ الدارمي وعبد الصمد بن علي: [٤٨/٣]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبي قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال:

كان الدارميّ عند عبد الصمد بن عليّ يحدّثه، فأغفَى عبد الصمد فعطَس الدارميُّ عَطْسةً هائلة، ففزِع عبد الصمد فزعاً شديداً وغَضِب غضباً شديداً، ثم استوى جالساً وقال: يا عاضَّ كذا من أمه[3] أتُفزِّعني! قال: لا والله ولكن هكذا عُطَاسي! قال: والله لأنقَعنّك في دمك[4] أو تأتيني ببيّنة على ذلك؛ قال: فخرج ومعه حَرَسيٌّ[5] لا يدرِي أين يذهب به، فلقيه ابن الريّان[6] المكيّ فسأله؛ فقال: أنا أشهد لك؛ فمضى حتى دخل على عبد الصمد؛ فقال له: بم تشهد لهذا؟ قال: أشهد أني رأيتُه مرّةً عطس عطسةً فسقط[7] ضرسه؛ فضحك عبدُ الصمد وخَلّى سبيلَه.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد قال حدّثنا الزبير قال:

قال محمد بن إبراهيم الإمام للدارميّ: لو صَلَحتْ عليك ثيابي لكسوتك؛ قال: فَدَيتك! إن لم تصلُحْ عليّ ثيابُك صَلَحتْ عليّ دنانيرُك.

الدارمي مع نسوة من الأعراب:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزبير، ونسخت من كتاب هارون بن محمد: حدّثنا الزبير قال حدّثني يونس بن عبدالله الخيّاط قال:

/ خرج الدارميّ مع السُّعاة[8]، فصادف جماعةً منهم قد نزلوا على الماء فسألهم فأعطَوْه دراهم، فأتى بها في ثوبه، وأحاط به أعرابيّات فجعلن يسألنه وألححنَ عليه وهو يردّهن؛ فعرفتْه صبيّة منهنّ فقالت: يا أخواتي، أتدرين [٤٩/٣]

(١) في أ، م: «في اليسرة والعسرة».
(٢) البنية: الكعبة.
(٣) كذا في ط. وفي باقي الأصول: «يا عاض كذا وكذا من أمه».
(٤) لأنقعنك في دمك: لأريقن دمك حتى تقرّ فيه كما يقرّ الشيء الجامد في الماء ونحوه.
(٥) الحرس: الأعوان. قال في «المصباح»: جعل علماً على الجمع هذه الحالة المخصوصة ولا يستعمل له واحد من لفظه، ولهذا نسب إلى الجمع، ولو جعل الحرس هنا جمع حارس لقيل حارسيّ. قالوا: ولا يقال حارسيّ إلا إذا ذهب به إلى معنى الحراسة دون الجنس.
(٦) ابن الريان: هو أبو حامد محمد بن عبد الرحمن بن هشام المكيّ. وفي ط، ء: «أبو الزناد المكيّ».
(٧) كذا في حـ. وفي سائر النسخ: «سقط».
(٨) السعاة: جمع ساع وهو العامل على الصدقات، يأخذها من الأغنياء ويردها على الفقراء.

من تسألن منذُ اليوم؟ هذا الدارميّ السأل. ثم أنشدتْ:

إذا كنــــتَ لا بــــدّ مُستطعِمـــاً فــدَعْ عنــك مَــنْ كــان يَستطعِــمُ

فولّى الدارميّ هارباً منهنّ وهنّ يتضاحكن به.

الدارمي والأوقص القاضي:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال أخبرني أحمد بن أبي خَيْثَمة قال حدّثنا مصعَب الزبيريّ قال:

أتى الدارميُّ الأوقصَ القاضيَ بمكّة في شيء فأبطأ عليه فيه، وحاكَمه إليه خَصْمٌ له في حقٍّ، فحبسه به حتى أدّاه إليه. فبينا الأوقصُ يوماً في المسجد الحرام يصلّي ويدعو ويقول: يا ربّ أعتِقْ رقبتي من النار، إذ قال له الدارميّ والناس يسمعون: أوَلك رقبةٌ تُعْتَق! لا والله ما جعل الله، وله الحمد، لك من عتق ولا رقبة! فقال له الأوقص: ويلك! ومن أنت؟ قال: أنا الدارميّ، حبستَني وقتلتني؛ قال: لا تقل ذلك وأْتِني فإني أعوّضك؛ فأتاه ففعل ذلك به.

نادرة له مع عبد الصمد بن علي:

أخبرني الحرميّ أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثني الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال:

مدح الدارميّ عبد الصمد بن عليّ بقصيدة واستأذنه في الإنشاد فأذن له؛ فلما فرغ أُدْخِل إليه رجلٌ من الشُّرَاة[1]؛ فقال لغلامه: أعطِ هذا مائةَ دينار واضرب عنقَ / هذا؛ فوثب الدارميُّ فقال: بأبي أنت وأمي! بِرُّك [٣/٥٠] وعقوبتُك جميعاً نَقْد! فإن رأيتَ أن تبدأ بقتل هذا، فإذا فرغ منه أمرتَه فأعطاني! فإني لن أرِيمَ من حضرتك حتى يفعل ذلك؛ قال: ولم ويلك؟ قال: أخشى أن يغلَطَ فيما بيننا، والغلط في هذا لا يُستقال؛ فضَحِك وأجابه إلى ما سأل.

نادرة له في مرضه:

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني عمّي قال:

أصابت الدارميَّ قُرْحةٌ في صدره، فدخل إليه بعضُ أصدقائه يَعُوده. فرآه قد نفَث/ من فيه نَفْثاً أخضرَ، فقال $\frac{181}{2}$ له: أبْشِرْ، قد اخضرَّتِ القَرحةُ وعُوفيتَ؛ فقال: هيهات! والله لو نفَثْتُ كلّ زُمُرُّدَةٍ في الدنيا ما أفْلَتُّ منها.

صوت

من المائة المختارة

يــا رَبْـعَ سَلْمَـى لقـد هيَّجـتَ لـي طـربـا زِدْتَ الفــؤادَ علــى عِــلاَّتِــه وَصَبَــا

ربــعٌ تبــدّل ممّــن كــان يسكُنــه عُفْــرَ الظِّبــاءِ وظُلْمَــانــاً بــه عُصَبَــا[2]

الشعر لِهلال بن الأسعَر المازنيّ، أخبرني بذلك وَكِيعٌ عن حَمّاد بن إسحاقَ عن أبيه. وهكذا هو في رواية عَمْرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ. ومن لا يعلم ينسُبه إلى عمرَ ابنِ أبي رَبيعة وإلى الحارث بن خالد ونُصَيب، وليس

---

(١) الشراة: الخوارج، سموا بذلك لقولهم: «إننا شرينا أنفسنا في طاعة الله» أي بعناها بالجنة.

(٢) الظلمان (بالضم والكسر): جمع ظليم وهو ذكر النعام. والعصب: الجماعات.

كذلك. والغناء في اللحن المختار لعزّور(١) الكوفِيّ، ومن الناس من يقول عَزُّون بالنون وتشديد الزاي، وهو رجل من أهل الكوفة غيرُ مشهور ولا كثير الصنعة، ولا أعلم أنّي سمعتُ له بخبرٍ ولا صنعةٍ / غير هذا الصوت. ولحنُ [٥١/٢] هذا المختارُ ثقيلٌ أولُ بالبِنْصر في مجراها عن إسحاق، وهكذا نَسبه في الاختيار الواثقيّ. وذكر عمرو بن بانةَ أنّ فيه لابن عائشةَ لحناً من الثقيل الأول بالبِنْصر. وفي أخبار الغَرِيض عن حَمّاد أنّ له فيه ثقيلاً أولَ. وقال الهِشَاميّ: فيه لعبدالله بن العَبّاس لَحنٌ من الثقيل الثاني. وذكر حبَشَ أنّ فيه لحُسَين بن(٢) مُحْرِز خفيفَ رملٍ(٣) بالبنصر.



(١) كذا في أكثر النسخ. وفي أ، م: «عزوز». وفي حـ: «غزون».
(٢) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س، حـ: «الحسين بن محمد بن محرز».
(٣) في أ، م: «خفيف ثقيل بالبنصر». وفي حـ: «ثقيلاً بالبنصر».

[٥٢/٣]

/ أخبار هلال ونسبه

نسبه وهو شاعر أموي شجاع أكول:

هو، فيما ذَكر خالد بن كُلثوم، هِلَالُ بن الأَسْعَر بن خالد بن الأَرْقَم بن قسيم[١] بن ناشِرةَ بن سَيَّار بن رِزَام بن مَازِن بن مالِك بن عمرو بن تَميم. شاعرٌ إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية، وأظنه قد أدرك الدولةَ العباسية، وكان رجلاً شديداً عظيم الخَلْق أَكُولاً معدوداً من الأَكَلة. قال أبو عمرو: وكان هلال فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش أكثرَ الناس أكلاً وأعظمَهم في حربٍ غَنَاءً. هذا لفظ أبي عمرو. وقال أبو عمرو: وعمَّر هلال بن أسْعَر عُمْراً طويلاً ومات بعد بَلَايَا عِظَامٍ مرّتْ على رأسه. قال: وكان رجل من قومه من بني رِزَام بن مالك يقال له المُغِيرة بن قَنْبَر يَعُوله ويُفْضِلُ عليه ويحتمل ثِقْلَه وثِقْلَ عيالِه فهلك، فقال هلال يَرْثِيه:

كان المغيرة بن قنبر يعوله فلما مات رثاه:

ألا ليــت المُغِيــرةَ كــان حيًّــا ... وأَفْنَــى قبلَــه النــاسَ الفَنَــاءُ

ليَبْــكِ علــى المُغِيــرة كــلُّ خيــلٍ ... إذا أَفْنَــى عَــرَائكَهــا[٢] اللِّقَــاءُ

ويَبْــكِ علــى المغيــرة كُــلُّ كَــلٍّ ... فَقِيــرٍ كــان يَنْعَشُــه العَطَــاءُ

ويَبْــكِ علــى المغيــرة كــلُّ جيــشٍ ... تَمُــورُ[٣] لــدى مَعَــارِكِــه الــدِّمَــاءُ

فتــى الفتيــانِ فــارسُ كــلِّ حــربٍ ... إذا شــالــتْ[٤] وقــد رُفِــعَ اللِّــواءُ

[٥٣/٣]

/ لقــد وارَى جــديــدُ[٥] الأرضِ منــه ... خِصَــالاً عَقْــدُ عِصْمتِهــا الــوفــاءُ

فصبــراً للنــوائــب إن أَلَمَّــتْ ... إذا مــا ضــاق بــالحَــدَثِ الفضــاءُ

هِــزَبْــرٌ تَنْجلــي الغَمَــراتُ عنــه ... نقــيّ العِــرْضِ هِمّتُــه العَــلاءُ

١٨٢/٢

/ إذا شهِــد الكَــرِيهَــةَ خــاض منهــا ... بُحــوراً لا تكــدِّرُهــا الــدِّلاءُ

جَسُــورٌ لا يــروَّع عنــد رَوْعٍ[٦] ... ولا يَثْنِــي عــزيمَتَــه اتِّقــاءُ

---

(١) سمي بقسيم كأمير وقسيم كزبير. وقد ضبط هذا الاسم بالقلم في ط كزبير.

(٢) العرائك: جمع عريكة. وأصل العريكة سنام البعير، وتقال على النفس، وعلى القوّة والشدّة، ولعل هذا المعنى هو المراد في هذا البيت. وقد فسرت العريكة بمعنى الشدّة والقوّة في قول الأخطل:

من اللواتي إذا لانت عريكتها ... كان لها بعدها آل ومجهود

(أنظر «اللسان» مادة عرك).

(٣) تمور: تجري وتسيل.

(٤) شالت الحرب: تهيأت الآن يخوض الأبطال غمارها. وهو من شالت الناقة إذا رفعت ذنبها للقاح.

(٥) يريد بجديد الأرض قبره الذي جدّ منها وحفر ليدفن فيه.

(٦) في ط:

حَلِيمٌ في مَشَاهده إذا ما ... حُبَا الحُلَماءِ أطلقها المِراءُ(١)
حَميدٌ في عشيرته فَقيدٌ(٢) ... يَطِيب عليه في الملأ الثناءُ
فإن تكن المنيةُ أقصدتْه(٣) ... وحُمَّ(٤) عليه بالتلفِ القَضَاءُ
فقد أَوْدَى به كرمٌ وخِيرٌ(٥) ... وعَوْدٌ بالفضائل وابتداءُ
وجودٌ لا يَضُمّ إليه جوداً ... مُراهِنُه إذا جَدّ الجِراءُ(٦)

كان عاديّ الخلق صبوراً على الجوع:

وقال خالد بن كُلْثوم: كان هلال بن الأسعر، فيما ذكروا، يَرِد مع الإبلِ فيأكلُ ما وجَد عند أهله ثم يَرْجع إليها ولا يتزوّد طعاماً ولا شَراباً حتى يرجع يومَ ورودِها، لا يَذُوق فيما بين ذلك طعاماً ولا شَراباً، وكان عَادِيَّ الخَلْقِ(٧) لا تُوصف صفتُه.

حكايات عن قوّته:

قال / خالد بن كلثوم فحدّثنا عنهُ من أدركه: أنه كان يوماً في إبلٍ له، وذلك عند الظَّهِيرة في يوم شديدِ وَقْع [٣/٥٤] الشمس مُحْتَدِمِ الهاجِرة وقد عَمد إلى عصاه فطرح عليها كساءَه ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس، فبينا هو كذلك إذ مرّ به رجلان أحدهما من بني نَهْشَل والآخر من بني فُقَيم(٨)، كانا أشدّ تَمِيمِيَّيْن في ذلك الزمان بطشاً، يقال لأحدهما الهَيّاج، وقد أقبلا من البحرين ومعهما أنْواطٌ(٩) من تمرِ هَجَرَ(١٠)، وكان هِلاَلٌ بناحية الصُّعَابِ(١١)؛ فلما أنتهيا إلى الإبل، ولا يعرفان هلالاً بوجهه ولا يعرفان أن الإبل له، نادَيا: يا راعِي، أعندكَ شرابٌ تَسْقِينا؟ وهما يُظنّانِه عبداً لبعضهم؛ فناداهما هلالٌ ورأسُه تحت كسائه: عليكما الناقةَ(١٢) التي صفتُها كذا في موضع كذا

=

* جسور لا يوزع منه روع *

يريد أنه ثابت الجنان لا يفزع.

(١) حبا: جمع حبوة وهي الثوب الذي يحتبي به، واسم للاحتباء بالثوب أي الاشتمال به. وإطلاق الحبا يكنى به عن السفه والطيش. والمراء: المجادلة والملاجة والمخاصمة.

(٢) فقيد: يفتقده العافون ويطلبونه.

(٣) أقصدته: أصابته.

(٤) حم: قضي وقدر.

(٥) الخير: (بالكسر) الشرف.

(٦) مراهنه: مسابقه. والجراء: مصدر كالمجاراة وهي المسابقة والمفاخرة.

(٧) عاديّ الخلق: عملاق ضخم الجسم، نسبة إلى عاد. والعرب تضرب المثل بأحلام عاد لما تتصور من عظم خلقها، وتزعم أن أحلامها على مقادير أجسامها. قال الشاعر:

كأنما ورثوا لقمان حكمته ... علماً كما ورثوا الأحلام من عاد

(٨) في ط، أ، م: «بني تيم».

(٩) أنواط: جمع نوط، والنوط: الجلة الصغيرة فيها التمر ونحوه.

(١٠) هجر: مدينة وهي قاعدة البحرين، وقيل ناحية البحرين كلها هجر، وهو الصواب.

(١١) الصعاب: اسم جبل بين اليمامة والبحرين، وقيل: رمال بين البصرة واليمامة صعبة المسالك.

(١٢) في ب، س، حـ: «عليكما بالناقة». وهو كما يتعدى بنفسه يتعدى بالباء.

فأَنِيخَاها[١] فإنّ عليها وَطْبَيْن[٢] من لبنٍ، فأشربا منهما ما بدا لكما. قال فقال له أحدهما: وَيْحَك! انهضْ يا غلام فأْتِ بذلك اللبن! فقال لهما: إن تَكُ لكما حاجةٌ فستأتيانِها فتجدانِ[٣] الوطبينِ فتشربانِ؛ قال فقال أحدهما: إنك يابن اللَّخْناء لغَليظ الكلام، قمْ فأسْقِنا، ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال. وقال لهما، حيثُ قال له أحدهما: «إنك يابنَ اللخناء لغليظ الكلام»، أراكما والله ستَلْقَيانِ هَوَاناً وصَغَاراً؛ وسمعا ذلك منه، فدنا أحدهما فأَهْوَى له ضَرْباً بالسَّوْط على عَجُزِه وهو مضطَجِع، فتناول هِلالٌ يدَه فأجتذبه إليه ورماه تحت فَخِذه ثم ضغَطه ضَغْطةً؛ فنادى صاحبَه: وَيْحَك أغِثْني قد قتلني! فدنا / صاحبُه منه، فتناوله هلالٌ أيضاً فاجتذبه فرمَى به تحت فخذه الأخرى، ثم [٣/٥٥] أخذ برقابهما فجعل يَصُكُّ برؤوسهما[٤] بعضاً ببعضٍ لا يستطيعان أن يمتنعا منه؛ فقال أحدهما: كنْ هِلالاً ولا نُبَالِي[٥] ما صنعتَ؛ فقال لهما: أنا والله هلالٌ، ولا والله لا تُفْلِتَانِ منّي حتى تُعْطِيَانِي عهداً وميثاقاً لا تَخِيسَانِ[٦] به: لتأتِيَانِّ المِرْبَدَ[٧] إذا قَدِمتُما البصرةَ، ثم لتُنَادِيَانِّ بأعلَى أصواتكما بما كان منّي ومنكما؛ فعاهداه وأعطياه نَوْطاً من التمر الذي معهما، وقدِما البصرةَ فأتيا المِرْبَدَ فناديا بما كان منه ومنهما.

وحدّث خالد عن كُنَيف[٨] بن عبدالله المازنيّ قال: كنتُ يوماً مع هلال ونحن نَبغِي إبلاً لنا، فدَفَعْنا إلى قوم من بكر بن وائل وقد لَغِبْنا[٩] وعَطِشنا، وإذا نحن بفتيةٍ شَبابٍ عند رَكِيَّة[١٠] لهم/ وقد وردت إبلُهم، فلما رأوْا هلالاً ١٨٣/٢ استَهْوَلُوا خَلْقَه وقامتَه، فقام رجلان منهم إليه فقال له أحدُهما: يا عبدالله، هل لك في الصِّراع؟ فقال له هلال: أنا إلى غير ذلك أحوجُ؛ قال: وما هو؟ قال: إلى لبنٍ وماءٍ فإنّني لَغِبٌ ظَمآنُ؛ قال: ما أنتَ بذائقٍ من ذلك شيئاً حتى تُعطيَنا عهداً لتُجيبنَّا إلى الصِّراع إذا أَرَحْتَ[١١] ورَوِيتَ؛ فقال لهما هلال: إنني لكم ضيفٌ، والضيفُ لا يُصَارِعُ / [آهِلَه[١٢] و] رَبَّ منزله، وأنتم مكتفون من ذلك بما أقول لكم: اعْمِدوا إلى أشدّ فحل في إبلكم وأَهْيبِه صولةً [٣/٥٦] وإلى أشدّ رجل منكم ذراعاً، فإن لم أقبِض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم فلا يمتنعُ الرجلُ ولا البعيرُ حتى أُدخِلَ يدَ الرجل في فم البعير، فإن لم أفعَلْ ذلك فقد صرَعتُموني، وإن فعلتُه علمتم أن صِراع أحدكم أيسرُ من ذلك. قال: فعجبوا من مَقالته تلك، وأومئوا إلى فحل في إبلهم هائج صائلٍ قَطِمٍ[١٣]؛ فأتاه هلال ومعه نفرٌ من

(١) في ء وإحدى روايتي ط: «فاقصداها». وفي ط: «فانتحياها».
(٢) الوطب: سقاء اللبن خاصة.
(٣) في ط، ء، حـ: «فتحدران». وحدر الشيء: أنزله من علو.
(٤) الجمع في رؤوسهما دون التثنية لكراهة اجتماع تثنيتين مع ظهور المراد، وهو في مثل ذلك أكثر استعمالاً من التثنية والإفراد، وفي القرآن الكريم: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾.
(٥) كذا في ط، ء. وفي سائر النسخ: «ولا تبالي» بالتاء.
(٦) لا تخيسان به: لا تغدران به ولا تنكثان.
(٧) المربد: من أشهر محال البصرة، وكان يكون سوق الإبل فيه قديماً ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء.
(٨) كذا في كذا. وفي سائر النسخ: «كفيف» وفي «القاموس» وشرحه مادة كنف أنه سمي بكنيف كزبير. ولم نعثر على أنه سمي بكفيف.
(٩) لغبنا: تعبنا وأصابنا الإعياء.
(١٠) الركية: البئر لأنها مركوة أي محفورة.
(١١) أراح الرجل: رجعت إليه نفسه بعد الإعياء.
(١٢) زيادة في ط، أ، م، ء. والآهل: من قولهم أهل. إذا أنس به.
(١٣) كذا في ط والقطم: الهائج. وفي سائر النسخ: «فطم» بالفاء وهو تحريف.

أولئك القوم وشيخٌ لهم، فأخذ بهامة الفحل مما فوق مِشفَره فضغطها ضَغْطةً جَرْجَر الفحلُ [منها][1] وٱستخذَى ورَغَا، وقال: ليُعْطِني من أحببتُم يدَه أُولِجْها في فم هذا الفحلِ. قال فقال الشيخ: يا قوم تنكّبوا هذا الشيطانَ، فوالله ما سمعتُ فلاناً[2] (يعني الفحل)[3] جرجر منذ بزَل[4] قبل اليوم، فلا تَعرِضُوا لهذا الشيطان. وجعلوا يَتْبعونه وينظرون إلى خَطْوِه ويَعْجَبُون من طول أعضائه حتى جازهم.

صارع في المدينة عبداً بأمر أميرها:

قال وحدّثنا مَنْ سمع هلالاً يقول: قَدِمتُ المدينةَ وعليها رجلٌ من آل مَرْوانَ، فلم أزل أَضَعُ عن إبلي وعليها أحمال للتجار حتى أَخِذَ بيدي وقيل لي: أَجِب الأميرَ. قال: قلتُ لهم: وَيْلَكم! إبلي وأحمالي! فقيل: لا بأس على إبلك وأحمالك. قال: فٱنطلِقَ بي حتى أُدخِلتُ على الأمير، فسلّمتُ عليه ثم قلتُ: جُعِلتُ فِداكَ! إبلي وأمانتي! قال فقال: نحن ضامنون لإبلك وأمانتك حتى نؤدّيها إليك. قال فقلت / عند ذلك: فما حاجةُ الأمير إليّ جعلني الله [٥٧/٣] فداه؟ قال فقال لي - وإلى جَنْبه رجل أصفر، لا[5] والله ما رأيت رجلاً قطُّ أشدَّ خَلْقاً منه ولا أغلَظ عُنُقاً، ما أدري أطولُه أكثر أم عرضُه -: إن هذا العبد الذي تَرَى لا والله ما ترك بالمدينة عربيًّا[6] يصارع إلا صَرَعه، وبلغني عنك قوّةٌ، فأردتُ أن يُجريَ الله صَرْعَ هذا العبدِ على يديك فتُدْرِكَ ما عنده من أوتار العرب. قال فقلت: جعلني الله فداء الأمير، إني لَغِبٌ نَصِبٌ جائعٌ، فإن رأى الأميرُ أن يدعَني اليومَ حتى أضعَ عن إبلي وأُؤدّيَ أمانتي وأُريحَ يومِي هذا وأجيئَه غداً فليفعلْ. قال فقال لأعوانه: انطلِقوا معه فأعينوه على الوَضْع عن إبله وأداءِ أمانته وانطلِقوا به إلى المطبخ فأشبِعوه؛ ففعلوا جميع ما أمرهم به. قال: فظَلِلْتُ بقيةَ يومي ذلك وبتُّ ليلتِي تلك بأحسنِ حالٍ شِبعاً وراحةً وصلاحَ أمر، فلما كان من الغد غدوتُ عليه وعليّ جُبّةٌ لي صوفٌ وبَتٌّ[7] وليس عليّ إزار إلا أني قد شدَدتُ بعمامتي وسطي، فسلّمتُ عليه فردّ عليّ السلام، وقال للأصفر: قُمْ إليه، فقد أرى أنه أتاك الله بما يُخزيك؛ فقال العبد: اتّزِرْ يا أعرابيّ؛ فأخذت بَتّي فاتّزرتُ به على جُبّتي؛ فقال: هَيهات! هذا لا يثبُت، إذا قبضتُ عليه جاء في يدي؛ قال فقلت: والله ما لي من إزار؛ قال: فدعا الأميرُ بمِلْحَفة ما رأيت قبلها ولا علا جلدي مثلُها، فشدَدْت بها على حَقْوِي[8] وخلعت الجُبّة؛ قال: وجعل العبد يَدُور/ حولي ويريد خَتْلِي وأنا منه وجِلٌ ولا أدري كيف أصنع به، ثم ١٨٤/٢ دنا مني دَنْوةً فنقَد[9] جَبهتي بظُفْرة نَقْدَة [حتى][10] ظننتُ أنه قد شجّني وأوجعني، / فغاظني ذلك، فجعلتُ أنظر [٥٨/٣]

(١) زيادة يقتضيها السياق. وجرجر: ردد صوته في حنجرته. واستخذى: خضع.

(٢) كذا في جميع النسخ، ولكن الذي قاله أئمة اللغة أن فلاناً وفلانة بغير أل يكنى بهما عن الآدميين، والفلان والفلانة بأل يكنى بهما عن غيرهم.

(٣) كذا في أ، م. وفي بقية الأصول: «يعني هذا الفحل».

(٤) في ط: «برك» وفي سائر النسخ: «نزل» بالنون بدل الباء، وكلتاهما محرفة عن «بزل». وبزل البعير: فطر نابه ودخل في سنته التاسعة.

(٥) «لا» هذه زائدة، والعرب يزيدونها قبل القسم تمهيداً لنفي الجواب.

(٦) كذا في ء، ط. وفي حـ، ب: «عبداً». وفي س، أ، م: «عبداً عربياً».

(٧) البت: كساء غليظ مهلهل مربع أخضر. وقيل: هو من وبر وصوف.

(٨) الحقو: الخصر.

(٩) كذا في ء، ط. ونقد الشيء: نقره بإصبعه. وفي باقي النسخ: «فنفذ جبهتي بظفره نفذة» ونفذ الشيء الشيء: خرقه. والمقام هنا يأباه.

(١٠) الزيادة عن أ، م.

في خَلْقِه بِمِ أقبِضُ منه، فما وجدتُ في خلقه شيئاً أصغرَ من رأسه، فوضعتُ إبهاميّ في صُدْغيه[١] وأصابعي الأُخَر في أصل أذنيه، ثم غَمزتُه غمزةً صاح منها: قتلتَني! قتلتَني! فقال الأمير: اغمِس رأسَ العبد في التراب؛ قال فقلت له: ذلك لك عليّ؛ قال: فغمَستُ والله رأسَه في التراب ووقع شبيهاً بالمَغْشيّ عليه، فضحك الأميرُ حتى ٱستلقى وأمر لي بجائزةٍ[٢] وكُسوةٍ وٱنصرفتُ.

قتل رجلاً من بني جلان استجار بمعاذ فقبض عليه للثأر منه، ثم فر إلى اليمن وشعره في ذلك:

قال أبو الفرج: ولهلالٍ أحاديثُ كثيرةٌ من أعاجيبِ شدّته. وقد ذكره حاجب بن ذبيان[٣] فقال لقوم من بني رِبَابٍ من بني حَنِيفة في شيء كان بينهم فيه أربعُ ضَرَبات بالسيف، فقال حاجب:

وقـــائلـــةٍ وبـــاكيـــة بشَجْـــوٍ   لَبئـس السيـفُ سيـفُ بنـي رِبـاب

ولـــو لاقَـــى هـــلالَ بنـــي رِزَام   لعجّلـــه إلـــى يـــوم الحســـاب

وكان هلالُ بن الأسعر ضربه رجل من بني عَنَزة ثم من بني جَلَّان يقال له عُبَيد بن جريّ[٤] في شيء كان بينهما، فشجّه وخَمشه[٥] خُمَاشَةً، فأتى هلالٌ بني جَلّانَ فقال: إن صاحبكم قد فعل بي ما تَرَوْن فخذوا لي بحقّي، فأوعدوه وزجروه[٦]؛ فخرج من عندهم وهو يقول: عسى أن يكون لهذا جزاءٌ حتى أتى بلادَ قومه؛ فمضى / لذلك زمنٌ طويل حتى درَس ذكرُه؛ ثم إن عبيد بن جريّ قَدِم الوَقْبَي ـ وهو موضع من بلاد بني مالك ـ فلما قَدِمها ذكر هلالاً وما كان بينه وبينه فتخوّفه؛ فسأل عن أعزّ أهل الماء، فقيل له: مُعَاذ بن جَعْدة بن ثابت بن زُرارة بن ربيعة بن سيّار بن رِزام بن مازن؛ فأتاه فوجده غائباً عن الماء، فعقد عُبَيد بن جريّ طرف ثيابه إلى جانب طُنُبِ بيت معاذ ـ وكانت العرب إذا فعلت ذلك وجب على المعقود بطُنُبِ بيته للمستجير به أن يُجيرَه وأن يطلب له بظُلاَمته ـ وكان يومَ فعل ذلك غائباً عن الماء، فقيل: رجلٌ ٱستجار بآل مُعَاذِ بن جَعْدةَ. ثم خرج عبيد بن جريّ ليَستقي، فوافق قُدومَ هلال بإبله يومَ وُرُوده، وكان إنما يقدَمُها في الأيام، فلما نظر هلال إلى ابن جريّ ذكر ما كان بينه وبينه، ولم يعلم بٱستجارته بمعاذ بن جعدة، فطلب شيئاً يضربه به فلم يجده، فانتزع المِحْوَرَ[٧] من السَّانِيَة فعلاه به ضربةً على رأسه فصُرِعَ وَقِيذاً[٨]، وقيل: قَتَل هلالُ بن الأسعر جارَ معاذ بن جعدة! فلما سمع ذلك هلال تخوّفَ بني جعدة الرِّزامِيّين، وهم بنو عمه، فأتى راحلتَه ليركَبها. قال[٩] هلال: فأتتني خَوْلة بنت يَزيد[١٠] بن ثابت أخي بني

[٥٩/٣]

(١) كذا في ط، ء. وفي ب، س، حـ: «فوضعت إبهامي في صدغه وأصابعي الأخر في أصل أذنه الأخرى». وفي أ، م: «في أصل أذنه» بدون الأخرى.

(٢) كذا في أغلب النسخ. وفي ب، س: «بجائزة وصلة وكسوة». وفي حـ: «بجائزة وصلة وكسوة ومئزرة ثم انحدرت إلخ».

(٣) كذا في ء وهامش ط، وهكذا ورد في «تاريخ ابن جرير الطبري» في حوادث سنة ١٠ طبع أوروبا. وفي حـ: «صاحب بن ذبيان» وفي باقي الأصول «حاجب بن دينار».

(٤) كذا في أكثر النسخ. وفي ط، حـ: «حرى» بالحاء المهملة.

(٥) الخمش: الخدش في الوجه، وقد يستعمل للخدش في سائر الجسد.

(٦) كذا في أ، م، س. وفي باقي النسخ: «زبروه».

(٧) المحور الحديدة التي تجمع بين الخطاف والبكرة. والسانية: الدلو العظيمة مع أدواتها.

(٨) الوقيذ: الدنف الذي أشفى على الموت.

(٩) كذا في أ، م، حـ. وفي سائر النسخ: «فقال» ولا موقع لهذه الفاء.

(١٠) في ط، حـ، ء: «زيد».

جَعْدةَ بن ثابت، وهي جَدّةُ أبي السَّفّاح زهيدٍ[1] بن عبدالله بن مالك أمُّ أبيه، فتعلّقتْ بثوب هلال، ثم قالت: أيْ عدوَّ الله قتلتَ جارنا! والله لا تُفارقني حتى يأتيَكَ رجالُنا! قال هلال: والمحورُ في يدي لم أضَعْه؛ قال: فهمَمتُ أن أعلَو به رأسَ خولةَ، ثم قلتُ في نفسي: عجوزٌ لها سِنٌّ وقرابةٌ! قال: فضربتُها برجلي ضربةً رميتُ بها من بعيدٍ، ثم أتيتُ / ناقتي فأركبُها[2] ثم أضْربها هارباً. وجاء مُعاذُ بنُ جعدة وإخوتُه ـ وهم يومئذ تسعة إخوة ـ وعبدالله بن مالك [٣/ ٦٠] زوج لبنت معاذ [و][3] يقال لها جُبَيلةُ، وهو مع / ذلك ابنُ عمتهم خَوْلةَ بنت يزيد بن ثابت، فهو معهم كأنه بعضُهم؛ فجاؤوا من آخر النهار فسمِعوا الواعِيةَ[4] على الجَلاّنيِّ وهو دَنِفٌ لم يَمُتْ، فسألوا عن تلك الواعية فأُخبروا بما كان $\frac{١٨٥}{٢}$ من أستجارة الجَلاّنيّ بمعاذ بن جعدة وضربِ هلالٍ له من بعد ذلك؛ فركِب الاخوةُ التسعةُ وعبدُالله بن مالك عاشرُهم، وكانوا أمثالَ الجبال في شدّة خَلْقِهم مع نَجْدتهم، وركبوا معهم بعشرة غِلْمةٍ لهم أشدّ منهم خَلْقاً لا يقع لأحد منهم سهم في غير موضعٍ يريده من رَمِيّه، حتى تبِعوا هلالاً؛ وقد نَسَلَ[5] هلال من الهرب يومه ذلك كلَّه وليلته، فلما أصبح أَمِنَهم وظنّ أن قد أبْعد في الأرض ونجا منهم؛ وتبِعوه، فلما أصبحوا من تلك الليلة قصُّوا[6] أثَره، وكان لا يَخفَى أثرُه على أحد لِعظَم قَدَمه، فلحِقوه من بعد الغد، فلما أدركوه وهم عشرون ومعهم النَّبْل والقِسِيّ والسيوف والتِّرَسَة[7]، ناداهم: يا بني جَعْدة، إني أنشُدُكم الله! أن أكونَ قتلتُ رجلاً غريباً طلبته بتِرَةٍ تقتلوني وأنا أبن عمّكم! وظنّ أنّ الجَلاّنيّ قد مات، ولم يكن مات إلى أن تَبِعوه وأخذوه؛ فقال مُعاذ: والله لو أيقنّا أنه قد مات ما ناظرْنا بك[8] القتلَ من ساعتنا ولكنّا تركناه ولم يمت، ولسنا نحبّ قتلَك إلاّ أن تمتنع منا، ولا نُقدِم عليك حتى نعلم ما يصنع جارنا؛ فقاتلهم وأمتنع منهم، فجعل معاذ يقول لأصحابه وغلمانه: لا تَرْمُوه / بالنبل ولا [٣/ ٦١] تضربوه بالسيوف، ولكن أرمُوه بالحِجارة وأضربوه بالعصيّ حتى تأخذوه؛ ففعلوا ذلك، فما قَدَروا على أخذه حتى كسروا من إحدى يديه ثلاث أصابع ومن الأخرى إصبعين، ودقُّوا ضِلَعين من أضلاعه وأكثروا الشِّجاج في رأسه، ثم أخذوه وما كادوا يقدِرون على أخذه، فوضعوا في رجله أدْهَم[9]، ثم جاءوا به وهو معروض على بعير حتى أنتهَوْا به إلى الوَقَبَى فدَفَعوه إلى الجَلاّني ولم يمتْ بعدُ، فقالوا[10]: انطلقوا به معكم إلى بلادكم ولا تُحدِثوا في أمره شيئاً حتى تنظُروا ما يُصْنَعُ بصاحبكم، فإن مات فأقتلوه وإن حَيِيَ فأعلمونا حتى نحملَ لكم أرْشَ[11] الجِناية. فقال الجلاّنيّون: وَفَتْ ذمّتكم يا بني جَعْدة، وجزاكم الله أفضلَ ما يَجْزِي به خِيارَ الجِيران، إنّا نتخوّف أن يَنْزِعه منّا قومُكم إن خَلّيتم عنّا وعنهم وهو في أيدينا؛ فقال لهم مُعاذ: فإني أحمله معكم وأشيِّعكم حتى تَرِدوا بلادكم، ففعلوا ذلك،

(١) كذا في أكثر النسخ. وفي إحدى روايتي ط: «مهند». وفي حـ: «وهي جدة أبي السفاح وهي بنت عبدالله إلخ».
(٢) في حـ: «فركبتها».
(٣) هذه الواو ساقطة من ب، س، حـ.
(٤) الواعية: الصراخ على الميت.
(٥) نسل: أسرع في سيره.
(٦) قص أثره قصاً وقصصاً: تتبعه.
(٧) الترسة: جمع ترس، وهو صفيحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف.
(٨) ما ناظرنا بك القتل: ما أخرناه. ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى في كتب اللغة التي بين أيدينا.
(٩) الأدهم: القيد.
(١٠) كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س، حـ: «فقال».
(١١) الأرش: دية الجراحات.

فحُمِل معروضاً على بعير وركِبتْ أختُه جماء[١] بنت الأسعر معه، وجعل يقول: قتلتني بنو جَعْدة! وتأتيه أخته بمَغْرة[٢] فيشربها فيُقال: يُمْشِي[٣] بالدَّم، لأن بني جَعْدة فرَثوا[٤] كبِدَه في جوفه. فلمّا بلَغوا أدنَى بلاد بكر بن وائل قال الجَلاَّنيُّون لمعاذ وأصحابه: أدام الله عزّكم، وقد وفَيتُم فانصرِفوا. وجعل هلال يُريهم أنّه يُمْشِي في اللّيلة عشرين مرّة. فلمّا ثقُل الجَلاَّنيُّ وتخوّف هلال أن يموت من ليلته أو يصبحَ ميّتاً، تبرّز هلال كما كان يصنع وفي رجله الأدْهمُ كأنه يقضي حاجةً، ووضع كساءَه على عَصاه في ليلة ظَلْماء، ثم اعتمد على الأدهم فحطَمه، ثم طار تحت ليلته على رجليه، وكان أدلّ الناس فتنكّب الطّريقَ التي تُعرف ويُطلَب فيها / وجعل يَسْلُك المسالكَ التي لا [٦٢/٣] يُطمَع فيها. حتّى انتهى إلى رجل من بني أُثاثَةَ بن مازِن يقال له السُّعر بن يزيد بن طَلْق[٥] بن جُبَيلة بن أُثاثَةَ بن مازِن، فحمَله السُّعر على ناقة له يقال لها مَلْوة، فركبها ثم تَجنّب بها الطريقَ / فأخذ نحوَ بلاد قَيس بن عَيْلان، تخوّفاً $\frac{186}{2}$ من بني مازن أن يَتْبعوه أيضاً فيأخذوه، فسار ثلاثَ ليال وأيّامَها حتّى نزَل اليومَ الرّابع، فنَحر الناقة فأكل لحَمها كلَّه إلا فَضْلةً فضَلت منها فاحتملها، ثم أتى بلادَ اليمن فوقع بها، فلبث زماناً وذلك عند مُقَام[٦] الحجاج بالعراق، فبلغ إفلاتُه مَنْ بالبصرة من بَكْر بن وائل، فانطلقوا إلى الحجّاج فاستعدَوْه وأخبروه بقتله صاحبَهم؛ فبعث الحجاج إلى عبدالله بن شُعْبة بن العَلْقم، وهو يومئذ عَريف بني مازن حاضرتِهم وباديتِهم، فقال له: لَتَأتينِّي بهلال أو لأفعلنّ بك ولأفعلن؛ فقال له عبدالله بن شُعبة: إن أصحاب هلال وبني عمّه قد صنَعوا كذا وكذا: فاقتصَّ عليه ما صنعوا في طلبه وأخذِه ودفعه إلى الجَلاّنيين وتَشييعهم إيّاه حتّى ورَدوا بلادَ بَكْر بن وائل؛ فقال له الحجّاج: ويلك! ما تقول؟ قال فقال بعض البَكْريّين: صدَق، أصلحَ الله الأميرَ؛ قال فقال الحجّاج: فلا يُرغِم الله إلاّ أنوفكم[٧]، اِشهدوا أنّي قد آمنتُ كلَّ قريب لهلال وحَميم وعَريف ومنعتُ من أخذ أحدٍ به ومِنْ طلبه حتّى يظفَرَ به البَكريّون أو يموت قبل ذلك. فلمّا وقع هلال إلى بلاد اليمن بعث إلى بني رِزام بن مازن[٨] بشعر يعاتبهم فيه ويُعظّم عليهم حقّه ويذكُر قرابته، وذلك أنّ سائر بني مازن قاموا ليحمِلوا ذلك الدّم، فقال معاذ: / لا أرضَى والله أن يُحمل لجاري دمٌ واحد حتى [٦٣/٣] يُحمَل له دمٌ ولِجواري دمٌ آخر، وإن أراد هلال الأمانَ وَسْطَنا حُمل له دم ثالث؛ فقال هلال في ذلك:

بَنِي مازِنٍ لا تطرُدوني فإنّني ... أخوكم وإن جَرّتْ جرائرَها[٩] يدِي

ولا تُثلِجوا أكبادَ بكرِ بن وائلٍ ... بتركِ أخيكم كالخليعِ المُطرَّدِ

ولا تجعلوا حِفظي بظَهرٍ وتحفظوا ... بعيداً ببغضاءٍ يروح ويغتدي[١٠]

فإنّ القريبَ حيثُ كان قريبُكم ... وكيفَ بقطعِ الكَفّ من سائر اليدِ

---

(١) كذا في ب، س، حـ. وفي ء، أ، م «حماء» بالحاء المهملة والمد وفي ط: «حما» بالحاء المهملة مقصوراً.

(٢) المغرة (بالفتح وبالتحريك): طين أحمر يصبغ به.

(٣) أمشى الرجل: استطلق بطنه من دواء تناوله.

(٤) فرثوا كبده: ضربوها وهو حيّ.

(٥) في ط، ء: «علق» وفي أ، م: «على».

(٦) كذا في ب، س، حـ. وفي باقي الأصول: «عند مقدم الحجاج العراق».

(٧) كذا في أكثر الأصول، وفي س: «أنوفهم».

(٨) كذا في ط، حـ، ء. وفي سائر النسخ: «مالك» ومالك جد رزام لا أبوه (راجع أول هذه الترجمة).

(٩) الجرائر: جمع جريرة وهي الذنب والجناية.

(١٠) كذا في ط، ء. وهو الأقرب إلى الصواب. وفي باقي النسخ: «تروح وتغتدي» بالتاء.

وإن البعيد إن دنا فهو جاركم ... وإن شطّ عنكم فهو أبعدُ أبعدِ

وإنّي وإن أوجدتموني[1] لحافظ ... لكم حفظَ راض عنكُم غير مُوجَدِ

سيَحْمِي حِمَاكم بي وإن كنتُ غائبا ... أغرُّ إذا ما رِيع لم يتبلَّدِ

وتَعلم بكر أنكم حيثُ كنتمُ ... وكنتُ من الأرض الغريبة مَحتِدِي

وأنّي ثقيلٌ حيثُ كنتُ على العِدا ... وأنّي وإن أُوحِدتُ لستُ بأوحدِ

وأنهمُ لمّا أرادوا هَضِيمتي ... مُنُوا[2] بجميع القلب عَضبٍ مُهنَّدِ

حُسامٍ متى يعزِمْ على الأمر يأتِهِ ... ولم يتوقَّف للعواقب في غدِ

وهم بَدءوا بالبَغْي حتّى إذا جُزُوا ... بأفعالهم قالوا لجازيهُمُ[3] قَدِ[4]

فلم يَكُ منهم في البَدِيهة[5] مُنصِفٌ ... ولم يك فيهم في العواقب مُهتدي

/ ولم يفعَلوا فعلَ الحليم فيُجْمِلوا[6] ... ولم يفعَلوا فعلَ العزيز المؤيَّدِ [٣/٦٤]

فإن يَسْرِ لي إيعادُ[7] بكْرٍ فربّما ... مَنَعتُ الكَرَى بالغيظ من مُتوعِّدِ

ورُبَّ حِمَى قوم أبحتُ ومَوردٍ ... ورَدتُ بفتيان الصباح ومَوردِ

/ وسَجْفِ دَجُوجِيٍّ من الليل حالِكٍ ... رفعتُ بعَجْلَي الرِّجل مَوّارةِ اليدِ[8] ١٨٧/٢

سفينةِ خَوّاضٍ بُحورَ هُمومِه ... قليلِ الْتِياثِ[9] العزم عند التردّدِ

جَسورٍ على الأمر المَهيب إذا ونَى ... أخو الفَتْك ركّابِ قَرَى[10] المتهدِّدِ

وقال وهو بأرض اليمن:

أقول وقد جاوزتُ نُعْمَى وناقتي ... تَحِنُّ إلى جَنبي[11] فُلَيج[12] مع الفَجْرِ

سقى الله يا ناقَ البلادَ التي بها ... هواكِ، وإن عنّا نأتْ، سَبَلَ[13] القَطرِ

---

(١) كذا في ط، حـ، ء. وأوجدتموني: أغضبتموني، من وجد يجد وجداً وجدة وموجدة إذا غضب. وتعدية الفعل بالهمزة في مثل هذا قياسية على المختار. وفي باقي النسخ: «أوحدتموني» بالحاء، أي جعلتموني وحيداً منفرداً.

(٢) منوا: ابتلوا.

(٣) في ط، ء: «لجاريهم» بالراء، والتحريف فيها واضح. وفي سائر النسخ: «لجارهم» وهو تحريف.

(٤) قد: اسم فعل بمعنى يكفي.

(٥) البديهة: أول الشيء.

(٦) كذا في ط. وفي ب، س، حـ: «فيحلموا».

(٧) كذا في حـ. وفي سائر النسخ: «إبعاد» بالباء الموحدة وهو تحريف.

(٨) يريد بموّارة اليد: الناقة: أي أن يدها كثيرة التردد في عرض جنبها، يعني أنها سهلة السير سريعته.

(٩) كذا في ط، ء. والالتياث: الإبطاء. وفي سائر النسخ: «ثبات».

(١٠) القرى (بالتحريك): الظهر، وقيل: وسطه.

(١١) في ط، ء: «خيفي فليج».

(١٢) كذا في ط، ء: و «معجم ياقوت». وفي باقي النسخ: «فليح» بالحاء وهو تصحيف.

(١٣) السبل: المطر النازل من السحاب قبل أن يصل إلى الأرض.

فما عن قِلًى منّا لها خَفّتِ النّوى ... بنا عن مَراعِيها وكُثْبانِها العُفْرِ

ولكنّ صرفَ الدّهر فرّق بيننا ... وبين الأداني، والفتى غَرضُ الدهرِ

فسَقياً لصحراء الإهالة[1] مَرْبَعاً ... وللوَقْبَى من مَنزِلٍ دَمِثٍ[2] مُثْرِي

وسَقياً ورَعياً حيث حلّتْ لمازِنٍ ... وأيّامِها الغُرّ المحجّلة الزُّهْرِ

[٣/٦٥] / قال خالدُ بنُ كُلثوم: ولما دُفِعَ هلالٌ إلى أولياء الجَلّانيّ ليقتلوه بصاحبهم جاء رجل يقال له: حُفيدٌ كان هلالٌ قد وتَره فقال: والله لأؤنّبَنَّه[3] ولأُصغِّرنّ إليه نفسَه وهو في القيود مَصْبُورٌ[4] للقتل، فأتاه فلم يَدعْ له شيئاً مما يكره إلا عدّة عليه. قال: وإلى جنب هلالٍ حَجَرٌ يملأ الكفّ، فأخذه هلالٌ فأهوَى به للرجل فأصاب جبينَه فاجتلَف[5] جُلْفَةً من وجهه ورأسِه، ثم رمَى بها وقال: خذ القِصَاصَ منّي الآنَ، وأنشأ يقول:

أنا ضربتُ كَرِباً وزَيْدَا ... وثابِتاً مَشَّيتُهم رُوَيْدَا

كما أفدتُ[6] حَيْنَه عُبَيدَا ... وقد ضربتُ بعده حُفيدَا

قال: وهؤلاء كلُّهم من بني رِزَام بن مازن، وكلُّهم كان هلالٌ قد نكَأ[7] فيهم.

أدى عنه ديسم الدية لبني جلان فمدحه:

قال خالدُ بن كلثوم: ولما طال مُقَامُ هلالٍ باليمن نَهَضتْ بنو مازنٍ بأجمعهم إلى بني رِزَام بن مازن رَهْط هلال ورهط مُعاذِ بن جَعْدَة جارِ الجَلّانيّ المقتولِ، فقالوا: إنكم قد أسأتم بابن عمّكم وجُزْتُم الحدَّ في الطلب بدم جاركم، فنحن نحمِلُ لكم ما أردتم، فحمَل دَيْسَمُ بنُ المِنْهالِ بن خُزَيمةَ[8] بن شِهَاب بن أُثاثة[9] بن ضِبَاب بن حُجَيّة[10] بن كابِيَةَ بن حُرْقُوصِ بنِ مازنٍ الذي طلَب معاذُ بن جَعْدَة أن يُحمَلَ لجاره، لفضل عزّه وموضعِه في عشيرته، وكان الذي طلب ثلثمائةِ بعيرٍ؛ فقال هلال في ذلك:

[٣/٦٦] / إن ابن كابِيَةَ المرزَّأَ[11] دَيْسماً ... وَارِي الزنادِ بعيدُ ضوءِ النارِ

مَن كان يحمِلُ ما تحمّلَ ديسمٌ ... من حائلٍ فُنُقٍ[12] وأمّ حُوَارِ

---

(١) صحراء الإهالة: موضع ذكره «ياقوت» ولم يبينه واستشهد بهذا البيت.

(٢) دمث: سهل لين. ومثر: كثير الثرى خصب.

(٣) كذا في ط، ء. وفي سائر النسخ: «لآتينه».

(٤) كذا في ط، ء. والمصبور: المحبوس للقتل. وفي سائر النسخ: «مصفود».

(٥) اجتلف منه جلفة: بضع من لحمه بضعة.

(٦) كذا في أ، م. وفي ب، س: «أفأت». وفي ط: «أقدت».

(٧) نكأ فيهم: قتل فيهم وجرح وأثخن.

(٨) كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س: «جزيمة» بالزاي. وفي حـ: «جذيمة» بالذال.

(٩) في ط: «أمامة».

(١٠) كذا في ط، ء. وفي سائر النسخ. ولم نعثر على أنه سمي به.

(١١) المرزأ: الكريم الذي يصاب في ماله كثراً.

(١٢) الفنق بضمتين: الناقة الفتية السمينة. والحوار بالضم ويكسر: الفصيل.

عَيَّتْ[١] بنو عمرو بحمل هنائدٍ[٢] فيها العِشارُ[٣] مَلابِيءُ الأبكارِ

حتى تَلافاها كريمٌ سابقٌ بالخير حلَّ منازلَ الأخيارِ

حتى إذا وردتْ جميعاً أَرْزَمَتْ[٤] جَلاَّنَ بعد تَشَمُّسٍ ونِفارِ

تَرعَى بصحراءِ[٥] الإهالةِ رُوبَةً[٦] والعُنظُوَانَ[٧] مَنَابِتَ[٨] الجَرجَارِ[٩]

أعان قمير بن سعد على بكر بن وائل وقال في ذلك شعراً:

وقال خالدُ بن كلثوم: كان قُميرُ بنُ سَعْد مُصَدِّقاً على بكر بن وائل، فوجد منهم رجلاً قد سرق/ صدقتَه[١٠]، ١٨٨/٢ فأخذه قُمَير ليحبسه، فوثب قومُه وأرادوا أن يَحُولوا بين قُميرٍ وبينَه وهلالٌ حاضرٌ، فلما رأى ذلك هلالٌ وثَب على البكريّين فجعل يأخذ الرجلين منهم فيكتُفُهما[١١] ويُناطِح بين رؤوسهما، فانتهى إلى قُمَيرٍ أعوانُه فقهَروا البكريّين؛ فقال هلال في ذلك:

/ دعاني قُمَيرٌ دَعْوةً فأجبتُه فأيَّ امرىءٍ في الحرب حين دَعانِي [٦٧/٣]

معي مِخْذَمٌ قد أخلَص القَيْنُ حَدَّه يُخَفِّضُ عند الرَّوْعِ رَوْعَ جَنانِي

وما زِلتُ مذ شَدَّتْ يميني حُجْزَتي[١٢] أُحارِبُ أو فِي ظِلّ حربٍ[١٣] تَرانِي

أخبرني محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنَزيّ قال حدّثنا حَكِيم بن سعد عن زُفَر بن هبيرةَ قال:

---

(١) كذا في ط، ء. وفي ب، س، أ: «عنيت».

(٢) كذا في الأصول كلها، والظاهر أنه جمع هنيدة وهي المائة من الإبل. والذي في «اللسان» و «شرح القاموس»: أن هنيدة مائة من الإبل معرفة لا تنصرف ولا يدخلها الألف واللام ولا تجمع ولا واحد لها من جنسها. وفي «الأساس»: «وأعطاه هنيدة: مائة من الإبل، وهنداً: مائتين».

(٣) العشار: جمع عشراء بضم العين وفتح الشين كنفساء ونفاس ولا ثالث لهما، والعشراء: الناقة التي أتى عليها عشرة أشهر من نتاجها. ويقال عشار ملابيء إذا دنا نتاجها.

(٤) أرزمت الناقة: حنت إلى ولدها. وفي المثل: «لا أفعله ما أرزمت أم حائل».

(٥) صحراء الإهالة: اسم موضع ذكره «ياقوت» ولم يعينه واستشهد بشعر لهلال بن الأسعر.

(٦) الروبة: مكرمة من الأرض كثيرة النبات والشجر وهي أبقى الأرض كلأ.

(٧) العنظوان: ضرب من النبات إذا أكثر منه البعير وجع بطنهُ.

(٨) كذا في جميع الأصول ولعلها «فنابت» بفاء العطف ليستقيم المعنى.

(٩) الجرجار: نبت طيب الريح.

(١٠) في ب، س، حـ: «بعض صدقته».

(١١) يكتفهما: يضمهما.

(١٢) الحجزة: معقد الإزار.

(١٣) لم يقع في هذا البيت ما يسمى في العروض بالاعتماد. والاعتماد: سقوط الخامس من فعولن التي قبل القافية. وإثبات هذا الساكن فيما يكون ضربه محذوفاً كما في هذا الشعر لم يقع إلا على قبح، ولم يأت في الشعر إلا شاذاً قليلاً، ومنه ما أنشده الخليل:

أقيموا بني النعمان عنا صدوركم وإلا تقيموا صاغرين الرؤوسا

وقول امرىء القيس:

أعني على برق أراه وميض يضيء حُبيّاً في شماريخ بيض

وتخرج منه لامعات كأنها أكف تلقى الفوز عند المفيض

حبسه بلال بن أبي بردة وأفنكه فيسم:

تَقَاوَمَ هلالُ بنُ أسعر المازنيّ، وهو أحد بني رِزام بنِ مازن، ونُهَيْسٌ[١] الجَلَّانيّ من عَنَزةَ وهما يَسقِيان إبلَهما، فخذف[٢] هلالٌ نُهيساً بمحورٍ في يده فأصابه فمات، فأستعدَى ولدُه بلالَ[٣] بن أبي بُرْدة على هلالٍ فحَبسه فأسلمَه قَومُه بنو رِزام وعمِلَ في أمره دَيْسَمُ بن المنهال[٤] أحدُ بني كابِيةَ بنِ حُرْقُوص فأفتكَّه بثلاث دِيَات، فقال هلال يمدحه:

تــداركَ دَيْســمٌ حسَبــاً ومجــداً ... رِزَامــاً بعــد مــا أنشقَّتْ عَصَــاهــا

همــو حمَلــوا المِئِينَ فــألحقُــوهــا[٥] ... بــأهليهــا فكــان لهــم سَنَــاهــا

/ ومــا كــانــت لتحمِلَهــا رِزامٌ ... بــأَشْنَــاهِ مُعَقَّصَــةِ لِحَــاهــا

بكــابيــةَ بــنِ حُــرقُــوصٍ وجَــدٌّ ... كــريــمٍ لا فَتــى إلا فَتَــاهــا

[٣/٦٨]

الحديث عن هلال في نهمه وكثرة أكله:

أخبرني أحمدُ بن عُبَيد الله بن عَمّار وأحمدُ بن عبد العزيز الجَوْهَري قالا[٦] حدّثنا إسماعيلُ بن إسحاقَ القاضي قال حدّثني نصر بن عليّ الجَهْضَميّ قال حدّثنا الأصمعيّ، وأخبرني أبو عبيد[٧] محمد بن أحمد بن المؤمَّل الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا فضل بن الحسن قال حدّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ قال حدّثنا المُعْتمِر بن سُلَيمان قال:

قلت لهلال بن أسْعَر: ما أَكْلةٌ أكلتَها بلغتْني عنك؟ قال: جُعتُ مرّةً ومعي بعيري فنحرتُه وأكلتُه إلا ما حمَلتُ منه على ظهري، قال أبو عبيد في حديثه عن فضل[٨]: ثم أردتُ أمرأتي فلم أقدر على جماعها؛ فقالت لي: وَيْحَكَ! كيف تصل إليّ وبيني وبينك بعيرٌ! قال المعتمر: فقلتُ له: كم تكفيك هذه الأكلةُ؟ قال: أربعةَ أيام. وحدّثني به أبن عَمّار[٩] قال حدثني عبدالله بن أبي سَعْد قال حدّثني أحمد بن مُعاوية عن الأصمعيّ عن مُعْتمِر بن سليمان عن أبيه قال: قلت لهلال بن الأسعر ـ هكذا قال أبن أبي سعد: معتمر عن أبيه وقال في خبره: فقلت له؛ كم تكفيك هذه الأكلة؟ فقال: خَمْساً.

/ أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدّثنا نصر بن عليّ قال حدّثني الأصمعيّ قال حدّثني شيخ من بني مازِن قال:

[٣/٦٩]

(١) كذا في ط، ء. وفي سائر النسخ: «بهيس» ولم نعثر على أنه سمي به وإنما سمي ببيهس بتقديم الياء على الهاء.
(٢) خذف بالحصاة والنواة ونحوهما: رمى بها من بين سبابتيه أو بمخذفة من خشب. ولعل المحرر كان في يد هلال لقوّته أشبه بالنواة، أو لعلها «فحذف» بالحاء المهملة.
(٣) في ب، س: «فأستعدى ولده له بلال إلخ».
(٤) كذا ورد هذا الاسم باتفاق النسخ فيما تقدم، وورد هنا في ب، س، م: «ميهال» ولم ترد في باقي النسخ.
(٥) في ب، س، حـ: «وألحقوها».
(٦) كذا في أ، م. وفي باقي النسخ: «قال» بدون ألف التثنية.
(٧) في ء: «أبو عبيد بن محمد». وفي حـ: «أبو عبيد أحمد بن محمد».
(٨) في ب، س، حـ: «فضل المضري».
(٩) كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س: «وحدّثني به ابن عمار قال قال المعتمد حدّثني عبدالله بن أبي سعد إلخ». والظاهر أن ما جاء في هاتين النسختين من زيادة قوله: قال المعتمد غير صحيح لأن أحمد بن عمار يروي عن عبدالله بن أبي سعد مباشرة كما سيجيء بعد أسطر، على أنا لم نجد في رواة «الأغاني» من اسمه المعتمد.

أتانا هلال بن أسعر المازنيّ فأكل جميعَ ما في بيتنا، فبعثنا إلى الجيران نقترض الخبز فلما رأى الخبزَ قد اختلف عليه قال: كأنكم أرسلتُم إلى الجيران، أعندكم سَوِيقٌ[1]؟ قلنا: نعم، فجئتُه بجراب طويل فيه سَويقٌ وببَرْنيّةٍ[2] نبيذٍ، فصبّ السويقَ كلّه وصبّ عليه النبيذَ حتى أتى على السَّويقِ والنبيذِ كلّه.

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن / الحارث عن المدائنيّ: ١٨٩/٢

أن هلالَ بنَ أسعرَ مرّ على رجل من بني مازنٍ بالبصرة وقد حمَل من بستانه رُطَباً في زَوارِيقَ[3]، فجلس على زَوْرقٍ صغير منها وقد كُبِبَ[4] الرطبُ فيه وغُطّيَ بالبَوارِي[5]؛ قال له: يابن عَمّ آكُلُ من رُطَبك هذا؟ قال: نعم؛ قال: ما يكفِيني[6]؟ قال: ما يكفيك؛ فجلس على صدر الزورقِ وجعل يأكل إلى أن اكتفَى، ثم قام فانصرف، فكُشِفَ الزورقُ فإذا هو مملوءٌ نوًى قد أَكَلَ رُطَبَه وألقَى النوَى فيه.

/ قال المدائنيّ وحدّثني مَنْ سأله عن أعجبِ شيء أكله، فقال: مائتي رغيف مع مَكُّوكٍ[7] ملح. [٣/٧٠]

أخبرني أحمدُ بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا عبدالله بن أبي سَعْد قال حدّثني الحسن بن علي بن منصور الأهوازيّ، وكان كَهْلاً سَرِيًّا مُعَدَّلاً، قال حدّثني شبان[8] النِّيليّ عن صَدَقةَ بن عُبَيدٍ المازنيّ قال:

أولم[9] عليَّ أبي لما تزوّجتُ فعَمِلنا عشرَ جِفَانٍ ثَرِيداً من جَزُورٍ. فكان أوّل من جاءنا هلال بن أسعر المازنيّ، فقدّمنا إليه جَفنةً فأكلها ثم أخرى ثم أخرى حتى أتى على العشر، ثم اَستسْقَى فَأُتِيَ بِقِرْبةٍ من نبيذ فوضعَ طَرَفَها في شِدْقِه ففرّغَها في جوفه، ثم قام فخرج؛ فاستأنفنا عملَ الطعام.

حدّث أبو عمرو بن العلاء أنه لم ير أطول منه:

أخبرني الجوهريّ قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق قال حدّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ قال: حدّثني أبو عمرو بن العَلاَء قال: رأيت هلال بن أسعرَ ميتاً ولم أره حيًّا، فما رأيت أحداً على سرير[10] أطولَ منه.

غنى مخارق الرشيد فأعتقه:

أخبرني عليّ بن سليمانَ الأخفشُ قال حدّثني محمدُ بن يزيدَ قال حدّثني بعضُ حاشية السلطان قال:

---

(١) السويق: دقيق الحنطة والشعير.

(٢) البرنية: إناء من خزف.

(٣) زواريق: جمع زورق أتبع الكسرة فتولدت منها ياء كما جاء في قوله:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة ... نفي الدراهيم تنقاد الصياريف

ومنه للمتنبي:

أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها ... مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

(٤) كذا في ط، حـ، ء، ومعناه جُمع. وفي ب، س: «كتب». وفي أ، م: «كب» وكلاهما تحريف.

(٥) البواري: الحصر المنسوجة من القصب.

(٦) كذا في ط، حـ، ء. وفي سائر النسخ: «فيه ما يكفيني؟ قال: ما يكفيك إلخ» والمعنى بهذه الزيادة غير المعنى المراد.

(٧) المكوك: مكيال يسع صاعاً ونصف صاع.

(٨) كذا في أكثر النسخ، ولم نعثر على هذا الاسم، وقد سمى العرب شبان كرمان وشبان كشداد.

(٩) أولم عليّ أبي: عمل لي وليمة زواجي.

(١٠) كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س، حـ: «سريره».

غنّى إبراهيمُ الموصليّ الرشيدَ يوماً:

يـا ربـعَ سَلْمَـى لقـد هيّجـتَ لـي طـربَـا زِدتَ الفـؤاد علـى عـلاّتـه وَصَبَـا[1]

[٣/٧١] / ـ قال: والصنعةُ فيه لرجل من أهل الكوفة يُقال له عَزّون[2] ـ فأُعجِبَ به الرشيدُ وطرِب له واستعاده مراراً؛ فقال له الموصليّ: يا أمير المؤمنين فكيف لو سمعتَه من عبدك مُخارِقٍ، فإنه أخذه عنّي وهو يفضُلُ فيه الخلقَ جميعاً ويفضُلُني، فأمرَ بإحضار مُخارقٍ، فأُحْضِر فقال له غنِّني:

يـا ربـعَ سلمـى لقـد هيّجـتَ لـي طـربـا زدت الفـؤاد علـى عِـلاّتـه وصبـا

فغنّاه إياه؛ فبكى وقال: سَلْ حاجتكَ! قال مخارق: فقلتُ: تُعتِقُني يا أمير المؤمنين من الرقّ وتُشَرِّفني بولائكَ، أعتقك اللّهُ من النار، قال: أنتَ حرّ لوجه الله، أعِدِ الصوتَ؛ قال: فأعدتُه، فبكى وقال: سل حاجتك، فقلت: يا أمير المؤمنين ضيْعةٌ تُقِيمُني غلّتُها؛ فقال: قد أمرتُ لك بها، أعِدِ الصوتَ؛ فأعدته فبكى وقال: سل حاجتك؛ فقلت: يأمر لي أميرُ المؤمنين بمنزلٍ وفرشِه وما يُصلِحُه وخادمٍ فيه؛ قال: ذلك لك، أعِدْه؛ فأعدتُه فبكى وقال: سل حاجتك؛ قلتُ: حاجتي يا أمير المؤمنين أن يُطِيلَ الله بقاءكَ ويُدِيمَ عزَّكَ ويجعلَني من كل سوء فداءكَ؛ قال: فكان إبراهيم الموصليّ سببَ عتقه بهذا الصوت[3].

أخبرني بهذا الخبر محمد بن خَلَف وَكِيعٌ قال حدّثني هارون بن مُخَارِق، وحدّثني به الصُّولِيّ أيضاً عن وَكيع عن هارون بن مُخَارق قال:

كان أبي إذا غنّى هذا الصوتَ:

يـا ربـع سلمـى لقـد هيجـت لـي طـربـا زدت الفـؤاد علـى عِـلاّتـه وصبـا

[٣/٧٢] / يقول: أنا مولى هذا الصوت؛ فقلت له يوماً: يا أبت، وكيف ذلك؟ فقال: غنّيتُه مولاي الرشيدَ/ فبكى [١٩٠/٢] وقال: أحسنتَ، أعِد فأعدتُ؛ فبكى وقال: أحسنت! أنتَ حرّ لوجه الله وأمر لي بخمسة آلاف دينار، فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي، وذكر[4] قريباً مما ذكره المبرّد[5] من باقي الخبر.

حدّثني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن أبي الدُّنيا قال حدّثني إسحاق النَّخَعِيّ عن حُسين بن الضَّحّاك عن مُخَارِق:

أن الرشيد أقبل يوماً على المغنّين وهو مضطجع، فقال: مَنْ منكم يغني:

يـا ربـعَ سلمـى لقـد هيّجـتَ لـي طـربـا زدتَ الفـؤاد علـى عِـلاّتـه وصبـا

قال: فقمت فقلت: أنا، فقال: هاتِه؛ فغنيتُه فطرب وشرب، ثم قال: عليّ بهَرْثَمةَ، فقلتُ في نفسي: ما تُراهُ يريد منه! فجاءوا بهرثمةَ فَأُدخِلَ إليه وهو يَجُرّ سيفَه، فقال: يا هرثمةُ، مخارق الشاري الذي قتلناه بناحية الموصل ما كانت كنيته؟ فقال: أبو المهنّا؛ فقال: انصرف فانصرف؛ ثم أقبل عليّ فقال: قد كنيتك أبا المهنّا لإحسانك، وأمر

(١) في ط، ء: «نصبًا».
(٢) في أ، م، حـ: «غزون» بالغين المعجمة وقد تقدم الكلام على هذا الاسم في الحاشية رقم ٢ ص ٥٠ من هذا الجزء.
(٣) كذا في ط، حـ، ء. وفي سائر النسخ: «فكان إبراهيم الموصليّ يقول: سبب عتقه بهذا الصوت».
(٤) في ب، س، حـ: «فذكر».
(٥) المبرد هو محمد بن يزيد الذي تقدم ذكره في أول السند.

لي بمائة ألف درهم، فأنصرفتُ بها وبالكنية.

صوت

من المائة المختارة من رواية جَحْظة عن أصحابه

وخِــلٍّ كنــتُ عيــنَ الــرُّشْــد منــه ... إذا نظــــرتْ ومستمِعــــاً سَمِيعَــــا

أطــاف بِغَيِّــه[1] فعــدلــتُ عنــه ... وقلــت لــه أرَى أمــراً فظيعَــا

الشعر لعُرْوة بن الوَرْد، والغناء في اللحن المختار لسِيَاط ثاني ثقيل بالبِنْصَر عن عمرو بن بانة. وفيه لإبراهيمَ ما خُورِيّ بالوُسْطَى عن عمرو أيضاً.



(١) في ط، حـ، د: «بغية».

١/٤٧٣

/ أخبارُ عروة بن الوَرْد ونسبه

نسبه، شاعر جاهلي فارس جواد مشهور:

عُرْوةُ بن الوَرْد بن زيد، وقيل: ابن عمرو بن زيد بن عبدالله بن ناشِب بن هريم[١] بن لُدَيم بن عوذ[٢] بن غالب بن قُطَيعةَ بن عَبْس بن بَغِيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سعد بن قَيْس بن عَيْلاَن بن مُضَر بن نِزَار، شاعرٌ من شعراء الجاهلية وفارسٌ من فُرْسانِها وصُعْلوكٌ[٣] من صَعَاليكها المعدودين المقدَّمين الأجواد.

كان يلقب بعروة الصعاليك وسبب ذلك

وكان يُلقَّبُ عروةَ[٤] الصعاليك لجَمْعه إيّاهم وقيامه بأمرهم إذا أَخفقُوا في غَزَواتهم ولم يكن لهم معاشٌ ولا مَغزَى، وقيل: بل لُقِّبَ عُروةَ الصَّعاليك لقوله:

لَحى اللّهُ صُعلوكاً إذا جَنّ ليلُه ... مُصَافي[٥] المُشَاشِ آلِفاً كلَّ مَجزر

يَعُدُّ الغِنَى مِن دهره كلَّ ليلةٍ ... أصابَ قِرَاها من صَديقٍ مُيسِّرِ[٦]

وللهِ صُعلوكٌ[٧] صفيحةُ وجهِهِ ... كضوءِ شهابِ القابِسِ المتنوِّر

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال بلغني أن معاوية[٨] قال:

شرف نسبه وتمني الخلفاء أن يصاهروه أو ينتسبوا إليه:

لو كان لعُرْوةَ بنِ الوَرْدِ وَلَدٌ لأحببتُ أن أتزوّجَ إليهم.

[٣/ ٧٤] / أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِرَاس قال حدّثني العُمَريّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ، وحدّثنا إبراهيمُ بن أيُّوبَ عن عبدالله بن مُسْلِم قالا جميعاً:

قال عبد الملك بن مَرْوان: ما يَسُرّني أن أحداً من العرب ولَدَنِي[٩] ممّن لم يَلِدْنِي إلا عُرْوةَ بن الورد لقوله:

(١) في ط، حـ،ء: «هرم» وضبط في ط بتشديد الراء.

(٢) كذا في ط، ء. وهو الصواب كما في «شرح القاموس». وفي سائر النسخ: «عود» بالدال المهملة.

(٣) الصعلوك: الفقير الذي لا مال له، وصعاليك العرب: لصوصها وفقراؤها.

(٤) يقال: لقب بكذا، وقد اعتاد أبو الفرج إسقاط هذه الباء في أسلوبه.

(٥) كذا في ط،ء، وهو موافق لما جاء في «ديوان الحماسة». ومصافي المشاس: آلفه وملازمه والمنكب عليه. وفي سائر النسخ: «مضى في المشاش» وهو تحريف. والمشاش: كل عظم هش دسم واحدته مشاشة. ولم تظهر الفتحة على الياء هنا للضرورة.

(٦) يسر الرجل: سهلت ولادة إبله وغنمه ولم يعطب منها شيء.

(٧) في «ديوان الحماسة»: «ولكن صعلوكاً» وخبر لكن في البيت الثاني بعده (انظر «شرح التبريزي على الحماسة» ص ٢١٩ ج ١ طبع بولاق).

(٨) كذا في ط،ء. وفي سائر النسخ: «ابن معاوية».

(٩) في جميع النسخ: «أن أحداً من العرب ممن ولدني لم يلدني». وقد أثبتنا ما بالصلب لأنه هو الذي يؤدي المعنى المراد من التمدح بالنسب إلى عروة.

إنّي[1] أمرؤٌ عافي إنائيَ شِرْكَةٌ ... وأنت أمرؤٌ عافي إنائك واحدُ

/ أتهزأ منّي أن سمِنتَ وأن ترى ... بجسمي مَسّ[2] الحقّ والحقُّ جاهِدُ

١٩١/٢

أُفرِّق[3] جِسْمِي في جسومٍ كثيرةٍ ... وأحْسُو قَراحَ الماءِ والماءُ باردُ

قال الحطيئة لعمر بن الخطاب كنا نأتم في الحرب بشعره:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شَبّة قال:

بلغني أن عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه قال للحطيئة: كيف كنتمُ في حربكم؟ قال: كنّا ألفَ حازِم، قال: وكيف؟ قال: كان فينا قيسُ بن زُهير وكان حازماً وكنا لا نَعصيه، وكنا نُقْدِم إقدامَ عَنْترةَ، ونأتَمُّ بشعر عُرْوة بن الوَرْد، وننقاد لأمر الرَّبيع بن زِيَاد.

قال عبد الملك إنه أجود من حاتم:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال:

ويقال: إن عبد الملك قال: من زعَم أن حاتماً أَسْمحُ الناسِ فقد ظلَم عُرْوةَ بن الوَرْد.

[٧٥/٣]

/ **منع عبدالله بن جعفر معلم ولده من أن يرويهم قصيدة له يحث فيها على الاغتراب:**

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال أخبرنا إبراهيمُ بن المُنْذِر قال حدّثنا مَعْن بن عيسى قال:

سمعت أن[4] عبدَالله بن جَعْفر بن أبي طالب قال لمعلِّم ولده: لا تُرَوِّهم قصيدةَ عُرْوةَ بنِ الوَرْد التي يقول فيها:

دَعِيني للغِنَى أسْعَى فإنّي ... رأيتُ الناسَ شرُّهمُ الفقيرُ

ويقول: إن هذا يدعوهم إلى الأغتراب عن أوطانهم.

خبر عروة مع سلمى سبيته وفداء أهلها بها:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد العزيز بن عمران الزّهْريّ عن عامر بن جابر قال:

أغار عُرْوة بن الوَرْد على مُزَينة فأصاب منهم امرأةً من كِنَانة ناكِحاً، فاستاقها ورجَع وهو يقول:

تَبَغَّ عَدِيًّا[5] حيث حَلّتْ ديارَها ... وأبناءَ عَوْفٍ في القُرُونِ الأوائلِ

فَإلاّ أنَلْ أوْساً فإنّيَ حَسْبُها ... بِمُنْبِطِح الأدغال[6] من ذي السلائِل[7]

(١) كذا في أكثر النسخ، وبذا يكون قد دخله الخرم وهو حذف الأوّل من فعولن. وفي ب، س، حـ: «وإني» بالواو.

(٢) كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س، حـ: «شحوب» وفي «ديوان الحماسة» «بوجهي شحوب» إلخ.

(٣) في «ديوان الحماسة» «أقسّم».

(٤) كلمة «أن» ساقطة من أ، م.

(٥) في ب، س، حـ: «عداء».

(٦) كذا في ط،ء. والأدغال: جمع دغل، وله معان كثيرة أنسبها هنا الوادي أو المنخفض من الأرض. وفي سائر النسخ: «الأوعال».

(٧) كذا في أ، م وذو السلائل: واد بين الفرع والمدينة. وفي باقي النسخ: «الشلائل» بالشين المعجمة وهو تصحيف.

ثم أقبل سائراً حتى نزل ببني النَّضير، فلما رأوْها أعجبتْهم فسَقَوْه الخمر، ثم استوهبوها منه فوهبها لهم، وكان لا يَمسُّ النساء، فلما أصبحَ وصحا نَدِم فقال:

* سَقَوْني الخمرَ ثم تكنّفوني *

الأبيات. قال: وجَلاَها[1] النبيُّ ﷺ مع مَنْ جلا من بني النضير.

[٧٦/٣] / وذكر أبو عمرو الشَّيْبانيّ من خبر عُرْوةَ بن الوَرْد وسَلْمَى هذه أنه أصاب امرأةً من بني كِنانةَ بِكْراً يقال لها سَلْمَى وتُكنى أمَّ وهب، فأعتقها واتَّخذها لنفسه، فمكثتْ عنده بِضْعَ عشْرةَ سنةً وولدتْ له أولاداً وهو لا يشُكُّ في أنها أرغبُ الناس فيه، وهي تقول له: لو حَجَجتَ بي فَأَمُرَّ على أهلي وأَرَاهم! فحجّ بها، فأتى مكةَ ثم أتى المدينةَ، وكان يخالط من أهل يَثْرِبَ بني النَّضير فيُقْرِضُونه إن احتاج ويُبايِعُهم[2] إذا غَنِم، وكان قومُها يخالطون بني النَّضِير، فأتَوْهم وهو عندهم؛ فقالت لهم سَلْمَى: إنه خارجٌ بي قبل أن يخرُجَ الشهرُ الحرامُ، فتعالَوْا إليه وأخبرُوه أنكم تستحيُون أن تكون امرأةٌ منكم معروفةُ النسب صحيحتُه سَبِيَّةً، وافْتَدُوني منه فإنه لا يَرَى أنّي أُفارِقهُ ولا أَختارُ عليه أحداً، فأتَوْه فسَقَوْه الشَّرابَ، فلمّا ثَمِل قالوا له: فَادِنَا بصاحبتنا فإنها وَسِيطةٌ[3] النسب فينا معروفةٌ، وإنّ علينا سُبَّةً أن تكون سَبِيَّةً، فإذا صارتْ إلينا وأردتَ معاودتَها فاخطُبْها إلينا فإننا نُنكِحُكَ؛ فقال لهم: ذاكَ لكم، ولكن لِيَ الشرطُ فيها أن تُخَيِّرُوها، فإن اختارتْني انطلقَتْ معي إلى ولدها وإن اختارتكم انطلقتُم /بها؛ قالوا: ذاك لك؛ قال: دَعُوني أَلْهُ بها اللّيلةَ وأُفادِها[4] غداً، فلمّا كان الغدُ جاؤوه فامتنع من فِدائها؛ فقالوا له: قد فاديتَنا بها منذُ البارحةِ، وشهد عليه بذلك جماعةٌ ممّن حضر، فلم يقدر على الامتناع وفاداها، فلما فَادَوْه بها خيّروها فاختارت أهلَها، ثم أقبلتْ عليه فقالت: يا عروةُ أمَا إنّي أقول فيكَ وإن فارقتُكَ الحقَّ: والله ما أعلم امرأةً من العرب ألقتْ سِترَها على بعلٍ خيرٍ منك وأغضَّ طرْفاً وأقلَّ فُحشاً وأجودَ يداً وأحْمَى لِحقيقةٍ[5]؛ وما مرّ عليّ يومٌ منذ كنتُ عندك إلا والموتُ فيه أحبُّ إليّ من الحياة بين / قومك، لأنّي لم أكن أشاء أن أسمعَ امرأةً من قومك تقول: قالت أَمَةُ عروة كذا وكذا إلا سمعتُه؛ ووالله لا أنظر في وجهِ غَطَفَانيَّةٍ أبداً، فَارجِعْ راشداً إلى ولدك وأحسِنْ إليهم. فقال عروةُ في ذلك: [١٩٢/٢] [٧٧/٣]

* سقَوْني الخمرَ ثم تكنّفوني *

وأوّلها:

أرِقتُ وصُحْبَتِي بمضِيقِ عَمْقٍ[6] ... لبرقٍ من تِهَامةَ مُستَطِيرِ
سَقَى سَلْمَى وأينَ ديارُ سلْمَى ... إذا كانتْ مُجاوِرةَ السَّرِيرِ[7]

---

(١) كذا في حـ. وجلا متعدّ ولازم كأجلى. وفي سائر النسخ «أجلاها».
(٢) ويبايعهم: يعقد معهم البيع.
(٣) وسيطة النسب: حسيبة في قومها كريمة.
(٤) في جميع النسخ: «وأفاديها» بإثبات الياء.
(٥) في ب، س، حـ: «الحقيقته» والحقيقة: ما يجب على الرجل أن يحميه وما لزمه الدفاع عنه من أهل بيته.
(٦) عمق: موضع قرب المدينة من بلاد مزينة.
(٧) كذا في إحدى روايتي ط وهو الموافق لما ذكره ياقوت في «معجمه» من أن السرير موضع في بلاد بني كنانة مستشهداً بهذا البيت. وفي سائر النسخ: «السدير» وهو تحريف.

إذا حَلَّتْ بأرض بني عليٍّ وأهلي بين إمَّرَةٍ[١] وَكِيرِ
ذكرتُ منازلاً من أمّ وهبٍ محلَّ الحيِّ أسفلَ من نَقِيرِ[٢]
وأحْدَثُ معهدٍ[٣] من أمّ وهبٍ مُعَرَّسُنا بدار بني النَّضِيرِ
وقالوا ما تشاءُ فقلتُ أَلْهو إلى الأصباح آثِرَ ذِي أَثِيرِ[٤]
بآنسةِ الحديثِ رُضَابُ فِيها بُعَيدَ النومِ كالعِنَبِ العَصِيرِ

وأخبرني عليُّ بن سُلَيمان الأخفش عن ثَعْلب عن ابن الأعرابيّ بهذه الحكاية كما ذكر أبو عمرو، وقال فيها: إنّ قومَها أغلَوْا بها الفِدَاء، وكان معه طَلْقٌ وجُبَار أخوه وابن عمه، فقالا له: والله لئن قبِلتَ ما أعطَوْكَ لا تفتقِرُ أبداً، وأنتَ على النساء قادر / متى شئتَ، وكان قد سَكِرَ فأجاب إلى فدائها، فلما صحا ندم فشهِدُوا[٥] عليه بالفداء فلم [٧٨/٣] يقدر على الامتناع. وجاءت سَلْمَى تُثْنِي عليه فقالت: والله إنك ما علِمتُ لضَحُوكٌ مُقبلاً كَسُوبٌ مُدبِراً خفيفٌ على مَتْن الفرس[٦] ثقيلٌ على العدوّ[٧] طويلُ العِمَاد كثيرُ الرَّماد راضِي الأهلِ والجانبِ[٨]، فاستَوْصِ ببنيك خيراً، ثم فارقَتْه. فتزوّجها رجلٌ من بني عمِّها، فقال لها يوماً من الأيام: يا سلمى، أثْنِي عليّ كما أثنيتِ على عروةَ - وقد كان قولُها فيه شُهِرَ - فقالت له: لا تُكلِّفْني ذلك فإني إن قلتُ الحقَّ غَضِبتَ ولا واللاّتِ والعُزَّى لا أكذِبُ؛ فقال: عَزَمْتُ عليكِ لَتأتِيني في مجلس قومي فَلَتُثْنِين عليّ بما تَعْلَمِينَ، وخرج فجلس في نَدِيّ القوم، وأقبلتْ فرماها القومُ بأبصارهم، فوقفَتْ عليهم وقالت: أَنْعِمُوا صباحاً، إنّ هذا عزَم عليّ أن أُثنِيَ عليه بما أعلمُ. ثم أقبلتْ عليه فقالت: والله إنّ شِمْلَتَك لالْتِحاف، وإنّ شُرْبَكَ لاسْتِفَاف[٩]، وإنك لتنامُ ليلةَ تخافُ، وتَشبعُ ليلةَ تُضافُ، وما تُرضِي الأهلَ ولا الجانبَ، ثم انصرفَتْ. فلامَه قومُه وقالوا: ما كان أغناكَ عن هذا القولِ منها.

كان يجمع الصعاليك ويكرمهم ويغير بهم:

أخبرني الأخفش عن ثَعْلَب عن ابن الأعرابيّ قال حدّثني أبو فَقْعَسٍ قال:

كان عُرْوةُ بن الوَرْد إذا أصابتِ الناسَ سَنَةٌ شديدةٌ تركوا في دارهم المريضَ والكبيرَ والضعيفَ، وكان عروة بن [١٩٣/٢] الورد يجمعُ أشباهَ هؤلاءِ من دون الناس من عشيرته في الشدّة ثم يَحْفِرُ لهم الأسرابَ ويَكنُفُ عليهم الكُنُفَ[١٠] ويَكْسِبُهم[١١]، ومَنْ / قَوِيَ منهم - إما مريضٌ يبرأ من مرضه، أو ضعيفٌ تثُوبُ قوّتُه - خرج به معه فأغار، وجعل [٧٩/٣]

---

(١) كذا في حـ، وهو الموافق لما في «معجم ياقوت» من أن إمرة منزل في طريق مكة من البصرة وهو منهل. وفي سائر الأصول: «زامرة» وهو تحريف. وكير: جبلان في أرض غطفان.

(٢) نقير: موضع بين هجر والبصرة. ورواية «ياقوت» «أسفل ذي النقير».

(٣) كذا في ط، ء، حـ. وفي سائر النسخ: «معهداً».

(٤) آثر ذي أثير: أول كل شيء، يقال: افعل هذا آثراً مّا وآثر ذي أثير أي قدّمه على كل عمل.

(٥) في أ، م «فشهدا» بألف التثنية.

(٦) كذا في ط، ء. وفي سائر النسخ: «الفراش».

(٧) في ب، س، حـ: «على ظهر العدوّ».

(٨) الجانب: الغريب والمراد به الضيف.

(٩) الاشتفاف: شرب كل ما في الإناء.

(١٠) يكنف عليهم الكنف: يتخذ لهم حظائر يؤويهم إليها، واحدها «كنيف».

(١١) كذا في ط، ء، يقال كسب لأهله: طلب المعيشة ويتعدّى بنفسه إلى مفعول ثان كما هنا. وفي سائر النسخ: «يكسيهم» بالياء المثناة =

لأصحابه الباقين في ذلك نصيباً، حتى إذا أخصَبَ الناسُ وألبَنُوا وذهبتِ السَّنةُ ألحقَ كلَّ إنسانٍ بأهله وقسَم له نصيبَه من غنيمةٍ إن كانوا غنموها، فربما أتى الإنسانُ منهم أهلَه وقد استغنَى، فلذلك سُمّي عروةَ الصعاليكِ، فقال في ذلك[1] بعضَ السنين وقد ضاقتْ حالُه:

لعلّ ارتيادِي[2] في البلاد وبُغيَتِي ... وشَدِّي حَيازِيمَ المطيَّةِ بالرَّحْلِ

سيدفَعُنِي يوماً إلى ربّ هَجْمَةٍ[3] ... يُدَافِعُ عنها بالعُقُوقِ وبالبُخْلِ

أغار مع جماعة من قومه على رجل فأخذ إبله وامرأته ثم اختلف معهم فهجاهم:

فزعموا أن الله عز وجل قيَّضَ له وهو مع قوم من هُلّاكِ[4] عشيرته في شتاءٍ شديدٍ ناقتَيْن دهْمَاوَيْنِ، فنحَر لهم إحداهما وحَمل متاعَهم وضُعفاءَهم على الأخرى، وجعل ينتقل بهم من مكان إلى مكان، وكان بين النُّقْرة[5] والرَّبَذَة[6] فنزل بهم ما بينهما بموضع يقال له: مَاوَانُ[7] . ثم إن الله عز وجل قيَّضَ له رجلاً صاحبَ مائةٍ من الإبل قد فرّ بها من حقوق[8] قومه ـ وذلك أوّل ما ألبنَ الناسُ ـ فقتله وأخذ إبلَه وامرأتَه، وكانت من أحسن النساء، فأتَى بالإبل أصحابَ الكَنِيفِ فحلبها لهم وحمَلهم عليها، حتى إذا دَنَوْا من عشيرتهم أقبل يَقْسِمُها بينهم وأخذ مثلَ نصيب أحدهم، فقالوا: لا[9] واللاتِ / والعُزّى لا نرضَى حتى تجعلَ المرأةَ نصيباً فمن شاء أخذها، فجعل يَهُمُّ بأن يحمِلَ [٣/ ٨٠] عليهم فيقتلَهم وينتزعَ الإبلَ منهم، ثم يذكُر أنهم صَنِيعتُه وأنه إن فعل ذلك أفسدَ ما كان يصنع، فأفكر طويلاً ثم أجابهم إلى أن يُردّ عليهم الإبلَ إلا راحلةً يحمِلُ عليها المرأةَ حتى يَلْحَقَ بأهله، فأبَوْا ذلك عليه، حتى انتدَبَ رَجلٌ منهم فجعل له راحلةً من نصيبه؛ فقال عروةُ في ذلك قصيدتَه التي أوّلها:

ألا إن أصحابَ الكَنِيفِ وجدتُهم ... كما الناس لمّا أمرَعُوا وتَموّلُوا

وإنـي لمدفُوعٌ إليّ وَلاؤُهُم ... بماوَانَ إذ نَمْشِي وإذ نَتملمَلُ

وإنّي وإيّاهم كذِي الأمّ أرهنَت[10] ... له ماءَ عينيها تُفدِّي وتَحمِلُ[11]

= وهو تحريف.

(١) كذا في ط،ء. وفي سائر النسخ: «فقال في بعض السنين إلخ».

(٢) في «ديوان الحماسة»:

* لعل انطلاقي في البلاد ورحلتي

(٣) الهجمة من الإبل: أوّلها أربعون إلى ما زادت أو ما بين السبعين إلى المائة أو إلى دوينها فإذا بلغت المائة فهي «هنيدة».

(٤) كذا في أكثر النسخ والهلاك: الصعاليك. وفي ب، س، حـ: «هلال» بلامين وهو تحريف.

(٥) النقرة ـ بفتح أوّله وسكون ثانيه أو بفتح أوّله وكسر ثانيه ـ: من منازل حاج الكوفة بين أضاخ وماوان.

(٦) الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أميال قريبة من ذات عِرْق على طريق الحجاز إذا رحلت من فَيْد تريد مكة، وبها قبر أبي ذر الغفاري.

(٧) ماوان: قرية في أودية العلاة من أرض اليمامة.

(٨) في «شرح الحماسة»: «عقوق» بالعين.

(٩) كذا في ب، س، حـ، بإثبات «لا» وقد سقطت من باقي النسخ.

(١٠) أرهنت: أدامت، وقد جاء في «ديوان الحماسة» ص ٢٣٠ طبع أوروبا شرحاً لهذا البيت ما نصه: وهذا مثل، تقول المرأة لولدها ربيتك ماء عيني فضلاً عن كل شيء.

(١١) في «ديوان الحماسة» «تجمل» أي ترفق.

فباتت بحدّ[١] المِرْفَقَيْن كِلَيْهما[٢] تُوَحوِحُ ممّا نالها وتُوَلْوِلُ[٣]

تُخَيِّرُ من أمرين ليسا بغِبْطةٍ هو الثُّكل إلا أنّها قد تَجمَّلُ[٤]

سبي ليلى بنت شعواء ثم اختارت أهلها فقال شعراً:

وقال ٱبنُ الأعرابيّ في هذه الرّواية أيضاً: كان عُرْوة قد سبَى ٱمرأة من بني هِلَال بن عامر بن صَعْصَعَة يقال لها: لَيْلَى بنتُ شَعواء، فمكثتْ عندَه زماناً وهي مُعْجِبة له تُرِيه أنّها تحبّه، ثم ٱستزارتْه أهلَها فحمَلها حتّى أتاهم بها، فلمّا أراد الرّجوعَ أبتْ أن ترجع معه، وتوعّده قومُها بالقتل فٱنصرف عنهم، وأقبل عليها فقال لها: يا ليلى، خبِّري صواحبَك[٥] عنّي كيف أنا؛ فقالت: ما أرى لك عقلاً! أتُراني قد ٱخترتُ عليك وتقول: خبِّري عنّي! فقال في ذلك:

/ تَحِنّ إلى ليلى بجوّ[٦] بلادها وأنت عليها بالمَلَا[٧] كنتَ أقدرا [٣/٨١]

وكيف تُرَجّيها وقد حِيلَ دونَها وقد جاوزتْ حيّاً بتَيْماء مُنْكَرا

/ لعلّك يوماً أن تُسرّي[٨] ندامةً عليّ بما جشّمتَني يوم غَضْورا[٩] ١٩٤/٢

وهي طويلة. قال: ثمّ إن بني عامر أخذوا ٱمرأة من بني عَبْس ثم من بني سُكَين يقال لها أسماء، فما لبِثْ عندهم إلّا يوماً حتّى ٱستنقذَها قومُها؛ فبلَغ عروةَ أنّ عامر بن الطُّفَيْل فَخر بذلك وذكر أخْذَه إيّاها، فقال عروة يعيّرهم[١٠] بأخذه ليلى بنت شَعْواء الهلالية:

إن تأخُذوا أسماء مَوقِفَ ساعةٍ فمأخَذُ ليلَى وهي عَذْراءُ أعجبُ

لبِسنا زماناً حُسنَها وشَبابَها ورُدّتْ إلى شَعْواء والرّأسُ أشيبُ

---

(١) كذا في ط. وفي ب، س: «تحدّ». وفي حـ: «الحدّ» والمراد أنها باتت متكئة على مرفقيها.

(٢) في «ديوان الحماسة» «مكبة».

(٣) بين هذا البيت والبيت الذي قبله بيت يتوقف عليه فهم الأبيات وهو:

فلما ترجت نفعه وشبابه أتت دونه أخرى جديد تكحل

(٤) في حـ: «أنها تتجمل» وفي ء: «قد تحمل».

(٥) في أ، م، ط،ء: «صواحباتك» وهو صحيح أيضاً، حكى الفارسي عن أبي الحسن: «هن صواحبات يوسف» جمعوا صواحب جمع السلامة.

(٦) كذا في أكثر الأصول. وفي ء، ط: «بحرّ» وحر البلاد (بضم الحاء): وسطها، يقال نزل في حرّ الدار أي في وسطها، وحرّ كل أرض وسطها.

(٧) الملا: المتسع من الأرض.

(٨) تسري: تكشف.

(٩) غضور: مدينة فيما بين المدينة إلى بلاد خزاعة وكنانة، وبهذا شرح ابن السكيت غضور في قول عروة:

عفت بعدنا من أم حسان غضور وفي الرمل منها آية لا تغير

(انظر «معجم البلدان» لياقوت في اسم «غضور»).

(١٠) أنكر صاحب «القاموس» استعمال «عير» متعدياً بالباء وقال: وعيره الأمر ولا تقل بالأمر. وقال صاحب «اللسان»: والعامة تقول عيره بكذا. ولكن المرزوقي في «شرح الحماسة» صرح بأنه يتعدّى بالباء قال: و «المختار» تعديته بنفسه (انظر «شرح القاموس» للسيد مرتضى).

كما أخذنا حسناءَ كرهاً ودمعُها غداةَ اللِّوى معصوبةً يَتَصبَّبُ

خرج ليغير فمنعته امرأته فعصاها وقال في ذلك شعراً:

وقال ابن الأعرابيّ: أَجْدَبَ ناس من بني عَبْس في سنة أصابتهم فأهلكت أموالهم وأصابهم جوعٌ شديد وبؤس، فأتوا عُرْوةَ بن الوَرْد فجلسوا أمامَ بيته، فلمّا بَصُروا به صرَخوا وقالوا: يا أبا الصَّعاليك، أغِثْنا؛ فرَقَّ لهم وخرج ليغزوَ بهم / ويُصيبَ مَعاشاً، فنهتْه امرأته عن ذلك لِمَا تَخوّفتْ عليه من الهلاك، فعصاها وخرج غازياً، فمرّ بمالِك بن حِمَار الفَزاريّ ثم الشَّمْخيّ[1]؛ فسأله: أين يريد؟ فأخبره، فأمر له بجَزُور فنحَرها فأكلوا منها؛ وأشار عليه مالكٌ أن يرجع، فعصاه ومضَى حتّى انتهى إلى بلاد بني القَيْن، فأغار عليهم فأصاب هَجْمَةً[2] عاد بها على نفسه وأصحابه؛ وقال في ذلك:

[٣/٨٢]

أرى أمَّ حَسّانَ الغَداةَ تلُومُني تُخوّفني الأعداءَ والنّفسُ أخوفُ

تقول سُلَيْمَى لو أقمتَ لَسَرَّنا ولم تدرِ أنّي للمُقَام أُطَوِّفُ

لعلَّ الذي خَوّفتِنا مِنْ أمَامِنا يُصادفه في أهله المُتَخَلِّفُ

وهي طويلة.

وقال في ذلك أيضاً:

أليس وَرائي أن أدِبَّ على العصا فيَشْمَتَ[3] أعدائي ويسأَمَني أهلي

رَهينةَ قَعْرِ البيت كلَّ عَشيّةٍ يُطيفُ بي[4] الوِلْدانُ أَهْدَجَ[5] كالرَّألِ

أقيموا بني لُبْنَى صُدورَ رِكابكم فكلُّ مَنَايا النّفس[6] خيرٌ من الهُزْلِ[7]

فإنكمُ لن تبلُغوا كلَّ هِمّتي ولا أرْبى[8] حتّى تَرَوْا مَنْبِتَ الأثْلِ[9]

/ لعلّ ارتيادي في البلاد وحِيلتي[10] وشَدّي حيازيمَ المطيّة بالرَّحْلِ

[٣/٨٣]

سيدفعني يَوماً إلى ربّ هَجْمةٍ يُدافِع عنها بالعُقوق وبالبُخْلِ

---

(١) انظر الكلام عليه في الحاشيتين رقم ٢، ٣ ص ٣٢٩ من الجزء الثاني من هذا الكتاب.

(٢) انظر الكلام عليه في الحاشية رقم ٣ ص ٧٩ من هذا الجزء.

(٣) في «ديوان الحماسة» «فيأمن».

(٤) في «ديوان الحماسة»: «يلاعبني الولدان».

(٥) أهدج: وصف من الهَدَج أو الهَدَجان، وهو اضطراب المشي من الكبر. ولهذا سموا مشية الشيخ هدجاناً. والرأل: ولد النعام أو حوليه. وشبه الشيخ به في مشيته لأن في مشيه ارتعاشاً، يقال: هدج الظليم يهدج هدجاناً إذا مشى وعدا في ارتعاش.

(٦) في ط: «فكل منايا القوم». وفي «ديوان الحماسة»:

* فإن منايا القوم شر من الهزل *

وهو لا يؤدّي المعنى المراد.

(٧) الهزل: الضعف وقلة الشحم واللحم وهو نقيض السمن.

(٨) في ط، ء، أ، م: «أربتي».

(٩) يريد بلاد بني القين وفي «ديوان الحماسة»: «منبت النخل» وهو بيثرب.

(١٠) الرواية فيما تقدّم ص ٧٩: «وبغيتي».

قصته مع هزلي أغار على فرسه:

نسختُ من «كتاب أحمد بن القاسم بن يوسف» قال حدّثني حُرّ[١] بن قَطَن أنّ ثُمَامة بن الوليد دخل على المنصور؛ فقال: يا ثُمامة، أتحفَظ حديث آبن عمّك عُرْوةَ الصّعاليك بن الوَرْد العَبْسيّ؟ فقال: أيّ حديثه يا أمير المؤمنين؟ فقد كان كثير الحديثِ حسَنَه؛ قال: حديثه مع الهذليّ الذي أخذ فرسَه؛ قال: ما يَحْضُرني ذلك فأرْوِيَه يا أمير المؤمنين؛ فقال المنصور: خرج عُرْوةُ حتّى دنا من منازل هُذَيل فكان منها على نحو مِيلَيْن وقد جاع فإذا هو بأرْنَبٍ فرماها ثم أوْرَى ناراً فشَواها وأكَلها ودفَن النّار على مقدار ثلاث أذرُع وقد ذهب اللّيْل وغارت النّجوم، ثمّ أتى سَرْحة[٢] فصَعِدها وتخوّف الطّلَب، فلما تغيّب فيها إذ الخيلُ قد/ جاءت وتخوّفوا البَيات[٣]. قال: فجاءت جماعة منهم ومعهم رجل على فرس فجاء حتى ركز رُمحَه في موضع النّار وقال: لقد رأيتُ النّارَ هاهنا؛ فنزل رجل فحفَر قدرَ ذِراع فلم يجد شيئاً، فأكبّ القومُ على الرّجل[٤] يَعْذُلونه ويَعِيبون أمرَه ويقولون: عنّيْتَنا في مثل هذه اللّيلة القَرّة وزعَمتَ لنا شيئاً كذَبتَ فيه؛ فقال: ما كذبتُ، ولقد رأيت النّار في موضع رُمْحي؛ فقالوا: ما رأيتَ شيئاً ولكن تَحذلُقك[٥] وتَدَهّيك[٦] هو الذي حَملك على هذا، / وما نعجَب إلاّ لأنفسنا حينَ أطعنا أمرَك واتّبعناك؛ ولم يزالوا بالرجل حتّى رجع عن قوله لهم. واتّبعهم عروةُ، حتّى إذا ورَدوا منازلَهم جاء عروة فتكَمّن[٧] في كِسْر[٨] بيت؛ وجاء الرّجل إلى امرأته وقد خالفه إليها عبد أسود، وعُروة ينظُر، فأتاها العبد بعُلْبة فيها لبن فقال: اشرَبي؛ فقالت لا، أوْ تَبدأ، فبدأ الأسود فشرِب؛ فقالت للرجل حين جاء: لعنَ الله صَلَفَك[٩]! عنّيت قومَك منذ اللّيلة؛ قال: لقد رأيتُ ناراً، ثمّ دعا بالعُلبة ليشرب، فقال حين ذهب ليكرَع: ريحُ رجلٍ وربِّ الكعبة! فقالت أمرأته: وهذه أخرى، أيّ[١٠] ريحِ رجلٍ تجده في إنائك غيرَ ريحك! ثم صاحت، فجاء قومها فأخبرتْهم خبره، فقالت: يتّهمني ويظُنّ بي الظُّنون! فأقبلوا عليه باللّوم حتّى رجَع عن قوله؛ فقال عروة: هذه ثانية. قال ثم أوى الرجل إلى فراشه، فوثب عروة إلى الفرس وهو يريد أن يذهب به، فضرب الفرسُ بيده وتحرّك[١١]، فرجع عروة إلى موضعه، ووثَب الرجل فقال: ما كنتَ لتكذّبيني[١٢] فمالكَ؟ فأقبلت عليه امرأته لَوماً وعَذْلاً. قال: فصنع عروة ذلك

١٩٥/٢ — [٣/ ٨٤]

---

(١) في ط، ء: «جزء». وفي أ، م: «جز» بدون همزة. والذي في «شرح القاموس» مادة: قطن «وقطن أبو حرب» وكلاهما محدّث، وورد له ذكر في الطبري قسم ٢ ص ١٩٨٠ طبع أوروبا، فلعل ما هاهنا تحريف عن «حرب».

(٢) السرحة: واحدة السرح وهو شجر كبار عظام طوال لا ترعى وإنّما يستظل به، وقيل: السرح كل شجر طال.

(٣) البيات: الإيقاع بالقوم ليلاً من دون أن يعلموا، وهو اسم مصدر لبيت كالكلام من كلم، يقال: بيتنا القوم أي أوقعنا بهم ليلاً وهم لا يعلمون.

(٤) في ء، حـ، ط: «فركب القوم الرجل يعذلونه» والمعنى علوه بعذلهم.

(٥) التحذلق: إظهار الإنسان الحذق، أو ادعاؤه أكثر مما عنده.

(٦) كذا في أكثر النسخ، والتدهي: أن يفعل الإنسان فعل الدهاة. وفي ب، س، حـ: «تداهيك» ولم نجد في «اللسان» ولا في «القاموس» «تفاعل» من هذه المادة.

(٧) كذا في أكثر الأصول. ولم نجد في «اللسان» ولا في «القاموس» «تفعّل» من هذه المادة، وإنما يقال: «كمن» و «اكتمن» أي اختفى. وفي ط: «فتمكن».

(٨) كسر البيت: جانبه.

(٩) كـذا في أكثر النسخ، والصلف: مجاوزة الرجل قدر الظرف وادعاؤه فوق ذلك إعجاباً وتكبراً. وفي ب، س، حـ: «صلبك» بالباء.

(١٠) كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س، حـ: «وأي ريح» بزيادة الواو.

(١١) كذا في أ، م. وفي سائر النسخ: «ونخر».

(١٢) في ب، س: «لتكذبيني» وهو تحريف، والفرس يقع على الذكر والأنثى والمراد به هنا الذكر كما يدل عليه السياق فيما بعد.

ثلاثاً وصنعه[١] الرجل، ثم أوى الرجل إلى فراشه وضجر من كثرة ما يقوم، فقال: لا أقوم إليكَ اللّيلةَ؛ وأتاه عُروة فحال[٢] في متنه وخرج ركْضاً، وركِب الرجلُ / فرساً عنده أنثى. قال عروة: فجعلت أسمَعه خَلْفِي يقول: الحِقِي فإنك من نَسله. فلما انقطع عن البيوت، قال له عُرْوة بن الوَرْد: أيّها الرجل قِفْ، فإنك لو عرفتَني لم تُقْدم عليّ، أنا عروة بن الورد، وقد رأيتُ اللّيلة منكَ عجباً، فأخبرني به وأردَّ إليك فرسك؛ قال: وما هو؟ قال: جئتَ مع قومك حتّى ركزتَ رُمحَك في موضع نارٍ قد كنتُ أوقدتُها فثنَوْك عن ذلك فانثنيتَ وقد صدَقْتَ، ثم اتّبعتُك حتّى أتيتَ منزلَك وبينك وبين النار ميلان فأبصرتَها منهما، ثم شَممتَ رائحةَ رجل في إنائك، وقد رأيتُ الرجلَ حين آثرتْه زوجتُك بالإناء، وهو عبدُك الأسودُ وأظن أن بينهما ما لا تحبُّ، فقلتَ: ريحُ رجلٍ؛ فلم تزل تَثْنِيكَ عن ذلك حتى انثنيتَ، ثم خرجتُ إلى فرسك فأردتُه فاضطرب وتحرّك فخرجتَ إليه، ثم خرجتَ وخرجتَ، ثم أضربتَ عنه، فرأيتُك في هذه الخِصَالِ أكملَ الناس ولكنك تَنْثَنِي وترجعُ؛ فضَحِك وقال: ذلك لأخوال السَّوْء، والذي رأيتَ من صَرَامتي فمن قِبَل أعمامي وهم هُذَيلٌ، وما رأيتَ من كَعَاعَتي[٣] فمن قِبَل أخوالي وهم بطنٌ من خُزاعةَ، والمرأةُ التي رأيتَ عندي امرأةٌ منهم وأنا نازلٌ فيهم، فذلك الذي يَثْنِيني عن أشياءَ كثيرةٍ، وأنا لاحقٌ بقومي وخارجٌ عن أخوالي هؤلاء ومُخَلٍّ سبيلَ المرأةِ، ولولا ما رأيتَ من كَعَاعَتِي لم يقوَ على مناواة قومي أحدٌ من العرب. فقال عروة: خُذْ فرسَك راشداً؛ قال: ما كنت لآخذَه منك وعندي من نسله جماعةٌ مثلُه، فخذه مُباركاً لك فيه. / قال ثُمامةُ: إنّ له عندنا أحاديثَ كثيرةً ما سمعنا له بحديث هو أظرفُ من هذا.

قصة غزوة لماوان وحديثه مع غلام تبين بعد أنه ابنه:

قال المنصورُ: أفَلا أُحدِّثك له بحديثٍ هو أظرف من هذا؟ قال: بلى يا أميرَ المؤمنين، فإن الحديثَ إذا جاء منك كان له فضلٌ على غيره؛ قال: خرج عروةُ وأصحابُه حتى أتى مَاوَانَ / فنزل أصحابُه وكَنَف عليهم كَنِيفاً من الشجر، وهم أصحابُ الكَنِيف الذي سمعتَه قال فيهم:

ألا إنّ أصحابَ الكنيفِ وجدتُهم ... كما الناسِ لمّا أمرَعُوا وتموّلُوا

وفي هذه الغَزَاةِ يقول عروةُ:

أقول لقوم[٤] في الكَنِيفِ تَروّحُوا ... عَشِيّةَ قِلْنَا حولَ ماوانَ رُزَّحِ[٥]

وفي هذه القصيدة يقول:

لِيَبْلُغَ[٦] عُذراً أو يُصِيبَ غَنِيمةً ... ومُبْلِغُ نفسٍ عُذْرَها مِثْلُ[٧] مُنْجِحِ

---

(١) في ب، س: «التكذيبني» وهو تحريف، والفرس يقع على الذكر والأنثى والمراد به هنا الذكر كما يدل عليه السياق فيما بعد.

(٢) كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س، حـ: «ومنعه» بالميم وهو تحريف.

(٣) الكعاعة: الجبن والضعف.

(٣) كذا في أكثر النسخ. وفي «اللسان»: حال في متن فرسه حؤولاً إذا وثب وركب. وفي ب، س: «فجال» بالجيم.

(٤) كذا في حـ. وفي باقي الأصول: «أقول لأصحاب الكنيف...» وفي ط، ء، مع ذكرهما هذه الرواية الأخيرة، زيادة تؤيد رواية حـ وهي: «الرواية أقول لقوم في الكنيف، ليكون رزح محمولاً عليه». وفي «ديوان الحماسة»:

قلت لقوم في الكنيف تروّحوا ... عشية بتنا عند ماوان رزح

(٥) ورزح جمع رازح، والرازح: الهالك هزالاً.

(٦) في الأصل: «التبلغ، ونصيب» والصواب ما أثبتناه لقوله قبل هذا البيت:

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا ... من المال يطرح نفسه أي مطرح

(٧) في ب، س: «منك منجح» وهو تحريف.

ثم مضى يبتغي لهم شيئاً وقد جُهِدُوا، فإذا هو بأبياتِ شَعَرٍ وبامرأةٍ قد خلا من سنِّها وشيخٍ كبيرٍ كالحِقَاء[١] المُلْقَى، فكمَن في كِسْرِ بيتٍ منها، وقد أجدبَ الناسُ وهَلَكتِ الماشيةُ، فإذا هو في البيت بسُحُورٍ ثلاثةٍ مَشْوِيَّةٍ ـ فقال ثُمَامةُ: وما السُّحُور؟ قال: الحلقومُ بما فيه ـ والبيتُ خالٍ فأكلها، وقد مكث قبل ذلك يومين لا يأكل شيئاً فأشبعتْه وقَوِيَ، فقال: لا أُبالِي مَنْ لَقِيتُ بعد هذا. ونظرتِ المرأةُ فظنَّتْ أنّ الكلبَ أكلها فقالتْ للكلب: أفعلتَها يا خبيثُ! وطردَتْه. فإنه لكذلك / إذا هو عند المساء بإبلٍ قد ملأتِ الأُفُقَ وإذا هي تَلتفِتُ فَرَقاً، فعلم أن راعيَها جَلْدٌ [٣/٨٧] شديدُ الضرب لها، فلما أتتِ المُناخَ بركَتْ، ومكَث الراعي قليلاً ثم أتى ناقةً منها فَمَرى[٢] أخلافَها، ثم وضع العُلبةَ على ركبتيه وحلب حتى ملأها، ثم أتى الشيخَ فسقاه، ثم أتى ناقةً أخرى ففعل بها ذلك[٣] وسقَى العجوزَ، ثم أتى أخرى ففعل بها كذلك فشرب هو، ثم ألتفع بثوب واضطجَع ناحيةً، فقال الشيخُ للمرأة وأعجبه ذلك: كيف ترينَ ابني؟ فقالت: ليس بابنك! قال: فابن مَنْ وَيْلكِ؟ قالت: ابنُ عروةَ بن الورد، قال: ومِنْ أينَ؟ قالت: أتذكر يومَ مرَّ بنا يريدُ[٤] سُوقَ ذِي المجاز فقلتَ: هذا عُروة بن الورد، ووصفتَه لي بِجَلَدٍ فإني أستطرفته[٥]. قال: فسكت، حتى إذا نوّم[٦] وثَب عروةُ وصاح بالإبل فاقتطع منها نحواً من النصف ومضى ورجا ألاّ يَتْبَعه الغلام ـ وهو غلام حين بدا شاربهُ ـ فاتّبعه. قال: فاتخذا[٧] وعالجه، قال: فضرب به الأرضِ فيقع قائماً، فتخوّفه على نفسه، ثم واثبه فضرب به وبادره، فقال: إنّي عُروة بن الورد، وهو يريد أن يُعجِزَه عن نفسه. قال: فأرتدعَ، ثم قال مالكَ ويلكَ! لستُ أشكُّ أنك قد سمعتَ ما كان من أمّي؛ قال قلت نعم. فاذهبْ معي أنت وأمك وهذه الإبلُ ودَعْ هذا الرجلَ فإنه لا ينهاك[٨] عن شيء، قال: الذي بقي من عمر الشيخ قليلٌ، وأنا مقيمٌ معه ما بقي، فإن له حقًّا وذِمَاماً، فإذا هلَك فما أسرعَني إليك، وخذ من هذه الإبلِ بعيراً؛ قلتُ: لا يكفيني، إنّ معي / أصحابي[٩] قد خَلَّفتُهم؛ قال: فثانياً، قلت [٣/٨٨] لا؛ قال: فثالثاً، والله لا زِدتُكَ على ذلك[١٠]. فأخذها ومضى إلى أصحابه، ثم إنّ الغلام لَحِقَ به بعد هَلاك الشيخ.

قال: والله يا أمير المؤمنين لقد زيّنّاه عندنا وعظّمنَاه في قلوبنا؛ قال: فهل أعقبَ عندكم؟ قال لا، ولقد كنا نتشاءمُ / بأبيه، لأنه هو الذي أوقعَ الحربَ بين عَبْسٍ وفزارة بمراهنته حُذَيفةَ، ولقد بلغني أنه كان له ابن أسنّ من عروة فكان ١٩٧/٢ يؤثِرُه على عروة فيما يعطيه ويُقَرِّبُه، فقيل له: أتؤثِرُ الأكبرَ مع غناه عنك على الأصغر مع ضعفه! قال: أتَرَوْنَ هذا الأصغرَ! لئن بقي مع ما رأى من شدّة نفسه ليَصيرنّ الأكبرُ عِيَالاً عليه.

---

(١) كذا في أكثر النسخ. والحقاء: الإزار. وفي ب، س، حـ: «كالخباء».

(٢) مري أخلافها: مسح ضرعها لتدرّ.

(٣) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س، حـ: «كذلك».

(٤) كذا في أ، م. وفي أكثر الأصول: «مرّ بنا ونحن نريد».

(٥) كذا في ط، ء. واستطرفته: عددته طريفاً. ولعلها: استظرفته. وفي باقي الأصول: «استطرقته» بالقاف.

(٦) نوّم: مبالغة في نام.

(٧) كذا في ط، ء. يقال اتخذ القوم إذا أخذ بعضهم بعضاً في القتال. وفي حـ: «فاتحدا». وفي باقي الأصول: «فانحدرا».

(٨) كذا في ء وهامش ط. ومعنى لا ينهاك عن شيء أنه لا غناء فيه فلا ينهاك عن تطلب غيره. وفي ب، س: «لا يهنئك» وفي باقي الأصول «لا ينهيك» وكلاهما تحريف.

(٩) في حـ: «أصحاباً».

(١٠) كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س، حـ: «والله لا زدتك على ذلك شيئاً» بزيادة كلمة شيء.

صوت
من المائة المختارة

أزرَى بنا أننا شالَتْ نَعامتُنا ... فخالني دونه بل خِلتُه دوني

فإن تُصِبكَ من الأيام جائحةٌ ... لم أبكِ منك على دنيا ولا دينِ

الشعر لذي الإصبع العَدْوانيّ، والغناء لِفيلٍ[1] مولى العَبَلات هزجٌ خفيفٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. معنى قوله أزرَى بنا: قَصَّر بنا، يقال: زَرَيتُ عليه إذا عِبتَ عليه فِعلَه، وأزريتُ به إذا قَصَّرتَ به في شيء. وشالَتْ نعامتُهم إذا انتقلوا بكُلِّيتهم، يقال: شالَتْ نعامتُهم، وزَفَّ رَألُهمْ، إذا انتقلوا[2] عن الموضع فلم يبق فيه منهم أحد ولم يبق لهم فيه شيء. وخالني: ظنني، يقال: خِلتُ كذا وكذا فأنا أخاله إذا ظننتَه. والجائحة: النازلة التي تجتاح ولا تُبقي على ما نزلَتْ به.



(١) كذا في ط، ء. وفي باقي النسخ «نفيل» بزيادة نون. وقد اضطربت فيه النسخ فيما سيأتي عند ذكر ترجمته، فذكر في ط، ء، «فيل» وفي باقي الأصول «قيل» بالقاف. وستأتي ترجمته في هذا الجزء.

(٢) في ط، ء: «إذا استقلوا».

[٨٩/٣] ٢/٣

/ ذكر ذي الإصبع العدوانيّ ونسبه وخبره

نسبه وهو شاعر فارس جاهلي:

هو حُرْثانُ بنُ الحارث بن مُحرِّثِ بن ثَعْلبَةَ بن سَيّار[١] بن رَبيعة بن هُبيرةَ بن ثعلبةَ بن ظَرِب بن عمرو بن عباد[٢] بن يَشْكُر بن عَدْوانَ بن عمرو بن سَعْد[٣] بن قَيْس بن عَيْلانَ بن مُضَر بن نِزَار، أحدُ بني عَدْوانَ وهم بطنٌ من جَدِيلةَ. شاعرٌ فارسٌ من قُدَماء الشعراء في الجاهلية وله غاراتٌ كثيرةٌ في العرب ووقائعُ مشهورةٌ.

فنيت عدوان فرثاها:

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيعٌ وأبنُ عَمّار والأسديّ، قالوا حدّثنا الحسنُ بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثنا أبو عثمان المازِنيّ عن الأصمعيّ قال:

نزلَت عَدْوانُ على ماء فأحصَوْا فيهم سبعينَ ألفَ غلامِ أغْرَلَ[٤] سِوَى من كان مختوناً لكثرة عددهم، ثم وقع بأسُهم بينهم فتَفَانَوْا فقال ذو الإصبعِ:

صوت

عَـــذِيـــرَ الحـــيّ مِـــن عَـــدْوا ... نَ كـــانـــوا حَيَّـــةَ الأرضِ[٥]

بغَـــى بعضهُـــمُ بعضـــاً ... فلـــم يُبْقُـــوا علـــى بعـــضِ

فقـــد صـــاروا أحـــاديـــثَ ... بـــرَفْـــعِ القـــولِ والخفـــضِ[٦]

/ ومنهـــم كـــانـــت السّـــادا ... تُ والمُـــوفُـــونَ بـــالقَـــرْضِ [٩٠/٣]

ومنهـــم مَـــنْ يُجِيـــزُ النـــا ... سَ بـــالسُّنَّـــةِ والفَـــرْضِ

ومنهـــم حَكَـــمٌ يَقْضِـــي ... فـــلا يُنقَـــضُ مـــا يَقْضِـــي

غنّى في هذه الأبيات مالكٌ ثقيلاً[٧] أوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو.

---

(١) كذا في جميع النسخ. والذي جاء في «شرح ابن الأنباري» على «المفضليات» للضبيّ ص ٣١٣ طبع بيروت: «شبات». وفي «الخزانة» للبغدادي ج ٢ ص ٤٠٨: «شبابة».

(٢) كذا في جميع النسخ. والذي في «شرح المفضليات» و «الخزانة» للبغدادي: «عياذ».

(٣) كذا في أكثر النسخ و «شرح المفضليات» و «الخزانة». وفي ب، س: «سعيد».

(٤) الأغرل: الذي لم يختتن.

(٥) يقول: هات عذراً فيما فعل بعضهم ببعض من التباعد والتباغض والقتل بعد ما كانوا حية الأرض التي يحذرها كل أحد، والعرب تقول للرجل الصعب المنيع الجانب حية الأرض.

(٦) يعني بقوله هذا: أنهم صاروا أحاديث للناس يرفعونها ويخفضونها، ومعنى يخفضونها: يسرونها.

(٧) كذا في ب، س، حـ وفي باقي النسخ: «ثقيل الأول» بالإضافة.

٣/٣ / وأما قولُ ذي الإصبع:

* ومنهم حكَمٌ يَقْضِي *

فإنه يعني عامرَ بنَ الظَّرِب العَدْوانيّ، كان حكماً للعرب تَحْتكِم إليه.

من قرعت له العصا:

حدّثنا محمدُ بن العَبّاس اليَزيديّ عن محمد بن حَبِيبَ قال:

قيسٌ تَدّعِي هذه الحكومةَ وتقول: إنّ عامرَ بنَ الظَّرِب العَدْوانيّ هو الحَكَم وهو الذي كانت العصا تُقرَعُ له، وكان قد كَبِرَ فقال له الثاني من ولده: إنك ربّما أخطأتَ في الحكم فيُحمَلُ عنك؛ قال: فاجعلوا لي أَمارةً أعرِفُها فإذا زُغتُ فسمعتُها رجعتُ إلى الحكم والصواب، فكان يجلس قُدّامَ بيته ويقعدُ ٱبنهُ في البيت ومعه العصا، فإذا زاغ[1] أو هفا قرَع له الجَفْنَةَ فرجع إلى الصواب. وفي ذلك يقولُ المتلمِّسُ:

لِذِي الحِلْمِ قبلَ اليومِ ما تُقرَعُ العصا ... وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا ليَعلَمَا

قال ابنُ حَبِيبَ: وربيعةُ تدّعيه لعبدالله بن عمرو بن الحارث بن هَمّام. واليَمَنُ تدّعيه لربيعةَ بنِ مُخاشِنٍ، وهو ذو الأعواد، وهو أوّلُ من جلس على منبر أو سرير وتكلّم؛ وفيه يقول الأَسْودُ بن يَعْفُر:

ولقد علمتُ لَوَ أنّ علمِي نافِعِي ... أنّ السبيلَ سبيلُ ذِي الأعوادِ

[٩١/٣] / أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ أبو دُلَفَ قال أخبرنا الرِّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال:

زعم أبو عمرو بن العلاء أنه ٱرتحلتْ عَدْوانُ من منزلٍ، فعُدَّ فيهم أربعونَ ألفَ غلام أَقْلَف[2]. قال الرياشيّ وأخبرني رجل عن هِشام بن الكَلْبيّ قال: وقع على إيَادٍ البَقُّ فأصاب كلَّ رجلٍ منهم بقّتَانِ.

استعراض عبد الملك بن مروان أحياء العرب وسؤاله عن ذي الإصبع:

أخبرني أحمد بن عُبَيد[3] الله بن عَمّار قال حدّثني يعقوبُ بن نُعَيم قال حدّثنا أحمدُ بن عُبَيدٍ أبو عَصِيدَة قال أخبرني محمد بن زِيَاد الزِّيَادِيّ، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قال حدّثني عمرُ بن شبة ولم يُسنِدْه إلى أحد وروايتُه أتمّ:

أنّ عبدَ الملك بنَ مَرْوانَ لما قَدِم الكوفةَ بعد قتله مُصعَبَ بنَ الزبير جلس لعرض[4] أحياء العرب - وقال عمرُ بن شبة: إنّ مصعَب بن الزبير كان صاحبَ هذه القصّة - فقام إليه مَعْبدُ بن خالد الجَدَلِيّ، وكان قصيراً دميماً، فتقدّمه إليه رجل منا حسنُ الهيئة؛ قال معبدٌ: فنظر عبدُ الملك إلى الرجل وقال: ممن أنتَ؟ فسكتَ ولم يقل شيئاً وكان منّا، فقلتُ من خلفه: نحن يا أميرَ المؤمنين من جَدِيلَةَ؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال: مِنْ أيّكم ذو الإصبع؟ قال الرجل: لا أدري؛ قلت: كان عَدْوانِيًّا؛ فأقبل على الرجل وتركني وقال: لم سُمِّيَ ذا الإصبع؟ قال الرجل: لا أدري؛ فقلت: نهشتْه حيةٌ في إصبَعه فيبِسَتْ؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال: وبِمَ كان يسمَّى قبل

(١) في حـ، ء: «زل».

(٢) الأقلف: الذي لم يختتن.

(٣) تقدم هذا الاسم غير مرة «أحمد بن عبيد الله». وقد ذكر هنا باتفاق النسخ: «أحمد بن عبدالله».

(٤) في ء، ط: «يعترض».

ذلك؟ قال الرجل: لا أدري؛ قلت: كان يسمَّى حُرْثَانَ؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال: مِنْ أيّ عَدْوانَ كان؟ فقلت مِنْ خَلْفه: من بني ناجٍ الذين يقول فيهم الشاعر:

/ وأما بَنُو ناجٍ فلا تَذْكُرَنَّهُمْ ولا تُتبِعَنْ عَينيكَ ما كان هالكا [٩٢/٣]

إذا قُلْتُ معروفاً لأُصلِحَ بينهم يقول وُهَيبٌ لا أُسالِمُ ذلكا

وروى عمرُ بن شبة: لا أَسْلَم.

فأضحى كظَهر الفحل جُبَّ سَنامُه يَدِبُّ إلى الأعداء أحدَبَ بارِكا

/ فأقبل على الرجل وتركني وقال أَنشِدْني قولَه: [٤/٣]

* عذيرَ الحيِّ من عَدوَانَ *

قال الرجل: لستُ أَرْوِيها؛ قلت: يا أمير المؤمنين إن شئتَ أنشدتُكَ؛ قال: أدْنُ منّي، فإني أَراكَ بقومك عالماً؛ فأنشدتُه:

وليس المرءُ في شيءٍ من الإبرام والنقضِ

إذا أبرم أمراً خا له يَقْضِي وما يَقْضِي

يقولُ اليومَ أُمْضِيه ولا يَمِلكُ ما يُمْضِي

عَذِيرَ الحيّ من عَدوا نَ كانوا حَيَّةَ الأرضِ

بغى بعضُهُمُ بعضاً فلم يُبْقُوا على بعضِ

فقد صاروا أحاديثَ برفع القول والخفضِ

ومنهم كانت الساداتُ والموفُونَ بالقَرضِ

ومنهم حَكَمٌ يَقضِي فلا يُنقَضُ ما يَقضِي

ومنهم من يُجِيزُ النا سَ بالسُّنَّة والفرضِ

وهم مَنْ وَلَدُوا أَشْبَوْا[1] بسرّ الحَسَبِ المَحْضِ

ومِمَّنْ ولدوا عامِـ ـرُ ذو الطول وذو العرضِ[2]

وهم بَوَّوْا[3] ثَقِيفاً دا رَ لا ذُلٍّ ولا خَفْضِ

/ فأقبل على الرجل وتركني وقال: كم عطاؤك؟ فقال: ألفان، فأقبل عليّ فقال: كم عطاؤك؟ فقلت: [٩٣/٣] خمسمائة؛ فأقبل على كاتبه وقال: اجعل الألفين لهذا والخمسمائةَ لهذا؛ فانصرفتُ بها.

وقوله: «ومنهم من يُجيزُ الناسَ» فإنّ إجازةَ الحج كانت لخُزاعةَ فأخذتْها منهم عَدْوانُ فصارت إلى رجل منهم

(١) يقال: أشبى فلان إذا ولد له ولد كيس.

(٢) كذا في ب، س. وفي أ، م: «وممن ولدوا عامر ذا الطول إلخ». وفي ط، ء: «وهم من ولدوا عامر ذا الطول إلخ».

(٣) بوّوا: أنزلوا، والأصل بوأوا، وحذف الهمز للتخفيف.

يقال له أبو سيّارةَ أحدُ بني وَابِش[١] بن زيد[٢] بن عَدْوانَ. وله يقول الراجز:

خَلّوا السبيلَ عن أبي سَيّارَهْ وعن مَوَاليه بني فَزارَهْ

حتى يُجيز سالماً حِمَارَهْ مستقبِلَ الكعبةِ يدعو جارَهْ

قال: وكان أبو سيارة يُجيز الناسَ في الحج بأن يتقدّمَهم على حمارٍ، ثم يَخطُبَهم فيقول: اللهم أصلحْ بين نسائنا، وعادِ بين رِعَائِنا، واجعل المالَ في سُمَحَائنا، أوْفُوا بعهدكم، وأكرِمُوا جارَكم، واقْرُوا ضيفكم، ثم يقول: أشْرِقْ[٣] ثَبِير كيما نُغِيرْ، وكانت هذه إجازتَه، ثم يَنْفِرُ[٤] ويتبعُه الناس. ذكر ذلك أبو عمرو الشَّيْبانيّ والكلبيّ وغيرُهما.

[٣/٩٤] / قصته مع بناته الأربع وقد أردن الزواج:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمرُ بن شبة قال حدّثنا أبو بكر العُلَيْمِيّ قال حدّثنا محمد بن داود الهِشَاميّ قال: كان لذي الإصبع أربعُ بنات وكنّ يُخطَبْنَ إليه فيَعرِضُ ذلك عليهنّ فيَستَحِينَ ولا يزوّجهنّ، وكانت أمُّهنّ تقول: لو زوّجتَهنّ! فلا يَفعلُ. قال: فخرج ليلةً إلى مُتحدَّثٍ لهنّ فاستمع عليهنّ وهنّ لا يعلمْنَ فقلن: تعالَيْنَ نتمنّى ولْنَصْدُقْ، فقالت الكبرى:

ألا ليتَ زوجي من أُناسٍ ذَوِي غِنًى حَديثُ الشباب[٥] طيّبُ الريح والعِطرِ[٦]

طبيبٌ بأدواء النساء كأنّه خليفةُ جانٍ لا ينام على وِتْرِ

/ فقلن لها: أنتِ تُحِبّين رجلاً ليس من قومك. فقالت الثانيةُ:

ألا هل أراها ليلةً وضَجِيعُها أشَمُّ كنصل السيف غَيرُ مُبَلَّدِ

لَصُوقٌ بأكباد النساء وأصلُه إذا ما انتمى من سِرِّ أهلي ومَحْتِدِي

فقلن لها: أنتِ تُحِبّين رجلاً من قومك. فقالت الثالثةُ:

ألاَ لَيْتَه يَمْلاَ الجِفَانَ لضَيْفِه[٧] له جفنةٌ يَشْقَى بها النِّيبُ[٨] والجُزْرُ[٩]

---

(١) كذا في أ، ء، ط. وقد أورد صاحب «القاموس» هذا الاسم في مادة «ويش» قال: «وبنو وابش بن زيد بن عدوان بطن من قيس عيلان». وفي باقي النسخ: «قايش» وهو تحريف.

(٢) كذا في ط، ء، حـ وهو الصواب. وفي باقي النسخ: «يزيد» وهو تحريف.

(٣) هذا مثل، ومعناه ادخل يا ثبير في الشروق وهو ضوء الشمس كما تقول: أشمل أي دخل في الشمال وأجنب أي دخل في الجنوب. وكيما نغير أي كيما نسرع للنحر من قولهم أغار إغارة الثعلب أي أسرع ودفع في عدوه. وثبير: جبل بمكة. قال عمر رضي الله عنه: كان المشركون يقولون ذلك ولا يفيضون، حتى تطلع الشمس فخالفهم رسول الله ﷺ. وهو يضرب في الإسراع والعجلة.

(٤) في ط، ء: «ينفذ» بالذال المعجمة.

(٥) في ب، س، حـ: «حديث شباب».

(٦) في حـ: «والنشر».

(٧) روي هذا الشطر في «الكامل» للمبرد طبع أوروبا ص ٣١٧ هكذا:

* ألا ليته يعطي الجمال بديهة *

(٨) النيب جمع ناب وهي الناقة المسنة، وقيل لها ناب لطول نابها.

(٩) الجزر بضم الزاي وسكن للضرورة جمع جزور، وهي الناقة المجزورة، وإنما عطفت على النيب لأن من الإبل ما يكون جزوراً للنحر لا غير.

لـه حَكَمـات[١] الـدّهـر مـن غيـر كَبْـرة تَشِيـن ولا الفـانـي ولا الضَّـرِعُ الغَمْـر[٢]

/ فقلن لها: أنت تُحبّين رجلاً شريفاً. وقلن للصُّغرى: تمنَّيْ؛ فقالت: ما أريد شيئاً؛ قلن: والله لا تَبْرحِينَ [٩٥/٣] حتّى نعلمَ ما في نفسك؛ قالت: زوج من عُود خيرٌ من قُعود. فلمّا سمع ذلك أبوهنّ زوّجهنّ أربعتَهنّ. فمكَثْنَ بُرهةً ثم أجتمعن إليه، فقال للكبرى: يا بُنيّة، ما مالُكم؟ قالت: الإبل؛ قال: فكيف تجدونها؟ قالت: خير مال، نأكل لحومها مُزَعاً[٣]، ونشرَب ألبانها جُرَعاً، وتحملُنا وضعيفَنا معاً؛ قال: فكيف تَجدين زوجك؟ قالت: خيرُ زوج يُكرم الحَليلة، ويُعطي الوَسيلة[٤]؛ قال: مالٌ عميم وزوجٌ كريم. ثم قال للثانية: يا بُنيّة ما مالُكم؟ قالت: البقر؛ قال: فكيف تَجدونها؛ قالت: خير مال، تألف الفِناء، وتُوَدِّك[٥] السِّقاء، وتملأ الإناء، ونِساءٌ في نساء؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: خير زوج يكرم أهله ويَنْسى فضلَه؛ قال: حَظِيتِ ورضيتِ. ثم قال للثالثة: ما مالُكم؟ قالت: المِعْزَى؛ قال: فكيف تَجدونها؟ قالت: لا بأسَ بها نُولِدها فُطُماً[٦]، ونسلَخها أَدَماً[٧]؛ قال: فكيف تجدين زوجَك؟ قالت: لا بأس به ليس بالبخيل الحَكِر[٨] ولا بالسَّمْح البَذِر، قال: جَدْوَى[٩] مُغْنِية. ثم قال للرابعة: يا بنية، ما مالُكم؟ قالت: الضَّأن؛ قال: وكيف تجدونها؟ قالت: شرّ مال، جُوفٌ[١٠] لا يَشْبَعن، وهِيمٌ[١١] / لا يَنْقَعْن، وصُمٌّ[١٢] لا يَسْمَعن، وأمرَ مُغْوِيَتِهنَّ يَتْبَعن[١٣]؛ قال: فكيف تجدين زوجَك؟ قالت: شرّ زوج، يُكرِم [٩٦/٣] نفسَه ويُهين عِرْسه؛ قال: «أشبه آمراً بعضُ بزّه»[١٤].

وذكر الحسن بن عُلَيل العَنَزي في خبر عَدْوانَ الذي رواه عن أبي عمرو بن العَلاء أنه لا يصحّ من أبيات ذي الإصبَع الضَّادِيّة إلّا الأبياتُ التي أنشدها وأنّ سائرها مَنحولٌ.

(١) كذا في «الكامل» للمبرد طبع أوروبا ص ٣١٧؛ والحكمات جمع حكمة وأصلها الحديدة في اللجام تمنع الفرس من مخالفة راكبه. والمراد بها هنا التجارب لأنها تمنع من ارتكاب ما لا يليق. وفي أكثر الأصول: «به محكمات الشيب». وفي بعضها: «له حكمات الحي» وكلاهما تحريف.

(٢) الضرع: الضعيف، والغمر مثلث الغين: من لم يجرب الأمور.

(٣) مزعاً جمع مزعة بضم الميم وكسرها وهي القطعة من اللحم.

(٤) الوسيلة: ما يتقرّب به إلى الغير. وفي «الكامل» للمبرد: «ويقرب الوسيلة».

(٥) تودّك السقاء: تجعل فيه الودك وهو الدسم.

(٦) جمع فطيم وهو ما يفصل عن الرضاع.

(٧) الأدم: اسم لجمع الأديم وهو الجلد أو الأحمر منه أو مدبوغه.

(٨) الحكر: المستبد بالشيء.

(٩) كذا في جميع النسخ والجدوى: الغناء والنفع. وفي «الكامل» للمبرد طبع أوروبا ص ٣١٨ روى: «جذو مغنية» وقال في تفسيره: الجذو جمع جذوة وأصل ذلك في الخشب ما كان منه فيه نار.

(١٠) جوف: عظام الأجواف.

(١١) الهيم: العطاش واحده أهيم أو هيماء، ولا ينقعن: لا يروين.

(١٢) هذا وارد على وجه التمثيل، وشبهت الضأن بما لا يسمع لبلادتها. والعرب يقولون: أبلد ما يرعى الضأن.

(١٣) قال عليّ بن عبدالله: قلت لأبي عائشة: ما قولها: «وأمر مغويتهن يتبعن» فقال: أما تراهن يمرون فتسقط الواحدة منهن في ماء أو وحل وما أشبه ذلك فيتبعنها إليه. انظر «الكامل» للمبرد طبع أوروبا ص ٣١٨.

(١٤) كذا في الأصول وهي إحدى روايتين، وثانيتهما «أشبه امرؤ بعض بزه» انظر «الكامل» للمبرد ص ٣١٨؛ وفيه: أنه أرسله مثلاً ولم نجده في «مجمع الأمثال» للميداني ولا في «لسان العرب».

خرف وأهتر وقال في ذلك شعراً:

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن عبدالله الحَزَنْبَل قال حدّثني عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ عن أبيه قال: عُمِّر ذُو الإصبَع العَدْوانِي عمراً طويلاً حتى خُرِّف[١] وأُهتر وكان يفرِّق مالَه، فعذَله أصهارُه ولامُوه وأخذوا على يده[٢]؛ فقال في ذلك:

أَهْلَكَنَا اللَّيْلُ والنَّهارُ مَعَا ... والدّهرُ يَغْدُو مُصمِّماً جَذَعا[٣]
فليس فيما أصابني عَجَبٌ ... إن كنتُ شَيباً أنكرتُ أو صَلَعا
وكنتُ إذ رَونقُ الشَّبابِ بهِ ... ماءُ شبابي تَخالُه شِرَعا
والحيُّ فيه الفتاةُ تَرمُقني ... حتّى مضَى شَأوُ ذاك فانقشَعا[٤]

صوت

[٣/٩٧]

إنكما صاحبيّ لم تدَعا ... لَومِي ومَهما أضِقْ فلن تَسَعا
لم تَعقِلا جَفْوةً عليّ ولم ... أشتُم صديقاً ولم أنَلْ طَبَعا[٥]
/ إلاّ بأن تكذِبا عليّ وما ... أملِكُ أن تكذِبا وأن تَلِعَا[٦]

٦/٣

لابن سُرَيج في هذه الأبيات لحَنانِ: أحدهما ثاني ثقيلٍ بالسَّبّابة والبِنصر عن يحيى المكيّ، والآخرُ ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ.

وإنّني سوف أبتدي بنَدًى ... يا صاحبيَّ الغداةَ فآستمِعَا
ثمّ سَلاَ جارتي وكِنَّتَها ... هل كنتُ فيمن أرَاب أو خدَعا[٧]
أو دَعَتاني فلم أُجِبْ، ولقد ... تأمن منّي حَليلتي الفَجَعا[٨]
آبى فلا أقرَب الخِبَاءَ إذا ... ما ربُّه بعد هَدْأةٍ هجعَا
ولا أرُوم الفتاةَ زَوْرتَها ... إن نام عنها الحليلُ أو شَسَعا[٩]
وذاك في حِقبةٍ خَلتْ ومضَتْ ... والدّهرُ يأتي على الفتَى لُمعَا[١٠]

(١) خرف بتثليث الراء: فسد عقله. وأهتر (بالبناء للمفعول فهو مهتر): فسد عقله من الكبر وصار خرفاً، ويقال: أهتر بالبناء للفاعل أيضاً، ولكن الوصف منه مهتر على صيغة اسم المفعول شذوذاً.
(٢) أخذوا على يده: حجروا عليه ومنعوه مما يريد أن يفعل.
(٣) الجذع: الشاب الحدث.
(٤) في ء، حـ: «فانقطعا».
(٥) الطبع: الدنس والعيب.
(٦) تلعا: من الولع وهو الكذب، يقال: ولع يلع ولعاً وولعاناً أي كذب.
(٧) كذا في أ. وفي حـ: «قذعا» وقذع: رمى بالفحش وسوء القول. وفي باقي الأصول: «فدعا» وليس له معنى يناسب المقام.
(٨) في حـ: «الفزعا».
(٩) شسع: بعد.
(١٠) لمعا: ألواناً لاختلاف ما يأتي به من خير وشر. واللمع: واحدته لمعة وهي كل لون خالف لوناً آخر.

إن تَـزْعُمـا أنّنـي كبِـرتُ فلـم ... أُلْـفَ ثقيـلاً نِكْسـاً ولا وَرَعـا[(١)]

إمّـا تَـرَيْ شِكّتـي[(٢)] رُمَيْـحَ أبـي ... سعـدٍ فقـد أحمِـلُ السّلاحَ معَـا

/ أبو سعد: ابنُه، ورُمَيحٌ: عصاً كانت لأبنه يلعَبُ بها مع الصِّبْيان يُطَاعِنُهم بها كالرُّمح، فصار يَتوكّأ هو عليها [٩٨/٣] ويقُوده ابنه هذا بها[(٣)].

السّيـفُ والـرّمـح والكِنـانـةُ قـد ... أكملـتُ فيهـا مَعَـابِـلاً[(٤)] صُنُعَـا[(٥)]

والمُهْـرُ صـافِـي الأدِيـم أصنَعُـه[(٦)] ... يَطِيـر عنـه عِفَـاؤه قَـزَعَـا[(٧)]

أقْصِـرُ مِـن قَيْـده وأودَعُـه ... حتّـى إذا السِّـرب رِيـعَ أو فَـزِعَـا

كـان أمـام الجِيـاد يَقْـدُمهـا ... يَهُـزُّ لَـدْنـاً وجُـؤجُـؤاً تَلِعَـا[(٨)]

فغـامَـس[(٩)] المـوتَ أو حَمَـى ظُعُنـاً[(١٠)] ... أو رَدّ نَهْبـاً لأيّ ذاك سعـى

وصيته لابنه عند موته:

قال أبو عمرو: ولمّا احتضِر ذو الإصبع دعا ابنه أسيداً[(١١)] فقال له: يا بُنيّ، إن أباك قد فنِي وهو حيّ وعاش حتّى سَئم العيشَ، وإنّي مُوصِيك بما إن حفِظتَه بلغتَ في قومك ما بلَغتُه، فاحفَظ عنّي: ألِن جانبَك لقومك يحبّوك، وتواضَعْ لهم يرفعوك، / وابسُط لهم وجهَك يُطيعوك، ولا تَستأثِر عليهم بشيء يُسوّدوك؛ وأكرِم صِغارهم كما تُكرم [٩٩/٣] كبارَهم يكرمْك كبارُهم ويكبَرْ على مودّتك صغارُهم، واسمَح بمالك، واحْمِ حَريمَك، وأعزِزْ جارَك، وأعِن مَن استعان بك، وأكرِم ضيفَك، وأسرِع النّهضة[(١٢)] في الصّريخ، فإن لك أجلاً لا يَعْدُوك، وصُنْ وجهَك عن مَسألة أحد شيئاً، فبذلك يتم سُودَدُك؛ ثم أنشأ يقول:

---

(١) النكس: الرجل الضعيف الذي لا خير فيه. والورع: الضعيف لا غناء عنده.
(٢) الشكة: السلاح.
(٣) في «لسان العرب» مادة رمح: «وأخذ الشيخ رميح أبي سعد: اتكأ على العصا من كبره»، وأبو سعد أحد وفد عاد، وقيل هو لقمان الحكيم، قال:

إما تري شكّتي رميح أبي ... سعد فقد أحمل السلاح معا

وقيل: «أبو سعد كنية الكبر». وفي «القاموس» مادة رمح مثل هذا الذي ذكره صاحب «اللسان» في تفسير «رميح أبي سعد». ولم يرد فيهما شيء مما ذكره أبو الفرج.
(٤) كذا في أكثر الأصول. والمعابل: جمع معبلة وهي نصل عريض طويل. وفي ب، س، حـ: «مقابلاً» وهو تحريف.
(٥) صنعاً: جمع صنيع وهو المجرّب المجلوّ، يقال: سيف صنيع وسهم صنيع أي مجرب مجلوّ.
(٦) أصنعه: أحسن القيام عليه، يقال: صنعت فرسي صنعاً وصنعة أي أحسنت القيام عليه.
(٧) العفاء: الشعر الطويل. والقزع: القطع المتفرقة، وكل شيء يكون قطعاً متفرقة فهو قزع.
(٨) اللدن: اللين من كل شيء، ولعل المراد منه هنا الكفل. والجؤجؤ: الصدر. وتلع: منبسط.
(٩) غامس الموت: ورده.
(١٠) ظعناً: جمع ظعينة وهي الزوجة، يقال: هي ظعينة فلان أي زوجته، وهؤلاء ظواعنه أي نساؤه، وسميت الزوجة ظعينة لأن الرجل يظعن بها.
(١١) سمي بأسيد كزبير وبأسيد كأمير، ولم نعثر على نص خاص في هذا الاسم.
(١٢) استعمل ابن جني أسرع متعدياً فقال: «ويسرع قبول ما يسمعه» قال صاحب «اللسان»: فهذا إما أن يكون يتعدى بحرف وبغير حرف، وإما أن يكون أراد إلى قبول فحذف وأوصل.

أَلْسيدُ إنْ مالاً مَلَكْـ ... ـتَ فسِرْ به سَيراً جميلاَ

آخِ الكِرامَ إن استطعْـ ... ـتَ إلى إخائهمُ سبيلاَ

واشْرَبْ بكأسهمُ وإن ... شرِبوا به السُّمَّ الثَّميلاَ[1]

أَهِنِ اللِّئام ولا تكن ... لإخائهم جَمَلاً ذَلُولاَ

إنَّ الكرام إذا تُوا ... خِيهمْ وجدتَ لهم فُضولاَ[2]

ودَعِ الذي يَعِدُ العَشِيـ ... ـرةَ أن يسيلَ ولن[3] يَسيلا

/ أبُنَيَّ إن المال لا ... يَبْكِي إذا فقَد البخيلا ٧/٣

صوت

أَلْسيدُ إن أزمعتَ من ... بلدٍ إلى بلدٍ رَحيلا

فاحفظْ وإن شَحَط المزَا ... رُ أخا أخيك أو الزَّميلا[4]

/ واركَبْ بنفسك إن هَمَمْـ ... ـتَ بها الحزونةَ والسّهولا [٣/١٠٠]

وصِلِ الكرام وكُن لمن ... ترجو مَودّته وَصولا

الغناء للهُذَليّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو.

ودَعِ التَّوانِيَ في الأمو ... رِ وكُن لها سَلِساً ذَلُولاَ

وابسُطْ يمينَكَ بالنَّدَى ... وامْدُدْ لها باعاً طويلاَ

وابسُطْ يَدَيكَ بما ملكْـ ... ـتَ وشَيِّدِ الحسَبَ الأثِيلاَ

واعْزِمْ إذا حاولتَ أمـ ... ـراً يَفْرِجُ الهمَّ الدَّخِيلاَ

وابذُلْ لِضَيفكَ ذاتَ رَحْـ ... ـلِكَ[5] مُكرِماً حتى يَزُولاَ

واحلُلْ على الأيْفاعِ للـ ... ـعافِينَ واجْتَنِبِ المَسِيلاَ

وإذا القُرُومُ تخاطرَتْ ... يوماً وأرعَدَتِ الخَصِيلاَ[6]

فاهصِرْ كهَصْرِ الليث خَضْـ ... ـبَ[7] مِن فَرِيستِه التَّلِيلاَ[8]

---

(١) الظاهر أن الثميل هنا الناقع، ولكنا لم نجد في كتب اللغة التي بأيدينا الثميل بهذا المعنى، وإنما الوارد الثمال، بضم أوّله، والمثمل وهو السم المنقع أي الذي أنقع فبقي وثبت.

(٢) كذا في ط، ء. والفضول: جمع فضل، وفي باقي الأصول: «قبولاً».

(٣) كذا في أكثر الأصول. وفي، ط، ء: «ولا».

(٤) كذا في أكثر الأصول، والزميل: الرفيق في السفر الذي يعينك على أمورك. وفي ط، ء، أ: «النزيلا».

(٥) الرحل: المثوى والمنزل.

(٦) الخصيل: جمع خصيلة وهي كل لحمة فيها عصب.

(٧) في ء، ط: «يخضب».

(٨) كذا في أكثر النسخ. والتليل: العنق. وفي ء، ط: «الغليلا» والغليل: الشعر المجتمع.

وانـــزِلْ إلـــى الهيجَـــا إذا أبطـــالُهـــا كَـــرِهـــوا النـــزولاَ
وإذا دُعِيـــتَ إلـــى المُهِـ ـــمّ فكـــن لِقَـــادِحِهِ حَمُـــولاَ

استنشد معاوية قيساً شعره وزاد في عطائه:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَرِيُّ عن العُتْبِيّ قال:

جرى بين عبدالله بن الزُّبَير وعُتْبَةَ بنِ أبي سُفْيان لِحَاءٌ[1] بين يدي معاوية، فجعل ابن الزبير يَعدِلُ بكلامه عن عُتبَةَ ويُعَرِّضُ بمعاويةَ، حتى أطال وأكثر [من ذلك][2]، فألتفتَ إليه معاويةُ متمثّلاً وقال:

/ ورامٍ بعُـوراِنِ[3] الكـلام كـأنهـا نـوافِـرُ صُبـحٍ نفَّـرتْهـا المـراتِـعُ [١٠١/٣]
وقـد يَـدْحَضُ[4] المرءُ المُوارِبُ بالخَنَا وقـد تُـدرِكُ المـرءَ الكـريـمَ المصَـانِـعُ

ثم قال لأبن الزُّبَير: مَنْ يقول هذا؟ فقال: ذو الإصبع؛ فقال: أتَرْوِيهِ؟ قال لا؛ فقال: مَنْ هَاهنا يَروِي هذه الأبيات؟ فقام رجل من قيس فقال: أنا أرْوِيها يا أمير المؤمنين؛ فقال: أنشِدْنِي؛ فأنشدَه حتى أتى على قوله:

وسـاعٍ بـرجليـه لآخـرَ قـاعـدٍ ومُعْـطٍ كـريـمٌ ذو يَسَـارٍ ومـانِـعُ
وبـانٍ لأحسـاب الكـرامِ وهـادِمٌ وخـافـضُ مـولاه سَفَـاهـاً ورَافِـعُ
ومُغْضٍ على بعض الخطوب[5] وقد بدَت لـه عَـوْرةٌ مـن ذي القـرابـة ضـاجِـعُ
وطـالـب حُـوبٍ بـاللسـان وقَلْبُـه سِوَى[6] الحقِّ لا تَخفَى عليه الشرائعُ

فقال له معاوية: كم عطاؤك؟ قال: سبعُمائة؛ قال: اجعلوها ألفاً، وقطع الكلام بين عبدالله وعُتْبة.

شعره في ابن عمه وقد عاداه:

قال أبو عَمْرو[7]: وكان لذي الإصبع ابنُ عمّ يُعادِيه فكان يتدسّسُ إلى مكارهِه / ويَمْشِي[8] به إلى أعدائه ويُؤَلِّبُ عليه ويسعى بينه وبين بني عمّه ويَبْغِيه عندهم شرّاً؛ فقال فيه ـ وقد أنشدَنا الأخفشُ هذه الأبياتَ [أيضاً][9] عن ثَعْلب والأَحْول السُّكَري:

/ يـا صـاحِبَـيّ قِفَـا قَليـلا وتَخَبَّـرَا عَنّـي لَمِيسَـا [١٠٢/٣]

(١) اللحاء: المنازعة.
(٢) الزيادة عن ط، ء.
(٣) كذا في أكثر النسخ وكذلك أصلحه الأستاذ الشنقيطي بهامش نسخته طبع بولاق وورد كذلك في «اللسان» مادة عور. وعوران الكلام: ما تنفيه الأذن، الواحدة عوراء (انظر «اللسان» مادة عور) وفي ب، س: «بعورات».
(٤) كذا في ء، ط، أ: «ويدحض: يزلق ويزل». وفي سائر النسخ: «يرخص».
(٥) في ب، س: «الخصوم».
(٦) سوى الحق: وسطه، يعني أن قلبه ملازم الحق.
(٧) كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «ابن عمر».
(٨) في ء، ط: «ويشي».
(٩) الزيادة عن ط، ء.

عمَّنْ أصابتْ قلبَه — في مَرْزِها فغَدَا[١] نَكِيسَا[٢]
ولِيَ ابنُ عمٍّ لا يزا — ل إليَّ مُنكَرُهُ[٣] دَسِيسَا
دبَّتْ له فأحسَّ بعـ — ـد البُرْءِ من سَقَمٍ رَسِيسَا[٤]
إمّا علانيةً وإمّـ — ـا مُخْمَراً[٥] أُكُلاً[٦] وَهِيسَا
إنّي رأيتُ بَني أبيـ — ـك يُحَمْجُونَ[٧] إليّ شُوسَا[٨]
حَنَقاً عليَّ ولن ترى — لِيَ فيهمُ أثراً بَئِيسَا[٩]
أنْحَوْا[١٠] على حُرِّ الوجو — ه بحَدِّ مِنشارٍ[١١] ضَرُوسَا
لو كنتَ[١٢] ماءً لم تكنْ — عَذْبَ المَذَاقِ ولا مَسُوسَا[١٣]
مِلحاً بعيدَ القعرِ قد — فَلَّتْ حجارتُه الفُؤوسَا
مَنّاعُ ما ملكتْ يدا — كَ[١٤] وسائلٌ لَهُمُ نُحُوسَا

[٣/١٠٣] / وأنشدَنا الأخفش عن هؤلاء الرواة بعقب هذه الأبيات ـ وليس من شعر ذي الإصبع ولكنه يشبه معناه ـ:

لو كنتَ ماءً كنتَ غيرَ عَذْبِ — أو كنتَ سيفاً كنتَ غيرَ عَضْبِ
أو كنتَ طِرْفاً كنتَ غيرَ نَدْبِ[١٥] — أو كنتَ لحماً كنتَ لحمَ كَلْبِ

قال: وفي مثله أنشدنا:

(١) في ب، س: «قعدا» وهو تحريف.
(٢) النكيس: المريض.
(٣) في ط، ء: «مثبره». والمثبر: اللسان.
(٤) الرسيس: أول الحمى.
(٥) من أخمر الشيء إذا ستره.
(٦) كذا في ط، ء، والأكل الوهيس: الشديد. وفي باقي النسخ: «كهلا» وهو تحريف.
(٧) كذا في ط، حـ ومعناه يديمون النظر. وقد ورد هذا البيت في «اللسان» في مادة شوس هكذا:

أنى رأيت بني أبيـ — ـك محمجين إليك شوسا

وفي باقي النسخ:

* يحمحمونَ إليّ سوسا*

وهو تحريف.
(٨) الشوس بالتحريك: النظر بمؤخر العين تكبراً أو تغيظاً.
(٩) البئيس: الشديد المكروه.
(١٠) كذا في ء، ط. وفي باقي النسخ: «أنحى».
(١١) المنشار لغة في المنشار.
(١٢) في ط، ء: «لو كنت ماء كنت لا».
(١٣) المسوس: الماء بين العذب والملح.
(١٤) كذا في ط، ء: في باقي الأصول: «يداه».
(١٥) يقال: فرس ندب أي ماض نشيط.

لـو كنـتَ مُخّـا كنـتَ مُخّـا رِيـرَا[١] أو كنـت بَـرْداً كنـتَ زَمْهَـرِيـرا

* أو كنت رِيحاً كانتِ الدَّبورَا *

سبب تفرق عدوان وتقاتلهم:

قال أبو عمرو، وكان السبب في تفرّق عَدْوانَ وقتالِ بعضِهم بعضاً حتى تفانَوْا: أن بني ناج بن يَشْكُر بن عَدْوانَ أغاروا على بني عَوْف بن سعد بن ظَرِب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عَدْوان، ونَذِرتْ[٢] بهم بنُو عوف فاْقتتلوا، فقتل بنو ناج ثمانيةَ نفرٍ، فيهم عُمَيرُ بن مالك سيِّدُ بني عوف، وقتلت بنو عوف رجلاً منهم يقال له سِنانُ بنُ جابر، وتفرّقوا على حرب. وكان الذي أصابوه من بني وائِلة[٣] بن عمرو بن عباد وكان سيّداً، فاصطلح سائرُ الناس على الديات أن يتعاطَوْها ورَضُوا بذلك، وأبى مَرِيرُ بنُ جابر أن يقبلَ بسنان بن جابر ديةً، واعتزل هو وبنو أبيه ومن أطاعهم ومَنْ[٤] والاهم، وتَبِعه[٥] على ذلك كَرِبُ بن خالد[٦] أحد بني عَبْس بن ناج، فمشى إليهما ذو الإصبع وسألهما قبولَ الدية وقال: قد قُتِلَ منّا ثمانيةُ نفر فقبِلْنا الديةَ وقُتِل / منكم رجل فاْقبلوا ديتَه؛ فأبَيا ذلك وأقاما على [٣/١٠٤] الحرب، فكان ذلك مبدأ حربِ بعضِهم بعضاً حتى تفانَوْا وتَقَطَّعُوا. فقال ذو الإصبع في ذلك:

ويـا بُـؤسَ لـلأيّـام والـدّهـرِ هَـالِكَـا وصَـرْفِ اللّيـالـي يَخْتَلِفْـنَ كـذلِكَـا

/ أبعَدَ بنـي نَـاجٍ وسَعْيِـكَ فيهـمُ فـلا تُتبِعَـنْ عينيْـكَ مـا كـان هـالِكَـا ٩/٣

إذا قلـتُ معـروفـاً لأُصْلِـحَ بينهـم يقـولُ مَـرِيـرٌ لا أُحـاوِلُ ذلِكَـا

فـأضحَـوْا كظهـرِ العَـوْدِ جُـبَّ سَنـامُـه تَحُـوم[٧] عليه الطيـرُ أحـدَبَ بـارِكَـا

فـإن تـك عَـدْوانُ بـن عمـرو تفـرّقـت فقـد غَنِيَـتْ[٨] دَهـراً ملـوكـاً هُنـالِكَـا

قصيدته النونية:

وقال أبو عمرو: وفي مَرِير بن جابر يقول ذو الإصبع ـ وهذه القصيدة هي التي منها [الغِنَاء][٩] المذكور ـ وأوّلها:

يـا مَـنْ لقلـبٍ شَـدِيـدِ[١٠] الهـمّ مَحـزُونِ أمسَـى تَـذَكَّـرَ رَيّـا أُمّ هَـارُونِ

أمسَـى تَـذَكَّـرهـا مِـن بعـد مـا شَحَطـتْ والـدَّهـرُ ذو غِلَـظ[١١] حينـاً وذو لِيـنِ

(١) يقال: مخ رير أي فاسد من الهزال.

(٢) يقال: نذر بالشيء أي علمه فحذره.

(٣) في ء، ط: «واثلة».

(٤) كذا في أ. وفي باقي النسخ: «وما».

(٥) في ء، ط: «وتابعه».

(٦) في ء، ط: «جبلة».

(٧) كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «يدب إلى الأعداء أحدب باركاً».

(٨) كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «غيبت».

(٩) التكملة من ط، ء.

(١٠) في «أمالي القالي» ج ١ ص ٢٥٥ طبع دار الكتب: «طويل البث».

(١١) كذا في ب، س، حـ. وفي باقي النسخ و «أمالي القالي»: «ذو غلظة».

فـإنْ يكـنْ حبُّهـا أمسَـى لنـا شَجَنـاً … وأصبحَ الـوَلْـيُ[١] منهـا لا يُـوَاتِينِـي

فقـد غَنِينَـا[٢] وشَمْـلُ الـدارِ يجمعُنـا … أُطِيـعُ رَيَّـا ورَيَّـا لا تُعـاصِينِـي

نَـرمِـي الـوُشـاةَ فـلا نُخْطِـي مَقـاتِلَهُـمْ … بخـالـصٍ[٣] مِـن صفـاءِ الـوُدِّ مَكنـونِ

ولِـي ابنُ عـمٍّ على مـا كـان مـن خُلُـقٍ … مُختلِفَـانِ فـأَقْلِيـهِ[٤] ويَقْلِينِـي

أزرَى بنـا أننـا شـالَـتْ نَعـامتُنـا … فخـالنـي دونـه بـل خِلتُـهُ دونِـي

[٣/١٠٥] لاهِ[٥] ابنُ عمّك لا أفضلتَ في حسَبٍ … شيئاً ولا أنـت دَيَّـانِي[٦] فتَخـزُونِـي

ولا تَقُـوتُ عِيَـالـي يـومَ مَسْغَبَـةٍ … ولا بنفسـكَ فـي العَـزَّاءِ[٧] تكْفِينِـي

فـإن تُـرِدْ عَـرَضَ الـدنيـا بمَنْقَصَتِـي … فـإنّ ذلـك مِمّـا ليـس يُشْجِينِـي

ولا تَـرَى فـيَّ غيـرَ الصَّبـرِ مَنقَصَـةً … ومـا سِـوَاه فـإنّ اللّـهَ يَكفِينِـي

لـولا أواصِـرُ قُـرْبَـى لسـتَ تحفظُهـا … ورَهْبَـةُ اللّـهِ فـي مَـولًـى يُعـادِينِي

إذاً بَـرَيْتُـك بَـرْيـاً لا انجِبَـارَ لـه … إنّـي رأيتُـكَ لا تَنفَـكُّ تَبـرِينِـي

إنّ الـذي يَقبِـضُ الـدنيـا ويبسُطهـا … إن كـان أغنـاكَ عنّـي سـوف يُغْنِينِـي

اللّـهُ يَعلَمُكـم واللّـهُ يَعلَمُنِـي … واللّـهُ يَجـزِيكُـمُ عنّـي ويَجـزِينِـي

مـاذا علـيَّ وإن كنتـم ذوي رَحِمِـي … ألّا أُحِبَّكُـم إن لـم تُحِبُّـونِـي

لـو تَشـربُـونَ دَمِـي لـم يَـرْوَ شَـارِبُكم … ولا دِمـاؤُكُـم جَمْعـاً تُـرَوِّينِـي

ولِـي ابنُ عـمٍّ لـو أنّ النـاسَ فـي كَبِـدي … لَظَـلَّ مُحتَجِـزاً[٨] بـالنَّبْـلِ يَـرْمِينِـي

يـا عمرُو إن لا[٩] تَـدَعْ شَتْمِي ومَنقَصَتِي … أَضْرِبْكَ حتى تقولَ الهامَةُ اسْقُونِي[١٠]

كـلّ امـرِئٍ صـائـرٌ يـومـاً لشِيمَتِـه … وإن تخلَّـقَ أخـلاقـاً إلـى حِيـنِ

إنّـي لَعَمْـرُكَ مـا بَـابِـي بـذِي غَلَـقٍ[١١] … عـن[١٢] الصَّـديـقِ ولا خَيـرِي بمَمْنُـونِ

---

(١) كذا في ء، ط. والولي: القرب. وفي سائر النسخ: «الوأي». والوأي: الوعد.

(٢) غنينا: أقمنا.

(٣) في «أمالي القالي» ج ١ ص ٢٥٥ طبع دار الكتب: «بصادق».

(٤) أقليه: أبغضه.

(٥) أصله: لله ابن عمك، حذفت منه اللام الخافضة.

(٦) الديان: القائم بالأمر. وتخزوني: تسوسني وتقهرني.

(٧) العزاء: الشدّة.

(٨) كذا في ء، ط، والمحتجز: الشادّ مئزره على وسطه وهو كناية عن التهيؤ للأمر والتشمر له. وفي ب، س: «منحجزاً».

(٩) كذا في حـ و «الأمالي» طبع دار الكتب ج ١ ص ٢٥٦، وفي ط، ء: «إنك إن لا تدع إلخ». وفي أ، م: «يا عمرو إن لم تدع إلخ».

(١٠) هذا وارد على ما يزعمه العرب في جاهليتهم من أن روح القتيل الذي لم يدرك بثأره تصير هامة فتزقو عند قبره وتقول: اسقوني اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت.

(١١) الغلق: ما يغلق به الباب.

(١٢) كذا في «المفضليات» ص ٣٢٦ طبع بيروت. وفي جميع الأصول: «على الصديق».

/ ولا لسانِي على الأدنى بمنطَلِقٍ ... بالمنكَرات ولا فَتكِي بمأمُونِ [١٠٦/٣]

لا يُخرِجُ القَسْرُ[١] منّي غير مَغْضبةٍ[٢] ... ولا أَلِينُ لِمَنْ لا يبتغي لِينِي

وأنتمُ مَعْشَرٌ زَيْدٌ على مائةٍ ... فأجمِعُوا أمرَكم شَتّى فكِيدُونِي

فإن علمتُم سبيلَ الرُّشدِ فانطلِقوا ... وإن غَبِيتُم[٣] طريقَ الرشدِ فَأْتُونِي

/ يا رُبَّ ثوبٍ حواشِيه كأوسطِه ... لا عيبَ في الثوبِ من حُسنٍ ومن لِينِ [١٠/٣]

يوماً شَدَدتُ على فَرْغاءَ[٤] فاهقةٍ ... يوماً مِنَ الدّهر تاراتٍ تُمَارِينِي

ماذا عليَّ إذا تدعونَنِي فَزَعاً ... ألاَّ أُجيبَكم إذ لا تُجِيبُونِي

وكنتُ[٥] أُعطيكُم ما لي وأمنحُكم ... وُدِّي على مُثْبَتٍ في الصدر مَكنونِ

يا رُبَّ حَيٍّ شَدِيدِ الشَّغْبِ ذي لَجَبٍ[٦] ... دَعَوْتُ[٧] مِن راهنٍ منهم ومَرهُونِ

رَدَدتُ باطلَهُم في رَأس قائلِهم ... حتى يَظَلُّوا خصوماً[٨] ذَا أفانينِ

يا عَمرُو لو كنتَ لي أَلْفَيْتَني يَسَراً[٩] ... سَمْحاً كريماً أُجَازِي مَنْ يُجَازِينِي

قصيدته في رثاء قومه:

قال أبو عمرو: وقال ذو الإصبع يَرثِي قومَه:

وليس المرءُ في شيءٍ ... من الإبرام والنقضِ

إذا يفعلُ شيئاً خا ... له يَقْضِي وما يَقْضِي

جَدِيدُ العيشِ ملبوسٌ ... وقد يُوشِكُ أن يُنْضَى[١٠]

/ وقد مضى بعض هذه القصيدة متقدّماً في صدر هذه الأخبار، وتمامها: [١٠٧/٣]

وأَمْرَ اليومِ أَصْلِحْهُ ... ولا تَعْرِضْ لما[١١] يَمضِي

---

(١) كذا في ء، ط، حـ و «المفضليات». وفي سائر النسخ: «لا تخرج النفس».

(٢) في «المفضليات»: «مأبية» ومعناه: إذا أكرهت على شيء لم يكن عندي إلا الإباء له.

(٣) كذا في ط،ء. وفي ب، س: «عييتم». وفي «المفضليات» و «أمالي القالي»: «جهلتم».

(٤) كذا في س، والفرغاء: الواسعة والمراد طعنة واسعة، وفي ء، ط: «فوهاء»، والفوهاء: الواسعة. والفاهقة: التي تفهق بالدم أي تصب.

(٥) في ء، ط: «قد كنت».

(٦) اللجب: ارتفاع الأصوات واختلاطها.

(٧) كذا في ط،ء. وفي سائر النسخ: «دعوت».

(٨) كذا في ء، ط و «المفضليات» ص ٣٢٦ طبع بيروت، وفي باقي النسخ: «حصوناً» وهو تحريف.

(٩) اليسر: السهل الانقياد.

(١٠) كذا في ط،ء. وبذلك يكون في هذه الأبيات إقواء، والإقواء: اختلاف يقع في حركة القافية، وأكثر ما يكون ذلك بين الرفع والجر، وأما مخالطة النصب لواحد منهما ـ كما في هذه الأبيات ـ فقليل، وقد استشهد صاحب «اللسان» لهذا القليل بشواهد كثيرة. وفي سائر النسخ: «يغضي».

(١١) كذا في «شعراء النصرانية» طبع بيروت. وفي جميع النسخ: «لمن».

فبينـــا المــرءُ فـــي عَيــشٍ لـــه مـــن عِيشَـــةٍ خَفْـــضِ
أتــــاه طَبَـــقٌ[١] يـــومـــاً علـــى مَـــزْلَقَـــةٍ دَحْـــضِ
وهـــم كـــانـــوا فـــلا تُكْـــذَبْ ذوِي القُـــــوّةِ والنَّهْـــــضِ
وهـــم إن وَلَـــدُوا أَشْبَـــوْا[٢] بِســـرّ الحسَـــب المَحْـــضِ
لهـــم كـــانـــت أعـــالِـــي الأر ض فـــالســـرّان فـــالعِـــرْضِ[٣]
إلـــى مـــا حـــازه الحَـــزْنُ فمـــا أسهـــلَ للحَمْـــضِ[٤]
إلـــى الكَفْـــرَيـــنِ مـــن نخلـ ـــةَ فـــالـــدّاءةِ[٥] فـــالمَـــرْضِ
لهـــم كـــان جِمَـــامُ[٦] المـــا ءِ لا المُـــزْجَـــى[٧] ولا البَـــرْضِ
فكـــان النـــاس إذ هَمُّـــوا بِيُسْـــرٍ خـــاشـــعٍ مُغْضِـــي
تَنَـــادَوْا ثـــم ســـاروا بِـ ـــرئيـــسٍ لهـــمُ مُـــرْضِـــي
[٣/١٠٨] / فمَـــنْ سَـــاجَلَهُـــمْ حـــربـــاً ففـــي الخَيْبَـــةِ والخَفْـــضِ
وهـــم نـــالُـــوا علـــى الشَّنْـــآ نِ والشَّحْنـــاءِ والبُغْـــضِ
مَعَـــالِـــي لـــم ينلهـــا النَّـــا سُ فـــي بَسْـــطٍ ولا قبـــضِ

شعر أمامة بنت ذي الإصبع في رثاء قومها:

قال أبو عمرو: قالت أُمامةُ بنتُ ذي الإصبع وكانت شاعرةً تَرثِي قومَها:

كـم مِـن فَتًـى كـانـت لـه مَيْعَـةٌ[٨] أبلَـجَ مثـلِ القمـرِ الـزاهـرِ
قـد مـرَّتِ الخيـلُ بحـافـاتِـهِ[٩] كمـرِّ غيـثٍ لجِـبٍ[١٠] مـاطِـرِ

(١) الطبق: الشدة، وبه فسر قوله تعالى: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾.
(٢) كذا في «اللسان» مادة «شبا» وفي جميع النسخ:

* وهم من ولدوا أشبوا *

يقال: أشبى فلان إذا ولد له ولدٌ كيّس.
(٣) لم نعثر على السران اسماً لموضع خاص ولعله تثنية السر وهو اسم لمواضع في بلاد العرب (انظر «معجم ياقوت» في اسم السرّ).
والعرض: وادي اليمامة. ويقال لكل واد فيه قرى ومياه: عرض.
(٤) كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «للمحض».
(٥) كذا في ء، ط والداءة (بوزن داعة): اسم للجبل الذي يحجز بين نخلتين الشامية واليمانية من نواحي مكة. وفي باقي النسخ: «فالدارة» بالراء.
(٦) الجمام: جمع جم وهو الكثير من كل شيء.
(٧) المزجى: القليل، ومنه بضاعة مزجاة أي قليلة. والبرض: القليل أيضاً، يقال: ماء برض، في مقابلة ماء غمر. وفي المثل: «برض من عدّ» أي قليل من كثير.
(٨) الميعة: أوّل الشباب وأنشطه.
(٩) كذا في ط، ء، وفي سائر النسخ: «بحافاتهم».
(١٠) يقال: غيث لجب أو سحاب لجب، لما فيه من قعقعة الرعد.

قـد لَقِيَـتْ فَهْـمٌ وَعَـدْوَانُهـا ... قَتْـلاً وهُلْكـاً آخـرَ الغـابـرِ
كـانـوا ملـوكـاً سـادةً فـي الـذُّرَى[١] ... دهـراً لهـا الفَخْـرُ علـى الفـاخِـرِ
/ حتـى تَسَـاقَـوْا كـأسَهـم بينهـم ... بَغْيـاً فَيَـا لِلشَّـارِبِ الخـاسـرِ ١١/٣
بـادُوا فَمَـنْ يَخْلُـلْ بـأوطـانهـم ... يَخْلُـلْ بـرَسْـمٍ مُقْفـرٍ داثِـرِ[٢]

شعره في الكبر:

قال أبو عمرو: ولأمامة ابنته هذه يقول ذو الإصبع ورأته قد نهض فسقط[٣] وتوكّأ على العصا فبكت فقال:

جَـزِعَـتْ أمَـامَـةُ أن مَشَيـتُ علـى العصـا ... وتَـذَكَّـرَتْ إذ نحـن م الفِتْيَـانِ
فَلَقَبْـلَ مـا رام الإلَـهُ بكيـده ... إرَمـاً وهـذا الحـيَّ مِـنْ عَـدْوانِ
/ بعـدَ الحكـومـةِ والفضيلـة والنُّهَـي ... طـاف الـزمـانُ عليهـمُ بـأوانِ [٣/١٠٩]
وتفـرَّقُـوا وتقطَّعـتْ أشـلاؤهـم ... وتبـدَّدُوا فِـرَقـاً بكـلّ مكـانِ
جَـدَبَ البـلادُ فـأُعْقِمَـتْ أرحـامُهُـم ... والـدَّهْـرُ غَيَّـرَهُـمْ مـع الحِـدْثَـانِ
حتـى أبـادَهُـمُ علـى أُخـرَاهُـم ... صَـرْعَـى بكـلِّ نُقَيْـرَةٍ ومَكَـانِ
لا تَعْجَبِـنَّ أُمَـامُ مـن حَـدَثٍ عَـرَا ... فـالـدَّهْـرُ غَيَّـرنَـا مـع الأزمَـانِ

(١) في ب، س: «الورى».
(٢) كذا في ط، والداثر: الدارس العافي. وفي سائر النسخ: «داسر» بالسين وهو تحريف.
(٣) كذا في ط. وفي سائر النسخ: «وسقط» بالواو.

[٣/١١٠]

/ ذكر قيل[١] مولى العبلات

ولاؤه وغناؤه:

قال هارونُ بنُ محمد بن عبد الملك: أخبرني حَمّاد بن إسحاقَ عن أبيه قال:

كان يحيى قَيْل عبداً للثُّرَيَّا ورَضَيًا وأخواتهما بناتِ [عليّ بن][٢] عبدالله بن الحارث بن أُمية الأصغر بن عبد شمس مَوْلَيَاتِ الغَريض.

قال وحدّثني حمّاد قال [حدّثني][٢] أبي قال حدّثني أبنُ أبي جَنَاحٍ قال حدّثنا مقاحف[٣] بنُ ناصِحٍ مولى عبدالله بن عباس قال قال حدّثني هشامُ بن المُرِّيَة ـ وهي أمّه، وهو مولى بني مَخْزُوم ـ قال:

كان يحيى قيل عبداً لأمرأة من العَبَلات، وله من الغناء:

صوت

وأخرجتُها من بطن مكةَ بعد ما ... أَصاتَ المنادِي للصّلاةِ وأَعْتَمَا[٤]

فمرّتْ ببطن اللَّيثِ[٥] تَهْوِي كأنما ... تُبادِرُ بالإصباح نَهْباً مُقَسَّمَا

والشعرُ لأبي دَهْبَلٍ الجُمَحِيّ. وأوّل هذه القصيدة:

* ألا عَلِقَ القلبُ المتيّم كَلْثَمَا *

[٣/١١١] / أبو دهبل الجمحي:

وأخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء قال حدّثني الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني يحيى بن المِقْداد الزَّمْعِيّ قال حدّثني عمّي موسى بن يعقوب الزَّمْعِيّ قال أنشدني أبو دَهْبَلٍ الجُمَحِيّ لنفسه:

ألا عَلِقَ القلبُ المتيَّمُ كَلْثَمَا ... لَجُوجاً ولم يلزَمْ من الحبّ مَلْزَمَا

خَرَجْتُ بها من بطن مكة بعدَ ما ... أصاتَ المنادِي للصّلاة وأعتَمَا

---

(١) تقدّم هذا الاسم في الجزء الثاني من هذا الكتاب واضطربت فيه النسخ فبعضها يذكره «قيل» بالقاف، وبعضها يذكره «فيل» بالفاء، ولم نقف على تحقيقه بالمراجع التي بأيدينا.

(٢) التكملة عن ء، ط.

(٣) كذا ورد هذا الاسم في أكثر النسخ. وفي ء، ط ورد مرسوماً هكذا: «معاحد» ولم نعثر فيما بين أيدينا من المراجع ولا في موالي ابن عباس على من تسمى بذلك، وقد وجد في موالي ابن عباس من اسمه «نافذ» بالفاء والذال المعجمة، فلعله محرّف عنه.

(٤) أعتم: دخل في العتمة وهي ثلث الليل الأول بعد مغيب الشفق.

(٥) كذا في ء، ط، وهو الموافق لما في معجم «ياقوت» من أن الليث (بكسر اللام): واد بأسفل السراة يدفع في البحر أو موضع بالحجاز. وفي باقي النسخ: «البيت».

فما نام مِنْ راعٍ[1] ولا ارتدَّ سامرٌ ... من الحيّ حتى جاوزَتْ بي يَلَمْلَمَا[2]

ومرَّتْ ببطن اللِّيثِ تَهوي كأنها ... تُبادِرُ بالإدلاج نَهْباً مُقَسَّمَا

أجازت على البَزْوَاءِ[3] واللّيلُ كاسرٌ ... جناحَيْنِ بالبزواء وَرْداً[4] وأدْهَمَا

فما ذَرَّ قرنُ الشمسِ حتى تبيّنَتْ ... بِعُلَيِّبَ[5] نخلاً مُشرِفاً ومُخَيَّمَا

ومرّتْ على أشطانِ[6] دُومةَ[7] بالضحى ... فما خزَرَتْ[8] للماء عيناً ولا فَمَا

/ وما شَرِبَتْ حتى ثنيتُ زِمامَها ... وخِفْتُ عليها أن تُخَزَّ[9] وتُكْلَمَا [١١٢/٣]

/ فقلت لها قد تِعْتِ[10] غيرَ ذميمةٍ ... وأصبحَ وادي البِرْكِ[11] غَيْثاً مُدَيَّمَا ١٢/٣

قال فقلت [له][12]: يا عمّ ما كنتَ إلا على الريح! فقال: يابن أخي إنّ عمَّك كان إذا همَّ فعل، وهي العَجَاجَةُ، أمَا سمعتَ قول أخي بني مُرّة[13]:

إذا أقبلَتْ قلتَ مَشْحُونَةٌ ... أقلَّتْ[14] لها الريحُ قِلْعاً[15] جَفُولاً

وإن أدبرتْ قلتَ مَذْعُورةٌ ... من الرُّمْدِ[16] تتبعُ هَيْقاً[17] ذَمُولاً

---

(١) كذا في «ياقوت» (في الكلام على يلملم) وإحدى روايتي ط. وفي جميع النسخ: (داع).

(٢) يلملم: موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن، وفيه مسجد معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٣) كذا في «معجم ياقوت» في اسم البزواء واستشهد بهذا الشعر. والبزواء: موضع في طريق مكة قريب من الجحفة. وفي ط «النزواء» بالنون والتحريف فيها واضح. وفي باقي الأصول: «السرواء» وهو تحريف أيضاً إذ لم نجد في الأماكن ما يسمى بهذا الاسم.

(٤) الورد: وصف من الوردة وهي لون أحمر يضرب إلى صفرة، يقال: وردُ الفرس يورد وُرْدة وورودة إذا صار ورداً أي كلون الورد وهو ما بين الكميت والأشقر، والمراد بالورد هنا الفجر عند انبثاقه، وبالأدهم آخر ما بقي من سواد الليل.

(٥) كذا في أكثر الأصول، وعليب: موضع بتهامة. وفي ء وإحدى روايتي ط: «بطيبة».

(٦) الأشطان: جمع شطن وهو الحبل الطويل الشديد الفتل يستقى به.

(٧) كذا في أكثر النسخ والظاهر أن المراد به الدومة وهو واد بين المدينة وخيبر به آبار. انظر «معجم ما استعجم» ص ٣٣١، وفي ء، ط: «روقة» بالراء والقاف ولم نجده في أسماء الأماكن.

(٨) كذا في ء، ط، وفي باقي الأصول: «حدرت».

(٩) كذا في ء، وإحدى روايتي ط. وفي باقي النسخ: «تجنّ».

(١٠) كذا في ط وتعت أسرعت في السير، من تاع الماء يتيع تيعاً أي سال على وجه الأرض، وعلى هامش هذه النسخة «تاع يتيع: انقاد». وفي ء: «نغت» بالنون والغين، ولم يظهر له معنى مناسب. وفي باقي الأصول: «بعت».

(١١) كذا في ء، ط وهو كما في «معجم ياقوت»: ناحية باليمن بين ذَهْبان وحَلْي وهو نصف الطريق بين حلي ومكة، وفي باقي الأصول: «البزل» وهو تحريف.

(١٢) الزيادة عن ء، ط.

(١٣) هو بشامة بن عمرو الغدير كما في «معجم ياقوت» والبكري في الكلام على «كشب».

(١٤) في ء، ط: «أطاعت».

(١٥) كذا في ء، ط. والقلع: شراع السفينة، وفي باقي النسخ: «خلعا» وهو تحريف.

(١٦) كذا في ء، ط و «المفضليات» للضبي ص ٨٦ طبع بيروت، والرمد: جمع رمداء وهي النعامة التي فيها سواد منكسف كلون الرماد، وفي باقي النسخ: «الدبر» وهو النحل والزنابير.

(١٧) كذا في ء، ط. والهيق: الظليم وهو ذكر النعام. وفي باقي النسخ: «هيفا» بالفاء وهو تحريف، وذمولاً: سريعاً.

وإن أعرضت[(١)] خال فيها البصيـ ـر ما لا يكلّفه أن يَفِيلا[(٢)]

[٣/١١٣] / يدا[(٣)] سرحا مائرا[(٤)] ضبعها تسوم[(٥)] وتقدم رجلا زجولا

فمرّت على كشب[(٦)] غدوة ومرّت فويق أريك[(٧)] أصيلا

تخبّط بالليل حزّانة[(٨)] كخبط القويّ العزيز الذليلا

أخبرنا الحرمي قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني ابن[(٩)] أصبغ السلميّ قال: جاء إنسان يغنّي إلى عيّاش المنقريّ بالعقيق فجعل يغنّيه قول أبي دهبل:

* ألا علِق القلبُ المتيمُ كلثما *

وجعل يعيدُه فلما أكثر قال له عيّاشٌ: كم تُنذر[(١٠)] بالعجوزِ عافاكَ اللّهُ! اِسم أمي كلثمُ، قال: وتسمعُ العجوزُ، فقالت: لا والله ما كان بيني وبينه شيء. قال: ومن غنائه:

[٣/١١٤] / أزرى بنا أننا شالت نعامتنا فخالني دونه بل خلته دوني

فإن تصبك من الأيام جائحةٌ لا نبك[(١١)] منك على دنيا ولا دينِ

[وأوّل هذه الأبيات فيما أنشدناه عليّ بن سليمان الأخفش عن ثعلب][(١٢)].

صوت
من المائة المختارة

لِيَ ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلقٍ مختلفانِ فأقليه ويَقْلِيني

(١) أعرضت: رأيتها من عرضها وأحد جانبيها.

(٢) كذا في ء، ط، ويفيل: يخطىء، من قال رأيه إذا أخطأ، والمراد أنها إذا رؤيت لم يخطىء البصير في نجابتها. وفي باقي النسخ: «يقيلا» بالقاف وهو تحريف.

(٣) كذا في ء، ط و«المفضليات» للضبي ص ٨٦ طبع بيروت. وفي باقي النسخ: «يد سرح مائر ضبعها».

(٤) يقال: مارت الناقة تمور فهي مائرة إذا كانت نشيطة في سيرها. والضبع: العضد، وقيل: هو ما بين الإبط إلى نصف العضد.

(٥) كذا في ط و«المفضليات» للضبي، وتسوم: تعدو على وجهها، وقيل: تمرّمرا سهلا. وزجولاً بالزاي والجيم من الزجل وهو الدفع، والمراد تدفع نفسها. وفي ب، س: «يسوم ويقدم».

(٦) كذا في «معجم ياقوت» في مادة كشب والبكري، وقد اختلف ضبطه في «ياقوت» و«البكري» و«شرح القاموس» فقد روى بضم أوله وتشديد ثانيه المفتوح كما روى ككتب وككتف وهو جبل مما يلي حدود اليمن. وفي جميع النسخ و«ياقوت» في الكلام على أريك: «فمرت بذي خشب إلخ» وذو خشب: موضع قرب المدينة.

(٧) أريك: جبل في بلاد بني مرة، قال جابر بن حني التغلبي:

تصعّد في بطحاء عرق كأنها ترقى إلى أعلى أريك بسلم

وقال الأخفش: إنما سمي أريكا لأنه جبل كثير الأراك.

(٨) كذا في «المفضليات» و«شرح القاموس» «مادة أرك» والحزان بكسر الحاء وضمها: جمع حزين وهو المكان الغليظ الصلب من الأرض، وفي الأصول: «حزانة» بالتاء المنقوطة وهو تحريف.

(٩) في ء، ط: «أبو الأصبغ».

(١٠) كذا في أكثر الأصول. وفي ء، ط: «كم تنذرنا بالعجوز».

(١١) في ء، ط: «لا أبك».

(١٢) هذه الزيادة عن ط.

لَاهِ ابنُ عمِّكَ لا أفضلتَ في حَسَبٍ عَنّي ولا أنتَ ديّاني فتَخزُوني

غنّى في هذين البيتين الهذليّ ثانيَ[١] ثَقِيل بالوُسْطى.

وقد عَجِبتُ وما في الدّهرِ من عَجبٍ يَدٌ تَشُجُّ[٢] وأخرى منك تأسُوني

صوت

من المائة المختارة

ارفَعْ ضَعِيفَكَ لا يحرْ بكَ ضَعفُه يوماً فتدرِكَه العواقبُ قد نَمَا[٣]

يَجزِيك أو يُثنِي عليك وإنّ مَنْ أثنَى عليكَ بما فَعلتَ فقد جَزَى[٤]

/ [عَروضُه من الكامل][٥]. الشعرُ لغَريض[٦] اليهودي وهو السموءلُ[٧] بن عَادِيَاء، وقيل إنه لأبنه [١١٥/٣] سَعْيةَ[٨] بن غَرِيض، وقيل إنه لزيد[٩] بن عمرو بن نُفَيلٍ، وقيل إنه لورَقَةَ بن نَوْفلٍ، وقيل إنه لزُهَيرِ بن جَنَابٍ[١٠]، وقيل إنه لعامر بن المجنون الجَرْمِيّ[١١] الذي يقال له: مَدْرَجُ الرّيح، والصحيحُ أنه لغَرِيضٍ أو لأبنه.

---

(١) كذا في ء، ط، حـ. وفي باقي الأصول: «غنى في هذين البيتين للهذليّ».

(٢) كذا في ء، ط. وفي باقي الأصول: «تشح» بالحاء وهو تحريف.

(٣) انظر الشرح رقم ٢ صحيفة ١١٧.

(٤) في ط. «كمن جزى».

(٥) الزيادة عن ط، ء.

(٦) كذا ورد هذا الاسم في جميع الأصول بالغين المعجمة وفي «شرح القاموس» مادة عرض ذكر ابنه سعية فقال: «وكزبير سعية بن عريض ويقال بالغين المعجمة أيضاً» وقد جاء في «الإصابة» ج ٣ ص ١٦٧ في الكلام على سعية أنه سعية بن غريض بفتح الغين المعجمة.

(٧) ذكر أبو الفرج هذا الاسم هنا فقال: إن الغريض اليهوديّ هو السموءل بن عادياء وفي ترجمة السموءل ج ١٩ ص ١٨ طبع بولاق قال: إنه السموءل بن غريض بالغين المعجمة، وقال «صاحب معاهد التنصيص شرح شواهد» التلخيص «إنه السموءل بن عريض» بالعين المهملة.

(٨) صحح الأستاذ الشنقيطي في نسخته طبع بولاق هذا الاسم هكذا: سعية بالسين والعين والياء وسعنة بالسين والعين والنون وكتب فوقه كلمة «معاً» إشارة إلى أن كليهما صحيح، وقد ذكرهما كذلك ابن حجر في كتاب «الإصابة»، وجاء في «شرح القاموس» مادة سعى «وسعية بن عريض شاعر». وفي جميع الأصول: «شعبة بن غريض».

(٩) كذا في ء، ط وهو الصواب، وفي باقي النسخ: «يزيد».

(١٠) كذا في ء، ط وهو الصواب. وفي حـ: «خناب». وفي باقي النسخ: «خباب» وكلاهما تحريف.

(١١) كذا في ء، ط بالجيم وهو الصواب كما في «حماسة البحتري» ص ١١٣ طبعة ليدن و «شرح القاموس» مادة «درج». وفي باقي النسخ: «الحرمي» بالحاء وهو تحريف.

[١١٦/٣] / [خبر غَريض(١) اليهودي]

نسبه وأصل قومه:

وغَرِيضٌ هذا من اليهود من ولد الكاهن بن هارون بن عِمْرانَ ﷺ، وكان موسى عليه الصلاة والسلام وجَّه جيشاً إلى العَمَالِيق وكانوا قد طَغَوْا(٢) وبلغت غاراتُهم إلى الشأم وأمرهم إن ظَفِروا بهم أن يَقتلوهم أجمعين، فظَفِروا بهم فقتلوهم أجمعين سوى ٱبن لملِكِهم(٣) كان غلاماً جميلاً فرحِمُوه وٱستبقَوْه، وقَدِموا الشأم بعد وفاة موسى عليه السلام فأخبروا بني إسرائيل بما فعلوه؛ فقالوا: أنتم عصاةٌ لا تَدخلون الشأمَ علينا أبداً،/ فأَخْرَجوهم عنها. فقال بعضهم لبعض: ما لنا بلدٌ غيرُ البلد الذي ظفِرنا به وقتلنا أهلَه؛ فرجعوا إلى يَثْرِبَ فأقاموا بها وذلك قبل ورود الأَوْس والخَزْرَج إياها عند وقوع سَيل العَرِم(٤) باليمن، فمنْ هؤلاء اليهودِ قُرَيظةُ والنَّضيرُ وبنو قَيْنُقَاع وغيرُهم، ولم أجد لهم نسبا فأذكرَه لأنهم ليسوا من العرب فتُدَوِّنَ العربُ أنسابَهم إنما هم حُلفاؤُهم، وقد شَرَحْتُ أخبارَهم وما يُغَنَّى به من أشعارهم في موضع آخر من هذا الكتاب. ١٣/٣

والغناء في اللحن المختار لٱبن صاحبِ الوضوءِ وٱسمه محمد وكنيتُه أبو عبدالله، وكان أبوه على المِيضَأة(٥) بالمدينة فعُرِفَ بذلك، وهو يسيرُ الصناعةِ ليس ممن خَدمَ الخلفاءَ / ولا شُهِرَ عندهم شُهرةَ غيرِه. وهذا الغناء مَاخورِي بالبِنْصر وفيه ليونُس ثاني ثقيل بالبنصر. [١١٧/٣]

نسب له شعر هو لورقة بن نوفل:

أخبرني محمدُ بنُ العباس اليَزيديّ قال حدّثنا الرِّياشيّ وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن الأصمعيّ عن ابن أبي الزِّنَاد عن هِشَام بن عُرْوة قال:

ارفَـعْ ضَعِيفَـك لا يحـرْ بِـكَ ضعفُـه لِغَـريـض اليهـودي

تمثلت عائشة أمام رسول الله ﷺ بشعر نزل بمعناه الوحي:

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ بن شَبة قال حدّثنا أحمد بن عيسى قال حدّثنا مؤمّل بن عبد الرحمن الثَّقَفِيّ قال حدّثني سهل(٦) بن المُغِيرة عن الزُّهْرِيّ عن عروةَ عن عائشة قالت:

(١) الزيادة عن ء، ط.

(٢) كذا في ء، ط وهو الصواب. وفي باقي النسخ: «قطعوا» وهو تحريف.

(٣) كذا في ء، ط. وفي باقي النسخ: «ابن لملك لهم».

(٤) كذا في ء، ط. وفي باقي النسخ: «السيل العرم» بالتعريف فيهما والعرم: اسم واد وقيل: السيل الذي لا يطاق، وقيل: المطر الشديد.

(٥) الميضأة: مطهرة كبيرة يتوضأ منها، والعامة تقول: ميضة.

(٦) في ب، س: «إسماعيل» ولم نجد في الرواة من اسمه سهل بن المغيرة ولا إسماعيل بن المغيرة والظاهر أنه سهل أبو حريز مولى المغيرة، قال عنه ابن حبان يروي عن الزهري العجائب، وله ترجمة في «ميزان الاعتدال» ج ١ ص ٤٣١ وفي «لسان الميزان» ج ٣ =

دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا أتمثّلُ بهذين البيتين:

اِرفَـعْ ضعيفَـك لا يحـرْ بـك ضعفُـه ... يـومـاً فتُـدرِكَـه العـواقـبُ قـد نَمَـا[1]

يَجْـزيـكَ أو يُثنـي عليـكَ وإنّ مَـنْ ... أثنـى عليـكَ بمـا فَعلْـتَ فقـد جَـزَى

فقال ﷺ: «رُدِّي عليّ قولَ اليهوديّ قاتله اللّهُ! لقد أتاني جبريلُ برسالةٍ من ربي: أيُّما رجل صنعَ إلى أخيه صَنيعةً فلم يَجِدْ له جزاءً إلا الثناءَ عليه والدعاءَ له فقد كافأه».

/ قال أبو زيد: وقد حدّثني أبو عثمان محمد بن يحيى أن هذا الشعر لوَرَقَةَ بنِ نَوْفل، وقد ذكر الزُّبَيْر بن بكار [١١٨/٣] أيضاً أنّ هذا الشعرَ لورَقةَ بن نوفل وذكر هذين البيتين في قصيدةٍ أوّلُها:

رَحَلَـتْ قُتيلَـةُ عِيـرَهـا قبـلَ الضحـى ... وأخـالُ أن شَحَطَـتْ بجـارتـكَ[2] النـوَى

أو كُلّمَـا رَحَلَـتْ قُتيلَـةُ غُـدْوَةً ... وغَـدَتْ مُفَـارِقَـةً لأرضهـمُ بكَـى

ولقـد ركِبـتُ علـى السَّفيـنِ مُلجِّجـاً[3] ... أذرُ الصَّـديـقَ وأنتَحِـي دارَ العِـدا

ولقـد دخلـتُ البيـتَ يُخشَـى أهلُـه ... بعـد الهـدوء وبعـد مـا سقـطَ النـدَى

فـوجـدتُ فيـه حُـرَّةً[4] قـد زُيِّنَـتْ ... بـالحَلْـيِ تحسَبُـه بهـا جمـرَ الغَضـا

فنَعِمْـتُ بـالاً إذ أتيـتُ[5] فِـراشَهـا ... وسقطـتُ منهـا حيـن جئـتُ علـى هَـوَى

فلَتِلْـكَ لَـذّاتُ الشَّبَـابِ قَضيتُهـا ... عنّـي فسَـائِـلْ بعضَهـم مـاذا[6] قَضَـى

فـرج[7] الـرِّبـاب فليس يـؤدي فـرجه ... لا حـاجَـةً قَضَّـى ولا مـاءً بغَـى

فـارفَـعْ ضعيفَـكَ لا يحـرْ بـكَ ضعفُـه ... يـومـاً فتـدرِكَـه العـواقـبُ قـد نَمَـا

يَجْـزيـكَ أو يُثْنِـي عليـك وإنّ مَـنْ ... أثنَـى عليـك بمـا فعلـتَ فقد جَزى

= ص ١٢٣.

(١) جاء في الجزء الثالث من «العقد الفريد» لابن عبد ربه صحيفة ١١٩ في باب (فضائل الشعر):

«وسمع النبيّ ﷺ عائشة وهي تنشد شعر زهير بن حباب ـ وصوابه جناب ـ تقول:

ارفع ضعيفك لا يحل بك ضعفه ... يوماً فتدركه عواقب ما جنى

يجزيك أو يثني عليك فإن من ... أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فقال النبيّ ﷺ: «صدق يا عائشة لا شكر الله من لا يشكر الناس» ويرى المتأمل أن في هذه الرواية والبيتين اختلافاً عما هو وارد في «الأغاني».

(٢) كذا في ء، ط، وفي ب، س، حـ: «تجاريك». وفي أ، م: «تحاريك» بالحاء المهملة وكلاهما تحريف.

(٣) ملججا: خائضاً اللجة وهي معظم الماء.

(٤) في ء، ط «طفلة» بفتح الطاء وهي المرأة الناعمة الرخصة.

(٥) في ء، ط: «حين زرت فراشها».

(٦) كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «ما قد قضى».

(٧) هذا البيت ساقط في ء، ط: وقد ورد هكذا في باقي النسخ وهو غير واضح.

[١١٩/٣]

/ ذكر ورقة بن نوفل ونسبه

نسبه وهو جاهلي اعتزل عباد الأوثان:

١٤/٣ هو ورَقةُ بن نَوْفَل بن أسد بن عبد العُزّي بن قُصيّ، وأمه هندٌ بنتُ أبي كَثِير[١] بن عَبْد بن قُصَيّ./ وهو أحدُ مَن اعتزلَ عبادةَ الأوثان في الجاهلية وطلب الدِّينَ وقرأ الكتبَ وامتنعَ من أكل ذبائح الأوثان.

نسبةُ ما في هذا الشعر من الغناء

غيرِ * أرفع ضعيفَكَ... *

صوت

ولقـد طـرقـتُ البيـتَ يُخشَـى أهلُـه ... بعـد الهـدُوء وبعـد مـا سقـطَ النـدَى

فـوجـدتُ فيـه حُـرّةً قـد زُيِّنَـتْ ... بِـالحَلْـي تحسَبُـه بهـا جَمْـرَ الغَضـا

الشعرُ لورقةَ بن نَوْفَل[٢]. والغناء لابن مُحْرِز من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخِنْصر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

أخبرنا الطُّوسيّ قال حدّثنا الزُّبَيرُ بن بَكّار قال حدّثنا عبدُالله بنُ مُعاذٍ عن مَعْمَرٍ عن الزُّهْريّ عن عُرْوةَ بن الزُّبَير قال:

سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن ورَقةَ بن نوفل كما بلَغَنا فقال: «قد رأيتُه في المنام كانّ عليه ثياباً بِيضاً فقد[٣] أظنّ أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياضَ».

[١٢٠/٣] / قال الزبير وحدّثنا عبدالله بن مُعَاذ عن مَعْمَر عن الزُّهريّ عن عائشة:

أنَّ خديجةَ بنتَ خُوَيلدٍ انطلَقتْ بالنبيّ ﷺ حتى أتت به وَرَقَةَ بنَ نَوْفَل بن أَسَد بن عبد العُزّي وهو ابن عمّ خَديجة أخي أبيها، وكان أمرأً تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب[٤] العِبرانيّ فيكتُب بالعبرانيّة من الإنجيل ما شاء أن يكتبَ، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِيَ، فقالت خديجةُ: أي ابنَ عمٍّ، اسمعْ من ابن أخيك؛ قال ورقةُ: يابن أخي

---

(١) في ء، ط: «ابن أبي كبير» بالباء الموحدة.

(٢) ذكر في «شرح شواهد الرضي» أن هذه الأبيات لزيد بن عمرو بن نفيل، وقيل لأمية بن أبي الصلت.

(٣) كذا في ء، ط. وفي باقي النسخ: «فقال» وقد ورد الحديث في ص ٨٨ جزء خامس من «أسد الغابة في معرفة الصحابة» في حديث عائشة قالت: «سئل رسول الله ﷺ عن ورقة فقالت له خديجة: إنه كان صدقك وإنه مات قبل أن تظهر، فقال رسول الله ﷺ رأيته في المنام وعليه ثياب بياض ولو كان من أهل النار لكان عليه لباس غير ذلك»، وقد روى قريباً من ذلك في الجزء السادس من هذا الكتاب ص ٣١٩

(٤) الكتاب: مصدر كالكتابة.

ماذا تَرى؟ فأخبره رسولُ الله ﷺ خبرَ ما رأى فقال ورقةُ: هذا الناموسُ[١] الذي أنزله الله تبارك وتعالى على موسى؛ يا ليتني فيها جَذَع[٢]، ليتني أكون حياً إذ يُخرجُكَ قومُكَ؛ قال رسول الله ﷺ: «أوَ مُخْرِجيّ هم» قال ورَقةُ: نعم، لم يأت رجل قطُّ بمثلِ[٣] ما جئتَ به إلا عُودِيَ، وإن يُدرِكْنِي يومُكَ لأنصرنَّكَ نصراً مُؤزَّراً، ثم لم يَنشَبْ ورَقةُ أن تُوُفّيَ.

رأى بلالاً يعذب لإسلامه فقال شعراً:

قال الزُّبَيْر حدّثني عثمان عن الضحّاك بن[٤] عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال قال عروة: كان بِلَالٌ لجاريةٍ من بني جُمَح بن عمرو، وكانوا يعذِّبونه برَمْضاء[٥] مكة، يُلْصِقون ظهرَه بالرَّمْضاء لِيُشرِكَ بالله؛ فيقول: أحدٌ أحدٌ؛ فيمرّ عليه وَرَقة / بن نوفل وهو على ذلك يقول: أحد أحد، فيقول ورقة بن نوفل: أَحَدٌ أَحَدٌ والله يا بلال! [٣/١٢١] والله لئن قتلتموه لاتّخذتّه حَنَاناً[٦] كأنه يقول: لأتَمسّحنّ به. وقال وَرَقة بن نوفل في ذلك:

لقد نَصَحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم ... أنا النذيرُ فلا يَغرُرْكُمُ أحَدُ

لا تَعبُدُنّ[٧] إلَهاً غيرَ خالقكم ... فإن دَعَوْكم فقولوا بيننا حَدَدُ[٨]

سُبحانَ ذي العرشِ سبحاناً نعوذ به ... وقبلُ قد سبّح الجُوديّ والجُمُدُ[٩]

مُسَخَّرٌ كلُّ ما تحت السماءِ له ... لا ينبغي أن يُناوِي مُلكَهُ أحَدُ

لا شيءَ مما ترى تبقَى بَشَاشتُهُ ... يبقَى الإلهُ ويُودِي المالُ والوَلَدُ

لم تُغْنِ عن هُرْمُزٍ يوماً خزائنُه ... والخُلْدَ قد حاولتْ عادٌ فما خَلَدُوا

ولا سُلَيمانَ إذ دانَ الشُّعُوبُ له ... والجنُّ والإنسُ تَجْرِي بينها البُرُدُ[١٠]

---

(١) الناموس في الأصل: صاحب السر أو صاحب سر الوحي، والمراد به جبريل عليه السلام.

(٢) الجذع: الشاب الحدث، أي يا ليتني أكون شاباً حين تظهر نبوّته حتى أبالغ في نصرته.

(٣) كذا في «صحيح البخاري». وفي جميع الأصول: «بما جئت إلخ».

(٤) كذا في ء، ط وسيذكر كذلك أكثر من مرة باتفاق الأصول، وفي أكثر الأصول هنا، «الضحاك عن عثمان عن عبد الرحمن...» وهو تحريف. والضحاك بن عثمان إما أن يكون الضحاك بن عثمان بن الضحاك بن عثمان المتوفى سنة ثمانين ومائة وهو الذي وصفه الزبير بن بكار بأنه كان علامة قريش بأخبار العرب وأيامها وأشعارها وأحاديث الناس وهو الذي يروي الزبير بن بكار عن ابنه محمد كما سيأتي في ص ١٢٣، وإما أن يكون الضحاك بن عثمان جده المتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائة، لأن كلاً منهما عاصر عبد الرحمن بن أبي الزناد الذي ولد سنة مائة وتوفي سنة أربع وسبعين ومائة.

(٥) الرمضاء: الأرض الحامية من شدة حر الشمس.

(٦) شرح «اللسان» هذه العبارة في مادة «حنن» فقال: الحنان: الرحمة والعطف، والحنان: الرزق والبركة؛ أراد لأجعلن قبره موضع حنان أي مظنة من رحمة الله تعالى فأتمسح به متبركاً كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا في سبيل الله من الأمم الماضية فيرجع ذلك عاراً عليكم وسبة عند الناس، وضعف هذا الحديث بأن ورقة مات قبل مبعث النبي ﷺ وبلال ما عذب إلا بعد أن أسلم، وهو ضعيف الإسناد لأنه مرسل وعروة تابعي لم يدرك عصر النبوة.

(٧) في ب، س، أ، م: «لا تعبدون».

(٨) كذا في ط، و «اللسان» مادة «حدد»، والحدد (بالتحريك): المنع، يقال: دونه حدد أي منع. وفي باقي الأصول: «جدد» بالجيم وهو تحريف.

(٩) في أ، م، حـ: «نعود له» وهي رواية الرياشي: أي نعاوده مرة بعد أخرى، وفي «اللسان» في مادتي جود وجمد: «يعود له» وفي «معجم ياقوت»: «يدوم له» والجودي: جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام، والجمد: جبل بنجد.

(١٠) البرد: جمع بريد وهو الرسول: وقد ورد البيت الثالث من هذه الأبيات في «كتاب سيبويه» غير معزو لأحد ذهب أكثر شراحه إلى أنه لأمية بن الصلت وقال بعضهم: إنه لزيد بن عمرو بن نفيل، وصوّب البغدادي في «الخزانة» ج ٢ ص ٣٩ أن هذا الشعر لورقة بن =

[١٢٢/٣] $\frac{١٥}{٣}$ /. مدح النبيّ ﷺ له والنهي عن سبه:

قال الزبير حدّثني عمي قال حدّثنا الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن هشام بن عروة:

أنّ رسول الله ﷺ قال لأخي ورقة بن نوفل أو لابن أخيه: «شَعَرتُ أنّي قد رأيتُ لوَرَقةَ جنّةً، أو جنّتين»، يشكّ هشام.

قال عروة: ونَهى رسول الله ﷺ عن سبّ وَرَقة.

وقال الزبير وحدّثني عمّي قال حدّثني الضحّاك عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن هشام بن عُرْوة عن أبيه:

أن خَديجة كانت تأتي ورقةَ بما يُخبرها رسولُ الله ﷺ أنه يأتيه، فيقول ورقة: لئن كان ما يقول حقًّا إنه ليأتيه الناموسُ الأكبر ناموسُ عيسى ابن مريم الذي لا يجيزه أهل الكتاب إلا بثمن[١] ، ولئن نَطَق وأنا حيٌّ لأُبْلِيَنّ فيه لله بَلاَءً حَسَناً.



=: نوفل كما نسبه إليه السهيلي والحافظ الكلاعي في سيرته.

(١) هذه الكلمة محرفة في جميع الأصول ولها أشكال متباينة لم نتبين تصويبها. وفي «شرح المواهب اللدنيّة» للزرقاني ج ١ ص ٢٥٩ طبع بولاق: «إنه ليأتيه ناموس عيسى الذي لا يُعَلِّمه بنو إسرائيل أبناءهم».

/ خبر زيد بن عمرو ونسبه [٣/ ١٢٣]

نسبه من قبل أبويه:

هو زيد بن عَمْرو بن نُفَيْل بن عبد العُزّي بن رِيَاح[١] بن عبدالله بن قُرْط بن رَزَاح بن عَدِيّ بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب. وأمه جَيْداء بنت خالد بن جابر بن أبي حَبِيب بن فَهْم. وكانت جيداء عند نُفَيل بن عبد العُزّي فولدت له الخَطّابَ أبا عُمَر بن الخطّابِ وعبدَنُهْم[٢]، ثم مات عنها نُفَيْل فتزوّجها[٣] أبنُه عمرو فولدتْ له زيداً، وكان هذا نِكاحاً يَنْكِحه أهلُ الجاهليّة.

اعتزل عبادة الأوثان وكان يعيب قريشاً:

وكان زيد بن عمرو أحدَ مَنِ اعتزل عبادةَ الأوثان وامتنع من أكل ذبائحهم، وكان يقول: يا معشر قريش، أيُرسِلُ الله قَطْرَ السماء ويُنبت بَقْل الأرض ويَخْلُق السائمةَ فترعَى فيه وتذبحوها[٤] لغيره[٥]! واللّهِ ما أعلمُ على ظهر الأرض أحداً على دين إبراهيم غيري.

أخرجه عن مكة خطاب بن نفيل وقريش لمخالفته دينهم:

أخبرنا الطُّوسِيُّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني عمّي مصعَب بن عبدالله ومحمد بن الضحّاك عن أبيه، قالا:

كان الخَطّابِ بن نُفَيل قد أخرج زيدَ بن عمرو من مكة وجماعةٌ من قريش ومنَعوه أن يدخُلها حين فارق أهلَ الأوثانِ، وكان أشدُّهم عليه الخَطّابَ بن نُفَيل. / وكان زيد بن عمرو إذا خلَص إلى البيت استقبله ثم قال[٦]: لَبَّيْكَ [٣/ ١٢٤] حَقّاً حقّاً، تَعَبُّداً ورِقّاً، البِرَّ[٧] أرجو لا الخالَ[٨]، وهل مُهَجِّرٌ[٩] كمن قال[١٠] [ثم يقول][١١]:

عُذْتُ بما عاذَ به إبراهيمُ   مُسْتَقْبِلَ الكعبةِ وهو قائمُ

(١) كذا في «شرح القاموس» مادة روح فقد ذكر أسماء من تسموا برياح ككتاب وعدّ هذا منها. وفي ب، س، ء: «رباح» بالباء الموحدة. وفي سائر النسخ: «دياح» بالدال وكلاهما تحريف.

(٢) كذا في ط، ء، وهي محرّفة في سائر النسخ، ونهم بالضم: شيطان أو صنم لمزينة، وبه سموا «عبدنهم».

(٣) في ط: «فتزوّجت ابنه عمراً».

(٤) في ط، ء: «وتذبحونها».

(٥) كذا في ط، ء. وفي سائر النسخ: «لغير الله».

(٦) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «ثم قال: يا مولاي لبيك... إلخ».

(٧) البر: الطاعة والخير.

(٨) الخال: الخيلاء.

(٩) المهجر: السائر في الهاجرة.

(١٠) قال: أقام في القائلة.

(١١) زيادة في ط، ء.

يقـول أنفِـي[١] لـك عَـانٍ راغـمُ ... مهمـا تُجَشِّمْنـي فـإنّـي جَـاشِـمُ[٢]

ثم يسجد. قال محمد بن الضحّاك عن أبيه: [و][٣] هو الذي يقول:

لاَ هُـمّ إنّـي حَـرَمٌ لا حِلّـهْ[٤] ... وإنّ داري أوسـط المَحَلّـهْ

* عند الصَّفَا ليست بها مَضَلّهْ *

شعره في ترك عبادة الأوثان:

قال الزبير وحدّثني مصعب بن عبدالله عن الضحاك بن عثمانَ عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال هشام بن عُروة عن أبيه عن أسماءَ بنت أبي بكر أنها قالت: قال زيد بن عمرو بن نُفَيْل:

عـزلـتُ الجـنَّ والجِنّـانَ عنّـي[٥] ... كـذلـك يفعـل الجَلْـدُ الصَّبُـورُ

[١٢٥/٣] / فـلا العُـزَّى أدِيـنُ ولا ابنتَيْهـا ... ولا صَنَمَـيْ بنـي غَنْـمٍ[٦] أزورُ[٧]

١٦/٣ / ولا هُبَلاً[٨] أدِيـنُ وكـان رَبّـاً ... لنـا فـي الـدهـر إذ حِلمِـي صغيـرُ

أربّـاً واحـداً أم ألـفَ ربٍّ ... أديـنُ إذا تُقُسِّمـتِ الأُمـورُ

ألـم تعلَـمْ بـأنّ اللّـهَ أفنَـى ... رجـالاً كـان شـأنَهُـمُ الفُجـورُ

وأبقَـى آخـريـن بِبِـرِّ قـومٍ ... فيـربـو منهـم الطفـلُ الصغيـرُ

وبينـا المـرء يَعْثُـرُ ثـابَ[٩] يومـاً ... كمـا يتـروّح الغُصـنُ النّضيـرُ

فقال وَرَقة بن نَوْفَل لزيد بن عمرو بن نُفَيْل:

رَشَـدتَ وأنعمـتَ ابـنَ عمـرٍو وإنمـا ... تَجَنّبْـتَ تَنُّـوراً مـن النـار حـامِيَـا

بِـدِينِـك ربّـاً لَيـس رب كَمِثلـهِ ... وتَـرْكِـكَ جِنّـانَ[١٠] الجبالِ كمـا هيَـا

(١) كذا في ط، وهي في بقية الأصول مضطربة ومحرفة.

(٢) جاشم: وصف من جشم الأمر إذا تجشمه وتكلفه على مشقة.

(٣) زيادة في ط، ء.

(٤) كذا ورد «حرم» و «حله» مضبوطين في بعض الأصول، وهذا الضبط هو الذي يتزن به الشعر، فلعلهما مصدران وصف بهما، إذ الوصف الذي ورد في كتب اللغة من هذه المادة في هذا المعنى: «حرم» و «حل» بالكسر و «حرام» و «حلال».

(٥) كذا في جميع الأصول؛ وفي «بلوغ الأرب في أحوال العرب» ج ٢ ص ٢٢٠ طبع مطبعة دار السلام ببغداد:

* تركت اللات والعزى جميعاً *

(٦) كذا في «كتاب الأصنام» لابن الكلبي ص ٢٢ طبع المطبعة الأميرية و «بلوغ الأرب في أحوال العرب»، والذي في الأصول: «بني طسم» وطسم من القبائل البائدة فلم يكن لها في عهد زيد بن عمرو أصنام يهجرها.

(٧) كذا في ط، ء و «كتاب الأصنام» و «بلوغ الأرب» ج ٢ ص ٢٢٠، والذي في بقية الأصول: «أدير».

(٨) كذا في «كتاب الأصنام» لابن الكلبيّ، وهبل كصرد: صنم كان لقريش في الكعبة يعبدونه. وفي ط، ء: «ولا غنماً». وفي باقي الأصول: «ولا غمّاً»، ولم نجد لكليهما مسمى من الأصنام.

(٩) كذا في ط، ء، ورسمت كلمة «ثاب» على وجه تقرأ به «ثاب» و «بات»، وفي بقية الأصول: «فبينا المرء يعثر ذات يوم»، وثاب: عاد إلى ما كان عليه من استقامة.

(١٠) جِنّانُ الجبال: الذين يأمرون بالفساد من شياطين الإنس أو من الجنّ. (انظر «اللسان» مادة جنّ).

أقــول إذا مــا زُرتُ أرضــاً مخــوفــةً حَنَــانَيْــكَ لا تُظْهِــرْ علــيَّ الأعــاديَــا
حَنَــانَيْــكَ إنّ الجنَّ كــانــت رجــاءَهُــمْ وأنــــت إلٰهــي ربَّنـــا ورَجَـــائِيَـــا
أَدِيــــنُ لـــربٍّ يستجيـــبُ ولا أرَى أَدِيــنُ لمــن لا يسمــع الــدهــرَ داعيــاً
أقــولُ إذا صلَّيْــتُ فــي كــلِّ بِيعَــةٍ تبــاركــتَ قــد أكثــرتَ بــأسمــك داعيَــا

يقول: خلقتَ خَلْقاً كثيراً يدعُون بأسمك.

/ قال الزُّبَير وحدّثني مصعَب بن عبدالله قال حدّثني الضحَّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّنَاد عن [١٢٦/٣] موسى بن عُقْبَة قال سمعتُ من أرْضَى يحدِّث:

امتناعه عن ذبائح قريش وقصته مع النبيِّ ﷺ في ذلك:

أن زيد بن عمرو كان يَعِيب على قُرَيش ذبائحَهم ويقول: الشاة خَلَقها اللَّهُ وأنزل من السماء ماءً وأنبتَ لها من الأرض نباتاً ثم تذبحونها على غير اسم الله! إنكاراً لذلك وإعظاماً له.

قال الزبير: وحدّثني مصعَب بن عبدالله عن الضحَّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّنَاد عن موسى بن عُقْبة عن سالم بن عبدالله أنه سمع عبدالله بن عمر يحدِّث عن رسول الله ﷺ: أنه لَقِيَ زيد بن عمرو بن نُفَيل بأسفل بَلْدَح[١]، وكان قبلَ أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحيُ، فقدّم إليه رسول الله ﷺ سُفْرة[٢] فيها لَحم، فأبَى أن يأكُل، وقال: إني لا آكل إلاّ ما ذُكِر آسمُ الله عليه.

اجتمع بالشأم مع يهودي ونصراني فسألهما عن الدين واعتنق دين إبراهيم:

قال الزبير وحدّثني مصعَب بن عبدالله عن الضحَّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّنَاد عن موسى بن عُقْبة عن سالم بن عبدالله قال ـ قال موسى: لا أُراه إلاّ حدّثه عن عبدالله بن عمر ـ:

إن زيد بن عمرو خرج إلى الشّأم يسأل عن الدِّين ويتَّبعه، فلقيَ عالماً من اليهود فسأله عن دِينهم فقال: لعلِّي أدين بدينكم فأخبِرْني بدينكم؛ فقال اليهوديّ: إنّك لا تكون على ديننا حتّى تأخذ بنصيبك من غَضب الله؛ فقال زيد بن عمرو: / لا أفرّ إلاّ من غضب الله وما أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع، فهل تَدُلُّني على دين ليس [١٢٧/٣] فيه هذا؟ قال: ما أعلَمه إلا أن يكون[٣] حَنيفاً؛ قال: وما الحَنيف؟ قال: دينُ إبراهيم؛ فخرج من عنده وتركه. فأتى عالماً من علماء النَّصارَى فقال له نحواً ممّا قال لليهوديّ[٤]، فقال له النَّصرانيّ: إنكَ لن تكون على ديننا حتّى تأخذَ بنصيبك من لعنة الله؛ فقال: إني لا أَمِل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنا أستطيع، فهل تدلُّني على دين ليس فيه هذا؟ فقال له نحواً مما قال اليهوديّ: / لا أعلمه إلا أن يكون حنيفاً؛ فخرج من عندهما وقد رضيَ بما أخبرَاه ١٧/٣ واتّفقا عليه من دين إبراهيم، فلما بَرَز رفع يديه وقال: اللّهم [إنّي][٥] على دين إبراهيم.

(١) بلدح: واد قبل مكة من جهة الغرب. قال ابن قيس الرقيات:

فمني فالجمار من عبد شمس مقفرات فبلدح فحراء

(٢) السفرة: جلد مستدير يحمل فيه المسافر طعامه، وهي في الأصل اسم لنفس الطعام ثم نقلت إلى الجلد لأنه يحمل فيها.

(٣) كذا في ء، ط. وفي سائر الأصول: «تكون» وهو تصحيف.

(٤) كذا في ء، ط. وفي سائر الأصول: «اليهودي» وهو تحريف.

(٥) زيادة في ء، ط.

بلغته البعثة فخرج من الشأم فقتله أهل ميفعة:

قال الزبير وحدّثني مُصعَب بن عبدالله عن الضّحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال قال هشام بن عُرْوةَ:

بلَغنا أنّ زيد بن عمرو كان بالشأم، فلما بلَغه خبرُ النبيِّ ﷺ أقبل يريده فقتله أهل مَيْفَعة[١].

قال عنه النبيّ ﷺ: إنه يأتي يوم القيامة أمة وحده:

قال الزُّبَير وحدّثني مصعَب بن عبدالله عن الضّحاك بن عثمان عن عبد الرحمن ابن أبي الزِّناد عن هشام بنِ عُرْوة عن أبيه عن سَعيد بن زيد بن عمرو قال:

سألت أنا وعمرَ بن الخطّاب رسول الله ﷺ عن زيد فقال: «يأتي يومَ القيامة أمّةً وَحْدَه».

[١٢٨/٣] / وأنشد محمد بن الضحّاك عن الحِزَامِيّ عن أبيه لزيد بن عمرو:

أسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... له المُزْن تحمِل عَذْباً زُلالاَ

وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... له الأرض تَحمِل صَخْراً ثِقالاَ

دَحاها فلما أستوتْ شَدَّها ... سَواءً وأرسَى عليها الجِبَالا

زهير بن جناب وشعره في الكبر:

وأما زُهير بن جَناب الكلبيّ فإنّه أحد المعمَّرين، يقال: إنه عُمِّر مائةً وخمسيْن سنة وهو ـ فيما ذُكِر ـ أحد الذين شربوا الخمر في الجاهليّة حتّى قتلتهم؛ وكان قد بلغ من السنّ الغايةَ التي ذكرناها، فقال ذاتَ يوم: إنّ الحيّ ظاعن، فقال عبدالله [ابن عُلَيم][٢] بن جناب: إن الحي مقيم؛ فقال زُهَير: إن الحيّ مقيم؛ فقال عبدالله: إنّ الحيّ ظاعن؛ فقال: مَنْ هذا الذي يخالفني منذُ اليوم! قيل: ابنُ أخيك عبدالله بن عُلَيم؛ فقال: أوَ ما هاهنا أحدٌ يَنهاه عن ذلك! قالوا: لا؛ فغضب وقال: لا أُراني قد خولفتُ، ثم دعا بالخمر فشربها[٣] صِرْفاً بغير مِزَاج وعلى غير طعام حتّى قتلتْه. وهو الذي يقول في ذمّ الكِبَر وطول الحياة:

المـوتُ خيـر للفتـى ... فلْيَهْلِكَـنْ وبـه بَقِيّـة

مـن أن يُـرى الشّيـخَ[٤] البجَا ... لَ إذا تَهـادَى بـالعشيّـة

أبَنـيّ إن أهلِـكْ فقـد ... أورثتكـم مجـداً بَنِيّـة

[١٢٩/٣] / وتـركتكـم أبنـاء سـا ... داتٍ زِنـادُكُـمُ وَرِيّـة

(١) كذا في «معجم ما استعجم» للبكري ص ٥٦٩ و «شرح القسطلاني على البخاري» ج ٦ ص ٢٠٦ طبع بولاق، وهي قرية من أرض البلقاء من الشام، وقد وردت محرّفة في جميع الأصول.

(٢) الزيادة عن كتاب «شعراء النصرانية» ج ١ ص ٢٠٧ وقد جاء في «القاموس» وشرحه مادة علم «وكزبير اسم رجل وهو عُلَيم بن جناب أخو زهير من بني كلب بن وبرة».

(٣) كذا في ء، ط. وفي باقي الأصول: «يشربها».

(٤) البَجَالُ: الكبير العظيم، ونقل صاحب «اللسان» في مادة بجل عن أبي عمرو: أنّ البَجَالَ: الرجلُ الشيخُ السيّد وأستشهد له بهذه الأبيات.

بـــل كـــلّ[١] مــــا نــــال الفتـــى ... قـــد نلتُـــه إلا التّحيّـــةْ[٢]

مدرج الريح وسبب هذه التسمية:

وأمّا مَدْرَج الرِّيح فاسمه عامر بن المجنون الجَرْمِيّ، وإنما سمّي مدرجَ الريح بشعر قاله في امرأة كان يزعم أنّه يهواها من الجنّ وأنّها تسكُن الهواء[٣] وتتراءى له، وكان محمَّقاً؛ وشعرهُ هذا:

صوت

لابْنـــة الجنّـــيّ فـــي الجَـــوّ طَلَـــلْ ... دارسُ الآيـــاتِ عـــافٍ كـــالخلَـــلْ

دَرَسَتْـــهُ الـــرِّيـــحُ مـــن بيـــن صَبـــاً ... وجَنـــوبٍ درَجـــتْ حِينـــاً وطَـــلّ

الغناء فيه لحُنَين ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ وابنِ المكيّ، وذكر حَبش أنّه لمَعْبد، وذكر عمرو بن بانة أنّ لحن حُنَين من خَفيف الثَّقيل الأوّل بالبِنْصر. وأخبار عامر بن المجنون تُذْكَر في موضع آخرَ إن شاء الله تعالى.

سعية بن غريض وشعره وهو يحتضر:

وأما سَعْيَة بن غَرِيض فقد كان ذُكِر خبرُ جدِّه/ السَّموءل بن غَرِيض بن عَادِيا في موضع غير هذا. وكان سَعْيَة بن غَرِيض شاعراً، وهو الذي يقول لمّا حضرته الوفاةُ يَرْثي نفسه: ١٨/٣

صوت

يا ليتَ شِعري حين يُذكَر صالحي[٤] ... مــاذا تُـــؤبِّنُنـــي بـــه أنـــواحـــي[٥]

أيَقُلْـــنَ لا تبعَـــدْ، فـــربّ كـــريهـــة ... فـــرّجتهـــا ببشـــارة وسَمَـــاحِ

وإذا دُعيـــتُ لصَعبـــةٍ سهّلتُهـــا ... أُدعَـــى بـــأفلـــحَ تـــارةً ونجَـــاحِ

/ ـ غنّاه ابنُ سُرَيج ثانيَ ثقيلٍ بالبِنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو ـ وأسلم[٦] سَعْيَة وعُمِّر عمراً [١٣٠/٣] طويلاً، ويقال: إنّه مات في آخرِ[٧] خلافة معاوية.

سعية بن غريض ومعاوية بن أبي سفيان:

فأخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجَوْهَرِيّ قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية عن الهَيْثم بن عَدِيّ قال:

(١) كذا في الأصول. وفي «اللسان» مادة حيي: «ولكل».
(٢) مما يطلق عليه التحية الملك والبقاء. قال ابن بري: والمراد هنا البقاء، لأن زهير بن جناب كان ملكاً في قومه (انظر «اللسان» مادة حيي).
(٣) كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «وأنه يسكن إليها في الهواء».
(٤) كذا في جميع الأصول. وفي هامشها: «حين أندب هالكاً».
(٥) الأنواح: النائحات.
(٦) كذا في ء، ط. وفي باقي الأصول: «فاسلم» بالفاء.
(٧) كذا في أكثر الأصول. وفي ء، ط: «أوّل».

حجّ معاويةُ حِجّتين في خلافته، وكانت له ثلاثون بغلةً يحُجّ عليها نساؤُه وجواريه. قال: فحجّ في إحداهما فرأى شيخاً[١] يُصلّي في المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان، فقال: من هذا؟ قالوا: سَعْيَة بن غَرِيض، وكان من اليهود، فأرسل إليه يدعوه، فأتاه رسولُه فقال: أجِبْ أميرَ المؤمنين؛ قال: أو ليس قد مات أميرُ المؤمنين! قيل: فأجب معاوية؛ فأتاه فلم يسلّم عليه بالخلافة؛ فقال له معاوية: ما فعلتْ أرضُك التي بتَيْماء؟ قال: يُكْسَى منها العارِي ويُرَدّ فَضْلُها على الجار؛ قال: أفتبيعها[٢]؟ قال: نعم؛ قال: بكَمْ؟ قال: بستّينَ ألفَ دِينار، ولولا خَلّة أصابت الحيّ لم أبِعْها؛ قال: لقد أغليتَ! قال: أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتَها بستمائة ألف دينار ثم لم تُبَل[٣]! قال: أجلْ، وإذ بخِلتَ بأرضك فأنشدني شعرَ أبيك يَرْثي [به][٤] نفسه؛ فقال: قال أبي:

[٣/١٣١] / يا ليتَ شِعْري حين أُنْدَبُ هالكاً ... ماذا تُؤبّنني به أنواحِي

أيقلن لا تبعَد[٥]، فرُبّ كَريهة ... فرّجتُها بشجاعةٍ[٦] وسَماحِ

ولقد ضربتُ بفضل مالي حقَّه ... عند الشّتاء وهَبّة الأرواحِ

ولقد أخذتُ الحقَّ غير مخاصم ... ولقد رددتُ الحقَّ غيرَ مُلاَحِي

وإذا دُعيتُ لصَعبةٍ سهّلتُها ... أُدعَى بأفلِحْ مرّةً ونَجَاحِ

فقال: أنا كنتُ بهذا الشعرِ أوْلَى من أبيكَ؛ قال: كذبتَ ولَؤُمْتَ؛ قال: أما كذبتُ فَنَعَمْ، وأمّا لَؤُمْتُ فلِمَ، قال: لأنك كنتَ مَيّتَ الحقّ في الجاهلية وميّتَه في الإسلام، أمّا في الجاهلية فقاتلتَ النبيَّ ﷺ والوَحْيَ حتى جعل الله [عزّ وجلّ][٧] كيدَك المردود، وأمّا في الإسلام فمنعتَ ولدَ رسولِ الله ﷺ الخلافةَ، وما أنتَ وهي! وأنتَ طَلِيقٌ[٨] ابن طَلِيقٍ! فقال معاوية: قد خَرِفَ[٩] الشيخُ فأقيمُوه، فأُخِذَ بيده فأُقيم.

[٣/١٣٢] / وسَعْيَةُ هذا هو الذي يقول:

صوت

يا دارَ سُعْدَى بأقصَى[١٠] تَلْعَةِ[١١] النَّعَمِ ... حُيِّيتِ داراً على الإقْواء والقِدَمِ

وما بِجزعِكِ إلا الوحشُ ساكنةً ... وهامدٌ من رَمَادِ القِدْرِ والحُمَمِ

---

(١) كذا في ء، ط و «الإصابة» لابن حجر طبع مصر ج ٣ ص ١٦٧، وفي سائر الأصول: «شخصاً».

(٢) كذا في ب، س، وفي أ، م: «أتبيعها».

(٣) كذا في أكثر الأصول. وفيء، ط: «لم تبال» وكلاهما صحيح تقول: «لم أبال» وهو الأصل «ولم أبل» حذفت منها الياء تخفيفاً، ونزلت اللام منزلة النون من يكن فسكنت للجازم وحذفت الألف لالتقاء الساكنين.

(٤) زيادة في ء، ط.

(٥) كذا في أكثر الأصول. وفي ء، ط: «لا يبعد» بالياء.

(٦) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «ببشارة» وقد تقدّمت هذه الرواية في ص ١٢٩ من هذا الجزء.

(٧) الزيادة عن ء، ط.

(٨) أي من الطلقاء وهم الذين حاربوا النبيّ ﷺ من قريش وآذوه، فلما غلبهم عام الفتح خطبهم فقال: «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟» قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: «أذهبوا فأنتم الطلقاء» (انظر «سيرة ابن هشام» ص ٨٢١ طبع أوروبا).

(٩) كذا في أكثر الأصول. وفي ء، ط: «خرق» بالقاف.

(١٠) في ء، ط و «ياقوت»: «بمفضي».

(١١) تلعة النعم: موضع بالبادية استشهد له «ياقوت» بهذا البيت.

/ عُجْنَا فما كلَّمتْنَا الدارُ إذ سُئِلَتْ ... وما بها عن جوابٍ خِلتُ من صَمَمِ ١٩/٣

الشعر لسَعْيَةَ بن غَرِيض، والغناء لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة في مجرى البِنْصَر.

/ أخبار ابن صاحب الوَضُوءِ ونسبه [١٢٣/٣]

نسبه وولاؤه وسبب تسمية أبيه:

اسمه محمدُ بن عبدالله، ويُكْنَى أبا عبدالله، مولى بني أميّة، وهو من أهل المدينة؛ وكان أبوه على مِيضَأةِ المدينة فسُمّيَ صاحبَ الوَضُوء. وهو قليلُ الصّنعةِ لم يذكُر له إسحاقُ إلا صوتيْن كلاهما في خفيفِ الثقيل الثاني المعروف بالماخُوريّ ولا ذُكر له غيرُ إسحاق سواهما إلا ما هو مرسوم في الكتاب الباطل المنسوب إلى إسحاق فإن له فيه شيئاً كثيراً لا أصلَ له، وفي كتاب حَبَشٍ [الصينيّ][١] . وهو رجل لا يُحصِّلُ ما يقولُه ويَرْوِيه.

مدح يونس الكاتب غناءه:

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاقَ عن أبيه [عن][٢] جدّه عن سِياط عن يُونُس الكاتب قال:

غنيّ ابنُ صاحب الوَضوء في شعر النابغة:

خَطَاطِيفُ حُجْنٌ[٣] في حبالٍ مَتِينةٍ ... تَمُدّ بها أيدٍ إليكَ نَوازِعُ

وفي شعر بعض اليهود:

إرفع ضعيفَك لا يحرِ بك ضعفُه ... يوماً فتدركَه العواقبُ قد نَمَا

فأجاد فيهما ما شاء وأحسنَ غايةَ الإحسان؛ فقيل له: ألا تَزِيدُ وتصنعُ شيئاً [آخرَ][٤]؟ فقال: لا والله حتى أرى غيري قد صنعَ مثلَ ما صنعت وأزيد، وإلاّ فحسْبِي هذا.

/ نقل أبو مسلمة لعبدالله بن عامر صوتاً فغناه في المحراب: [١٣٤/٣]

أخبرني أحمدُ بنُ عبيد الله بن عَمّار وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ وإسماعيل بن يونس[٥] الشّيعي، قالوا حدّثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثنا عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن عليّ ـ قال ابنُ عمار في خبره: وكان يُسمَّى المبارَكَ ـ قال حدّثنا أبو مَسْلَمة[٦] المَصْبَحِيّ قال:

قَدِم علينا أسْودُ من أهلِ الكوفة فغنّى:

اِرفَعْ ضعيفَك لا يحرْ بك ضعفُه ... يوماً فتدركَه العواقب قد نَمَا

قال: فمررت بعبدالله بن عامر الأسلَميّ، وكان يؤمّنا وهو قائم يُصلّي الظهر، فقلت [له][٧] : قدِم علينا أسودُ من الكوفة يُغنّي كذا وكذا [فأجاده][٨]؛ فأشار إليّ بيده أن أجلسْ؛ فلما قضى صلاتَه قال: أخَذْتَه عنه؟

(١) ، (٢)، (٤) الزيادة عن ء، ط.

(٣) حجن: معوجة، جمع أحجن وحجناء.

(٥) كذا في ء، ط وهو الموافق لما تقدّم في الجزء الأوّل من هذا الكتاب ص ٣٦ طبعة الدار. وفي باقي الأصول: «يزيد».

(٦) في ء، ط: «أبو سلمة».

(٧) ، (٨) زيادة في ء، ط.

قلت[١] : نعم؛ قال : فأمِرَّهُ عليّ، ففعلتُ؛ قال : فلما كان بالليل صلّى بنا فأدّاه في المحراب .

صوت

من المائة المختارة التي رواها عليّ بن يحيى

يـــا ليلَتـــي[٢] تَـــزْدادُ نُكْـــرَا ... مِـــنْ حُـــبِّ مَـــنْ أحببـــتُ بِكْـــرَا

حَـــــوْراءُ إن نَظـــــرَتْ إليـ ... ـــــكَ سقَتْـــك بـــــالعينيـــن خمـــرَا

الشعر لبَشَّار، والغناءُ في اللحن الغناء ليَزيد حَوْراء رَمَلٌ بالبِنْصر عن عمرو ويحيى المكيّ وإسحاق. وفيه لسِيَاطٍ خفيفُ رملٍ بالوُسْطَى عن عمرو وإبراهيمَ المَوْصِليّ.



(١) كذا في ء، ط وهو الموافق للسياق. وفي سائر النسخ: «قال».

(٢) كذا في ء، ط وهو الموافق لما سيأتي بصفحة ١٥٥ في شعر بشار. وفي باقي النسخ: «يا ليتني أزداد».

/ أخبار بشار(١) بن برد ونسبه

[١٣٥/٣]

نسبه وكنيته وطبقته في الشعراء:

هو، فيما ذكره الحسن بن عليّ عن محمد بن القاسم بن مَهْرُويه عن غيلان(٢) الشّعوبيّ، / بَشّار بن بُرْد بن يَرْجُوخ بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دَارَا بن فَيْروزَ بن كرديه بن ماهفيدان بن دادان بن بهمن بن أزدكرد بن حسيس بن مهران بن خسروان بن أخشين بن شهر داد بن نبوذ بن ماخرشيدا نماذ بن شهريار بن بنداد سيحان بن مكرر بن أدريوس بن يستاسب [بن لهراسف](٣). قال: وكان يَرْجُوخ من طُخَارُستان(٤) من سَبْي المُهَلَّب بن أبي صُفْرة. ويُكْنَى بَشّارٌ أبا مُعَاذ. ومَحَلُّه في الشعر وتَقَدُّمه طبقاتِ المُحْدَثين فيه بإجماع الرُّواة ورياستُه عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه وإطالة ذكر محله(٥). وهو من مُخَضْرَمي شعراء الدولتين العبّاسية والأُمَوية، قد شُهِر فيهما ومَدَح وهَجَا وأخذ(٦) سَنِيّ الجوائز مع الشعراء.

٢٠/٣

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم قال قال حُمَيد بن سَعِيد.

كان بشّار من شعب أدريوس بن يستاسب الملك بن لهراسف الملك. قال: وهو بشّار بن برد بن بهمن بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز. قال: وكان يُكنَى أبا مُعَاذ.

/ ولاؤه لبني عقيل:

[١٣٦/٣]

وأخبرني يحيى بن عليّ ومحمدُ بن عِمْرانَ الصَّيْرفيّ وغيرُهما عن الحسن بن عُلَيلٍ العَنَزيّ عن خالد بن يزيدَ(٧) بن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه قال:

كان بشارُ بن بُرْد بن يَرْجُوخ وأبوه بُرْدُ من قِنّ(٨) خِيرةَ القُشَيرِيّةِ أمرأةِ المهلّب بن أبي صُفْرَةَ، وكان مُقِيماً لها

---

(١) قال ابن خلكان في ترجمته لبشار: «ذكر له أبو الفرج الأصبهاني في كتاب «الأغاني» ستة وعشرين جداً أسماؤهم أعجمية، فأضربت عن ذكرها لطولها واستعجامها، وربما يقع فيها التصحيف والتحريف فإنه لم يضبط شيئاً منها، فلا حاجة إلى الإطالة فيها بلا فائدة». وقد حاولنا وجه الصواب في هذه الأسماء وضبطها فلم نوفق، فأثبتناها هنا كما وردت في «الأغاني» طبعة بولاق ونسخة ط وذلك لاختلافها واضطرابها في الأصول التي بين أيدينا والإطالة فيها بلا فائدة كما قال ابن خلكان.

(٢) في ط،ء: «علان».

(٣) الزيادة عن ط.

(٤) ضبطها ابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان» في ترجمته لبشار ج ١ ص ١٢٥ بضم الطاء وضم الراء وضبطها «ياقوت» بفتح الطاء.

(٥) في ط،ء: «وإطالة بذكر محله».

(٦) كذا في ط،ء. وفي باقي الأصول: «فأخذ».

(٧) في ء، ط: «خالد بن يزيد» وقد ذكره صاحب «لسان الميزان» في موضعين، فقد ذكره في خالد بن بريد بالباء الموحدة والراء المهملة، وفي خالد بن يزيد وقد ذكر أجداده في الموضعين كما هنا.

(٨) كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ «في».

في ضَيْعَتها بالبصْرةِ المعروفةِ «بخَيرَتَان»[١] مع عَبيدٍ لها وإماء، فوهَبَتْ بُرداً بعد أن زوجته لامرأةٍ من بني عُقَيلٍ كانت مُتَّصِلةً بها، فولدتْ له امرأتُه وهو في مِلْكِها بشاراً فأعتقتْه العُقَيليّةُ.

وأخبرني محمد[٢] بن مَزْيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه قال: كان بُرْدُ أبو بشارٍ مَولى أمّ الظِّباء العُقَيليّة السَّدُوسيةِ، فادّعى بشارٌ أنه مَوْلَى بني عُقَيلٍ لنزوله فيهم.

وأخبرني أحمد بن العبّاس العَسْكريّ قال حدّثنا العَنزِيُّ قال حدّثني رجلٌ من ولد بشارٍ يقال له حَمدانُ كان قَصّاراً[٣] بالبصرة، قال: وَلاَؤُنا لبني عُقَيلٍ؛ فقلتُ: لأيّهم؟ فقال: لبني رَبيعة بنِ عُقَيلٍ.

وأخبرنيَ وكِيعٌ قال حدّثني سليمانُ المَدَنِيّ[٤] قال قال أحمدُ بن مُعاويةَ الباهليّ: كان بشارٌ وأمُّه لرجل من الأَزْد، فتزوّج امرأةً من بني عُقَيلٍ، فساق إليها بشاراً وأمَّه في صَدَاقها، وكان بشّار وُلِدَ مكفوفاً[٥] فأعتقته العُقَيليّةُ.

[٣/١٣٧] / أخبرني محمدُ بنِ عِمرانَ الصَّيْرفيّ قال حدّثني الحسنُ[٦] بنُ عُلَيلٍ العَنزِي قال حدّثنا قَعْنَبُ بنُ المُحْرِزِ الباهليّ قال حدّثني محمد بن الحَجّاج قال:

باعتْ أمُّ بشّارٍ بشّاراً على أمِّ الظِّباء السَّدُوسيّةِ بدينارين فأعتقتْه. وأمُّ الظباءِ امرأةُ أَوْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ أحدِ بن تَيْم اللاّت بن ثَعْلبةَ، وهو صاحبُ قصر أَوْسٍ بالبصرة؛ وكان أوسٌ أحدَ فُرسَانِ بكر بن وائلٍ بخُرَاسَانَ.

كان أبوه طياناً وقد هجاه بذلك حماد عجرد:

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخَفّاف قال حدّثنا العَنزيُّ قال حدّثنا محمد بن زيد العِجْلِيُّ قال أخبرني بَدْر بن مُزَاحِم:

أنّ بُرْداً أبا بشّار كان طَيّاناً يَضربُ اللَّبِنَ، وأراني أبي بيتَينِ [لنا][٧] فقال لي: لَبِنُ[٨] هذين البيتين من ضَرْبِ بُرْدٍ أبي بشّارٍ. فسمع هذه الحكاية حمّادُ عَجْرِدٍ فهجاه فقال:

يا بنَ بُرْدٍ إخسَأْ إليكَ فمثلُ الـ ـكلبِ في الناس أنتَ لا الإنسانِ
بل لَعَمْري لأنتَ شرٌّ من الكلـ ـبِ وأَوْلَى منه بكلّ هَوَانِ
/ ولَرِيحُ الخنزيرِ أهونُ من ريـ ـحِكَ يابنَ الطيّانِ ذي التُّبّانِ[٩]

٢١/٣

(١) قال «ياقوت» عند الكلام على خطط البصرة وقراها: خيرتان منسوب إلى خيرة بنت ضمرة امرأة المهلب بن أبي صفرة. قال: ومن اصطلاح أهل البصرة أن يزيدوا في الاسم الذي تنسب إليه القرية ألفاً ونوناً: نحو قولهم: طلحتان: نهرب ينسب إلى طلحة بن أبي رافع (انظر «ياقوت» في اسم البصرة).
(٢) كذا في ط،ء، حـ وهو الصواب. وفي باقي النسخ: «عمرو» وهو تحريف.
(٣) القصار: محوّر الثياب أي مبيضها.
(٤) في ء، ط: «المديني».
(٥) كذا في ء، ط وهو الصواب. وفي باقي النسخ: «وكان لبشار ولد مكفوف» وهو تحريف.
(٦) كذا في ء، ط، وهو الصواب. وفي سائر النسخ: «أحمد» وهو تحريف.
(٧) زيادة في ط، ء.
(٨) كذا في ء، ط. وفي باقي النسخ: «فقال لي: هذان البيتان من ضرب برد. . . إلخ».
(٩) التبان (بالضم وتشديد الباء): سراويل صغير يكون للملاحين والمصارعين.

أنشد للمهدي شعراً في أنه عجمي بحضور أبي دلامة:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ عن أبي الصَّلْتِ البَصْريّ عن أبي عَدْنانَ قال حدّثني يحيى بنُ الجَوْنِ العَبْدِيُّ رَاوِيةُ بشَّارٍ قال:

/ قال: لما دَخَلْتُ على المَهْدِيّ قال لِي: فِيمَنْ تَعْتَدُّ يا بشَّارُ؟ فقلتُ: أمّا اللِّسانُ والزِّيُّ فعربيَّانِ، وأمّا الأصلُ [١٣٨/٣] فعَجميّ، كما قلتُ في شعري يا أميرَ المؤمنينَ:

وَنُبِّئْـتُ قَـومـاً بهـم جِنَّـةٌ ... يقـولـونَ مَـنْ ذا وكنـتُ العَلَـمْ

ألا أيُّهـا السـائلـي جـاهِـداً[١] ... لِيَعْـرِفَنِـي أنـا أنـفُ الكَـرَمْ

نَمَـتْ فـي الكـرامِ بَنِـي عـامـرٍ ... فُـروعِـي وأَصْلِـي قـريـشُ العَجَـمْ

فـإنِّـي لأُغْنِـي مَقَـامَ الفتـى ... وأُصْبِـي الفتـاةَ فمـا تَعتَصِـمْ

قال: وكان أبو دُلَامَةَ حاضراً فقال: كلّا! لَوَجْهُكَ أقبحُ من ذلك ووجهي مع وجهك؛ فقلتُ: كلّا! واللهِ ما رأيتُ رجلاً أصدقَ على نفسه وأكذبَ على جليسه منكَ، واللهِ إني لطويلُ القامة عظيمُ الهامَة تامّ الألواح أَسجحُ[٢] الخدَّينِ، ولَرُبَّ[٣] مُسترخِي المِذْرَوَينِ[٤] للعين فيه مَرَادٌ قد جلس من الفتاة حَجْرَةً[٥] وجلستُ منها حيث أُريدُ، فأنتَ مثلي يا مَرْضَعَانُ[٦]! [قال][٧]: فسكت عنّي، ثم قال لي المهديّ: فمِنْ أيِّ العجم أصلُك؟ فقلتُ: مِن أكثرِها في الفُرسان، وأشدِّها على الأقران، أهلِ طُخَارُسْتَانَ[٨]؛ فقال بعضُ القوم: أولئك الصُّغْدُ؛ فقلت: لا، الصُّغْدُ تِجَارٌ؛ فلم يَرْدُدْ ذلك المهديُّ.

/ **كان كثير التلون في ولائه للعرب مرة وللعجم أخرى:** [١٣٩/٣]

وكان بشّار كثيرَ التلوّنِ في وَلائه، شَدِيدَ الشَّغْب[٩] والتعصُّبِ للعجم، مرَّةً يقول يفتخِرُ بولائه في قيس:

أَمِنْـتُ مَضَـرَّةَ الفُحْشَـاءِ[١٠] أنـي ... أرى قيسـاً تَضُـرُّ[١١] ولا تُضَـارُ

كـأنَّ النـاسَ حيـنَ تَغِيـبُ عنهـم ... نبـاتُ الأرضِ أخطـأهُ القِطـارُ[١٢]

---

(١) في ء، ط: «جاهلاً».

(٢) يقال: سجح الخدّ: سهل ولان.

(٣) في ء، ط: «أسجح الخدّين مسترخي المذروين للعين فيه مراد، ومثلك قد جلس إلخ».

(٤) كذا في ء، ط، والمذروان: طرفا الأليتين أو طرفا كل شيء، ولعله يريد أنه بض سمين يجذب النظر إليه. وفي باقي الأصول: «المزورين» بالزاي وتقديم الواو على الراء وهو تحريف.

(٥) حجرة: ناحية.

(٦) المرضعان: اللئيم، من الرضاعة وهي اللؤم.

(٧) الزيادة عن ء، ط.

(٨) انظر الحاشية رقم ٣ ص ١٣٥.

(٩) كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «التشعب».

(١٠) الفحشاء: جمع فاحش كجاهل وجهلاء. والفاحش: السيء الخلق.

(١١) كذا في ء وإحدى روايتي ط. وفي أ، م: «تسب». وفي باقي النسخ: «تشب» وهو تحريف.

(١٢) القطار: جمع قطر وهو المطر.

وقـد كـانـت بِتَـدْمُـرَ خيـلُ قيـسٍ فكـان لِتَـدْمُـرٍ فيهـا دَمَـارُ
بحـيٍّ مـن بنـي عَيْـلانَ شُـوسٍ[١] يَسِيـرُ المـوتُ حيـث يقـالُ سَـارُوا
ومـا نَلْقَـاهُـمُ إلا صَـدَرْنـا بِـرِيٍّ منهـمُ وهُـمُ حِـرَارُ[٢]

ومرَّةً يتبرَّأ من وَلَاء العرب فيقولُ:

أصبحـت مـولَـى ذي الجـلالِ وبعضُهـمْ مولَى العُرَيبِ فخذْ[٣] بفضلك فافخَرِ
مَـولاكَ أكـرمُ مـن تميـمٍ كلِّهـا أهـلِ الفَعَـالِ[٤] ومـن قُـريشِ المَشْعَـرِ
فـارجِـعْ إلـى مـولاكَ غيـرَ مُـدَافَـعٍ سُبحـانَ مَـولاكَ الأجـلُّ الأكبـرِ

وقال يفتخِرُ بولاء بني عُقَيلٍ:

إنّنـي مـن بنـي عُقَيـلِ بـنِ كعـبٍ مَـوضِـعَ السّيفِ مِنْ طُلَـى[٥] الأعنـاقِ

كان يلقب بالمرعث وسبب ذلك:

ويُكنَى بَشّارٌ أبا مُعاذٍ، ويُلقَّبُ بالمرعَّثِ.

[١٤٠/٣] / أخبرني عمّي ويحيى بن عليّ قالا حدّثنا أبو أيوب المَدينيّ قال حدّثني محمد بن سلّام قال: بشّارٌ المرعَّثُ هو بشارُ بنُ بُردٍ، وإنما سُمِّي المرعَّثَ بقوله:

٢٢/٣ / قـال رِيـمٌ مُـرَعَّـثٌ سـاحـرُ الطَّـرفِ والنَّظـرْ
لسـتَ واللّـهِ نـائلـي قلـتُ أو[٦] يَغْلِـبُ القَـدَرْ
أنـتَ إن رُمـتَ وَصْلَنَـا فـانْـجُ، هـل تُـدْرِكُ القَمَـرْ

قال أبو أيّوب: وقال لنا أبنُ سلَّامٍ مرَّةً أخرى: إنّما سُمّي بشّارٌ المرعَّثَ، لأنه كان لقميصه جَيبانِ: جَيبٌ عن يمينه وجَيبٌ عن شماله، فإذا أراد لُبسَه ضَمّه عليه من غير أن يُدخِلَ رأسَه فيه، وإذا أراد نزعَه حلّ أزرارَه وخرج منه، فشُبِّهتْ تلك الجيوبُ بالرِّعاثِ لأسترسالها وتَدَلّيها، وسُمِّيَ من أجلها المرعَّثَ.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بنُ مهديّ قال حدّثني أبو حاتم قال قال لي أبو عُبَيْدَةَ:

لُقِّبَ بشّارٌ بالمرعَّثِ لأنه كان في أُذنه وهو صَغير رِعَاثٌ. والرِّعَاث: القِرَطَةُ، واحدتها رَعْثَةٌ وجمعُها رِعَاثٌ، [ورَعَثَاتٌ][٧]. ورَعَثَاتُ الديكِ: اللحم المتدلّي تحت حنكه؛ قال الشاعر:

(١) شوس: جمع أشوس وهو الذي ينظر بمؤخر عينيه.
(٢) حرار: جمع حرّان وهو الشديد العطش.
(٣) كذا في ء، ط. وفي باقي الأصول: «فجد». بالجيم والدال المهملة.
(٤) الفعال (بالفتح): اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه.
(٥) الطلي: أصول الأعناق؛ واحدتها طلية أو طلاة.
(٦) أو هنا بمعنى بل.
(٧) زيادة في أكثر النسخ.

سَقَيْتُ أبا المصرَّعِ[١] إذ أتانِي ... وذُو الرَّعَثاتِ مُنتَصِبٌ يَصيحُ
شراباً يهرُبُ الذُّبّانُ منه ... ويَلْثَغُ حين يشرَبه الفَصيحُ

قال: والرَّعثُ: الأسترسالُ والتساقطُ. فكأنّ اسمَ القِرطَةِ أشتُقّ منه.

/ كان أشدّ الناس تبرماً بالناس: [٣/٤١]

أخبرني محمد بن عِمْرانَ قال حدّثني العَنزيُّ قال حدّثنا محمد[٢] بن بدر العِجْليّ قال: سمعتُ الأصمعيّ يذكر أن بشّاراً كان من أشدّ الناس تبرُّماً بالناس، وكان يقول: الحمد لله الذي ذهبَ ببصَرِي؛ فقيل له: ولِمَ يا أبا مُعاذٍ؟ قال: لئلاّ أرَى مَنْ أُبْغِضُ. وكان يلبَسُ قميصاً له لِبْنَتانِ[٣]، فإذا أراد أن ينزِعَه نزعه من أسفله، فبذلك سُمّيَ المرعَّثَ.

صفاتــه:

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ أبو دُلَفَ الخُزَاعيّ قال حدّثنا قَعْنَبُ بنُ مُحْرِزٍ عن الأصمعيّ قال:

كان بشّارٌ ضَخماً، عظيمَ الخَلْق والوجه، مَجدُوراً، طويلاً، جاحظَ المُقْلتَين قد تغشّاهما لحمٌ أحمرُ، فكان أقبحَ الناس عَمًى وأفظعَهُ[٤] مَنظَراً، وكان إذا أراد أن يُنشِدَ صفَّق بيديه وتنحنح وبصَق عن يمينه وشماله ثم يُنشِدُ فيأتِي بالعجَب.

ولد أعمى وهجي بذلك وشعره في العمى:

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيّوب المدينيّ عن محمد بن سلاّم قال:

وُلِد بشّارٌ أعمى، وهو الأكمهُ. وقال في تَصْداقِ ذلك أبو هشام الباهليّ يهجوه:

وعبدِي فَقَا[٥] عينيكَ في الرَّحْمِ أَيرهُ ... فجئتَ ولم تعلَم لعينيكَ فاقِيَا
أَأُمُّكَ يا بشّارُ كانت عفيفةً؟ ... عليّ إذاً مَشْيٌ إلى البيت حافيا

قال: ولم يزل بَشّار منذ قال فيه هذين البيتين مُنكسِراً.

/ أخبرنا هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال: [٣/٤٢]

وُلِد بَشّار أعمى فما نَظَر إلى الدنيا قطُّ، وكان يُشَبِّهُ الأشياء بعضَها ببعض في شعره فيأتي بما لا يقدِر البُصَراء أن يأتوا بمثله؛ فقيل له يوماً وقد أنشد قوله:

كأنّ مُثارَ النقعِ فوق رُؤوسنا ... وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى كواكبُهْ

---

(١) كذا في أكثر النسخ، وفي ء، ط: «المطوّح»، وفي حـ: «المطرّح».

(٢) هكذا وقع هذا الاسم هنا باتفاق جميع النسخ: «محمد بن بدر العجليّ»، وقد تقدّم في ص ١٣٧ من هذا الجزء باتفاق النسخ جميعها أيضاً: «محمد بن زيد العجلي» مع اتحاد رجال السند في الموضعين. فلينظر.

(٣) اللبنة: بنيقة القميص وهي زيقه الذي يفتح في النحر.

(٤) كذا في جميع الأصول بإفراد الضمير. وهو استعمال عربيّ فصيح، يقال: أحسن الناس خلقاً وأحسنه وجهاً، والمراد أحسنهم، وهو كثير من أفصح الكلام. انظر «اللسان» مادة «حنا».

(٥) فقأ: قلع، والأصل فيه الهمز فسهل.

ما قال أحدٌ أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قطّ ولا شيئاً فيها؟ فقال: إن عدم النظر يُقَوِّي ذكاءَ القلب ويقطَع عنه الشغلَ بما يُنظَرُ إليه من الأشياء فيتوفّر حِسّه وتذكو قريحتُه؛ ثم أنشدهم قولَه:

[١٤٣/٣] / عَمِيتُ جَنِيناً والذكاءُ من العَمَى فجئتُ عجيبَ الظنِّ للعلم مَوْئلاَ

وغاضَ ضياءُ العين للعلم رافداً لِقلب[١] إذا ما ضَيّع الناسُ حَصّلا

وشِعرٍ كَنُورِ الروض[٢] لاءمتُ بينَه بقولٍ إذا ما أحزن الشعرُ أسهلا

أخبرنا هاشم قال حدّثنا العَنَزيّ عن قَعْنَب بن مُحْرِز عن أبي عبد الله الشراذنيّ[٣] قال: كان بشّارٌ أعمى طويلاً [ضخماً][٤] آدمَ مجدورا.

وأخبرني يحيى بن عليّ عن أبيّ أيوب المَدِينيّ قال قال الحمرانيّ[٥] قالت لي عمّتي: زرتُ قرابةً لي في بني عُقَيْل فإذا أنا بشيخ أعمى ضخم يُنْشِد:

مِنَ المَفْتونِ بَشّارِ بنِ بُرْدِ إلى شَيْبَان كَهْلِهِمُ ومُرْدِ

بأن[٦] فتاتَكم سَلَبتْ فؤادي فنِصْفٌ عندها والنصفُ عندي

فسألت عنه فقيل لي: هذا بَشّار.

كان يقول أزري بشعري الأذان:

٢٣/٣ / أخبرني محمد بن يحيى الصَّيْرَفِيّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا أبو زيد قال سمعت أبا محمد التَّوَّزِيّ يقول: قال بشّار: أزري بشعري الأذان. يقول: إنه إسلاميّ.

قال الشعر وهو ابن عشر سنين:

وأخبرني حَبيب بن نَصْر المُهَلَّبِيّ قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال قال أبو عُبَيدة:

قال بشّار الشعرَ ولم يبلغ عَشْرَ سنين، ثم بلغ الحُلُم وهو مَخْشِيٌّ مَعَرّةِ لِسانه.

هجا جريراً فأعرض عنه استصغاراً له:

قال: وكان بشّار يقول: هجوتُ جريراً فأعرض عنّي وأستصغرني، ولو أجابني لكنتُ أشعر الناس.

كان الأصمعي يقول هو خاتمة الشعراء:

وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال:

كان الأصمعيّ يقول: بشّارٌ خاتمةُ الشعراء، والله لولا أنّ أيّامه تأخرتْ لفضّلتُه على كثيرٍ منهم.

---

(١) كذا في ء، ط. وفي باقي الأصول: «بقلب» بالباء.
(٢) كذا في ء، ط. وفي أكثر النسخ: «كنور الأرض».
(٣) في ط، ء: «السرادار».
(٤) زيادة في ط، ء.
(٥) في أ، م: «الحمداني».
(٦) كذا في ء، ط، وفي باقي الأصول: «فإنّ».

قال أبو زيد: كان راجزاً مُقَصِّداً[١].

جودة نقده للشعر:

أخبرني أبو الحسن الأَسَدِيّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النَّطّاح[٢] قال حدّثني أبو عُبَيدة: قال سمعت بشّاراً يقول وقد أُنْشِد[٣] في شعر الأعشَى:

وأنكَرتني وما كان الذي نَكِرَتْ ... من الحوادث إلا الشَّيْبَ والصَّلَعَا

فأنكره، وقال: هذا بيت مصنوع ما يُشْبِه كلامَ الأعشى؛ فعَجِبتُ لذلك. فلمّا كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالساً عند يونس، فقال: حدّثني أبو عمرو بن العلاء أنه صنَع هذا البيت وأدخله في شعر الأعشَى:

/ وأنكرتني وما كان الذي نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا [٣/١٤٤]

فجعلت حينئذ أزداد عَجَباً من فِطْنة بشّار وصحّة قريحته وجَوْدة نَقْده للشعر.

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرَانيّ قال حدّثني أبو حاتم عن أبي عُبَيدة قال:

له اثنا عشر ألف قصيدة:

قال بشار: لي اثنَا عَشَرَ ألفَ بيتٍ عَيْنٍ؛ فقيل له[٤]: هذا ما لم يكن يَدّعِيه أحدٌ قطُّ سواك؛ فقال: لي اثنتا عَشْرَة ألفَ قصيدةٍ، لَعَنها اللّهُ ولعن قائلَها إن لم يكن في كل واحدةٍ منها بيتٌ عينٌ.

وأخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مَهْدِيّ عن أبي حاتم قال:

رأى أبي عبيدة فيه وفي مروان بن أبي حفصة:

قلتُ لأبي عُبَيدة: أَمَرْوانُ عندك أشعرُ أم بَشّار؟ فقال: حَكَم بَشّارٌ لنفسه بالاستظهار أنه قال ثلاثةَ عَشَرَ ألفَ بيتٍ جَيِّد، ولا يكون عددُ الجيّد من شعر شعراء الجاهليّة والإسلام هذا العددَ، وما أحسبهم بَرَّزُوا في مثلها، ومَرْوانُ أمدحُ للملوك.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا الأصمعيّ قال:

قال بَشّار الشعرَ وله عَشْرُ سنين، فما بَلَغ الحُلُمَ إلاّ وهو مَخْشِيُّ مَعَرّةِ اللسان/ بالبَصْرة. قال: وكان يقول: [٢٤/٣] هَجَوتُ جريراً فاستصغرني وأعرض عنّي، ولو أجابني لكنتُ أشعرَ أهل زماني.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنا أبو العَوَاذِلِ زكريّا بن هارون قال:

/ قال بَشّار: لي اثنا عَشَرَ ألفَ بيت جيّدةٌ؛ فقيل له: كيف[٥]؟ قال: لي اثنتَا عَشْرةَ ألفَ قصيدةٍ، أما في كلّ [٣/١٤٥] قصيدةٍ منها بيتٌ جيّد!.

(١) يقال: قصد الشاعر وأقصد: أطال وواصل عمل القصائد.

(٢) كذا في إحدى روايتي ط. وفي جميع النسخ: «محمد بن صالح النطاح» بدون كلمة «ابن» وقد تقدّم هذا الاسم غير مرّة في «الأغاني» كالرواية الأولى، (انظر ص ٤١ ج ١ من هذه الطبعة).

(٣) كذا في ء، ط. وفي باقي النسخ: «وقد أنشدني».

(٤) كذا في ط. وفي باقي الأصول: «فقيل لي».

(٥) كذا في ط، ء. وفي باقي الأصول: «قال فكيف» وهو تحريف.

كلام الجاحظ عنه:

وقال الجاحظ في كتاب البَيَان والتبيين وقد ذكره: كان بَشّارٌ [شاعراً][(١)] خطيباً صاحبَ منثورٍ ومُزْدَوِجٍ[(٢)] وسَجْعٍ ورسائلَ، وهو من المطبوعين أصحابِ الإبداع والاختراع المُفْتَنِّينَ[(٣)] في الشعر القائلين في أكثر أجناسه وضُروبه؛ قال الشعرَ في حياة جرير وتَعَرَّض له، وحُكِيَ عنه أنه قال: هجوتُ جريراً فأعرض عنّي، ولو هاجاني لكنتُ أشعرَ الناس.

كان يدين بالرجعة ويكفر جميع الأمة:

قال الجاحظ: وكان بَشّار يَدِين بالرَّجْعة[(٤)]، ويُكَفِّر جميعَ الأمّة، ويصوِّب رأي إبليس في تقديم النارِ على الطِّين، وذكر ذلك[(٥)] في شعره فقال:

الأرضُ مُظْلِمةٌ والنارُ مُشْرِقةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانتِ النارُ

هجا واصل بن عطاء فخطب الناس بالحادة وكان يتجنب في خطبه الراء:

قال: وبلغه عن أبي حُذَيْفة واصلِ بن عَطَاء إنكارٌ لقوله وهَتْفٌ به، فقال يهجوه:

ما لي أُشايِعُ غَزّالاً[(٦)] له عُنُقٌ كنِقْنِقِ الدَّوِّ[(٧)] إنْ وَلَّى وإنْ مَثَلا
عُنْقَ الزَّرافةِ ما بالي وبالكُمُ تُكَفِّرُون رجالاً كَفَّرُوا[(٨)] رَجُلا!

[١٤٦/٣] / قال: فلما تَتابع على واصلٍ منه ما يَشْهد على إلحاده[(٩)] خَطَب به واصلٌ، وكان أَلْثَغَ على الراء فكان يجتنبها في كلامه، فقال: أَمَا لهذا الأعمى المُلْحِد، أَمَا لهذا المُشَنَّف المَكْنيّ بأبي مُعَاذ من يقتله؟ أَمَا والله لولا [أنّ][(١٠)] الغِيلةَ سجيّةٌ من سَجَايَا الغَالِية لَدَسَسْتُ إليه من يَبْعَج بطنَه في جوف منزلِه أو في حَفْله[(١١)]، ثم كان لا يتولّى ذلك إلا عُقَيْليٌّ أو سَدُوسِيٌّ! فقال أبا مُعَاذ[(١٢)] ولم يقل بَشّاراً، وقال المُشَنَّفَ ولم يقل المُرَعَّث، وقال: من سجايا الغالية ولم يقل الرافضة، وقال: في منزله ولم يقل في داره، وقال: يبعج بطنه ولم يقل يَبْقُر، للّثغة التي كانت به في الرّاء.

(١) زيادة في ط، ء.
(٢) المزدوج: ما أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن.
(٣) كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س: «المتفننين»، وكلاهما صحيح.
(٤) الرجعة: الإيمان بالرجوع بعد الموت إلى الدنيا وهو مذهب قوم من العرب في الجاهلية، ومذهب طائفة من أولى البدع والأهواء من المسلمين يقولون إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حياً (انظر «شرح القاموس» للسيد مرتضى و «اللسان» في مادة رجع).
(٥) كذا في ط، ء وفي سائر الأصول: «وذكر مثل ذلك». بزيادة كلمة «مثل».
(٦) عرف واصل بن عطاء بالغزال لكثرة جلوسه في سوق الغزالين إلى أبي عبدالله مولى قطن اهلالي (عن «البيان والتبيين» للجاحظ ج ١ ص ٢٠).
(٧) النقنق: الظليم وهو ذكر النعام. والدوّ: الفلاة.
(٨) كذا في ط، ء. وفي باقي الأصول: «أتكفرون رجالاً أكفروا» بالهمزة في الفعلين، وكفره بالتضعيف، وأكفره بالهمز: نسبه للكفر.
(٩) كذا في أكثر النسخ، وفي ب، س: «على إلحاد» بدون الهاء.
(١٠)زيادة في ط، ء، حـ.
(١١)الحفل: الجمع من الناس. وفي ط، ء: «في يوم حفله» بزيادة كلمة «يوم»، وفي أكثر النسخ: «في جفله» بالجيم وهو تحريف.
(١٢)في جميع الأصول: «فقال أبو معاذ ولم يقل بشار» ولا وجه لرفع أبي معاذ وبشار هنا، لأن القول ينصب المفرد إذا لم يكن في إسناد.

قال: وكان واصلٌ قد بَلَغ من اقتداره على الكلام وتمكُّنه من العبارة أنْ حَذَفَ الراءَ من جميع كلامه وخُطَبه وجعل مكانَها ما يقوم مَقَامها.

هو أحد أصحاب الكلام الستة:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن عافيةَ بن شَبِيب قال حدّثني أبو سُهَيْل قال حدّثني سَعيد بن سَلّام قال:

كان بالبَصْرة ستّةٌ من أصحاب الكلام: عمرو بن عُبَيد، وواصل بن عطاء، وبَشّارٍ الأعمى، وصالح بن عبد القُدُّوس، وعبد الكريم بن أبي العَوْجاء، ورجلٌ من الأزد ـ قال أبو أحمد: يعني جريرَ بن حازم ـ فكانوا يجتمعون في منزل الأزديّ ويختصمون عنده. فأمّا عَمْرو وواصلٌ فصارا إلى الاعتزال. وأمّا عبدُ الكريم / وصالح [١٤٧/٣] فصحَّحَا التوبة. وأمّا بَشّار فبَقِيَ متحيرًا مُخَلِّطاً. وأمّا الأزديّ فمال إلى قول السُّمَنِيّة[1]، وهو مذهب من مذاهب الهند، وبقي ظاهرُه على ما كان عليه. قال: فكان عبد الكريم يُفسد الأحداثَ؛ فقال له عمرو بن عُبيد: قد بلَغني أنك تخلو بالحَدَث من أحداثنا فتُفسدُه [وتَستزِلّه][2] وتُدْخِلُه في دينك، فإن خرجتَ من مصرنا وإلاّ قمتُ فيك مَقاماً آتِي فيه على نفسك؛ فلِحق بالكوفة، فدُلّ عليه محمدُ بن سليمان فقتَله وصلَبه بها. وله يقول بشّار:

/ قلْ لعبد[3] الكريم يابنَ أبي العَوْ ... جاء بعتَ الإسلامَ بالكفر مُوقَا[4]

لا تصلّي ولا تصوم فإن صُمْـ ... ـتَ فبعضَ النّهار صوماً رَقيقَا

لا تُبالي إذا أصبتَ من الخمـ ... ـرِ عَتيقاً ألاّ تكون عَتيقَا

ليتَ شعري غداةَ حُلّيتَ في الجيـ ... ـد حَنيفاً حُلّيتَ أم زنديقَا

أنت ممّن يَدُور في لَعنة اللـ ... ـه صديق لمن ينيك الصديقَا[5]

٢٥/٣

رأى الأصمعي فيه وفي مروان بن أبي حفصة:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني الرِّياشِيّ قال: سئل الأصمعيّ عن بَشّار ومَرْوان أيّهما أشعر؟ فقال: بشّار؛ فسئل عن السبب في ذلك، فقال: لأنّ مروان سلَك طريقاً كثُر من يَسْلُكه فلم يلحَق من تقدّمه، وشَرِكَه فيه من كان في عصره، وبشّار سلَك طريقاً لم يُسلَك وأحسنَ فيه وتفرّد به، وهو أكثر تصرّفاً وفنونَ شعرٍ وأغزرُ وأوسعُ بَديعا، ومروان لم يتجاوز مَذاهب الأوائل.

/ أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني العَنَزيّ عن أبي حاتم قال سمعت الأصمعيّ وقد عاد إلى البَصْرة من بغداد [١٤٨/٣] فسأله رجل عن مَرْوانَ بن أبي حَفْصةَ، فقال: وجَد أهلَ بغداد قد ختَموا به الشّعراء وبشّار أحقُّ بأن يَخْتِموهم به من

(١) السمنية (بضم السين وفتح الميم): قوم من أهل الهند دهريون. وقال الجوهري: السمنية: فرقة من عبدة الأصنام تقول بالتناسخ وتنكر وقوع العلم بالأخبار، وهي نسبة إلى «سومنات» بلد بالهند؛ والدهريون: هم الذين ذهبوا إلى قدم الدهر وإسناد الحوادث إليه، وهم قوم ملحدون لا يؤمنون بالآخرة.

(٢) زيادة في ط، ء. وتستزله: توقعه في الزلل.

(٣) كذا في ء، ط. وفي باقي الأصول: «قلت عبد الكريم».

(٤) موقاً: حمقاً وغباوة.

(٥) في ب، س، حـ: «صديقاً» بالتنكير.

مروان؛ فقيل له: ولِمَ؟ فقال: وكيف لا يكون كذلك وما كان مروان في حياة بشّار يقول شعراً حتّى يُصلحَه له بَشّار ويُقَوِّمَه! وهذا سَلْمٌ الخاسِرُ من طبقة مروان يزاحمه بين أيدي الخلفاء بالشعر ويساويه في الجوائز، وسَلْم مُعترف بأنه تَبَعٌ لبشّار.

مقارنته بأمرىء القيس والقطامي:

أخبرني جَحْظةُ قال سمعت عليّ بن يحيى المُنجِّم يقول: سمعتُ مَن لا أُحصِي من الرّواة يقولون: أحسنُ الناس أبتداء في الجاهليّة أمرؤ القيس حيث يقول:

* ألا أنعِمْ صَباحاً أيُّها الطَّلل البالي *

وحيث يقول:

* قِفَا نبكِ من ذِكرَى حبيبٍ ومنزِلِ *

وفي الإسلام القَطَاميّ حيث يقول:

* إنّا مُحيّوكَ فاسلَم أيُّها الطَّلَل *

ومن المُحدَثين بشّار حيث يقول:

صوت

أبَى طَلَلٌ بالجِزع أن يتكلّما ... وماذا عليه لو أجاب مُتيَّما

وبالفرع[1] آثارٌ بقين وباللِّوَى[2] ... ملاعبُ لا يُعرَفْنَ إلا توهُّما

[١٤٩/٣] / وفي هذين البيتين لأبن المَكّي ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى[3] من كتابه. وفيهما لابن جُؤذَرٍ رَمَلٌ.

مقارنة بينه وبين مروان بن أبي حفصة:

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن أبي حاتم قال:

كان الأصمعي يُعْجَبُ بشعر بَشّار لكثرة فنونه وسعة تصرُّفه، ويقول: كان مطبوعاً لا يُكلّف طَبْعه شيئاً متعذّراً لا كمن يقول البيت ويحكّكه أياماً. وكان يُشبِّه بَشّاراً بالأعشى والنّابِغة الذُّبيانيّ، ويشبِّه مروانَ بزُهَير والحُطَيئة، ويقول: هو متكلِّف.

قال الكُرانيّ: قال أبو حاتم: وقلت لأبي زيد: أيُّما أشعرُ بشّارٌ أم مروان؟ فقال: بشّار أشعر، ومروان أكفر.

---

(١) كذا في ب، س، حـ، وذكر «ياقوت» أن الفرع بالفتح ثم السكون: موضع من وراء الفرك، ولم يزد على هذا، والفرع بالضم والسكون: قرية بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة. فيها نخل ومياه كثيرة، ومنهم من ضبط اسم هذه القرية بضم أوّله وثانية. (انظر «ياقوت» في اسم «فرع»)، وفي «وإحدى روايتي ط: «وبالقاع»، والقاع: منزل بطريق مكة بعد العقبة، وفي أ، م: «وبالجزع».

(٢) اللوى في الأصل: منقطع الرملة، وهو اسم موضع بعينه. قال «ياقوت»: «قد أكثر الشعراء من ذكره وخلطت بين ذلك اللوى والرمل فعز الفصل بينهما» ثم قال: «وهو واد من أودية بني سليم».

(٣) كذا في أكثر الأصول. وفي أ، م، حـ: «في مجرى البنصر».

قال أبو حاتم: وسألت أبا زيد مرّة أخرى عنهما فقال: مروان أجَدُّ وبشّارٌ أهْزَلُ؛ فحدّثت الأصمعيّ بذلك؛ فقال: بشارٌ يصلُحُ للجِدّ والهزل، ومَروان لا يصلحُ إلاّ لأحدهما.

كان شعره سياراً يتناشده الناس:

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا نجمُ بن النَّطّاح قال:

عَهدي بالبصرة/ وليس فيها غَزِلٌ ولا غَزِلةٌ إلاّ يَرْوِي من شعر بشّار، ولا نائحةٌ ولا مُغنيةٌ إلاّ لتكسَّب به، ولا ذو شرفٍ إلاّ وهو يَهَابهُ ويَخاف مَعرّة لسانه. [٣/٢٦]

لم يأت في شعره بلفظ مستنكر:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدّثني أحمد بن المُبَارك قال حدّثني أبي قال:

قلتُ لبشّار: ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلاّ وقد قال فيه شيئاً أستنكرته العربُ من ألفاظهم وشُكّ فيه، وإنه ليس في شعرك ما يُشكُّ فيه؛ قال: ومن / أين يأتيني الخطأ! وُلِدتُ هاهنا ونشأتُ في حُجور ثمانين شَيْخاً من فُصحاء بني عُقَيل ما فيهم أحدٌ يعرِف كلمة من الخطأ، وإن دخلتُ إلى نسائهم فنساؤهم أفصحُ منهم، وأيفعتُ[١] فأبدِيتُ[٢] إلى أن أدركتُ، فمن أين يأتيني الخطأ! [٣/١٥٠]

أخبرني حَبيب بن نَصْر المهلّبيّ وأحمد بن عبد العزيز ويحيى بن عليّ قالوا حدّثنا عمر بن شَبّة قال:

كان الأصمعيّ يقول: إنّ بشاراً خاتمةُ الشعراء، والله لولا أنّ أيّامه تأخرتْ لفضّلتُه على كثير منهم.

هو أول الشعراء في جملة من أغراض الشعر:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو الفَضْل المَرْوَزِيّ قال حدّثني قَعْنَب بن المُحْرِز الباهِليّ قال قال الأصمعيّ:

لَقِيَ أبو عمرو بن العَلاَء بعضَ الرّواة فقال له: يا أبا عمرو، مَنْ أبدعُ الناسِ بيتاً؟ قال: الذي يقول:

لـم يَطُـلْ ليلـي ولكـن لـم أنَـمْ ... ونفَـى عنّـي الكَـرَى طيـفٌ ألَـمّ

رَوِّحـي عنّـي قليـلاً وأعلَمـي ... أنّنـي يـا عَبْـدَ مـن لحـمٍ ودَمْ

قال: فَمَنْ أمدحُ الناس؟ قال: الذي يقول:

لَمسْـتُ بكفّـي كفّـه أبتغـي الغِنَـى ... ولـم أدر أنّ الجـود مـن كفّـه يُعْـدِي

فـلا أنـا منـه مـا أفـاد ذوو الغنَـى ... أفدتُ وأعداني فـأتلفت[٣] مـا عندِي

/ قال: فَمَنْ أهجَى الناسِ؟ قال: الذي يقول: [٣/١٥١]

رأيـت السُّهيْلَيـن أستوَى الجـودُ فيهمـا ... على بُعْد ذا مـن ذاك فـي حُكـم حـاكـمِ

(١) يفع الغلام وأيفع إذا راهق البلوغ فهو يافع ولا يقال: موفع.
(٢) أبديت (بالبناء للمفعول): أخرجت إلى البادية.
(٣) في ء، ط. «فبذرت».

سُهَيْلُ بنُ عثمانَ يَجودُ بمالِه ... كما جادَ بالوَجْعا[١] سُهَيلُ بنُ سالمِ

قال: وهذه الأبيات كلُّها لبَشّار.

نسبة ما في هذا الخبر من الأشعار التي يُغنّى فيها

صوت

لم يَطُلْ ليلي ولكن لم أنَمْ ... ونفَى عنّي الكرى طيفٌ ألَمّ

وإذا قلتُ لها جُودي لنا ... خرجتْ بالصَّمْتِ عن لا ونعَمْ

نَفِّسي[٢] يا عَبْدَ عنّي واعلمي ... أنّني يا عبدَ من لحمٍ ودمْ

إنَّ في بُرْدَيَّ جسماً ناحِلاً ... لو توكّأتِ عليه لانهدَمْ

ختَم الحبُّ لها في عُنُقي ... موضِعَ الخاتَمِ من أهل الذِّمَمْ

غناه إبراهيم هزَجاً بالسَّبّابة في مجرى الوُسْطَى عن ابن المكيّ والهشاميّ. وفيه لقَعْنَب الأسْود خفيفُ ثقيلٍ.

فأما الأبيات التي ذكر أبو عمرو أنّه فيها أمدحُ الناس وأوّلها:

* لَمَسْتُ بكَفّي كفَّه أبتغي الغِنَى *

٢٧/٣ فإنه ذكر أنها لبَشّار. وذكر الزُّبيرُ بنُ بكّار أنها لابن الخيّاط / في المَهْدِيّ، وذكر له فيها معه خبراً طويلاً قد ذكرته في أخبار ابن الخيّاط في هذا الكتاب[٣].

٧ **هجا صديقه ديسماً لأنه يروي هجاءه:**

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مَهْدِيّ الكِسْرَوِيّ قال حدّثنا أبو حاتم قال:

[٣/١٥٢] / كان بشارٌ كثير الوَلُوع بدَيْسَم العَنَزيّ وكان صديقاً له وهو مع ذلك يُكثِرُ هجاءَه، وكان ديسمٌ لا يزال يحفظ شيئاً من شعر حمّادٍ وأبي هشام الباهليّ في بشّارٍ؛ فبلغه ذلك فقال فيه:

أدَيْسَمُ يابنَ الذئبِ من نَجْلِ زارعٍ ... أتَرْوِي هِجَائي سادِراً[٤] غيرَ مُقْصِرِ

قال أبو حاتم: فأنشدْتُ أبا زيد هذا البيتَ وسألتُه ما يقولُ فيه، فقال: لمنْ هذا الشعرُ؟ فقلتُ: لبشار [يقوله][٥] في دَيْسَم العنزيّ؛ فقال: قاتله الله ما أعلَمَه بكلام العرب! ثم قال: الدَّيسَمُ: ولدُ الذئب من الكَلْبةِ، ويقال للكلاب: أولادُ زارعٍ. والعِسْبَارُ: ولدُ الضَّبُعِ من الذئب[٦]. والسِّمْعُ: وَلَدُ الذئب[٧] من الضَّبع. وتزعمُ

(١) الوجعاء: الدبر.

(٢) ورد فيما تقدم: «روِّحي».

(٣) (انظر ج ١٨ ص ٩٤ «أغاني» طبع بولاق).

(٤) السادر: الذي لا يهتمّ لشيءٍ ولا يُبالي ما صنع.

(٥) زيادة في م، وهامش أ.

(٦) أي إن أمه ضبع وأباه ذئب كما ذكره الدميريّ في «حياة الحيوان» في الكلام على الضبع.

(٧) اتفقت كتب اللغة على هذا التفسير ولعله «الذئبة» بالتاء لأن الذئب لا يذكر ويؤنث كالضبع. وفي كتاب «الحيوان» للجاحظ جزء ٦ ص ٤٥ ما يؤيد ذلك حيث قال: «والأعراب تزعم أن الله تعالى لم يدع ما كسا إلا أنزل فيه بلية وأنه مسخ منهم اثنين ضبعاً وذئباً=

العَرَبُ أن السِّمْع لا يموتُ حتفَ أنفِه، وأنه أسرَعُ من الريح وإنما هلاكُه بعَرَض من[١] أعراض الدنيا.

مزاحه مع حمدان الخرّاط:

أخبرنا حبيبُ بنُ نصرٍ المهلَّبيّ قال حدّثنا عمرُ بنُ شَبّة قال:

كان بالبصرة رجلٌ يقال له: حَمْدانُ الخرّاطُ، فاتخذ جاماً لإنسان كان بشّارٌ عنده، فسأله بشارٌ أن يتخذَ له جاماً فيه صُوَرُ طيرٍ تطيرُ، فاتخذه له وجاءه به، فقال له: ما في هذا الجام؟ فقال: صُوَرُ طيرٍ تَطيرُ؛ فقال [له: قد][٢] كان ينبغي أن تتخذَ فوق / هذه الطيرِ طائراً من الجوارح كأنه يُريدُ صيدَها، فإنه كان أحسنَ؛ قال: لم أعلم؛ قال: بَلَى [١٥٣/٣] قد علمتَ، ولكن عَلِمْتَ[٣] أني أعمى لا أُبصِرُ شيئاً! وتهدّده بالهجاء، فقال له حَمْدانُ: لا تفعَلْ فإنك تندمُ؛ قال: أَوَ تُهَدِّدُني أيضاً! قال: نعم؛ قال: فأيّ شَيْءٍ تستطيعُ أن تَصنعَ بي إن هجوتُكَ! قال: أُصَوِّرُكَ على باب داري بصُورَتكَ هذه وأجعَلُ مِنْ خلفكَ قِرداً يَنْكحُكَ حتى يَراكَ الصَّادِرُ والوَارِدُ؛ قال[٤] بشارٌ: اللّهمّ أَخزِه، أنا أمازِحُهُ وهو يأبَى إلا الجِدَّ!.

مفاخرة جرير بن المنذر السدوسي له وما قاله فيه بشار من الشعر:

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى والحسنُ بن عليّ ومحمدُ بنُ عِمْرانَ الصَّيْرَفيّ قالوا: حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثني جعفر بن محمد [العدويّ[٥] عن محمد] بن سَلّام قال حدّثني مَخْلَدٌ أبو سفيانَ قال:

كان جريرُ بنُ المُنْذِرِ السَّدُوسِيّ يُفاخِرُ بشّاراً؛ فقال فيه بشّار:

أَمِثْلُ بَني مُضَرٍ وَائِلٌ ... فَقَدتُكَ مِن فاخِرٍ ما أَجَنّ
أَفي النومِ هذا أبا مُنْذِرٍ ... فَخَيْراً رأيتَ وخيراً يَكُنْ
رأيتُكَ والفخرَ في مثلِها ... كعاجنةٍ غيرَ ما تَطْحَنْ

وقال يحيى في خبره: فحدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني عاصم[٦] بنُ وهبٍ أبو شِبْلٍ الشاعر البُرْجُمِيّ قال حدّثني محمدُ بن الحَجّاج السراداني[٧] قال:

/ كنّا عند بَشّار وعنده رجلٌ ينازعه في اليمانيَةِ والمُضَرِيَّةِ إذ أَذّن المؤذِّن، فقال له بشار: رُوَيداً، تَفَهَّمْ هذا [١٥٤/٣] الكلامَ؛ فلما قال: أشهدُ أنّ محمداً رسولُ اللّهِ، قال له بشّار: أهذا الذي نُودي باسمه مع اسم الله عزّ وجلّ من مُضرَ

= فلهذه القرابة تسافدا وتناجلا وإن اختلفا في سوى ذلك، ومن ولدهما: السمع والعسبار وإنما اختلفتا لأن الأم ربما كانت ضبعاً والأب ذئباً وربما كانت الأم ذئبة والأب ذيخاً والذيخ: ذكر الضباع».

(١) هكذا في ء، ط، حـ. وفي سائر النسخ: «بغرض من أغراض» بالغين وهو تصحيف.

(٢) زيادة في ء، ط.

(٣) في ء، ط: «ولكن قد عملت على أني أعمى».

(٤) في ء، ط: «فقال» بالفاء.

(٥) زيادة عن ء، ط وبها يستقيم السند.

(٦) كذا في ترجمته في ج ١٣ ص ٢٢ «أغاني» طبع بولاق، وفي مواضع أخرى من هذا الكتاب. ووقع في هذا الموضع في أكثر النسخ «عصيم». وفي ء، ط: «أعصم» وهو تحريف.

(٧) هكذا ورد هذا الاسم في جميع الأصول وفي «معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص» ص ١٣١ طبع بولاق «السوادي» ولم نعثر على تصحيحه.

هو أم من صُدَاءٍ وعَكٍّ وحِمْيَر؟ فسكتَ الرجلُ.

نقده للشعر:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال أنشِدَ[1] بشارٌ قولَ الشاعر:

وقد جَعَل الأعداءُ ينتقِصُوننا ... وتطمَعُ فينا ألسُنٌ وعيونُ

ألا إنما ليلى عَصَا خَيزُرَانةٍ ... إذا غمزُوها بالأكفّ تَلِينُ

٢٨/٣ / فقال: والله لو زعم أنها عَصا مُخّ أو عصا زُبْدٍ، لقد كان جعلها جافيةً خَشِنَةً بعد أن جعلها عصاً! ألا قال كما قلتُ:

ودَعْجاءِ المَحَاجرِ من مَعَدٍّ ... كأن حديثَها ثَمرُ الجِنَانِ

إذا قامت لِمشيتِها[2] تثنَّتْ ... كأن عظامَها من خَيزُرانِ

اعتداده بنفسه:

أخبرني حَبيبُ بن نَصْر المهلَّبيّ قال حدّثنا عمر بنُ شَبّة قال أخبرني محمد بن [صالح بن][3] الحجاج قال: قلتُ لبشار: إنِّي أنشدتُ فلاناً قولكَ:

إذا أنتَ لم تشرَبْ مِرَاراً على القَذَى ... ظَمِئْتَ وأيُّ الناسِ تَصفُو مَشَارِبُهْ

فقال لي: ما كنتُ أظنه إلا لرجل كبير؛ فقال لي بشار: ويلك! أفلا قلتَ له: هو والله لأكبرِ الجنِّ والإنسِ!.

/ وعدته امرأة واعتذرت فعاتبها بشعر:

[٣/١٥٥] أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثني أبو الشِّبْل عن محمد بن الحجاج قال:

كان بَشّارٌ يَهْوَى امرأةً من أهل البصرة فراسلَها يسألُها زيارتَه، فوعدتْه بذلك ثم أخلفَتْه، وجعل ينتظرها ليلتَه حتى أصبح، فلما لم تأته أرسل إليها يُعاتبُها فاعتذَرتْ بمرض أصابها؛ فكتب إليها بهذه الأبياتِ:

يا لَيْلَتي تزدادُ نُكْرَا ... مِن حُبِّ مَنْ أحببتُ بِكْرَا

حَوراءُ إن نظرت إليـ ... ـكَ سقتكَ بالعينينِ خَمرَا

وكأن رَجْعَ حديثِها ... قِطَعُ الرياض كُسِينَ زَهْرَا

وكأن تحت لسانها ... هاروتَ ينفُثُ فيه سِحْرَا

وتَخالُ ما جمعَتْ عليـ ... ـه ثيابَها ذهباً وعِطْرَا

---

(١) كذا في ء، ط. وفي باقي الأصول: «أنشدنا بشار».

(٢) كذا في جميع الأصول وفي «كامل» المبرّد ج ٢ ص ٤٩٧ طبع أوروبا: «لِسُبْحَتِها» والسُّبحة: صلاة التطوّع والنافلة. والمشهور في رواية هذا البيت:

* إذا قامت لحاجتها تثنت *

(٣) زيادة في ء، ط.

وكـأنهـا بَـرْدُ الشـرا ... ب صَفَـا ووافـق منـك فِطْـرَا
جِنِّيَّـةٌ إنسيَّـةٌ ... أو بيـنَ ذاك أجـلُّ أمـرَا
وكفـاك أنـي لـم أحِـطْ ... بشَكـاةِ مَـنْ أحببـتُ خُبـرَا
إلا مقـالـةَ زائـرٍ ... نَثَـرتْ لِـيَ الأحـزانَ نثـرَا
مُتخشِّعـاً تحـت الهَـوى ... عشـراً وتحـت المـوتِ عشـرَا

كان إسحاق الموصلي لا يعتدّ به ويفضل عليه مروان:

حدّثني جَحْظةُ قال حدّثني عليّ بن يحيى قال:

كان إسحاقُ الموصليّ لا يَعتَدُّ ببشارٍ ويقول: هو كثيرُ التخليط في شعره[1]، وأشعارُه مُختلفةٌ، لا يُشبِه بعضُها بعضاً؛ أليس هو القائل:

/ إنمـا عَظْـمُ سُلَيمَـى حِبَّتـي[2] ... قَصَـبُ السُّكَّـرِ لا عَظْـمُ الجمَـلْ [١٥٦/٣]
وإذا أدْنَيـتَ منهـا بصَـلاً ... غلـبَ المِسـكُ علـى ريـحِ البصَـلْ

لو قال كلَّ شيء جيّدٍ ثم أُضيفَ إلى هذا لزيَّفَهُ. قال: وكان يُقدِّمُ عليه مَرْوانَ ويقول: هذا هو أشدُّ استواءَ شِعْرٍ منه، وكلامُه ومذهبُه أشبهُ بكلام العرب ومذاهبها، وكان لا يَعُدُّ أبا نواس ألبتةَ ولا يَرى فيه خيراً.

أنشد إبراهيم بن عبدالله هجوه للمنصور ولما قتل غيرها وجعلها في هجو أبي مسلم:

حدّثنا محمد بن عليّ[3] بن يحيى قال حدّثنا محمدُ بن زكريّا قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن التَّيْميّ قال:

دخل بَشّار إلى إبراهيمَ بنِ عبدالله بن حسن، فأنشده قصيدةً يهجو فيها المنصورَ ويُشيرُ عليه برأيٍ يستعمله في أمره، فلما قُتِلَ / إبراهيمُ خاف بشارٌ، فقلبَ الكنيةَ، وأظهر أنه كان قالها في أبي مُسلم وحذَف منها أبياتاً وأوّلُها: ٢٩/٣

أبـا جعفَـرٍ مـا طـولُ عيـشٍ بـدائـمٍ ... ولا سـالـمٌ عمَّـا قَليـلٍ بسَـالـمِ

قلب هذا البيت فقال: «أبا مسلم».

علـى المَلْـكِ الجَبّـار يَقتحِـمُ الـردى ... ويصـرَعُـه فـي المـأزِق المتـلاحـمِ
كـأنـك لـم تَسمَعْ بقتل مُتـوَّجٍ ... عظيـم ولـم تسمع بفَتـك[4] الأعـاجـمِ
تَقَسَّـمَ كِسَـرى رهطُـه بسيـوفهـم ... وأمسـى أبـو العبـاسِ أحـلامَ نـائـمِ

يعني الوليدَ بن يزيدَ.

وقـد كـان لا يخشَـى انقـلابَ مكيـدةٍ ... عليـه ولا جَـرْيَ النُّحُـوسِ الأشـائـمِ
مُقيمـاً علـى اللّـذاتِ حتـى بَـدتْ لـه ... وجـوهُ المنـايـا حـاسِـرَاتِ العمـائـمِ

---

(١) كذا في أكثر النسخ. وفي س، أ، م: «في نثره».
(٢) كذا في أكثر النسخ. وفي أ، م، حـ: «خلتي» وكلاهما بمعنى الصديقة والمحبوبة.
(٣) كلمة «ابن علي» ساقطة في أ، م، حـ.
(٤) في ء، ط: «ولم تعلم بقتل الأعاجم».

[٣/١٥٧] / وقـد تَـرِدُ الأيـامُ غُـرًّا ورُبَّمَـا وَرَدْنَ كُلُـوحـاً بـادِيـاتِ الشَّكـائِـمِ

ومَرْوَانُ[١] قد دارَتْ على رأسه الرحى وكـان لِمَـا أجـرمْـتَ نَـزْرَ الجرائِـمِ

فـأصبحتَ تجـرِي سـادراً في طريقهم ولا تَتَّقِـي أشبـاهَ تلـكَ النقـائـمِ

تجـرَّدتَ لـلإسـلام تعفُـو[٢] سبيلَـه وتُعْـرِي مَطـاهُ[٣] للُيُـوثِ الضَّـراغِـمِ

فمـا زِلـتَ حتى استنصرَ الـدينُ أهلَـه عليـكَ فعـاذُوا بـالسّيـوفِ الصـوارمِ

فَـرُمْ وَزَراً يُنْجِيـكَ يـابـنَ سَـلاَمـةٍ فلسـتَ بِنَـاجٍ مـن مَضِيـم وضَـائـمِ

جعل موضع «يابنَ سلامة» «يابن وشيكة»[٤] وهي أمّ أبي مسلم.

لَحَـا الله قـومـاً رأسُـوكَ عليهـمُ ومـا زِلـتَ مَـرْؤوسـاً خبيثَ المطاعـمِ

أَقُـولُ لِبَسَّـامٍ عليـه جَـلاَلَـةٌ غَـدَا أَرْيَحِيًّـا عـاشِقـاً للمكـارمِ

مـن الفـاطميّيـن الـدُّعَـاةِ إلـى الهـدَى جِهاراً ومَنْ يَهْدِيكَ مثلُ ابنِ فاطمِ[٥]

هذا البيتُ الذي [خافه و][٦] حذفه بشارٌ من الأبيات.

سِـراجٌ لعيـن المستضِيءِ وتـارَةً يكـون ظَـلاَمـاً للعـدوِّ المـزاحِـمِ

إذا بلـغَ الـرأيُ المَشُـورةَ فـاستعِـنْ بـرَأْيِ نَصِيـحٍ أو نَصِيحـةِ حـازمِ

ولا تجعَـلِ الشُّورَى عليـكَ غضَـاضَـةً فـإنَّ الخـوَافِـي قُـوَّةٌ للقَـوادِمِ

ومـا خيرُ كـفٍّ أمسكَ الغُلُّ[٧] أختَهـا ومـا خيـرُ سَيـفٍ لـم يُـؤَيَّـدْ بقـائـمِ

[٣/١٥٨] / وخَـلِّ الهُـوَيْنَـا للضَّعيـف ولا تكُـنْ نَـؤُومـاً فـإن الحَـزْمَ ليـس بنـائـمِ

وحَـارِبْ إذا لـم تُعـطَ إلا ظُـلاَمـةً شَبَـا الحربِ خيرٌ مـن قَبُـول المظـالـمِ

قال محمد بن يحيى: فحدّثني الفضلُ بن الحُبَاب قال سمعتُ أبا عثمانَ المازِنيّ يقول سمعتُ أبا عبيدةَ يقول: مِيميَّةُ بشارٍ هذه أحب إليّ من مِيميَّتَيْ جريرٍ والفرزدقِ.

قال محمد: وحدّثني ابنُ الرِّيَاشيّ قال حدّثني أبي قال:

حديث بشار في المشورة:

قال الأصمعيّ قلت لبشّار: يا أبا مُعاذٍ، إن الناس يَعجَبُونَ من أبياتك في المَشُورةِ؛ فقال لي: يا أبا سعيد، إن

---

(١) يريد به مروان الحمار آخر ملوك بني أمية الذي قتله أبو العباس السفاح بمصر.

(٢) تعفو: تمحو، يقال: عفت الريح المنزل أي محته ودرسته.

(٣) المطا: الظهر.

(٤) كذا في أكثر الأصول: وهو الموافق لما في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (ج ١ ص ٣٩٧) في ترجمة أبي مسلم الخراساني. وفي ط: «وشيلة».

(٥) أصله فاطمة فرخمه بحذف تاء التأنيث، والترخيم في غير النداء جائز للضرورة.

(٦) زيادة في ط.

(٧) الغل بالضم: الحديدة التي تجمع بين يد الأسير وعنقه، وتسمى الجامعة.

المُشَاوِرَ بين صَوابٍ يفوزُ بثمرته أو خَطإٍ يُشارَكُ / في مكروهه؛ فقلت له: أنت واللّهِ في قولكَ هذا أشعرُ منكَ في شعرك. ٣٠/٣

بشار والمعلى بن طريف:

حدّثني الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا الفَضْلُ بن محمد اليَزِيدِيّ عن إسحاقَ وحدّثني به محمد بن مَزْيَدَ بن أبي الأزهر عن حَمّاد عن أبيه قال:

كان بشّارٌ جالساً في دار المهديّ والناسُ يَنتظرونَ الإذنَ، فقال بعضُ موالي المهديّ لمن حضر: ما عندكم في قول الله عزّ وجلّ:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾ فقال له بشارٌ: النّحلُ التي يعرِفُها الناسُ؛ قال هيهاتَ يا أبا مُعاذٍ، النحلُ: بنو هاشم، وقوله: ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ يعني العلم؛ فقال له بشّار: أَرَاني اللّهُ طعامَكَ وشرابَكَ وشِفَاءَكَ فيما يخرجُ من بطون بني هاشم، فقد أوسَعْتَنا غَثَاثَةً؛ فَغَضِبَ وشتَم بشّاراً؛ وبلغ المهديَّ الخبرُ فدعا بهما فسألهما عن القصة، فحدّثه بَشّارٌ بها؛ فضحِكَ حتى أمسكَ على بطنِه، ثم قال للرجل: أَجَلْ! فجعل اللّهُ طعامكَ وشرابكَ مما يخرجُ من بطون بني هاشمٍ، فإنكَ باردٌ غَثٌّ. وقال / محمد بن مَزْيَدَ في خبره: إنّ الذي خاطب بشّاراً بهذه الحكايةِ وأجابه عنها مِنْ موالِي المهديّ [١٥٩/٣] المُعَلَّى بنُ طَرِيفٍ.

بشار ويزيد بن منصور الحميري:

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دخل يَزِيدُ بنُ منصور الحِمْيَرِيُّ على المَهْدِيّ وبشّارٌ بين يديه يُنشِدُه قصيدةً أمتدحه بها، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيدُ بن منصور الحِميَرِيّ، وكانت فيه غَفْلَةٌ، فقال له: يا شيخُ، ما صناعتُكَ؟ فقال: أثقُبُ اللؤلؤَ؛ فضحك المهديّ ثم قال لبشّار: أَعْزُبْ[١] ويلكَ؛ أتتنادَرُ على خالي! فقال له: وما أصنعُ به! يرى شيخاً أعمى يُنشِدُ الخليفةَ شِعراً ويسأله عن صناعته!.

ترك جواب رجل عاب شعره للؤمه:

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال:

وقف على بَشّار بعضُ المُجّانِ وهو يُنشِدُ شعراً؛ فقال له: أسْتُرْ شِعرَكَ هذا كما تستُر عورتَكَ؛ فصفّقَ بشّارٌ بيديه وغضِب وقال له: من أنت ويلك؟ قال: أنا أعزّكَ الله رجل من باهِلَةَ[٢]، وأخوالي [من][٣] سَلُول[٤]، وأصهاري عُكْل[٥]، وأسمي كلبٌ، ومولدي بأَضاخ[٦]، ومنزلي بنَهْر[٧] بلال؛ فضحك بشّارٌ ثم قال: أذهب

(١) أعزب: أبعد. وفي ء، ط، حـ: «أغرب» بالغين المعجمة والراء المهملة وهي بمعناها.

(٢) باهلة: قبيلة من قيس عيلان وهو اسم امرأة من همدان كانت تحت معن بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان فنسب ولده إليها.

(٣) زيادة في ء، ط.

(٤) سلول: قبيلة من هوازن وهم بنو مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وسلول أمهم نسبوا إليها.

(٥) عكل: قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة ويستحمق: عكليّ.

(٦) أضاخ: قرية من قرى اليمامة لبني نمير.

(٧) كذا في ء، ط. ونهر بلال بالبصرة احتفره بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وجعل على جنبيه حوانيت ونقل إليها السوق. =

ويلكَ! فأنت عَتِيقُ لؤمِك، قد علم اللّهُ أنك أستترتَ منّي بحصونٍ من حديد.

[٣/١٦٠] / وصف قاص قصراً كبيراً في الجنة فعابه:

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمدُ بن القاسم بن مَهْرُوَيْهَ قال حدّثني الفضلُ بنُ سَعيد قال حدّثني أبي قال:

مرّ بشار بقاصٍّ بالبصرة[١] فسمعه يقولُ في قَصَصِه: مَنْ صام رجباً وشعبانَ ورمضانَ بنى اللّهُ له قصراً في الجنّة صَحنُه ألفُ فرسخ في مثلها وعُلُوُه ألفُ فرسخ وكلّ باب من أبواب بيوته ومقاصِرِه عشرةُ فراسخ في مثلها، قال: فألتفتَ بشارٌ إلى قائده. فقال: بئستْ واللّهِ الدارُ هذه في كانون الثاني[٢].

سمع صخباً في الجيران فقال كأن القيامة قامت:

قال الفضلُ بنُ سَعيد وحدّثني رجلٌ من أهل البصرة ممن كان يتزوّج بالنّهاريّاتِ[٣] قال: تزوّجتُ امرأةً منهن فاجتمعتُ معها في عُلْوِ بيتٍ وبشّار تحتنا، أو كنا في أسفلِ البيت وبشارٌ في عُلْوِهِ مع امرأةٍ، فنهَق حمارٌ في الطريق فأجابه حمار في الجيرانِ وحمارٌ في الدار فارتجّتِ الناحيةُ بنهيقها، وضربَ الحمارُ الذي في الدار الأرضَ برجله وجعل يَدُقُّها بها دقًّا شديداً فسمِعتُ بشّاراً يقول للمرأة: نُفِخَ - يعلم الله - في الصُّورِ وقامتِ القيامةُ أما تسمَعِينَ كيف يُدَقُّ على أهل القبور حتى يخرجوا منها! قال: ولم يلبث أن فَزِعَتْ شاةٌ كانت في السطح فقطعَتْ حبلَها وعَدَت فألقَتْ طبقاً وغَضَارةً[٤] / الى الدار فانكسرا، وتطاير حمامٌ ودَجاجٌ كنّ في الدار لصوت الغضارةِ وبكى صبيٌ في الدار؛ فقال بشّار: صحّ والله الخبرُ ونُشِرَ أهلُ القبور من قبورهم أزِفَتِ - يشهدُ اللّهُ - الآزفةُ وزُلزِلَتِ الأرضُ زِلْزالَها؛ فعجِبْتُ من كلامه وغاظني ذلك؛ / فسألتُ مَنِ المتكلم؟ فقيل لي: بشارٌ، فقلت: قد علمتُ أنه لا يتكلّم بمثل هذا غيرُ بشّارٍ. [٣/١٦١]

نكتة له مع رجل رمحته بغلة فشكر الله:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن محمد جدار[٥] قال حدّثني قُدَامةُ بن نوح قال:

مرّ بشارٌ برجل قد رمَحته[٦] بغلةٌ وهو يقول: الحمد لله شكراً، فقال له بشّار: استَزِدْه يَزِدْكَ. قال: ومرّ به قومٌ يحملون جنازة وهم يُسرعونَ المشيَ بها، فقال: ما لهم مُسرِعِينَ! أتُراهُمْ سَرَقُوه فهم يخافونَ أن يُلْحَقُوا فيُؤخذَ منهم!.

مات ابن له فرثاه:

= وفي حـ: «ظهر بلال». وفي باقي الأصول: «ظفر بلال» وكلاهما تحريف.

(١) كذا في ء، ط. وفي باقي الأصول: «بالمدينة».

(٢) كانون الأول وكانون الثاني: شهران شمسيان يقعان في قلب الشتاء، معربان عن الرومية.

(٣) كذا في جميع الأصول ولعلها نسبة إلى بني النهاري: قبيلة من الأشراف باليمن.

(٤) في ء، ط: «فألقت طبقاً فيه غضارة» والغضارة: القصعة الكبيرة فارسية. وفي أ، م: «فألقت طبقاً وغزارة».

(٥) هكذا ورد هذا الاسم في أكثر الأصول. وفي ء هكذا: «محمد بن حصار» وفي ط هكذا: «محمد بن صعار». وفي العرب من تسمى بجدار وحصار. ولم نوفق إلى تحقيقه في الكتب التي بأيدينا.

(٦) رمحته: رفسته.

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عافيةَ بن شَبيب، وأخبرني به وكيعٌ عن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك عن الحسن بن جُمْهورٍ، قالا[١]:

تُوُفّيَ ٱبنٌ لبشار فجزعَ عليه؛ فقيل له: أجرٌ قدّمتَهُ، وفَرَطٌ ٱفترطتَه، وذُخْرٌ أحرزْتَه، فقال: ولَدٌ دفنْتُه، وثُكْلٌ تعجّلْتُه، وغَيبٌ وُعِدتُه فانتظرتُه؛ والله لئن لم أجزَعْ للنقص لا أفرحُ للزيادة. وقال يَرْثيه:

أجَارتَنَا لا تَجْزَعِي وأنيبِي ... أتاني من الموت المُطِلُ نَصيبِي

بُنَيٌّ على رَغْمِي وسُخْطِي رُزِئتُه ... وبُدِّلَ أحجاراً وجَالَ[٢] قليبِ

وكان كريحانِ الغصون[٣] تَخالُه ... ذَوِي بعد إشراقٍ يَسُرُّ وطِيبِ

/ أُصِيبَ بُنَيٌّ حين أورقَ غُصنُه ... وألْقى عليَّ الهَمَّ كُلُّ قَريبِ [٣/١٦٢]

عَجِبْتُ لإسراعِ المنيّةِ نحوَه ... وما كان لو مُلِّيتُه[٤] بعَجيبِ

نوادره:

أخبرني يحيى بن عليّ قال ذكر عافيةُ بنُ شَبيب عن أبي عثمانَ اللّيثيّ، وحدّثني به الحسنُ بن عليّ عن ٱبن مَهْرُويَهْ عن أبي مُسلم، قالا:

رفَع غلامُ بشّارٍ إليه في حساب نفقته جِلاءَ مِرآةٍ عَشَرةَ دراهِمَ، فصاح به بشّارٌ وقال: والله ما في الدنيا أعجبُ من جِلاءِ مِرآةِ أعمى بعشرةِ دراهمَ، والله لو صَدِئَتْ عينُ الشمس حتى يبقَى العَالَمُ في ظُلْمةٍ ما بلغَتْ أجرةُ مَنْ يَجْلوها عشرةَ دراهمَ.

أخبرنا محمدُ بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني المُغِيرةُ بن محمد المهلَّبيّ قال حدّثنا أبو مُعَاذ النُّميريّ قال: قلت لبشّار: لِمَ مَدَحتَ يزيدَ بنَ حاتم ثم هجوْتَهُ؟ قال: سألني أن أَنِيكَه فلم أفعل؛ فضَحِكتُ ثم قلتُ: فهو كان ينبغي له أن يغضَبَ، فما موضِعُ الهجاء! فقال: أظُنّكَ تُحِبُّ أن تكونَ شريكَه؛ فقلت: أعوذ بالله من ذلكَ ويْلَكَ[٥]!

سئل عن شعره الغث فأجاب:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ٱبنُ مَهْرُويَهْ قال حدّثنا أحمد بن خَلّاد، وأخبرنا يحيى بن عليّ ومحمد بن عِمْرانَ الصَّيْرَفِيّ، قالا حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثنا أحمد بن خَلّاد قال حدّثني أبي قال قلتُ لبشّارٍ: إنكَ لَتَجيءُ بالشيء الهَجِينِ[٦] المتفَاوِتِ، قال: وما ذاكَ؟ قال قلتُ: بينما تقول شعراً تُثِيرُ[٧] به النقعَ وتَخلعُ به القلوبَ، مثل قولك:

إذا ما غَضِبنا غَضْبَةً مُضَرِيّةً ... هَتَكنا حِجابَ الشمس أو تمطِرَ الدمَا

---

(١) كذا في ء، ط. وفي باقي الأصول: «قال» بالإفراد.
(٢) الجال: الجانب، والقليب في الأصل: البئر لأنها قلبت الأرض بالحفر، والمراد هنا القبر.
(٣) كذا في ء وإحدى روايتي ط. وفي أ، م ورواية في ط: «الغروس». وفي ب، س: «العروس».
(٤) مليته: متعت به، يقال ملاك الله حبيبك أي متعك به وأعاشك معه طويلاً.
(٥) كذا في ء، أ. وفي باقي النسخ: «ويك»، وهو تحريف.
(٦) كذا في أكثر الأصول، وفي ء، ط: «المهجن».
(٧) كذا في ء، ط. وفي باقي الأصول: «يثير النقع».

إذا ما أعَرْنا سَيِّداً من قبيلةٍ ذُرَى مِنْبَرٍ صلَّى علينا وسَلَّمَا

[٣/١٦٣] ٣٢/٣ / تقول:

رَبَابَةُ رَبَّةُ البيتِ تَصُبُّ الخلَّ في الزَّيتِ

لها عَشْرُ دَجاجاتٍ وديكٌ حَسَنُ الصَّوتِ

فقال: لكُلٍّ وَجهٌ وموضعٌ، فالقولُ الأوّلُ جِدٌّ، وهذا قُلْتُه في رَبَابةَ جاريتي، وأنا لا آكلُ البيضَ من السُّوقِ، ورَبَابةُ [هذه][1] لها عَشْرُ دجاجاتٍ وديكٌ فهي تجمعُ لي البيضَ [وتحفَظُه عندها][1]، فهذا عندها مِنْ قولي أحسَنُ مِنْ:

* قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حبيبٍ ومَنزِلِ *

عندكَ.

كان يحشو شعره بما لا حقيقة له تكميلاً للقافية:

أخبرني الحسنُ [بن عليّ][2] قال حدّثني أحمدُ بن محمد جِدَار قال حدّثني قُدامةُ بن نوح قال:

كان بشّار يحشُو شِعرَه إذا أعوزَتْه القافيةُ والمعنى بالأشياء التي لا حقيقةَ لها، فمن ذلك أنه أنشدَ يوماً شعراً له فقال فيه:

* غَنِّني للغَرِيض يا بنَ قنانِ *

فقيل له: مَنِ ابنُ قنان هذا، لسنا نعرفه من مُغَنِّي البصرة؟ قال: وما عليكم منه! ألكم قِبَلَهُ دَينٌ فتطالبوه به، أو ثأرٌ تُريدون أن تُدرِكوه، أو كَفَلْتُ لكم به فإذا غاب طالبتُموني بإحضاره؟ قالوا: ليس بيننا وبينه شيء من هذا، وإنما أردنا أن نَعرِفَه، فقال: هو رجل يُغَنِّي لي ولا يخرُجُ من بيتي؛ فقالوا له: إلى متَى؟ قال: مُذ يومَ وُلِدَ وإلى يومِ يموتُ. قال: وأنشدنا أيضاً في هذه القصيدة:

.... [3] ووافا ني هلالُ السماء في البردانِ

[٣/١٦٤] / فقلنا: يا أبا مُعاذٍ. أين البردان هذا؟ لسنا نعرِفهُ بالبصرة، فقال: هو بيت في بيتي سميتُه البردان، أفعليكم مِنْ تَسميتي داري وبيوتَها شيء فتسألوني عنه!.

حدّثني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال حدّثني أبو غسَّانَ دَمَاذ ـ واسمه رَفِيعُ بن سَلَمةَ ـ قال حدّثني يحيى بنُ الجَوْنِ العَبْديّ رَاوِيةُ بشّارٍ قال:

كنا عند بشّار يوماً فأنشدَنا قولَه:

وجاريةٍ خُلِقَتْ وحدَها كأن النساءَ لَدَيْهَا خَدَمْ

(١) زيادة عن ء، ط.
(٢) زيادة عن ء.
(٣) بياض في جميع الأصول.

دُوَار[١] العــــذارَى إذا زُرْنَهــــا أطَفْــنَ بحَــوْراءَ مثــلِ الصَّنَــم[٢]

ظَمِئــتُ إليهــا فلــم تَسْقِنــي بِـرِيٍّ ولـم تَشْفِنِـي مـن سَقَـمْ

وقــالــت هَـوِيـتَ فمـتْ راشِـداً كمـا مـات عُـروةُ[٣] غمًّـا بغَـمّ

فلمــا رأيــتُ الهـوى قــاتِلـي ولسـتُ بجـارٍ ولا بـابـنِ عَـمّ

دسَسْــتُ إليهـــا أبـا مِجْلَــزٍ وأيّ فتًـى إن أصـابَ أعتـزَمْ

فمــا زال حتــى أنــابـتْ لــه فـراح وحـلَّ لنـا مـا حَـرُمْ

فقال له رجل: ومَنْ أبو مجلزٍ هذا يا أبا مُعاذٍ؟ قال: وما حاجتك إليه! لك عليه دينٌ أو تُطالبُه بطائلةٍ[٤]! هو رجل يتردّدُ بيني وبين مَعارِفِي في رسائلَ. قال: وكان كثيراً ما يحشُو شعرَه بمثل هذا.

[٣/ ٦٥]

شعره في قينة:

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه قال:

كانتْ بالبصرة قَيْنَةٌ لبعض وَلَدِ سليمان بن عليّ وكانت مُحسِنةً بارعةَ الظَّرف، وكان بشّار صديقاً لِسيِّدها ومَدّاحاً له، فحضر مجلسَه يوماً والجاريةُ تُغَنّي؛ فَسُرَّ بحضوره وشَرِب حتى سكِر ونام، ونهَضَ بشّارٌ؛ فقالت: يا أبا مُعاذ، أُحِبُّ أن تَذكُرَ يومنا هذا في قصيدة ولا تذكُرَ فيها اسمي ولا اسمَ سيّدي وتَكْتُبَ بها إليه؛ فانصرف وكتب إليه:

وذاتِ دَلٍّ كــأن البــدرَ صُــورَتُهــا باتَتْ تُغنّي عميدَ[٥] القلبِ سكرانَـا:

/ (إنّ العيون التـي فـي طَـرْفِهـا حَـوَرٌ قَتَلْننـا ثـم لـم يُحيِيـنَ قتلانَـا)

[٣٣ / ٣]

فقلـتُ أحسَنْـتِ يـا سُـؤْلِـي ويـا أملـي فـأسمِعِيـنـي جـزاكِ اللّـهُ إحسـانَـا:

(يـا حبّـذا جبـلُ الـرَّيـان[٦] مـن جبـلٍ وحبّـذا سـاكـنُ الـريّـانِ مَـنْ كـانَـا)

قـالـتْ فهـلاّ، فـدَتـكَ النفسُ، أحسـن مِنْ هـذا لِمَـنْ كـان صـبَّ القلـبِ حَيـرانَـا:

(يـا قـوم أُذْنِـي لبعـض الحـيِّ عـاشِقَـةٌ والأذن تَعشَـقُ قبـل العيـن أحيـانَـا)

فقلـتُ أحسنـتِ أنـتِ الشمـسُ طـالعـةً أضـرَمْـتِ فـي القلـب والأحشـاءِ نِيـرانَـا

فَـأسمِعِينِـيَ صـوتـاً مُطـرِبـاً هَـزَجـاً[٧] يـزيـدُ صَبّـاً مُحِبّـاً فيـكِ أشجـانَـا

يـا ليتنـي كنـتُ تُفّـاحـاً مُفَلَّجـةً[٨] أو كنـتُ مـن قُضـبِ الريحـان رَيحـانَـا

(١) كذا في جميع النسخ والدوار بضم الدال وفتحها مع تخفيف الواو وقد تشدّد: صنم كانت العرب تنصبه، يجعلون موضعاً حوله يدورون به، وهو وارد هنا على وجه التشبيه؛ وفي «زهر الآداب» ج ٢ ص ١١٩ طبع المطبعة الرحمانية: «رواء».

(٢) كذا في «زهر الآداب» وفي جميع الأصول: «الضمم» بالضاد المعجمة والميم، وهو تحريف.

(٣) يشير إلى عروة بن حزام العذري صاحب عفراء، أحد العشاق المشهورين الذين قتلهم العشق.

(٤) الطائلة: الذحل والثأر.

(٥) عميد القلب: مريضه، يقال: قلب عميد إذا هدّه العشق وكسره.

(٦) الريان: جبل في ديار طيء لا يزال يسيل منه الماء، وهو في مواضع كثيرة منها.

(٧) الهزج: ضرب من ضروب الأغاني فيه تطريب بتدارك الصوت وتقاربه.

(٨) مفلّجة: مقسمة، ويريد بذلك أنها إذا قسمت كانت أسطع تفحاً وأضوع شذاً وطيباً.

حتى إذا وَجَدَتْ رِيحِي فَأعجبَها ... ونحن في خَلوةٍ مُثِّلْتُ إنسانَا

فحرَّكَتْ عُودَها ثم انثنَتْ طَرَباً ... تَشْدُو به ثم لا تُخفيه كِتمانَا:

(أصبَحْتُ أطوعَ خَلقِ اللهِ كُلِّهِمِ ... لأكثرِ الخلق لِي في الحبّ عِصيانَا)

[٣/١٦٦] / فقلتُ أطربْتِنا يا زَيْنَ مجلسِنَا ... فهاتِ إنكِ بالإحسانِ أولاَنَا

لو كنتُ أعلمُ أنّ الحبَّ يقتُلُني ... أعددتُ لي قبل أن ألقاكِ أكفانَا

فغنَّتِ الشَّرْبَ صَوْتاً مُؤْنِقاً[١] رَمَلاً ... يُذْكِي السّرورَ ويُبْكِي العينَ ألوانَا:

(لا يَقتُلُ اللّهُ مَنْ دامَتْ مَوَدَّتُهُ ... واللّهُ يقتُلُ أهلَ الغَدْرِ أحيانَا)

ووجّه بالأبيات إليها، فبعث إليه سيّدُها بألفَيْ دينار وسُرَّ بها سروراً شديداً.

أغضبه أعرابيّ عند مجزأة بن ثور فهجاه:

أخبرني أحمدُ بن العباس العسكريّ قال حدثني الحسنُ بن عُلَيلٍ قال حدثني عليّ بن منصور أبو الحسن الباهليّ قال حدّثني أبو عبدالله المقرىء الجَحْدَريّ الذي كان يقرأ في المسجد الجامع بالبصرة، قال:

دخلَ أعرابيّ على مَجْزَأَةَ بنِ ثور السَّدُوسيّ وبشّارٌ عنده وعليه بِزَّةُ الشعراءِ، فقال الأعرابيّ: مَنِ الرجلُ؟ فقالوا: رجلٌ شاعرٌ؛ فقال: أَمَوْلىً هو أمْ عَرَبيّ؟ فقالوا: بل مولىً؛ فقال الأعرابيّ: وما للموالي وللشعر! فغضِبَ بشّارٌ وسكتَ هُنيهةً، ثم قال: أتأذَنُ لي يا أبا ثورٍ؟ قال: قل ما شئتَ يا أبا مُعاذٍ؛ فأنشأ بشّارٌ يقول:

خليلَيَّ لا أنامُ على اقتسارِ ... ولا آبَى على مَوْلىً وجارِ

سَأُخبِرُ فاخرَ الأعراب عنّي ... وعنه حين تأذنُ بالفَخارِ

أحينَ كُسِيتَ بعد العُرْيِ خَزّاً ... ونادَمْتَ الكِرامَ على العُقَارِ

تُفَاخِرُ يا ابنَ رَاعيةٍ وراعٍ ... بني الأحرار حَسْبُكَ مِنْ خَسَارِ

وكنتَ إذا ظمِئْتَ إلى قَرَاحٍ ... شَرِكْتَ الكلبَ في وَلْغِ الإطارِ[٢]

تُرِيغُ[٣] بخُطبَةٍ كسرَ الموانِي ... ويُنْسِيكَ المكارمَ صيدُ فَارِ

[٣/١٦٧] / وتَغْدُو[٤] للقنافذ تَدَّرِيهَا[٥] ... ولم تَعقِلْ[٦] بدَرّاجِ[٧] الدِّيارِ

وتَتّشحُ[٨] الشِّمالَ لِلاَبسيها ... وتَرعَى الضأنَ بالبلَدِ القِفَارِ

---

(١) مؤنقاً: معجباً، يقال: آنقني الشيء فهو مؤنق وأنيق كما يقال مؤلم وأليم؛ والرمل: ضرب من الأغاني.

(٢) من معاني الإطار: ما حول البيت فلعله المراد هنا وأن الكلب يلغ في المياه الراكدة حول الدور.

(٣) تريغ: تريد وتطلب وهو المناسب لسياق الكلام، وفي جميع لأصول: «تريع» بالعين المهملة.

(٤) كذا في أكثر الأصول بالغين المعجمة. وي حـ: «تعدو» بالعين المهملة.

(٥) تدّريها: تختلها لتصيدها.

(٦) كذا في جميع النسخ، ولعله «تعلق»، يريد أنه يحاول صيد القنافذ ولا يلحقها.

(٧) الدرّاج: القنفذ.

(٨) كذا في جميع النسخ، ولعله «وتتنسج» بمعنى «تنسج»، والشمال: جمع شملة وهي الكساء يتشح به؛ وفي حديث عليّ قال للأشعث بن قيس: «إن أبا هذا كان ينسج الشمال باليمين»؛ ولا يخفى ما في هذه المقابلة من الحسن.

مُقَامُكَ بيننا دَنَسٌ علينا فليتَكَ غائِبٌ في حَرِّ نارِ
/ وفخرُكَ بين خنزيرٍ وكلبٍ على مِثلي من الحدَثِ الكُبارِ

٣٤/٣

فقال مجزَأةُ للأعرابيّ: قَبَحَكَ اللَّهُ! فأنتَ كَسَبْت هذا الشرَّ لنفسك ولأمثالِك!.

خشي لسانه حاجب محمد بن سليمان فأذن له بالدخول:

أخبرني أحمدُ بنُ العباس العسكريّ قال حدّثني العَنَزيّ عن الرِّياشيّ قال:

حضرَ بشّارٌ بابَ محمد بن سليمان، فقال له الحاجبُ: أصبِر؛ فقال: إنَّ الصبرَ لا يكون إلا على بليَّةٍ؛ فقال له الحاجبُ: إنّي أظنُّ أنّ وراءَ قولكَ هذا شرًّا ولن أتعرَّضَ له، فقم فادخُل.

بشار وهلال الرأي:

أخبرني وكيعٌ قال حدّثنا أبو أيّوبَ المَدينيّ عن محمد بن سلّام قال:

قال هلال الرأي[1] ـ وهو هلالُ بنُ عطيةَ ـ لبشّارٍ وكان له صديقاً يمازحه: إنّ اللَّهَ لم يُذْهِبْ بصرَ أحدٍ إلا عَوّضه بشيء، فما عوّضَك؟ قال: الطويلَ العريضَ؛ قال: وما هذا؟ قال: ألّا أراك ولا أمثالك من الثقلاء. ثم قال له: يا هلال أتُطِيعُنِي / في نصيحةٍ أَخُصُّكَ بها؟ قال نعم؛ قال: إنك كنتَ تسرِقُ الحميرَ زماناً ثم تُبْتَ وصِرتَ [١٦٨/٣] رافِضيًا، فعُدْ إلى سَرِقةِ الحمير، فهي والله خيرٌ لكَ من الرَّفْضِ[2].

قال محمدُ بن سَلّام: وكان هلال يُستَثقَلُ، وفيه يقول بشّارٌ:

وكيفَ يَخِفُّ لي بصري وسمعي وحَولي عَسكَرانِ مِنَ الثِّقالِ
قُعُوداً حولَ دَسْكَرتي[3] وعندي كأنّ لهم عليّ فضولَ مالِ
إذا ما شِئتُ صبَّحَني هِلالٌ وأيُّ الناس أثقلُ من هلالِ

وأخبرني أبو دُلَفَ الخُزاعيّ بهذا الخبر عن عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشةَ، فذكرَ أنّ الذي خاطب بشّاراً بهذه المخاطبة ابنُ سَيّابةَ، فلما أجابه بشّار بالجواب المذكور، قال له: من أنت؟ قال: ابن سَيّابةَ؛ فقال له: يا ابن سَيّابةَ، لو نُكِحَ الأسدُ ما افترَسَ؛ قال: وكان يُتّهمُ بالأُبْنةِ.

ذم أناساً كانوا مع ابن أخيه:

قال أيوب وحدّثني محمدُ بن سلّام وغيره قالوا: مرّ ابنُ أخي بشّارٍ به ومعه قومٌ؛ فقال لرجل معه: مَنْ هذا؟ فقال: ابنُ أخيك؛ قال: أشهد أن أصحابه أنذالٌ؛ قال: وكيف علِمتَ؟ قال: ليستْ لهم نِعالٌ.

---

(١) في جميع الأصول «الرائي» وما أثبتناه هو الموجود في «كتب التراجم»، يذكرونه بهذا الاسم ويقولون: هو هلال بن يحيى بن مسلم البصري، أخذ الفقه عن أبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢ وزفر المتوفى سنة ١٥٨، ويقولون مع هذا: إنه توفي سنة ٢٤٥ انظر «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» و«تاج التراجم في طبقات الحنفية» و«الفهرست» لابن النديم ص ٢٠٥، وذكره ابن حجر في «لسان الميزان» ص ٢٠٢ ج ٦ وبعد أن ذكر أنه توفي سنة ٢٤٥ قال: وفي «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني «هلال الرأي هو هلال بن عطية» وذكر له قصة مع بشار بن برد، فهذا يدل على أنه متقدّم جداً لأن بشاراً قتل في زمن المهدي.

(٢) الرفض (بالكسر): مذهب الرافضة وهم فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن عليّ ثم قالوا له: تبرّأ من الشيخين فأبى فرفضوه وانفضوا عنه فسموا الرافضة.

(٣) الدسكرة: بناء كالقصر، وهي أيضاً: الأرض المستوية.

كان دقيق الحس:

أخبرنا محمد بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني عافيةُ بنُ شَبيب عن أبي دُهمَانَ الغَلاَبِيّ[١] ، قال:

مررتُ ببشّار يوماً وهو جالس على بابه وحدَه وليس معه خَلقٌ وبيده مِخْصَرةٌ[٢] يَلعبُ بها وقُدّامَه طبقٌ فيه [٣/١٦٩] تُفّاحٌ وأُترُجٌّ[٣] ، فلما رأيتُه وليس عنده أحدٌ تاقَتْ نفسِي / إلى أن أسرِقَ ما بين يديه، فجئتُ قليلاً قليلاً وهو كافٌّ [يدَه][٤] حتى مَددْتُ يدي لأتناوَلَ منه، فرفَع القضيبَ وضرب به يدي ضربةً كاد يكسِرُها، فقلتُ [له][٤]: قطعَ اللّهُ يَدَكَ يـابْنَ الفاعلةِ، أنتَ الآن أعمَى! فقال: يا أحمقُ، فأين الحِسُّ!.

حديثه مع نسوة أتينه يأخذن شعره لينحن به:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني العَنَزِيّ قال حدّثني خالدُ بنُ يزيدَ بن وهب بن جرير عن أبيه قال:

كان لبشّار في داره مجلسانِ: مجلسٌ يَجلِسُ فيه بالغداةِ يُسَمِّيهِ «البرداَنَ» ومجلسٌ يَجلِسُ فيه بالعَشِيّ أسمه «الرَّقيقُ»، فأصبح ذاتَ يوم فاحتجمَ وقال لغلامه: أمسكْ عليّ بابِي وأطبُخْ لي مِنْ طَيِّبِ طعامي وصَفِّ نَبيذِي؛ قال: فإنه لكذلك إذ قُرِعَ البابُ قرعاً عنيفاً؛ فقال: ويحكَ يا غلامُ! أُنظُرْ مَنْ يَدُقّ البابَ دَقَّ الشُّرَطِ؛ قال: فنظر الغلامُ، فقال له: نِسوةٌ خَمسٌ بالباب يَسألْنَ أن تقولَ لهنّ شِعراً يَنُحْنَ به؛ فقال: أَدْخِلْهُنّ، فلمّا دخَلنَ نظرنَ إلى النبيذ ٣٥/٣ مُصَفًّى في قَنَانِيِّه / في جانب بيتِه؛ قال: فقالت واحدةٌ منهنّ: هو خمرٌ، وقالت الأخرى: هو زبيبٌ وعسلٌ، وقالت الثالثةُ: نقيعُ زبيبٍ؛ فقال: لستُ بقائلٍ لكنّ حَرفاً أو تَطْعَمْنَ من طعامي وتَشرَبْنَ من شرابي؛ قال: فتماسَكْنَ ساعةً، ثم قالت واحدةٌ منهنّ: ما عليكنّ! هو أعمى فكُلْنَ [مِنْ][٥] طعامه وأشرَبْنَ من شرابه وخُذْنَ شِعْرَهُ؛ فبلغ ذلك الحسنَ البصريَّ فعابه وهتَفَ ببشّارٍ؛ فبلغه ذلك ـ وكان بشّار يُسَمِّي الحسنَ البصريّ القَسَّ ـ فقال:

لمـــا طَلَعْــــنَ مـــن الـــرّقيـ ... ـــق علـــيّ بـــالبـــردَانِ خمسَـــا

وكــــــأنهــــــنّ أهِلَّـــــةٌ ... تحــت الثيــابِ زَفَفْــنَ شمسَــا

بـــاكَــرْنَ عِطْـــرَ لَطِيمَـــةٍ[٦] ... وغُمِسْــنَ فــي الجــادِيّ[٧] غمسَــا

صــوت

[٣/١٧٠]

لمّـــا طَلعْـــــنَ حَفَفْنَهَـــا ... وأَصَخْـــنَ مـــا يَهْمِسْـــنَ هَمْسَـــا

فســـألْنَنــي مَـــنْ فـــي البيـــو ... ت فقلـــتُ مَـا يُـؤْويـــنَ إنسَــا

ليـــتَ العيـــونَ الطـــارفـــا[٨] ... تِ طُمِسْـــنَ عنّـــا اليـــومَ طَمْسَـــا

---

(١) كذا في أكثر النسخ وهو الصواب، وفي ب، س: «الغلال» وهو تحريف.

(٢) المخصرة: ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو قضيب، وقيل المخصرة: شيء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه.

(٣) الأترج: ثمر شجر بستانيّ من جنس الليمون ناعم الورق والحطب.

(٤) الزيادة عن «معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص» ص ١٣٣ طبع بولاق.

(٥) زيادة في حـ.

(٦) اللطيمة: نافجة المسك.

(٧) الجاديّ: الزعفران.

(٨) في جميع الأصول: «الطارقات» بالقاف، وهو تحريف.

فأصبن من طرف الحديـ ـث لذاذة وخرجن مُلسا[١]
لولا تعرضهن لي يا قس كنت كأنت قسا

غنّى في هذه الأبياتِ يحيى المكيّ، ولَحنُه رَمَلٌ بالبنصر عن عمرٍو.

نهاه مالك بن دينار عن التشبيب بالنساء فقال شعراً:

أخبرنا يحيى قال حدّثني العَنزيّ قال حدّثنا عليّ بن محمد قال حدّثني جعفر بن محمد النوفَليّ ـ وكان يَروي شعرَ بشّارِ بنِ بُردٍ ـ قال: جئتُ بشّاراً ذاتَ يومٍ فحدّثني، قال: ما شعَرتُ منذ أيّام إلا بقارع يقرَع بابي مع الصّبح، فقلت: يا جارية أنظُري مَنْ هذا، فرجعتْ إليّ وقالت: هذا مالكُ بن دينار؛ فقلت: ما هو من أشكالي ولا أضرابي، ثمّ قلت: أئذَني له، فدخل فقال: يا أبا معاذ، أتشتمُ أعراضَ الناس وتُشبِّب بنسائهم! فلم يكن عندي إلاّ أن دفعتُ عن نفسي وقلت: لا أعود، فخرج عنّي، وقلتُ في أثره:

غَدَا مالكٌ بمَلاماته عليّ وما بات من باليَهْ
تَناول خَوْداً هَضِيم الحشَي من الحُور مَحظوظةً[٢] عاليَهْ
/ فقلتُ دَع اللّوم في حبّها فقبلَكَ أعيَتْ عُذّاليَهْ [٣/١٧١]
وإنّي لأكتُمهم سِرّها غَداةَ تقول لها الجاليَهْ[٣]
عُبَيدةُ مالكِ مَسلوبةً وكنتِ مُعطّرة حاليَهْ
فقالت على رِقْبةٍ[٤]: إنّني رهَنتُ المرعّث[٥] خَلخاليَهْ
بمجلس يوم سأُوفي به ولو أجْلَب الناسُ أحواليَهْ[٦]

شعره في محبوبته فاطمة:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثني السَّمَيدع[٧] بن محمّد الأزديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن

---

(١) كذا في جميع النسخ والقلس: الشرب الكثير من النبيذ، فلعلها مصدر وقع موقع الحال، أو لعلها محرفة عن «ملسا» بمعنى أنهن ملس من العيب أي ليس فيهن عيب. قال العجاج:

* وحاصن من حاصنات ملس *

وقد فسره بذلك اللسان في مادة «قنس».

(٢) كذا في جميع النسخ والمحظوظة ذات الحظ وربما كانت محرّفة عن محطوطة قال في «اللسان»: وجارية محطوطة المتنين: ممدودتها وقال الأزهري: ممدودة حسنة مستوية وقد جاء ذلك في الشعر العربي كثيراً كقول الشاعر:

محطوطة المتن هضيم الحشي لا يطبيها الورع الواغل

وكقول القطامي:

* بيضاء محطوطة المتنين بهكنة *

ولا يخفى ما بين اللفظين «محظوظة وعالية» من المقابلة.

(٣) الجالية: الماشطة التي تجلو المرأة وتزينها.

(٤) على رقبة: على تحفظ واحتراس.

(٥) لقب بشار كما تقدم.

(٦) أحواليه: من حولي.

(٧) كذا في أكثر الأصول، وفي ب، س: «السميذع» بالذال المعجمة. وقد ذكر صاحب «القاموس» أن هذا اللفظ مما سمى به الرجال=

الجَهْم عن هِشَام بن الكَلْبيّ قال:

كان أوّلُ بَدْءِ بشّار أنّه عشِق جارية يقال لها فاطمةُ، وكان قد كُفّ وذَهب بصرُه، فسمعها تغنّي فهَوِيَها وأنشأ يقول:

[٣٦/٣] / دُرّةٌ بَحرِيّةٌ مكنونةٌ ... مازها التّاجرُ من بين الدُّررْ

عجِبتْ فَطْمةُ من نَعْتِي لها ... هل يُجيد النَّعتَ مَكفوفُ البصرْ

أمَتَا[1] بَدِّد هذا لُعَبي ... ووِشَاحِي حَلّه حتّى انتَشَرْ

[١٧٢/٣] / فدَعِيني معَه يا أمتا[2] ... علّنا في خَلْوةٍ نَقْضِي الوَطَرْ

أقبلتْ مُغضَبةً تضرِبها ... وأعتراها كجنون مُستعِرْ

بأبي واللّهِ ما أحسنَه ... دمعُ عين يَغْسِل الكحلَ قَطَرْ

أيُّها النُّوّام هُبّوا وَيْحكم ... وأسألوني اليومَ ما طعمُ السَّهرْ

عبث به رجل من آل سوّار فلم يجبه:

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير قال حدّثني أبي عن الحكم بن مَخْلَدِ بن حازِم قال: مررتُ أنا ورجل من عُكْل من أبناء سَوَّار بن عبدالله بقصر أوس[3]، فإذا نحن ببشّار في ظلّ القصر وحدَه، فقال لي العُكْليّ: لا بدّ لي من أن أعبَث ببشّار؛ فقلت: وَيْحك، مَهْ لا تُعرِّض بنفسك وعِرْضِك له؛ فقال: إنّي لا أجده في وقتٍ أخلَى منه في هذا الوقت؛ قال فوقفت ناحيةً ودنا منه فقال: يا بشّار؛ فقال: من هذا الذي لا يَكْنِيني ويدعوني باسمي؟ قال: سأخبرك من أنا، فأَخْبِرْني أنت عن أمّك: أوَلدتْك أعْمَى أم عمِيتَ بعد ما ولدتْك؟ قال: وما تريد إلى ذلك؟ قال: وَدِدتُ أنّه فُسِح[4] لك في بصرك ساعة لتنظُر إلى وجهك في المِرآة، فعسى أن تُمْسِكَ عن هجاء الناس وتعرفَ قَدْرَك؛ فقال: وَيْحكم! مَن هذا؟ أمَا أحدٌ يُخبرني مَن هذا؟ فقال له: على رِسلك، أنا رجل من عُكْل وخالِي يبيع الفَحم بالعَبْلاء[5] فما تقدِر أن تقول لي؟ قال: لا شيء، اِذْهَبْ، بأبي أنت، في حِفْظ الله.

= والنساء. غير أنه ورد في بعض نسخ «القاموس» بالذال المعجمة بل جاء في هذه النسخ زيادة النص على أنه بمعجمة مفتوحة، ولكن شارحه نبه على أن هذه الزيادة ساقطة في أكثر النسخ، وأن ظاهر كلام الجوهري وابن سيدة والصاغاني إهمال الدال، بل صرح بعضهم بأن إعجام داله خطأ، وقد أورده صاحب «اللسان» بالدال المهملة ليس غير.

(١) كذا في الأصول وفي «زهر الآداب»: «أمّتي»، وأمتا: أمة (وهي المملوكة) مضافة إلى ياء المتكلم المنقلبة ألفاً، ويحتمل أن يكون أصلها يا أمي حذف منه حرف النداء ثم حذفت ياء المتكلم وعوض عنها التاء، ويجوز في هذه التاء الفتح والكسر وهو الأكثر، وإذا فتحت لا تلحقها الألف إلا للضرورة.

(٢) كذا في الأصول وفي «زهر الآداب»: «أمتي».

(٣) قصر أوس بالبصرة ينسب إلى أوس بن ثعلبة بن زفر بن وديعة، وكان قد ولي خراسان في عهد الدولة الأموية.

(٤) في أ، م، ء: «فتح».

(٥) ذكره ياقوت في «معجمه» فقال: العبلاء أسم علم لصخرة بيضاء إلى جنب عكاظ، وعندها كانت الوقعة الثانية من وقعات الفجار، ثم قال: والعبلاء وقيل العبلاة بلدة كانت لخثعم بها كان ذو الخلصة بيت وصنم. وذكره البكري في «معجمه» (ص ٤٩٢، ٦٤١) فقال: العبلاء: قرية وتربة واد من أودية الحجاز، أسفله لبني هلال والضباب وسلول، وأعلاه لخثعم، وهناك كان ذو الخلصة بيتهم الذي يحجون إليه.

[٣/١٧٣] / مدح خالد البرمكي:

أخبرني عليّ بن سُلَيمان الأَخفش قال حدّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجّم قال حدّثني عليّ بن مَهْديّ قال حدّثني العبّاس بن خالد البَرْمَكِيّ قال:

كان الزُّوّار يُسمَّوْن في قديم الدّهر إلى أيّام خالد بن بَرْمك السُّؤَّالَ؛ فقال خالد: هذا والله اسم أستثقله[1] لطُلّاب الخير، وأرفَع قدرَ الكريم عن أن يُسمَّيَ به أمثالَ هؤلاء المؤمِّلين، لأنّ فيهم الأشرافَ والأحرارَ وأبناءَ النَّعيم ومن لعلّه خيرٌ ممن يقصِد وأفضلُ أدباً، ولكنّا نسمّيهم الزُّوّار؛ فقال بشّار يمدَحه بذلك:

حذا خالدٌ في فعله حَذوَ بَرْمكٍ ... فَمجدٌ له مُستطرَف وأَصِيلُ

وكان ذوو الآمالِ يدْعَوْن قبلَه ... بلَفظٍ على الإعدام فيه دَليلُ

يُسمَّون بالسُّؤّال في كلّ مَوْطِنٍ ... وإن كان فيهم نابهٌ وجَلِيلُ

فسمّاهمُ الزَّوّارَ سَتْراً عليهمُ ... فأستارُه في المُجْتَدِين[2] سُدُولُ

قال: وقال بشّار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلّم خالد بهذا الكلام في أمر الزّوّار، فأعطاه لكلّ بيت ألفَ درهم.

بشار وصديقه تسنيم بن الحواري:

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثني أبو شِبْل عاصم[3] بن وهب قال: نَهق حِمارُ ذاتَ يوم بقرب بشّار، فخطر بباله بيتٌ فقال:

/ ما قام أيرُ حمارٍ فأمتلا شَبَقاً ... إلا تحرّك عرقٌ في آست تَسْنِيمِ

٣٧/٣

[٣/١٧٤] / قال: ولم يُرِد تَسْنيماً بالهجاء؛ ولكنه لمّا بلغ إلى قوله: «إلا تحرّك عِرقٌ» قال: في أَسْتِ مَنْ؟ ومرّ به تسنيم بن الحواري[4] وكان صديقَه، فسلّم عليه وضحك، فقال: في آستِ تسنيم عَلِمَ اللّهُ؛ فقال له: أيش[5] وَيْحَك!؟ فأنشده البيتَ؛ فقال له: عليك لعنةُ الله! فما عندك فَرْقٌ بين صديقك وعدوّك، أيّ شيء حملك على هذا! ألاَ قلت: «في آست حمّاد» الذي هجاك وفضَحك وأَعْياك، وليست قافيتك على الميم فأَعْذِرَك! قال: صدقتَ واللّهِ في هذا كلِّه، ولكن ما زلتُ أقول: في آست من؟ في آست من؟ ولا يخطُر ببالي أحد حتّى مررتَ وسلّمت فرُزِقته؛ فقال له تسنيم: إذا كان هذا جوابَ السّلام عليك فلا سلّم الله عليك ولا عليّ حين سلّمتُ عليك؛ وجعل بشّار يضحَك ويُصفِّق بيديه وتَسْنِيمٌ يشتُمه.

أخبرنا عيسى بن الحُسَين قال حدّثنا عليّ بن محمّد النَّوْفَلِيّ عن عمّه قال:

---

(١) في جميع النسخ: «أستقبله»، ولكن السياق يعين ما أثبتناه.

(٢) في ب، س: «المهتدين».

(٣) كذا في حـ. وفي سائر النسخ: «عاصب» بالباء وهو تحريف، (انظر الحاشية رقم ٤: ص ١٥٣ من هذا الجزء).

(٤) لم نعثر على هذا الاسم ولا على ضبطه، وقد سمي بالحواري بفتح أوّله وثانيه وفي آخره ياء مشددة، وبالحواري بضم أوّله وبعده واو مشددة مفتوحة وراء مفتوحة، ولم نستطع ترجيح أحد الضبطين.

(٥) أيش: بمعنى أيّ شيء خفف منه كما يقال: ويلمه في معنى: ويل لأمه، على الحذف لكثرة الاستعمال. وقد قيل: إنه سمع من العرب كما قيل إنه مولد.

قالت امرأة لبشّار: ما أدري لِمَ يَهابُكَ الناسُ مع قُبْح وجهك! فقال لها بشّار: ليس من حُسْنِه يُهَاب الأسدُ.

الملاحاة بينه وبين عقبة بن رؤبة في حضرة عقبة بن سلم:

أخبرني حَبيب بن نَصْر المهلَّبيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمد بن الحَجّاج قال:

دخل بشار على عُقْبة[1] بن سَلْم، فأنشده بعضَ مدائحه فيه وعنده عقبة بن رُؤْبة يُنْشِده رجزاً يمدَحه به، [٣/١٧٥] فسمِعه بشّار وجعل يستحسن ما قاله إلى أن فرغ؛ ثم أقبل / على بشّار فقال: هذا طِرَازٌ لا تُحْسِنه أنت يا أبا مُعَاذ؛ فقال له بشّار: أَلِي يُقال هذا! أنا والله أَرْجَزُ منك ومن أبيك وجدّك؛ فقال له عقبة: أنا والله وأبي فتَحْنا للناس باب الغريب وباب الرّجز، ووالله إني لخليق أن أُسُدّه عليهم؛ فقال بشّار: أرحَمْهم رحمك الله! فقال عقبة: أتستخفُّ بي يا أبا معاذ وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر! فقال له بشّار: فأنت إذاً من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرِّجْس وطهّرهم تطهيراً؛ ثمّ خرج من عنده عقبةُ مُغْضَباً. فلما كان من غدٍ غدا على عقبة بن سلم وعنده عقبة بن رُؤْبة، فأنشده أرجوزتَه التي مدحه فيها:

يا طَلَلَ الحيِّ بذات الصَّمْدِ[2] ... بالله خبِّرْ كيف كنتَ بعدي
أَوْحَشْتَ من دعدٍ وتِرْبِ دعدِ ... سَقْياً لأسماءَ ابنةِ الأشَدِّ
قامت تَراءَى إذ رأتْني وَحْدِي ... كالشّمس تحتَ الزِّبْرِجِ[3] المُنْقَدِّ
صدّت بخدٍّ وجلَتْ عن خدِّ ... ثم انثنتْ كالنَّفَس المُرتَدِّ
عَهْدي بها سَقْياً له من عَهْدِ ... تُخلِفُ وعداً وتَفي بوعدِ
فنحن من جَهْد الهوى في جَهْدِ ... وزاهرٍ من سَبِطٍ وجَعْدِ
أَهْدَى له الدّهرُ ولم يَستهدِ[4] ... أفوافَ[5] نَوْرِ الحِبَرِ المُجَدِّ
يلقَى الضُّحى رَيحانُه بسَجْدِ ... بُدِّلتُ من ذاك بُكَى لا يُجدِي
وافقَ حظًّا من سَعَى بجَدِّ ... ما ضرَّ أهلَ النَّوْكِ ضعفُ الجِدِّ
الحُرّ يُلْحَى والعصا للعبدِ ... وليس للمُلْحِف مثلُ الرَّدِّ
[٣/١٧٦] / والنَّصْفُ[6] يكْفِيك من التعدّي ... وصاحبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ[7]
٣٨/٣ / حملتُه في رُقعةٍ من جِلْدِي ... أرقُبُ منه مثلَ يومِ الوِرْدِ[8]
حتى مضى غيرَ فقيدِ الفَقْدِ ... وما درَى ما رَغْبتي من زُهدي

---

(١) كان عقبة والياً على البصرة من قبل أبي جعفر المنصور وكان عاتياً جباراً.

(٢) في «معجم ما استعجم» للبكري: الصمد: موضع في ديار بني يربوع. وفي «معجم ياقوت»: الصمد: ماء للضباب.

(٣) الزبرج: السحاب، والمنقد: المتقطع.

(٤) استهدى فلان: طلب أن يهدي له.

(٥) الأفواف: جمع فوف وهو نوع من برود اليمن تشبه به الأزهار. والحبر: جمع حبرة كعنبة وقصبة وهي ضرب من برود اليمن منمر.

(٦) النصف: الإنصاف.

(٧) يقال: أمد الجرح: حدثت فيه المدة فهو ممد.

(٨) الورد: من أسماء الحمى.

اسلَـــمْ وحُيِّيـــتَ أبـــا المِلَـــدّ مفتـــاحَ بـــاب الحـــدَث المنســـدّ
مُشتَـــرَكَ النَّيْـــل وريَّ الـــزَّنـــدِ أغـــرَّ لبَّـــاسَ ثيـــابِ الحمـــدِ
مـــا كـــان منّـــي لـــك غيـــرُ الـــوُدّ ثـــم ثنـــاءٌ مثـــلُ ريـــح الـــوَرْدِ
نَسجتُـــه فـــي مُحْكَمـــاتِ النَّـــدّ فـــألْبَسْ طِـــرازِي[1] غيـــرَ مُسْتَـــرَدّ
لله أيـــامُـــكَ فـــي مَعَـــدّ وفـــي بنـــي قَحْطـــانَ غيـــرَ عَـــدّ
يـــومـــاً بـــذِي طِخْفَـــةَ[2] عنـــد الحـــدّ ومثلَـــه أودَعْـــتَ أرضَ الهنـــدِ
بـــالمـــرهَفَـــاتِ والحـــديـــد السَّـــرْدِ[3] والمُقْـــرِبَـــات المُبْعَـــدات الجُـــرْدِ
إذا الحيـــا[4] أَكْـــدَى بهـــا لا تُكْـــدِي تُلْحِـــمُ أمـــراً وأمـــوراً تُسْـــدِي[5]
وأبـــنُ حكيـــم إن أتـــاك يَـــرْدِي[6] أصـــمُّ لا يسمَـــعُ صـــوتَ الـــرعـــدِ
حِيِّنَـــه[7] بتُحفَـــة المُعِـــدّ فـــأنهَـــدْ مثـــلَ الجبـــل المُنْهَـــدّ
كُـــلّ امـــرىءٍ رَهْـــنٌ بمـــا يُـــؤدّي ورُبَّ ذي تـــاج كـــريـــم الجَـــدّ
كـــآلِ كِســـرى وكـــآل بُـــرْدِ أنكَـــبَ[8] جـــافٍ عـــن سبيـــل القصـــدِ

* فَصَلْتَه عن ماله والوُلْدِ *

/ فطرب عُقبةُ بن سَلْم وأجزل صِلتَه، وقام عقبةُ بن رُؤْبَة فخرج عن المجلس بِخِزْيٍ، وهَرب من تحت ليلته [٣/١٧٧] فلم يَعُدْ إليه.

وذكر لي أبو دُلَفَ هاشمُ بن محمد الخُزَاعيّ هذا الخبرَ عن الجاحظ، وزاد فيه الجاحظ قال: فانظر إلى سُوءِ أدب عُقْبَةَ بن رؤبة وقد أجملَ بشّارٌ مَحْضرَه وعِشْرتَه، فقابله بهذه المقابلةِ القبيحةِ، وكان أبوه أعلَم خلقِ اللّهِ به، لأنه قال له وقد فاخَره بشعره: أنت يا بُنيّ ذَهْبَانٌ[9] الشّعر إذا مُتَّ مات شِعرُكَ معك، فلم يوجد مَن يَرْوِيه بعدكَ؛ فكان كما قال له، ما يُعْرفُ له بيتٌ واحدٌ ولا خبرٌ غيرُ هذا الخبر القبيح الإخبار عنه الدالّ على سُخْفه وسقوطه وسُوءِ أدبه.

كان يهوى امرأة من البصرة وقال فيها الشعر لما رحلت:

(١) الطراز: ما نسج للسلطان من الثياب.
(٢) طخفة: موضع بعد النباج وبعد إمرة في طريق البصرة إلى مكة، وفيه يوم طخفة لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء.
(٣) السرد: اسم جامع للدروع وسائر الحلق.
(٤) الحيا: المطر. وأكدى: بخل.
(٥) تلحم: تنسج اللحمة وهي ما نسج في الثوب عرضاً بخلاف السدي وهو ما مدّ من خيوطه طولاً، وفي المثل: «ألحم ما أسديت» أي تمم ما بدأته.
(٦) يردي: يعدو.
(٧) في الأصول: «حبيته» بالباء الموحدة، وهو تحريف.
(٨) الأنكب: المائل، يقال: رجل أنكب عن الحق وناكب عنه أي مائل.
(٩) كذا في جميع الأصول والمعنى ظاهر، ولم نجد في كتب اللغة التي بأيدينا وصفاً من «ذهب» على هذا الوزن.

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا أبو غسّانَ دَمَاذ قال حدّثنا أبو عُبيدَةَ قال:

كان بشّار يَهْوى امرأةً من أهل البصرة يقال لها عُبيدَةُ[1] ، فخرجتْ عن البصرة إلى عُمَانَ[2] مع زوجها، فقال بشارٌ فيها:

صوت

هَوى صاحِبِي ريحُ الشَّمَال إذا جَرَتْ ... وأشفَى لقلبِي أن تهُبّ جَنُوبُ

ومـا ذاكَ إلا أنهـا حيـن تنتهِـي ... تَناهَى وفيها مِن عُبيدَةَ طِيبُ

عَـذِيرِي مـن العُذّال إذ يَعْذِلُونَنِي ... سَفَاهاً ومـا فـي العاذِلِيـن لَبيبُ

صوت

يقولونَ لو عَزَّيتَ قلبَكَ لأرْعَوَى ... فقلتُ وهل للعاشقين قُلُوبُ

إذا نطقَ القومُ الجُلوسُ فإنّني ... مُكِبٌّ[3] كأنّي في الجميع غَرِيبُ

[١٧٨/٣] [٣٩/٣] / بشار وأبو الشمقمق:

أخبرني هاشم قال حدّثني دَمَاذ قال حدّثني رجل من الأنصار قال:

جاء أبو الشَّمَقْمَقِ إلى بشّار يشكو إليه الضِّيقَةَ[4] ويحلف له أنه ما عنده شيء؛ فقال له بشّار: والله ما عندي شيء يُغْنِيكَ ولكن قُمْ معي إلى عُقْبةَ بن سَلْم، فقام معه فذكر له أبا الشمقمق وقال: هو شاعرٌ وله شكر وثناءٌ، فأمر له بخمسمائة درهم؛ فقال له بشّار:

يـا واحِـدَ العـرب الـذي ... أمسـى وليـس لـه نَظِيـرُ

لـو كـان مِثْلُـكَ آخَـرٌ ... مـا كـان فـي الدنيـا فَقِيـرُ

فأمر لبشّار بألْفَي درهم؛ فقال له أبو الشمقمق: نفعتَنا ونفعناكَ يا أبا مُعاذٍ؛ فجعل بشّار يَضْحَك.

بشار وأبو جعفر المنصور:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنا زكريّا بن يحيى أبو السُّكَينِ[5] الطائيّ قال حدّثني زَحْرُ بنُ حِصْنٍ قال:

حجّ المنصورُ فاستقبلناه بالرَّضْم الذي بين زُبَالَةَ[6] والشُّقُوقِ، فلما رحَل من الشُّقُوق رحَلَ في وقت الهاجرة

(١) كذا في حـ، س وهو الموافق لما في الأبيات الآتية. وفي سائر النسخ: «عبدة».

(٢) اسم كورة عربيّة على ساحل بحر اليمن والهند.

(٣) مكب: مطرق.

(٤) الضيقة بالكسر ويفتح: الفقر وسوء الحال.

(٥) كذا في «تهذيب التهذيب» و «الخلاصة في أسماء الرجال» وهو الصواب. وفي ب، س: «أبو مسكين». وفي ء، أ، م: «أبو المسكين» وكلاهما تحريف.

(٦) زبالة: منزلة معروفة بطريق مكة من الكوفة وهي قرية عامرة بها أسواق. والشقوق: منزل بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة.

فلم يركب القُبّة[1] وركب نَجيباً فسار بيننا، فجعلت الشمسُ تضحَكُ[2] بين عينيه، فقال: إني قائلٌ بيتاً فمن أجازه وهَبْتُ له جُبّتي هذه؛ فقلنا: يقول أمير المؤمنين، فقال:

وهـاجـرةٍ نَصبْتُ لهـا جَبينـي يُقَطّـعُ ظهـرُهـا ظَهْـرَ العظـايَـةْ[3]

/ فبدر بشارٌ الأعمى فقال: [٣/١٧٩]

وقَفْـتُ بهـا القَلُـوصَ ففـاضَ دمعـي علـى خـدِّي وأقْصَـرَ واعِظـايَـهْ

فنزَع الجبّةَ وهو راكب فدفعها إليه. فقلتُ لبشّار بعد ذلك: ما فعلتَ بالجُبّة؟ فقال بشّارٌ: بعتُها واللّهِ بأربعمائةِ دينار.

كان له شعر غث يعير به:

أخبرني أحمدُ بن العباس العسكريّ قال حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنَزيّ قال حدّثني عليّ بن محمد النّوفليّ قال حدّثني عبد الرحمن بن العباس بن الفضل بن عبد الرحمن بن عيّاش بن أبي ربيعة[4] عن أبيه قال:

كان بشّار منقطعاً إليّ وإلى إخوتي فكان يَغْشانا كثيراً، ثم خرج إبراهيمُ بنُ عبدالله فخرج معه عِدّةٌ منّا، فلما قُتِلَ إبراهيمُ توارَيْنا، وحبَس المنصورُ منّا عِدّةً من إخوتي، فلما وَلِيَ المهدِيُّ أمَّنَ الناسَ جميعاً وأطلقَ المحبوسين، فقدِمتُ بغدادَ أنا وإخوتي نَلتمِسُ أماناً من المهديّ، وكان الشعراءُ يجلِسُون بالليل في مسجد[5] الرُّصافَةِ يُنشِدُونَ ويتحدّثونَ، فلم أُطْلِعْ بشّاراً على نفسي إلا بعد أن أظهر لنا المهديُّ الأمانَ، وكتب أخي إلى خليفته بالليل، فصِحتُ به: يا أبا مُعاذٍ مَنِ الذي يقول:

أُحِـبُّ الخـاتَـم الأحمـ ـرَ مِـنْ حُـبِّ مَـوَالِيـهِ

/ فأعرض عنّي وأخذ في بعض إنشاده شعرَه، ثم صِحْتُ: يا أبا مُعَاذٍ مَنِ الذي يقول: [٣/١٨٠]

إنّ سَلْمَـى خُلِقَـتْ مـن قَصَـبٍ[6] قصـبِ السكّـر لا عظـمِ الجمَـلْ

وإذا أدنيـتَ منهـا بصـلاً غلَـبَ المسـكُ علـى ريـحِ البصـلْ

فغضِبَ وصاح: من الذي يُقَرِّعُنَا بأشياءَ كنا نعبَثُ بها في الحداثةِ فهو يُعَيِّرنا بها! فتركتُه ساعةً ثم صِحتُ به: يا أبا مُعاذٍ مَنِ الذي يقول:

---

(١) القبة: الهودج.

(٢) تضحك: تتلألأ.

(٣) العظاية: دويبة ملساء تعدو وتتردّد تشبه سام أبرص.

(٤) في جميع النسخ: «ابن ربيعة» بدون كلمة «أبي».

(٥) كذا في ء، أ، حـ. وفي باقي النسخ: «سجن الرصافة» وهو تحريف، والرصافة: اسم لمواضع كثيرة والمرادة هنا هي «رصافة بغداد» بالجانب الشرقيّ، ذكرها ياقوت فقال: لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربيّ واستتمّ بناءها أمر ابنه المهديّ أن يعسكر في الجانب الشرقيّ وأن يبني له فيها دوراً، وجعلها معسكراً له، فالتحق بها الناس وعمروها، فصارت مقدار مدينة المنصور وعمل المهديّ بها جامعاً أكبر من جامع المنصور وأحسن. وكان فراغ المهدي من بناء الرصافة والجامع بها في سنة ١٥٩ هـ وهي السنة الثانية من خلافته.

(٦) كذا في الأصول وفي «زهر الآداب» ج ١ ص ٢٠٦ طبع المطبعة الرحمانية.

إنما عظم سليمى خلتي قصب .... إلخ

٤٠/٣ / أخشّابُ حقًّا أنّ دارك تُزعَجُ وأنّ الذي بيني وبينك يَنْهَجُ[١]

فقال: وَيْحكَ! عن مثلِ هذا فسَلْ، ثم أنشدها حتى أتى على آخرها، وهي من جَيّدِ شعره، وفيه غِناءٌ:

صوت

فواكَبِدا قد أنضَجَ الشوقُ نصفها ونصفٌ على نار الصَّبابة يَنضَجُ
وواحَزَنَا منهنّ يَحْفُفْن هودجاً وفي الهودج المحفوفِ بدرٌ مُتَوَّجُ
فإن جئتَها بين النساء فقل لها عليكِ سلامٌ مات مَنْ يتزوّجُ
بكيتُ وما في الدمع منكِ خليفةٌ ولكنّ أحزاني عليكِ تَوَهَّجُ

الغناء لسُلَيم بن سَلَّام رملٌ بالوسطَى. ووجدتُ هذا الخبرَ بخط ٱبن مَهرُويَهْ فذكر أنه قال هذه القصيدةَ في ٱمرأة كانت تَغْشَى مجلسَه وكان إليها مائلاً يقال لها خَشَّابَةُ، فارسيَّةٌ، فزُوِّجَتْ وأُخرِجَتْ عن البصرة.

أنشده أبو النضير شعره فاستحسنه:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثني أبو حاتم:

[٣/١٨١] / قال أبو النَّضِيرِ الشاعرُ: أنشدتُ بشّاراً قصيدةً لي، فقال لي: أيَجيئُكَ شعرُكَ هذا كلّما شئتَ أم هذا شيء يجيئك في الفَيْنةِ[٢] بعد الفينةِ إذا تَعَمَّلتَ[٣] له؟ فقلت: بل هذا شعرٌ يجيئني كلما أردتُه؛ فقال لي: قل فإنك شاعر؛ فقلت له: لعلّك حابيتَني أبا مُعاذٍ وتحمَّلتَ[٤] لي؛ فقال: أنتَ أبقاك اللّهُ أهونُ عليّ من ذلك.

حاول تقبيل جارية لصديق له وقال شعراً يعتذر فيه عن ذلك:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ عن العُمَرِيّ عن عبّاس بن عبّاس الزَّنَاديّ عن رجلٍ من باهِلةَ، قال:

كنتُ عند بشّارٍ الأعمى فأتاه رجلٌ فسلّم عليه، فسأله عن خبر جاريةٍ عنده وقال: كيف ٱبنتي؟ قال: في عافيةٍ، تدعوكَ اليومَ؛ فقال بشّار: يا باهليّ ٱنهَضْ بنا، فجئنا إلى منزلٍ نظيف وفَرشٍ سَرِيّ[٥]، فأكلنا، ثم جيء بالنبيذ فشربنا مع الجارية، فلمّا أراد الأنصرافَ قامت فأخذتْ بيد بشّار، فلما صار في الصحن أومأ إليها ليقبّلها، فأرسلت يدَها من يده، فجعل يجول في العَرْصة[٦]؛ وخرج المولى فقال: مالك يا أبا مُعاذٍ؟ فقال: أذنبتُ ذنباً ولا أبرحُ أو أقولَ شعراً، فقال:

أتوبُ إليك من السيئات وأستغفر اللّهَ من فَعْلتي
تناولتُ ما لم أُرِدْ نَيْلَه على جهلِ أمرِي وفي سَكرتي
ووالله واللّهِ ما جئتُه لعمدٍ ولا كان من هِمَّتي

---

(١) ينهج: يبلى.
(٢) الفينة: الحين.
(٣) كذا في حـ، وتعملت له: تكلفت وتعنيت واجتهدت. وفي باقي الأصول: «تعقلت».
(٤) كذا في الأصول. ولعله «وتجملت لي» بالجيم أي تكلفت الجميل وتظاهرت لي به.
(٥) سريّ: جيد.
(٦) العرصة: ساحة الدار.

وإلا فَمِتُّ إذاً ضائعاً　　وعَذَّبَنِي اللَّهُ في مِيتَتِي

فمنْ نال خيراً على قُبْلَةٍ　　فلا بارك اللَّهُ في قُبلَتِي

/ كتب شعراً على باب عقبة يستنجزه وعده: [٣/١٨٢]

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال:

لما أنشدَ بَشّارٌ أرجوزتَه:

* يا طلل الحيّ بذات الصَّمْدِ *

أبا المِلَدّ[١] عُقْبَةَ بن سَلْم أمر له بخمسين ألفَ درهم، فأخّرها عنه وَكِيلُه ثلاثةَ أيام، فأمرَ غلامَه بشّارٌ أن يكتبَ على باب عُقْبةَ عن يمين الباب:

ما زالَ ما مَنَّيْتَنِي من هَمِّي　　والوعدُ غمٌّ فأرِحْ من غَمِّي

* إن لم تُرِدْ حَمْدي فَراقِبْ ذَمِّي *

فلما خرج عقبةُ رأى ذلك، فقال: هذه مِنْ فَعَلَات بشّارٍ، ثم دعا بالقَهْرَمَانِ[٢]، فقال: هل حملتَ/ إلى بشّارٍ ما أمرْتُ له به؟ فقال: أيها الأمير نحن مُضِيقُونَ[٣] وغداً أحمِلُها إليه؛ فقال: زِدْ فيها عشرةَ آلاف درهم وأحمِلْها إليه الساعةَ؛ فحمَلها مِن وقتِه. [٤١/٣]

نهي المهدي له عن التشبيب بالنساء وسبب ذلك:

أخبرني هاشم قال حدّثنا أبو غَسَّانَ دَمَاذ قال:

سألتُ أبا عُبيدةَ عن السبب الذي من أجله نَهى المهديُّ بشّاراً عن ذكر النساء قال: كان أوّلُ ذلك أستهتارَ نساءِ البصرة وشُبّانِها بشعره، حتى قال سَوّار بن عبدالله الأكبر ومالكُ بنُ دينار: ما شَيءٌ أدعَى لأهل هذه المدينةِ إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى؛ وما زالا يَعِظَانِه؛ وكان واصلُ بنُ عطاء يقول: إن مِنْ أخدَع حبائلِ الشيطان وأغواها لَكَلِمَاتِ هذا الأعمى الملحِد. فلما كثُرَ ذلك وانتهى خبره من وجوه كثيرة إلى المهديّ، وأنشَد المهديَّ ما مدحَه به، نهاه عن ذكر النساء وقولِ التشبيب، وكان المهديّ من أشدّ الناس غَيْرةً؛ قال: فقلت له: ما أحسَبُ شِعرَ / هذا أبلغَ في هذه المعاني من شعر كُثَيِّرٍ وجَميلٍ وعُرْوةَ بن حِزام وقيس بن ذَرِيح وتلك الطبقة؛ فقال: ليس كلُّ مَنْ يسمع تلك الأشعارَ يَعرِفُ المراد منها، وبشّار يُقارِب النساءَ حتى لا يَخفَى عليهنّ ما يقولُ وما يُريدُ، وأيّ حُرَّةٍ حَصَانٍ تسمع قولَ بشّار فلا يؤثّر في قلبها، فكيف بالمرأة الغَزِلَةِ والفَتاةِ التي لا همَّ لها إلا الرجالُ! ثم أنشد قولَه: [٣/١٨٣]

قد لامَني في خليلتي عُمَرُ　　واللَّومُ في غير كُنهِه ضَجَرُ[٤]

قال أفِقْ قلت لا فقال بلى　　قد شاع في الناس منكما الخبَرُ

---

(١) هكذا وردت هذه الكنية لعقبة المذكور في هذه الأرجوزة فيما تقدّم قريباً ص ١٧٦. وفي أ، م: «أبا المتلد» وهو تحريف. وفي ب، س: «أبا الملك».

(٢) القهرمان: الوكيل أو أمين الدخل والخرج.

(٣) مضيقون: ضيقو الحال.

(٤) في حـ: «ضرر».

قلتُ وإذ شاع ما اعتذارُكَ مِمّا ليس لي فيه عندهم عُذُرُ
ماذا عليهم وما لهم خَرِسُوا لو أنهم في عيوبهم نَظَرُوا
أعشَقُ وحدي ويؤخَذُون به كالتُّركِ تَغزُو فتُؤخَذُ الخَزَرُ
يا عجباً للخلاف يا عجباً بِفِي الذي لام في الهوى الحجَرُ
حَسْبِيَ وحَسْبُ الذي كَلِفْتُ به مِنّي ومنه الحديثُ والنَّظَرُ
أو قُبلَةٌ في خلال ذاك وما بأسٌ إذا لم تُحَلَّ لي الأُزُرُ
أو عَضَّةٌ في ذراعها ولها فوق ذراعي من عَضِّها أثَرُ
أو لَمسةٌ دون مِرْطِها[1] بيدي والبابُ قد حال دونه السُّتُرُ
والساقُ بَرّاقَةٌ مُخَلخَلُها أو مَصُّ رِيقٍ وقد علا البُهُرُ[2]
واسترختِ الكفُّ للعِراك وقا لَتْ إيهِ عنّي والدَّمعُ مُنْحَدِرُ
اِنهَضْ فما أنتَ كالذي زعموا أنتَ وربّي مُغازِلٌ أشِرُ
قد غابَتِ اليومَ عنكَ حاضِنَتي واللّهُ لي منكَ فيكَ يَنتَصِرُ
[٣/١٨٤] / يا ربِّ خُذْ لي فقد ترى ضَرَعِي من فاسقٍ جاء ما به سَكَرُ
أهوى إلى مِعضَدِي[3] فرضَّضَهُ ذو قوّةٍ ما يُطاقُ مُقتَدِرُ
ألصقَ بي لِحيةً له خَشُنَتْ ذاتَ سوادٍ كأنها الإبَرُ
حتّى علاني وأسرتي غَيَبٌ[4] وَيْلِي عليهم لو أنهم حَضَرُوا
$\frac{42}{3}$ / أُقسِم بالله لا نجوتَ بها فاذهبْ فأنت المُساوِرُ الظَّفِرُ
كيف بأُمّي إذا رأتْ شَفَتِي أم كيف إن شاع منك ذا الخبرُ
قد كنتُ أخشى الذي ابتُلِيتُ به منك فماذا أقولُ يا عبرُ[5]
قلتُ لها عند ذاك يا سَكَني لا بأسَ إني مُجَرَّبٌ[6] خَبِرُ
قُولي لها بَقَّةٌ لها ظُفُرٌ إن كان في البقّ ما له ظُفُرُ

ثم قال له: بمثل هذا الشعر تَميل القلوبُ ويَلين الصَّعْبُ.

(١) المرط: كساء من خز أو كتان يؤتزر به.
(٢) البهر بسكون ثانية: تتابع النفس وانقطاعه من الإعياء وقد حرك للضرورة.
(٣) المعضد: الدملج، وهو حلي يلبس في المعصم.
(٤) غَيَب: جمع غائب.
(٥) العبر (بتثليث العين وسكون الباء). الجريء القويّ الذي يشقّ ما مر به، فلعل هذا هو المراد هنا، وحركت الباء بحركة ما قبلها لضرورة الشعر.
(٦) المجرَّب بصيغة المفعول: من جرّبته الأمور وأحكمته؛ والمجرِّب بصيغة الفاعل: من عرف الأمور وجرّبها، وكلاهما في هذا الموضع صحيح.

قال دَمَاذ قال لي أبو عبيدة: قال رجلٌ يوماً لبشّار في المسجد الجامع يُعابِثِه: يا أبا مُعاذ، أيُعجبك الغلامُ الجادل[١] ؟ فقال غيرَ مُحتشِم ولا مُكترث: لا، ولكن تُعْجِبُني أُمّه.

ورد على خالد البرمكيّ بفارس وامتدحه:

أخبرني عمّي قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثني محمد بن سَهْل عن محمد بن الحجّاج قال:

ورد بَشّار على خالد بن بَرْمَك وهو بفارس فامتدحه؛ فوعده ومَطَله؛ فوقف على طريقه وهو يريد المسجد، فأخذ بلجام بغلته وأنشده:

[٣/ ١٨٥] / أَظَلّتْ علينا منكَ يوماً سحابةٌ أضاءتْ لنا برقاً وأبطا رِشَاشُها[٢]

فلا غيمُها يُجْلِي فييأسَ طامعٌ ولا غيثُها يأتِي فيَرْوَى عِطاشُها

فحَبَس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: لن تنصرِف السحابةُ حتى تَبُلّك إن شاء الله.

تظاهر بالحج وخرج لذلك مع سعد بن القمقاع:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل قال حدّثني عليّ بن حَرْب الطائيّ قال حدّثني إسماعيلُ بن زِيَاد الطائيّ قال:

كان رجلٌ منا يقال له سعد بن القَعْقاع يتندّم[٣] بشاراً في المَجَانة، فقال لبشّار وهو يُنادمه: وَيْحَك يا أبا مُعاذ! قد نَسبَنا الناسُ إلى الزَّنْدَقة، فهل لك أن تَحُجّ بنا حِجّةً تنفي ذلك عنا؟ قال: نِعْمَ ما رأيتَ! فاشتَرَيا بعيراً ومَحْمِلاً ورَكِبا، فلما مَرّا بزُرَارَةَ[٤] قال له: ويحك يا أبا مُعَاذ! ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها! مِلْ بنا إلى زُرَارة نتنعّم فيها، فإذا قَفَل الحاجُّ عارضناهم بالقادسيّة[٥] وجَزَزْنا رؤوسَنا فلم يَشُكَّ الناسُ أنّا جئنا من الحجّ؛ فقال له بشّار: نِعْمَ ما رأيتَ لولا خبثُ لسانك، وإني أخاف أن تَفْضَحنا. قال: لا تخفْ. فمالاَ إلى زُرَارة فما زالاَ يشرَبان الخمر ويَفْسُقان، فلما نَزَل الحاجُّ بالقادسية راجعِينَ، أخذا بعيراً ومَحْمِلاً وجَزَّا رؤوسهما وأقبلا وتلقّاهما الناسُ يهنّئونهما؛ فقال سعد بن القَعْقاع:

[٣/ ١٨٦] / ألم تَرَني وبَشّاراً حَجَجْنا وكان الحجُّ من خير التّجارَهْ

خرجْنا طالبَيْ سَفَرٍ بعيدٍ فمال بنا الطريقُ إلى زُرَارهْ

فآب الناسُ قد حَجّوا وبَرّوا وأُبْنا مُوقَرِين من الخسارهْ

(١) الغلام الجادل: اليافع الذي قوي واشتدّ.

(٢) الرشاش (بكسر الراء): جمع رش (بالفتح) وهو المطر الخفيف.

(٣) كذا في أكثر الأصول، وفي ب، س: «ينتدم» بتقديم النون على التاء، ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا صيغة من هاتين الصيغتين مستعملة في المعنى الذي يدل عليه سياق الكلام وهو كثرة المنادمة؛ ولعلها «يتقدّم بشاراً في المجانة» أي أنه كان أكثر منه مجوناً.

(٤) زرارة (بضم أوّله): محلة بالكوفة.

(٥) القادسية: بلدة بينها وبين الكوفة خمسة عشر ميلاً، وبينها وبين العذيب أربعة أميال، كانت بها وقعة سعد بن أبي وقاص المشهورة مع الفرس في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أنكر عليه داود بن رزين أشياء فأجابه:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم الدِّينَوَريّ قال حدّثني محمد بن عِمْران بن مطر الشاميّ قال حدّثني محمد بن الحَسَّان[1] الضَّبّيّ قال حدّثني محمود الورّاق قال حدّثني داود بن رَزِين قال:

أتينا بَشّاراً فأذن لنا والمائدةُ موضوعةٌ بين يديه فلم يَدْعُنا إلى طعامه، فلما أكل دَعَا بطَسْت فكَشَف عن سَوْءَته فبالَ؛ ثم حضرتِ الظهرُ والعصرُ فلم يصلِّ، فدنَوْنا منه فقلنا: أنت أستاذُنا وقد رأينا منك أشياءَ أنكرناها؛ قال: وما هي؟ قلنا: دخلنا والطعامُ بين يديك فلم تدعُنا إليه؛ فقال: إنما أَذِنتُ لكمُ أن تأكلوا ولو لم أرِد أن تأكلوا لَمَا أَذِنتُ / لكم[2]؛ قال: ثم ماذا؟ قلنا: ودعوتَ بطست ونحن حضورٌ فبُلْتَ ونحن نَراك؛ فقال: أنا مكفوف وأنتم بُصَراء وأنتم المأمورون بغَضّ الأبصار، ثم قال: ومَهْ[3]؛ قلنا: حضرتِ الظهرُ والعصرُ والمغربُ فلم تُصَلِّ؛ فقال: إن الذي يقبَلُها تفاريقَ يقبلها جُمْلَةً.

٤٣/٣

أخبرنا يحيى قال حدّثني أبو أيُّوبَ المدينيّ عن بعض أصحاب بَشّار قال:

كنا إذا حضرتِ الصلاةُ نقوم ويقعد بَشّار فنجعل حول ثِيابه تراباً لننظُرَ هل يصلِّي، فنعود والترابُ بحاله.

/ بشار والثقلاء: ١٨٧

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أبو أيّوب عن الجِرْمازيّ قال:

قعد إلى بَشّار رجلٌ فاستثقله فضَرِط عليه ضَرْطةً، فظنّ الرجل أنها أَفْلَتَتْ منه، ثم ضَرِط أُخرى، فقال: أفلتت، ثم ضَرِط ثالثة[4]، فقال: يا أبا مُعاذ، ما هذا؟ قال: مَهْ! أرأيتَ أم سمِعتَ؟ قال: بل سمعتُ صوتاً قبيحاً، فقال: فلا تُصَدِّق حتى تَرَى.

قال: وأنشد أبو أيّوب لبشّارٍ في رجل استثقَله:

ربّمــا يثقُــلُ الجليــسُ وإن كــا	ن خفيفــاً فـــي كِفّـــة المِيـــزانِ
كيــفَ لا تحمِــل الأمــانــةَ أرضٌ	حَمَلــتْ فــوقهــا أبــا سُفْيــانِ

وقال فيه أيضاً:

هــل لــك فــي مــالــي وعِـرْضـي معـاً	وكــلُّ مــا يملــك جِيـرانِيَــهْ
واذهــبْ إلـــى أبعـــدِ مـــا يُنْتَــوَى[5]	لا رَدّكَ الله ولا مـــــــالِيَـــــهْ

أنشد الوليد بن يزيد شعره في المزاج بالريق فطرب:

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثني محمد بن إبراهيم الجِيليّ[6] قال حدّثني محمد بن عِمْرانَ

---

(١) في «تهذيب التهذيب»: «حسان» بدون الألف واللام.

(٢) يريد «لما أذنت لكم بالدخول».

(٣) ومه: أصله «وما» فأبدلت الألف هاء للوقف والسكت.

(٤) بالأصول: «ثالثاً».

(٥) يُنْتَوَى: يُقْصَد.

(٦) في حـ: «الجبلي» بالباء.

الضَّبِّيّ قال أنشدَنا الوليدَ بن يزيدَ قولَ بَشّار الأعمى:

أيّهـا السـاقيـانِ صُبّـا شَـرَابـي ... وأسقِيـانـي مـن رِيـقِ بيضـاءَ رُودِ[1]

إن دائـي الظّمَـا وإن دوائـي ... شَـرْبـةٌ مـن رُضَـابِ ثغـرٍ بَـرُودِ

ولهـا مَضْحَـكٌ كغُـرِّ الأقـاحِـي ... وحـديـثٌ كـالـوَشْـيِ وشـي البُـرُودِ

نـزلـتْ فـي السّـواد مـن حبّـة القلـ ... ـبِ ونـالـتْ زيـادةَ المُسْتَـزيـدِ

ثـم قـالـت نلقـاكَ بعـد لَيَـالٍ ... والليـالـي يُبْلِيـنَ كـلَّ جـديـدِ

عنـدهـا الصبـرُ عـن لقـائـي وعنـدي ... زَفَـراتٌ يـأكلـنَ قلـبَ الحـديـدِ

/ قال: فطرب الوليد وقال: مَن لي بمزاجِ كاسِي هذه من رِيق سَلْمَى فيَرْوَى ظَمَئي وتَطْفأ غُلّتي! ثم بكى حتى [١٨٨/٣] مزَج كأسَه بدمعه، وقال: إن فاتَنا ذاك فهذا.

هجا جاره أبا زيد فهجاه:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبدالله بن أبي سَعْد قال حدّثني محمد بن محمد بن سُلَيمان الطُّفَاويّ قال حدّثني عبدالله بن أبي بكر ـ وكان جليساً لبَشّار ـ قال: كان لنا جارٌ يُكْنَى أبا زيد وكان صديقاً لبشّار، فبعث إليه يوماً يطلُبُ منه ثياباً بنَسِيئةٍ[2] فلم يصادفها عنده، فقال يهجوه:

ألَا إنّ أبـا زيـدِ ... زَنَـى فـي ليلـة القَـدْرِ

ولـم يَـزَعْ، تعـالـى اللّـ ... ـهُ ربِّـي، حُـرمـةَ الشّهْـرِ

وكتبها في رُقْعة وبعَث بها إليه، ولم يكن أبو زيد ممن يقول الشعرَ، فقلبها وكتب في ظهرها:

ألا إن أبـا زيـدِ ... لـه فـي ذلكـم عُـذْرُ

/ أتتـه أمُّ بشّـارٍ ... وقـد ضـاق بهـا الأمـرُ [٤٤/٣]

فـواثَبهـا فجـامعَهـا ... ومـا سـاعـدَه الصَّبـرُ

قال: فلما قُرِئَتْ على بشّار غَضِب وندِم على تعرّضه لرجل لا نباهةَ له، فجعل ينطَحُ الحائطَ برأسه غيظاً، ثم قال: لا تَعرَّضْتُ لهِجَاءِ سَفِلَةٍ[3] مثلِ هذا أبداً.

شعره في قينة:

أخبرني عمّي قال حدّثنا أبن مَهْرُويَهْ قال حدّثني بعضُ ولد أبي عُبَيدِ الله وزيرِ المهديّ، قال:

دخل بشّار على المهديّ وقد عُرِضَتْ عليه[4] جاريةٌ مُغَنِّيةٌ فسمع غِناءها فأطربه وقال لبشّار: قُلْ في صفتها شعراً؛ فقال:

(١) الرود: الشابة الحسنة الشباب والأصل فيها الهمز وقد سهلت للضرورة.

(٢) النسيئة: التأخير، يقال: باعه بنسيئة: إذا أخر له عن الشيء المبيع.

(٣) سَفِلَةُ النّاس وسِفْلَتُهم: أسافلهم وغوغاؤهم.

(٤) في حـ: «عَرَضَت له».

[٣/١٨٩] / ورائحةٍ[1] للعين فيها مَخِيلَةٌ[2] إذا بَرَقَتْ لم تَسْقِ بَطْنَ صَعِيدِ
مِن المستهلّاتِ السّرور على الفتى خفا[3] بَرقُها في عبقرٍ[4] وعُقُودِ
كأن لساناً ساحراً في كلامها أُعِينَ بصوتٍ للقلوب صَيُودِ
تُميتُ به ألبابَنا وقُلوبَنا مِراراً وتُحييهنَّ بعد هُمُودِ

شعره في عقبة بن سلم:

أخبرني عمّي قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال قال أبو عَدْنانَ حدّثني يحيى بن الجَوْنِ قال:

دخل بشّار يوماً على عُقبةَ بنِ سَلْمٍ فأنشده قولَه فيه:

صوت

إنّما لَذَّةُ الجَوادِ ابنِ سَلْمٍ في عَطَاءٍ ومَرْكَبٍ لِلِقَاءِ
ليس يُعطيكَ للرجاءِ ولا الخو فِ ولكن يَلَذُّ طَعْمَ العَطَاءِ
يَسقُطُ الطيرُ حيثُ يَنتثِرُ الحَبْ بُ وتُغْشَى مَنازِلُ الكُرَمَاءِ
لا أُبالي صَفْحَ اللئيم ولا تَجْ ري دُموعي على الحَرونِ الصَّفَاءِ
فعلى عُقبةَ السلامُ مقيماً وإذا سار تحت ظلِّ اللواءِ

فوصَلَه[5] بعشرة آلاف درهم. وفي هذه الأبياتِ خفيفُ رملٍ مطلق في مجرى البنصر لِرَذَاذٍ، وهو من مختار صنعته وصُدورِها ومما تَشبّهَ فيه بالقدماء ومذاهبهم.

كان خلف الأحمر وخلف بن أبي عمرو يرويان عنه شعره:

أخبرني أحمدُ بنُ العباس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيلٍ العَنَزيُّ قال حدّثنا أحمد بن خَلّادٍ عن الأصمعيّ، وأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويَهْ قال حدّثني أحمد بن خَلّاد عن الأصمعيّ قال:

[٣/١٩٠] / كنتُ أشهدُ خَلَفَ بنَ أبي عمرو بن العلاءِ وخَلَفاً الأحمرَ يأتيانِ بشّاراً ويُسَلّمانِ عليه بغاية التعظيم ثم يقولان: يا أبا مُعاذٍ، ما أحدَثْتَ؟ فيخبرُهما ويُنشدُهما ويَسألانِه ويكتُبان عنه مُتَواضِعَيْن له حتى يأتِيَ وقتُ الظهر ثم يَنصَرفانِ عنه، فأتياه يوماً فقالا له: ما هذه القصيدةُ التي أحدثْتَها في سَلْمِ[6] بنِ قتيبةَ؟ قال: هي التي بلغَتْكُما؛

---

(١) الرائحة: واحدة الروائح وهي السحب التي تجيء رواحاً، ويقابلها «الغادية».
(٢) المخيلة (بفتح الميم): الظنّ.
(٣) خفا البرق يخفو خَفْواً وخُفُوًا: لمع وظهر.
(٤) يريد ثيابها، وتنسب إلى قرية باليمن تسمى عبقر تُوَشَّى بها الثياب والبُسُطُ، وثيابها أجودُ الثياب.
(٥) في الأصول: «ووصله».
(٦) في ب، س، حـ: «مسلم» وهو تحريف.

قالا: بلغنا أنكَ أكثرتَ فيها من الغريب؛ فقال: نعم، بلغني أنّ سَلْماً يتباصَرُ[١] بالغريب فأحببتُ أن أُورِدَ عليه ما لا يعرفُه؛ قالا: فأنشِدْناها، فأنشَدَهُما:

بَكِّـرَا صـاحِبَـيَّ قبـلَ الهَجِيـرِ   إنّ ذاكَ النجـاحَ فـي التَّبْكِيـرِ

حتى فرغ منها؛ فقال له خَلَف: لو قلت يا أبا مُعاذٍ مكان «إن ذاك النجاح»:

* بَكِّراً فالنجاحُ في / التبكيرِ *

٤٥/٣

كان أحسنَ؛ فقال بشّار: بَنَيْتُهَا أعْرَابِيّةً وحْشِيّةً، فقلتُ: «إنّ ذاكَ النجاحَ» كما يقول الأعرابُ البدَوِيُّون، ولو قلتُ: «بكِّرا فالنجاحُ» كان هذا من كلام المولَّدِينَ ولا يُشبه ذلكَ الكلامَ ولا يدخلُ في معنى القصيدةِ؛ فقام خَلَفٌ فقبَّلَ بينَ عينيهِ؛ وقال له خَلَفُ بنُ أبي عمرو يُمازِحهُ: لو كان عُلاثَةُ[٢] ولدكَ يا أبا مُعاذٍ لفَعَلْتُ كما فعل أخي، ولكنّكَ مولًى، فمدّ بشارٌ يدَه فضرب بها فَخذَ خَلَفٍ وقال:

أَرُفُـقٌ بعَمْـرٍو إذا حَـرَّكْـتَ نِسبَتَـه   فـإنـه عـربـيٌّ مـن قَـواريـرِ

فقال له: أفعَلتَها يا أبا مُعاذٍ! قال: وكان أبو عمرو يُغْمَزُ في نسبه.

وأخبرني ببعضِ هذا الخبرِ حبيبُ بنُ نصر عن عُمرَ بنِ شَبَّةَ عن أبي عُبيدةَ، فذكر نحوَه وقال فيه: إنّ سَلْماً يُعجِبُه الغَرِيبُ.

/ قيل له إن فلاناً سبك عند الأمير فهجاه: [٣/١٩١]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تِينَةُ قال قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال قال لي خَلَفٌ:

كنت أسمعُ ببشّار قبل أن أراه، فذكروه لي يوماً وذكروا بيانَه وسُرعةَ جوابه وَجودة شعره، فأستنشَدْتُهم شيئاً من شعره، فأنشدوني شيئاً لم يكن بالمحمود عندي، فقلت: والله لآتينّه وَلأُطَأطِئَنَّ منه، فأتيتُه وهو جالسٌ على بابه، فرأيته[٣] أعمَى قبيحَ المنظَر عظيمُ الجثّةِ، فقلتُ: لعنَ اللَّهُ مَنْ يُبالِي بهذا، فوقفتُ أتأمَّلُه طويلاً، فبينما أنا كذلك إذ جاءه رجلٌ فقال: إنّ فلاناً سبّكَ عند الأمير محمد بن سليمان ووضَع منكَ؛ فقال: أوَ قد فعلَ؟ قال: نعم؛ فأطرقَ، وجلس الرجل عنده وجلستُ، وجاء قومٌ فسلّموا عليه فلم يَرْدُدْ عليهم، فجعلوا ينظرون إليه وقد دَرَّتْ[٤] أوداجُه، فلم يلبَثْ إلا ساعةً حتى أنشدَنَا بأعلى صوته وأفخمِه:

نُبِّئْـتُ نَـائِـكَ أُمِّـهِ يغتـابُنِـي   عنـد الأميـرِ وهـل علـيّ أميـرُ

نَـارِي مُحَـرِّقَـةٌ وبَيْتِـي واسِـعٌ   للمعتفيـنَ ومَجلِسِـي مَعْمُـورُ

ولِـيَ المهـابـةُ فـي الأحِبَّـةِ والعِـدَا   وكـأنَّنـي أسَـدٌ لـه تـامُـورُ[٥]

---

(١) يتباصر بالغريب: يظهر أنه بصير به.

(٢) يريد أنه لو كان عربياً لقبله كما يدل على ذلك السياق. ويظهر أنه لا يريد بعلاثة اسماً بعينه. ولكنه أتى بهذا الاسم لأنه خاص بالعرب.

(٣) في أ، م، ء: «فرأيت».

(٤) درت: امتلأت دماً؛ والأوداج: جمع وَدَج وهو عرق في العنق يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة.

(٥) التامُورُ: عَرِينُ الأسد.

غَـرِثَـتْ[1] حَليلتُـه وأخطـأ صيـدَه ... فلـه علـى لَقَـمِ[2] الطـريـق زَئِيـرُ

قال: فارتَعَدَتْ والله فَرائصِي واقْشَعَرَّ جلدي وعَظُمَ في عيني جدًّا، حتى قلت في نفسي: الحمد لله الذي أبعدَنِي من شَرِّكَ.

[٣/١٩٢] / شعر له في مدح خالد بن برمك:

نسختُ من كتاب هارونَ بن عليّ بن يحيى قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثنا العباسُ بن خالد قال:

مدح بَشّارُ خالدَ بنَ برمكٍ فقال فيه:

لَعَمْـرِي لَقَـد أَجْـدَى علـيَّ ٱبنُ بـرمَـكٍ ... ومـا كـلُّ مَـنْ كـان الغِنَـى عنده يُجْـدِي

حَلَبـتُ بِشِعْـري راحتَيْـهِ فَـدَرَّتَـا ... سَمـاحـاً كمـا دَرَّ السَّحـابُ مـع الـرَّعـدِ

إذا جئتَـه للحمـد أشـرقَ وجهُـه ... إليـكَ وأعطـاكَ الكـرامـةَ بـالحمـدِ

لـه نِعَـمٌ فـي القـوم لا يستثيبُهـا ... جـزاءً وكَيْـلَ التـاجـر المُـدَّ بـالمُـدِّ

مُفِيـدٌ ومِتـلافٌ، سَبِيـلُ تُـرَاثِـه[3] ... إذا مـا غـدَا أو راحَ كـالجـزْرِ والمَـدِّ

أخـالـدُ إنّ الحمـدَ يبقَـى لأهلِـه ... جمـالاً ولا تبقَـى الكُنـوزُ علـى الكَـدِّ

فَـأَطْعِـمْ وكُـلْ مـن عَـارَةٍ مُستَـرَدَّةٍ ... ولا تُبقِهـا، إن العَـوَارِيَ للـرَّدِّ

٤٦/٣ فأعطاه خالدٌ ثلاثينَ ألفَ درهم، وكان قبل ذلك يُعطيهِ في كلِّ وِفَادَةٍ خمسةَ آلاف درهم، / وأمر خالدٌ أن يُكتبَ هذانِ البيتانِ[4] في صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه. وقال ابنه يحيى بن خالد: آخِرُ ما أوصاني به أبي العملُ بهذين البيتينِ.

عمر بن العلاء ومدائح الشعراء فيه:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبدالله بن عمر بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبدالله بن عثمان قال:

كان أبو الوزير مولى عبدِ القيس من عُمّال الخراج، وكان عفِيفاً بخيلاً، فسأل عُمَرَ[5] بنَ العلاء، وكان جواداً [٣/١٩٣] شجاعاً، في رجل فوهب له مائةَ ألفِ درهم؛ فدخل / أبو الوزير على المهديّ فقال له: يا أمير المؤمنين، إن عُمَر بنَ العلاء خائنٌ؛ قال: ومن أين علمتَ ذلك؟ قال: كُلِّمَ في رجل كان أقصى أَمَلِه ألفَ درهم فوهب له مائةَ ألف درهم؛ فضحك المهديّ ثم قال: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[6]، أما سمعتَ قول بشّار في عُمَرَ:

---

(١) غَرِثَتْ: جاعت، وروايةُ «اللسان» في مادة لَقَمَ: «غابت حَليلتُه».

(٢) لَقَمُ الطريق: مَتْنُه ووسَطُه.

(٣) كذا في الأصول. والتراث (بضم التاء): ما يخلفه الرجل لورثته وهو بهذا المعنى لا يتمشى مع كلمات البيت ولا المعنى الذي يريده الشاعر من أن الممدوح كسوب متلاف، فماله دائماً لذلك يعتور، النقص والزيادة والظاهر أن كلمة «تراثه» محرّفة عن «ثرائه».

(٤) يريد البيتين الأخيرين.

(٥) كذا في أكثر الأصول و «تاريخ الطبري» (قسم ٣ ج ١ ص ١٣٦) و «معجم ياقوت» في كلامه على طبرستان. وفي ب، س: «عمرو» وهو تحريف.

(٦) سورة الإسراء آية: ٨٤.

إذا دَهَمَتْكَ عِظَامُ الأمورِ فَنَبِّهْ لها عُمَراً ثم نَمْ
فتًى لا ينامُ على دِمْنَةٍ[1] ولا يَشْرَبُ الماءَ إلا بِدَمْ

أوَ ما سمعتَ قولَ أبي العَتَاهِيَة فيه:

صوت

إنّ المطايا تَشتكيكَ لأنها قَطعَتْ إليك سَبَاسِباً ورِمالاً
فإذا ورَدْنَ بنا وَرَدْنَ مُخِفَّةً وإذا رجَعْنَ بنا رجَعْنَ ثِقَالاً

ـ الغناء لإبراهيمَ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرِو بنِ بانةَ ـ أوَ ليس الذي يقول فيه أبو العتاهية:

يابْنَ العَلاء ويابْنَ القَرْمِ مِرْدَاسِ إني لأُطْرِيكَ في صَحْبي وجُلاَّسي
حتى إذا قيل ما أعطاكَ من نَشَبٍ أُلفيتُ من عُظْمِ ما أسديتَ كالناسي

ثم قال: مَنِ اجتمعَتْ أَلْسُنُ الناسِ على مدحه كان حَقِيقاً أن يُصدِّقَها بفعله.

شعره في جارية له سوداء كان يفترشها:

أخبرني محمدُ بن خلف بن المَرْزُبَانِ قال حدّثني أبو بكر الرِّبْعِيّ قال:

كانت لبشّار جاريةٌ سوداءُ وكان يَقَعُ عليها، وفيها يقول:

وغادَةٍ سَوْدَاءَ بَرَّاقَةٍ كالماءِ في طِيبٍ وفي لِينِ
كأنها صِيغَتْ لمن نالها من عَنبرٍ بالمِسكِ مَعجُونِ

/ **ليم في مبالغته في مدح عقبة بن سلم فأجاب:** [٣/ ١٩٤]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابْنُ مَهْرُوَيْهِ قال حدّثني أبو الشِّبلِ البُرْجُمِيّ قال: قال رجلٌ لبشّار: إنّ مدائحكَ عُقْبةَ بنَ سَلْمٍ فوق مدائحكَ كلَّ أحدٍ؛ فقال بشّار: إنّ عطاياه إيّايَ كانت فوق عطاءِ كلِّ أحدٍ، دخلتُ إليه يوماً فأنشدتُه:

حرَّم اللّهُ أن تَرى كابْنِ سَلْمٍ عُقْبَةِ الخيرِ مُطْعِمِ الفقراءِ
ليس يُعطِيكَ لِلرَّجاءِ ولا الخو فِ ولكن يَلَذُّ طَعْمَ العَطاءِ
يَسقُطُ الطيرُ حيثُ يَنتَثِرُ الحَـ ـبُّ وتُغشَى مَنازِلُ الكُرَماءِ

فأمر لي بثلاثة آلاف دينار، وهأنا قد مدَحْتُ المهديّ وأبا عُبيدِ الله وزيرَه ـ أو قال يعقوبَ بنَ داودَ ـ وأقمتُ بأبوابهما حولاً فلم يعطياني شيئاً، أفَأُلامُ على مدحِي هذا!.

طلب منه أبو الشمقمق الجزية فرده فهجاه فأعطاه:

ونسختُ من كتاب هارونَ بنِ عليّ أيضاًحدّثني [عليّ قال حدّثني][2] عبيد الله بن أبي الشِّيص عن دِعْبِل بن عليّ قال:

(١) الدمنة: الحقد، وقيل لا يكون الحقد دمنةً حتى يأتي عليه الدهر.
(٢) هذه الزيادة ساقطة من ب، س.

٤٧/٣ كان بشّارٌ/ يُعطِي أباالشَّمَقْمَقِ في كلّ سنة مائتَي درهمٍ، فأتاه أبو الشمقمق في بعض تلك السنين فقال له: هَلُمَّ الجزيةَ يا أبا مُعاذ؛ فقال: ويْحَكَ! أجِزيةٌ هي! قال: هو ما تسمَعُ؛ فقال له بشّارٌ يُمازحه: أنتَ أفصحُ مِنّي؟ قال: لا؛ قال: فأعلمُ منّي بمثالبِ الناس؟ قال: لا؛ قال: فأشعَرُ منّي؟ قال: لا؛ قال: فلِمَ أُعطيكَ؟ قال: لئلاّ أهجُوَكَ؛ فقال له: إنّ هجوتَني هجوتُكَ؛ فقال له أبو الشمقمقِ: هكذا هو؟ قال: نعم، فقل ما بدالكَ؛ فقال أبو الشمقمق:

إنـــي إذا مـــا شـــاعِـــرٌ هَجَـــانِيَـــهْ ولَـــجَّ فـــي القـــول لـــه لِسَـــانِيَـــهْ
أدخلتُـــه فـــي أســـتِ أمّـــهِ عَـــلاَنِيَـــهْ بشّـــارُ يـــا بشّـــارُ. . . . .

[١٩٥/٣] / وأراد أن يقولَ: «يابْنَ الزانِيَة»؛ فوثَب بشّارٌ فأمسكَ فاه، وقال: أراد واللّهِ أن يَشتُمَنِي، ثم دفع إليه مائتَيْ درهم ثم قال له: لا يَسمَعَنَّ هذا منكَ الصِّبيانُ يا أبا الشمَقمقِ.

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدّثني الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنَزيُّ قال حدّثني محمد بن بكر قال حدّثني الأصمعيّ قال:

أمرَ عقبةُ بنُ سَلْم [الهُنَائِيُّ][1] لبشّارٍ بعشرة آلاف درهم، فأُخبرَ أبو الشمقمق بذلك فوافى بشّاراً فقال له: يا أبا مُعاذٍ، إني مررتُ بصبيانٍ فسمعتُهم يُنشِدُونَ:

هَلِّلِيَنَـــــــــهْ هَلِّلِيَنَـــــــــهْ طَعْـــــنَ قِثَّـــاةٍ لتِينَـــــهْ[2]
إنّ بشّـــــارَ بـــــنَ بـــــرْدٍ تَيْـــسٌ أعمَـــى فـــي سَفِينَـــهْ

فأخرج إليه بشّارٌ مائتَيْ درهم فقال: خذ هذه ولا تكن رَاوِيةَ الصبيانِ يا أبا الشمقمقِ.

شعره في هجاء العباس بن محمد بن علي:

أخبرني أحمد قال حدّثنا أبو محمد الصَّعْتَرِيُّ قال حدّثنا محمدُ بن عثمانَ البصريّ قال:

اِستمنحَ بشّارُ بن برد العباسَ بنَ محمد بن عليّ بن عبدالله بن عباس فلم يَمْنَحْه، فقال يهجوه:

ظِـــلُّ اليســـارِ علـــى العبـــاسِ مَمـــدُودُ وقَلبُـــهُ أبـــداً فـــي البخـــل مَعقُـــودُ
إنّ الكـــريـــمَ لَيُخْفِـــي عنـــكَ عُســـرَتَـــهُ حتـــى تَـــراه غَنِيّـــا وهـــو مجهـــودُ
وللبخيـــلِ علـــى أمـــوالـــه عِلَـــلٌ زُرقُ العيـــونِ عليهـــا أوجُـــهٌ سُـــودُ
إذا تكَـــرهـــتَ أن تُعْطِـــي القليـــلَ ولـــم تَقـــدِرْ علـــى سَعَـــةٍ لـــم يَظهَـــرِ الجُـــودُ
أوْرِقْ بخَيـــرٍ تُـــرَجَّـــى لِلنَّـــوال فمـــا تُـــرْجَـــى الثِمـــارُ إذا لـــم يُـــورِقِ العُـــودُ
بُـــثَّ النَّـــوالَ ولا تَمنَعْـــكَ قِلَّتُـــهُ فكـــلُّ مَـــا سَـــدَّ فَقـــراً فهـــو محمُـــودُ

[١٩٦/١] / **اجتمع بعباد بن عباد وسلم عليه:**

أخبرني أحمد قال حدّثنا العَنَزيُّ قال حدّثني المغيرةُ بن محمد المهلّبيّ قال حدّثني أبي عن عَبَّادِ بن عَبّادٍ قال:

---

(١) زيادة في أ، م،«نسبة إلى هُناءة بن مالك، وبنو هناءة هم رهط عقبة بن سلم.

(٢) في حـ: «طعن قثاة بتينه».

مررتُ ببشّار فقلت: السّلامُ عليكَ يا أبا مُعاذٍ؛ فقال: وعليك السلام، أعبّاد؟ فقلت: نعم؛ قال: إني لحسَنُ الرأي فيكَ؛ فقلت: ما أحوجَني إلى ذلك منك يا أبا معاذ!.

جارى أمرأ القيس في تشبيهه شيئين بشيئين:

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرني محمد بن عمرَ الجُرْجانيّ عن أبي يعقوب الخُرَيميّ[1] الشاعر أنّ بشّاراً قال: لم أزل منذ سمعتُ قولَ أمرىء القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيتٍ واحدٍ حيث يقول:

كأنّ قلوبَ الطيرِ رَطْباً ويابساً ... لدَى وكرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالِي

أُعْمِلُ نفسِي في تشبيه شيئين بشيئينِ في بيتٍ حتى قلتُ:

/ كأنّ مُثارَ النّقعِ فوقَ رُؤوسِنا ... وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى كَواكِبُهْ ٤٨/٣

قال يحيى: وقد أخذ هذا المعنى منصورٌ النَّمَريُّ فقال وأحسنَ:

ليلٌ من النّقْعِ لا شمسٌ ولا قَمرٌ ... إلا جَبِينُكَ والمَذْرُوبَةُ الشُّرُعُ[2]

كان إسحاق الموصليّ يطعن في شعره ولما أنشد منه سكت:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال: كان إسحاقُ المَوْصِليُّ يَطعَنُ على شعرِ بشّارٍ ويضعُ منه ويذكر أنّ كلامَه مُختلِفٌ لا يشبه بعضُه بعضاً؛ فقلنا: أتقولُ هذا القولَ لمن يقولُ:

[١٩٧/٣]

/ **صوت**

إذا كنتَ في كلّ الأمور مُعاتباً ... صَدِيقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُهْ

فَعِشْ واحداً أوصِلْ أخاكَ فإنّهُ ... مُقارِفُ[3] ذنبٍ مَرّةً ومُجانِبُهْ

إذا أنتَ لم تشرَبْ مِراراً على القَذَى ... ظَمِئتَ وأيُّ الناسِ تَصْفُو مَشارِبُهْ

ـ لأبي العُبَيْس بن حمدون في هذه الأبياتِ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر ـ قال عليّ بن يحيى: وهذا الكلامُ الذي ليس فوقه كلامٌ من الشعر ولا حَشوَ فيه؛ فقال لي إسحاقُ: أخبرني أبو عُبيدةَ مَعْمرُ بنُ المثنّى أن شُبَيلَ بنَ عَزْرَةَ[4] الضُّبَعِيّ أنشده هذه الأبيات للمتلمّس، وكان عالماً بشعره لأنهما جميعاً من بني ضُبَيعَةَ؛ فقلتُ له: أفليس قد ذكر أبو عبيدةَ أنه قال لبشّار: إن شُبيلاً أخبرَه أنها للمتلمّس؛ فقال: كذبَ واللهِ شُبيلٌ، هذا شعري، ولقد مدحْتُ به أبنَ هُبيرة فأعطاني عليه أربعين ألفاً. وقد صدَقَ بشّارٌ، قد[5] مدح في هذه القصيدةِ أبنَ هُبيرةَ، وقال فيها:

---

(١) هكذا أورد شارح «القاموس» هذا الاسم في «المستدرك» في مادة «خرم» وقال: «هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي الخريميّ بالضم من شعراء الدولة العباسية، قيل له ذلك لاتصاله بخريم بن عامر بن الحارث المزي المعروف بالناعم، وقيل: لاتصاله بأبنه عثمان بن خريم، وقيل: هو مولاهم» وفي جميع الأصول «الخزيمي» بالزاي وهو تحريف.

(٢) المذروبة: المحدّدة، والشرع: المشروعة والمراد بها السيوف.

(٣) مقارف ذنب: مخالطه ومرتكبه، من قارف الخطيئة إذا خالطها.

(٤) ورد هذا الاسم في «القاموس» مادة شبل «عروة» بالراء والواو وأستدرك عليه شارحه فقال: «شبيل بن عروة هكذا في النسخ والصواب أبن عزوة بالزاي» وكذلك ورد «عزرة» بالزاي في «تاريخ الطبريّ» (قسم ٢ ج ٦ ص ١٩١٣ طبع أوروبا).

(٥) في ب، س: «وقد» بالواو.

رُوَيدَ[١] تَصاهَلْ بالعراق جِيادُنا كأنكَ بالضّحاكِ قد قامَ نادِبُهْ

وسامٍ لمروانٍ ومِن دونِه الشَّجَا وهَوْلٌ كَلُجِّ البحرِ جاشَتْ غوارِبُهْ

أحَلَّتْ به أمُّ المنايا بَناتِها بأسيافنا، إنّا رَدَى مَن نُحارِبُهْ

وكنّا إذا دَبَّ العدوُّ لِسخْطِنا وراقَبَنا في ظاهرٍ لا نُراقِبُهْ

رَكِبْنا له جَهْراً بكلّ مُثَقَّفٍ وأبيضَ تَستَسقي الدِّماءَ مَضارِبُهْ

[١٩٨/٣] / ثم قلتُ لإسحاق: أخبرني عن قول بشّار في هذه القصيدةِ:

فلمّا تَوَلَّى الحَرُّ واعتَصَر الثّرى لَظَى الصَّيفِ مِن نَجمٍ تَوَقَّدَ لاهِبُهْ

وطارَتْ عَصافيرُ الشَّقائقِ[٢] واكتسى مِن الآلِ[٣] أمثالَ المَجَرَّةِ[٤] ناضِبُهْ

غَدَتْ عانَةٌ تشكو بأبصارِها الصَّدَى إلى الجأبِ إلا أنها لا تُخاطِبُهْ

ـ العانةُ: القَطيعُ من الحمير، والجأب: ذكرها. ومعنى شكواها الصدى بأبصارها أن العطش قد تبيّنَ في أحداقها فغارَتْ ـ قال: وهذا من أحسن ما وُصِف به الحمارُ والأُتُنُ، أفهذا للمتلمّس أيضاً! قال: لا؛ فقلت: أفما هو في غاية الجَوْدَة وشبيهٌ بسائر الشعر، فكيف قصد بشّارٌ لسرقةِ تلك الأبياتِ خاصّةً! وكيف خصه بالسرقة منه وحدَه من بين الشعراء وهو قبله بعصرٍ طويلٍ! وقد رَوَى الرُّواةُ شعرَه وعلم بشّارٌ أنّ ذلك لا يخفَى، ولم يُعثَرْ على بشّار أنه سَرقَ شعراً قطّ جاهليًا ولا إسلامياً. وأُخرَى فإنّ شعرَ المتلمّس يُعرَفُ في بعض شعر بشّار؛ فلم يَردُدْ/ ذلك بشيء. ٤٩/٣

وقد أخبرني بهذا الخبر هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غَسّان دماذ عن أبي عُبيدَةَ أنّ بشّاراً أنشدَه:

إذا كنتَ في كلّ الأمور مُعاتِباً صديقَكَ لم تَلْقَ[٥] الذي لا تُعاتِبُهْ

وذكر الأبيات. قال: وأنشدتُها شُبيلَ بنَ عَزْرَةَ الضُّبَعِيّ، فقال: هذا للمتلمّس؛ فأخبرتُ بذلك بشّاراً، قال: كذب والله شُبَيلٌ، لقد مدحتُ ابنَ هُبيرةَ بهذه القصيدةِ وأعطاني عليها أربعين ألفاً.

[١٩٩/٣] / **لما صار طاهر إلى العراق في حرب الأمين سأل عن ولد بشار ليبرّهم:**

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عليّ بن إبراهيم المَرْوَزِيّ، وكان أبوه من قوّاد طاهر، قال حدّثني أبي قال:

لما خلَع محمّدٌ المأمونَ وندَب له عليَّ بنَ عيسى، ندَب المأمونُ للقاء عليّ بن عيسى طاهرَ بنَ الحسين

(١) في «اللسان» (مادة رود): وقال الليث: إذا أردت «برويداً» الوعيد نصبتها بلا تنوين، وأنشد:

* رويدَ نُصاهِلْ بالعراق جيادَنا *

إلخ. وفي الأصول: «رويداً» بالتنوين.

(٢) الشقائق: جمع شقيقة وهي أرض صلبة بين رياض تنبت الشجر والعشب.

(٣) الآل: السراب.

(٤) المجرة: نجوم كثيرة لا تدرك بمجرّد البصر وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء.

(٥) في حـ: «لم تلف» بالفاء.

ذا اليمينَين[1] وجلس له لَعرْضِه وعَرْض أصحابه، فمرّ به ذو اليمينَين مُعترِضاً وهو يُنشِدُ:

رُوَيدَ[2] تَصاهَلْ بالعراق جيادُنا كأنك بالضحّاك قد قام نادِبُهْ

فتفاءل المأمونُ بذلك فاستدناه فاستعاده البيتَ فأعاد عليه؛ فقال ذو الرِّياسَتَين[3]: يا أمير المؤمنين هو حَجَرُ[4] العِرَاقِ؛ قال: أجلْ. فلما صار ذو اليمينين إلى العراق سأل: هل بقي من ولد بشّار أحد؟ فقالوا: لا؛ فتوهّمتُ أنه قد كان همَّ لهم بخيرٍ.

غضب على سلم الخاسر لأنه سرق من معانيه:

أخبرنا يحيى قال حدّثنا أبي قال أخبرني أحمد بن صالح ـ وكان أحدَ الأدباء ـ قال:

غَضِبَ بشّارٌ على سَلْم الخاسِرِ وكان من تلامذته ورُواته، فاستشفَع عليه بجماعةٍ من إخوانه فجاؤوه في أمره؛ فقال لهم: كلُّ حاجةٍ لكم مَقضيّةٌ / إلا سَلْماً؛ قالوا ما جئناكَ إلا في سَلْمٍ ولا بدّ مِنْ أن ترضَى عنه لنا؛ فقال: أينَ هو الخبيثُ؟ قالوا: ها هو [٣/٢٠٠] هذا؛ فقام إليه سَلْمٌ فقبّل رأسَه ومثَل بين يديه وقال: يا أبا مُعاذٍ، خِرّيجُكَ وأديبُكَ؛ فقال: يا سَلْمُ، مَنِ الذي يقول:

مَنْ راقبَ الناسَ لم يَظفَرْ بحاجته وفازَ بالطيّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

قال: أنتَ يا أبا مُعاذٍ، جعلني اللّهُ فِداءَكَ! قال: فمَن الذي يقول:

مَنْ راقبَ الناسَ ماتَ غَمّاً وفازَ باللّذّةِ الجَسُورُ[5]

قال: خِرّيجُكَ يقول ذلك (يعني نفسَه)؛ قال: أفتأخُذُ معانِيَّ التي قد عُنِيتُ بها وتَعِبتُ في استنباطها، فتكسوها ألفاظاً أخفَّ مِنْ ألفاظي حتى يُرْوَى ما تقولُ ويَذهبَ شِعْري! لا أرضَى عنك أبداً، قال: فما زال يتضرّعُ إليه، ويشفَعُ له القومُ حتى رَضِيَ عنه. وفي هذه القصيدةِ يقول بشّارٌ:

لو كنتِ تَلْقِينَ ما نَلْقَى قَسَمتِ لنا يوماً نَعِيشُ به منكم ونَبْتَهِجُ

صوت

لا خيرَ في العيش إن كنّا[6] كذا أبداً لا نَلتقي وسبيلُ الملتقَى نَهَجُ[7]

---

(١) ذكر ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (ج ١ ص ٣٣٥) طاهراً هذا وقال في سياق ترجمته: واختلفوا في تلقيبه بذي اليمينين لأيّ معنى كان فقيل: لأنه ضرب شخصاً في وقعته مع عليّ بن ماهان فقدّه نصفين وكانت الضربة بيساره فقال فيه بعض الشعراء:

* كلتا يديك يمين حين تضربه *

وذكر أيضاً في ترجمة الفضل بن سهل (ج ١ ص ٥٨٩) أن الفضل كان أعلم الناس بعلم النجامة، فلما عزم المأمون على إرسال طاهر بن الحسين إلى محاربة أخيه الأمين، نظر الفضل في مسألته فوجد الدليل في وسط السماء وكان ذا يمينين، فأخبر المأمون بأن طاهراً يظفر بالأمين ويلقّب بذي اليمينين، فلقب المأمون طاهراً بذلك، وهو أشهر قوّاده.

(٢) انظر الحاشية رقم ٤ من ص ١٩٧ من هذا الجزء.

(٣) هو الفضل بن سهل وزير المأمون، ولقب بذي الرياستين لأنه تقلد الوزارة والسيف.

(٤) يريد أنه الركن الذي يعوّل عليه.

(٥) هذا البيت وبيت بشار قبله يذكرهما علماء البلاغة شاهداً لحسن أخذ الشاعر الثاني من الأول، ويسمونه حسن الاتباع، لأن بيت سلم أجود سبكاً وأخصر لفظاً (انظر «معاهد التنصيص» صفحة ٥٠٦ طبع بولاق).

(٦) كذا في الأصول. وفي «معاهد التنصيص»: «إن دمنا».

(٧) النهج: البين الواضح.

قـالـوا حـرامٌ تـلاقِينَـا فقلـت لهـم ... مـا فـي التَّـلاقِـي ولا فـي قُبْلَـةٍ حَـرَجُ

مَـنْ راقـبَ النـاسَ لـم يَظفَـرْ بحـاجتـهِ ... وفـاز بـالطّيِّبـاتِ الفـاتِـكُ اللَّهِـجُ

أشكـو إلـى الله هَمـاً مـا يُفَـارِقُنـي ... وشُـرَّعـاً[1] فـي فُـؤادِي الـدّهـرَ تعتَلِـجُ

أنشد الأصمعيّ شعره في هجو باهلة فغاظه فخره بنسبه:

/ أخبرنا محمدُ بن عِمْرانَ الصيرَفيُّ قال حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنَزيّ قال حدّثنا أحمد بن خَلَّادٍ قال: أنشدتُ الأصمعيّ قولَ بشّارٍ يهجو بَاهِلةَ:

[٢٠١/٣] / ودعـانـي مَعشَـرٌ كُلُّهُـمُ ... حُمُـقٌ دام لهـمْ ذاكَ الحُمُـقْ

ليـس مـن جُـرْمٍ ولكـن غـاظَهُـم ... شَـرَفـي العـارِضُ قـد سَـدَّ الأُفُـقْ

فاغتاظ الأصمعيُّ فقال: وَيْلي على هذا العبدِ القِنّ ابنِ[2] القِنّ!.

حديثه مع امرأة في الشيب:

نسختُ من كتاب هارونَ بن عليّ بن يحيى قال حدّثني عليّ بن مهدي. قال حدّثني عباسُ بن خالد قال سمعتُ غيرَ واحد من أهل البصرة يُحدِّثُ:

أنّ امرأةً قالتْ لبشّار: أيّ رجل أنتَ لو كنتَ أسودَ اللحيةِ والرأس! قال بشّار: أما عَلمْتِ أن بيض البُزاة أثمن من سُود الغِربان؛ فقالت له: أمّا قولك فحسَنٌ في السّمع، ومن لك بأنَ يَحسُن شَيبُكَ في العين كما حسُنَ قولك في السّمع! فكان بشّار يقول: ما أفحمني قطّ غيرُ هذه المرأة.

أحب الأشياء إليه:

ونسخت من كتابه: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني إسحاق بن كلبة قال قال لي أبو عثمان المازنيّ:

سئل بشار: أيُّ متاع الدنيا آثرُ عندكَ؟ فقال: طعامٌ مُزّ[3]، وشرابٌ مُرّ، وبنتُ عشرين بِكْر.

دخل إليه نسوة وطلب من إحداهنّ أن تواصله فأبت فقال شعراً:

أخبرني عمي قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد، وأخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني أبو تَوْبَةَ عن صالح بن عطيّة قال:

كان النساء المتظرِّفات يدخُلْنَ إلى بشّارٍ في كلّ جمعة يومين، فيجتمعن عنده ويسمَعْن من شعره، فسمع كلامَ امرأة منهنّ فعلِقَها قلبُه وراسلها يسألها أن تُواصله؛ / فقالت لرسوله: وأيُّ معنى فيك لي أوْ لك فيّ! وأنت أعمى لا تَراني فتعرف حسني ومقدارَه، وأنتَ قبيحُ الوجه فلا حظّ لي فيك! فليت شِعري لأيّ شيء تطلُب وِصال مثلي! وجعلَتْ تهزَأُ به في المخاطبة؛ فأدّى الرّسولُ الرّسالةَ، فقال له: عُد إليها فقل لها: [٢٠٢/٣]

(١) الشرع: الرماح والمراد بها هنا الخواطر وما إليها مجازاً، وتعتلج: تتضارب وتتمارس.

(٢) القن: عبدٌ مُلِكَ هو وأبوه.

(٣) المز: ما كان طعمه بين الحموضة والحلاوة.

أيـرى لـه فضـلٌ علـى آيـارهـم ... وإذا أشـطّ(١) سجَـدْنَ غيـر أوابـي

تلقـاه بعـد ثـلاثَ عشـرةَ قـائمـا ... فعـلَ المـؤذّن شـكّ يـومَ سَحـابِ

وكـأنّ هـامـةَ رأسـه بِطّيخـةٌ ... حُمِلتْ إلى مَلِكٍ بدجلـه جـابي(٢)

اعترض مروان بن أبي حفصة على بيت من شعره فأجابه:

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثنا أبو هفّانَ قال أخبرني أحمد بن عبد الأعلى الشيبانيّ عن أبيه قال: قال مروان لبشّار لما أنشده هذا البيتَ:

وإذا قلـتُ لهـا جُـودي لنـا ... خـرجَـتْ بـالصّمـت مِـن لاَ ونَعَـم

جعلني الله فِداءك يا أبا معاذ! هلاّ قلتَ: «خَرِستْ بالصَّمْت»؛ قال: إذاً أنا في عقلك فضّ الله فاك! أأتطيّر على مَنْ أُحِبّ بالخَرس!.

مدح خالداً البرمكي فأجازه:

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني بعضُ أصحابنا قال: وفدَ بشّار إلى خالد بن برمك وهو على فارِس فأنشده:

أخـالـدُ لـم أَخْبِـطْ(٣) إليـك بـذمّـةٍ ... سـوى أنّنـي عَـافٍ وأنـتَ جَـوادُ

أخـالـدُ بيـنَ الأجـر والحمـدِ حـاجتـي ... فـأيّهمـا تـأتـي فـأنـتَ عِمـادُ

فـإن تُعطنـي أُفـرِغْ عليـك مـدائحـي ... وإن تـأبَ لـم يُضـرَبْ علـيّ سِـدادُ(٤)

/ رِكـابـي علـى حَـرْفٍ وقلبـي مُشَيَّـعٌ(٥) ... ومـالـي بـأرض البـاخليـنَ بِـلادُ [٣/٢٠٣ ٥١/٣]

إذا أنكـرَتنِـي بَلـدةٌ أو نَكِـرْتُهَـا ... خـرجـتُ مـع البـازِي علـيّ سَـوادُ

قال: فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس فوضع واحداً عن يمينه وواحداً عن شِماله وآخرَ بينَ يديه وآخر خلفَه، وقال: يا أبا معاذ، هل أستقلّ العماد؟ فلَمس الأكياسَ ثم قال: أستقلّ والله أيّها الأميرُ.

مدح الهيثم بن معاوية وأخذ جائزته:

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمرُ بنُ شَبّة قال قال محمدُ بن الحجّاج حدّثني بشّار قال: دخلت على الهَيْثم بن معاويةَ وهو أمير البصرة، فأنشدتُه:

إنّ السّـلام أيّهـا الأميـرُ ... عليـكَ والـرّحمـةُ والسّـرورُ

فسمعتُه يقول: إنّ هذا الأعمى لا يدَعنا أو يأخذَ من دراهمنا شيئاً؛ فطمِعتُ فيه فما برحتُ حتّى أنصرفتُ بجائزته.

(١) أشط: أنعظ، وأوابي: ممتنعات واحدتها «آبية».

(٢) جاب: وصف من جبي الخراج يجبيه ويجباه أي جمعه.

(٣) أي لم أسر إليك لطلب معروفك متوسلاً بعهد؛ ورواية «الخزانة» للبغدادي ج ١ ص ٥٤٠ طبع بولاق. «لم أهبط».

(٤) السداد بالكسر: ما نسدّ به الثلمة ونحوها

(٥) الحرف: الناقة القوية، والمشيّع: الشجاع.

طلب رجلاً من بني زيد للمفاخرة وهجاه فانقطع عنه:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلّام قال:

وقَف رجلٌ من بني زيد شريفٌ، لا أُحِبّ أن أُسمّيَه، على بشّار، فقال له: يا بشّار قد أفسدتَ علينا مَوالينَا، تَدعوهم إلى الانتفاء منّا وتُرغّبهم في الرُّجوع إلى أصولهم وترك الوَلاء، وأنت غيرُ زاكي الفَرع ولا معروف الأصلِ؛ فقال له بشار: والله لأَصْلِي أكرمُ من الذّهب، ولَفَرْعي أزكى من عمل الأبرار، وما في الأرض كلبٌ يودّ أنّ نسبَكَ له بنسبه، ولو شئتُ أن أجعل جوابَ كلامك كلاماً[1] لفعلتُ، ولكنّ موعدك / غداً بالمِرْبَد؛ فرجع الرجلُ إلى منزله [٣/٢٠٤] وهو يتوهّم أنّ بشّاراً يحضُر معه المِربد ليفاخره، فخرج من الغد يريد المِربَد فإذا رجل يُنشِدُ:

شهِـدتُ علـى الـزَّيـديّ أنّ نِسـاءه ... ضِبـاعٌ[2] إلـى أيـر العُقيلـيّ تَـزفِـرُ

فسأل عمّن قال هذا البيت؛ فقيل له: هذا لبشّار فيك؛ فرجع إلى منزله من فوره ولم يدخل المِربدَ حتّى مات.

قال ابن سَلّام: وأنشدَ رجل يوماً يونُس في هذه القصيدة وهي:

بَلَـوتُ بنـي زيـدٍ فمـا فـي كِبـارهـم ... حُلـومٌ ولا فـي الأصغَـريـنَ مُطهَّـرُ

فـأبلـغ بنـي زيـد وقـل لَسـراتهـم ... وإن لـم يكـن فيهـم سَـراةٌ تُـوقَّـرُ

لأمّكـم الـوَيـلاتُ إنّ قصـائـدي ... صَـواعـقُ منهـا مُنجِـدٌ ومغـوِّرُ

أجَـدّهـمُ[3] لا يتّقـون دَنِيّـةً ... ولا يُـؤثِـرون الخيـر والخيـر يـؤثَـر

يَلُقُـون[4] أولاد الـزّنـا فـي عِدادهـم ... فعِـدّتُهـم مـن عِـدّة النـاس أكثـرُ

إذا مـا رأوا مَـنْ دأبُـه مثـلُ دأبهـم ... أطـافـوا بـه، والغَـيُّ للغـيّ أصـوَرُ[5]

ولـو فـارقـوا مـن فيهـمُ مـن دَعـارَةٍ[6] ... لمـا عـرفتهـم أمُّهـم حيـن تَنظُـرُ

لقـد فَخـروا بـالمُلْحَقِيـنَ[7] عشيّـةً ... فقلتُ أفخـروا إن كـان فـي اللـؤم مفخَـرُ

[٣/٢٠٥] / يـريـدون مَسْعَـاتِـي[8] ودون لقـائهـا ... قنـاديـلُ أبـواب السّمـواتِ تَـزْهَـرُ[9]

---

(١) كذا في أكثر الأصول. وفي حـ: «أن أجعل جواب كلانا شعراً لفعلت». ولعله «جواب كلامك شعراً».

(٢) ضباع: جمع ضبعة وأصله الناقة تشتهي الفحل، يقال: ضبعت الناقة تضبع ضبعاً وضبعة أي اشتهت الفحل، وقد يستعمل في النساء كما وقع في هذا البيت (انظر «اللسان» و «القاموس» مادة ضبع).

(٣) يقال: أجدّك بكسر الجيم وأجدّك بفتحها ونصبهما على المصدر، قال الليث: من قال: أجدّك بكسر الجيم فإنه يستحلفه بجدّه وحقيقته وإذا فتح الجيم استحلفه بجدّه وهو بخته.

(٤) يلقون: يجمعون.

(٥) أصور: أميل، يقال: صور يصور صوراً أي مال.

(٦) أي لو فارقوا من انضم إليهم من طريق الدعارة.

(٧) يريد بالملحقين: الذين استلحقوهم وألصقوهم بهم من أولاد الزنا.

(٨) المسعاة: المكرمة والمعلاة في أنواع المجد والجود. وفي «اللسان»: «والعرب تسمي مآثر أهل الشرف والفضل «مساعي» واحدتها مسعاة لسعيهم فيها كأنها مكاسبهم وأعمالهم التي أعنوا فيها أنفسهم».

(٩) تزهر: تتلألأ.

فقل في بني زيدٍ كما قال مُعْرِبٌ ... قواريرُ حَجّامٍ غداً تتكسَّرُ

فقال يونسُ للذي أنشدَه: حَسْبُك حسبك! مَنْ هَيّجَ هذا الشيطانَ عليهم؟ قيل: فلانٌ؛ فقال: / رُبَّ سَفِيهِ قومٍ قد ٥٢/٣ كسَبَ لقومه شرًّا عظيماً.

ضمن مثلاً في شعره عند عقبة بن سلم وأستحق جائزته:

أخبرني عمي قال حدّثنا ٱبنُ مَهْرُويه قال حدّثني عبدُالله بنُ بشر بن هلال قال حدّثني محمد بن محمد البصريّ قال حدّثني النضر بن طاهر أبو الحجاج قال:

قال بشار: دعاني عقبةُ بن سَلْم ودعا بحمّاد عَجْرَد وأعشى باهلةَ، فلما اجتمعنا عنده قال لنا: إنه خطر ببالي البارحةَ مَثَلٌ يتمثّلهُ الناسُ: «ذهبَ الحمارُ يطلبُ قرنينِ فجاء بلا أذنين» فَأَخْرِجُوه من الشعر، ومن أخرجَهُ فله خمسةُ آلاف درهم، وإن لم تَفعَلوا جَلَدْتُكم كُلَّكُم خمسَمائةٍ؛ فقال حمّاد: أَجِّلْنَا أعزَّ اللّهُ الأميرَ شهراً؛ وقال الأعشى: أجِّلْنَا أسبوعينِ؛ قال: وبشّار ساكتٌ لا يتكلّمُ؛ فقال له عُقبَةُ: مالكَ [يا[1] أعمى] لا تتكلّمُ! أعمى الله قلبك! فقال: أصلحَ اللّهُ الأميرَ، قد حضرَني شيءٌ فإن أمرتَ قلتُه؛ فقال قل؛ فقال:

شَطَّ بِسَلْمَى عاجلُ البينِ ... وجاورتْ أُسْدَ بَني القَيْنِ

ورَنَّتِ النفسُ لها رَنَّةً ... كادتْ لها تنشَقُّ نصفَيْنِ

يا بنةَ مَن لا أشتَهِي ذكرَه ... أخشَى عليهِ عُلَقَ الشَّيْنِ

واللهِ لو ألقاكِ لا أتقي ... عيناً لقبَّلتُكِ ألفيْنِ

/ طالبتُها دَيْني فراغَتْ بِه ... وعَلَّقَتْ قلبي مع الدَّيْنِ [٢٠٦/٣]

فصِرتُ كالعَيْرِ غداً طالباً ... قَرْناً فلم يَرجِعْ بأُذْنَيْنِ

قال: فٱنصرَف بشّارٌ بالجائزة.

قصته مع قوم من قيس عيلان نزلوا بالبصرة ثم ارتحلوا:

نسخت من كتاب هارونَ بنِ عليّ بن يحيى: حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبدُالله بنُ عطية الكوفيّ قال حدّثني عثمان بنُ عمرٍو الثقفيّ قال قال أبانُ بنُ عبد الحميد اللاحقيّ:

نزل في ظاهر البصرة قومٌ من أعراب قَيس[2] عَيلانَ وكان فيهم بيانٌ وفصاحةٌ، فكان بشّارٌ يأتيهِمْ ويُنشِدُهم أشعارَه التي يمدح بها قيساً فيُجِلُّونَه لذلك ويُعَظِّمونه، وكان نِساؤهم يجلسنَ معه ويتحدّثنَ إليه ويُنشِدُهنّ أشعارَه في الغَزَلِ وكنّ يُعجَبنَ به، وكنتُ كثيراً ما آتِي ذلك الموضعَ فأسمعُ منه ومنهم، فأتيتُهم يوماً فإذا هم قد ٱرتحلوا، فجئتُ إلى بشّار فقلت له: يا أبا مُعاذ، أَعَلِمْتَ أنّ القومَ قد ارتحلوا؟ قال: لا؛ فقلتُ: فٱعلَمْ؛ قال: قد عَلِمْتُ لا عَلِمْتَ! ومَضَيتُ، فلمّا كان بعد ذلك بأيام سمِعتُ الناسَ يُنشِدُونَ:

دعا بفِراقِ مَنْ تَهْوَى أبانُ ... ففاضَ الدّمعُ وٱحترَقَ الجَنانُ

---

(١) زيادة في حـ.

(٢) في حـ: «قيس بن عيلان» وكلتا الروايتين صحيحة (انظر «اللسان» و «القاموس» وشرحه في مادّة عَيَلَ).

كـأن شَـرَارةً وقعَـتْ بقلبـي لهـا فـي مُقْلتِـي ودَمِـي أستِنَـانُ[١]

إذا أنشَـدتُ أو نَسَمَـتْ عليهـا رِيـاحُ الصّيـفِ هـاجَ لهـا دُخَـانُ

فعلِمْتُ أنها لبشّار، فأتيتُه فقلتُ: يا أبا مُعاذ، ما ذنبي إليك؟ قال: ذنبُ غرابِ البينِ؛ فقلت: هل ذكرتَنِي بغير هذا؟ قال: لا؛ فقلتُ: أَنشُدُكَ اللّهَ ألاّ تزيدَ؛ فقال: أمضِ لشأنكَ فقد تركتُكَ.

[٢٠٧/٣] / **بشار وجعفر بن سليمان:**

ونسختُ من كتابه: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني يحيى بن سعيد الأيوزَرْدِي[٢] المعتزليّ قال حدّثني أحمدُ بنُ المعذّل عن أبيه قال:

أنشَد بشّارٌ جعفرَ بنَ سليمان:

أقِلّـي فـإنّـا لاحِقـونَ وإنّمـا يُـؤَخّـرنـا أنّـا يُعَـدُّ لنـا عَـدًا

ومـا كنـتُ إلا كـالأغـرّ ابـن جعفـرٍ رأى المـالَ لا يبقَـى فـأبقَـى بـه حمـدَا

٥٣/٣ / فقال له جعفرُ بن سليمان: مَنِ ابنُ جعفرٍ؟ قال: الطيّارُ[٣] في الجنةِ؛ فقال: لقد ساميْتَ غيرَ مُسَامَى! فقال: والله ما يُقْعِدُني عن شأوه بعدُ النسب، لكن قِلّةُ النشب[٤]، وإني لأجودُ بالقليل وإن لم يكن عندي الكثيرُ، وما على مَنْ جاد بما يملك ألاّ يهبَ البدورَ[٥]؛ فقال له جعفرٌ: لقدْ هَزَزْتَ أبا مُعاذ، ثم دعا له بكيس فدفعه إليه.

سئل عن ميله للهجاء دون المديح فأجاب:

ونسخت من كتابه: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني أحمدُ بن سعيد الرازيّ عن سليمان بن سليمان العَلَوِيّ قال:

قيل لبشّار: إنك لكثيرُ الهجاء! فقال: إني وجدتُ الهِجَاءَ المؤلم آخَذَ بِضَبْعِ[٦] الشاعر من المديح الرائع، ومَنْ أراد من الشّعراء أن يُكرَمَ في دَهرِ اللئامِ على المديح فَلْيستعدَّ للفقرِ وإلا فلْيُبالِغْ في الهجاء لِيُخَافَ فَيُعطَى.

بشار في صباه:

أخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّانَ دَمَاذ عن أبي عُبيدةَ قال:

[٢٠٨/٣] كان بُردٌ أبو بشّار طَيّاناً حاذِقاً بالتّطيين، ووُلِدَ له بشّارٌ وهو أعمى، فكان يقول: / ما رأيتُ مولوداً أعظمَ بركةً منه، ولقد وُلِدَ لي وما عندي درهمٌ فما حال الحولُ حتى جمعتُ مائتَيْ درهم. ولم يمتْ بردٌ حتى قال بشّارٌ الشّعرَ. وكان لبشّارٍ أخوَانِ يقال لأحدهما: بشر، وللآخر: بشير، وكانا قصّابَيْنِ وكان بشّار بارًّا بهما، على أنه كان ضَيِّقَ

---

(١) الاستنان: الجريان بشدّة.

(٢) كذا في ب، س، أ، ء، وفي م: «الأيوزردي» وفي حـ: «الأريوزذي».

(٣) الطيار لقب جعفر بن أبي طالب، وسبب هذا اللقب أنه أخذ الراية في غزوة «موتة» بعد زيد بن حارثة فقاتل حتى قطعت يداه ومات، فأخبر النبيّ ﷺ بأنه يطير مع الملائكة في السماء، وكان ابن عمر إذا سلم على عبدالله بن جعفر قال: السلام عليك يابن ذي الجناحين. (انظر «البخاري بشرح القسطلاني» ج ٦ ص ١٤٣ طبع بولاق).

(٤) كذا في ء، أ، حـ وفي باقي النسخ: «النسب» وهو تصحيف.

(٥) البدور: جمع بدرة وهي كيس فيه ألف أو عشرة الاف درهم أو سبعة آلاف دينار.

(٦) الضبع: العضد.

الصدر مُتبرّماً بالناس، فكان يقول: اَللهمّ إني[1] قد تبرّمتُ بنفسي وبالناس جميعاً، اَللهم فأرِحْني منهم. وكان إخوتُه يَستعِيرونَ ثيابَه فيوسِّخُونها ويُنْتِنُون ريحَها، فأتخذ قميصاً له جَيْبَانِ وحلف ألاّ يُعيرهم ثوباً من ثيابه، فكانوا يأخذونها بغير إذنه؛ فإذا دعا بثوبه فلبسه فأنكر رائحتَه فيقول[2] إذا وجدَ رائحةً كريهةً من ثوبه: «أينمَا أتَوَجَّهْ أَلْقَ سَعْداً»[3]. فإذا أعياه الأمرُ خرج إلى الناس في تلك الثيابِ على نَتْنِها ووسَخِها، فيقال له: ما هذا يا أبا مُعاذ؟ فيقول: هذه ثمرةُ صِلَةِ الرّحم. قال: وكان يقولُ الشّعرَ وهو صغيرٌ، فإذا هجا قوماً جاؤوا إلى أبيه فشكَوْه فيضربُه ضرباً شديداً، فكانت أمّه تقولُ: كم تضربُ هذا الصبيَّ الضريرَ، أمَا ترحَمُه! فيقول: بلى واللهِ إني لأرحَمُه ولكنه يتعرّضُ للناس فيشكُونه إليّ؛ فسمعه بشّارٌ فطمعَ فيه فقال له: يا أَبَتِ إنّ هذا الذي يشكونه منّي إليكَ هو قولُ الشعر، وإني إن ألممتُ عليه أغنيتُكَ وسائرَ أهلي، فإن شَكَوْني إليكَ فقل لهم: أليس اللَّهُ يقولُ: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ﴾[4]. فلما عاودوه شَكْوَاهُ قال لهم بُردٌ ما قاله بشّارٌ؛ فأنصرفوا وهم يقولون: فِقْهُ بردٍ أغيظُ لنا من شعرِ بشّار.

أعطاه فتى مائتي دينار لشعره في مطاولة النساء:

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدّثني محمدُ بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثني محمد بن عثمانَ الكُرَيْزِيّ قال حدّثني بعضُ الشعراء قال:

/ أتيتُ بشّاراً الأعمى وبين يديه مائتا دينار[5]، فقال لي: خذ منها ما شئتَ، أوَ تَدرِي ما سببُها؟ قلتُ: لا؛ [٢٠٩/٣] قال: جاءني فتًى فقال لي: أنتَ بشّار؟ فقلتُ: نعم؛ فقال: إني آليتُ أن أدفعَ إليك مائتَيْ دينارٍ وذلك أني عَشِقتُ أمرأة فجئتُ إليها فكلّمتُها فلم تَلْتَفِتْ إليّ، فهمَمْتُ أن أترُكَها فذكرتُ قولكَ:

لا يُؤْيِسَنَّكَ من مُخَبَّأَةٍ ... قولٌ تُغَلِّظُهُ وإن جَرَحَا

عُسْرُ النِّساء إلى مُيَاسَرَةٍ ... والصَّعْبُ يُمكِنُ بعد ما جَمَحَا

/ فعدتُ إليها فلازمتُها حتى بلغتُ منها حاجتي. ٥٤/٣

عاب الأخفش شعره ثم صار بعد ذلك يستشهد به لما بلغه أنه همّ بهجوه:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرَانِيّ عن أبي حاتم قال:

كان الأخفشُ طعَن على بشّار في قوله:

فالآن أقْصَرَ عن سُمَيَّةَ باطلي ... وأشار بالوَجَلَى عليّ مُشِيرُ

وفي قوله:

على الغَزَلَى منّي السّلامُ فربّما ... لَهَوْتُ بها في ظِلِّ مَرْءُومَةٍ[6] زُهْر

---

(١) كذا في حـ وفي باقي الأصول: «إني كنت قد تبرمت».

(٢) كذا بالأصول وأقتران جواب الشرط الصالح للشرطيّة بالفاء خلاف الأصل (انظر «شرح الأشموني» ج ٣ ص ٦٠ طبع بولاق).

(٣) هذا مثل يضرب لمن يلقى سوء المعاشرة في كلّ مكان، وأصله أن الأشموني بن قريع كان سيّد قومه فرأى منهم جفوةً فرحل عنهم إلى آخرين فرآهم يصنعون بساداتهم مثل ذلك فقال هذا القول.

(٤) سورة النور آية: ٦١.

(٥) في ء، أ، م: «مائتا درهم»، وكذا فيما يأتي.

(٦) مرءومة: محبوبة مألوفة.

وفي قوله في صفةِ سفينةٍ:

تُلاعِبُ نِينَانَ البُحورِ ورُبَّما رأيتَ نفُوسَ القوم من جَرْيِها تَجْرِي

وقال: لم يُسمَعْ من الوجَلِ والغَزَل فَعَلَى، ولم أَسْمعْ بِنُونٍ ونِينانٍ[1]؛ فبلغ ذلكَ بشّاراً فقال: وَيْلي على القَصّارِينَ[2]! متى كانتِ الفصاحةُ في بيوت القصارين! دَعُوني وإيّاه؛ فبلغ ذلك الأخفشَ فبكى وجَزِعَ؛ فقيل له: ما يُبْكِيكَ؟ فقال: وما لِي لا أبكِي / وقد وقَعْتُ في لسان بشّار الأعمى! فذهب أصحابه إلى بشار فكذَّبوا عنه واْستوهَبُوا منه عِرْضَه وسألوه ألاّ يهجوَه؛ فقال: قد وَهَبْتُه لِلؤْم عِرْضِه. فكان الأخفشُ بعد ذلك يحتَجُّ بشعره في كُتُبه لِيَبْلُغَه؛ فكَفَّ عن ذكره بعد هذا. [٣/٢١٠]

قال: وقال غيرُ أبي حاتم: إنما بلغه أنّ سِيبوَيه عابَ هذه الأحرفَ[3] عليه لا الأخفش، فقال يهجُوه:

أَسِبْوَيْهِ يأبنَ الفارسيّةِ ما الذي تَحَدَّثْتَ عن شَتْمِي وما كُنْتَ تَنبِذُ

أَظَلْتَ تُغَنّي سادِراً[4] في مَسَاءَتِي وأُمُّكَ بالمِصْرَيْنِ تُعْطِي وتَأْخُذُ

قال: فتوقَّاه سيبويه بعد ذلك، وكان إذا سُئِلَ عن شيءٍ فأجاب عنه ووجَدَ له شاهداً من شعرِ بشّارٍ اْحتجّ به اْستِكْفَافاً لشرّه.

ذمّ بني سدوس باستعانة بني عقيل:

أخبرني محمد بن عِمرانَ الصَّيرَفِيّ قال حدّثني الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنَزِيّ قال حدّثني أحمد بن عليّ بن سُوَيد بن مَنْجُوفٍ قال:

كان بشّار مُجاوِراً لبني عُقَيلٍ وبني سَدُوسٍ في منزل الحيَّينِ، فكانوا لا يزالون يتفاخرون، فاْستعانَتْ عُقَيلٌ ببشّار وقالوا: له: يا أبا مُعاذ، نحن أهلُكَ وأنتَ اْبنُنا ورَبِيتَ في حُجُورنا فأَعِنَّا؛ فخرج عليهم وهم يتفاخرون، فجلس ثم أنشد:

كأنّ بني سَدُوس رَهْطَ ثَوْرٍ خَنافِسُ تحتَ مُنكَسِرِ الجِدَارِ

تُحرِّكُ للفَخارِ زُبَانَيَيْهَا[5] وفخرُ الخُنْفَساءِ من الصَّغارِ

فوثَب بنو سَدُوس إليه فقالوا: ما لنا ولكَ يا هذا! نعوذ باللّهِ من شَرّكَ! فقال: هذا دأبكُم إن عاودتم مُفاخرةَ بني عُقَيلٍ؛ فلم يُعاوِدُوها.

[٣/٢١١] / أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا اْبن مَهْرُويَهْ قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن محمد بن سَلاّم قال: قال يونسُ النحويّ: العجَبُ من الأَزْد يَدّعُونَ هذا العبدَ يَنْسِبُ بنسائهم ويَهجُو رجالَهم ـ يَعْني بشّاراً ـ ويقول:

---

(١) ورد هذا الجمع في كتب اللغة، فقد جاء في «لسان العرب» و «القاموس» وغيرهما في مادة «نون»: النون: الحوت والجمع أنوان ونينان.

(٢) القصار: من يحوّر الثياب ويدقها.

(٣) الأحرف: الكلمات.

(٤) السادر: المتحير، والذي يتكلم غير متثبت في كلامه، وقيل: هو اللاهي الذي لا يهتم لشيء ولا يبالي ما صنع.

(٥) كذا في حـ، أ، م: تثنية زباني، وزبانيا العقرب: قرناها. وفي ب، س: «زبانتيها» وهو تصحيف.

ألَا يـا صَنَـمَ الأزدِ الـ ـذي يَـدْعُـونـه رَبَّـا

ألَا يَبعثُونَ إليه من يفتُقُ بطنَه!.

ذم أناساً كانوا مع ابن أخيه:

أخبرني الحسن قال حدّثني أبنُ مَهْرُويَةَ عن أحمدَ[1] بن إسماعيلَ عن محمد بن سلّام قال:

مرّ أبن أخ لبشّار ببشّار ومعه قوم: فقال لرجل معه وسمع / كلامَه: من هذا؟ فقال: أبنُ أخيك؛ قال: أشهدُ أنّ أصحابَه سَفِلَةٌ؛ قال: وكيف علِمْتَ؟ قال: ليس عليهم نِعَالٌ. ٥٥/٣

سمع شعره من مغنية فطرب وقال: هذا أحسن من سورة الحشر:

أخبرني الحسنُ قال حدّثنا محمدُ بن القاسم قال حدّثني الفضلُ بن يعقوب قال:

كنّا عند جاريةٍ لبعض التّجارِ بالكَرْخ تُغَنّينا، وبشّارٌ عندنا، فغنّتْ في قوله:

إنّ الخليفـةَ قـد أبـى وإذا أبَـى شيئـاً أبَيْتُـهْ

ومُخَضَّـبٍ رَخْـصِ البَنَـا نِ بكـى عَلَـيَّ ومـا بكَيْتُـهْ

يـا مَنْظـراً حَسَنـاً رأيـ ـتُ[2] بـوجـهِ جـاريـةٍ فَـدَيْتُـهْ

بعثَـتْ إلـيّ تَسُـومُنِـي ثَـوبَ الشَّبَـابِ وقـد طَـوَيْتُـهْ

فطرِبَ بشّار وقال: هذا واللّهِ يا أبا عبدِالله أحسنُ من سُورَةِ الحَشْرِ!. وقد رَوَى هذه الكلمةَ عن بشّار غيرُ مَنْ ذكرتُه فقال عنه: إنه قال: هي والله أحسنُ من سورة الحشر. الغناءُ في هذه الأبيات. وتمامُ الشعر:

/ وأنـا المطِـلُّ علـى العِـدَا وإذا غَـلاَ الحمـدُ آشتريتُـهْ [٢١٢/٣]

وأمِيـلُ فـي أُنْـسِ النّـديـ ـم مـن الحيـاءِ ومـا آشتهيتُـهْ

ويَشُـوقُنِـي بيـتُ الحبيـ ـب إذا غـدوتُ وأيـنَ بيتُـهْ

حـالَ الخليفـةُ دونـه فصبَـرتُ عنـه ومـا قَلِيتُـهْ

وأنشدني أبو دُلَف هاشمُ بن محمد الخزاعيّ هذه الأبيات وأخبرني أنّ الجاحظ أخبره أن المهديّ نهى بشّاراً عن الغَزَل وأن يقول شيئاً من النسيب، فقال هذه الأبيات. قال: وكان الخليل بن أحمد يُنشِدها ويستحسنها ويُعْجَبُ بها.

سألته ابنته لماذا يعرفه الناس ولا يعرفهم فأجابها:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا دَمَاذ أبو غَسّانَ عن محمد بن الحجّاج قال:

---

(١) ورد هذا الاسم هنا «أحمد» وفيما تقدّم بنحو خمسة أسطر «محمد» باتفاق الأصول في الموضعين مع اتحاد السند ولم نهتد إلى معرفة ما هو الصواب.

(٢) سيرد هذا البيت مرة أخرى في ترجمة بشار مصرعاً هكذا:

يـا منظـراً حسنـاً رأيتـه مـن وجـه جـاريـة فـديتـه

والتصريع تقفية المصراع الأوّل.

قالت بنتُ بشّار لِبَشّار: يا أبتِ، مالكَ يَعرِفكَ الناسُ ولا تَعرِفُهُم؟ قال: كذلك الأميرُ يا بُنيّة.

سب عبدُالله بن مسور أبا النضير فدافع عنه بشار:

أخبرني عبدالله بن محمد الرازيّ قال حدّثنا أحمدُ بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال:

قال عبدُالله بن مِسْوَر الباهليّ يوماً لأبي النَّضِير، وقد تحاورا في شيء: يـابن اللَّخْناء، أتُكلّمني ولو اشتريتُ عبداً بمائتَيْ درهم وأعتقتُه لكان خيراً منك! فقال له أبو النَّضِير: والله لو كنتُ ولدَ زناً لكنتُ خيراً من باهلةَ كلِّها؛ فغضِبَ الباهليّ؛ فقال له بشّار: أنتَ منذ ساعةٍ تُزَنّي[1] أمّا ولا يغضَبُ، فلما كلّمَك كلمةً واحدة لحقك هذا كلّه! فقال له: وأُمُّه مثل أمّي يا أبا مُعاذٍ! فضحِك، ثم قال: والله لو كانت أمُّك أمَّ الكتاب ما كان بينكما من المُصَارَمة هذا كلّه!.

[٣/٢١٣] / **طلب من يزيد بن مزيد أن يدخله على المهدي فسوّفه فهجاه:**

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني سعيد بنُ عُبيدٍ الخُزاعيّ قال: ورد بشار بغدادَ فقصد يزيدَ بنَ مَزْيدٍ، وسأله أن يذكره للمهديّ، فسوّفَه أشهراً؛ ثم وردَ رَوْحُ[2] بنُ حاتم فبلغه خبرُ بشّار، فذكره للمهديّ من غير أن يلقاه، وأمر بإحضاره فدخل إلى المهديّ وأنشدَه شعراً مدحه به، فوصله بعشرة آلاف درهم ووهب له عبداً وقَيْنَةً وكساه كُساً كثيرةً؛ وكان يحضرُ قيساً مرّة، فقال بشّار يهجو يزيدَ بن مَزْيد:

ولمّـا التقينا بـالجُنَيْنَـةِ[3] غَـرَّنـي ... بمعروفه حتى خرجتُ أُفُوقُ[4]

٥٦/٣ / غرَّني: أوجَرني[5] كما يُغَرّ الصبيُّ أو يُوجَر اللبنَ.

حَبَاني بعبدٍ قَعْسَرِيٍّ[6] وقَيْنَةٍ ... ووَشْيٍ وآلافٍ لهنَّ بَريقُ

فَقُل ليزيدٍ يلعَصُ[7] الشهدَ خالياً ... لنا دونه عند الخليفة سُوقُ

رَقَدتَ فنَمْ يا بنَ الخبيثةِ إنها ... مكارمُ لا يَسْطيعُهُنَّ لَصِيقُ

أَبَى لكَ عِرْقٌ من فلانةَ أن تُرَى ... جواداً ورأسٌ حين[8] شِبْتَ حَلِيقُ

قصيدته التي مدح بها إبراهيم بن عبدالله فلما قتل جعلها للمنصور:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال: كان بشّار كتَب إلى إبراهيمَ بن عبدالله بن الحسن بقصيدةٍ يمدحه بها ويُحرّضُه ويُشيرُ عليه، فلم تَصل إليه حتى قُتِل، وخاف بشّارٌ أن تشتهرَ فقلبها

---

(١) زناه تزنية: نسبه إلى الزنا.

(٢) كل من سمي بروح فهو بفتح الراء إلا روح بن القاسم فإنه بالضم (انظر «شرح القاموس» في مادة رَوَحَ في «المستدرك»).

(٣) كذا في ء، م وهو اسم موضع كما في ياقوت. وفي ب، س: «الخبيبة» وهو تحريف.

(٤) فاق الرجل فؤوقاً وفواقاً: الفواق ـ ويسمى عند العامة بالزغطة ـ: ما يأخذ الإنسان من تشنج الحجاب الحاجز تشنجاً فجائياً ويصدر من امتلاء المعدة بالطعام؛ وهو هنا كناية عما أثقله به من العطاء.

(٥) أوجره اللبن ونحوه: جعله في فيه.

(٦) القعسريّ: الصلب الشديد.

(٧) يلعص: يلعق.

(٨) في الأصول: «حيث».

وجعلَ التحريضَ فيها على أبي مُسلم والمدحَ والمشورةَ لأبي جعفرٍ المنصورِ، فقال:

أبا مُسلمٍ ما طِيبُ عَيشٍ بدائمٍ ولا سالمٌ عما قليلٍ بسالمِ

/ وإنما كان قال: «أبا جعفرٍ ما طِيبُ عيشٍ» فغيّره وقال فيها: [٣/٢١٤]

إذا بلغ الرأيُ النصيحةَ فاستعِنْ بعَزمِ نَصيحٍ أو بتأييدِ حازمِ

ولا تَجعلِ الشُّورَى عليك غضاضةً مكانُ الخوافي نافعٌ للقوادمِ

وخَلِّ الهُوَيْنَى للضعيفِ ولا تكن نَؤُوماً فإنّ الحزمَ ليس بنائمِ

وما خيرُ كَفٍّ أمسكَ الغُلُّ أختَها وما خيرُ سيفٍ لم يُؤيَّدْ بقائمِ

وحارِبْ إذا لم تُعطَ إلا ظُلامةً شَبَا الحربِ خيرٌ من قَبول المظالمِ

وأَدْنِ على القُرْبَى المقرِّبَ نفسَه ولا تُشْهِدِ الشّورَى امرَأً غيرَ كاتمِ

فإنكَ لا تَستَطْرِدُ الهمَّ بالمُنَى ولا تَبلُغُ العلْيَا بغيرِ المكارمِ

إذا كنتَ فرداً هَرَّكَ[1] القومُ مُقبِلاً وإن كنتَ أدنى لم تَفُزْ بالعَزائمِ

وما قَرَعَ الأقوامَ مِثلُ مُشَيَّعٍ[2] أريبٍ ولا جَلَّى العَمَى مثلُ عالمِ

قال الأصمعيّ: فقلت لبشّار: إني رأيت رجال الرأي يتعجّبون من أبياتك في المَشُورة؛ فقال: أمَا علمتَ أنّ المشاوِرَين إحدى الحُسْنَيَيْنِ: بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يُشارَكُ في مكروهه؛ فقلت: أنت والله أشعرُ في هذا الكلام منك في الشعر.

اعترض عليه رجل لوصفه جسمه بالتحول وهو سمين:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويه قال حدثني عليّ بن الصبّاح عن بعض الكوفيين قال:

مررتُ ببشّار وهو مُتَبَطِّح[3] في دِهْليزه كأنه جاموس، فقلتُ له: يا أبا مُعاذ، مَنِ القائل:

/ في حُلّتي جسمُ فتًى ناحلٍ لو هَبّتِ الريحُ به طاحا [٣/٢١٥]

قال: أنا؛ قلتُ: فما حَمَلك على هذا الكذب؟ والله إني لأرى أن لو بعث اللّهُ الرياحَ التي أهلك بها الأمم الخاليةَ ما حرّكتْك من موضعك! فقال بشّار: مِن أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة؛ فقال: يا أهل الكوفة لا تَدَعون ثِقَلَكم ومَقْتكم على كلِّ حال!.

عاتب صديقاً له لأنه لم يهد له شيئاً:

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ: قال حدّثني عافية بن شَبيب قال:

قدِم كُرْدِيّ بن عامر المِسْمَعِيّ من مكة، فلم يُهْدِ لبشّار شيئاً وكان صديقَه؛ فكتب إليه:

---

(١) يقال: فلان هره الناس إذا كرهوا ناحيته، قال الأعشى:

أرى الناس هروني وشهّر مدخلي ففي كل ممشى أرصد الناس عقرباً

(٢) المشيع: الشجاع، كأنه قد شيع قلبه بما يركب من الأهوال، أو بقوّة قلبه.

(٣) متبطح: ممتدّ على وجه الأرض بوجهه.

٥٧/٣ / ما أنت يا كرديّ بالهشّ ... ولا أُبَيْرُبُك من الغِشّ
لم تُهْدِنا[1] نعلاً ولا خاتماً ... من أين أقبلتَ؟ من الحشّ[2]!

فأهدى إليه هديّةً حسنةً وجاءه فقال: عَجِلتَ يا أبا معاذ علينا، فأنشُدُك اللّهَ ألاّ تزيدَ شيئاً على ما مضى.

أخبر أنه غنى بشعر له فطرب:

ونسختُ من كتابه عن عافيةَ بن شَبيب أيضاً قال حدّثني صديقٌ لي قال:

قلتُ لبشّار: كنّا أمس في عُرْس فكان أوّل صوت غنّى به المغنّي:

هَوَى صاحبي ريحُ الشَّمالِ إذا جرتْ ... وأشْفَى لنفسي أن تَهُبَّ جَنُوبُ
وما ذاك إلا أنها حين تنتهي ... تَنَاهَى وفيها من عُبَيدةَ طِيبُ

فطَرِب وقال: هذا[3] والله أحسن من فُلْج[4] يوم القيامة.

مدح المهدي فلم يجزه:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبي عن عافية بن شبيب عن أبي جعفر الأسديّ قال:

[٢١٦/٣] / مدح بشّارٌ المهديَّ فلم يُعطه شيئاً؛ فقيل له: لم يَستجِدْ شعرَك؛ فقال: والله لقد قلتُ شعراً لو قيل في الدهر لم يُخْشَ صرفُه على أحد، ولكنّا نكذِب في القول فنُكْذَبُ[5] في الأمل.

هجا روح بن حاتم فحلف ليضربنه ثم برّ في يمينه فضربه بعرض السيف:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني يحيى بن خليفة الدارميّ عن نصر بن عبد الرحمن العِجْليّ قال:

هجا بَشّار رَوْحَ بن حاتم؛ فبلغه ذلك فقذَفَه وتَهَدّدَه؛ فلما بلغ ذلك بَشّاراً قال فيه:

تَهَدّدني أبو خلفٍ ... وعن أوتاره ناما
بسيفٍ لأبي صُفْرَ ... ةَ لا يَقْطَعُ إبهاما
كأنّ الوَرْسَ يَعْلُوهُ ... إذا ما صدرهُ قاما

ـ قال ابن أبي سعد: ومن الناس من يروي هذين البيتين لعمرو الظالمي ـ قال: فبلغ ذلك رَوْحاً فقال: كلّ مالي صدقةٌ إنْ وقعتْ عيني عليه لأضربنّه ضربةً بالسيف ولو أنه بين يَدَي الخليفة! فبلغ ذلك بشّاراً فقام من فوره حتى دخل على المهديّ؛ فقال له: ما جاء بك في هذا الوقت؟ فأخبره بقصّة رَوْح وعاذ به منه، فقال: يا نُصَيْر،

(١) الوارد في كتب اللغة: أهدى له كذا وأهدي إليه، فما هاهنا قد حذف منه الجار ووصل الفعل بالمفعول.
(٢) الحش (بتثليث الحاء): البستان وموضع قضاء الحاجة لأنهم كانوا يقضون حاجاتهم في البساتين.
(٣) كذا في حـ، وفي باقي الأصول: «هو والله».
(٤) الفلج (بالضم): الفوز والظفر.
(٥) في ب، س، حـ: «فيكذب» بالياء بدل النون.

وَجْهٌ إلى رَوْح من يُحضره الساعةَ؛ فأرسل إليه في الهاجرة، وكان ينزل المُخَرِّم[١]، فظنّ هو وأهلُه أنه دُعي لولاية. قال: يا روح، إني بعثتُ إليك في حاجة؛ فقال له: أنا عبدُك يا أمير المؤمنين فقل ما شئتَ سوى بشّار فإني حلفت في أمره / بيمين غَمُوس[٢]؛ قال: قد علمتُ وإيّاه أردتُ؛ قال له: فاْحتلْ ليميني يا أمير المؤمنين؛ فأحضر القضاة [٣/٢١٧] والفقهاء فاتّفقوا على أن يضربه ضربةً على جسمه بعُرْض السيف، وكان بشار وراء الخيش[٣]، فأُخرِج وأُقعِد واْستلّ رَوْحٌ سيفَه فضربه ضربةً بعُرْضه؛ فقال: أوّهْ باسم الله! فضحِك المهديّ وقال له: ويلك! هذا وإنما ضَرَبك بعُرْضه وكيف لو ضربك بحدّه!.

مدح سليمان بن هشام:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو عبيدة قال:

مَدَحَ بَشّارٌ سليمانَ بن هشام بن عبد الملك وكان مقيماً بحَرّانَ وخرج إليه فأنشده قوله فيه:

نــأتْــكَ علــى طُــول التجــاوُرِ زينــبُ ... ومــا شَعَرتْ أن النّــوَى سـوف تَشعَـبُ[٤]

يـرى النـاسُ مـا تَلْقَى بـزينـبَ إذا نـأتْ ... عجيبــاً ومــا تُخْفِـي بـزينـبَ أعجـبُ

/ وقـائلــةٍ لــي حيــن جَـدّ رحيلُنــا ... وأجفــانُ عينيهــا تجــودُ وتسكُــبُ ٥٨/٣

أغــادٍ إلــى حَــرّانَ فــي غيــرِ شيعـةٍ ... وذلـك شـأوٌ عـن هَـوَاهـا مُغَـرِّبُ[٥]

فقلــتُ لهــا كَلّفتِنِــي طَلَــبَ الغِنَــى ... وليـس وراءَ ٱبـنِ الخليفـةِ مـذهـبُ

سيكفـي فَتًـى مــن سعيـه حَـدُّ سيفِـه ... وكُـورٌ عِـلافِـيٌّ ووجنـاء ذِعْلِـبُ[٦]

/ إذا ٱستوغـرتْ دارٌ[٧] عليـه رَمَـى بهـا ... بناتِ الصُّوَى[٨] منها رَكوبٌ[٩] ومُصْعَبُ [٣/٢١٨]

فعُــدّي إلــى يــوم ٱرتحلـتُ وسـائلـي ... بــزَوْرك والــرَّحّــال مــن جــاء يضــربُ

لعلــكِ أن تستيقنــي[١٠] أن زَوْرتــي ... سليمــانَ مــن سيــر الهــواجـر تُعقِـبُ

(١) المخرم (بضم الميم وفتح الخاء وكسر الراء المشدّدة): محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى وفيها كانت الدار التي يسكنها السلاطين البويهية والسلجوقية، خربها في سنة ٥٨٧ هـ الإمام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد.

(٢) كذا في حـ، وفي باقي الأصول: «حلفت يمين غموس» واليمين الغموس: التي لا ٱستثناء فيها.

(٣) الخيش: مراوح تعمل من نسج خشن من الكتان كشراع السفينة تعلق في سقف البيت ويعمل لها حبل تجرّ به وهي مبلولة بالماء فإذا أراد الرجل أن ينام جذب حبلها فيهب منها نسيم بارد يذهب أذى الحرّ، فلعل بشاراً كان مختفياً وراء إحداها وهي مدلاّة.

(٤) كذا في حـ، وهو الصواب لأن النوى مؤنثة، وفي باقي الأصول: «يشعب» بالياء المثناة.

(٥) مغرّب (بكسر الراء وفتحها): بعيد.

(٦) الكور: الرحل. والعلافيّ: نسبة إلى علاف (وزان كتاب) ابن طُوَار لأنه أول من عملها. ووجناء: عظيمة الوجنتين أو صلبة قوية شبهت بالوجين وهو الصعب من الأرض. وذعلب (وزان زبرج): سريعة.

(٧) يقال: وغرت الهاجرة تغر وغراً من باب ضرب إذا رمضت واشتدّ حرّها، فمعنى استوغرت حميت واتقدت غيظاً، والمراد أنها ضاقت به. ولم ترد هذه الصيغة من هذه المادة في كتب اللغة التي بين أيدينا. وجاء في أقرب الموارد: «المستوغر: لقب عمرو بن ربيعة بن كعب، قلت وهذا دليل على وجود (استوغر) وإن لم يذكروه».

(٨) الصوى: جمع صوّة، وهي حجارة مجموعة تجعل علماً يهتدي بها في المفازة، وبناتها: صغارها.

(٩) الركوب: المذلّل بالركوب، والمصعب: ما لم يركب ولم يُمَس من الإبل.

(١٠) الأصول مضطربة في رسم هذه الكلمة، وتكاد تُجمِعُ على «تستبعني» مع اختلاف في إعجام بعض الحروف.

أغَـرُّ هِشَـامـيُّ القَنَـاةِ إذا أنتمَـى نَمَتْـه بـدورٌ ليـس فيهـنّ كـوكـبُ
ومـا قصـدت يـومـاً مخيلين[١] خَيلُـه فتُصْـرَفُ إلاّ عـن دِمـاءٍ تَصَبّـبُ

استقل عطاء سليمان فقال شعراً:

فوصله سليمانُ بخمسة آلاف درهم وكان يُبَخّل، فلم يرضها وانصرف عنه مُغضباً فقال:

إن أُمْسِ مُنْقبِضَ اليديـن عـن النَّـدَى وعـن العـدوّ مُخَيَّسَ[٢] الشيطـانِ
فلقـد أروحُ عـن اللئـام مُسَلَّطـاً ثَلِـجَ المَقِيـلِ[٣] مُنَعَّـمَ النَّـدْمَـانِ
فـي ظِـلِّ عيـشِ عشيـرةٍ محمـودةٍ تَنْـدَى يـدي ويُخـافُ فَـرْطُ لسـانـي
أزمَـانَ جِنِّـيُّ الشبـاب مُطَـاوِعٌ وإذ الأميـرُ علـيَّ مـن حَـرّانِ
رِيـمٌ بـأَحْـوِيـةِ[٤] العـراق إذا بَـدَا بَـرَقـتْ عليـه أكِلَّـةُ[٥] المَـرْجـانِ
[٢١٩/٣] / فـاكحَـلْ بَعَبْـدة مُقْلَتَيْـكَ مـن القَـذَى وبِـوَشْـكِ رُؤيتهـا مـن الهَمَـلانِ
فلَقُـرْبُ مَـنْ تهـوَى وأنـتَ متيّـمٌ أشْفَـى لـدائـكَ مـن بنـي مَـرْوانِ

فلما رجع إلى العراق بَرّه ابنُ هُبَيْرة ووَصَله، وكان يُعَظِّم بشّاراً ويُقَدِّمه، لمدحه قيساً وافتخاره بهم، فلما جاءت دولةُ أهلِ خُراسان عَظُم شأنُه.

مدح المهديّ بشعر فيه تشبيب حسن فنهاه عن التشبيب:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال:

قَدِمَ بشار الأعمى على المهديّ بالرُّصافةِ فدخل عليه في البستان فأنشدَه مديحاً فيه تشبيب حسَنٌ، فنهاه عن التشبيب لغَيْرةٍ شديدةٍ كانت فيه، فأنشده مديحاً فيه، يقول فيه:

كـأنمـا جئتُـه أبَشِّـرهُ ولـم أجِـيء راغِبـاً ومُحتلِبـا
يُـزَيِّـنُ المِنبـرَ الأشـمَّ بعِطـ ـفَيـهِ وأقـوالـه إذا خَطَبـا
تُشَـمُّ نَعْـلاه فـي النَّـدِي كمـا يُشَـمُّ مـاءُ الـرّيحـانِ مُنتَهَبـا[٦]

فأعطاه خمسةَ آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وِفادةً في كلّ سنةٍ ونهاه عن التشبيب ٱلبَتَّةَ، فقدِمَ عليه في السنة الثالثة فدخل عليه فأنشده:

تَجالَلْتُ[٧] عن فِهْرٍ وعن جارتَيْ فِهرِ وودَّعـتُ نُعْمَـى بـالسّـلام وبـالبِشْـرِ

---

(١) كذا بالأصول ولم نعثر له على معنى مناسب.

(٢) مخيس: مذلل.

(٣) ثلج المقيل: بارده.

(٤) أحوية: جمع حواء، والحواء (بالكسر): جماعة البيوت المتدانية.

(٥) أكلة: جمع إكليل، والإكليل: التاج وشبه عصابة تُزيّن بالجواهر.

(٦) منتهب: مأخوذ ومباح لمن شاء.

(٧) تجاللت: ترفعت.

وقالتْ سُليمَى فيكَ عنّا جَلادَةٌ[1] مَحلُّكَ دَانٍ والزيارةُ عن عُفْرِ[2]
أخي في الهوى مالِي أراكَ جَفَوْتَنَا وقد كنتَ تقفُونا على العُسْرِ واليُسْرِ
تثاقلتُ إلا عن يدٍ أستفيدُها وزَوْرَةِ أمْلاكٍ أشُدُّ بها أَزْرِي
/ وأخرجَني من وِزْرِ خمسينَ حِجَّةً فتًى هاشميٌّ يَقْشَعِرُ من الوِزْرِ

[٣/ ٢٢٠]
٥٩
٣

دفَنْتُ الهوى حَيًّا فلستُ بزائرٍ سُلَيمَى ولا صفراءَ ما قَرْقَرَ[3] القُمْرِي
ومُصْفَرَّةٍ بالزعفرانِ جلودُها إذا اجْتُلِيتُ مثلَ المُفَرطَحَةِ الصُّفْرِ[4]
فرُبَّ ثِقالِ الرِّدفِ هَبَّتْ تلومُني ولو شَهِدَتْ قبري لصَلَّتْ على قبري
تَرَكتُ لِمَهْدِيِّ الأنامِ وِصالَها وراعيتُ عهداً بيننا ليس بالخَتْرِ[5]
ولولا أميرُ المؤمنين محمدٌ لقبَّلتُ فاها أو لكانَ بها فِطْرِي
لَعَمْرِي لقد أوقَرتُ نفسِي خطيئةً فما أنا بالمُزْدادِ وِقْراً على وِقْرِ

في قصيدة طويلة امتدحه بها، فأعطاه ما كان يُعطِيه قبل ذلك ولم يَزِدْه شيئاً.

توفي ابن له فجزع عليه وتمثل بقول جرير:

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيلَ العَتَكيّ عن محمد بن سَلَّام عن بعض أصحابه قال:

حضَرْنَا جنازةَ ابنٍ لبشّارٍ تُوُفِّيَ، فجزِعَ عليه جَزَعاً شديداً، وجعَلْنا نُعزِّيه ونُسَلِّيه فما يُغْنِي ذلك شيئاً، ثم التفَتَ إلينا وقال: للّهِ درُّ جريرٍ حيث يقولُ وقد عُزِّيَ بسَوَادةَ ابنه:

قالوا نَصِيبَكَ من أجرٍ فقلتُ لهم كيفَ العَزَاءُ وقد فارقتُ أشبَالِي
ودَّعْتَنِي حين كفَّ الدَّهرُ من بَصَري وحين صِرتُ كعَظمِ الرِّمَّةِ البَالِي
أوْدَى سَوادَةُ يَجْلُو مُقلَتَيْ لَحِمٍ[6] بازٍ يُصَرصِرُ فوقَ المَرْبَأ[7] العَالِي
إلّا تَكُنْ لكَ بالدَّيْرَينِ[8] نائحةٌ فرُبَّ نائحةٍ بالرَّملِ مِعْوَالِ

---

(١) الجلادة: الصلابة والصبر.
(٢) العفر: الحين وطول العهد أو الشهر أو البعد أو قلة الزيارة، وبكل من هذه المعاني فسر قولهم فلان ما يأتينا إلا عن عفر (انظر «القاموس» و «شرحه» للمرتضى في مادة عفر).
(٣) قرقر: صوّت وردّد صوته.
(٤) يريد بها الدنانير.
(٥) الختر: شبيه بالغدر والخديعة، وقيل: هو أسوأ الغدر وأقبحه.
(٦) لَحِم: صفة لباز مقدّمة عليه، يقال: «باز لحم» أي يأكل اللحم أو يشتهيه، وكذلك «لاحم».
(٧) المربأ: مكان البازي الذي يقف فيه، ويروي «المرقب» وهو بمعناه.
(٨) لم نقف على الموضع الذي يعنيه جرير بالديرين هنا، ولكن شراح قوله:

لما تذكرت بالديرين أرقني صوت الدجاج وضرب بالنواقيس

يقولون: أراد دير الوليد بالشام، وقد ذكره ياقوت في «معجمه» وقال: لا أدري أين هو.

[٣/٢٢١] / استنشده صديق له شيئاً من غزله فاعتذر بنهي المهديّ له عنه:

أخبرني هاشمُ بن محمد قال حدّثنا عمرُ بنُ شبّة قال حدّثني خَلاَّدٌ الأرقطُ قال:

لمّا أُنشِدَ المهديُّ قولَ بشارٍ:

لا يُـــؤْيِسَنَّـــكَ مـــن مُخبَّـــأةٍ قـــولٌ تُغَلِّظُـــهُ وإن جَـــرَحَـــا

عُسْـــرُ النســـاءِ إلـــى مُيَـــاسَـــرةٍ والصَّعْـــبُ يُمكِـــنُ بعـــد مـــا جَمَحَـــا

فنهاه[١] المهديّ عن قوله مثلَ هذا، ثم حضر مجلساً لصديقٍ له يقال له عمرو بن سَمّان، فقال له: أنشِدْنا يا أبا مُعاذٍ شيئاً من غَزَلِكَ، فأنشأ يقول:

وقـــائـــلٍ هـــاتِ شَـــوِّقْنَـــا فقلـــتُ لـــه أنـــائـــمٌ أنـــتَ يـــا عمـــرو بـــنَ سَمّـــانِ

أمـــا سَمِعـــتَ بمـــا قـــد شـــاع فـــي مُضَـــرٍ وفـــي الحلِيفَيـــنِ مـــن نَجْـــرٍ[٢] وقَحطـــانِ

قـــال الخليفـــةُ لا تَنْسِـــبْ بجـــاريـــةٍ إيّـــاكَ إيّـــاكَ أن تَشْقَـــى بعِصيـــانِ

صدق ظنه في تقدير جوائز الشعر:

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا سليمان بن أيوب المدائنيّ قال:

قال مروانُ بن أبي حَفْصَة: قدِمتُ البصرةَ فأنشدتُ بشاراً قصيدةً لي واستنصحتُه فيها؛ فقال لي: ما أجوَدَها! تَقْدَمُ بغدادَ فتُعطَى عليها عشرةَ آلاف درهم؛ فجزِعتُ من ذلك وقلتُ: قتَلتَني! فقال: هو ما أقول لكَ؛ وقَدِمتُ بغدادَ فأُعطِيتُ عليها عشرةَ آلاف درهم؛ ثم قدِمتُ عليه قَدْمةً أخرى فأنشدتهُ قصيدتي:

* طَرَقَتْكَ زائرةً فحيِّ خيالَها *

فقال: تُعطَى عليها مائةَ ألف درهم؛ فقدمتُ فَأُعطِيتُ مائةَ ألف درهم، فعُدتُ إلى البصرة فأخبرتهُ بحالي في المرّتين، / وقلت له: ما رأيتُ أعجبَ من حَدْسِك[٣]! فقال: / يا بُنيّ، أمَا علمتَ أنه لم يبقَ أحدٌ أعلمُ بالغيب من عمّكَ! . أخبرنا بهذا الخبر محمدُ بن يحيى الصُّولي قال: حدّثنا يزيدُ بن محمد المهلَّبيّ عن محمد بن عبدالله بن أبي عُيينةَ عن مروانَ أنه قَدِمَ على بشّار فأنشدَه قولَه: [٣/٢٢٢] [٦٠/٣]

* طرقتكَ زائرةً فحيِّ خَيالَها *

فقال له: يُعطُونَكَ عليها عشرة آلاف درهم، ثم قَدِم عليه فأنشده قولَه:

أنّـــى يكـــونُ ولـيـــس ذاك بكـــائـــنٍ لبنـي البنـــاتِ وِرَاثَـــةُ الأعمـــامِ

فقال: يُعطُونَكَ عليها مائةَ ألفِ درهم، وذكر باقِيَ الخبر مثلَ الذي قبله.

---

(١) كذا في الأصول، والمعروف أن الفاء لا تقع في جواب «لما».

(٢) كذا في ب، س. وفي حـ: «بحر» وفي باقي الأصول «نحر» ولم نعثر على هذه الكلمات في أسماء القبائل وإنما قال الجوهري: نجر: علم أرضي مكة والمدينة وقد ورد في كتاب «مهذب الأغاني» ج ٤ ص ٢٧٣ «من بكر وقحطان».

(٣) الحدس: الظن والتخمين، وفي الأصول: «من حديثك» فلعلّها محرّفة عنها.

امتحن في صلاته فوجد لا يصلي:

أخبرني عيسى قال حدّثنا سليمانُ قال:

قال بعضُ أصحاب بشّار: كنا نكون عنده فإذا حضرَتِ الصلاةُ قمنا إليها ونجعلُ على ثيابه تراباً حتى ننظُرَ هل يقومُ يُصلّي، فنعودُ والترابُ بحاله وما صَلّى.

جعل الحب قاضياً بين المحبين بأمر المهديّ:

أخبرني عيسى قال حدّثنا سليمان قال:

قال أبو عمرو: بعث المهدي إلى بشّار فقال له: قُلْ في الحبّ شِعراً ولا تُطِلْ وأجعَلِ الحبَّ قاضياً بين المحبّين ولا تُسمِّ أحداً؛ فقال:

اجعـل الحـبَّ بيـن حِبّـي وبينـي ... قـاضِيـاً إنّنـي بـه اليـومَ رَاضِـي

فـأجتمعنَـا فقلـتُ يـا حِـبَّ نفسـي ... إنّ عَينِـي قَليلـةُ الإغمَـاضِ

أنـتَ عـذَّبتَنـي وأنحلـتَ جسمِـي ... فـأرحـمِ اليـومَ دائـمَ الأمـراضِ

قـال لـي لا يَحِـلّ حُكمِـي عليهـا ... أنـتَ أولـى بـالسُّقْـمِ والإحـراضِ[1]

قلـتُ لمّـا أجـابنـي بهـواهـا ... شَمِـلَ الجـورُ فـي الهَـوى كـلَّ قـاضِـي

فبعث إليه المهديّ: حكمتَ علينا ووافَقْنا ذلك، فأمر له بألف دينار.

/ نسب إليه بعضهم أنه أخذ معنى في شعره من أشعب فردّ عليه: [٣/٢٢٣]

أخبرني عيسى قال حدّثني سليمانُ المدنيّ قال حدّثني الفضلُ بن إسحاق الهاشميّ قال:

أنشدَ بشّار قولَه:

يُـرَوِّعُـهُ السِّـرارُ[2] بكـلّ أرضٍ ... مخـافـةَ أن يكـونَ بـه السّـرارُ

فقال له رجل: أظنك أخذتَ هذا من قول أشعَبَ: ما رأيتُ اثنين يتسارّانِ إلا ظننتُ أنهما يأمران لي بشيء؛ فقال: إن كنتُ أخذتُ هذا من قول أشعبَ فإنكَ أخذتَ ثِقَلَ الرُّوح والمقتَ من الناس جميعاً فأنفردت به دونهم، ثم قام فدخل وتركنا. وأخذ أبو نواس هذا المعنى بعينه من بشار فقال فيه:

تـركَتنِـي الـوُشـاةُ نُصْـبَ المُسِـرِّيـ ... ـنَ وأُحْـدُوثـةً بكـلّ مَكَـانِ

مـا أرى خـالِيَيْـنِ فـي السـرّ إلاّ ... قلـتُ مـا يخلـوَانِ إلا لِشَـانِـي

---

(١) كذا في أ، ء، م. والإحراض: إدناف الحب، ومنه قول العرجي:

إني امرؤ لجّ بي حب فأحرضني ... حتى بليت وحتى شفني السقم

وفي سائر النسخ: «الأمراض» وهو تحريف.

(٢) السرار: المسارّة وهي الكلام في خفية.

استنشد هجوه في حماد عجرد وعمرو الظالمي فأنشد:

أخبرني عمّي[١] قال حدّثني سليمانُ قال قال لي أبو عدنانَ حدّثني سعيدٌ ـ جليسٌ كان لأبي زيد ـ قال: أتاني أعشى سُلَيم وأبو حَنَش فقالا لي: انطلق معنا إلى بشّار فتَسألَه أن يُنشِدَكَ شيئاً من هِجائه في حمّاد عَجْرَد أو في عمرٍو الظالميّ فإنه إن عرفَنَا لم يُنشِدْنا، فمضيتُ معهما حتى دخلتُ على بشّار فاستنشدتهُ فأنشد قصيدةً له على الدال فجعل يخرج من وادٍ في الهجاء إلى وادٍ آخرَ وهما يستمعانِ وبشّار لا يعرفهُما، فلما خرجا قال أحدُهما للآخر: أمَا تعجَبُ مما جاء به هذا الأعمى؟ فقال أبو حنش: أمّا أنا فلا أُعَرِّض ـ والله ـ والدَيَّ له أبداً؛ وكانا قد جاءا يَزُورانه، وأحسَبُهما أرادا أن يتعرّضا لمهاجاته.

[٣/٢٢٤] / **مدح واصلاً قبل أن يدين بالرجعة:**

٦١/٣ أخبرني / هاشم بن محمد الخزاعيّ عن الجاحظ قال:

كان بشّار صديقاً لأبي حُذيفةَ واصلِ بنِ عطاءٍ قبل أن يَدِينَ بالرجعةِ[٢] ويُكَفِّر الأمّةَ، وكان قد مدح واصلاً وذكر خطبته التي خطبها فنزع منها كلَّها الراءَ وكانت على البديهة، وهي أطولُ من خُطبتَيْ خالد بن صفوانَ وشبيبِ بنِ شيبة[٣]، فقال:

تكلَّفُوا[٤] القولَ والأقوامُ قد حَفَلُوا ... وحَبَّرُوا خُطَباً ناهيكَ من خُطَبِ
فقام مُرتَجِلاً تَغْلِي[٥] بَداهَتُهُ ... كمِرْجَلِ القَيْنِ لمّا حُفَّ بالّلَهَبِ
وجانَبَ الراءَ لم يَشْعُرْ به أحدٌ ... قبلَ التصفُّحِ والإغراقِ[٦] في الطلبِ

قال: فلمّا دانَ بالرجْعةِ زعم أن الناسَ كلّهم كفروا بعد رسول الله ﷺ؛ فقيل له: وعليّ بن أبي طالب؟ فقال:

وما شَرُّ الثلاثةِ أمّ عمرٍو ... بصاحبِكِ الذي لا تَصْبَحِينَا[٧]

قال: ما كان الكميت شاعراً:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيلَ تينةُ قال قال لي محمد بن الحجّاج:

[٣/٢٢٥] / قال بشّار: ما كان الكُمَيتُ شاعراً؛ فقيل له: وكيف وهو الذي يقول!:

أَنِصْفُ امْرِئٍ من نصف حيٍّ يسُبُّني ... لَعَمْرِي لقد لاقيتُ خَطْباً من الخَطْبِ

(١) كذا في أكثر النسخ، وفي حـ: «عيسى». وقد وردت الأخبار الثلاثة قبل هذا الخبر برواية عيسى عن سليمان.
(٢) انظر الحاشية رقم ٥ ص ١٤٥ من هذا الجزء.
(٣) كذا في أ، حـ، ء: وهو الصواب. وشبيب بن شيبة هو أبو معمر البصريّ أحد الفصحاء البلغاء والإخباريين. وفي باقي النسخ: «شبة».
(٤) كذا في «البيان والتبيين» للجاحظ، (ج ١ ص ١٤ طبع مصر) وهو الذي يقتضيه المقام، وفي الأصول: «تكلف».
(٥) كذا في حـ وهو الملائم لسياق الكلام. وفي باقي النسخ: «تلفى» بالفاء.
(٦) كذا في حـ، وفي باقي النسخ: «التفصح» بتقديم الفاء على الصاد وهو تحريف.
(٧) في أ، ء، حـ، ب: «لا تصحبينا» وهو تحريف، وتصبحينا: تسقينا الصبوح، وهو الشراب أوّل النهار. وهذا البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته المشهورة التي يقول في مطلعها:

ألا هبّي بصحنك فاصبحينا ... ولا تبقي خمور الأندرينا

هنيئاً لكَلْبٍ أنَّ كلباً يسُبُّني وأنّيَ لم أردُدْ جواباً على كَلْبِ

فقال بشّار: لا بَلْ[(١)] شانِئُكَ، أترى رجلاً لو ضَرَطَ ثلاثين سنةً لم يُسْتَحْلَ من ضَرْطِه ضَرْطَةٌ واحدةٌ!

تمثل سفيان بن عيينة بشعر له:

نسختُ من كتاب هارونَ بن عليّ بن يحيى: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حَجاج المعلّمُ قال سمعتُ سفيانَ بنَ عُيَيْنة يقول:

عَهدِي بأصحاب الحديثِ وهم أحسنُ الناسِ أدباً ثم صاروا الآن أسوأ الناس أدباً، وصبرنا عليهم حتى أشبَهْناهم[(٢)]، فصرنا كما قال الشاعر:

وما أنا إلا كالزمان إذا صَحَا صَحَوتُ وإن ماقَ[(٣)] الزمانُ أمُوقُ

وبخ من سأله عن منزل ففهمه ولم يفهم:

أخبرني حبيبُ بن نصر قال حدّثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال:

كنّا مع بشّار فأتاه رجلٌ فسأله عن منزل رجل ذكره له، فجعل يُفَهِّمُه ولا يَفْهَمُ، فأخذَ بيده وقام يقوده[(٤)] إلى منزل الرجل وهو يقولُ:

أعمى يقودُ بصيراً لا أباً لَكُمُ قد ضَلَّ مَنْ كانتِ العُمْيانُ تَهدِيهِ

حتى صار به إلى منزل الرجل، ثم قال له: هذا هو منزلُه يا أعمى.

/ **أنشده عطاء الملط شعراً فاستحسنه وأنشده شعراً على رويه:** [٣/٢٢٦]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمدُ بن أبي طاهر قال:

زعم أبو دِعَامةَ أن عطاء الملط[(٥)] أخبره أنه أتى بشّاراً فقال له: يا أبا مُعاذ، أُنشِدُكَ شِعراً حسناً؟ فقال: ما أسَرني بذلك، فأنشده:

أعَاذِلَتَيَّ اليومَ وَيلَكُمَا مَهْلاَ فما جَزَعاً مِ الآنَ أبكِي ولا جَهْلاَ

فلما فَرَغ منها قال له بشّار: أحسنتَ[(٦)]، ثم أنشدَه على رَوِيّها ووزنِها:

لقد كادَ ما أُخفِي من الوَجْدِ والهوَى يكون جَوًى بين الجوَانِح أو خَبْلاَ

صوت

/ إذا قال مهلاً ذو القرابة زادَنِي وَلُوعاً بذكراها ووجْداً بها مَهْلاَ ٦٢/٣

---

(١) لا بل: لا برأ. ويجوز بُلّ بالبناء للمفعول أيضاً بمعنى لا سقي ولا مطر.

(٢) في جميع الأصول: «استهناهم» وظاهر فيها التحريف.

(٣) ماق يموق موقاً: حمق في غباوة.

(٤) في جميع الأصول: «يقوّمه». والتصحيح للأستاذ الشيخ الشنقيطي مما كتبه بخطه على نسخته طبع بولاق.

(٥) في أ، م،ء: «عطاء الملك».

(٦) في الأصول: «أحسن» بدون تاء الخطاب.

فـلا يَحسَـبِ البِيـضُ الأوانـسُ أنّ فـي ... فـؤادي سـوى سُعْـدَى لِغَـانِيـةٍ فَضْـلَا

فَـأُقسِـمُ إن كـان الهـوى غيـرَ بـالـغ ... بِيَ القتـلَ من سُعـدَى لقـد جاوزَ القتلَا

فيـا صـاحِ خَبِّـرنـي الـذي أنـت صـانـعٌ ... بقـاتِلَتِـي ظُلْمـاً ومـا طَلَبَـتْ ذَحْـلَا(١)

سِـوَى أنّنـي فـي الحـبّ بينـي وبينهـا ... شَـدَدْتُ علـى أكظـامِ(٢) سِـرٍّ لهـا قُفْـلَا

ـ وذكر أحمدُ بن المكيّ أنّ لإسحاقَ في هذه الأبيات ثقيلاً أوّل بالوسطى ـ فاستحسنتُ القصيدةَ وقلتُ: يا أبا مُعاذٍ، قد والله أجدتَ وبالغتَ، فلو تفضّلتَ بأن تُعيدَها! فأعادها على خلاف ما أنشدَنيها في المرّة الأولى، فتوهّمتُ أنه قالها في تلك الساعة.

[٢٢٧/٣] / حاوره أحمد بن خلاد في ميله إلى الإلحاد:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثني أحمد بن خَلّاد(٣) قال حدّثني أبي قال:

كنتُ أكلّم بشّاراً وأردّ عليه سُوءَ مذهبه بميلِه إلى الإلحاد، فكان يقول: لا أعرف إلا ما عاينتُه أو عاينتُ مثلَه؛ وكان الكلامُ يطول بيننا، فقال لي: ما أظنّ الأمر يا أبا خالد(٤) إلا كما تقول، وأن الذي نحن فيه خِذْلَانٌ، ولذلك أقولُ:

طُبِعْـتُ علـى مـا فـيَّ غيـرَ مُخَيَّـرٍ ... هَـوايَ ولـو خُيِّـرتُ كنـتُ المهـذَّبـا

أُرِيـدُ فـلا أُعْطَـى وأُعطَـى(٥) ولـم أُرِدْ ... وقَصَّـرَ عِلْمِـي أنْ أنـالَ المغَيَّبـا

فَـأُصـرَفُ عـن قَصْـدِي وعلمـي مُقَصِّـرٌ ... وأُمسِـي ومـا أُعْقِبْـتُ إلا التعجُّبـا

عاتب بشعر فتى من آل منقر بعث إليه في الأضحية بنعجة عجفاء:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني ابن مَهْرُويَه قال حدّثني أحمدُ بن خَلّاد بن المبارك قال حدّثني أبي قال:

كان بالبصرة فتًى من بني مِنقَرٍ أمُّه عِجْلِيَّةٌ، وكان يبعثُ إلى بشّار في كل أُضحِيَّةٍ بأُضحيّةٍ من الأضاحي التي كان أهل البصرة يُسَمِّنونها سنةً وأكثرَ للأضاحي ثم تُباعُ الأضحيّة بعشرة دنانير، ويبعثُ معها بألف درهم؛ قال: فأمرَ وكيلَه في بعض السنينَ أن يُجريَه على رسْمه، فاشترى له نعجةً كبيرةً غيرَ سمينةٍ وسرقَ باقِيَ الثمن، وكانت نعجةً عَبدَلِيَّةً من نِعَاج عبدالله بن دارم وهو نِتَاجٌ مَرذُولٌ، فلما أُدخِلَتْ عليه قالت له جاريته رَبَابةُ: ليست هذه الشاةُ من الغنم التي كان يَبعَثُ بها إليكَ؛ فقال: أَدنيها منّي فأدنتْها ولمسَها بيده ثم قال: اكتب يا غُلامُ:

[٢٢٨/٣] / وهبـتَ لنـا يـا فتـى مِنقَـرٍ ... وعِجْـلٍ وأكْـرَمَهُـمْ أوّلَا

(١) الذحل: الثأر.

(٢) كذا في ء، حـ، وأكظام بالظاء: جمع كظم (بالفتح) وهو مخرج النفس. وفي باقي النسخ: «أكضام» بالضاد، وهو تحريف.

(٣) هكذا ورد هذا الاسم في جميع الأصول فيما تقدّم في أخبار بشار وفيما سيأتي من أخباره بعد، وقد ورد في هذا الموضع في جميع الأصول «خالد»، فلعله محرّف عما أثبتناه إذ هو الذي يروي عنه ابن مهرويه في جميع المواضع التي ورد فيها.

(٤) في حـ: «يا أبا مخلد».

(٥) في ب، س، حـ: «فلم أرد» بالفاء.

وأبسَطَهم راحةً في النَّدَى … وأرفعَهم ذِرْوَةً في العُلا
عجوزاً قَدَ آوْرِدَها عمْرها … وأسكنَها الدهرُ دارَ البِلى
سَلُوحاً[١] توهّمتُ أن الرِّعاء … سَقَوْها ليُسهلَها الحنظَلا
وأضرَطَ من أمِّ مُبتاعِها … إن اقتحَمتْ بكرةً حَرْمَلا[٢]
فلو تأكلُ الزُّبدَ بالنِّرسيان[٣] … وتَدْمِجُ[٤] المسكَ والمَنْدَلا
لَما طَيَّبَ الله أرواحَها … ولا بلّ من عَظْمِها الأفحَلا[٥]
وضعتُ يميني على ظهرها … فخِلتُ حَرَاقِفَها[٦] جَنْدَلا
/ وأهوتْ شِمالي لعُرقوبها … فخلتُ عَرَاقِيَها مِغْزَلا
وقلّبتُ أَلْيَتَها بعد ذا … فشبّهتُ عُصْعُصَها[٧] مِنْجَلا
فقلتُ أبيع فلا مَشرَباً[٨] … أُرَجّي لديها ولا مأكلا
أمَ آشوي وأطبُخ من لحمها … وأطيبُ من ذاك مَضْغُ السَّلَى[٩]
إذا ما أُمِرَّتْ على مجلس … من العُجْبِ[١٠] سَبَّحَ أو هَلَّلا
/ رأوْا آيةً خلفَها سائقٌ … يَحُثُّ وإن هَرْوَلَتْ هَرْوَلا
وكنتَ أمرتَ بها ضخمةً … بلحم وشحمٍ قد اَستُكمِلا
ولكنّ رَوحاً عَدَا طورَه … وما كنتُ أحسَبُ أن يفعلا
فعَضّ الذي خانَ في أمرها … مِنِ اَستِ أمّه بَظْرَها الأغرَلا[١١]
ولولا مكانُك قلّدتُه … عِلاطاً[١٢] وأنشقتُه الخَرْدَلا
ولولا آستِحائِيكَ خَضَبْتُها … وعَلّقت في جِيدها جُلْجُلا

٦٣/٣

[٣/٢٢٩]

(١) سَلُوحٌ: وصفٌ من السَّلْح وهو للطير والبهائم كالتغوّط من الإنسان، وقد يُستعمَل للإنسان على وجه التشبيه.
(٢) الحرمل: نبات كالسمسم يعيي آكله.
(٣) النِّرسيَان: نوع من أجود التمر، وفي المثل: «أطيبُ من الزُّبد بالنِّرسيَان» يضرب مثلاً للأمر يستطاب ويُستعذَب. والمندل: العُودُ الرَّطْبُ.
(٤) كذا في جميع الأصول، وأدّمج في الشيء مثل أندمج: دخل فيه واستحكم. ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا أدّمَجَ متعدّياً بنفسه، فلعلّ ما هنا من قبيل ما جرى فيه النصب على نزع الخافض.
(٥) كذا في أكثر الأصول. والأقحل: وصف من قحل الشيء إذا يبس، وفي ب، س: «الأنحل».
(٦) الحراقف: جمع حرقفة، والحرقفة: رأس الورك.
(٧) العصعص: عَجْبُ الذنب.
(٨) كذا في أ، م،ء، وفي باقي الأصول: «فلا مشتر».
(٩) السلى: الجلدة التي يكون فيها الولد في بطن أمه.
(١٠) في أ، م،ء: «من العجف».
(١١) الأغرل: ذو الغرلة أي لم يختن.
(١٢) العلاط (بالكسر): حبل يجعل في عنق البعير وسمة تكون في عرض عنقه.

فجــاءتْــكَ حتــى تــرى حــالَهــا ... فتعلَــمَ أنّــي بهـــا مُبْتَلَـــى

ســـألتُــك لحمـــاً لصِبْيـــانِنـــا ... فقـــد زِدْتَنـــي فيهـــمُ عَيِّـــلا

فخُـــذْهـــا وأنـــت بنـــا مُحسِــنٌ ... ومـــا زلـــتَ بـــي مُحسِنـــاً مُجْمِـــلا

قال: وبعث بالرقعة إلى الرجل؛ فدعا بوكيله وقال له: ويلك! تعلم أني أفتدي من بشّار بما أُعطيه وتُوقِعني في لسانه! اِذهَبْ فأشترِ أُضحِيّةً، وإن قَدَرتَ أن تكونَ مثلَ الفيل فأفعل، وأبلُغْ بها ما بلغتْ وأبعَثْ بها إليه.

شعره في رثاء بنية له:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال حدّثني عمّي قال أخبرنا أبو عمرو بن العَلاَء قال:

رأيتُ بَشّاراً المرعَّثَ يرثِي بُنَيّةً له وهو يقول:

يـــا بنـــتَ مـــن لـــم يـــكُ يَهْـــوَى بنتـــا ... مـــا كنـــتِ إلا خمســـةً أو ستّـــا

حتّـــى حَلَلْـــتِ فـــي الحَشَـــى وحتّـــى ... فَتَّـــتُّ قلبـــي مـــن جـــوًى فـــانفتّـــا

[٢٣٠] / لأنـــتِ خيـــرٌ مـــن غـــلامٍ بتّـــا[1] ... يُصْبِـــحُ سكـــرانَ ويُمْسِـــي بَهْتَـــا[2]

مدح نافع بن عقبة بن سلم بعد موت أبيه:

أخبرني وَكيع قال حدّثني أبو أيوب المدينيّ قال:

كان نافع بن عُقْبة بن سَلْم جَوَاداً مُمَدَّحاً، وكان بَشّار منقطعاً إلى أبيه، فلما مات أبوه وَفَد إليه وقد وَلِيَ مكانَ أبيه، فمدحه بقوله:

ولنـــافـــعٍ فضـــلٌ علـــى أكفـــائـــه ... إن الكـــريـــمَ أحـــقُّ بـــالتفضيـــلِ

يـــا نـــافـــعَ الشُّبُـــراتِ[3] حيـــن تنـــاوحـــتْ ... هُـــوجُ الـــريـــاحِ وأعْقِبـــتْ بُـــوبُـــولِ

أشبهـــتَ عُقْبـــةَ غيـــرَ مـــا مُتَشَبِّـــهٍ ... ونشـــأتَ فـــي حلـــمٍ وحســـنِ قَبُـــولِ

ووَلِيـــتَ فينـــا أشهـــراً فكفيتَنـــا ... عَنَـــتَ المُـــريـــبِ وسَلّـــةَ التّضليـــلِ[4]

تُـــدْعَـــى هِـــلالاً فـــي الـــزمـــان ونـــافعـــاً ... والسَّلْـــمُ نِعْـــمَ أُبُـــوّةُ المـــأمـــولِ

فأعطاه مثلَ ما كان أبوه يُعطيه في كلّ سنة إذا وفَد عليه.

---

(١) بت: انقطع عن العمل، ومنه قولهم: سكران باتّ أي منقطع عن العمل بالسكر، ويقال أيضاً: بتّ الرجل يبتّ بتوتاً أي هزل فلم يقدر أن يقوم.

(٢) البهت: الدهش والتحير أو التعب، واستعمال المصدر هنا مكان اسم الفاعل للمبالغة في الوصف.

(٣) الشبرات: جمع شبرة، والشبرة (بالكسر): العطية.

(٤) كذا بالأصول، وللسلة معان كثيرة، فلعل أقربها هنا: إخراج السيوف من أغمادها عند القتال، ويكون المراد بسلة التضليل: ظهور التضليل وانتشاره، ولعلها «سنة التضليل».

أجاز شعراً للمهدي في جارية:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدّثني إبراهيم بن عُقْبة الرفاعيّ قال حدّثني إسحاق / بن إبراهيم التمّارِ البَصْريّ قال: ٦٤/٣

دخل المهديُّ إلى بعض حُجَر الحُرَم فنظر إلى جاريةٍ منهن تغتسل، فلما رأته حَصِرتْ[1] ووضعت يدَها على فَرْجها، فأنشأ يقول:

* نظرتْ عيني لحيْني *

/ ثم أُرتِجَ عليه، فقال: مَنْ بالباب من الشعراء؟ قالوا: بشّار، فأذن له فدخل؛ فقال له: أجِزْ: [٣/٢٣١]

* نظرتْ عيني لحيني *

فقال بشّار:

نظــــرتْ عينـــي لِحَيْنِـــي ... نَظَـــراً وافـــقَ شَيْنِـــي
سَتَـــرتْ لمّـــا رأتنـــي ... دونَـــه بـــالـــراحتَيـــنِ
فَضَلـــتْ منـــه فُضُـــولٌ ... تحـــت طَـــيِّ العُكْنَتَيـــنِ

فقال له المهديّ: قبّحكَ الله ويحك! أكنت ثالثنا! ثم ماذا؟ فقال:

فتمنّيـــتُ وقلبـــي ... للهـــوى في زَفْـــرتَيـــنِ
أنّنـــي كنـــتُ عليـــه ... ســـاعـــةً أو ســـاعتَيـــنِ

فضحكَ المهديّ وأمر له بجائزة؛ فقال: يا أمير المؤمنين أقَنِعتَ من هذه الصفة بساعة أو ساعتين؟ فقال: أخرج عنّي قبّحك الله! فخرج بالجائزة.

أنشد شعراً على لسان حمار له مات:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدّثنا أبو شبل عاصم بن وَهْب البُرْجُميّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال:

جاءنا بَشّار يوماً فقلنا له: ما لك مغتمًّا؟ فقال: مات حماري فرأيته في النوم فقلتُ له: لم مُتّ؟ ألم أكن أُحسِن إليك! فقال:

سَيِّـــدِي خُـــذْ بـــي أتَـــانـــاً ... عنـــد بـــاب الأصبهـــانِـــي
تَيَّمتنـــــي ببنـــــانٍ ... وبـــدَلٍّ قـــد شَجَـــانـــي
تَيَّمتنـــي يـــوم رُحنـــا ... بثنـــايـــاهـــا الحســـان
وبِغُنْـــــج ودَلاَل ... سَـــلَّ جسمـــي وبَـــرَانـــي

---

(١) حصرت: استحت، وفي حديث زواج فاطمة «فلما رأت علياً جالساً إلى جنب النبي حصرت وبكت» أي استحت وانقطعت كأن الأمر ضاق بها.

[٣/٢٣٢] / ولهـا خَـدٌّ أسيـلٌ مثـلُ خـدّ الشيفـرانِ(١)

فلـذا مـتُّ ولـو عِشْـتُ إذاً طـال هـوانِـي

فقلتُ له: ما الشيفران؟ قال: ما يدريني! هذا من غريب الحمار، فإذا لَقِيتَه فاسأله.

رأيه فيما يكون عليه المجلس:

أخبرني الحسن قال حدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني علي بن إياس قال حدّثني السَّرِيّ بن الصبّاح قال:

شَهِد بَشّار مجلساً فقال: لا تُصَيِّروا مجلسنا هذا شعراً كلّه ولا حديثاً كلّه ولا غناءً كلّه، فإن العيش فُرَصٌ، ولكن غَنُّوا وتحدّثوا وتَنَاشدُوا وتعالَوْا نتناهَب العيشَ تَنَاهُباً.

وصفه غلام بذرب اللسان وسعة الشدق:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكَرانيّ عن ابن عائشة قال:

جاءَ بشّار يوماً إلى أبي وأنا على الباب، فقال لي: من أنت يا غلام؟ فقلتُ: مِن ساكني الدارِ؛ قال: فكلّمني والله بلسانٍ ذَرِبٍ وشِدْقٍ هَرِيتٍ(٢).

أبطأ سهيل القرشي فيما كان يهديه له من تمر فكتب إليه يتنجزه:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ عن أبي حاتم قال:

كان سُهَيل بن عُمَر(٣) القرشيّ يبعث إلى بشّار في كلّ سنة بقواصر(٤) تمر، ثم أبطأ عليه سنةً؛ فكتب إليه بشّار:

تمـركُـم يـا سُهَيـلُ دُرٌّ وهـل يُطْـمَـعُ فـي الـدرّ مِـنْ يَـدَيْ مُتَعَتّـي(٥)

فـأَحبُنِـي يـا سهيـلُ مـن ذلـك التمـرِ نـواةً تكـون قُـرْطـاً لبنتـي

٣/٦٥ / فبعث إليه بالتمر وأضعفه له، وكتب إليه يستعفيه من الزيادة في هذا الشعر.

[٣/٢٣٣] / **سأله بعض أهل الكوفة ممن كانوا على مذهبه أن ينشدهم شعراً ثم عابثوه:**

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ: عن عافية بن شَبيب عن الحسن بن صَفْوان قال:

جلس إلى بشّارٍ أصدقاءُ من أهل الكوفة كانوا على مثل مذهبه، فسألوه أن يُنشدَهم شيئاً مما أحدثه، فأنشدهم قولَه:

أنّـى دعـاه الشّـوقُ فـارتـاحـا مـن بعـد مـا أصبـح جَحجـاحـا(٦)

---

(١) في أ، ء: «الشيغران» بالغين.

(٢) كذا في حـ، وشدق هريت: واسع. وفي باقي الأصول «هرت».

(٣) في م، أ،ء: «عمرو».

(٤) القواصر: جمع قوصرة (بتخفيف الراء) وقوصرة (بتشديدها) وهي وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواريّ.

(٥) متعت: مستكبر متجاوز الحد.

(٦) الجحجاح: السيد المسارع في المكارم.

حتّى أتى على قوله:

فــي حُلّتــي جسـمُ فتًــى نــاحــلٍ ... لــو هبّــت الــرّيــح بــه طــاحــا[١]

فقالوا: يا بن الزانية، أتقول هذا وأنت كأنّك فِيل عَرَضُك أكثر[٢] من طولك! فقال: قوموا عنّي يا بني الزّناء؛ فإنّي مشغول القلب، لستُ أنشَط اليومَ لمشاتمتكم.

عشق امرأة وألح عليها فشكته إلى زوجها:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شَبيب قال:

كان لبشّار مَجلِس يجلس فيه بالعشيّ يقال له البَرْدان، فدخل إليه نِسوة في مجلسه هذا فسمعن شعره، فعشِق امرأة منهنّ، وقال لغلامه: عَرِّفها محبّتي لها، واتبعها إذا انصرفت إلى منزلها؛ ففعل الغلام وأخبرها بما أمره فلم تُجبه إلى ما أحبّ، فتبِعها إلى منزلها حتّى عرَفه، فكان يتردّد إليها حتّى بَرِمت[٣] به، فشكته إلى زوجها، فقال لها: أجيبيه وعِديه إلى أن يجيئك إلى هاهنا ففعلتْ، وجاء بشّار مع امرأةٍ وجّهتْ بها إليه، فدخَل وزوجُها جالسٌ وهو لا يعلم، فجعل يحدّثها ساعة، وقال لها: ما اسمك بأبي أنتِ؟ فقالت: أُمامة؛ فقال:

أُمــامــةُ قــد وُصفــتِ لنــا بحســنٍ ... وإنّــا لا نَــراكِ فــالمِسينــا

/ قال: فأخذتْ يده فوضعتها على أير زوجها وقد أنعظ، ففزِع ووثب قائماً وقال: [٣/ ٢٣٤]

علــيّ ألِيّــةٌ مــا دمــتُ حيّــا ... أَمَسُّــكِ طــائعــاً إلا بعُــودِ

ولا أُهــدي لقــومٍ أنــتِ فيهــم ... ســلامَ الله إلاّ مــن بعيــدِ

طلبــتُ غنيمــةً فــوضعَــت كفّــي ... علــى أيــر أشــدَّ مــن الحــديــدِ

فخيــرٌ منــكِ مــن لا خيــرَ فيــه ... وخيــرٌ مــن زيــارتكــم قُعــودي

وقبض زوجُها عليه وقال: هَمَمتُ بأن أفضحَك؛ فقال له: كفاني، فديتُك، ما فعلتَ بي، ولستُ والله عائداً إليها أبداً، فحسبُك ما مضى، وتركه وانصرف[٤] . وقد رُوي مثل هذه الحكاية عن الأصمعيّ في قصّة بشّار هذه. وهذا الخبر بعينه يُحكَى بإسناد أقوى من هذا الإسناد وأوضحَ عن أبي العبّاس الأعمى السائب بن فَرُّوخ، وقد ذكرته في أخبار أبي العباس بإسناده.

رثاؤه أصدقاءه:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ: قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حمدان الآبَنوسيّ قال حدّثنا أبو نُوَاس قال:

كان لبشّار خمسة نُدماء فمات منهم أربعة وبقي واحد يقال له البَرَاء، فركب في زَورق يريد عُبور دجلة

---

(١) طاح: ذهب وهلك.

(٢) كذا في حـ، وفي باقي الأصول: «أثقل».

(٣) برمت به: سئمته وضاقت به.

(٤) كذا في حـ، وفي باقي الأصول: «وتركه فانصرف».

العوراء[1] فغرق، وكان المهديّ قد نهَى بشّاراً عن ذكر النساء والعشق، فكان بشار يقول: ما خَيرٌ في الدنيا بعد الأصدقاء؛ ثم رثَى أصدقاءه بقوله:

٦٦/٣

/ يابْنَ موسى ماذا يقول الإمامُ ... في فتاة بالقلب منها أوامُ

بِتُّ من حبّها أُوَقَّرُ بالكأ ... س ويهفُو على فؤادي الهُيَامُ[2]

[٣/٢٣٥] / وَيْحَها كاعباً تُدِلّ بجَهْمٍ ... كَعثَبِيّ[3] كأنّه حَمّامُ

لم يكن بينها وبينيَ إلاّ ... كُتُبُ العاشقين والأحلامُ

يا بن موسى أسقني ودَعْ عنك سلمى ... إنّ سلمى حِمًى وفيّ احتشامُ

رُبّ كأسٍ كالسَّلسبيل تعلّلْـ ... ـتُ بها والعيون عنّي نيامُ

حُبستْ للشُّراة في بَيت رأس[4] ... عُتّقتْ عانساً عليها الخِتامُ

نَفحت نَفحةً فهزّت نديمي ... بنسيمٍ وأنشقّ عنها الزّكامُ

وكأنّ المعلولَ منها إذا را ... ح شَجٍ في لسانه بِرْسامُ[5]

صدَمتْه الشَّمولُ حتى بعينيـ ... ـه انكسارٌ وفي المفاصل خَامُ[6]

وهو باقِي الأطراف حَيّت[7] به الكأ ... س وماتت أوصالُه والكَلامُ

وفتًى يشرَب المدامة بالما ... ل ويمشي[8] يروم ما لا يُرامُ

أنفدتْ كأسُه الدنانيرَ حتى ... ذهبَ العينُ واستمرّ السَّوَامُ[9]

تركتْه الصَّهباء يرنو بعين ... نام إنسانُها وليست تَنامُ

/ جُنّ من شَربةٍ تُعَلّ بأخرى ... وبكَى حين سار فيه المُدامُ

كان لي صاحباً فأودَى به الدّهـ ... ـر وفارقتُه عليه السّلامُ

بَقِيَ النّاس بعدَ هُلْك نَداما ... يَ وقوعاً لم يشعروا ما الكلامُ[10]

[٣/٢٣٦]

(١) دجلة العوراء: دجلة البصرة.

(٢) الهيام: الجنون من العشق.

(٣) الكعثب: الرَّكَبُ (الفرج) الضخم الناتىء، والجهم: الغليظ.

(٤) بيت رأس: اسم لقريتين، في كل واحدة منهما كروم كثيرة تنسب إليهما الخمر، إحداهما ببيت المقدس، والأخرى من نواحي حلب.

(٥) البرسام: علة يُهذَى فيها، وهو ورم حاد يعرض للحجاب الحاجز ثم يتصل بالدماغ، فارسيّ معرب مركب من «بر» وهو الصدر و «سام» وهو الموت، ويقال لهذه العلة الموم، ولعله يريد بالبرسام هنا أثره وهو الهذيان.

(٦) كذا وردت هذه الكلمة في جميع الأصول ولها معان في كتب اللغة لا تتفق والسياق إلا أن يكون قد أراد الكناية عن ارتخاء المفاصل فجعل ما بها من العظام لتثنّيها وتكسّرها كأنها خام أي طاقات زرع غضة رطبة.

(٧) حيت بالإدغام لغة في حيي كرضي.

(٨) كذا في أكثر الأصول. وفي حـ: «ويمسي».

(٩) العين: الذهب. واستمر: ذهب. والسوام: الإبل الراعية، والمراد بها هنا المال الراعي كالسائمة.

(١٠) في حـ، وإحدى روايتي أ، م: «ما الكرام».

كجَـزور[1] الأيسـار لا كَبِـدٌ فيـ ـهـا لبـاغٍ ولا عليهـا سَنـامُ
يـابْـنَ مـوسـى فَقْـدُ الحبيـب العيـ ـن قَـذاةٌ وفـي الفـؤاد سَقـامُ
كيـف يصفـو لـيَ النـعيـم وحيـداً والأخـلاّء فـي المقـابـر هـامُ[2]
نَفِسَتْهـم[3] علـيّ أم المـنـايـا فـأنـامَتْـهـمُ بعُنـفٍ فنـامـوا
لا يَغيـض انسجـامُ عينـي عنهـم إنّمـا غـايـة الحـزيـن السِّجـامُ[4]

وفد على عمر بن هبيرة فمدحه:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ:

أن بشّاراً وفَد إلى عمر بن هُبيرة وقد مدحه بقوله:

يخـاف المنـايـا أن تـرحّلـتُ صـاحـبي كـأنّ المنـايـا فـي المُقـام تُنـاسِبُـهْ
فقلـتُ لـه إنّ العـراق مقـامـه وخيـمٌ إذا هبّـت عليـك جنـائبُـهْ
لألقـى بنـي عَيـلان إنّ فَعـالهم[5] تـزيـد علـى كـلّ الفَعـال مَـراتبُـهْ
أولاك الأُلـى شقّـوا العمَـى بسيـوفهـم عـن العيـن حتّـى أبصـر الحـقَّ طـالبُـهْ
وجيشٍ كجُنـح الليـل يـزحـف بـالحصـا وبـالشـوك والخَطِّـيّ حُمـراً ثَعـالِبُـهْ[6]
/ غـدَونـا لـه والشمـسُ فـي خِـدر أُمّهـا تُطـالعنـا والطَّـلُّ[7] لـم يَجـرِ ذائبُـهْ
بضَـربٍ يـذوق المـوتَ مـن ذاق طعمَـه وتُـدرِك مـن نجّـى الفِـرارُ مَثـالبُـهْ
/ كـأنّ مُثـارَ النّقـع فـوقَ رؤوسنـا وأسيـافَنـا ليـلٌ تَهـاوَى[8] كـواكبُـهْ
بعثنـا لهـم مـوتَ الفُجـاءة إنّنـا بنـو المـوت خفّـاق علينـا سَبـائبُـهْ[9]
فـراحـوا فـريـقٌ فـي الإسـار ومثلُـه قتيـلٌ ومثـلٌ لاذ بـالبحـر هـاربُـهْ
إذا الملـك الجبّـار صعّـر خـدّه[10] مَشينـا إليـه بـالسُّيـوف نعـاتبُـهْ

[٣/٢٣٧]
٦٧/٣

(١) جزور الأيسار: الناقة التي تنحر للمقامرة عليها.
(٢) هام: أموات، يقال: أصبح فلان هامة أي مات، وهذا هامة اليوم أو غد أي أنه مشف على الموت.
(٣) نفستهم: حسدتهم عليّ.
(٤) السجام (بالكسر): سيلان الدمع.
(٥) الفعال (بالفتح): الجود والكرم.
(٦) كذا في «معاهد التنصيص» ص ١٩١ طبع بولاق. والثعالب: جمع ثعلب، وهو طرف الريح الداخل في السنان، وفي الأصول: «تغالبه» وهو تحريف.
(٧) كذا في «معاهد التنصيص» (طبع بولاق ص ١٩١) وفي الأصول: «والظل» بالظاء المعجمة وهو تحريف.
(٨) كذا في «معاهد التنصيص» وأصله تتهاوى أي يتساقط بعضها في أثر بعض، وفي الأصول «تهادى» بالدال وهو تحريف.
(٩) السبائب: جمع سبيبة وهي شقة رقيقة من الكتان، والمراد بها هنا الرايات.
(١٠) صعر خده: أماله عن النظر إلى الناس تهاوناً بهم وكبراً.

فوصله بعشرة آلاف درهم، فكانت أوّل عطيّة سنيّة أعطيها بشّار ورَفعتْ من ذكره، وهذه القصيدة هي التي يقول فيها:

صوت

إذا كنتَ في كلّ الأمور مُعاتباً ... صديقَك لم تلق الذي لا تعاتبُهْ

فعِشْ واحداً أوصِلْ أخاك فإنه ... مُقارِفُ[1] ذنبٍ مرّة ومجانبُهْ

إذا أنت لم تشرَبْ مِراراً على القَذَى ... ظَمِئتَ وأيّ النّاس تصفو مَشاربُهْ

الغناء في هذه الأبيات لأبي العُبَيس بن حَمدون خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها.

شعره في العشق:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال ذكر أبو أيّوب المدينيّ عن الأصمعيّ قال:

كان لبشّار مجلس يجلس فيه يقال له البَرْدانَ، وكان النساء يحضُرنه فيه، فبينما هو ذاتَ يوم في مجلسه إذ سمع كلام امرأة في المجلس فعشِقها، فدعا غلامه فقال: / إذا تكلّمتِ المرأة عرّفتُك فاعرِفها، فإذا انصرفتْ من المجلس فاتبعها وكلّمها وأعلمها أنّي لها مُحبّ؛ وقال فيها: [٢٣٨/٣]

يا قومُ أُذني لبعض الحيّ عاشقة ... والأذن تعشَق قبل العين أحيانا

قالوا: بمن لا تَرى تَهذِي! فقلتُ لهم ... الأذن كالعين تُوفي[2] القلبَ ما كانا

هل من دواءٍ لمشغوف بجارية ... يلقَى بلُقيانها رَوحا[3] ورَيحانا

وقال في مثل ذلك:

قالت عُقَيل بن كَعب إذ تعلّقها ... قلبي فأضحَى به من حبّها أثرُ

أنّى ولم ترها تَهذِي! فقلتُ لهم ... إنّ الفؤاد يَرى ما لا يَرى البصرُ

أصبحتُ كالحائم الحَيران مُجتنِبا ... لم يقضِ وِرداً ولا يُرجَى له صَدَرُ

قال يحيى بن عليّ وأنشدني أصحاب أحمد بن إبراهيم عنه لبشّار في هذا المعنى وكان يستحسنه:

يُزهّدني في حبّ عَبدةَ مَعشرٌ ... قلوبهُمُ فيها مخالفةٌ قلبي

فقلت دَعوا قلبي وما أختار وأرتضَى ... فالقلب لا بالعين يُبصِر ذو الحبّ

فما تُبصر العينان في مَوضع الهوى ... ولا تسمَع الأذنان إلّا من القلبِ

وما الحسنُ إلّا كلُّ حسنٍ دعا الصِّبا ... وألّف بين العشق والعاشقِ الصَّبّ

قال أبو أحمد: وقال في مثل ذلك:

(١) مقارف: مخالط.

(٢) توفي: تبلغ.

(٣) الرّوح (بالفتح): نسيم الريح والراحة والسرور.

يـا قلـبُ مـالـي أراكَ لا تَقِـرُ[1] إيّـاك أعنِـي وعنـدكَ الخبـرُ
أذعـتَ بعـدَ الألـى مضـوْا حُـرَقـاً أم ضـاع مـا آستودعـوك إذ بَكَـروا

[٣/٢٣٩] ٦٨/٣

/ قال أبو أحمد: وقال في مثل ذلك:

إنّ سليمـى واللّـهُ يكلـؤهـا كـالسُّكـر تَـزدادهُ علـى السَّكَـرِ
بُلّغـتُ عنهـا شَكـلاً[2] فـأعجبنـي والسّمـعُ بكفيـك غَيبـةَ البصـرِ

أنشد المهديّ شعراً فلم يعطه شيئاً فقال شعراً مداره الحكمة:

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي قال:

زعم أبو العالية أنّ بشّاراً قدِم على المهديّ، فلمّا آستأذن عليه قال له الربيع: قد أذِن لك وأمرك ألّا تنشد شيئاً من الغزل والتشبيب فأدخُل على ذلك، فأنشدَه قولَه:

يـا مَنظَـراً حَسَنـاً رأيتُـهْ مـن وجـه جـاريـة فـديتُـهْ
بعثـتْ إلـيّ تَسـومنـي بُـردَ الشّبـاب وقـد طـوَيتُـهْ
واللّـهِ ربِّ مُحمّـد مـا إن غَـدرتُ ولا نَـويتُـهْ
أمسكـتُ عنـك وربّمـا عَـرض البـلاءُ ومـا آبتغيتُـهْ
إنّ الخليفـة قـد أبَـى وإذا أبَـى شيئـاً أبيتُـهْ
ومُخضَّـبٍ رَخـص البَنـا نِ بكَـى علـيّ ومـا بكَيتُـهْ
ويُشـوقنـي بيـتُ الحبيـب إذا آدّكـرتُ وأيـنَ بيتُـهْ
قـام الخليفـة دونَـه فصبَـرتُ عنـه ومـا قلَيتُـه
ونَهـانِـيَ الملـكُ الهمـا م عـن النّسيـب[3] ومـا عصَيتُـهْ
لا بـل وفَيـتُ فلـم أُضِـع عهـداً ولا رأيـاً رأيتُـهْ
وأنـا المُطـلّ علـى العِـدا وإذا غـلا عِلـق[4] شـريتُـه
أُصفِـي[5] الخليـلَ إذا دنـا وإذا نـأى عنّـي نـأيتُـهْ

/ ثم أنشده ما مدحه به بلا تشبيب، فحرَمه ولم يُعطه شيئاً؛ فقيل له: إنّه لم يستحسن شعرك؛ فقال: والله لقد [٣/٢٤٠] مدحتُه بشعر لو مُدح به الدهر لم يُخش صرفُه على أحد، ولكنه كذّب أملي لأنّي كذَبت في قولي. ثم قال في ذلك:

---

(١) لا تقر: لا ترزن ولا تستقر، من الوقار أي الرزانة.

(٢) الشكل: غنج المرأة ودلالها.

(٣) كذا في أ، م. وفي باقي الأصول: «النساء».

(٤) كذا في أكثر الأصول، والعلق: النفيس من كل شيء، وفي أ «شيء» وقد تقدّم في صفحة ٢١٢ من هذا الجزء:

* وإذا غلا الحمد اشتريته *

(٥) أصفي الخليل: أي أصفيه الودّ، يقال: أصفيت فلاناً الود أي أخلصته له.

خليلـيَّ إنّ العسـرَ سـوف يُفيـقُ وإنّ يسـاراً فـي غـدٍ لخليـقُ

ومـا كنـتُ إلا كـالـزّمـان إذا صحـا صَحـوتُ وإن مـاق[١] الـزّمـان أمـوقُ

أأدمـاء[٢] لا أستطيـع فـي قلّـة الثّـرى خُـزوزاً[٣] ووَشيـا والقليـلُ مَحيـقُ[٤]

خُـذي مـن يـدي مـا قـلّ إنّ زمـاننـا شَمُـوسٌ[٥] ومعـروف الـرجـال رفيـقُ[٦]

لقـد كنـتُ لا أرضَـى بـأدنـى مَعيشـة ولا يَشتكِـي بُخـلاً علـيّ رفيـقُ

خليلـيّ إنّ المـال ليـس بنـافـع إذا لـم ينَـل منـه أخٌ وصـديـقُ

وكنـتُ إذا ضـاقـت علـيّ مَحَلّـةٌ تيمّمـتُ أخـرى مـا علـيّ تَضيـقُ

ومـا خـاب بيـنَ الله والنـاس عـامـلٌ لـه فـي التّقـى أو فـي المحـامـد سُـوقُ

ولا ضـاق فضـلُ الله عـن مُتعفّـفٍ ولكـنّ أخـلاقَ الـرجـال تَضيـقُ

أنشد المهديّ شعراً في النسيب فتهدده إن عاد إلى مثله:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثني عمر بن شبّة قال:

بلغ المهديّ قولُ بشّار:

/ قـاسِ الهمـومَ تنـلْ بهـا نُجُحـا والليـلَ إنّ وراءه صُبُحـا

/ لا يُـؤيسنّـك مـن مُخبّـأةٍ قـولٌ تُغلّظـه وإن جَـرَحـا

عُسـر النّسـاء إلـي مُيـاسَـرةٍ والصّعبُ يُمكـن بعـد مـا جَمَحـا

٦٩/٣ [٣/٢٤١]

فلمّا قدِم عليه أستنشده هذا الشعرَ فأنشده إياه، وكان المهديّ غيوراً، فغضِب وقال: تلك أمّك يا عاضّ كذا من أمّه[٧]! أتحضّ الناسَ على الفجور وتقذف المحصَنات المخبّآتِ! والله لئن قلتَ بعد هذا بيتاً واحداً في نسيبٍ لآتينّ على روحك؛ فقال بشار في ذلك:

والله لـولا رِضـا الخليفـة مـا أعطيـتُ ضَيمـاً علـيّ فـي شَجَـنِ

وربّمـا خِيـرَ لأبـن آدمَ فـي الـ ـكُـره وشـقّ الهـوى علـى البـدنِ

فـأشـربْ علـى أُبنـة الـزّمـان فمـا تلقَـى زمـانـاً صَفـا مـن الأُبَـنِ[٨]

---

(١) ماق: حمق.

(٢) الأدماء: ـ لغة ـ الظبية التي أشرب لونها بياضاً، ومن معانيها أيضاً السمراء مؤنث آدم، وهي هنا علم، كلمياء وعفراء.

(٣) الخزوز: جمع خز وهو نوعان: أحدهما ثياب تنسج من صوف وحرير، وثانيهما ثياب تنسج من الحرير وحده، والوشى: نوع من الثياب الموشية أي المنقوشة التي خلط فيه لون بلون.

(٤) محيق: لا خير فيه وهو فعيل من «محقه الله» أي أذهب خيره وبركته.

(٥) شموس: متنكر، ومنه فرس شموس: لا يمكن أحداً من ظهره، ورجل شموس: عسر في عداوته شديد الخلاف على من عانده.

(٦) كذا في حـ، وفي باقي الأصول «رفيق» بالفاء وهو تحريف.

(٧) يريد «يا عاض بظر أمه» والبظر: هنة تقطعها الخافضة من فرج المرأة عند الختان، وفي حديث الحديبية «امصص ببظر اللات».

(٨) الأبن: جمع أبنة وهي العداوة والحقد، والمراد هنا الكدر.

الله يُعطيك من فواضله والمرء يُغضي عيناً على الكُمَنِ[١]

قد عشتُ بين الرَّيحان والراح والـ ـمِزْهر[٢] في ظلّ مَجلسٍ حسنِ

وقد ملأتُ البلاد ما بين فُغْـ ـفُور[٣] إلى القَيروان فاليمنِ

قال عمر بن شبّة: فُغْفُور: ملك الصين.

شِعراً تُصلّي له العواتِقُ[٤] والـ ـثُّيبُ[٥] صلاةَ الغُواة للوَثَنِ

/ ثم نهاني المَهديّ فانصرفتْ نفسي صنيعَ الموفَّق اللَّقِنِ[٦] [٣/٢٤٢]

فالحمد لله لا شريكَ له ليس بباق شيءٌ على الزّمنِ

ثم أنشده قصيدته التي أوّلها:

* تجاللتُ عن فِهرٍ وعن جارتَيْ فهرِ *

ووصَف بها تركه التشبيب، ومدحه فقال:

تَسلّى عن الأحباب صَرّامُ خُلّة ووصّالُ أخرى ما يُقيم على أمرِ

وركّاض أفراس الصّبابة والهوى جرت حِجَجاً ثم أستقرّت فما تَجري

فأصبحن ما يُركَبن إلاّ إلى الوغَى وأصبحتُ لا يُزرَى عليّ ولا أزري

فهذا وإنّي قد شَرَعْتُ[٧] مع التقى وماتت همومي الطارقاتُ فما تسري

ثم قال يصِف السفينة:

وعذراء لا تجري بلحمٍ ولا دمٍ قليلة شكوى الأينِ[٨] مُلجَمة الدُّبْرِ

إذا ظَعَنت[٩] فيها الفُلول[١٠] تَشخّصت بفُرسانها لا في وُعوث[١١] ولا وعرِ

---

(١) الكمن: جمع كمنة وهي جرب وحمرة تبقى في العين من رمد يساو علاجه، وقيل: ورم في الأجفان، وقيل: قرح في المآقي.

(٢) في حـ: «المزمر» ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا «مزمر» والوارد «مزمار»، وفي باقي الأصول: «والراح والزهر» وهو غير مستقيم الوزن، والظاهر أن كلتا الكلمتين «المزمر»، «والزهر» محرّفة عن «المزهر» وهو العود يضرب به أو الدف الكبير ينقر عليه.

(٣) «فغفور» (وزان عصفور): لقب كل من ملك الصين، كالنجاشي للحبشة، وقيصر للروم، وخاقان للترك، وكسرى للفرس؛ وجاء في أقرب الموارد «والفغفوريّ: الخزف الجيد يؤتى به من الصين نسبة إلى فغفور وهي بلاد الصين»، ولعلها المرادة في هذا الشعر. وفي الأصول: «يغبور» ولعلها تحريف.

(٤) العواتق جمع عاتق وهي الجارية أول ما أدركت.

(٥) يريد بقوله: «والثيب» الثيبات جمع ثيب وهي نقيض البكر؛ وهذا الجمع غير موجود في كتب اللغة ولا يكون كذلك إلا على توهم أن مفرده ثيباء، ولعله مما يقع في الشعر ضرورة، قال ابن الرومي:

الآن حين طلعت كل ثنية ووطئت أبكار الكلام وثيبه

(٦) اللقن: سريع الفهم.

(٧) شرعتُ مع التقي: أظهرتُ الحق وقمعتُ الباطل باصطحابي للتقي.

(٨) الأين: الإعياء.

(٩) كذا في «مختارات البارودي» (ج ٤ ص١) وفي جميع الأصول: «طعنت» بالطاء المهملة.

(١٠) الفلول: الجماعات.

(١١) وعوث: جمع وعث وهو المكان السهل اللين.

وإن قصدت زلّت على مُتنصِّب ... ذليل القوى لا شيءَ يَفري كما تفري

تُلاعب تَيّارَ البحور وربّما ... رأيتَ نفوس القوم من جَريها تجري

قال: وكان قال: «نِينان البحور» فعابه بذلك سيبويه[1] فجعله «تيّار البحور».

[٣/٢٤٣] / إلى ملك من هاشم في نبوّة ... ومن حِمْير في الملك في العدد الدَّثْرِ[2]

مِنَ المشترين الحمد تندَى من النّدى ... يداه وينديّ عارضاه من العِطرِ

٧٠/٣ / فألزمتُ حبلي حبلَ من لا تُغبّه ... عُفاة الندى من حيثُ يَدري ولا يَدري

بَنَى لك عبدالله بيتَ خلافة ... نزلتَ بها بين الفَراقد والنَّسرِ

وعندك عهدٌ من وَصاة[3] محمّد ... فَرَعتَ[4] به الأملاكَ من ولد النّضرِ

هجا المهدي بعد أن مدحه فلما بلغه ذلك أمر بقتله:

فلم يَحْظَ منه أيضاً بشيء، فهجاه فقال في قصيدته:

خليفةٌ يزني بعمّاته ... يلعب بالدَّبُّوق[5] والصَّولجانْ

أبدلنا الله به غيرَه ... ودسّ مُوسى في حِرِ الخَيْزُرانْ[6]

وأنشدها في حَلْقة يونس النّحويّ، فسُعِي به إلى يعقوب بن داود، وكان بشّار قد هجاه فقال:

بني أميّة هُبّوا طال نومكُمُ ... إنّ الخليفة يعقوبُ بنُ داودِ

ضاعتْ خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفةَ الله بينَ الزِّقّ والعودِ

فدخل يعقوب على المهديّ فقال له: يا أمير المؤمنين، إنّ هذا الأعمى المُلحد الزنديق قد هجاك؛ فقال: بأيّ شيء؟ فقال: بما لا ينطق به لساني ولا يتوهّمه فكري؛ قال له: بحياتي إلاّ أنشدتني! فقال: والله لو خيّرتَني بين إنشادي إياه وبين ضرب عنقي لأخترت ضرب عنقي؛ فحلف عليه المهديّ بالأيمان التي لا فُسحة فيها أن يخبره؛ [٣/٢٤٤] فقال: أمّا لفظاً فلا، ولكنّي أكتبُ ذلك، فكتبه ودفعه إليه؛ فكاد / ينشقّ غيظاً، وعمَد على الانحدار إلى البصرة للنّظر في أمرها، وما وكْده[7] غير بشّار، فانحدر، فلما بلغ إلى البَطِيحة[8] سمع أذاناً في وقت ضُحى النّهار،

(١) جمع نون على نينان أثبته صاحب «القاموس» وصاحب «اللسان» وأستشهد له بحديث عليّ رضي الله عنه: «يعلم اختلاف النينان في البحار الغامرات»، وحكى السيد المرتضى في «شرح القاموس» تخطئة سيبويه لبشار، ثم قال: واستعمله المتنبي وغلطوه أيضاً.

(٢) الدثر: الكثير من كل شيء.

(٣) الوصاة: الوصية.

(٤) فرعت: علوت بالشرف، يقال: فرع فلان القوم أي علاهم بالشرف أو الجمال.

(٥) الدبوق: لعبة يلعب بها الصبيان ذكرها صاحب «القاموس» وصاحب «اللسان» في مادة «دبق» وقالا: هي لعبة معروفة، ولم يبيناها. قال صاحب السعادة أحمد تيمور باشا فيما كتبه في المجلة السلفية المجلد الثاني ص ٩٤ عن لعب العرب في الكلام على هذه اللعبة بعد أن استشهد بهذا الشعر: «ولا ندري هل الصولجان من لوازمه ليكون شيئاً كالكرة ونحوها أم هما لعبتان قرن بينهما في شعره».

(٦) الخيزران: جارية من جواري المهديّ وهي أم ولديه موسى وهارون.

(٧) كذا في حـ. ووكده: قصده، وفي باقي الأصول «وكزه» بالزاي المعجمة.

(٨) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة.

فقال: أنظُروا ما هذا الأذان! فإذا بشّار يُؤذّن سكرانَ؛ فقال له: يا زنديقُ يا عاضّ بَظْر أمه، عجِبتُ أن يكون هذا غيرَك، أتلهو بالأذان في غير وقت صلاة وأنت سكران! ثم دعا بأبن نَهِيك فأمره بضربه بالسّوط فضربه بين يديه على صدر الحَرّاقة[1] سبعين سوطاً أتلفه فيها، فكان إذا أوجعه السوط يقول: حَسِّ - وهي كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع - فقال له بعضهم: انظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين، يقول: حَسِّ، ولا يقول: باسم الله؛ فقال: ويلك! أطعامٌ هو فأُسمّيَ الله عليه! فقال له الآخر: أفلا قلتَ: الحمد لله؛ قال: أوَ نعمةٌ هي حتّى أحمد الله عليها! فلما ضربه سبعين سوطاً بانَ الموت فيه، فأُلقي في سفينة حتّى مات ثم رُمِيَ به في البَطيحة، فجاء بعض أهله فحمَلوه إلى البصرة فدُفن بها.

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال:

لما وَلِيَ صالح بن داود أخو يعقوب بن داود وزيرِ المهديّ البصرةَ، قال بشّار يهجوه:

هُـمُ حَملـوا فـوقَ المنـابـر صـالحـاً ... أخـاك فضجّـت مـن أخيـك المنـابـرُ

فبلغ ذلك يعقوب فدخل على المهديّ فقال: يا أمير المؤمنين، أبَلَغ من قدر هذا الأعمى المشرك أن يهجوَ أمير المؤمنين! قال: ويحك! وما قال؟ قال: يُعفيني / أمير المؤمنين من إنشاده، ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي [٣/٢٤٥] تقدّمه. فقال خالد بن يزيد بن وهب في خبره: وخاف يعقوب بن داود أن يَقدَم على المهديّ فيمدحَه ويعفو عنه، فوجّه إليه من أستقبله / فضربه بالسِّياط حتّى قتله ثم ألقاه في البَطيحة في الخَرّارة[2]. ٧١/٣

هجا يعقوب بن داود حين لم يحفل به:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عليّ بن محمد[3] النَّوْفليّ عن أبيه وعن جماعة من رُواة البصريين، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أحمد بن أبي طاهر عن علي بن محمد، وخبره أتم، قالوا:

خرج بشّار إلى المهديّ، ويعقوبُ بن داود وزيرُه، فمدَحه ومدح يعقوب، فلم يحفِل به يعقوب ولم يُعطه شيئاً، ومرّ يعقوب ببشّار يريد منزله، فصاح به بشّار:

* طال الثَّواء على رُسوم المنزِلِ *

فقال يعقوب:

* فإذا تشاءُ أبا معاذٍ فأرحَلِ *

فغضِب بشّار وقال يهجوه:

بنـي أميّـة هُبّـوا طـال نـومكُـم ... إنّ الخليفـة يعقـوبُ بـن داودِ

ضـاعـت خـلافتكـم يـا قـوم فـألتمسـوا ... خليفـة الله بيـن الـزِّقّ والعُـودِ

قال النوفليّ: فلما طالت أيام بشّار على باب يعقوب دخل عليه، وكان من عادة بشّار إذا أراد أن يُنشد أو

(١) الحراقة: واحدة الحراقات وهي سفن بالبصرة فيها مرامي نيران يرمي بها العدوّ.
(٢) الخرّارة: موضع بالبطيحة، وسيذكر المؤلف ذلك في (ص ٢٤٨) من هذا الجزء.
(٣) كذا في حـ وهو الموافق لما اتفقت عليه النسخ جميعاً في هذا السند حين تكرر الإسناد إليه من راوية آخر. وفي باقي النسخ: «حماد».

يتكلّم أن يتفُل عن يمينه وشماله ويُصفّق بإحدى يديه على الأخرى، ففعل ذلك وأنشد:

يعقوبُ قد ورد العُفاةُ عشيّةً ... مُتعرّضين لسَيبك المُنتابِ[١]

فسقَيتَهم وحسِبتَني كَمّونةً ... نَبتت لزارعها بغير شرابِ

[٣/٢٤٦] / مَهلاً لديك فإنّني رَيحانة ... فأشمُمْ بأنفك وأسقِها بذِنابِ[٢]

طال الثواءُ على تنظُّرِ حاجةٍ ... شَمِطتْ[٣] لديك فمن لها بخِضابِ

تُعطِي الغزيرةُ[٤] دَرَّها فإذا أبتْ ... كانت مَلامتُها على الحُلّابِ

وفاة بشار:

يقول ليعقوب: أنت من المهديّ بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التي إذا لم يُوصَل إلى دَرِّها فليس ذلك من قِبَلها، إنّما هو من منع الحالب منها، وكذلك الخليفة ليس[٥] من قِبلَه لسَعَة معروفة، إنما هو من قِبَل السبب إليه. قال: فلم يعطِفْ ذلك يعقوبَ عليه وحَرمه، فانصرف إلى البَصرة مُغضَباً. فلمّا قدِم المهديُّ البصرةَ أعطى عطايا كثيرةً ووصَل الشعراء، وذلك كلُّه على يديْ يعقوب، فلم يُعط بشّاراً شيئاً من ذلك، فجاء بَشّار إلى حَلْقة يونسَ النَّحويّ فقال: هل هاهنا أحد يُحْتَشم[٦]؟ قالوا له: لا؛ فأنشأ بيتاً يَهْجُو فيه المهديّ، فسَعى به أهلُ الحلقة إلى يعقوب؛ فقال يونس[٧] للمهديّ: إنّ بشاراً زِنْديق وقامت عليه البيّنة عندي بذلك، وقد هجا أمير المؤمنين، فأمر ابنَ نَهيك بأخذه، وأزِف خروجُهم فخرجوا وأخرجه ابن نَهيك معه في زَوْرق. فلما كانوا بالبَطِيحة ذكَره المهديّ فأرسل إلى ابن نَهيك يأمرُه أن يضرب بشّاراً ضربَ التلف ويُلقِيَه بالبطيحة، فأمر به فأُقيم على صدر السفينة وأمر الجلّادين أن يضربوه ضرباً يُتلِفون فيه نفسَه ففعلوا ذلك، فجعل يَسترجع[٨]؛ فقال بعض من حضر: أمَا تراه / لا [٣/٢٤٧] يحمَد الله! فقال بَشّار: أنعمةٌ هي فأحمدَ الله عليها! إنّما هي بليّة أسترجع عليها، فضُرب سبعين سوطاً مات منها وأُلقِيَ في البطيحة.

قال يحيى بن عليّ فحكَى قَعْنَب بن محرز الباهليّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال:

لما ضُرب بشار بالسّياط وطُرح في السفينة قال: ليت عينَ أبي الشَّمَقمق رأتني حين يقول:

٧٢/٣ / إنّ بشّارَ بنَ برد ... تيسٌ أعمى في سفينة[٩]

(١) المنتاب: الذي يأتي مرة بعد أخرى.

(٢) ذناب: جمع ذنوب، والذنوب: الدلو الملأى.

(٣) شمطت: تأخر قضاؤها وطال عليها الأمد، وأصل الشمط أن يخالط سواد الرأس بياض الشيب.

(٤) الغزيرة: الكثيرة الدرّ.

(٥) مرجع ضمير «ليس» المنع.

(٦) يحتشم: يحذر ويهاب محضره، وقد أنكر صاحب «اللسان» مجيء «احتشم» متعدياً فقال: ولا يقال: احتشمته، ثم نقل عن الليث في قول القائل: «ولم يحتشم ذلك» أنه من قبيل حذف من وإيصال الفعل إلى المجرور. وجاء في «أساس البلاغة»: «أنا أحتشمك وأحتشم منك: أي أستحي».

(٧) تقدم في (ص ٢٤٢) من هذا الجزء أن الذي أخبر المهدي هو يعقوب فلعل «يونس» هنا سبق قلم من الناسخ.

(٨) يسترجع: يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٩) كان العرب إذا هجوا إنساناً بالغباوة أو بالنتن قالوا: إنما هو تيس، فإذا أرادوا الغاية في الغباوة قالوا: ما هو إلا تيس في سفينة. (انظر الحيوان للجاحظ طبع مطبعة التقدم ج ٥ ص ١٣٦).

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمّار وحَبيب بن نصر المُهَلّبي قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة قال:

أمر المهديّ عبد الجبار صاحب الزنادقة فضرب بشّاراً، فما بقي بالبَصرة شريفٌ إلا بعث إليه بالفَرْشِ والكُسْوة والهدايا ومات بالبطيحة. قال: وكانت وفاته وقد ناهز ستّين سنة.

قال عمر بن شبّة حدّثني سالم بن عليّ، قال: كنّا عند يونس فنعَى بشّاراً إلينا ناعٍ، فأنكر يونسُ ذلك وقال: لم يمتْ؛ فقال الرجل: أنا رأيت قبرَه، فقال: أنت رأيته؟ قال: نعم، وإلا فعليّ وعليّ، وحلَف له حتّى رضِيَ، فقال يونسُ: «لِليدين ولِلفم»[1].

قال أبو زيد وحدّثني جماعة من أهل البصرة منهم محمّد بن عَوْن بن بَشير[2]، وكان يُتّهَم بمذهب بشّار، فقال:

/ لمّا مات بشّار أُلقيتْ جُثّته بالبطيحة في موضع يُعرف بالحَرّارة، فحمله الماء فأخرجه إلى دِجلة البصرة [٣/٢٤٨] فأُخِذَ فأُتِيَ به أهلُه فدفَنوه، قال وكان كثيراً ما ينشدني:

ستَرى حولَ سَريري حُسَّراً[3] يَلْطِمن لَطما
يا قَتيلا قتلتْه عبدةُ الحوراءُ ظلما

قال: وأُخرِجَتْ جنازتُه فما تبِعها أحدٌ إلاّ أمَةٌ له سوداء سِنديّة عَجماء ما تُفصح، رأيتُها خلفَ جنازته تَصيح: واسيّداه! واسيّداه!.

شماتة الناس بموته وما قيل في ذلك من الشعر:

قال أبو زيد وحدّثني سالم بن عليّ[4] قال:

لمّا مات بشّار ونُعِيَ إلى أهل البَصرة تَباشر عامّتهم وهنّأ بعضُهم بعضاً وحمِدوا الله وتصدّقوا، لِما كانوا مُنُوا[5] به من لسانه.

وقال أبو هشام الباهليّ فيما أخبرنا به يحيى بن عليّ في قتل بَشّار:

يا بُؤْسَ مَيْتٍ لم يَبكِهِ أحدُ أَجَلْ ولم يَفتقِدْه مُفتقِدُ
لا أمٌ أولاده بكتْه ولم يَبْكِ عليه لفُرقةٍ وَلَدُ
ولا ابنُ أختٍ بكَى ولا ابنُ أخٍ ولا حَميمٌ رقَّتْ له كَبِدُ
بل زعموا أنّ أهلَه فَرحاً لمّا أتاهم نَعِيُّه سَجَدوا

---

(١) استعمل يونس هاتين الكلمتين في الشماتة بهلاك بشار، وهما في الأصل مثل يقال عند الشماتة بسقوط إنسان، والمراد أسقطه الله على يديه ورجليه، وفي الحديث أن عمر رضي الله عنه أتى بسكران في رمضان فتعثر بذيله فقال عمر: لليدين وللفم، أولداننا صيام وأنت مفطرا ثم أمر به فحدّ (انظر «مجمع الأمثال» للميداني ج ٢ ص ١٣٤ طبع بولاق).

(٢) في حـ: «بشر».

(٣) حسر: جمع حاسر وهي المكشوفة الوجه أو الذراعين.

(٤) كذا في أكثر الأصول، وفي حـ: «سالم بن عبدالله».

(٥) منوا: أبتلوا.

قال: وقال أيضاً في ذلك:

قـد تبـع الأعمـى قَفـا عَجْـرَدِ فـأصبحـا جـارَيـن فـي دارِ
قـالـت بِقـاعُ الأرض لا مَـرحبـاً بـرُوح حمّـادِ وبشّـارِ
[٢٤٩/٣] / تَجـاورَا بعـد تَنـائيهمـا مـا أبغـضَ الجـارَ إلـى الجـارِ
صـارا جميعـاً فـي يـدَي مـالـكٍ فـي النّـار والكـافـرُ فـي النّـارِ

قال أبو أحمد يحيى بن عليّ وأخبرنا بعض إخواني عن عمر بن محمّد عن أحمد بن خَلّاد عن أبيه قال: مات بشّار سنة ثمان وستين ومائة وقد بلغ نَيِّفاً وسبعين[١] سنة.

ندم المهديّ على قتله:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال:

لمّا ضرب المهديّ بشّاراً بعث إلى منزله من يُفتّشه، وكان يُتّهم بالزندقة فوُجد. في منزله طُومار[٢] فيه:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

٧٣/٣ إني أردت هجاء آل سليمان بن عليّ لبخلهم فذكرتُ قرابتَهم من رسول الله ﷺ / فأمسكت عنهم إجلالاً له ﷺ، على أنّي قد قلتُ فيهم:

دِينـارُ آلِ سليمـانٍ ودِرهَمُهـم كـالبـابِليّيـن[٣] حُفّـا بـالعفـاريـتِ
لا يُبصَـران ولا يُـرجَـى لقـاؤهمـا كمـا سمعـتَ بهـارُوتٍ ومـارُوتِ[٤]

فلما قرأه المهديّ بكى وندِم على قتله، وقال: لا جزَى الله يعقوب بن داود خيراً، فإنّه لمّا هجاه لفّق عندي شهوداً على أنّه زنديقٌ فقتلتُه ثمّ ندمت حين لا يُغني النّدم.

[٢٥٠/٣] / أخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا عمر بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثني محمد بن هارون قال:

لمّا نزل المهديُّ البصرةَ كان معه حَمْدُويَه صاحبُ الزّنادقة فدَفع إليه بشّاراً وقال: أضربْه ضربَ التلف، فضربه ثلاثةَ عشرَ سوطاً، فكان كلّما ضربه سوطاً قال له: أوجعتَني ويلك! فقال: يا زنديق، أتُضرَب ولا تقول: بِاسم الله! قال: ويلك! أثَريدٌ هو فأسمّيَ[٥] [الله] عليه! قال: ومات من ذلك الضّرب.

ولبشّار أخبار كثيرة قد ذُكرتْ في عدّة مواضع: منها أخباره مع عَبْدة فإنّها أُفردت في بعض شعره فيها الذي

(١) كذا في أكثر الأصول، وفي حـ: «وتسعين» ومثل هذا ورد في «معاهد التنصيص» ص ١٣٧ طبع بولاق.
(٢) الطومار كالطامور: الصحيفة، قال ابن سيدة: قيل هو دخيل، وأراه عربياً محضاً لأن سيبويه قد اعتدّ به في الأبنية فقال: هو ملحق بفسطاط (انظر «لسان العرب» مادة «طمر»).
(٣) نسبة إلى بابل وهي ناحية منها الكوفة والحِلّة ينسب إليها السحر والخمر.
(٤) هاروت وماروت: ملكان، وقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾.
(٥) زيادة في حـ.

غنّى فيه المغنّون، وأخبارُه مع حمّاد عَجْرد في تَهاجيهما فإنّها أيضاً أُفرِدتْ، وكذلك أخباره مع أبي هاشم الباهليّ فإنّا لم نجمع جميعها في هذا الموضع، إذ كان كلّ صِنفٍ منها مُستغنياً بنفسه حسبما شُرِط في تصدير الكِتاب.

/ أخبار يزيد حوراء

[٣/٢٥١]

ولاؤه، وهو مغن من طبقة ابن جامع والموصلي:

يزيد حَوْراء رجل من أهل المدينة ثم من موالي بني لَيْث بن بَكْر بن عبد مَنَاة بن كنانة، ويُكنَى أبا خالد، مُغنٍّ محسنٌ كثيرُ الصّناعة، من طبقة ابن جامع وإبراهيم الموصليّ، وكان ممن قدِم على المهديّ في خلافته فغنّاه، وكان حسنَ الصّوت حُلوَ الشمائل.

كان إبراهيم الموصلي يحسده فشاركه في جوار وتعلم إشارته منهن وأبطل عليه ما انفرد به:

وذكر ابن خُرْدَاذْبَة[١] أنه بَلَغه أن إبراهيم الموصليّ حسده على شمائله وإشارته في الغناء، فاشترى عدّةَ جوارٍ وشاركه فيهنّ، وقال له: عَلِّمهن فما رَزَق الله فيهن من رِبْح فهو بيننا، وأمرهن أن يجعلْنَ وَكْدَهنّ[٢] أخْذَ إشارته[٣] ففعلن ذلك، وكان إبراهيم يأخذها عنهن هو وابنه ويأمرهن بتعليم كلّ من يعرفنَه ذلك حتى شهَرها في الناس؛ فأبطلَ عليه ما كان منفرداً به من ذلك.

كان صديقاً لأبي العتاهية وغنى للمهدي من شعره في عتبة فأكرمه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثني جماعةٌ من موالي الرشيد:

أن يزيد حوراء كان صديقاً لأبي العَتاهِيَةَ، فقال أبو العتاهية أبياتاً في أمر عُتْبَةَ يتنجّز فيها المهديَّ ما وعد إيّاه من تزويجها، فإذا وجد المهديَّ طيّبَ النفسِ غنّاه بها، وهي:

ولقـد تَنَسّمـتُ الـريـاحَ حـاجتـي ... فـإذا لهـا مـن راحتَيْـكَ نسيـمُ
أشْـربـتُ نفسـي مـن رجـائـك مـا لـه ... عَنَـقٌ يَخُـبّ إليـك بـي ورَسِيـمُ[٤]
/ ورَمَيتُ نحوَ سماءِ جُوْدِك[٥] نـاظري ... أرْعَـى مخـايـلَ بَـرْقِـهِ وأَشيـمُ
ولـربّمـا استيأسـتُ ثـم أقـولُ لا، ... إنّ الّـذي ضَمِـنَ النجـاحَ كـريـمُ

[٣/٢٥٢]

فصَنَع فيها لحناً وتَوَخّى لها وقتاً وجد المهديَّ فيه طيِّبَ النفس فغنّاه بها، فدعا بأبي العتاهِيَة وقال له: أمّا عُتْبة فلا سبيلَ إليها لأن مولاتَها مَنَعتْ من ذلك. ولكن هذه / خمسون ألفَ درهمٍ فاشترِ ببعضها خيراً من عُتبة، فحُمِلتْ إليه وانصرف. [٣/٧٤]

---

(١) (انظر الحاشية رقم ٥ ص ٣٤٤ ج ٢ «أغاني» طبع دار الكتب المصرية).
(٢) الوكد: القصد.
(٣) في ب، س، حـ: «إشاراته».
(٤) العنق والرسيم: ضربان من ضروب السير.
(٥) الجود (بفتح الجيم): المطر الغزير، ومن الجائز أن تكون بضم الجيم بمعنى الكرم. وفي «زهر الآداب»: «صوبك».

شی۱ ۱۵۶۱ع

كان نظيفاً ظريفاً حسن الوجه جميل الخصال:

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن المَرْزُبان قال حدّثنا شَيْبة بن هشام عن عبدالله بن العبّاس الرَّبيعيّ[1] قال:

كان يزيد حوراء نظيفاً ظريفاً حسنَ الوجه شَكِلاً[2]، لم يَقْدَمْ علينا من الحجاز أنظفُ ولا أشكلُ منه، وما كنتَ تشاء أن ترى خَصْلةً جميلةً فيه لا تراها في أحد منهم إلا رأيتَها فيه، وكان يتعصّب لإبراهيم الموصليّ على أبن جامع، فكان إبراهيم يرفع منه ويُشيع ذكرَه بالجميل وينبّه على مواضع تَقَدُّمه وإحسانه ويَبْعَث بأبنه إسحاقَ إليه يأخُذُ عنه.

رثاه صديقه أبو مالك حين مات:

وكان صديقاً لأبي مالكٍ الأعرج التَّميميّ لا يكادُ أن يُفارقه، فمرِض مرضاً شديداً وأحتُضِر، فأغتمّ عليه الرشيدُ وبعث بمسرورٍ الخادم يسأل عنه، ثم مات؛ فقال أبو مالك يَرْثيه:

صوت

لم يُمَتَّعْ من الشباب يزيدُ صار في التُّرْبِ وهو غَضٌّ جديدُ
خانَه دهرُه وقابَلَه منه بنَحْسٍ ودَابَرتْه[3] السُّعودُ
[٢٥٣/٣] / حين زُفَّتْ دُنْياه من كل وجهٍ وتَدانَى إليه منه البعيدُ
فكأنْ لم يكنْ يزيدُ ولم يَشْـ ـجُ نَديماً يَهُزُّه التغريدُ

وفي هذه الأبيات لحسين بن محرز لحنٌ من الثقيل الثاني بالبنصر، من نسخة عمرو بن بانة.

توسط لأبي العتاهية حتى ذكره للمهديّ فكلّم فيه عتبة:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثني أحمد بن أبي يوسف قال حدّثني الحسين بن جُمْهور بن زِياد بن طَرْخان[4] مولى المنصور قال حدّثني أبو محمد عبد الرحمن بن عُيَيْنة بن شارِيَةَ الدُّؤليّ قال حدّثني محمد بن مَيْمون أبو زيد قال حدّثني يزيد حوراء المغنّي قال:

كَلّمني أبو العَتاهِيَة في أن أُكلِّم له المهديّ في عُتْبَةَ، فقلت له: إن الكلام لا يمكنني ولكن قل شعراً أُغَنِّه به، فقال:

صوت

نفسِي بشيءٍ من الدنيا مُعَلَّقةٌ اللّهُ والقائمُ المهديُّ يَكْفِيها

---

(١) في جميع الأصول: «الربعي» بدون ياء بعد الباء وهو عبدالله بن العباس بن الفضل بن الربيع والنسبة إليه ربيعيّ بإثبات الياء، وله ترجمة في الجزء السابع عشر من «الأغاني» طبع بولاق.

(٢) شكلاً: ذا دل وغزل.

(٣) دابرته: ولته دبرها ولم تقبل عليه.

(٤) طرخان بفتح الطاء والمحدّثون يضمّونها ويكسرونها، وقد نبه على ذلك صاحب «القاموس» فقال: ولا تَضُمّ ولا تَكْسِر وإن فعله المحدّثون؛ وهي كلمة خراسانية معناها «الرئيس الشريف» وجمعها «طراخنة».

إنـي لأيـأسُ منهـا ثـم يُطْمِعُنـي فيهـا احتقـارُكَ للـدنيـا ومـا فيهـا

قال: فعَمِلتُ فيه لحناً وغنيّته به، فقال: ما هذا؟ فأخبرتُه خبرَ أبي العتاهية، فقال: ننظرُ فيما سأل، فأخبرتُ أبا العتاهية، ثم مضى شهرٌ فجاءني وقال: هل حدث خبر؟ فقلت: لا، قال: فأذكرني للمهديّ، قلت: إن أحببتَ ذلك فقل شعراً تُحرّكه وتُذكّره وعدَه حتى أُغنّيَهُ به، فقال:

[٣/٢٥٤]

/ صوت

ليتَ شعري ما عندكم ليتَ شعري فلقـد أُخِّـرَ الجـوابُ لأمـرِ

مـا جـوابٌ أَوْلَـى بكـلّ جميـلٍ مـن جـوابٍ يُـرَدُّ مـن بعد شهـرِ

قال يزيد: فغنّيت به المهديّ فقال: عَلَيَّ بعُتْبة فأُحضِرَتْ، فقال: إنّ أبا العتاهية كلّمني فيكِ، فما تقولين، ولك وله عندي ما تُحِبّان مما لا تبلغُهُ أمانيكما؟ فقالت له: قد عَلِم أميرُ المؤمنين ما أوجب الله عليّ من حقّ مولاتي، وأُريد أن أذكُرَ لها هذا، قال: فأفعلي؛ قال: وأعلمتُ أبا / العتاهية، ومضتْ أيّامٌ فسألني معاوَدَةَ المهديّ، فقلت: قد عرفتَ الطريقَ فقل ما شئتَ حتى أُغنّيَه به، فقال: [٣/٧٥]

صوت

أَشْربتُ قلبي مـن رجائـك مـا لـه عَنَـقٌ يَخُـبّ إليـك بـي ورسيـم

وأمَلتُ نحوَ سماء جَودِك ناظري أرعَـى مخايـلَ بَـرْقِهـا وأشيـمُ

ولـربّمـا استيـأسـتُ ثـم أقـول لا إنّ الـذي وعَـدَ النجـاحَ كـريـمُ

قال يزيد: فغنّيته المهديّ، فقال: عَلَيَّ بعُتْبة فجاءت، فقال: ما صنعتِ؟ فقالت: ذكرتُ ذلك لمولاتي فكرِهَته وأبته، فليفعل أميرُ المؤمنين ما يُريد، فقال: ما كنتُ لأفعلَ شيئاً تكرَهه، فأعلمتُ أبا العتاهية بذلك، فقال:

قَطَعْـتُ منـكِ حبـائـلَ الآمـالِ وأرحْـتُ مـن حِـلٍّ ومـن تَـرْحـالِ

مـا كـان أشـأمَ إذ رجاؤُكِ قـاتِلي[١] وبنـاتُ وَعْـدِكِ يَعْتَلِجـن[٢] ببـالـي

ولئـن طَمِعـتُ لَـرُبَّ بَـرْقـةِ خُلّـبٍ مـالـتْ بِـذِي[٣] طَمَـعٍ ولمعـةِ آلِ

[٣/٢٥٥]

/ مغازلته لجارية:

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

قال يزيد حوراء: كنت أجلِس بالمدينة على أبواب قُرَيش، فكانت تمرّ بي جاريةٌ تختلف إلى الزرقاء تتعلّم منها الغِناء، فقلت لها يوماً: افهَمِي قولي ورُدّي جوابي وكوني عند ظنّي، فقالت: هاتِ ما عندك، فقلت: بالله ما

---

(١) هكذا في جميع الأصول و «الديوان»، وفي كتاب «زهر الآداب»: «قادني».

(٢) كذا في حـ، ويعتلجن ببالي: يقمن ويخطرن، على المجاز من قولهم: اعتلج الموج إذا التطم. وفي باقي الأصول: «يعتجلن» وهو تحريف.

(٣) في كل الأصول: «مالت به طمع»، وهو تحريف والتصويب عن «ديوان أبي العتاهية» و «كتاب زهر الآداب».

أسمِك؟ فقالت: ممنّعة؛ فأطرقتُ طِيرَةً[١] من آسمها مع طَمَعي فيها، فقلت: بل باذلة أو مبذولة إن شاء الله، فاسمعي منّي، فقالت وهي تتبسّم: إن كان عندك شيءٌ فقل، فقلت:

لِيَهْنِكِ[٢] منّي أنني لستُ مُفْشِياً — هواكِ إلى غيري ولو مِتُّ من كَرْبِ

ولا مانحاً خَلْقاً سواكِ مودّتي — ولا قائلاً ما عشتُ من حبّكم حَسْبي

قال: فنظرتْ إليّ طويلاً، ثم قالت: أَنْشُدُكَ اللّهَ، أعن فَرْطِ محبّة أم آهتياج غُلْمةٍ تكلّمت؟ فقلت: لا والله ولكن عن فَرْط محبّة، فقالت:

فواللّهِ ربِّ الناس لا خُنْتُكَ الهَوَى — ولا زلتَ مخصوصَ المحبّة من قلبي

فثِقْ بي فإنّي قد وَثِقْتُ ولا تكنْ — على غيرِ ما أظهرتَ لي يا أخا الحُبِّ

قال: فوالله لكأنما أضرمتْ في قلبي ناراً، فكانت تلقاني في الطريق الذي كانت تسلُكُه فتحدّثني وأتفرّج[٣] بها، ثم آشتراها بعض أولاد الخلفاء، فكانت تُكاتبني وتُلاطفني دهراً طويلاً.

[٢٥٦/٣]

/ صوت

من المائة المختارة

يا ليلةً جمعتْ لنا الأحبابا — لو شئتِ دام لنا النعيمُ وطابا

بِتنا نُسَقَّاها شَمولاً قَرْقَفاً[٤] — تدَعُ الصحيحَ بعقله مُرتابا

حمراءَ مثلَ دمِ الغزالِ وتارةً — عند المِزاج تخالُها زِرْيابا[٥]

من كفِّ جاريةٍ كأنّ بَنانَها — من فِضّةٍ قد قُمِّعَتْ[٦] عُنّابا

/ وكأنّ يُمناها إذا نقرتْ بها — تُلقي على الكفّ الشِّمال حِسابا

٧٦/٣

عروضه من الكامل. الشعر لعُكّاشة العَمّيّ، والغناء لعبد الرحيم الدَّفّاف، ولحنُه المختارُ هَزَجٌ بإطلاق الوتر في مَجْرى الوُسطى.

---

(١) طيرة: شؤماً.

(٢) كذا في الأصول، وقد أنكر صاحب «اللسان» هذا الاستعمال فقال: والعرب تقول ليهنئك الفارس بجزم الهمزة وليهنيك الفارس بياء ساكنة ولا يجوز «ليهنك» كما تقول العامة؛ ولكن السيد المرتضى ذكر أنه ورد في «صحيح البخاري» (انظر في مادة هنأ).

(٣) أتفرج بها: أصير بها ذا فرج نحو تأسف أي صار ذا أسف وتأهل أي صار ذا أهل، ولكنا لم نجد في «كتب اللغة» التي بأيدينا لتفرّج معنى سوى تفرج مطاوع فرج في نحو قولهم: فرّج الله الكرب فتفرّج وانفرج.

(٤) الشمول من أسماء الخمر، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحها، والقرقف من أسمائها أيضاً لأنها تقرقف شاربها أي ترعده.

(٥) الزرياب: الذهب وقيل ماؤه، معرب «زر» أي ذهب و «آب» أي ماء.

(٦) قمعت عناباً: جعلت له أقماعٌ من عناب، والأقماع: جمع قمع، وهو الغلاف الذي يكون على رأس التمرة أو البسرة، والعُنّاب: شجر له حب كحب الزيتون وأجوده الأحمر الحلو؛ ويقال: قمعت المرأة بنانَها بالحناء أي خضبت به أطرافها فصار لها كالأقماع، وأنشد ثعلب على هذا:

لطمت ورد خدها ببنان — من لجين قمعن بالعقيانِ

/ أخبار عُكّاشة العَمّيّ ونسبه [٣/٧]

أصل قومه بني العم مدفوع في العرب:

هو عُكّاشة بن عبد الصَّمَد العَمّيّ من أهل البَصرة من بني العمّ. وأصلُ بني العمّ كالمدفوع، يقال: إنهم نزلوا ببني تميم بالبَصرة في أيّام عمر بن الخطّاب فأسلموا وغَزَوْا مع المسلمين وحَسُنَ بلاؤهم، فقال الناسُ: أنتم، وإن لم تكونوا من العرب، إخوانُنا وأهلُنا وأنتم الأنصارُ والإخوانُ وبنو العمِّ، فلُقّبوا بذلك وصاروا في جملة العرب.

هجا كعب بن معدان بني ناجية وشبههم ببني العم:

وقال بعضُ الشعراء ـ وهو كعبُ بن مَعْدَان ـ يهجو بني ناجيةَ ويشبِّهم ببني العمّ:

وجدنا آلَ سامةَ في قُريشٍ كمثل العمِّ بين بني تميمِ

ويروى: «في سَلَفَيْ تميم».

أعانوا الفرزدق فهجاهم جرير:

أخبرني عيسى بن الحسين عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبو عُبَيدة قال:

لما تواقف[1] جريرٌ والفرزدقُ بالمِربَدِ للهجاءِ اقتتلتْ بنو يَرْبُوع وبنو مُجَاشع، فأمدّتْ بنو العمّ بني مُجَاشع وجاءوهم وفي أيديهم الخشبُ فطردوا بني يَرْبوع؛ فقال جرير: مَن هؤلاء؟ قالوا: بنو العمّ، فقال جرير يهجوهم:

ما للفرزدقِ مِنْ عزٍّ يلوذُ به إلاّ بني العمِّ في أيديهمُ الخشَبُ

سِيروا بني العمِّ فالأهواز[2] داركُمُ ونهرُ تِيرَي[3] ولم تعرفْكم العَربُ

/ وعُكّاشةُ شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الدولة العباسيّة، ليس ممّن شُهِر وشاع شعرُه في أيدي الناس ولا مِمّن خَدم الخلفاءَ ومدَحهم. [٣/٨]

ذكر لصديقه حميد الكاتب حبه لنعيم وشعره فيها:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثني عليّ بن الحسن عن ابن الأعرابيّ قال حدّثني سَعيد بن حُمَيد الكاتب البصريّ قال قال أبي:

كان عُكّاشة بن عبد الصَّمَد العمّيّ صديقاً لي وإلفاً، وكنّا نتعاشر ولا نكاد نفترق ولا يكتمُ أحدُنا صاحبَه شيئاً،

---

(١) تواقف: وقف أحدهما للآخر، قال في «اللسان» (مادة وقف): وواقفه موافقة ووقافاً: وقف معه في حرب أو خصومة. وفي الأصول: «توافق».

(٢) الأهواز: سبع كور بين البصرة وفارس، لكل كورة منها اسم ويجمعها الأهواز.

(٣) نهر تيري (بكسر التاء وياء ساكنة وراء مفتوحة مقصور): بلد من نواحي الأهواز حفره أردشير الأصغر بن بابك ووهبه «التيري» من ولد جودرز الوزير فسمي به، وله ذكر في أخبار الفتوح والخوارج، (انظر «معجم ياقوت» في الكلام على نهر تيري).

فرأيته في بعض أيّامه متغيرَ الهيئةِ عمّا عهدته مقسَّمَ القلبِ والفكر غيرَ آخذٍ ما كنّا فيه من الفُكاهة والمُزاح، فسألته عن حاله فكاتَمَنيها مَلِيًّا، ثم أخبرَني أنه يهوى جاريةً لبعض الهشاميّين يقال لها نُعَيْم، وأن مَرامَها عليه مستصعِبٌ لا يراها إلّا من جَناحِ لدارِهم، تُشرِفُ عليه في الفَيْئة[1] بعد الفَيْئة فتكلّمه كلاماً يسيراً ثم تذهب، فعاتبتُه على ذلك فلم يَزْدجِرْ وتمادَى في أمره، ثم جاءني يوماً، فقال: قد وعَدَتْني الزيارة لأنّ شكواي إليها طالت، فقلت له: فهل حقّقَتْ لك الوعدَ على يومٍ بعينه؟ قال: لا، إنما سألتُها الزيارةَ فقالت: نعم أفعلُ، فقلت له: هذا والله أعجبُ من سائرِ ما مضَى، وأيُّ شيءٍ لك في هذا من الفائدة بلا تحصيلِ وعدٍ! فقال لي: يا أخي، إنّ لي في قولها: «نعم» فرجاً كبيراً، فقلتُ: أنت أقنعُ الناس؛ ثم جاءني بعدَ يومين وهو كاسفُ البال مهمومٌ، فقلت له: ما لك؟ فقال: مضيتُ إلى نُعَيْم فتنجَّزتُ وعدَها، فقالت لي: إن لي صاحبةً أستنصحُها وأعلمُ أنها تُشفقُ عليَّ شفَقةَ الأختِ على أختها والأمِّ على ولَدِها وقد / نَهَتْني عن ذلك، وقالت لي: إنّ في الرجال غَدراً ومكراً، ولا آمنُ أن تفتضحي ثم لا تَحصُلي منه على شيء؛ وقد أنقطعتْ عنّي ثم أنشدني لنفسه:

٧٧/٣ [٢٥٩/٣]

/ عــلامَ حبــلُ الصفــاءِ منصــرمُ … وفيــمَ عنّــي الصــدودُ والصَّمَــمُ
يــا مــن كَنَيْنــا عــن أسمــه زمنــاً … نتبــعُ مــرضــاتَــهُ ويجتــرمُ[2]
قــد عِيــلَ صبــري وأنــتِ لاهيــةٌ … عنّــي وقلبــي عليــكِ يَضْطَــرِمُ
مَــنْ جَــذَّ حبــلَ الــوفــاء سيِّــدتــي … منــكِ ومــن سـامنــي لــه العَــدَمُ
فكــم أتــانــي واشٍ يعيبكُــمُ … فقلــتُ اِخسَــأْ لأنفِــك الــرَّغَــمُ
أنــتَ الفِــدَا والحِمَــى لمــن عِبــتَ فــارْ … جِــعْ صــاغِــراً راغمــاً لــك النــدَمُ

صــوت

يــا ربِّ خُــذْ لــي مــن الــوُشــاة إذا … قــامــوا وقُمنــا إليــكَ نختصِــمُ
دَبُّــوا إليهــا يُــوَســوِســون لهــا … كــي يستــزلُّــوا حبيبتــي زَعمــوا
هيهــات مِــنْ ذاك ضَــلَّ سعيهُــمُ … مــا قلبهــا المستعــارُ يُقتَسَــمُ
يــا حــاسدينــا مــوتــوا بغيظِكُــمُ … حَبْلِــي متيــنٌ بقــولهــا نَعَــمُ
بــالله لا تُشْمِتــي العُــداةَ بنــا … كــونــي كقلبــي فلســتُ أتّهِــمُ

زارته نعيم وغنته ثم ذهبت فقال شعراً في ذلك:

ـ الغناء في هذه الأبيات لَعريبَ رَمَلٌ. وقيل: إنه لغيرها ـ قال: ثم طال تَردادُه إليها وأستصلاحُه لها، فلم ألبَثْ أن جاءتني رُقعتُه في يومِ خميسٍ يُعْلِمني أنها قد حصَلتْ عنده ويستدعيني فحضرتُ، وتوارتْ عنّي ساعةً وهو يُخبرُها أنّه لا فرقَ بيني وبينه ولا يحتشمني في حلٍ ألبتّةَ إلى أن خرجتْ، فاجتمعنا وشربْنا وغنّتْ غِناءً حسَناً إلى وقتِ العصر ثم أنصرفَتْ، وأخذَ دواةً ورُقعةً فكتب فيها:

---

(١) الفيئة: الحين، وفي بعض الأصول «العينة» ولعلها محرفة عن «الفينة» وهي بمعنى الفيئة.

(٢) في الأصول: «ونجترم» بالنون والسياق يأباها.

[٣/ ٢٦٠]

/ سَقْياً لمجلسنا الذي كنّا بِه يومَ الخميسِ جماعةً أترابا
في غُرفةٍ مَطَرَت سماوةُ[١] سقفِها بحيَا النعيم من الكروم شَرابا
إذ نحنُ نُسقَاها شَمولاً قَرْقَفاً تَدَعُ الصحيحَ بعقلِه مُرتابا
حمراء مثل دمِ الغزال وتارةً بعد المِزاج تخالُها زِرْيابا
من كفّ جاريةٍ كأنَّ بنانَها من فضَّةٍ قد قُمّعت عُنّابا
تزداد حسناً كأسُها من كفّها ويطيب منها نشرُها أحقابا
وإذا المزاجُ علا فشجَّ جبينَها نفثَتْ[٢] بألسنةِ المزاجِ حَبابا
وتخالُ ما جمَعتْ فأحدق سِمْطُه بالطَّوقِ رِيقَ حَبائبٍ ورُضابا
كَفَتِ المناصِفَ[٣] أن تَذُبَّ أكفُّها عنها إذا جعلتْ تَفُوح ذُبابا
والعُودُ مُتْبِعٌ غِناءَ خَرِيدةٍ غَرِداً يقول كما تقول صوابا
وكأنّ يُمناها إذا نَطَقتْ به تُلقي على يدها الشِّمالِ حِسابا
فهناك خَفَّ[٤] بنا النعيمُ وصار من دون الثقيلِ لنا عليه حِجابا
/ آليتُ لا ألْحَى على طلب الهوَى مُتلَذِّذاً حتى أكونَ تُرابا

[٧٨/ ٣]

اشترى نعيم بغداديّ وسافر بها فأسف وقال شعراً:

قال: ثم قَدِم قادم من أهل بغداد فاشترى نُعَيْمَ هذه من مولاتها ورحَل إلى بغداد، فعَظُم أسَفُ عُكَّاشة وحزنُهُ عليها وآستُهِيم بها طولَ عمره، فآستحالت صورتُه وطبعُه وخُلُقُه إلى أن فرّق الدهر بيننا، فكان أكثر وَكْده[٥] وشُغْله أن يقول فيها الشعر وينوحَ به عليها ويبكيَ؛ قال حُمَيد بن سعيد فأنشدني أبي له في ذلك:

[٣/ ٢٦١]

/ ألاَ ليتَ شِعْرِي هل يعودنّ ما مَضَى وهل راجعٌ ما مات من صِلة الحَبْلِ
وهل أجلسنْ في مثل مجلِسِنا الذي نَعِمْنا به يومَ السعادة بالوصلِ
عشيّةَ صَبّتْ لذّةُ الوصل طِيبَها علينا وأفنانُ الجِنانِ جَنَى البَذْلِ
وقد دار ساقِينا بكأسٍ رَويّةٍ تُرَحِّلُ أحزانَ الكئيبِ مع العقلِ
وشَجَّ شَمُولاً بالمِزاج فطيَّرت كألسنة الحيّات خافتْ من القتلِ
فبِتْنا وعينُ الكأسِ سَحٌّ دموعُها لِكلِّ فتًى يهتزّ للمجد كالنَّصْلِ

---

(١) السماوة: السماء وهي كل ما علاك فأظلك.
(٢) في أكثر النسخ: «نفشت» وفي بعضها: «نقشت» وظاهر أن كليهما محرف عما أثبتناه.
(٣) المناصف: جمع منصف (بكسر الميم وقد تفتح، والأنثى منصفة) وهو الخادم.
(٤) في حـ: «حف» بالحاء المهملة.
(٥) الوكد: الهم والقصد.

وقَيْنَتُنـا كـالظبـي تسمَـح بـالهـوى ... وبَـثُّ تَبَـاريـح الفـؤادِ علـى رِسْـلِ[1]

إذا مـا حَكَـتْ بـالعُـودِ رَجْـعَ لسانِهـا ... رأيـتَ لسـانَ العـودِ مـن كَفِّهـا يُمْلِـي

فلـم أرَ كـالّلـذّات أمطـرتِ الهَـوَى ... ولا مثـلَ يـومـي ذاك صـادفَـه مِثلـي

ومما قاله فيها:

أنُعَيْـم حبُّـكِ سَلَّنـي وبَـلاَنـي ... وإلـى الأمَـرِّ مـن الأمـور دعـانـي

أنُعَيْـم لـو تَجِـدِيـنَ وَجْـدِي والـذي ... ألْقَـى بَكَيـتِ مـن الـذي أبكـانـي

أنعيـم سيِّـدتـي عليـكِ تَقَطَّعـتْ ... نفسـي مـن الحَسَـرات والأحـزانِ

أنعيـم قـد رَحِـم الهـوى قلبـي وقـد ... بكـتِ الثيـابُ أسًـى علـى جُثْمـانـي

أنعيـم وأنحـدرتْ مـدامـعُ مقلتـي ... حتـى رَحِمـتُ لـرحمتـي إخـوانـي

أنعيـم مَثَّلـك الهُيَـامُ لمقلتـي ... فكـأنّنـي ألقـاكِ كـلَّ مكـانِ

أنعيـمٌ نظـرةُ سحـرِ عينـكِ بـالهـوى ... معـروفـةٌ بـالقتـلِ فـي إنسـانِ

أنعيـمٌ[2] أشـفِي أو دَعِـي مَـنْ داؤه ... ودواؤه بيـديـك مُقتـرنـانِ

هـذا وكـم مـن مجلـسٍ لـي مُؤْنـقٍ ... بيـن النعيـم وبيـن عيـشٍ دانـي

نـازعتُـه أردانَـه فلَبِستُهـا ... مـع ظَبْيـةٍ فـي عيشنـا الفيْنـانِ

/ تُنْسِي الحليـمَ مـن الرجـال مَعَـادَه ... بيـن الغِنـاء وعُـودِهـا الحَنّـانِ [٢٦٢/]

حتـى يعـودَ كـأنّ حَبَّـةَ قلبـه ... مشـدودةٌ بمَثَـالِـثٍ[3] ومَثَـانِـي

ظَلّـتْ تُغَنّيـنـي وتَعْطِـفُ كفَّهـا ... بـالعُـود بيـن الـرَّاح والـرَّيْحـانِ

فسمِعـتُ مـا أبكَـى وأضْحَـكَ سـامعـاً ... وسكِـرتُ مـن طَـرَبٍ ومـن أشجـانِ

ومَشَيـتُ فـي لُجَـجِ الهَـوى مُتَبختـراً ... ومشـى إلـيّ اللهـوُ فـي الألـوانِ

فعلِمـتُ أنْ قـد عـاد قلبـي عـائـدٌ ... مـن بيـنِ عُـودِ مُطـرِبٍ وبَنَـانِ

/ ومما قاله أيضاً فيها: [٧٩/٣]

نُعَيْـمُ هـل بَكَيـتِ كمـا بَكَيـتُ ... وهـل بعـدِي وَفَيـتِ كمـا وَفَيـتُ

ألَا يـا ليـت شِعـرِي كيـف بَعـدِي اصـ ... ـطبـارُكِ[4] إذ نَـأَيـتِ وإذ نـأيـتُ

فكـم مـن عَبْـرةٍ ذَرَفـتْ فلمّـا ... خَشِيـتُ عيـونَ أهلـي واستحَيـتُ

---

(١) الرسل (بالكسر): التؤدة والرفق.

(٢) التنوين هنا لضرورة الشعر.

(٣) المثالث: جمع مِثْلَث وهو ما كان على ثلاث قوى من الأوتار، وقيل هو الثالث منها، والمثاني: جمع مَثْنَى وهو ما بعد الأول من أوتار العود.

(٤) في ب، س: «كيف بعدي وصبرك...».

نَهَضتُ بها مُكاتَمَةً فلمّا خلوتُ ذَرَفتُها حتى أشتفيتُ
وقلتُ لصُحْبتي لمّا رَمَاني هواكِ بدائه حتى أنطويتُ
أراني من هموم النفسِ مَيْتاً ولم أرَ في نُعَيمِ ما نَوَيتُ
فليتَ الموتَ عَجّل قبضَ رُوحي جِهاراً فاسترحتُ وأين ليتٌ

وقال أيضاً في فراقه إيّاها:

أنُعَيْمُ في قلبي عليك شَرَارُ وعلى الفؤاد من الصَّبابةِ نارُ
وعلى الجفون غِشاوةٌ وعلى الهَوَى داعٍ دعَتْه لِحَيْنيَ الأقدارُ
بمُضِلّةٍ لُبَّ الحليم إذا رَمَتْ بالمقلتين كأنها سَحّارُ
طالبتُها حَوْلَيْنِ لا لَيْلِي بها ليلٌ ولا هذا النهارُ نهارُ
/ حتى إذا ظَفِرَتْ يداي بكاعِبٍ كالشمس تَقْصُر دونها الأبصارُ [٣/٢٦٣]
وثَلِجتُ صدراً بالفتاة وصارتَا كالنفسِ نفساناً وقَرّ قَرارُ
بَلَغ الشقاءُ أشدَّ ما يَسطِيعُهُ فينا وفَرّق بيننا المِقْدارُ

ومما يُغَنّي فيه من شعر عُكّاشة الذي قاله في هذه الجارية:

صوت

لَهفِي على الزمن الذي وَلَّى ببهجته القصيرِ
قد كان يُؤْنقني الهَوَى ويُقِرّ عيني بالسرورِ
إذ نحن خُلاّنُ الهَوَى رَيْحانُنا عَبِقُ العبيرِ
وغناؤنا وصفُ الهَوَى نلتذّ بالحبّ اليسيرِ

الغناء في هذه الأبيات لأبن صغير العين من كتاب إبراهيم ولم يذكر طريقته. وفيه لأبي العُبَيْس بن حَمْدون خفيفُ رمل. وتمام هذه الأبيات:

وجهُ التواصُل بيننا في الحسن كالقمر المنيرِ
إيماؤنا يَحكي الكلا مَ وسِرُّنا فَطَنُ المشيرِ
وحديثُنا بحواجبٍ نطقتْ بألسنة الضَّميرِ
بل رُسْلنا الكُتُبُ التي تَجري بخافيةِ الصُّدورِ

أنشد للمهديّ قوله في الخمر فأراد حدّه:

حدّثني الحسن بن عُلَيل قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنا أبو مُسْلمٍ عن المدائنيّ قال:
أنشد عُكّاشةُ بن عبدِ الصّمدِ المهديَّ قولَه في الخمر:

حمــــراء مثـــل دم الغـــزال وتـــارةً عنـــد[1] المِـــزاج تَخـــالهـــا زِرْيـــابـــا

[٣/٢٦٤] / فقال له المهديّ: لقد أحسنتَ في وصفها إحسانَ مَن قد شربها، ولقد استحققتَ بذلك الحدَّ، فقال: أيؤمّنني أميرُ المؤمنين حتّى أتكلّمَ بحجّتي؟ قال: قد أمّنتُك، قال: وما يُدريك يا أمير المؤمنين أنّي أحسنت وأجدت صفتَها إن كنتَ لا تعرفها؟ فقال له المهديّ: أُعزُبْ قبّحك الله.

سمع له مثل ذلك مع الهادي:

قال الحسن وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن سعيد[2] الدمشقيّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار أنّ عكّاشة أنشد موسى الهاديَ هذا الشعرَ ثم أنشده قولَه:

كـأنّ فُضـولَ الكـأس مـن زَبَـداتهـا[3] خَلاخِلُ شُدّت بالجُمان إلى حَجْلِ[4]

فقال له موسى: والله لأجلِدنَّك حدّ الخمر، قال: ولم يا أمير المؤمنين! إنّما نقول ولا نفعل، فقال: كذبتَ، قد وصفتَها صفة عالمٍ بها، قال: فاجعل لي الأمان حتّى أتكلّم بحُجّتي، قال: تكلّم وأنت آمِنٌ، قال: أجَدتُ وصفَها أم لم أُجِدْ؟ قال: بلى قد أجدتَ، قال: وما يُدريك أني أجدتُ إن كنتَ لا تعرفها! إن كنتُ وصفتُها بطبعي دون امتحاني فقد شِركتَني في ذلك بطبعك، وإن كان وصفُها لا يُعلَم إلا بالتجربة فقد شرِكتَني أيضاً فيها؛ فضحك موسى وقال له: قد نجوتَ بحيلتك منّي، قاتلك الله فما أدهاك!.

[٣/٢٦٥] / ما غنى فيه من شعره:

ومما وجَدْتُ فيه غناءً من شعر عُكّاشة قولُه:

وجـاؤوا إليـه بـالتّعـاويـذ[5] والـرُّقَـى وصَبّوا عليه الماء من شدّة النُّكْسِ[6]

وقـالـوا بـه مـن أعيـن الجـنّ نَظـرةٌ ولـو صـدَقـوا قـالـوا بـه أعيـنُ الإنـسِ

الغناء لعَريبَ. ومنها:

طَـرفـي يـذوب ومـاءُ طَـرفِـك جـامـدُ وعلـيَّ مـن سِيمَـا هـواكِ شـواهـدُ

هـذا هـواكِ قسَمتِـه بيـن الـورى ومنحتِنِـي أرَقـاً وطَـرفُـكِ راقـدُ

فعلـيَّ منـه اليـومَ تسعـةُ أسهُـمٍ وعلـى جميـع النّـاسِ سهـمٌ واحـدُ

الغناء لجَحْظة. ومنها:

---

(١) الرواية فيما سبق ص ٢٦٠: «بعد».

(٢) كذا في ء، م، أ وهو الموافق لما تقدّم في ص ٣٠٥ ج ١ «أغاني» من هذه الطبعة، وفي باقي الأصول: «سعد».

(٣) الزبدات: جمع زبدة وهي الطائفة من الزبد الذي هو طفاوة الماء والجرة واللعاب ونحوها.

(٤) الجمان: اللؤلؤ أو حب من فضة يعمل على شكل اللؤلؤ، والحجل (بالفتح والكسر): الخلخال.

(٥) التعاويذ: جمع تعويذة وهو ما يرقى به من فزع أو جنون ونحوه، ويقال على ما يكتب ويعلق على الإنسان للحفظ من العين ونحوها من الآفات فيما يزعمون، وتسمى المعاذات، وقد ورد في الحديث النهي عن تعليقها.

(٦) النكس: العود في المرض، يقال: نكس المريض إذا عاودته العلة بعد النقه، ويقال: تعسا له ونكسا بضم النون، وقد تفتح ازدواجاً.

غَـادِ[١] الهـوى بـالكـأس بـردًا وأطِـع إمـارةَ مـن تَبـدّى[٢]

ومنها:

كما أشتهت خُلقت حتّى إذا أعتدلت تمّت قَواماً فلا طولٌ ولا قِصَرُ

ومنها:

وزَعفرانيّة في اللّون تحسَبُها إذا تأمّلتَها في جِسم كافُورِ

تخال أنّ سَقِيط الطّلّ بينَهما دمعٌ تَحيّر في أجفان مَهْجُورِ



(١) كذا في أ، م،د، وهو فعل أمر من «غادي» بمعنى باكر. وفي باقي الأصول «عاد» بالعين المهملة.

(٢) كذا بالأصول، ولعلها «تندّى» بمعنى تفضّل وتسخّى، يقال: «هو يتندى على إخوانه» أي يتفضل ويجود عليهم.

[٢٦٦

/ أخبار عبد الرحيم الدفاف ونسبه

نسبه والخلاف في اسم أبيه:

عبد الرّحيم بن الفَضْل الكُوفيّ، ويُكنَى أبا القاسم، وقيل: هو عبد الرحيم بن سعد، وقيل: عبد الرحيم بن الهَيْثَم بن سعد، مولًى لآل الأشعث بن قَيْس، وقيل: بل هو مولًى خُزَاعة.

سمعه حماد الراوية يغني:

ذكر أبو أيّوب المدِينيّ أنّ حمّاداً الراويةَ حدّثه قال: رأيتُ عبدَ الرَّحيم الدفَّاف أيّامَ هارون الرشيد[١] بالرَّقّة وقد ظَهَرْتُ[٢]، فحضَرني وسمعتُه يغنّي يومئذ صوتاً سئل عنه فذكر أنّه من صَنْعته، وهو: /

فَـديتُـكِ لـو تَـدْرِيـن كيـف أحِبّكـم   وكيـف إذا مـا غِبـتُ عنـكِ أقـولُ

كان منقطعاً إلى عليّ بن المهدي:

وكان عبد الرحيم منقطعاً إلى عليّ بن المهديّ المعروف بأمّه رَيْطَة بنت أبي العبّاس.

غنى في شعر عرّض فيه بالرشيد فجلده:

٨١/٣ / فأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيدَ المبرّد قال حدّثني عبد الصّمد بن المُعذَّل قال: غنّت جاريةٌ يوماً بحضرة الرشيد:

قُـل لعلـيّ أيـا فتـى العـربِ   وخيـرَ نـامٍ وخيـرَ مُكتسِـبِ

أعـلاك جَـدّاك يـا علـيّ إذا   قصّـر جَـدٌّ عـن ذروة الحسـبِ

[٢٦٧/١ / فأمر بضرب عنقها، فقالت: يا سيّدي ما ذنبي! هذا صوت عُلِّمْتُه، والله ما أدري من قاله ولا فيمن قيل؛ فعلم أنّها صدقت، فقال لها: عمّن أخذته؟ فقالت: عن عبد الرحيم الدّفّاف، فأمر بإحضاره فأُحضِر، فقال له: يا عاضَّ بَظْرِ أمه، أتغنّي في شعرٍ تُفاخِر فيه بَيني وبين أخي! جرِّدوه، فجرَّدوه، ودعا له بالسياط، فضُرب بين يديه خمسَمائة سوطٍ.

غنى لعليّ بن المهدي فأجازه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أبن مَهْرُويَهْ قال حدّثنا عبدالله بن أبي سَعْد عن القَطِرانيّ عن محمد بن جَبْر قال:

---

(١) كذا في جميع الأصول، والمعروف أن حماداً الراوية لم يبق إلى أيام هارون الرشيد، فإن حماداً توفي في خلافة المنصور سنة ١٥٥ هـ. وقيل توفي في خلافة المهدي التي تنتهي بسنة ١٦٩ هـ، وعلى كلتا الروايتين تكون وفاة حماد قبل خلافة الرشيد التي تبتدىء بسنة ١٧٠ هـ.

(٢) يشير حماد بقوله: «وقد ظهرت» إلى أنه كان مطّرحاً مجفوّاً حتى اختفى في أيام العباسيين بسبب تقدمه وإيثاره عند ملوك بني أمية ومنادمته لهم كما جاء في ترجمته في الجزء الخامس من «الأغاني» طبعة بولاق.

قال لي عبد الرحيم بن القاسم الدفّاف: دخلتُ على عليّ بن رَيطة يوماً وسِتارتُه منصوبةٌ، فغنّت جاريتُه:

أُنــاسٌ أمِنّــاهــم فنَمُّــوا حــديثَنــا ... فلمــا كتَمنــا الســرَّ عنهــم تقــوَّلــوا

فقلت: أرأيتَ إن غنّيتُك هذا الصوتَ وفي تمامه زيادةُ بيتٍ واحدٍ، أيّ شيء لي عليك؟ قال: خِلعتي التي عليّ، فغنّيته:

فلــم يحفَظــوا الــوُدَّ الــذي كــان بيننــا ... ولا حيــنَ هَمّــوا بــالقَطيعــة أجملــوا[1]

قال: فنزع خِلعتَه فخلَعها عليّ، وأقمتُ عنده بقيّةَ يومي على عربدةٍ كانت فيه.

الشعر لعباس بن الأحنف، والغناء لعبد الرحيم الدّفّاف هَزَجٌ بالبنصر. وهذا أخَذه العبّاس من قول أبي دَهْبَل:

صـوت

أمِنّــا أُنــاســاً كنــتِ تــأتمنيهــم ... فــزادوا علينــا فــي الحــديــث وأوْهَمُــوا

وقــالــوا لهــا مــا لــم نقــل ثــمّ أكثــروا ... علــيّ وبــاحــوا بــالــذي كنــتُ أكتُــم [٣/٢٦٨]

/ وفي هذين البيتين أغانيُّ قديمةٌ: منها لحنٌ لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسبّابة في مجرى الوُسطَى عن إسحاق. ولابن زرزور[2] الطائفيّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه خفيفُ رَمَلٍ بالبِنصر والوُسطَى لمتيّم وعَرِيبَ.

صوت
من المائة المختارة

بَكَــرتْ سُمَيّــةُ غُــدْوةً فتمتَّعِــي ... وغــدتْ غُــدُوَّ مُفَــارقٍ لــم يَــرْبَــعِ

وتَعَــرّضــتْ لــكَ فــاستبتــكَ بــواضــحٍ ... صَلْــتٍ كمُنْتَــصّ الغــزال الأتلــعِ

عَروضُه من الكامل. والشعر للحادِرة الثَّعْلَبيّ، والغناء في اللحن المختار لسَعيد بن مِسْجَح، وإيقاعُه من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوَتر في مجزى البِنْصر عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانةَ أنه لابن مُحْرِز. وفيهما للغَرِيض ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر عن عمرو. وفيهما خفيفُ رملٍ بالوُسْطَى لابن سُرَيج عن حبش.

ومما يُغَنّى فيه من هذه القصيدة:

أسُمَــيّ مــا يُــدريــكِ كــم مــن فِتْيــة ... بــادرتُ[3] لَــذّتَهــم بــأدكَــنَ مُتْــرَعِ

/ بَكَروا علــيّ بسُحْــرة فصَبَحتُهــم ... مــن عــاتــقٍ كــدَمِ الــذبيــح مُشَعْشَــعِ $\frac{٨٢}{٣}$

غنّاه مالك، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو. وفيه لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ آخر أيضاً. وفيهما لعَلُّويَة ثقيلٌ أوّلُ صحيحٌ من جيّد صَنعته. قوله: فتمتّعي يخاطب نفسه، أي تمتّعي منها قبل فِراقها. ولم يربَع: لم يُقِم. والواضح الصَّلْت: / يعني عُنُقَها، وأصل الصلت: الماضي، ومنه الناقة المِصْلاتُ: الماضية، وشَدّ عليه بالسيف [٣/٢٦٩]

---

(١) في جميع الأصول «أجمل» بدون ضمير الجماعة والصواب ما أثبتناه.

(٢) هكذا ورد في جميع الأصول، وقد تقدّم في ص ٢٥٩ ج ١ «أغاني» من هذه الطبعة اختلاف النسخ فيه وروده في بعضها «زرزر» بغير واو.

(٣) بادرت: عاجلت. وفي ب، س، حـ: «باكرت».

صَلْتاً أي خارجاً من غِمْده. والصلت في هذا الشعر: الطويل الذي لا قِصَرَ فيه. والمنتصّ: المنتصب، يقال: أنتصّ فلان أي أنتصب، ومِنَصّه العَرُوس مأخوذةٌ من هذا، ومنه نَصّ الحديثَ: رَفَعه إلى صاحبه. وأستبتك: غلبتْك على عقلك. والواضح: الخالص الأبيض. وأدكن مُترَع يعني الزِّقّ. والمشعشَع: المُرَقْرَق بالماء.

[٢٧٠/٣]

/ أخبار الحادرة ونسبه

نسب الحادرة وسبب لقبه بذلك:

الحادرة لَقَبٌ غلَب عليه، والحُوَيْدِرة أيضاً؛ واسمه قُطْبة بن أَوْس بن مِحْصَن بن جَرْوَل بن حَبيب بن عبد العُزّي بن خُزَيمة بن رِزَام بن مازِن بن ثَعْلبةَ بن سعد[١] بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان[٢] بن مُضَر بن نِزَار، شاعرٌ جاهليّ مُقِلٌّ. أخبرني بنسبه هذا محمد بن العبّاس اليَزِيديّ عن عبد الرحمن بن عبدالله بن قُرَيب أبن أخي الأصمعيّ عن عمّه. قال: وإنما سُمِّي الحادرةَ بقول زَبّان[٣] بن سَيّار الفَزَاريّ له:

كـأنـك حـادرةُ المَنكِبَيْـ ـنِ رَصْعاءُ تُنقِض في حائرِ[٤]
عجـوزُ ضَفَـادعَ محجـوبـةٌ[٥] يَطِيـفُ بهـا وِلْـدةُ الحـاضـرِ[٦]

قال: والحادرة: الضخم.

وذكر أبو عمرو الشَّيْبانيّ أن الحادرةَ خرج هو وزَبّان الفَزَاريّ يصطادانِ فاصطادا جميعاً، فخرج زَبّان يشتوي ويأكلُ في الليل وحدَه؛ فقال الحادرة:

تـركـتَ رفيـقَ رَحْلِـكَ قـد تـراه وأنـت لِفِيـكَ فـي الظَّلْمـاء هـادِي

[٢٧١/٣] / فحَقَدها عليه زبّان، ثم أتيَا غديراً فتجرّد الحادرة، وكان ضخم المنكبينِ أرسح، فقال زَبّان:

كـأنـك حـادرةُ المنكِبَيْـ ـنِ رصعـاء تُنقِض في حـائـرِ

فقال له الحادرة:

لَحَـا اللّـهُ زَبّـانَ مـن شـاعـرٍ أخِـي خَنْعَـةٍ[٧] فـاجـر غـادرِ
كـأنـك فُقّـاحـةٌ[٨] نَـوّرتْ مـع الصبـح فـي طَـرَف الحـائـرِ

---

(١) يتصل في سعد هذا نسب الحادرة بنسب أبن ميادة الذي وردت ترجمته في الجزء الثاني من هذه الطبعة صفحة ٢٦١، وبمراجعة النسبين تجد أن بعض الأسماء سقط من نسب الحادرة هنا.

(٢) في م: «قيس عيلان» بسقوط كلمة «أبن» وكلاهما وارد.

(٣) ذكر صاحب «شرح القاموس» في مادة «زبب» أنه قد يكون مشتقاً من «زبن» فيصرف أو من «زبب» فيمنع من الصرف. وكذلك ذكر ابن دريد في كتاب «الاشتقاق» (ص ١٢٦ طبع أوروبا).

(٤) حادرة المنكبين: ممتلئتهما. والرصعاء: الرسحاء وهي خفيفة لحم العجيزة والفخذين. وتنقض: تنقّ، يقال: أنقضت الضفدع تنقض إنقاضاً إذا صوّتت، (انظر «شرح ابن الأنباري للمفضليات» ص ٥٠). والحائر: مجتمع الماء.

(٥) كذا في الأصول، وفي «المفضليات» ص ٤٩ طبع بيروت «قد حدرت».

(٦) الحاضر: المقيم على الماء، ويقال: حي حاضر إذا كانوا نازلين على ماء عِدّ.

(٧) الخنعة: الريبة والفَجْرة.

(٨) الفقاحة: واحدة الفقاح، وفقاح كل نبت زهره حين يتفتح على أيّ لون كان.

فغَلَب هذا اللقبُ على الحادرة.

كان حسان بن ثابت معجباً بقصيدته * بكرت سمية *:

حدّثني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال حدّثني عمّي قال سمعت شيخاً من بني كِنانة من أهل المدينة يقول:

كان حسّان بن ثابت إذا قِيل له: تُنُوشدَتِ الأشعارُ في موضع كذا وكذا يقول: فهل أُنشِدتْ كلمةُ الحُوَيْدِرة:

* بَكَرتْ سُمَيّةُ غُدْوةً فتَمتّعِي *

قال أبو عُبَيْدة: وهي من مختار الشعر، أصْمَعِيّةٌ مُفضَّلِيّةٌ.

سبب الهجو بينه وبين زبّان بن سيّار:

نسخت من كتاب ابن الأعرابيّ قال حدّثني المفضَّل قال:

كان الحادرةُ جاراً لرجل من بني سُلَيم، فأغار زَبّان بن سيّار على إبله فأخذها فدفعها إلى رجلٍ من أهل وادِي القُرَى يهوديٍّ، وكان له عليه دَيْنٌ فأعطاه إيّاها بدينه، وكان أهلُ وادي القرى حُلَفاءَ لبني ثَعْلَبة؛ فلما سمع اليهوديّ بذلك قال: سيجعل الحادرةُ هذا سبباً لنقض العهد الذي بيننا وبينه، ونحن نقرأ الكتاب / ولا ينبغي لنا أن نَغْدِرَ، [٣/ ٢٧٢] فردّ الإبلَ على الحادرة فردّها على جاره، ورجع إلى زَبّان فقال له: أعطِني مالي الذي عليك، فأعطاه إياه زَبّان، ووقع الهجاء بينه وبين الحادرة؛ فقال الحادرة فيه:

لِعَمْـرةَ بيـن الأخـرمَيْـنِ[١] طلـولُ ... تَقَـادمَ منهـا مُشْهِـرٌ[٢] ومُحِيـلُ
وَقَفْتُ بهـا حتى تعـالَى لِيَ الضُّحَى ... لأُخبَـرَ عنهـا إنّنـي لَسَئُـولُ

يقول فيها:

فـإن تَحْسَبـوهـا بـالحجـابِ ذليلـةً ... فمـا أنـا يـومـاً إن رَكِبـتُ ذليـلُ
سـأمنَعُهـا فـي عُصْبـةٍ ثَعْلبيّـةٍ ... لهـم عَـدَدٌ وافٍ وعِـزٌّ أصيـلُ[٣]
فـإنْ شِئتُـم عُـدْنـا صـديقـاً وعُـدْتُـم ... وإمّـا أبيتـم فـالمُقَـامُ زَحُـولُ[٤]

قال: ولَجَّ الهجاء بينهما بعد ذلك فكان هذا سببَه.

غزوة بني عامر وما قاله الحادرة فيها من الشعر:

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ يذكر عن أبيه:

---

(١) الأخرمان: مثنى أخرم وهو اسم لعدّة مواضع: منها جبل في ديار بني سليم وجبل قبل تُوز بأربعة أميال من أرض نجد وجبل في طرف الدهناء، وهو يأتي في الشعر بالإفراد بالتثنية، قال المسيّب بن عَلَس:

ترعى بأرض الأخرمين له ... فيها موارد ماؤها غدق

(٢) أي مرت عليه شهور وأحوال فغيرته. وفي ب، س: «مسهر» بالسين المهملة وهو تحريف.

(٣) وقع في هذا البيت الاعتماد وهو عدم حذف الخامس من فعولن التي قبل القافية. انظر الحاشية رقم ٢ ص ٦٧ من هذا الجزء.

(٤) زحول: بعيد.

أن جيشاً لبني عامر بن صَعْصَعة أقبل وعليهم ثلاثةُ رؤساء: ذُؤابُ بن غالِب من عُقَيْل ثم من بني كَعْب بن رَبيعة، وعبدُالله بن عمرو من بني الصَّمُوت، وعُقَيلُ بن مالك من بني نُمَير[١]، وهم يريدون غَزْو بنِي ثَعْلبةَ بن سَعْد رهطِ الحادرة / ومن معهم من مُحَارِب، وكانوا يومئذ معهم، فنَذِرَتْ[٢] بهم بنو ثعلبة، فركب قيس بن مالك المُحارِبيُّ الخَصَفِيّ وجُوَيَّة بن نَصْر الجَرْميّ أحد بني ثَعْلبة للنظر إلى القوم، فلما دَنَوا منهم عرَف عُقَيْل بنُ مالك النميريّ[٣] جُوَيَّةَ بن نَصْر الجَرْميّ، فناداه: إليَّ يا جُوَيَّةَ بنَ نصر فإنّ لي خَبَراً أُسِرّه إليك؛ فقال: إليكَ أقبلتُ لكن لغير ما ظننتَ، فقال له: ما فعلتْ قَلُوصُ؟ ـ يعني امرأته ـ؛ فقال: هي في الظُّعُن أسَرَّ ما كانت قطُّ وأجمله؛ ثم حَمَل كلّ واحدٍ منهما على صاحبه واختلفا طَعْنتين[٤] فطَعَنه جُوَيَّةُ طعنةً دقّت صُلْبَه، وانطلق قيس بن مالك المُحَارِبيّ إلى بني ثعلبة فأنذرهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فهُزِمَتْ بنو نُمَيْر وسائرُ بني عامر ومات عُقَيْل النُّمَيْرِيّ وقُتِل ذؤابُ بن غالب وعبدُالله بن عمرو أحدُ بني الصَّمُوت؛ فقال الحادرة في ذلك:

كأنّ عُقَيلاً في الضُّحَى حَلَّقتْ به ... وطارتْ بِهِ في الجوّ عنقاءُ مُغرِبُ[٥]

ويروى: «وطارت به في اللَّوْح»، وهو الهواء.

وذي كَرمٍ يدعوكُمُ آلَ عامرٍ ... لدى مَعْرَكٍ سِرْبالُه يتصبَّبُ

رأت عامرٌ وقْعَ السيوف فأسلموا ... أخاهم ولم يعطِف من الخيل مرهبُ

وسلَّم لمّا أن رأى الموتَ عامرٌ ... له مركبٌ فوق الأسنّة أحْدبُ

[٣/٢٧٤] / إذا ما أظلّتْه عَوالي رماحِنا ... تدلَّى به نَهْدُ[٦] الجُزارة مِنْهَبُ[٧]

على صَلَوَيْه[٨] مُرْهَفاتٌ كأنها ... قوادمُ نَسرٍ بُزّ عنهنّ مَنْكِبُ

قال: وفي هذه الوقعة يقول خِداشُ بن زُهَير:

أيا أخَوَيْنا من أبينا وأُمِّنا ... إليكم إليكم لا سبيلَ إلى جَسْرِ

٨٤/٣ / جَسْر: قبيلة من مُحَارِب. قال: وهذا اليومُ يُعرَفُ بيوم شُوَاحِطٍ، قبيلة من محارب[٩].

(١) كذا في نسخة الشيخ الشنقيطي طبع بولاق مصححة بقلمه، ويؤيده ما يأتي في سياق الخبر من نسبة عُقيل إلى بني نُمير ولأن الظاهر من الخبر أن الرؤساء الثلاثة من بني عامر بن صعصعة، ونمير من بني عامر بن صعصعة ككعب بن ربيعة، وعامر بن صعصعة من قبائل قيس، ولا صلة لها بتميم. وفي جميع الأصول: «تميم».

(٢) نذر بالشيء (كفرح): علمه.

(٣) في ب، س، م: «النمري» وهو تحريف.

(٤) أي اختلفت طعنتاهما فكانت إحدى الطعنتين في إثر الأخرى.

(٥) يقال: عنقاء مغرب على النعت وعنقاء مغرب على الإضافة. والعنقاء: طائر معروف الاسم مجهول الجسم؛ والعرب إذا أخبرت عن هلاك شيء قالت: حلّقت به في الجوّ عنقاء مغرب.

(٦) نهد الجزارة: ضخمها، والجزارة في الأصل: أطراف الجزور وهي اليدان والرجلان والرأس؛ والمراد هنا أطراف فرس، وإذا قالوا: «فرس ضخم الجزارة» فإنما يراد غلظ اليدين والرجلين وكثرة عصبها، ولا يدخل الرأس في هذا لأن عظم الرأس هجنة في الخيل.

(٧) المنهب: الفرس الفائق في العدو.

(٨) الصلا: وسط الظهر من الناس ومن كل ذي أربع وما انحدر من الوركين، وقيل: الفرجة بين الجاعرة والذنب، وقيل: ما عن يمين الذنب وشماله، وهما «صلوان» والجمع: صلوات وأصلاء.

(٩) هذه الكلمة (قبيلة من محارب) وردت هكذا في جميع الأصول، والظاهر أنها من زيادات النساخ لأن شواحطاً جبل مشهور بين مكة والمدينة وهو الجبل الذي أغارت به سرية من بني عامر على إبل لبني محارب (انظر «معجم ياقوت» و «معجم ما استعجم» للبكري =

يوم الكفافة وما قاله الحادرة فيه من الشعر:

وقال أبو عمرو: خرج خارجةُ بن حِصْن في جمع من بني فَزَارة ومن بني ثَعْلَبة بن سعد وهو يريد غزو بني عَبْس بن بَغِيض، فلقُوا جيشاً لبني تَميم على ماءٍ يقال له «الكُفَافة» وتميم في جمع سعد والرِّباب وبني عمرو، فقاتلوهم قتالاً شديداً وهُزِمَتْ تميم وأُجْفلت، وهذا اليومُ يقال له: «يومُ كُفَافة»، فقال الحادرة في ذلك:

ونحن مَنَعْنا من تميم وقد طغت ... مَراعي المَلاَ حتى تضمَّنها نجدُ

كَمعْطَفِنا يومَ الكُفَافة[1] خَيْلَنا ... لتَتْبَع أُخْرَى الجيش إذ بلغ الجِدُّ

/ على حين شالتْ[2] وأستَخَفَّتْ رجالَهم ... جلائبُ[3] أحياءٍ يسيلُ بها الشدُّ [٣/٧٥]

إذا هي شَكَّ السَّمْهَرِيُّ نحورَها ... وخامت[4] عن الأبطال أتعبها القِدُّ[5]

تَكُرُّ سِرَاعاً في المَضِيق عليهمُ ... وتُثْنَى بِطاءً ما تخُبُّ ولا تَعدو

فأَثْنُوا علينا لا أَبَاً لأبيكُمُ ... بإحساننا إن الثناءَ هو الخُلْدُ



= في اسم «شواحط».

(١) كفافة (بضم الكاف): اسم ماء صارت به وقعة بين فزارة وبني عمرو بن تميم كما تقدّم، وقد استشهد عليه ياقوت بهذا البيت هكذا:
كمحبسنا يوم الكفافة خيلنا ... لنُوردَ أخرى الخيل إذ كُرِهَ الوِرْدُ

(٢) شالت: رفعت ذنبها.

(٣) كذا في أ، م، ء. وفي سائر النسخ: «حلائب» بالحاء وهو تحريف.

(٤) خامت: نكصت وجبنت.

(٥) القدّ: سير يقدّ من جلد يقيّد به.

[٣/ ٢٧٦]

/ أخبار ابن مِسْجَح ونسبه

ولاؤه، وهو مغن أسود متقن نقل غناء الفرس:

سعيد بن مِسْجَح أبو عثمان مولى بني جُمَح، وقيل: إنه مولى بني نَوْفَل بن الحارث بن عبد المطَّلِب. مكيٌّ أسودُ، مُغنٍّ متقدّمٌ من فحول المغنِّين وأكابرهم، وأوّلُ من صنع الغِناءَ منهم، ونقل غِناءَ الفُرس إلى غِناءِ العرب، ثم رحَل إلى الشأم وأخَذ ألحانَ الروم والبَرْبَطِيّة[1] والأسطوخوسيّة، وأنقلب إلى فارس فأخذ بها غِناءً كثيراً وتعلّم الضربَ، ثم قَدِم إلى الحجاز وقد أخذ محاسنَ تلك النَّغَم، وألقى منها ما أستقبحه من النَّبَرات والنغَم التي هي موجودةٌ في نَغَم غِناء الفُرْس والروم خارجةً عن غناء العرب، وغنّى على هذا المذهبِ، فكان أوّلَ من أثبت ذلك ولحنَّه وتبِعه الناس بعدُ.

علّم أبن سريج والغريض الغناء:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان، والحسين بن يحيى قالا: حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن هِشَام بن المُرِّيّة: أنّ أوّلَ من غنّى هذا الغناء العربيَّ بمكّةَ ابنُ مِسْجَح مولى بني مَخْزُوم، وذلك أنه مرَّ بالفُرس وهم يَبْنون المسجدَ الحرام، / فسمِع غِناءَهم بالفارسيّة فقلبه في شعرٍ عربيٍّ؛ وهو الذي علَّم ابنَ سريج والغَرِيضَ، وكان ابن مِسْجَح مولَّداً أسودَ يُكْنَى بأبي عيسى. [٣/ ٢٧٧]

احتراق الكعبة في عهد أبن الزبير وبناؤه لها:

أخبرني محمد بن عُبَيد الله بن محمد الرازيّ قال حدّثنا أحمد[2] بن الحارث الخرّاز[3] عن المدائنيّ، وذكر إسحاق عن المدائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ قال:

كان سببُ بناء ابن الزُّبَير الكعبةَ لما أحترقت، أنّ أهلَ الشأم لما حاصروه سمع أصواتاً بالليل فوق الجبل

---

(١) كذا في الأصول. وقد رأى الأب أنستاس ماري الكرملي أن تكون هذه الكلمة محرفة عن «البزنطية» (بضم الباء الموحدة وفتح الزاي يليها نون ساكنة بعدها طاء مكسورة ثم ياء مثناة مشدّدة وفي الآخر هاء): نسبة إلى بزنطية وهي مدينة القسطنطينية قبل أن تبنى، ويراد بالبزنطية قوم من الروم الشرقيين عرفوا بهذا الاسم منذ عهد قسطنطين الكبير إلى سقوط القسطنطينية بيد الترك.
ثم قال: وأما الأسطوخوسية فيراد بهم قوم آخرون من أسطوخوس أو أسطوخادس، وهي جزيرة في جنوبيّ فرنسا كان أهلها معروفين بالقصف والغناء والأنس، كما هم عليه إلى هذا العهد، وكان سكانها خليطاً من الروم واليونانيين والقلطيّين وبقايا الفلسطينيين.
(انظر المجلد الثاني من «مجلة الزهراء» ص ٣٥٨ ـ ٣٦١).

(٢) في جميع الأصول: «محمد»، وقد تقدّم في مواضع متعدّدة أنّ الذي يروى عن المدائنيّ هو أحمد بن الحارث الخرّاز وهو صاحبه وراويته.

(٣) تقدم فيما كتبناه عن هذا الاسم في (ص ١٧١ ج ٢ حاشية رقم ٢) أنه الخزاز بزايين معجمتين، اعتماداً على وروده كذلك في «فهرست ابن النديم». وقد ذكره الذهبي في «المشتبه في أسماء الرجال» (ص ٩٨) الخراز بالراء المهملة وآخره زاي نسبة إلى خرز الحلود، وكذلك ذكره السمعاني في «الأنساب» (ورقة ١٩١ في الوجه الثاني) وذكر كلاهما أنه راوية المدائني، وذكره شارح «القاموس» في مادة خرز وسماه خطأ أحمد بن خلف.

فخاف أن يكون أهلُ الشأم قد وصلوا إليه، وكانت ليلةً ظلماءَ ذاتَ ريح شديدةٍ صعبةٍ ورعدٍ وبرقٍ، فرفع ناراً على رأس رمح لينظرَ إلى الناس فأطارتها الريح فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها وأستطالت فيها، وجهد الناسُ في إطفائها فلم يقدِروا، وأصبحت الكعبةُ تتهافتُ[1] وماتت أمرأة من قريش، فخرج الناسُ كلُّهم في جنازتها خوفاً من أن ينزلَ العذابُ عليهم، وأصبح ابن الزُّبَير ساجداً يدعو ويقول: اللهم إني لم أتعمّد ما جرى فلا تُهلِك عبادَك بذنبي وهذه ناصيتي بين يديك؛ فلمّا تعالى النهارُ أَمِنَ وتراجَعَ/ الناسُ، فقال لهم: اللّهَ اللّهَ أن ينهدمَ في بيت أحدكم حجرٌ فيزولَ عن موضعه فيبنيَهُ ويُصلحَه وأتركَ الكعبةَ خراباً؛ ثم هدمها مبتدئاً بيده وتبعه الفَعَلَةُ حتى بلغوا إلى قواعدها، ودعا ببنَّائِين من الفُرس والروم فبناها. ٨٥/٣

نقل غناء الفرس من بنّائي الكعبة الذين استقدمهم ابن الزبير:

قال إسحاق: وأخبرني أبن الكلبيّ عن أبي مِسْكِين قال:

كان سَعيد بن مِسْجَح أسودَ مولَّداً يُكنَى أبا عيسى مولًى لبني جُمَح، فرأى الفُرسَ وهم يعملون الكعبة لأبن الزُّبير ويتغنَّوْن بالفارسيّة فأشتقَّ غِناءَه على ذلك.

/ قال إسحاق: وحدّثني محمد بن سَلّام عن شُعَيب بن صَخْر وجَرِير قالا: [٣/٢٧٨]

كان سعيد بن مِسْجَح أسودَ وهو مولًى بني جُمَح يُكنَى أبا عيسى.

كان ولاؤه هو وأبن سريج لرجل واحد:

قال إسحاق: وحدّثني المدائني عن صَخْر بن جَعْفر عن أبي قَبِيل بمثل ذلك، وذكر أنه كان يُكنَى أبا عثمان. قال: وهو مولًى لبني نَوْفل بن الحارث كان هو وابنُ سُرَيج لرجلٍ واحدٍ، ولذلك قَبِل عنه أبنُ سُرَيج.

أبن مسجح في حداثته:

قال إسحاق: وحدّثني الهَيْثَم بن عَدِيّ عن صالح بن حَسّان فذكر مثل ما ذكر أبو قَبِيل من كنيته وولائه، وقال: كان أبن مسجح فَطِناً كيِّساً ذكيّاً، وكان أصفرَ حسنَ اللون، وكان مولاه مُعْجَباً به، وكان يقول في صِغره: لَيكونَنَّ لهذا الغلام شأنٌ، وما منعني من عتقه إلا حسنُ فِراستي فيه، ولئن عشتُ لأتعرَّفَنَّ ذلك، وإن مُتُّ فهو حرٌّ، فسمِعه مولاهُ يوماً وهو يتغنَّى بشعر أبن الرِّقَاعِ العامليِّ، وهو من الثقيلِ الأوّلِ بالسبّابة في مجرى الوسطى:

صوت

ألِمّ على طلَلٍ عفَا متقادمِ ... بين اللُّكَيكِ[2] وبين غَيْب الناعمِ[3]

---

(١) أي لتساقط حجراً حجراً.

(٢) اللكيك كأمير ويقال له اللكاك، رواه ابن جبلة «اللكاك» كغراب، وضبطه الصاغانيّ بالكسر ككتاب وقال: هو موضع في ديار بني عامر، وقال غيره: بحزن بني يربوع؛ انظر «شرح القاموس»، وقد ضبطه ياقوت في «معجم البلدان» بالكسر ككتاب ولم يذكر اللكيك.

(٣) غيب الناعم: موضع قال عنه ياقوت: إنه ورد في قول عديّ بن الرقاع وذكر البيت هكذا:

ألمم على طلل عفا متقادم ... بين الذؤيب وبين غيب الناعم

لــولا الحيــاء وأنّ رأســي قــد عثــا[1] فيــه المشيــبُ لــزرتُ أمّ القــاسِــمِ

[٣/٢٧٩] / فدعا به مولاه فقال له: يا بُنَيَّ أعِدْ ما سمعتُه منك عليّ، فأعاده فإذا هو أحسنُ مما أبتدأ به، فقال: إن هذا لمن بعض ما كنتُ أقول، ثم قال: أنّى لك هذا؟ قال: سمعتُ هذه الأعاجمَ تتغنّى بالفارسيّة فثقفتُها[2] وقلبتُها في هذا الشعر، قال له: فأنت حرٌّ لوجه الله، فلزم مولاه وكثُر أدبُه واتسعَ في غنائه ومهَر بمكّةَ وأُعجِبُوا به لظَرْفِهِ وحُسْنِ ما سمعوه منه، فدفَع إليه مولاه عُبيدَ بن سُرَيج، وقال له: يا بُنَيّ علِّمه وأجتهدْ فيه؛ وكان أبنُ سُرَيج أحسنَ الناس صوتاً، فتعلَّم منه ثم برَّزَ عليه حتى لم يُعرَف له نظيرٌ.

غناء نافع الخير عند رجل من قريش:

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء قال حدّثنا الزُّبَيرُ بن بكّار قال حدّثنا أخي هارونُ عن ابن المَاجِشُون عن شيخ من أهل المدينة، وأخبرني محمدُ بنُ خَلَف بن المَرْزُبان والحسين بن يحيى قالا أخبرنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر أبنُ الكلبيّ عن أبي مِسْكِينٍ عن شيخ من أهل المدينة قال:

دخلتُ على رجل من قريش بالمدينة وعنده رجل ساكنُ الطَّرْف نبيلٌ تأخذه العينُ، لا أعرفه؛ فقال له القرشيّ: أقسمتُ عليك إلاّ ما غنّيتَ صوتاً، فحوّل خاتَمه من خِنصره اليُسْرَى إلى بِنصَره اليُمْنَى، ثم تناول قَدَحاً، فغنّاه لحن أبنِ سُرَيج في شعر كعب بن جُعَيلٍ:

إذا أمتشطتْ[3] عَالَــوْا لهــا بــوِسادةٍ ومــدّتْ عَسِيــبَ المتــن أن يتعَفّــرَا

ثَــوَتْ نصــفَ شهــر تحسَــبُ الشهــرَ ليلــةً تُناغي[4] غَزَالاً ساجِيَ[5] الطرف أحوَرَا

٨٦/٣ / تَــزَيَّــنُ حتــى تَسلُــبَ المــرءَ عقلَــه وحتــى يَحَــارَ الطــرْفُ فيهــا ويَسْكَــرا[6]

[٣/٢٨٠] / ثم غنّى في شعر تَوْبَةَ بن الحُمَيِّر:

وغَيّــرنــي إن كنــتِ لَمّــا تَغَيّــري هــواجــرُ تَكْتَنِيَنَهــا وأسِيــرُهــا

وأدْمَــاء[7] مــن سِــرِّ المَهَــارَى[8] كــأنهــا مَهَاةٌ[9] صُوَارٍ[10] غيرَ مــا مَسّ كُورُهــا

(١) كذا في «لسان العرب» في مادة «عثا» وعثا: أفسد، يقال: عثا فيه المشيب أي أفسد، وفي جميع الأصول «عسا» بالسين المهملة، ولم يظهر له معنى إلا أن يكون بمعنى اشتدّ، من قولهم: عسا النبات عسواً أي غلظ واشتدّ.

(٢) ثقف الشيء: فهمه وأخذه.

(٣) كذا في حـ، وفي باقي النسخ: «إذا انتشطت» وهو تحريف.

(٤) المناغاة: المغازلة.

(٥) ساجي الطرف: فاتره ساكنه، والأحور: الأبيض الناعم.

(٦) يقال: سكرت عينه تسكر (من باب نصر) إذا تحيرت وسكنت عن النظر. وفي الأصول: «ويشكرا» بالشين وهو تحريف.

(٧) الأدماء: من الإبل التي أشرب لونها بياضاً مع سواد المقلتين.

(٨) السرّ: المحض، يقال: «هو في سر النسب» أي محضه وأفضله؛ والمهاري: جمع مَهْرِيةَ وهي إبل منسوبة إلى مهرة ابن حَيْدان، وقيل: هي منسوبة إلى بلد، وقال الأزهري: هي نجائب تسبق الخيل.

(٩) المهاة: البقرة الوحشية.

(١٠) الصوار: قطيع البقر.

قطعتُ بها أجوازَ[١] كلّ تَنُوفةٍ ... مَخُوفٍ رَداها كلّما أستنَّ[٢] مُورُها

تَرى ضعفاءَ القومِ فيها كأنهم ... دَعَامِيصُ[٣] ماءٍ نَشَّ[٤] عنها غَدِيرُها

قال: فقلت له إني لأرْوِي هذا الشعرَ وما أعرِف هذه الأبيات فيه، فقال: هكذا رويتُها عن عبدالله بن جعفر، قال: وإذا هو نافعُ الخيرِ مولى عبدالله بن جعفر.

الغناء في هذين اللحنين لأبن مِسْجَح ولم أجد لهما طريقةً في شيء من الكتب التي مرَّتْ. وذكر حبشٌ أن في أبيات كَعْبِ بن جُعَيْلٍ لإبراهيمَ خفيفَ رملٍ بالوسطى.

دور معاوية بمكة:

حدّثني جعفرُ بن قُدَامةَ بن زِيَاد الكاتبُ وعمّي وحبيبُ بن نصر المهلّبيّ قالوا حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني عبدالله بن محمد بن موسى الهاشميّ قال حدّثني أحمد بن موسى بن حمزة بن عِمَارة بن صَفوانَ الجُمَحيّ عن أبيه قال:

/ أوّلُ مَنْ نقل الغناءَ الفارسيّ من الفارسيّ إلى الغناء العربيّ سعيدُ بن مِسْجَح مولى بني مَخْزُوم. قال: وقد [٣/٢٨١] يُختلَفُ في وَلَائِه إلا أن الأغلب عليه ولاءُ بني مخزوم، وذلك أنّ معاوية بن أبي سفيان لما بنى دُورَه التي يقال لها: «الرُّقْطُ»[٥] ـ وهي ما بين الدارَينِ إلى الرَّدْمِ[٦]: أوّلها الدارُ البيضاءُ وآخرها دارُ الحمّامِ، وهي على يسار المُصْعِدِ من المسجد إلى «رَدْمِ عُمَرَ» ـ حمل[٧] لها بَنَّائِينَ فُرْساً من العراق فكانوا يبنونها بالجِصّ والآجُرّ، وكان سعيدُ بن مِسْجَح يأتيهم فيسمع من غنائهم على بُنْيانِهم، فما أستحسَنَ من ألحانهم أخذه ونقله إلى الشعر العربيّ، ثم صاغ على نحو ذلك؛ وهو الذي عَلَّمَ الغريضَ، فكان من قديم غنائه الذي صنعه على تلك الأغاني:

صوت

أَسَلَامُ إنّكِ قد مَلَكْتِ فَأَسجِحي[٨] ... قد يملِكُ الحرُّ الكريمُ فيُسْجِحُ

مُنّي على عَانٍ أطَلْتِ عَنَاءَه ... في الغُلّ عندكِ والعُنَاةُ تُسَرَّحُ

إنّي لأنصَحُكُمْ وأعلَمُ أنه ... سِيَّانِ عندكِ مَنْ يَغُشُّ ويَنصَحُ

---

(١) الأجواز: جمع جوز وهو وسط الشيء ومعظمه، يقال: قطعوا جوز الفلاة وأجواز الفلا، والتنوفة: الفلاة التي لا ماء بها.

(٢) استن: هاج وثار من استن الفرس في المضمار إذا جرى في نشاطه على سنن؛ والمور: الغبار تثيره الرياح.

(٣) الدعاميص: دود أسود يكون في الغدران إذا نشّت، أو هو دود له رأسان يرى في الماء إذا قل.

(٤) نش الغدير: يبس ماؤه ونضب.

(٥) كذا في جميع الأصول، وقد تعرّض الأزرقيّ في «تاريخ مكة» لدور معاوية وذكر أنّ من بينها داراً تُسمّى «الرقطاء» وسميت بذلك لأنها بُنيتْ بالآجرّ الأحمر والجصّ الأبيض، ومنها «الدار البيضاء» وسمّيت بذلك لأنها بنيت بالجصّ ثم طليتْ به وكانت كلّها بيضاء، ثم ذكر بقيّة الدور بأسمائها ولم يذكر أنّ هناك دوراً تسمّى الرقط (انظره في صفحتي ٤٤٩ و ٤٥٠) طبع ليبسك.

(٦) يريد به ردم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد ذكر في «تاريخ مكة» (ص ٤٥٠) ولم يذكر ياقوت في «معجمه» إلا ردم بني جمح بن عمرو.

(٧) كذا في حـ. وفي أ، م: «فحمل» بالفاء وفي سائر النسخ: «فجعل» ولا موقع للفاء في سياق الكلام.

(٨) الإسجاح: حسن العفو، ومنه المثل السائر في العفو عند المقدرة «ملكت فأسجح» وهو مرويّ عن عائشة قالته لعلي رضي الله عنهما يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها ثم كلمهما بكلام، فأجابته: «ملكت فأسجح» أي ظفرت فأحسن وقدرت فسهل.

وإذا شكـوتُ إلـى سَـلامـةَ حُبَّهـا قـالـتْ أجِـدٌّ منـكَ ذا أم تَمـزَحُ

[٢٨٢/٣] / أخذ عنه معبد:

ـ الشعر للأحْوَص. والغناء لابن مِسْجَح ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر. ولِدَ حُمّان فيه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر. ولمالكٍ فيه خفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ ـ قال: وهو أوّل من غنّى الغناءَ العربيّ المنقولَ عن الفارسيّ. وعاش سعيدُ بنُ مِسجح حتى لقيَهُ معبدٌ وأخَذ عنه في أيام الوليد بن عبد الملك.

نفاه دحمان الأشقر وإلى مكة إلى الشأم فتوصل إلى عبد الملك وغناه فعفا عنه وأمر بردّ ماله إليه:

حدّثني عمّي والحسينُ بن القاسم الكوفيّ قالا جميعاً حدّثنا محمدُ بن سعيد الكُرانيّ قال حدّثني النضرُ بن عمرو قال حدّثني أبو أُميّةَ القرشيّ قال حدّثنا دَحْمَان الأشقرُ قال:

كنت عاملاً لعبد الملك بن مروان بمكة فنُمِيَ إليه أنّ رجلاً أسودَ يقال له: سعيدُ بنُ مِسجح أفسدَ فِتيانَ قريش وأنفقوا عليه أموالَهم، فكتب إليّ: أن اقبض مالَه وسَيِّرْهُ، ففعَلتُ./ فتوجّهَ ابنُ مِسجح إلى الشأم فصَحِبه رجلٌ له جَوارٍ مُغنّياتٌ في طريقه، فقال له: أين تُريدُ؟ فأخبره خبرَه، وقال له: أُريد الشأمَ، قال له: فتكونُ معي؟ قال: نعم، فصحبه حتى بلغا دِمَشقَ فدخلا مسجدَها فسألا: مَنْ أخصُّ الناس بأمير المؤمنين؟ فقالوا: هؤلاء النفرُ من قريش وبنو عمّه، فوقف ابنُ مسجح عليهم وسلّم ثم قال: يا فِتيانُ، هل فيكم مَنْ نُضيفُ رجلاً غريباً من أهل الحجاز؟ فنظر بعضُهم إلى بعضٍ وكان عليهم مَوعِدٌ أن يذهبوا إلى قَيْنَةٍ يُقَالُ لها: «بَرْقُ الأُفُقِ» فتثاقَلوا به إلا فتًى منهم تَذَمّم[1] فقال: أنا أُضيفُكَ، وقال لأصحابه: انطلقوا أنتم وأنا أذهبُ مع ضيفي، قالوا: لا، بل تجيء أنت وضيفُكَ، فذهبوا جميعاً إلى بيت القَيْنةِ، فلما أُتوا بالغداء قال لهم سعيدٌ: إني رجلٌ أسودُ ولعلّ فيكم من يَقْذَرُني فأنا أجلِسُ وآكلُ ناحيةً وقام، فاستحيَوْا منه وبعثوا إليه بما أكل، فلما صاروا / إلى الشراب قال لهم مثلَ ذلك، ففعلوا به، وأخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وُضِع لهما، فغنّتا إلى العِشاء ثم دخلتا، وخرجت جاريةٌ حَسَنةُ الوجهِ والهيئةِ وهما معها فجلستْ على السرير وجلستَا أسفلَ منها عن يمين السرير وشماله، قال ابن مِسجح: فتمثّلتُ[2] هذا البيتَ: [٢٨٣/٣]

فقـلـتُ أشمـسٌ أم مَصـابيحُ بِيعَـةٍ بدَتْ لكَ خلفَ السِّجْفِ أم أنت حَالـمُ

فغضبت الجارية وقالت: أيُضربُ هذا الأسودُ بي الأمثالَ! فنظروا إليّ نظراً مُنكراً ولم يزالوا يُسَكِّنونَها، ثم غنّتْ صوتاً، فقال ابن مِسجح: أحسَنْتِ واللهِ، فغضب مولاها وقال: أمثلُ هذا الأسودِ يُقدِمُ على جاريتي! فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده: قم فانصرِفْ إلى منزلي فقد ثَقُلْتَ على القوم، فذهبتُ أقومُ فتذمّم القوم وقالوا لي: بل أقِمْ وأحْسِنْ أدبَكَ فأقمتُ، وغنّتْ فقلتُ: أخطَأتِ واللّهِ يا زانيةُ وأسأتِ، ثم اندفعتُ فغنّيتُ الصوتَ فوثبتِ الجاريةُ فقالت لمولاها: هذا واللهِ أبو عثمانَ سعيدُ بنُ مِسجَح، فقلت: إني والله أنا هو، والله لا أُقيمُ عندكم، فوثب القُرشيّون فقال هذا: يكون عندي، وقال هذا: يكون عندي، وقال هذا: بل عندي، فقلت: والله لا أُقِيمُ إلا عند سَيّدكم ـ يعني الرجلَ الذي أنزله منهم ـ ثم سألوه عما أقدمَه فأخبرهم الخبرَ، فقال له صاحِبُه: إني أسمُرُ الليلةَ مع

٨٧/٣

(١) تذمم أي خشي الذمّ واللوم.
(٢) يقال: تمثّلتُ هذا البيتَ وتمثّلتُ به إذا ضربته مثلاً.

أمير المؤمنين فهل تُحسِنُ أن تَحدُوَ؟ قال: لا، ولكني أستعمل حُدَاءً، قال: فإن منزلي بحِذَاءِ منزل أمير المؤمنين فإن وافقتُ منه طِيبَ نفسٍ أرسلتُ إليكَ، ومضى إلى عبد الملك فلما رآه طَيِّبَ النفس أرسلَ إلى ابن مسجح وأخرجَ رأسَه من وراء شُرَف القصر ثم حَدَا:

/ إنــكَ يــا مُعَــاذُ يــابــنَ الفُضَّــلِ ... إن زُلْــزِلَ الأقــدَامُ لــم تُــزلْــزَلَ [٣/ ٢٨٤]

عــن ديــن مــوسـى والكتــابِ المنزَلِ ... تُقيــمُ أصــداغَ[1] القــرونِ المُيَّــلِ

* للحقّ حتى ينتحُوا للأعدلِ *

فقال عبد الملك للقرشيّ: مَنْ هذا؟ قال: رجلٌ حجازيّ قَدِمَ عليّ، قال: أَحْضِرْه فأحضره له، وقال له: أُحْدُ مُجِدًّا، ثم قال له: هل تُغَنّي غِناء الركبانِ؟ قال: نعم، قال: غنّه، فتغنّى، فقال له: فهل تغنّي الغناءَ المتْقَن؟ قال: نعم، قال: غنّه، فتغنّى فاهتزّ عبد الملك طرباً، ثم قال له: أُقسم إن لك في القوم لأسماء/ كثيرة، مَنْ أنت؟ ويلك! [٨٨/٣] قال له: أنا المظلوم المقبوض مالُه المُسَيَّر عن وطنه سعيدُ بن مِسْجَح، قبض مالي عاملُ الحجاز ونفاني، فتبسّم عبدُ الملك ثم قال له: قد وضَح عذرُ فتيان قريش في أن يُنفقوا عليك أموالَهم، وأمَّنه ووصَله وكتب إلى عامله بردّ ماله عليه وألاّ يَعْرِض له بسوء.

[٣/ ٢٨٥] / صوت

من المائة المختارة

ســلا دارَ ليلــى هــل تُبيــن فَتَنطِــقُ ... وأنّــى تَــرُدّ القــولَ بيــداءُ سَمْلَــقُ[2]

وأنّــى تــردّ القــولَ دارٌ كــأنهــا ... لطُــول بِــلاهــا والتقــادمِ مُهْــرَقُ[3]

عروضُه من الطويل، الشِّعر لأبن المَوْلَى. وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن إسحاق أن الشعرَ للأعشى؛ وذلك غلَط، وقد ٱلتمسناه في شعر كل أعشى ذُكِر في شعراء العرب فلم نجده، ولا رواه أحدٌ من الرُّواة لأحد منهم، ووجدناه في شعر ٱبن المولى من قصيدة له طويلة جيّدة، وقد أثبتناها بعَقِب أخباره ليُوقَفَ على صحّة ما ذكرناه، إذ كان الغلط إذا وقع من مثل هذه الجهة ٱحتيج إلى إيضاح الحجّةِ على ما خالفه والدّلالة على الصواب فيه. والغناءُ في اللحنَ المختار لعَطَرَّد ثقيلٌ أوّل بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو، وفيه لأيّوبِ زهرة خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن المكيّ. وفي غناء أيّوبِ زهرة زيادة بيتين وهما:

وقــال خليلــي والبُكــا لــيَ غــالــبٌ ... أقــاضٍ عليــك ذا الأســى والتشــوُّقُ

(١) في جميع الأصول «أصداع» بالعين المهملة وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه لأنه من صدغ يصدغ صدوغاً وصدغاً بمعنى مال ومنه «لأقيمن صدغك» أي ميلك.

(٢) السملق: القاع المستوى الأملس الذي لا شجر فيه.

(٣) المهرق: الصحيفة، ومن عادة العرب تشبيه الديار والمنازل إذا عفت وأقوت بالصحف والكتابة، قال امرؤ القيس:

أتت حجج بعدي عليها فأصبحت ... فخط زبور في مصاحف رهبان

وقال العجاج:

يا صاح ما هاج الدموع الذرفا ... من طلل أمسى تخال المصحفا

والمصحف: الصحيفة.

وقـد طـال تـوْقـانـي[١] أُكفكِـف عَبْـرةً تكـاد إذا رُدَّتْ لهـا النفـسُ تَـزْهَـقُ[٢]



(١) توقاني: اشتياقي وقد سكن لضرورة الشعر.

(٢) في رواية أخرى ص ٢٨٨ من هذا الجزء:

* على دمنة كادت لها النفس تزهق *

/ أخبار ابن المَوْلَى ونسبه

[٣/٢٨٦]

نسبه وصفته وهو شاعر من مخضرمي الدولتين:

هو محمد بن عبدالله بن مُسْلِم بن المَوْلى مولى الأنصار ثم من بني عمرو بن عَوْف، شاعرٌ متقدّم مجيد من مُخَضْرَمِي الدولتين ومَدّاحِي أهلهما، وقدِم على المهديّ وٱمتدحه بعدّة قصائد فوصّله بِصِلاتٍ سنيّةٍ، وكان ظريفاً عفيفاً نظيفَ الثياب حسنَ الهيئة.

قدم على المهدي ومدحه فأجزل صلته:

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن عبدالله الحَزَنْبَل قال قال لي محمد بن صالح بن النَّطّاح:

كان ٱبن المولى يسمّى محمداً مولى بني عمرو بن عوف من الأنصار، وكان مسكنه بقُبَاء، وكان يَقْدَم على المهديّ فيمدحه، فقدِم عليه فأنشده قولَه:

سَلاَ دارَ ليلى هل تُبِين فَتَنْطِقُ ... وأنّى تردّ القولَ بيداءُ سَمْلَقُ

وأنّى تردّ القولَ دارٌ كأنها ... لطول بِلاها والتقادمِ مُهْرَقُ

وقال خليلي والبكا لِيَ غالبٌ ... أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّقُ

وإنسانُ عيني في دوائرِ لُجّةٍ ... من الدمع يبدو تارةً ثم يَغْرَقُ

يقول فيها:

إلى القائم المهديّ أعملتُ ناقتي ... بكل فلاةٍ آلُها[١] يترقرقُ

إذا غال[٢] منها الركبَ صحراء برّحت ... بهم بعدها في السير صحراءُ دردقُ[٣]

/ رَميتُ قَرَاها[٤] بين يوم وليلة ... بفَتْلاءَ[٥] لم ينكُبْ[٦] لها الزَّوْرَ مِرْفَقُ

[٣/٢٨٧]
٨٩/٣

(١) الآل: السراب.

(٢) يقال: غالت الأرض السابلة أي قذفت بهم وأبعدتهم.

(٣) كذا في الأصول. والدردق: الطريق، والصف من النخل، والصغير من كل شيء، وكل هذه المعاني لا تتفق والمعنى المراد، ولعلها مما لم يرد تفسيره في «المعاجم»، أو لعلّ المراد بها «فيهق» يقال: أرض فيهق، ومفازة فيهق أي واسعة.

(٤) القرا: الظهر.

(٥) يقال: ناقة فتلاء إذا كان في ذراعيها فتل وهو تباعدهما عن الجنبين كأنهما فتلتا عنهما.

(٦) كذا في أكثر الأصول. وفي حـ: «يركب».

مُـزَمْـرَةً(١) سَقْبـاً كـأن زِمـامَهـا بجرداء من عُـمّ(٢) الصَّنَـوْبـر مُعْلَـقُ
مـوكّلـةً بـالفـادحـات كـأنهـا وقـد جَعَلـت منهـا الثَّميلـةُ(٣) تَخلُـقُ
بِقِيِّ(٤) المـلا هَيْـقٌ(٥) أمـام رئـالـه(٦) أصَـمُّ هِجَـفٌّ(٧) أقـرعُ الـرأس نِقْنِـقُ(٨)
تـراهـا إذا أستعجلتَهـا وكـأنهـا على الأيْن يَعْرُوها من الرَّوْع أَوْلَقُ(٩)
مـورّكـة(١٠) أرضَ العُـذَيـب(١١) وقـد بـدا فسُـرّ بـه لـلآئبيـن الخَـوَرنَـقُ(١٢)

فأستحسنها المهديّ وأجزل صِلَته، وأمر فَغْنّيَ في نسيب القصيدة. فأمّا ما شَرَطْتُ ذكره من تمام القصيدة فهو بعقِب البيت الثاني منها:

عفتْها الـرياحُ الـرامِسـاتُ(١٣) مـع البِلَى بـأذيـالهـا والـرائـحُ المُتبَعِّـقُ(١٤)
بكـل شـآبيـبٍ مـن المـاء خلفَهـا شـآبيـبُ مـاءِ مُـزْنهـا متـألِّـقُ
[٣/٢٨٨] / إذا رَيِّـقٌ(١٥) منهـا هُـرِيقَـتْ سِجَـالُـه أُعِيـد لهـا كِـرْفِـىءٌ(١٦) مـاءٍ ورَيِّـقُ
فـأصبـح يـرمـي بـالـرِّبـاب(١٧) كـأنمـا بـأرجلـه منـه نَعـامٌ مُعَلَّـقُ
فـلا تبـكِ أطـلالَ الـديـار فـإنهـا خبالٌ(١٨) لمن لا يدفع(١٩) الشوقَ عَوْلَقُ(٢٠)

(١) كذا في جميع النسخ بالزاي المعجمة ولعله مضعف من زمر الظليم بمعنى صوّت، وقد أصلحها الأستاذ الشنقيطي بهامش نسخته بالذال المعجمة، وربما أراد أن تكون من ذمر بمعنى حث فهو يصفها بأنها سريعة السير لأنها محثوثة عليه. والسقب: الطويل من كل شيء.
(٢) العمّ: النخل الطوال، واستعير هنا لطول شجر الصنوبر.
(٣) الثميلة: ما يبقى في بطن الدابة من العلف والماء وما يدخره الإنسان من طعام وغيره، وكل بقية ثميلة.
(٤) القيّ: القفر.
(٥) وردت هذه الكلمة في جميع النسخ هكذا «هين» وهو تحريف ظاهر والصواب ما أثبتناه، والهيق: الظليم.
(٦) الرئال: أفراخ النعام واحدها رأل.
(٧) الهجف: الظليم المسن، وقيل: الجافي الثقيل من النعام.
(٨) النقنق: الظليم.
(٩) الأولق: الجنون.
(١٠)موركة: مجاوزة.
(١١)العذيب: ماء بين القادسية والمغيثة بينه وبين القادسية أربعة أميال.
(١٢)الخورنق: قصر بالحيرة.
(١٣)عفتها: محتها ودرستها، والرامسات: الدواقن للآثار.
(١٤)الرائح المتبعق: المطر المندفع، قال رؤبة:

* جود كجود الغيث إذ تبعّقا *

وفي حـ، ب: المتعبق وهو غير مناسب.
(١٥)الريق: المطر اليسير يصيبك منه شيء.
(١٦)الكرفيء: السحاب المرتفع وقد دخل على هذا الشطر «الكف» وهو حذف السابع الساكن من «مفاعيلن» الأولى وهو قبيح.
(١٧)الرباب: السحاب الأبيض.
(١٨)كذا في أ، ء: وفي سائر النسخ «خيال».
(١٩)في الأصول: «يرفع» بالراء.
(٢٠)العولق: الغول، وهو صفة لخبال.

وإنّ سَفَاهاً أن تُرَى متفجّعاً ... بأطلال دارٍ أو يقودَك مَغْلَقُ
فلا تَجْزَعَنْ للبين كلُّ جماعةٍ ... وجَدِّك مكتوبٌ عليها التفرُّقُ
وخذ بالتعزّي[1] كلُّ ما أنتَ لابسٌ ... جديداً على الأيام بالٍ ومُخْلِقُ
فصبرُ الفتى عما تولّى فإنه ... من الأمر أولَى بالسَّداد وأوفقُ

ويروى: «أدنى للذي هو أوفق».

وإنك بالإشفاق لا تدفع[2] الرّدى ... ولا الحَيْنُ مجلوبٌ فما لك تُشْفِقُ
كأنّ لم يَرُعْك الدهرُ أو أنتَ آمن ... لأحداثه فيما يُغادي ويَطْرُقُ
وقال خليلي والبكالَى غالبٌ ... أفاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّقُ
وقد طال تَوْقاني أُكفكِف عَبرةً ... على دِمْنةٍ كادت لها النفسُ تَزْهَقُ
وإنسانُ عيني في دوائرِ لجّةٍ ... من الماء يبدو تارة ثم يَغرَقُ
وللدّمع من عيني شَرِيجَا[3] صبابةٍ ... مُرِشٌّ[4] الرَّجا[5] والجائلُ المُترقرقُ
وكنتُ أخا عِشقٍ ولم يك صاحبي ... فيعذِرَني ممّا يَصَبُّ ويعشَقُ
/ وقد يعذِر الصبُّ السقيمُ ذوي الهوى ... ويَلْحَى المحبيّن الصديقُ فيَخرَقُ [٣/٢٨٩]
وعاب رجالٌ أن عَلِقتُ وقد بدا ... لهم بعضُ ما أهوَى وذو الحلم يعلَقُ

والقصيدة طويلة. وفي بعض ما ذكرته منها دلالةٌ على صحّة ما قلته.

كان يشبب بليلى فسئل عنها فقال: ما هي والله إلا قوسي:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال:
خرجتُ أنا وأبو السائب المخزوميّ وعُبَيد الله بن مُسْلِم بن جُنْدَب وابن المولى وأَصْبَغ بن عبد العزيز بن مروان إلى قُبَاء، وابن المولى مُتنكِّب[6] قوساً عربية، فأنشد ابن المولى لنفسه:

/ وأبكِي فلا ليلَى بكت من صَبابةٍ ... إليّ ولا ليلَى لذي الودّ تَبذُلُ [٩٠/٣]
وأخنَع[7] بالعُتْبى إذا كنتُ مُذنبا ... وإن أذنبَتْ كنتُ الذي أتنصّلُ

فقال له أبو السائب وعبيد الله بن مسلم بن جُندَب: مَن ليلى هذه حتّى نقودَها إليك؟ فقال لهما ابن المولى: ما هي والله إلاّ قوْسي هذه سمّيتها ليلَى.

(١) كذا في ء، أ، وفي سائر الأصول: «بالتمرّي» بالراء.
(٢) في الأصول: «ترفع» بالراء.
(٣) الشريجان: لونان مختلفان.
(٤) المرش: الذي يقطر ماؤه.
(٥) الرجا: ناحية البئر.
(٦) يقال: تنكّب القوس إذا ألقاها على منكبه.
(٧) أخنع: أخضع.

في هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ مطلق في مجرى الوسطى لخَزْرَج، ويقال: إنه لهاشم بن سليمان.

مدح يزيد بن حاتم فوهبه كل ما يملك:

أخبرني عمّي قال حدثنا أبو هفّان قال أخبرني أبو محلّم عن المفضَّل الضّبيّ قال:

وفَد ٱبن المولى على يزيد بن حاتم وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها:

يا واحدَ العرب الذي أضحَى وليس له نظيرُ
لو كان مثلَك آخَرٌ ما كان في الدّنيا فقيرُ

[٣/٢٩٠] / قال: فدعا بخازنه وقال: كم في بيت مالي؟ فقال له: من الورِق[١] والعَيْن بقيَّةٌ عشرون ألفَ دينار، فقال: ادفَعْها إليه، ثم قال: يا أخي، المَعْذِرة إلى الله وإليك، والله لو أنّ في مِلكي أكثرَ لمَا ٱحتجبتُها[٢] عنك.

كان مداحاً لجعفر بن سليمان وقثم بن عباس ويزيد بن حاتم:

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن خلف بن المَرْزُبان قالا حدثنا أحمد بن زُهَير[٣] بن حَرْب قال حدّثنا مُصعَب الزُّبَيريّ عن عبد الملك بن المَاجِشُون قال:

كان ٱبن المولى مَدّاحاً لجعفر بن سليمان وقُثَم بن العبّاس الهاشميَّيْن ويزيد بن حاتم بْن قَبيصة بن المهلَّب، وٱستفرغ مِدحَه في يزيد وقال فيه قصيدتَه التي يقول فيها:

يا واحدَ العرب الذي دانت له قَحطانُ قاطبةً وساد نِزارا
إنّي لأرجو إن لقِيتُك سالماً ألاّ أعالِجَ بعدَك الأسفارا
رِشْتَ[٤] النَّدَى ولقد تكسَّر رِيشُه فعَلا النَّدى فوقَ البلاد وطارا

مرض عند يزيد ابن حاتم وأضعف يزيد صلته:

ثم قَصَده بها إلى مصر وأنشده إيّاها؛ فأعطاه حتّى رضِيَ. ومرض ٱبن المولى عنده مرَضاً طويلاً وثقُل حتّى أشْفَى[٥]، فلمّا أفاق من علّته ونهَض، دخل عليه يزيد بن حاتم مُتعرِّفاً خبرَه، فقال: لَوَدِدْتُ والله يا أبا عبدالله ألاّ تُعالج بعدي الأسفار حقاً، ثم أضعفَ صلتَه.

كان يمدح يزيد دون أن يراه ثم رآه بالمدينة وأنشده فأعطاه ما أغناه:

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدثني الزُّبَير بن بَكّار عن عبد الملك بن عبد العزيز قال أخبرني ابن المولى قال:

---

(١) الورِق: الفضة، والعين: الذهب.

(٢) كذا في الأصول، ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا «احتجب» متعدياً بنفسه ولعلها «حجبتها».

(٣) كذا في أ، ء، م وهو الموافق لما تقدم بإجماع الأصول في ص ٢١ ج ١ من «الأغاني» طبع الدار وفي الكلام على ترجمته في «لسان الميزان» ج ١ ص ١٧٤ طبع الهند، و «تذكرة الحفاظ» ج ٢ ص ١٥٦ طبع الهند. وفي باقي الأصول: «إبراهيم» وهو خطأ.

(٤) رشت الندى: جعلت له ريشاً.

(٥) أشفى: أشرف على الموت.

/ كنت أمدَح يزيد بن حاتم من غير أن أعرِفه ولا ألقاه، فلما ولّاه المنصور مصرَ أخذ على طريق المدينة [٣/٢٩١] فلقِيتُه فأنشدتُه، وقد خرج من مسجِد رسول الله ﷺ إلى أن صار إلى مسجد الشّجرة، فأعطاني رِزمتَيْ[١] ثياب وعشرةَ آلاف دينار فاشتريتُ بها ضِياعاً تُغِلّ[٢] ألفَ دينار، أقومُ في أدناها وأصيح بقَيِّمي ولا[٣] يَسمعني وهو في أقصاها.

عنفه الحسن بن زيد على ذكر ليلى فقال: إنها قوسه فضحك:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الحَزَنْبَلُ عن عمرو بن أبي عمرو قال: بلغني أنّ الحسن أبن زيد دعا بأبن المولى فأغلظ له وقال: أتُشبّب بحُرَم المسلمين وتُنشِدُ ذلك في مسجد رسول الله ﷺ وفي الأسواق والمحافل ظاهراً! فحلَف له بالطّلاق أنّه ما تَعرّض لمحرَّمٍ قطّ ولا شبّب بأمرأة مُسلم ولا مُعاهِدٍ قطّ، قال: فمن ليلَى هذه التي تَذكُر في شعرك؟ فقال له: امرأتي طالق إن كانت إلاّ قَوسي هذه، سمّيتُها ليلى لأذكُرَها في شعري،/ فإن الشعر لا يحسنُ إلاّ ٩١/٢ بالتشبيب، فضحك الحسن ثم قال: إذا كانت القصة هذه فقل ما شئت.

كان بالعراق وتشوّق إلى المدينة فقال شعراً في ذلك:

فقال[٤] الحزنبل: وحُدّثت عن أبن عائشة محمد بن يحيى قال: قدِم أبن المولى إلى العراق في بعض سِنيه[٥] فأخفَق وطال مُقامه وغرِض[٦] به وتشوّق إلى المدينة فقال في ذلك:

صوت

ذهـبَ الـرجـالُ فـلا أُحِـسّ رِجـالاَ وأرَى الإقـامـةَ بـالعـراق ضَـلالا

وطَـرِبـتُ إذ ذَكَـر المـدينـةَ ذاكـرٌ يـومَ الخميس فهاج[٧] لـي بَلْبـالا[٨]

/ فظللـتُ أنظُـر فـي السمـاء كـأنّنـي أبغِـي بنـاحيـة السمـاء هـلالا [٣/٢٩٢]

طـربـاً إلـى أهـل الحِجـاز وتـارة أبكـي بـدمـع مُسبَـل[٩] إسبـالا

غنّى في هذه الأربعة الأبيات أبن عائشة. ولحنه ثاني ثقيل عن الهشاميّ. وذكره حمّاد عن أبيه في أخباره ولم يذكر طريقتَه.

فيقـال قـد أضحَـى يُحدّث نفسَـه والعيـنُ تَـذرِف فـي الـرّداء سِجـالا[١٠]

(١) الرزمة من الثياب: ما شُدّ في ثوب واحد.
(٢) تغلّ: تعطي من الغلة.
(٣) كذا في جميع النسخ، والمقام هنا للفاء.
(٤) كذا في جميع النسخ والظاهر أن الفاء هنا من زيادات النساخ.
(٥) في أ، ء، م: «سنيته» وكلتا الروايتين صحيحة.
(٦) غرض: ضجر وقلق.
(٧) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وهاج».
(٨) البلبال: شدّة الهم.
(٩) أسبل يستعمل متعدياً ولازماً.
(١٠) السجال: جمع سجل وهو الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء.

إنّ الغـريـب إذا تـذكّـر أوشكـت ... منـه المـدامـع أن تَفيـض عِـلالا[١]

ولقـد أقـول لصـاحبـي وكـأنّـه ... ممّـا يعـالـج ضمّـن[٢] الأغـلالا

خفّـضْ عليـك فمـا يُـرَدْ بـك تَلَقُـهُ ... لا تُكثِـرنَّ وإن جـزِعـتَ مَقـالا

قـد كنـتَ إذ تَـدع المـدينـةَ كـالـذي ... تـرك البحـارَ ويَمّـم الأوشـالا[٣]

فـأجـابنـي خـاطـرٌ بنفسـك لا تكـن ... أبـداً تُعَـدّ مـع العِيـال عِيـالا

واعلـم بـأنـك لـن تَنـالَ جَسيمـةً ... حتّـى تُجشّـم نفسَـك الأهـوالا

إنّـي وجـدّك يـوم أتـرك زاخـرا ... بحـراً يُنفّـل سيبُـه الأنفـالا[٤]

لأضـلُّ مَـن جلَـب القـوافيَ صَعْبـةً[٥] ... حتّـى أَذَلّ مُتـونَهـا إذلالا

مدح المهدي وعرّض بالطالبيين فأجازه:

قال الحَزَنْبَلُ: وحدّثني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال حدّثني مولى للحسن بن زيد قال:

قدم أبنُ المولى على المهديّ وقد مدَحه بقصيدته التي يقول فيها:

ومـا قـارَع الأعـداءَ مثـلُ محمّـد ... إذا الحرب أبدت عن حُجول[٦] الكَواعبِ

/ فتًـى مـاجـدُ الأعـراقِ مـن آل هـاشـمٍ ... تَبَحْبح[٧] منهـا فـي الـذُّرى والـذّوائـبِ

[٢٩٣/٣]

أشـمُّ مـن الـرّهـط الـذيـن كـأنّهـم ... لَـدى حِنـدِس[٨] الظّلماء زُهْرُ الكواكبِ

إذا ذُكِـرَتْ يـومـاً مَنـاقِـبُ هـاشـمٍ ... فـإنكـمُ منهـا بخيـرِ المَنـاصِـبِ

وَمَـن عِيـبَ فـي أخـلاقـه ونِصـابِـه[٩] ... فمـا فـي بنـي العبّـاس عَيْـبٌ لِعـائـبِ

وإنّ أميـرَ المـؤمنيـن ورَهْطَـهُ ... لأهـلُ المَعـالِـي مـن لُـؤَيّ بـن غـالـبِ

أُولئـك أوتـادُ البـلادِ ووَارِثـو النـ ... ـبيِّ بـأمـرِ الحـقّ غيـر التّكـاذُبِ

ثم ذكر فيها آلَ أبي طالبٍ فقال:

ومـا نَقَمـوا إلا المـودّةَ منهـمُ ... وأن غـادرُوا فيهـم جـزيـلَ المـواهـبِ

وأنهـمُ نـالـوا لهـم بـدمـائهـم ... شفـاءَ نفـوسٍ مـن قتيـلٍ وهـارب

---

(١) علالاً: مرة بعد أخرى.

(٢) ضمن الأغلالا أي قيّد بها.

(٣) الأوشال: جمع وشل وهو الماء القليل.

(٤) السيب: الجود والعطاء، والأنفال: جمع نَفَل وهو الهبة والعطية. ونفّل النفل: أعطاه.

(٥) في جميع النسخ: «ضيعة» والتحريف فيه ظاهر.

(٦) حجول: جمع حجل وهو الخلخال.

(٧) تَبَحْبح: تمكن.

(٨) الحندس: الليل الشديد الظلمة، ويقال أيضاً: ليلة ظلماء حندس على الصفة.

(٩) النصاب: الأصل.

٩٢/٣

/ وقامـوا لهـم دون العـدا وكفَـوْهُـم بسُمـر القنـا والمُـرهَفـاتِ القَـواضـبِ[١]

وحـامَـوْا علـى[٢] أحسـابهـم وكـرائـم حسـانِ الـوجـوهِ واضحـاتِ التَّـرائـبِ

وإن أميـر المـؤمنيـن لعـائـدٌ بـإنعـامـه فيهـم علـى كـلّ تـائـبِ

إذا مـا دَنَـوْا أدنـاهُـمُ وإذا هفَـوْا تَجـاوز عنهـم نـاظـراً فـي العـواقـبِ

شفيـقٌ علـى الأَقْصَيْـن أن يـركبـوا الـرّدى فكيـف بـه فـي واشِجـات[٣] الأقـاربِ

مدح الحسن بن زيد فعاتبه بالتعريض بأهله في مدائحه للمهديّ ثم أكرمه:

قال: فوصله المهديّ بصلة سنيّة، وقدِم المدينةَ فأنفق وبنى دارَه ولبس ثياباً فاخرةً، ولم يزل كذلك مدى حياته بعد ما حباه. ثم قدم[٤] على الحسن بن زيد وكانت له عليه وَظيفةٌ في كلّ سنة فدخل عليه فأنشده قولَه يمدحه:

[٣/٤

/ هـاجَ شـوقـي تفـرّقُ الجِيـرانِ وأعتـرتنـي طـوارقُ الأحـزانِ

وتـذكّـرتُ مـا مضـى مـن زمـانـي حيـن صـار الـزمـانُ شـرَّ زمـانِ

يقول فيها يمدح الحسن بن زيد:

ولـو أن آمـرأ ينـال خلـوداً بمحـلٍّ ومَنصِـب ومكـانِ

أو ببيـتٍ ذُراه تَلْصَـق بـالنجـمِ قـرانـاً فـي غيـر بُـرج قِـرانِ

أو بمجـد الحيـاة أو بسَمـاحٍ أو بحلـمٍ أوفَـى عَلَـى ثَهْـلانِ[٥]

أو بفضـل لنـالـه حسَـنُ الخيْـرِ بفضـلِ الـرسـول ذي البـرهـانِ

فضلُـه واضـحٌ بـرهـط أبـي القـاسـم رهـطِ اليقيـن والإيمـانِ

هـم ذَوُو النـور والهُـدَى ومَـدَى الأمـر وأهـلُ البـرهـان والعِـرفـانِ[٦]

مَعْـدِنُ الحـق والنبـوّة والعـدل إذا مـا تنـازع الخَصْمـانِ

وأبـنُ زيـد إذا الـرجـال تَجـارَوْا يـوم حَفْـل وغـايـةٍ ورِهـانِ

سـابـقٌ مُغْلِـقٌ جُيـزُ رِهـانٍ وَرِث السَّبْـقَ مـن أبيـه الهِجـانِ[٧]

قال: فلما أنشده إياها دعا به خالياً ثم قال له: يا عاضّ كذا من أمه، أمّا إذا جئت إلى الحجاز فتقول لي هذا، وأما إذا مضيت إلى العراق فتقول:

وإن أميـر المـؤمنيـن ورهطَـه لَـرهـطُ المعالـي مـن لُـؤَيّ بـن غـالـبِ

---

(١) القواضب: القواطع.

(٢) ضمن هنا «على» معنى «عن».

(٣) الواشجات: جمع واشجة وهي الرحم المشتبكة المتصلة.

(٤) في الأصول «دخل» والسياق يأباها.

(٥) ثهلان: جبل ضخم بالعالية.

(٦) في حـ: «الفرقان».

(٧) الهجان: الكريم الحسيب.

أولئـك أوتـاد البـلاد ووَارِثـو الـ ـنبـيّ بـأمـر الحـقّ غيـر التّكـاذُبِ

فقال له: أتُنْصِفني يابن الرسول أم لا؟ فقال: نعم، فقال: ألم أقل:

* وإن أمير المؤمنين ورهطه *

[٣/٢٩٥] / ألستم رهطه؟ فقال: دَعْ هذا، ألم تقدِر أن يَنفُق شعرُك ومديحَك إلا بتهجين أهلي والطعنِ عليهم والإغراءِ بهم حيث تقول:

ومـا نقَمـوا إلا المـودّةَ منهُـمُ وأن غـادروا فيهم جزيـلَ المواهـبِ

وأنهـمُ نـالـوا لهـم بـدمـائهـم شفـاءَ نُفـوسٍ مـن قتيـلٍ وهـاربِ

فوجَم ٱبنُ المولى وأطرق ثم قال: يابن الرسول إن الشاعر يقول ويتقرّب بجَهْده، ثم قام فخرج من عنده منكَسِراً، فأمر الحسنُ وكيلَه أن يحمِلَ إليه وظيفته ويزيدَه فيها ففعل، / فقال ٱبن المولى: والله لا أقبلها وهو عليّ ساخطٌ، فأما إنْ قرنَها بالرضا فقبلتُها، وأما إن أقام وهو عليّ ساخط ألبتّةَ فلا؛ فعاد الرسول إلى الحسن فأخبره؛ فقال له: قِل له: قد رضيتُ فاقبلْها. ودخل على الحسن فأنشده قولَه فيه: ٩٣/٣

سـألـتُ فـأعطـاني وأعطَـى ولـم أَسَـلْ وجـاد كمـا جـادت غـوادٍ[1] رَواعِـدُ

فـأُقسِـم لا أنفـكُّ أُنشِـدُ مَـدْحَـه إذا جمعتْنـي فـي الحَجيـج المَشـاهـدُ

إذا قلـتُ يـومـاً فـي ثنـائي قصيـدةً ثَنَيْتُ بـأخـرى حيث تُجْزَى القصـائـد

مدح يزيد بن حاتم بولايته الأهواز وغلبته على الأزارقة فأجازه:

قال الحَزَنْبَل: وحدّثني مالك بن وهب مولى يزيد بن حاتم المهلّبيّ قال:

لما ٱنصرف يزيد بن حاتم من حرب الأزارِقة[2] وقد ظَفِر، خُلِع عليه وعُقِد له لواءٌ عى كُوَر الأهْوَاز وسائر ما ٱفتتحه، فدخل عليه ابن المولى وقد مدحه فاستأذن في الإنشاد فأذِن له فأنشده:

صوت

ألا يـا لَقـومـي هـل لِمَـا فـات مَطلـبُ وهـل يُعْـذَرَنْ ذو صَبْـوة وهـو أَشْيَـبُ

يحِـنّ إلـى ليلـى وقـد شَطّـت النـوى بليلَـى كمـا حَـنّ اليـراع المثَقّـبُ[3]

[٣/٢٩٦] / غنّى في هذين البيتين عَطَرَّد، ولحنُه رمَلٌ بالوسطى عن عمرو بن بانة؛ وفيه ليونس لحن ذكَره لنفسه في كتابه ولم يذكر طريقتَه.

تقـرّبـتُ[4] ليلـى كـي تُثيـب فـزادنـي بِعـاداً علـى بعـدٍ إليهـا التقـرّبُ

(١) الغوادي: جمع غادية وهي السحابة تنشأ غدوة.

(٢) الأزارقة: فرقة من الخوارج وهم أصحاب نافع بن الأزرق.

(٣) اليراع المثقب: المزمار.

(٤) كذا في الأصول ولم نجد في «كتب اللغة» التي بأيدينا تقرّب متعدياً بنفسه وإنما يقال: تقرّبت إليه، فلعله نصب على حذف الجار.

فداويتُ وجدي باجتنابٍ فلم يكن ... دواءً لِما ألقاه[١] منها التجنُّبُ
فلا أنا عند النَّأْيِ سالٍ لحبها ... ولا أنا منها مُنْتَفٍ حين تَصْقَبُ[٢]
وما كنت بالراضي بما غيرُه الرِّضا ... ولكنني أنوي العزاءَ فأُغلَبُ
وليلٍ خُدارِيّ[٣] الرِّواق جَشِمتُه ... إذا هابه السارون لا أتهيَّب
لأظفَرَ يوماً من يزيد بن حاتم ... بحبل جِوارٍ ذاك ما كنتُ أطلبُ
بلَوتُ وقلّبتُ الرجال كما بَلا ... بكفّيه أوساطَ القِداح مُقلِّبُ
وصَعَّدني همّي[٤] وصَوَّب مرّةً ... وذو الهمّ يوماً مُصَعِّدٌ ومُصوِّبُ
لأعرف ما آتى[٥] فلم أر مثله ... من الناس فيما حاز شرقٌ ومغربُ
أكَرَّ على جيش وأعظمَ هيبةً ... وأوهبَ في جود لما ليس يُوهبُ
تصدّى رجالٌ[٦] في المعالي ليَلْحقوا ... مَداك وما أدركتَه فتَذَبْذَبوا
ورُمتَ الذي راموا فأذللتَ صعبه ... وراموا الذي أذللتَ منه فأصعبَوا[٧]
/ ومهما تَناولْ من مَنال سَنيّة ... يساعدْك فيها المُنْتَمى[٨] والمُرَكَّبُ[٩]
ومَنصِبُ[١٠] آباء كِرامٍ نَماهمُ ... إلى المجد آباءٌ كِرامٌ ومنصِبُ

[٣/٢٩٧]

صوت

كواكبُ دَجْنٍ كلّما انقضَّ كوكبٌ ... بدا منهمُ بدرٌ مُنيرٌ وكوكبُ
أنارَ به آل المهلّب بعدما ... هَوى مَنكِبٌ منهم بليلٍ ومَنكِبُ
/ وما زال إلحاحُ الزمان عليهمُ ... بنائبةٍ كادت لها الأرض تَخْرَبُ[١١]
فلو أبقتِ الأيامُ حيّاً نَفاسةً ... لأبقاهُم للجود نابٌ ومِخلَبُ

٩٤/٣

(١) كذا في حـ وهو المناسب. وفي باقي الأصول: «أبقاه».
(٢) تصقب: تقرب.
(٣) الخداريّ: المظلم.
(٤) الهمّ: ما يهم به الرجل في نفسه وهو هنا كناية عن العزم.
(٥) كذا في أ، ء، م. وفي باقي الأصول: «أتلى» وهو تحريف.
(٦) كذا في جميع النسخ والذي في «كتب اللغة» أن «تصدّى» يتعدّى باللام.
(٧) يقال: أصعب الرجل الشيء إذا وجده صعباً.
(٨) في جميع الأصول: «المنتهي» وهو محرف عن المنتمى أي المنتمي إليه، يقال: انتمى فلان إلى حسب أي ارتفع إليه، وانتمى إلى فلان أي ارتفع في نسبه إليه، قال الفرزدق:

فصارت لذهل دون شيبان إنهم ... ذوو العز عند المنتمي والتكرم

(٩) المركّب: المنبت، يقال: فلان كريم المركب أي كريم الأصل.
(١٠) المنصب: الأصل والمنبت.
(١١) في حـ وفي سائر الأصول: «تجرب» بالجيم المعجمة، والأرض الجرباء: الممحلة المقحوطة، ولم نجد في «كتب اللغة» التي بين أيدينا ورود فعل من هذه المادة بهذا المعنى، ومن المحتمل أن تكون «تجدب» وهي بمعناها.

وكنتَ ليومَيْ نِعمةٍ ونِكايةٍ كما فيهما للنّاس كان المهذَّبُ

ألا حبّذا الأحياءُ منكم وحبّذا قبورٌ بها مَوتاكُمُ حين غُيّبوا

فأمر له يزيد بن حاتم بعشرة آلاف درهم وفرسٍ بسرجه ولجامه وخِلعةٍ، وأقسم على من كان بحضرته أن يُجيزوه كلُّ واحد منهم بما يمكنه، فانصرف بملء يده.

كان عمرو بن أبي عمرو ينشد من شعره ويستحسنه:

قال الحَزَنْبَل: أنشدني عمرو بن أبي عمرو لأبن المولى وكان يستحسنها:

صوت

حَيِّ المنازلَ قد بَلِينا أقوَيْنَ[1] عن مَرِّ السِّنينا

وسَلِ الدّيارَ لعلَّها تُخبرْك[2] عن أمّ البَنينا

[٣/٢٩٨] / بانت وكلُّ قرينةٍ يوماً مُفارِقةٌ قرينا

وأخو الحياة من الحيا ةِ مُعالِجٌ غِلَظاً ولِينا

غنّى في هذه الأبيات نبيةُ[3] خفيفَ ثقيل بالبنصر.

وترى المُوَكَّل بالغَوا نِي راكباً أبداً فُنونا

ومن البليّة أن تُعِـ دا نَ بما كرِهتَ ولن تَدينا

والمرءُ تُحرَمُ نفسُه ما لا يزال به حَزينا

وتَراه يَجمعُ مالَه جمعَ الحريص لوارِثينا

يسعَى بأفضلِ سعيِه فيصيرُ ذاك لقاعدينا

لم يُعطِ ذا النَّسب القريـ ـبِ ولم يَجُدْ للابعدينا

قد حلَّ منزلَه الذميـ ـمَ وفارق المتنصِّحينا[4]

مدح المهدي بولايته الخلافة فأكرمه وفرض له لعياله ما يكفيه:

قال الحَزَنْبَل: وذكر أحمدُ بن صالح بن النَّطّاح عن المدائنيّ: أن المهديّ لمّا وَلِيَ الخلافة وحجّ فرّق في قريشٍ والأنصارِ وسائرِ الناس أموالاً عظيمةً ووصَلَهم صِلاتٍ سنيّةً، فحسُنتْ أحوالُهم بعد جُهد أصابَ الناس في أيّام أبيه، لتسرّعهم[5] مع محمد بن عبدالله بن حسن، وكانت سنةُ ولايته سنةَ خِصب ورُخص، فأحبّه الناس وتَبرّكوا به، وقالوا: هذا هو المهديّ، وهذا أبن عمّ رسول الله ﷺ وسَميُّه، فلقُوه فدعَوْا له وأثنَوْا عليه، ومدحته الشعراء، فمدّ

(١) أقوين: أقفرن.
(٢) سكّن «تخبرك» لضرورة الوزن.
(٣) العرب يسمون بنبيه كزبير وبنبيه كأمير، ولم نستطع ترجيح أحد الضبطين في هذا الاسم.
(٤) التنصح: كثرة النصح ومنه قول أدم بن صيفي: «إياكم والتنصح فإنه يورث التهمة».
(٥) كذا في حـ، وفي باقي الأصول: «لتسرحهم» بالحاء، والتسرّح الذهاب.

عينَه في الناس فرأى ابن المولى فأمر بتقريبه فقُرِّب منه؛ فقال له: هاتِ يا مولى الأنصار ما عندك، فأنشده [قوله فيه][1]:

[٣/٢٩٩]

/ يا ليلَ لا تنجَلي يا ليلَ بالزادِ ... وأشفِي بذلك داءَ الحائم الصادي
وأنجِزِي عِدَةً كانت لنا أَمَلاً ... قد جاء ميعادُها من بعد ميعادِ
ما ضرّه غيرُ أن أبدي مودّته ... إنّ المُحبَّ هواه ظاهرٌ بادي

ثم قال فيها يصف ناقته:

٩٥/٣

/ تَطوِي البلادَ إلى جمٍّ منافعُه ... فعْلِ خيرٍ لفعل الخير عوّادِ
للمهتدين[2] إليه من منافعه ... خيرٌ يروح وخير باكرٌ غادي
أغنَى قُريشاً وأنصارَ النبيّ ومَنْ ... بالمسجِدَيْن بإسعاد وإحفادِ[3]
كانت منافعُه في الأرض شائعةً ... تَتْرَى[4] وسيرتُه كالماء للصّادي
خليفةُ الله عبدُ الله والدُه ... وأمُّه حُرَّةٌ تُنْمَى لأمجادِ
من خير ذي يَمنٍ في خير رابيةٍ ... من القبول إليها مَعْقِل[5] النّادي

حتى أتى على آخرها؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وكُسوة، وأمر صاحب الجارِي[6] بأن يُجْرِيَ له ولعياله في كلّ سنة ما يكفيهم، وألحقهم في شرف العطاء.

قال: وذكر ابن النطّاح عن عبدالله بن مصعَب الزبيريّ قال:

وفدنا إلى المهديّ ونحن جماعة من قريش والأنصار، فلما دخلْنا عليه سلّمنا ودعَونا وأثنينا، فلما فرَغنا من كلامنا أقبلَ على ابن المولَى فقال: هاتِ يا محمّد ما قلتَ، فأنشده:

[٣/٣٠٠]

/ صوت

نادَى الأحبّةُ باحتمالِ ... إنّ المُقيم إلى زَوالِ
ردّ القِيانُ[7] عليهمُ ... ذُلُلَ المطيّ من الجِمالِ
فتحمّلوا بعَقيلةٍ ... زهراءَ آنسةِ الدَّلالِ

(١) زيادة في أ، ء، م.

(٢) في آ، حـ: «للمجتدين».

(٣) إحفاد: إسراع في مرضاتهم وقضاء حاجاتهم.

(٤) تترى: متواترة.

(٥) معقل: ملجأ، يقال: عقل إليه عقلاً وعقولاً أي لجأ، والنادي: مجتمع القوم، ويراد به القوم المجتمعون.

(٦) الجاري: الجراية وهي ما يقدر من الرزق فيجري على صاحبه باتصال، قال صاحب «اللسان» في مادة جرى: «والجراية الجاري من الوظائف».

(٧) القيان: جمع قين وهو العبد أو القينة وهي الجارية. وقد قيل في قول زهير:

* رد القيان جمال الحيّ فاحتملوا *

إنه أراد بالقيان الإماء أي أنهنّ رددن الجمال إلى الحيّ لشد أقتابها عليها، وقيل: أراد العبيد والإماء (انظر «اللسان» مادّة قين).

كـالشمس راق جَمالُها ... بين النّساء على الجَمالِ
لمّا رأيتُ جِمالهم ... في الآلِ[١] تَغْرَق بالـلآلي
يا ليت ذلك بعدَ أنْ ... أظهرتَ أنّك لا تُبالي
ولمِثْل ما جرّبتَ من ... إخلافهنّ لذي الوصلِ
أسلاكَ عن طلَب الصِّبا ... وأخو الصِّبا لا بدّ سالي
يابنَ الأطايب للأطا ... يب ذا المَكارم والمَعالي
وأبنَ الهُداة بَني الهدا ... ةِ وكاشِفي ظُلَم الضّلالِ
أصبحتَ أكرمَ غالبٍ ... عند التّفاخر والنَّضلِ
وإذا تُحَصَّلُ[٢] هاشمٌ ... يعلو بمجدك كلُّ عالي
ويكون بيتُك منهمُ ... في الشاهقات من القِلالِ[٣]
[٣٠١/٣] / هذا وأنت ثِمالُها[٤] ... وأبنُ الثِّمالِ أخو[٥] الثِّمالِ
ومآلُها بأمورها ... إنّ الأمور إلى مآلِ

قال: فأمر له خاصّةً بعشرة آلاف درهم معجّلة، ثم ساواه بسائر الوفد بعد ذلك في الجائزة وأعطاه مثلَ ما أعطاهم، وقال: ذلك بحقّ المديح، وهذا بحقّ الوِفادة.

سأل عنه عبد الملك لما قدم المدينة ثم تبعه ابن المولى وأنشده فأجازه:

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرفيّ أبو أحمد وعمّي قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيْلٍ العَنَزيّ قال حدّثني إبراهيم بن إسحاق بن عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيد الله قال حدّثني عبدالله بن إبراهيم / الجُمَحيّ قال: [٩٦/٣]

قَدِم عبدُ الملك بن مروان المدينة، وكان ٱبن المولى يُكثِر مدحَه، وكان يسأل عنه من غير أن يكونا ٱلتقيا ـ قال: وٱبن المولى مولى الأنصار ـ فلما قدم عبدُ الملك المدينة قدِم ٱبنُ المولى، لِما بلَغه من مسألة عبد الملك عنه، فورَدَها وقد رحَل عبد الملك عنها، فأتْبعه[٦] فأدركه بإضَم بذي خُشُب بين عين مروان وعين الحديد، وهما جميعاً لمروان، فٱلتفت عبدُ الملك إليه وٱبنُ المولى على نجيبٍ مُتَنَكّباً قوساً عربيةً، فقال له عبد الملك: ٱبنُ المولى؟ قال: لبّيْكَ يا أمير المؤمنين؛ قال: مرحباً بمن نالنا شكرُه ولم يَنَلْه منا فعلٌ، ثم قال له: أخبرني عن ليلى التي تقول فيها:

(١) الآل: السراب، وقيل الآل من الضحى إلى زوال الشمس، والسراب بعد الزوال إلى صلاة العصر.
(٢) تحصل: تخلص ويماز بين بيوتها، وفي الحديث: «بذهب لم تحصل من ترابها» أي لم تخلص (والذهب يذكر ويؤنث). ويقال للمرأة التي تميز الذهب من الفضة: محصله.
(٣) القلال: جمع قلة وهي أعلى الجبل، وقلة كل شيء رأسه وأعلاه.
(٤) الثمال: الغياث.
(٥) كذا في ء، وفي باقي الأصول «أخي».
(٦) فأتبعه: تبعه وذلك إذا كان سبقه فلحقه، وفي القرآن الكريم: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾.

وأبكي فلا لَيْلَى بكَتْ من صَبابةٍ ... إليّ ولا ليلى لذي الوُدّ تَبذُلُ

والله لئن كانت ليلى حرّةً لأُزوّجنّكها، ولئن كانت أمَةً لأبتاعنّها لك بما بلَغتْ، فقال: كلاّ يا أمير المؤمنين، والله ما كنتُ لأذكُر حُرْمة حُرّ أبداً ولا أمَته، والله ما ليلى إلا قوسي هذه، سمّيتها ليلى لأُشبّب بها، وإن الشاعر لا يُستَطاب إذا / لم يَتشبّب[1]؛ فقال له عبد الملك: ذلك والله أظرف لك، فأقام عنده يومَه وليلتَه يُنشده ويُسامره، ثم أمر له بمال وكسوة، وانصرف إلى المدينة. [٣/٣٠٢]

وقف لجعفر بن سليمان على طريقه وأنشده شعراً:

أخبرني حَبيب المهلّبيّ عن الزُّبير وغيره عن محمد بن فَضَالة النحويّ قال:

قدِم ابنُ المولى البَصرةَ، فأتى جعفرَ بن سليمان فوقَف على طريقه وقد ركب فناداه:

كم صارخٍ يدعو وذي فاقةٍ ... يا جعفرَ الخيراتِ يا جعفرُ

أنت الذي أحييتَ بَذْلَ الندى ... وكان قد مات فلا يُذكَرُ

سليلُ عبّاسٍ وليّ الهدى ... ومن به في المحَلْ يُستَمْطَرُ

هذا امتداحِيكَ عَقيدَ[2] الندى ... أشهد[3] بالمجد لك الأشقَرُ

---

(١) في أ،ء، م: «لم ينسب» بالسين وهي بمعناها.
(٢) العقيد: المعاهد والحليف.
(٣) في أ،ء، م: «أشهر».

[٣٠٣/٣]

/ أخبار عطَرّد ونسبه

ولاؤه وصفته وهو ممن مقبول الشهادة فقيه:

عَطَرّد مولَى الأنصار، ثم مولى بن عمرو بن عوف، وقيل: إنه مولى مُزَيْنَة، مَدَنيٌّ، يكنى أبا هارون، وكان ينزل قُبَاء. وزعم إسحاق أنه كان جميلَ الوجه، حسنَ الغناء، طيّبَ الصوت، جيّدَ الصَّنْعة، حسنَ الرأي والمروءة، فقيهاً قارئاً للقرآن، وكان يغنّي مرتجلاً، وأدرك دولةَ بني أميّة، وبقي إلى أيام الرشيد، وذكر ٱبنُ خَرْدَاذْبه فيما حدّثني به عليّ بن عبد العزيز عنه: أنه كان مُعَدَّل ٱلشهادة بالمدينة؛ أخبره بذلك يحيى بن عليّ المنجم عن أبي أيّوب المدينيّ عن إسحاق.

جاءه عباد بن سلمة ليلاً وطلب منه أن يغنيه:

وأخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه:

أن سَلَمة بن عبّاد وَلِيَ القضاءَ بالبَصْرة، فقصد ٱبنُه عَبّادُ بن سَلَمة عطَّرداً وهو بها مقيم قد قصد آلَ سليمان بن عليّ وأقام معهم؛ فأتى بابَه ليلاً فدَقّ عليه ومعه جماعةٌ من أصحابه أصحابِ القَلاَنس، فخرج عطَّرد إليه، فلما رآه ومن معه فزع؛ فقال: لا تُرَعْ.

إنـي قصـدتُ إليـك مـن أهلـي ... فـي حـاجـةٍ يـأتـي لهـا مثلـي

فقال: وما هي أصلحك الله؟ قال:

لا طـالبـاً شيئـاً إليـك سـوى ... «حـيَّ الحُمُـولَ بجـانـب العَـزْلِ»[1]

٩٧/٣ / فقال: انزلوا على بركة الله، فلم يزل يغنّيهم هذا وغيرَه حتى أصبحوا.

[٣٠٤/٣]

/ نسبة هذا الصوت

صوت

حـيِّ الحُمُـولَ بجـانـب العَـزْلِ ... إذ لا يـوافـق شكلُهـا شكلـي

الله أنجـحُ مـا طلبـتَ بـه ... والبِـرُّ خيـرُ حقيبـة الـرَّحْـلِ

إنـي بحبلـك واصـلٌ حبلـي ... وبـريـش نَبْلـك رائـشٌ نَبْلـي

وشمـائلـي مـا قـد علمـت ومـا ... نبحـتْ كـلابُـك طـارقـاً مثلـي

الشعر لأمرىء القيس بن عابِس الكِنْديّ، هكذا روى أبو عمرو الشَّيْبانيّ، وقال: إن من يرويه

---

(١) العزل: موضع في ديار قيس، ذكره البكري في «معجم ما ٱستعجم» (ج ٢ ص ٦٥٩)، وٱستشهد له بهذا الشطر من شعر ٱمرىء القيس.

لأمرىء القيس بن حُجْر يغلَط. والغِناء لعطَّرد ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة، وفيه لعمرو بن بانة ثقيلٌ بالوسطى من روايته أيضاً، وفيه لأبن عائشة خفيفُ رملٍ بالبِنْصر، وفيه عنه وعن دنانيرَ لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى، وفيه عنه أيضاً لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالبِنصر.

غناء إبراهيم بن خالد المعيطي عند المهدي:

وأخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ وأخبرني به الحسن بن عليّ قال:

كتب إليّ أبو أيّوب المَدينيّ، وخبرُه أتمّ، قال: حدّثني عليّ بن محمد النَّوْفَليّ عن أبيه عن إبراهيم بن خالد المُعَيْطيّ[١] قال:

دخلت على المهديّ، وقد كان وُصِف له غِنائي، فسألني عن الغناء وعن علمي به، فجاذبته من ذلك طَرَفاً؛ فقال لي: أتُغنّي النواقيس؟ قلت: نعم، وأغنّي الصُّلْبانِ يا أمير المؤمنين، فتبسّم. والنواقيسُ لحن مَعْبد، كان معبد وأهلُ الحجاز يسمونه النواقيس، وهو:

سَـلاَ دارَ ليلَـى هـل تُبيـن فتَنْطِـقُ   وأنّـي تَـرُدُّ القـولَ بيـداءَ سَمْلَـقُ

/ قال: ثم قال لي المهديّ وهو يضحك: غنّه، فغنّيته فأمر لي بمالٍ جزيلٍ وخَلَع عليّ وصرفني، ثم بلَغني أنه قال: هذا مُعَيْطِيّ[٢] وأنا لا آنَسُ به، ولا حاجةَ لِي إلى أن أُدنِيَه من خَلْوتي وأنا لا آنسُ به. هكذا ذُكِرَ في هذا الخبر أن اللّحنَ لمعبد، وما ذكره أحدٌ من رُوَاة الغِناء له، ولا وُجِد في ديوانٍ من دواوينهم منسوباً إليه على أنفراد به[٣] ولا شِرْكة فيه، ولعلّه غلط. [٣/٣٠٥]

تنادر إبراهيم بن خالد المعيطيّ على ابن جامع:

وقد أخبرني هذا الخبر الحَرَميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال:

كان إبراهيم بن خالد المُعَيْطِيّ يغنّي، فدخل يوماً الحمّامَ وأبنُ جامع فيه، وكان له شيءٌ يجاوز ركبتيه، فقال له أبنُ جامع: يا إبراهيم أتَبيع هذا البغلَ؟ قال: لا بل أحمِلك عليه يا أبا القاسم؛ فلما خرج أبنُ جامع من الحمّام رأى ثيابَ المُعَيْطي رثّةً فأمر له بخِلْعةٍ من ثيابه، فقال له المعيطيّ: لو قبلتَ حُمْلاني[٤] قبلتُ خِلْعتَك، فضَحِك أبن جامع وقال له: مالك أخزاك الله! ويلك! أمَا تَدَع ولَعَك وبطالتَك وشرّك! ودخل إلى الرشيد فحدّثه حديثَه؛ فضحك وأمر بإحضاره، فأُحْضِر، فقال له: أتغنّي النواقيس؟ قال: نعم، وأُغنّي الصلبان أيضاً. ثم ذكر باقيَ الخبر مثلَ الذي تقدّمه.

---

(١) هذا الخبر والذي بعده خاصان «بإبراهيم بن خالد المعيطيّ» ولم نجد أية مناسبة لذكرهما هنا في أخبار «عطرد» وقد ورد مثل ذلك كثيراً في «الأغاني» ولم نعرف له تعليلاً.

(٢) ذكر صاحب «القاموس» أبا معيط والد عقبة بن أبي معيط وذكر أن معيطاً أبو حيّ من قريش ولم يذكر السمعاني في «الأنساب» عند اسم «المعيطي» إلا المنسوبين إلى أبي معيط إما بالولادة وإما بالولاء؛ ولعل إبراهيم هذا منسوب إلى أبي معيط، ويكون المهديّ قد أنكره لما كان من عقبة بن أبي معيط من شدّة إيذائه للنبيّ ﷺ حتى إنه قذف على ظهره سلى جزور وهو ساجد عند الكعبة، وبنو أبي معيط يسمّون صبية النار، لأن عقبة حين أُخذ يوم بدر وأراد النبيّ ﷺ قتله، قال: من للصبية بعدي؟ قال: النار (انظر «الأغاني» ج ١ ص ١٧ من هذه الطبعة).

(٣) كذا في أ، ء، م، وفي باقي الأصول: «أنفراده» بالإضافة وبدون «به».

(٤) الحملان: ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة.

[٣/٢٠٦] / **كان عطرّد منقطعاً إلى آل سليمان بن عليّ:**

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ عن إسحاق قال:

كان عطَّرد منقطعاً في دولة بني هاشم إلى آل سليمان بن عليّ لم يَخْدِمْ غيرَهم، وتُوُفِّيَ في خلافة المهديّ.

٩٨/٣ قال: وكان يوماً يغنّي / بين يدَيْ سليمان بن عليّ، فغنّاه:

صوت

أَلـهُ فكـم مـن مـاجـدٍ قـد لَهـا ... ومـن كـريـمٍ عِـرضُـه وافِـرُ

ـ الغِناء لعَطَرّد ثاني ثقيل عن الهشاميّ ـ فقيل له: سرَقتَ هذا من لحن الغريض:

يـا رَبْـعَ سـلاَّمـةَ بـالمُنْحَنَـى ... فخَيْـفِ[١] سَلْـعٍ جادكَ الـوابـلُ

فقال: لم أسرِقه ولكنَّ العقولَ تتوافَق، وحلَف أنه لم يسمعه قطّ.

نسبة هذا الصوت

صوت

يـا ربـعَ سـلاَّمـةَ بـالمُنْحَنَـى ... فَخَيْـفِ سَلْـعٍ جـادكَ الـوابـلُ

إن تُمْسِ وحْشاً طـالمـا قـد تُـرَى ... وأنـتَ معمـورٌ بهـم آهِـلُ

أيـامَ سـلاَّمـةُ رُعْبُـوبـةٌ[٢] ... خَـوْدٌ لَعُـوبٌ حبُّهـا قـاتـلُ

محطـوطـةُ[٣] المَتْـنِ هَضِيـمُ الحشَـى ... لا يَطَّبِيهـا[٤] الـوَرَعُ[٥] الـواغـلُ[٦]

[٣/٢٠٧] / الغِناء للغَريض ثاني ثقيل بالوُسطى عن عمرو بن يحيى المكيّ. قال: ومن الناس من ينسُبه إلى آبن سريج.

حبسه زبراء والي المدينة مع المغنين ثم أطلقه وأطلقهم:

أخبرني أحمد بن عليّ بن يحيى قال سمِعت جَدّي عليّ بن يحيى قال حدّثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال حدّثني خالد بن كلثوم قال:

كنت مع زبراء بالمدينة وهو والٍ عليها؛ وهو من بني هاشم أحد بني ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب، فأمر بأصحاب الملاهي فحُبِسوا وحُبِس عطرّد فيهم، فجلس ليَعْرِضَهم، وحضَر رجالٌ من أهل المدينة شفَعوا لعطرّد، وأخبروه أنه من أهل الهيئة والمُروءة والنّعمة والدِّين، فدعا به فخلّى سبيلَه، وأمره برفع حوائجه إليه فدعا له، وخرج فإذا هو بالمغنّين أُحضِروا ليُعْرَضوا، فعاد إليه عطرّد، فقال: أصلح اللّهُ الأميرَ، أعَلَى الغِناء حبَستَ هؤلاء؟

(١) الخيف: الناحية أو ما آنحدر عن غلظ الجبل وآرتفع عن مسيل الماء. وسلع: آسم لمواضع كثيرة: منها جبال ومنها أودية.

(٢) الرعبوبة: الناعمة.

(٣) محطوطة المتن: ممدودته في حسن وآستواء.

(٤) لا يطبيها: لا يستميلها.

(٥) الورع: الجبان الضعيف.

(٦) الواغل: الداخل على القوم في طعامهم وشرابهم من غير دعوة.

قال: نعم؛ قال: فلا تَظْلِمهم، فوالله ما أحسنوا منه شيئاً قط! فضحك وخلّى سبيلَهم.

استقدمه الوليد بن يزيد من المدينة فغناه فطرب وألقى نفسه في بركة خمر:

أخبرني محمد بن مَزْيَد وجَحْظَةُ قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبي عن محمد بن عبد الحميد بن إسماعيل بن عبد الحميد بن يحيى عن عمّه أيّوبَ بن إسماعيل قال:

لما أستُخلِف الوليدُ بن يزيدَ كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بالشخوص إليه بعطرّد المغنّي؛ قال عطرّدٌ: فأقرأني العاملُ الكتابَ وزوّدني نفقةً وأشخصني إليه، فأُدخِلتُ عليه وهو جالسٌ في قصره على شَفِير بِركةٍ مرصّصَةٍ مملوءةٍ خمراً ليست بالكبيرة ولكنها يدور الرجل فيها سِباحةً، فوالله ما تركني أُسلِّم عليه حتى قال: / أعَطَّرد؟ قلت: نعم [٣/٩٨] يا أمير المؤمنين؛ قال: لقد كنتُ إليك مشتاقاً يا أبا هارون. غنّني:

حـيِّ الحُمـولَ بجـانـب العَـزْلِ ... إذ لا يُـلائـم شكلُهـا شكلـي

إنّـي بحبلـكِ واصـلٌ حبلـي ... وبـريـش نَبْلـكِ رائـشٌ نبلـي

وشمـائلـي مـا قـد علمـتِ ومـا ... نبحَـتْ كـلابُـك طـارقـاً مثلـي

قال: فغنّيتُه إيّاه، فوالله ما أتممتُه حتى شقّ حُلّةَ وَشْي كانت عليه لا أدري كم قيمتها، فتجرّد/ منها كما ولدته [٩٩/٣] أمُّه وألقاها نِصْفَيْن، ورمى بنفسه في البركة فنَهِل منها حتى تبيّنتُ ـ عَلِم اللّهُ ـ فيها أنها قد نقَصَت نُقْصاناً بيّناً، وأُخرِجَ منها وهو كالميّت سُكراً، فأضجعَ وغُطِّيَ، فأخذتُ الحُلّةَ وقمتُ، فوالله ما قال لي أحدٌ: دَعْها ولا خُذْها، فأنصرفتُ إلى منزلي متعجّباً مما رأيتُ من ظَرْفه وفعله وطَرَبه؛ فلما كان من غَدٍ جاءني رسوله في مثل الوقت فأحْضرني، فلما دخلتُ عليه قال لي: يا عطرّد، قلت: لَبّيك يا أمير المؤمنين؛ قال غنّني:

أيَـذْهَـبُ عمـري هكـذا لـم أَنَـلْ بهـا ... مَجَالسَ تَشفِي قَرْحَ قلبي مـن الـوجـدِ

وقـالـوا تَـداوَ إنّ فـي الطِّـبّ راحـةً ... فعلّلـتُ نفسـي بـالـدواء فلـم يُجْـدِ

فغنّيته إيّاه، فشقّ حلّةَ وشْي كانت تَلْتَمع عليه بالذهب ألتماعاً أحتقرتُ والله الأولى عندها، ثم ألقى نفسَه في البركة فنهِل فيها حتى تبيّنتُ ـ علم الله ـ نقصانَها، وأُخرِجَ [منها][1] كالميّت سكراً، وأُلْقِيَ وغُطِّيَ فنام، وأخذتُ الحلّةَ فوالله ما قال لي أحد: دعها ولا خذها، وأنصرفتُ؛ فلما كان اليوم الثالث جاءني رسولُه فدخلتُ إليه وهو في بَهْوٍ قد أُلقِيت سُتُورُه، فكلّمني من وراء الستور وقال: يا عطرّد / ، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين؛ قال: كأني بك [٣/٩] الآن قد أتيتَ المدينةَ فقمتَ بي في مجلسها ومَحْفِلِها وقعدتَ وقلتَ: دعاني أمير المؤمنين فدخلتُ إليه فاقترح عليّ فغنّيتُه وأطربتُه فشقّ ثيابَه وأخذتُ سَلَبَه وفعلَ وفعل، واللّهِ يأبن ألزانية، لئن تحرّكتْ شَفَتاك بشيء مما جرى فبلَغني لأضرِبَنّ عنقك، يا غلام أعْطِه ألفَ دينار، خُذْها وأنصرف إلى المدينة؛ فقلت: إنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذَن لي في تقبيل يده، ويزوِّدَني نظرةً منه وأُغنّيَهُ صوتاً! فقال: لا حاجة بي ولا بك إلى ذلك، فانصرِفْ. قال عطرّد: فخرجتُ من عنده وما علم الله أني ذكرتُ شيئاً مما جَرى حتى مضت من دولة بني هاشم مدّة.

---

(١) الزيادة عن ء.

نسبة هذين الصوتين

الصوت الأوّل ممّا غنّاه عطرّد الوليدَ قد نُسِب في أوّل أخباره، والثاني الذي أوّله:

* أيذهبُ عمري هكذا لم أَنَلْ بها *

الغِناء فيه لعطرّد ثاني ثقيل بالسبّابة[١] في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه ليونس من كتابه لَحنٌ لم يَذكُر طريقتَه؛ وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لإبراهيم ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى.

[٣/ ٣١٠] / صوت

من المائة المختارة

إن أمــــرأً تَعْتــــاده ذِكَــــرٌ[٢] ... منهــا ثَــلاثُ مِنًــى لَــذو صَبــرِ
ومــواقــفٌ بــالمَشْعَــرَيْــنِ[٣] لهــا ... ومنــاظِــرُ الجَمَــرات[٤] والنحــرِ
وإفــاضــةُ الــرُّكبــان خَلْفَهــمُ ... مثــلَ الغمــام أَرَذّ[٥] بــالقَطْــرِ
حتى أستلمــنَ الركــن فــي أُنُفٍ[٦] ... مــن ليلهــنّ يَطَــأن فــي الأُزُرِ[٧]
يَقْعُــدن فــي التَّطْــواف آونــةً ... ويَطُفْــن أحيــانــاً علــى فَتْــرِ[٨]
/ ففرَغن مـن سَبْـع وقـد جُهِدَتْ[٩] ... أحشــاؤهــنّ مــوائــلَ الخُمْــرِ[١٠]

١٠٠/٣

الشعر للحارث بن خالد المخزوميّ، والغِناء في اللحن المختار للأبْجَر، وإيقاعُه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مَجرى البِنصر في الأوّل والثاني والسادس من الأبيات عن إسحاق. وفيه للغريض خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو. ولأبن سريج في الثالث والرابع رمَلٌ بالسبّابة في مَجْرَى البنصر عن إسحاق.

---

(١) في أ، م،ء: «ثاني ثقيل بالوسطى».
(٢) كذا في ء، أ، م، وفي باقي الأصول ذكرى.
(٣) المشعر: موضع مناسك الحج.
(٤) الجمرات: الحصى الذي يرمي به الحاجّ.
(٥) أرذ: أمطر الرذاذ وهو المطر الضعيف.
(٦) الأنف: أوّل زمان مستقبل.
(٧) الأزر: جمع إزار.
(٨) الفتر: الضعف.
(٩) جهد (بضم الجيم على البناء للمفعول): صار مجهوداً.
(١٠) الخمر: جمع خمار وهو ما تغطّي به المرأة رأسها.

/ أخبار الحارث بن خالد المخزوميّ ونسبه [٣/٣١١]

نسبه من قبل أبويه:

الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مَخْزوم بن يَقَظَة بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب. وأمّه فاطمةُ بنت أبي سعيد بن الحارث بن هشام، وأمُّها بنت أبي جهل بن هشام. وكان العاص بن هشام جَدَّ الحارث بن خالد خرج مع المشركين يوم بَدْر فقتله أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

قامر أبو لهب العاص بن هاشم على نفسه فاسترقه وأرسله بدله يوم بدر:

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال حدّثني مُصْعَب بن عبدالله قال:

قامَر أبو لَهَب العاصَ بن هشام في عَشْرٍ من الإبل فقَمَره[1] أبو لهب، ثم في عشرٍ فقَمَره، ثم في عشرٍ فقَمَره، ثم في عشر فقَمَره، ثم في عشر فقَمَره، إلى أن خلعه من ماله فلم يَبْق له شيءٌ، فقال له: إني أرى القِداحَ قد حالفتْك يابن عبد المطّلب فهلمّ أُقامِرْك، فأيُّنا قُمِرَ كان عبداً لصاحبه، قال: افعل، ففَعل، فقمَره أبو لهب فكرِه أن يسترقّه فتَغْضَبَ بنو مخزوم، فمشى إليهم وقال: افتَدُوه منّي بعشرٍ من الإبل؛ فقالوا: لا والله ولا بوَبَرة، فاسترقّه فكان يرعَى له إبلاً إلى أن خرج المشركون إلى بدر. وقال غيرُ مُصْعَب: فاسترقّه وأجلسه قَيْناً[2] يعملَ الحديدَ. فلما خرج المشركون إلى بدر كان مَنْ لم يَخرُج أَخرَج بديلاً، وكان أبو لهب عليلاً فأخرجه وقعد، على أنه إن عاد إليه أعتقه، فقتله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذٍ.

/ ذهابه مذهب ابن أبي ربيعة في الغزل، وحبه عائشة بنت طلحة وولايته مكة: [٣/٣١٢]

والحارث بن خالد أحدُ شعراء قريش المعدودين الغَزَليِّين، وكان يذهب مَذْهبَ عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء، وكان يهوَى عائشةَ بنت طلحةَ بن عبيد الله ويشبّب بها؛ وولّاه عبدُ الملك بن مروان مكّةَ، وكان ذا قدْرٍ وخَطَرٍ ومنظَرٍ في قريش؛ وأخوه عِكْرِمةُ بن خالد المخزوميّ محدِّثٌ جليلٌ من وجوه التابعين، قد روَى عن جماعة من الصحابة؛ وله أيضاً أخٌ يقال له عبد الرحمن بن خالد، شاعرٌ، وهو الذي يقول:

رحَـل الشبابُ وليتَـه لـم يَـرْحَـلِ ... وغـدا لِطيَّـةِ[3] ذاهـبٍ مُتحمِّـلِ[4]

ولّـى بـلا ذمٍّ وغـادر بعـدَه ... شيئـاً أقـام مكـانَـه فـي المَـنزِلِ

ليـت الشبـابَ ثَـوَى لـدينـا حِقْبَـةً ... قبـل المشيـب وليتـه لـم يَعْجَـلِ

---

(١) قمره: غلبه في المقامرة.

(٢) القين: الحدّاد.

(٣) الطية: المنتأى، والقصد، والنية التي تنتوي.

(٤) المتحمل: الراحل.

فنُصِيبَ من لذّاته ونعيمه كالعهد إذ هو في الزمان الأوّلِ

وفيه غِناء.

كان أبو عمرو بن العلاء يرسل إليه أخاه معاذاً يسأله عن بعض الحروف:

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال:

قال مُعاذ بن العَلاء أخو أبي عمرو بن العلاء: كان أبو عمرو إذا لم يَحُجّ أستَبْضَعني[١] الحروفَ[٢] أسأل عنها الحارثَ بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة الشاعر وآتِيه بجوابها؛ قال: فقَدِمتُ عليه سنةً من السنين وقد ولاّه عبدُ الملك بن مروان مكةَ، فلما رآني قال: يا مُعاذ، / هاتِ ما معك من بضائع أبي عمرو، فجعلتُ أعجَب من أهتمامه بذلك وهو أمير. [١٠١/٣]

[٣١٣/٣] / **هو أحد شعراء قريش الخمسة المشهورين:**

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن أحمد بن سعيد عن الزبير، ولفظُه أتمّ، قال حدّثني محمد بن الضحّاك الحزاميّ قال:

كانت العرب تُفَضّل قريشاً في كلّ شيء إلا الشعر، فلما نَجَم في قريش عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزوميّ والعَرْجيّ وأبو دَهْبَل وعبيد[٣] الله بن قيس الرُّقَيّات[٤]، أقرّت لها العربُ بالشعر أيضاً.

تفاخر مولى له ومولى لأبن أبي ربيعة بشعريهما:

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيْثم وإسماعيل بن يونس وحَبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن يحيى أبو غَسّان قال:

تفاخر مَوْلًى لعمر بن أبي ربيعة ومولًى للحارث بن خالد بشعرِيْهما، فقال مولَى الحارث لمولَى عمر: دعني منك فإنّ مولاك والله لا يعرِف المنازلَ إذا قُلِبت، يعني قول الحارث:

إنّي وما نَحَروا غداةَ مِنًى عند الجِمار تَؤُودها[٥] العُقْلُ

(١) كذا في الأصول، ولم نجد في «كتب اللغة» التي بأيدينا كـ «اللسان» و «القاموس» «استبضع» متعدياً لمفعولين، والموجود «استبضع الشيء» أي جعله بضاعته. والموجود متعدياً من هذه المادة «أبضعني» فإنه يقال: أبضعني البضاعة أي أعطاني إياها.

(٢) الحروف: الكلمات واحدها حرف.

(٣) كذا ورد هذا الاسم في «الأغاني» في ترجمته ج ٤ ص ١٥٥ طبع بولاق و «شرح القاموس» مادة «رقي» و «ولاة مصر» للكندي ص ٥٢ و «الموشح» للمرزباني ص ١٥٠، ١٨٦، ٢٢١ وقد ورد في جميع الأصول: «عبدالله» وورد كذلك في «نقائض جرير والفرزدق» ص ٥٩٨ وقد ورد في الطبري قسم ٢ ص ٧٩٠، ٨١٢، ٨٢٨، ١١٧٣ باسم أبن قيس الرقيات فقط، وذكر البغدادي في «الخزانة»: أن لقيس أبنين عبيد الله وعبدالله واختلفوا في الشاعر منهما، فقال ابن قتيبة والمبرد في «الكامل»: هو عبدالله المكبر، وقال المرزبانيّ في «معجمه»: هو عبيد الله بالتصغير، قال: ومن الرواة من يقول الشاعر عبدالله وهو خطأ.

(٤) ذكر البغدادي في «الخزانة» في ترجمته ج ٣ ص ٢٦٧ أنه يقال: الرقيات بالرفع على أنه صفة لعبدالله وبالجر على الإضافة لأنه قيل: إن في جدّاته ثلاث نسوة يسمين بهذا الاسم أو أنهن زوجاته أو محبوباته.

(٥) كذا في حـ، ومعناه تثقلها. وفي سائر الأصول «تؤدّها» من أدّه الأمر يؤدّه ويئدّه إذا دهاه. والعقل: جمع عقال ويجوز في عين هذا الجمع التسكين كما هنا.

لــو بُــدِّلــتْ أعلــى(١) مَسَـاكنِهـا سُفْــلاً وأصبــح سُفْلُهــا يَعْلُــو

[٣/ ٣١٤] / فيَكــاد يعــرِفهــا الخبيــرُ بهــا فيــرُدّه الإقــواءُ(٢) والمَحْــلُ

لعــرفــتُ مَغْنــاهــا بمــا أحتمَلتْ منّــي الضلــوعُ لأهلهــا قَبْــلُ

ـ قال عمر بن شبّة: وحدّثني محمد بن سلاّم بهذا الخبر على نحوٍ ممّا ذكره أبو غسّان، وزاد فيه: ـ فقال مولَى أبنِ أبي ربيعة لمولَى الحارث: والله ما يُحسِنُ مولاك في شعرٍ إلا نُسِب إلى مولاي.

قال أبن سلاّم: وأنشَد الحارثُ بن خالد عبدَالله بن عمرَ هذه الأبيات كلَّها حتى انتهى إلى قوله:

لعــرفــتُ مغنــاهــا بمــا أحتملـتْ منّــي الضلــوعُ لأهلهــا قبــلُ

فقال له أبنُ عمر: قُلْ: إن شاء الله؛ قال: إذاً يَفْسُد بها الشعرُ يا عَمّ، فقال له: يا بن أخي، إنه لا خيرَ في شيء يُفسِدُه «إن شاء الله». قال عمر: وحدّثني هذه الحكايةَ إسحاق بن إبراهيم في مخاطبته لأبن عمر ولم يُسنِدْها إلى أحدٍ، وأظنّه لم يَرْوِها إلا عن محمد بن سلاّم. وأخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان عن أبي الفضل المَرْوَزُوذِيّ عن إسحاق عن أبي عُبَيْدة، فذكر قصّةَ الحارث مع أبن عمر مثلَ الذي تقدّمه.

فضّله كثيّر الشاعر في الشعر على نفسه وأنشد من شعره:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثني أبو سَلَمَةَ الغِفَاريّ عن يحيى بن عُرْوة بن أُذَيْنَة عن أبيه قال:

كان كُثَيِّرٌ جالساً في فتيةٍ من قريش إذ مرّ بهم سعيدُ الراس(٣)، وكان مُغَنِّياً، فقالوا لكثيّر: يا أبا صخر، هل لك أن نُسمِعك غناء هذا، فإنه مُجيد؟ قال: أفعلوا؛ فدعَوْا به فسألوه أن يغنّيَهم:

[٣/ ٣١٥] / صــوت

هَــلاّ ســألــتَ معــالِـمَ الأطــلالِ بالجِزع من حُرُضٍ(٤) وهنّ بَوَالِي

سَقيــاً لعَــزّةَ خُلّتــي سَقيــاً لهــا إذ نحن بـالهَضَبـاتِ مـن أملالِ(٥)

إذ لا تكلّمنــا وكــان كــلامُهــا نَفَــلاً(٦) نــؤمّلــه مــن الأنفــالِ

فغنّاه، فطرِب كثيّر وأرتاح، وطرِب القومُ جميعاً، وأستحسنوا قولَ كثيّر، وقالوا له: يا أبا صَخر مَا يستطيع(٧)

---

(١) كذا في حـ وفي باقي الأصول: «أعلام ساكنها» وهو تحريف.

(٢) أقوت الدار إقواءً: أقفرت، والمحل: الجدب.

(٣) لم نوفق إلى ضبط هذا الاسم، فلعله «الرأس» وزان شداد وهو بائع الرؤوس.

(٤) حرض: وادٍ عند أحد.

(٥) أملال ويقال له ملل: موضع على طريق المدينة إلى مكة على ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة، هكذا ذكره ياقوت في «معجمه» واستشهد بهذا البيت من شعر كثيّر.

(٦) النفل: الغنيمة والعطية.

(٧) كذا في جميع الأصول «ما يستطيع» بدون همزة الاستفهام، ولكن الجواب بكلمة «بلى» يدل على أن القصد من الجملة الاستفهام، وهمزة الاستفهام مما يجوز حذفه (انظر «المغني» لأبن هشام في بحث الألف من الباب الأول). ويحتمل أن يكون «ما يستطيع» نفياً محضاً وأن التحريف في «بلى» وأن أصلها «بل» الإضرابية.

أحدٌ أن يقول مثل هذا؛ فقال: بلى، الحارث بن خالد حيث يقول:

١٠٢/٣

/ صوت

إنــي ومــا نَحـروا غــداةَ مِنًــى   عنـد الجِمـار تَـؤودُهـا العُقُـلُ
لــو بُـدِّلَــتْ أعلــى مسـاكنهـا   سُفْـلاً وأصبـح سُفْلهـا يعلــو
لعـرَفـتُ مَغنـاهـا بمـا احتملَـتْ   منّــي الضلــوع لأهلهــا قَبْــلُ

نِسبة ما في هذه الأخبار
من «الأغاني» في أبيات كُثَيِّر الأوّل

التي أوّلها:

* هلاّ سألتَ مَعالِمَ الأطلالِ *

لابن سُرَيج منها في الثاني والثالث رَمَلٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وللغريض في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّلُ مطلَقٌ في مجرى البنصر عنه. وفيهما[1] لعَلُّوَيَة / رمَل بالوسطى عن عمرو. وفي أبيات الحارث بن خالد [٣/٣١٦] لإبراهيم الموصليّ رمَل بالسبّابة في مَجْرى الوُسْطى عن إسحاق أيضاً.

تمثّل أشعب بشعره في علوّ الزبيريين على العلويين:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانِيّ قال حدّثنا الخليل بن أسد عن العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال:

دخل أَشْعَبُ مسجدَ النبيّ ﷺ فجعل يطوف الحِلَق[2]، فقيل له: ما تريد؟ فقال: أَستَفْتي في مسألة؛ فبينا هو كذلك إذ مرّ برجل من ولد الزبير وهو مُسْنَدٌ إلى سارية[3] وبين يديه رجلٌ عَلَويّ، فخرج أشعب مبادراً؛ فقال له الذي سأله عن دخوله وتَطْوافه: أَوَجدتَ من أفتاك في مسألتك؟ قال: لا، ولكني علِمتُ ما هو خير لي منها؛ قال: وما ذاك؟ قال: وجدتُ المدينةَ قد صارت كما قال الحارث بن خالد:

قــد بُـدِّلَــتْ أعْلَــى مســاكنهــا   سُفْــلاً وأصبــح سُفْلهــا يعلــو

رأيتُ رجلاً من ولد الزبير جالساً في الصدر، ورجلاً من ولد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه جالساً بين يديه، فكفى هذا عَجَباً، فانصرفت.

كان مروانياً وكل بني مخزوم زبيرية:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة، وأخبرني هذا الخبرَ إسماعيلُ بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى أبو غسّان، وأخبرني به محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا

(١) في ب، س، م: «وفيها».
(٢) الحلق: جمع حلقة وهي دائرة القوم وحلقتهم؛ وهذا الجمع على النادر كهضبة وهضب.
(٣) السارية: العمود.

[٣/٣١٧] عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو[١] عبدالله بن محمد بن محمد بن حَفْص عن أبيه قال قال محمد بن خلف أخبرني به/ أبو أيوب سليمان بن أيوب[٢] المدنيّ قال حدّثنا مُصْعَب الزُّبَيْريّ، وأخبرني به أيضاً الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي، وقد جمعتُ رواياتهم في هذا الخبر:

أنّ بني مَخْزوم كلّهم كانوا زُبَيْرِيّة سوى الحارث بن خالد فإنه كان مَرْوانياً.

ذهب إلى الشأم مع عبد الملك فحجبه وجفاه فقال شعراً فقرّبه وولاه مكة:

فلما ولِي عبدُ الملك الخلافةَ عامَ الجماعة وفدَ عليه في دَيْن كان عليه وذلك في سنة خمس وسبعين؛ وقال مُصْعَب في خبره: بل حجّ عبدُ الملك في تلك السنة فلما أنصرف رحَل معه الحارثُ إلى دِمَشق، فظهرت له منه جَفْوة، وأقام ببابه شهراً لا يَصِل إليه، فانصرف عنه وقال فيه:

صَحِبتُك إذ عَيْني عليها غِشاوةٌ	فلما أنجلَتْ قَطَعتُ نفسي ألومُها
وما بي وإن أقصيْتَني من ضَراعةٍ	ولا أفتقرتْ نفسي إلى من يَضِيمُها

هذا البيت في رواية ابن المَرْزُبان وحده:

عَطَفتُ عليك النفسَ حتى كأنما	بكفّيك بؤسي أو عليك نعيمُها

عزله عبد الملك لأنه أخر الصلاة حتى تطوف عائشة بنت طلحة:

/ وبلغ عبدَ الملك خبرُه وأُنشِد الشعرَ، فأرسل إليه مَنْ رَدّه من طريقه؛ فلما دخل عليه قال له: حارِ[٣]، [١٠٣/٣] أخبِرني عنك: هل رأيتَ عليك في المُقام ببابي غَضَاضةً أو في قصدي دناءةً؟ قال: لا واللّهِ يا أمير المؤمنين؛ قال: فما حَملك على ما قلتَ وفعلتَ؟ قال: جفوةٌ ظهرتْ لي، كنتُ[٤] حقيقاً بغير هذا، قال: فأخترْ، فإن شئتَ أعطيتُك مائة ألف درهم، أو قضيتُ دَيْنك، أو ولّيتُك مكّة سنةً، فولاّه إياها، فحجّ بالناس وحجّت عائشةُ بنت طَلْحة عامَئِذٍ، وكان يهواها، فأرسلتْ إليه: أَخّر / الصلاةَ حتى أفرُغَ من طَوافي، فأمَر المؤذّنِين فأخّروا الصلاةَ حتى فرَغتْ من [٣/٣١٨] طَوافها، ثم أُقيمت الصلاةُ فصلّى بالناس، وأنكر أهلُ المَوْسم ذلك من فعله وأعظَموه، فعزَله وكتب إليه يؤنّبه فيما فعل؛ فقال: ما أهونَ واللّهِ غضبَه إذا رَضِيَتْ! والله لو لم تفرغْ من طوافها إلى الليل لأخّرتُ الصلاةَ إلى الليل. فلمّا قضَتْ حَجّها أرسَل إليها: يَابنة عمّي أَلِمّي بنا أوعِدينا مجلِساً نتحدّث فيه؛ فقالت: في غَدٍ أفعلُ ذلك، ثم رحلت من ليلتها؛ فقال الحارث فيها:

صـوت

ما ضرّكم لو قلتمُ سَدَداً	إنّ المطايا عاجِلٌ غَدُها
ولها علينا نِعمةٌ سَلَفتْ	لسنا على الأيام نجحدُها
لو تمّمتْ أسبابَ نعمتها	تمّت بذلك عندنا يدُها

(١) كلمة «أبو» ساقطة في حـ.

(٢) في حـ: أبو أيوب.

(٣) حار: ترخيم حارث.

(٤) كذا في الأصول ولعله «وكنت» بالواو.

لمِعْبَد في هذه الأبيات ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانة ويونس ودَنَانِيرَ، وقد ذكره إسحاق فنسَبه إلى ابن محرز ثقيلاً أوّل في أصوات قليلة الأشباه؛ وقال عمرو بن بانة: من الناس من نسبه إلى الغريض.

نسبة ما في الأخبار من الغناء

صوت

وما بي وإن أقصيتني من ضَراعة ... ولا أفتقرتْ نفسي إلى من يُهينُها

بَلَى بأبي إني إليك لضَارعٌ ... فقيرٌ ونفسي ذاك منها[1] يَزينُها

[٣١٩/٣] / البيتُ الأوّل للحارث بن خالد، والثاني أُلحِق به. والغِناء للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن ابن المكيّ. وذكر الهشاميّ أن لحن الغريض خفيفُ ثقيلٍ في البيت الأوّل فقط، وحكى أن قافيته على ما كان الحارث قاله:

* ولا أفتقرت نفسي إلى من يَضيمها *

وأن الثقيل الأوّل لعُلَيّة بنت المهديّ، ومن غنائها البيتُ المضاف. وأَخْلِقْ بأن يكون الأمرُ على ما ذكره، لأن البيت الثانيَ ضعيفٌ يُشبه شِعرَها.

تزوّج مصعب بعائشة ورحل بها إلى العراق فقال الحارث شعراً:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر وإسماعيل بن يونس قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان محمد بن يحيى قال:

لما تزوّج مُصْعَب بن الزبير عائشةَ بنت طلحة ورحَل بها إلى العراق، قال الحارث بن خالد في ذلك:

صوت

ظعَن الأميرُ بأحسن الخَلْقِ ... وغدا بلُبّك مَطْلَعَ الشَّرْقِ

[١٠٤/٣] / في البيت ذي الحسبِ الرفيعِ ومِن ... أهلِ التُّقَى والبِرِّ والصِّدْقِ

فظَلِلتُ كالمقهور مهجتُه ... هذا الجنونُ وليس بالعِشْقِ

أتْرُجَّةٌ عَبِقَ العبيرُ بها ... عَبَقَ الدِّهان بجانب الحُقِّ

ما صبّحتْ أحداً برؤيتها ... إلا غدا بكواكب الطَّلْقِ[2]

وهي أبيات، غنّى آبن مُحرز في البيتين الأوّلين خفيف رمَلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانة أن فيهما لمالك ثقيلاً بالوسطى، وذكر / حَبَش أن فيهما لِمالك رملاً بالوسطى، وذكر حبش أيضاً أن [٣٢٠/٣] فيهما لِلدّلال ثانيَ ثقيل بالبنصر، ولأبن سُرَيج ومالك رَمَلَيْن، ولسعيد بن جابر هَزَجاً بالوسطى.

(١) كذا في ب، س، حـ، وفي سائر الأصول: «منك».

(٢) يقال: يوم طلق أي مشرق لا برد فيه ولا حرّ ولا شيء يؤذي، ويقال أيضاً: ليلة طلق وليلة طلقة. يريد: أن من تصبحه برؤيتها، يرى الزمان صافياً طيباً سعيداً، هاؤلاً بطلعتها واستبشاراً.

استأذن على عائشة بنت طلحة وكتب لها مع الغريض وأمره أن يغني لها من شعره فوعدته وخرجت من مكة:

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلاّم عن ٱبن جُعْدُبَة قال:

لما أن قدمتْ عائشةُ بنتُ طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد وهو أميرٌ على مكة: إني أُريد السلام عَليكِ، فإذا خفّ عليكِ أذِنْتِ، وكان الرسولُ الغريضَ، فقالت له: إنّا حُرُم، فإذا أحلَلْنا أذِنّاك، فلما أحلّت سَرَتْ على بَغَلاتها، ولَحِقَها الغريضُ بعُسْفَان[1] أو قريبٍ منه، ومعه كتابُ الحارث إليها:

* ما ضَرّكم لو قلتُمُ سَدَداً *

ـ الأبيات المذكورة ـ؛ فلما قرأتِ الكتابَ قالت: ما يَدَعُ الحارث باطلَه! ثم قالت للغريض: هل أحدثْتَ شيئاً؟ قال: نعم، فٱسمعي، ثم ٱندفع يغنّي في هذا الشعر؛ فقالت عائشة: والله ما قلنا إلا سَدَداً، ولا أردنا إلا أن نشتريَ لسانَهُ؛ وأتى على الشعر كلّه، فٱستحسنته عائشة، وأمرت له بخمسة آلاف درهم وأثواب، وقالت: زِدْني، فغنّاها في قول الحارث بن خالد أيضاً:

زَعَمـوا بـأن البَيْـن بعـد غَـدِ ... فـالقلـبُ ممـا أحْـدَثـوا يَجِـفُ

والعَيْـنُ منـذ أُجِـدّ بَيْنهُـمُ ... مثـلَ الجُمـانِ دمـوعُهـا تكِـفُ

/ ومقـالهـا ودمـوعُهـا سُجُـمٌ ... أقْلِـلْ حنينَـك حيـن تنصـرِفُ [٣٢١/٣]

تشكـو ونشكـو مـا أشَـتَّ[2] بنـا ... كـلٌّ بـوَشْـك البيْـن مُعْتَـرِفُ

ـ إيقاع هذا الصوت ثقيلٌ أوّل مطلقٌ في مجرى الوسطى عن الهشاميّ، ولم يذكر له حمادٌ طريقاً ـ قال: فقالت له عائشة: يا غريض، بحقّي عليك أهو أَمَرَكَ أن تغنّيَني في هذا الشعر؟ فقال: لا، وحياتِك يا سيدتي! فأمرت له بخمسة آلاف درهم، ثم قالت له: غَنّني في شعرِ[3] غيره؛ فغنّاها [قولَ[4] عمر فيها]:

غناها الغريض بشعر ٱبن أبي ربيعة:

صوت

أجْمَعتْ خُلّتي مع الفجر بَيْنا[5] ... جَلّـل[6] اللّـهُ ذلك الـوجـهَ زَيْنـا

أجمعـتْ بينَهـا ولـم نَـكُ منهـا ... لـذّةَ العيـشِ والشبـابِ قضَيْنـا

---

(١) ذكر ياقوت في «معجمه» عسفان فقال: قال أبو منصور: عسفان منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة، وقال غيره: عسفان بين المسجدين وهي من مكة على مرحلين، وقيل: عسفان قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلاً من مكة وهي حدّتها.

(٢) أشت بنا: فرّق أمرنا.

(٣) في أ،ء، م: «في غير شعره».

(٤) الزيادة عن أ،و.

(٥) البين: الفراق. وأجمعت بينا: اعتزمته وصممت عليه.

(٦) جلل: عمّ، ومنه المجلل: للسحاب الذي يجلل الأرض بالمطر أي يعمها.

فتـولّـتْ حُمُـولُهـا وٱستقـلّـت لـم تَنَـلْ طـائـلاً ولـم نُقْـضَ دَيْنـا

ولقـد قلـتُ يـومَ مكّـة لمّـا أرسلـتْ تَقْـرَأُ السـلامَ علينـا

أنعـم اللّـهُ بـالـرسـول الـذي أر سِلَ والمُـرسِلِ الـرسـالـةِ عَيْنـا[1]

١٠٥/٣ / ـ الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة، والغناءُ للغريض خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، وغيرُه ينسُبه إلى ٱبن سريج. وفيه لمعبدٍ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى[2] عن عمرو، وأظنه هذا اللحن ـ قال: فضحِكَتْ ثم [٣٢٢/٣] قالت: وأنت يا غريض فأنْعَم اللّهُ بك عيناً، وبٱبن أبي ربيعة عيناً، لقد تَلطّفتَ حتى أدّيتَ إلينا رسالته، وإن وفاءَك/ له لممّا يَزيدنا رغبةً فيك وثقةً بك. وقد كان عمر سأل الغريض أن يغنّيَها هذا الصوتَ لأنه قد كان ترك ذِكرها لمّا غضِبت بنو تَيْم من ذلك، فلم يحبّ التصريحَ بها وكرِه إغفالَ ذكرها؛ وقال له عمر: إن أبلَغتَها هذه الأبيات في غناء فلَكَ خمسةُ آلاف درهم.

غنى الغريض عاتكة بنت يزيد:

فوفَى له بذلك، وأمَرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أخرى؛ ثم انصرف الغريضُ من عندها فلَقِي عاتِكةَ بنت يزيد بن معاوية ٱمرأةَ عبد الملك بن مروان، وكانت قد حجّت في تلك السنة، فقال لها جَواريها: هذا الغريضُ؛ فقالت لهنّ: عليَّ به، فَجِيء به إليها. قال الغريض: فلما دخلتُ سلّمتُ فردّت عليّ وسألتني عن الخبر، فقصَصْتُه عليها؛ فقالت: غنّني بما غنّيتَها به، ففعلتُ فلم أرها تَهَشّ لذلك، فغنّيتُها مُعرِّضاً لها ومذكّراً بنفسي في شعر مُرّة بن مَحْكان السَّعْديّ يُخاطب ٱمرأتَه وقد نزَل به أضيافٌ:

أقـولُ والضّيـفُ مَخْشِـيٌّ ذِمـامَتُـه[3] علـى الكـريـم وحـقُّ الضيـفِ قـد وجَبـا

صوت

يـا ربّـةَ البيـت قُـومِـي غيـرَ صـاغـرةٍ ضُمِّـي إليـك رِحـالَ القـوم والقِـرَبـا

فـي ليلـةٍ مـن جُمـادَى ذاتِ أنـدِيَـةٍ[4] لا يُبصـر الكلـبُ مـن ظَلْمـائهـا الطُّنُبـا

لا ينبَـحُ الكلـبُ فيهـا غيـرَ واحـدةٍ حتـى يَلُـفَّ علـى خَيْشـومـه الـذَّنَبـا

ـ الشعر لمُرّة بن مَحْكان السَّعْديّ، والغِناءُ لٱبن سريج. ذكر يونس أن فيه ثلاثةَ ألحان، فوجدتُ منها واحداً [٣٢٣/٣] في كتاب عمرو بن بانة رَمَلاً بالوسطى، والآخرَ في كتاب / الهِشاميّ خفيف ثقيل بالوسطى، والآخر ثانيَ ثقيلٍ في كتاب أحمد بن المكيّ ـ قال: فقالت وهي متبسّمة: قد وجَب حقّك يا غريض، فغنّني؛ فغنّيتها:

(١) ورد هذا البيت في «اللسان» ج ١٦ ص ٦٠ هكذا:

أنعم الله بالرسول وبالمر سل والحامل الرسالة عينا

والرسول في هذه الرواية: اسم بمعنى الرسالة، وأصله مصدر وفعله ممات.

(٢) في ء: «وفيه لمعبد خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن عمرو».

(٣) الذمامة (بالفتح وتكسر): الذمة والعهد.

(٤) أندية: جمع ندي (وزان فتى)، وهو ما يسقط بالليل، وهذا الجمع شاذ، لأن أفعلة إنما يكون جمعاً لما كان ممدوداً مثل كساء وأكسية. وقد تمحل بعضهم لتصحيح هذا الجمع أوجهاً لا تخلو من التعسف. (انظر «اللسان» مادة ندى).

صوت

يا دهرُ قد أكثرتَ فَجْعتنا ... بسَراتنا ووَقَرْتَ[١] في العَظْمِ
وسَلَبْتنا ما لستَ مُخْلِفَه ... يا دهرُ ما أنصفتَ في الحُكْمِ
لو كان لي قِرنٌ أناضِله ... ما طاش عند حَفِيظةٍ سَهْمي
لو كان يُعطِي النَّصْفَ[٢] قلتُ له ... أحرزتَ سهمك فَالْهُ عن سهمي[٣]

فقالت: نُعْطِيك النّصف ولا نُضيع سهمَك عندنا، ونُجزِل لك قِسمك، وأمَرتْ لي بخمسة آلاف درهم وثيابٍ عَدَنِيّة[٤] وغير ذلك من الألطاف، وأتيتُ الحارثَ بن خالد فأخبرته الخبرَ وقصصتُ عليه القصّة؛ فأمر لي بمثل ما أمَرَتَا لي به جميعاً، فأتيتُ ابنَ أبي ربيعة وأعلمتُه بما جرى، فأمر لي بمثل ذلك، فما أنصرف واحد من ذلك المَوْسِم بمثلي ما انصرفتُ به: بنظرة / من عائشة ونظرةٍ من عاتكة وهما من أجمل نساء عالَمهما، وبما أمرتا لي به، وبالمنزلة [١٠٦/٣] عند الحارث وهو أمير مكّة، وابنِ أبي ربيعة، وما أجازاني به جميعاً من المال.

لما حجت عائشة بنت طلحة استأذنها في زيارتها فوعدته ثم هربت:

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أبو الحسن المَرْوَزِيّ قال حدّثنا محمد بن سلّام عن يونس قال:

/ لما حجّتْ عائشةُ بنتُ طَلْحةَ أرسل إليها الحارثُ بن خالد وهو أمير مكة: أنعم اللّهُ بِك عيناً وحيّاكِ، وقد [٣٢٤/٣] أردتُ زيارَتكِ فكرِهتُ ذلك إلاّ عن أمرك، فإن أذِنْتِ فيها فعلتُ؛ فقالت لمَوْلاة لها جَزْلةٍ[٥]: وما أرُدّ على هذا السفيه؟ فقالت لها: أنا أكْفِيك، فخرجتْ إلى الرسول وقالت له: اقرأ عليه السلامَ، وقل له: وأنت أنعم الله بكَ عيناً وحيّاك، نَقضي نُسُكَنا ثم يأتيك رسولُنا إن شاء الله، ثم قالت لها: قُومي فطُوفي وٱسْعَيْ وٱقضِي عُمْرتَكِ وٱخرجي في الليل، ففعلتْ؛ وأصبح الحارثُ فسأل عنها فأُخْبِر خبرَها، فوجّه إليها رسولاً بهذه الأبيات، فوجَدها قد خرجتْ عن عمل مكّة، فأوصل الكتابَ إليها، فقالت لمولاتها: خُذِيه فإني أظنه بعض سَفاهاته، فأخذتْه وقرأته وقالت له: ما قلنا إلا سَدَداً[٦] وأنت فارغ للبَطالة[٧]، ونحن عن فَرَاغك في شغل.

سألت عنه عائشة بنت طلحة فأرسل إليها شعراً:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ وإسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال: زعم كُلْثُوم بن أبي بكر بن عمر بن الضّحّاك بن قيس الفِهْرِيّ قال:

(١) وقر العظم: صدعه.
(٢) النصف مثلثة: اسم بمعنى الانتصاف.
(٣) السهم: النصيب والحظ، والسهم في البيت الذي قبله: ما يرمي به وهو واحد النبل.
(٤) في أ، ء، م: «عربيّة».
(٥) الجزلة: العاقلة الأصيلة الرأي.
(٦) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «سداداً». والسدد والسداد في القول: أن يكون صواباً.
(٧) البطالة (بفتح الباء): اتباع اللهو.

قدِم المدينةَ قادمٌ من مكّة فدخل على عائشة بنت طلحة، فقالت له: من أين أقبل الرجل؟ قال: من مكّة، فقالت: فما فعل الأعرابيّ؟ فلم يَفْهَم ما أرادت، فلما عاد إلى مكّة دخل على الحارث، فقال له: من أين؟ قال: من المدينة، قال: فهل دخلتَ على عائشة بنت طلحة؟ قال: نعم، قال: فعَمّاذا سألتْك؟ / قال: قالت لي: ما فعل الأعرابيّ؟ قال له الحارث: فَعُدْ إليها ولك هذه الراحلةُ والحُلة ونفقَتُك لطريقك وأدفع إليها هذه الرقعة، وكتب إليها فيها: [٣٢٥/١]

صوت

من كان يَسأل عنا أين منزِلُنا ... فالأُقْحُوانَةُ[1] منا منزلٌ قَمَنُ[2]

إذ نلبسَ العيشَ صفواً ما يكدّره ... طَعْنُ الوُشَاة ولا ينبو بنا الزمنُ

قال إسحاق: وزادني غيرُ كلثوم فيها:

ليست الهوى لم يقرّبني إليكِ ولم ... أَعْرِفْكِ إذ كان حظّي منكُم الحَزَن

غنّى في هذه الأبيات ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر يونس أن فيها لحناً ولم يُجنّسه، وذكر عمرو أن فيه لبابُويَه ثانيَ ثقيل بالبنصر.

غضب على الغريض ثم رق له وغناه الغريض في شعره:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلّام، قال:

لما ولّى عبدُ الملك بن مروان الحارثَ بن خالد المخزوميّ مكّةَ بعث إلى الغريض فقال له: لا أَرَيَنّكَ في عملي[3]، وكان قبل ذلك يطلبه ويَستدعيه فلا يُجيبه، فخرج الغريضُ إلى ناحية الطائف، وبلغ ذلك الحارثَ فرقّ له فردّه وقال له: لِمَ كنتَ تُبْغِضنا وتهجر شِعرَنا ولا تَقْرَبُنا؟ قال له الغريض: كانت هفوةً من هفوات / النفس، وخطرةً من خطَرات الشيطان، ومثلُك وهَب الذنبَ، / وصفَح عن الجُرْم، وأقال العَثْرَةَ، وغَفر الزَّلَّة، ولستُ بعائدٍ إلى ذلك أبداً؛ قال: وهل غنيتَ في شيء من شعري؟ قال: نعم، قد غنّيتُ في ثلاثة أصوات من شعرك، قال: هاتِ ما غنّيتَ، فغنّيتُ: [٣٢٦/١] [١٠٧/٣]

صوت

بان الخَليطُ فما عاجوا ولا عَدَلوا ... إذ ودّعوك وحنّت بالنوى[4] الإبلُ

(١) الأقحوانة: موضع قرب مكة. قال الأصمعيّ: هي ما بين بئر ميمون إلى بئر ابن هشام.

(٢) القمن (بالتحريك): الخليق والجدير كالقمن (بكسر الميم) إلا أن الأوّل لا يثني ولا يجمع ولا يؤنث، لأنه مصدر وصف به بخلاف الثاني فإنه نعت، ويعدّى بالباء ومن، يقال: هو قمن به ومنه، وهذا المنزل لك موطن قمن أي جدير أن تسكنه. ويحتمل أن يكون «قمن» في البيت بمعنى قريب.

(٣) في عمل أي في البلد الذي تحت حكمي.

(٤) في أ: «وراحت بالدمى».

كـأن فيهـم غـداةَ البَيْـن إذ رَحَلـوا أَدْماءَ[١] طاع[٢] لها الحَوْذانُ[٣] والنَّفَلُ[٤]

ـ الغِناء للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحَبَش؛ قال حبَش: وفيه لأبن سُرَيج خفيفُ رمَل بالبنصر، ولإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر ـ فقال له: أحسنتَ والله يا غريض، هات ما غنّيت فيه أيضاً من شعري، فغنّاه في قوله:

صوت

يـا ليت شعري وكـم مـن مُنْيـة قُـدِرتْ وَفْقـاً وأُخـرى أتـى مـن دونهـا القَـدَرُ

ومُضْمَـرِ الكَشْـح يَطْـوِيـه الضجيـعُ لـه طـيَّ الحِمـالـة[٥] لا جـافٍ ولا فَقِـرُ[٦]

لـه شَبِيهـان[٧] لا نَقْـصٌ يَعِيبهمـا بحيـث كـانـا ولا طُـولٌ ولا قِصَـرُ

/ ـ لم أعْرِف لهذا الشعر لحناً في شيء من الكتب ولا سمعتُه ـ فقال له الحارث: أحسنت والله يا غريض، [٣/٢٢٧] إيهِ، وماذا[٨] أيضاً؟ فغنّاه قولَه:

عَفَـتِ الـديـارُ فمـا بهـا أهـلُ حُـزّانُهـا[٩] ودِمـاثُهـا[١٠] السهـلُ

إنـي ومـا نحـروا غـداةَ مِنًـى عنـد الجِمـار تـؤدهـا العُقُـلُ

ـ الأبياتَ المذكورة وقد مضت نِسْبتُها معها ـ فقال له الحارث: يا غريضُ لا لومَ في حبّك، ولا عذرَ في هجرك، ولا لذّة لمن لا يروِّح قلبَه بك، يا غريض لو لم يكن لي في ولايتي مكّةَ حظٌّ إلا أنتَ لكان حظّاً كافياً وافياً، يا غريض إنما الدنيا زينة، فأزْيَنُ الزينة ما فرح[١١] النفسَ، ولقد فَهِم قَدْرَ الدنيا على حقيقتِه من فَهِم قَدْر الغناء.

أنشدت سكينة بنت الحسين بيتاً من شعره فنقدته:

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهَير عن مُصْعَب الزُّبيريّ قال:

أُنشِدتْ سُكَيْنةُ بنت الحسين قولَ الحارث بن خالد:

ففـرَغْـن مـن سَبْـع وقـد جُهِـدت أحشـاؤهـن مـوائـلَ الخُمُـرِ

(١) الأدماء: الظبية البيضاء يعلوها جُدَد فيها غبرة، وقيل هي البيضاء الخالصة البياض، وقيل: هي التي لونها كلون الجبال.
(٢) يقال: طاع له المرتع: أي أتسع وأمكنه رعيه متى شاء.
(٣) الحوذان: نبت سهليّ حلو طيّب الطعم.
(٤) النفل: نبت من أحرار البقول نوره أصفر طيّب الرائحة.
(٥) الحمالة: علاقة السيف.
(٦) الفقر: الكسير الفقار، والفقار: ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العَجْب.
(٧) كذا بالأصول، ولسنا على يقين من المعنى المراد.
(٨) في الأصول: «وما ذلك أيضاً».
(٩) حِزّان ـ بضم الحاء وكسرها وتشديد الزاي ـ: جمع «حزيز» وهو موضع من الأرض كثرت حجارته وغلظت كأنها السكاكين، أو هو ما غلظ وصلب من جَلَد الأرض مع إشراف قليل؛ وفي قصيدة كعب بن زهير:

ترمي الغُيوبَ بعينَيْ مفردٍ لَهَقٍ إذا توقدت الحُزّانُ والمِيلُ

(١٠) الدماث: السهول من الأرض.
(١١) في حـ: «فرّج» بالجيم.

فقالت: أَحَسَنٌ عندكم ما قال؟ قالوا: نعم، فقالت: وما حُسْنُه! فوالله لو طافت الإبل سَبْعاً لجُهِدت أحشاؤها.

قيل له ما يمنعك من عائشة وقد مات زوجها فأجاب:

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن كلثوم بن أبي بكر قال:

لما مات عمر بن عبدالله التَّيْميّ عن عائشة بنت طلحة وكانت قبله عند مُصْعَب بن الزبير قيل للحارث بن خالد: ما يمنعك الآن منها؟ قال: لا يتحدّث والله رجالٌ من قريش أنّ نَسِيبي بها كان لشيء من الباطل.

[٣/٣٢٨] / **تنازع هو وأبان بن عثمان ولاية الحج فغلبه أبان فقال شعراً:**

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني عمّي عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال:

لما خرج ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان شُغِل عن أن يولّيَ على الحَجّ رجلاً، وكان الحارثُ بن خالد عامِلَه على مكّة، فخرج أَبَانُ بن عثمان من المدينة وهو عامله عليها، فغدا على الحارث بمكّة ليَحُجّ بالناس؛ فنازَعه الحارثُ وقال له: لم يأتِني كتابُ أمير المؤمنين بتَوْلِيتك على المَوْسِم، وتغالَبا فغَلَبه أبانُ بن عثمان / بنسبه، ومال إليه الناسُ فحجّ بهم؛ فقال الحارث بن خالد في ذلك: ١٠٨/٣

فإن تَنْجُ منها يا أَبَانُ مسلَّماً فقد أفلت الحجّاجَ خيلُ شَبِيبِ
وكاد غَداةَ الدَّيْرِ[١] يُنْفِدُ حِضْنَه غلامٌ بطعن القِرْن جِدُّ طبيبِ
وأَنْسَوْه وصفَ الدَّيْر لما رآهُمُ وحسَّنَ خوفُ الموت كلَّ مَعيبِ[٢]

فَلَقِيَه الحجّاجُ بعد ذلك، فقال: ما لي ولك يا حارث! أَيُنازِعك أبانُ عملاً فتذكَرني! فقال له: ما اعتمدتُ مَساءَتك ولكن بلغني أنك أنت كاتبتَه، قال: والله ما فعلتُ، فقال له الحارث: المعْذِرة إلى الله وإليك أبا محمد.

قال هشام حين سمع شيئاً من شعره: هذا كلام معاين:

نسختُ من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات: حدّثني عمرو[٣] بن سلم قال حدّثني هارون بن موسى الفَرْوِيّ قال حدّثني موسى بن جعفر أن يحيى قال حدّثني مؤدِّب لبني هشام بن عبد الملك قال:

[٣/٣٢٩] / بيْنا أنا أُلقِي على ولد هشامٍ شعرَ قريشٍ إذ أنشدتُهم شعرَ الحارث بن خالد:

إن امْرأً تعتادُه ذِكَرٌ منها ثَلاثُ مِنًى لذو صَبْرِ

وهشامٌ مُصْغٍ إليّ حتى ألقيتُ عليهم قولَه:

ففرَغْن من سَبْعٍ وقد جُهِدتْ أحشاؤهن موائلَ الخُمُرِ

فانصرف وهو يقول: هذا كلامُ مُعَايِنٍ.

(١) هو دير الجماجم، وفيه كانت الوقعة بين الحجاج بن يوسف وعبد الرحمن بن الأشعث.
(٢) كذا في نسخة الشنقيطي طبع بولاق مصححة بخطه، وهو المناسب للسياق. وفي جميع الأصول «مغيب» بالغين المعجمة.
(٣) كذا في ب، س، وفي أ، ء، م: «عمر بن مسلم».

قدمت عائشة بنت طلحة تريد العمرة فقال شعراً:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثني أبو عبدالله السَّدُوسِيّ قال وحدّثنا أبو حاتم السجستانيّ قال أخبرنا أبو عُبَيدة قال:

قدِمتْ عائشةُ بنت طلحة مكّةَ تريد العُمْرة، فلم يزل الحارثُ يدور حولها وينظر إليها ولا يُمكِنه كلامُها حتى خرجتْ، فأنشأ يقول ـ وذكر في هذه الأبيات بُسْرةَ حاضِنتَها وكَنَى عنها ـ:

صـوت

يـــا دارُ أقفَــــرَ رسمُهـــــا ... بيـن المُحَصَّـبِ[1] والحَجُـون[2]

أقْـــوَتْ وغيَّـــر آيَهـــا ... مَـــرُّ الحـــوادث والسّنيــنِ

واستبدلـوا ظَلَـف[3] الحجـا ... زوسُـــرّةَ[4] البلـــد الأميـــنِ

يـا بُسْـر إنّـي فـاعلمـي ... بـالله مجتهـــداً يَمينـــي

مـا إن صَـرَمـتُ حبـالكـم ... فَصِلِـي حبـالـي أو ذَرينـي

/ في هذه الأبيات ثاني ثقيل لمالك بالبنصر عن الهشاميّ وحَبَشٍ، قال: وفيها لابن مِسْجَح ثقيلٌ أوّل، وذكر [٣/ ٣٣٠] أحمد بن المكيّ أنّ فيها لابن سريج رملاً بالبنصر؛ فيها لمعبد ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن حَبَش.

شبب بزوجته أم عبد الملك:

أخبرني الطُّوسيّ والحَرَميّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني مُصْعَب بن عثمان بن مُصْعب بن عُرْوة بن الزُّبَيْر، وأخبرني به محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان عن أحمد بن زُهَيْر عن مُصْعَب الزُّبَيْري قال:

كانت أمُّ عبد الملك بنت عبدالله بن خالد بن أَسِيد عند الحارث بن خالد، فولدتْ منه فاطمةَ بنت الحارث، وكانت قَبْلَه عند عبدالله بن مُطِيع، فولدت منه عِمْرانَ ومحمداً، فقال فيها الحارث وكنّاها بابنها عمران:

يـا أمَّ عِمْـرانَ مـا زالـت ومـا بَـرِحـت ... بِـيَ الصبابـةُ حتـى شفّنـي الشَّفَـقُ[5]

/ القلبُ تـاقَ إليكـم كـي يُـلاقيَكـم ... كمـا يتـوقُ إلـى مَنْجـاتـه الغَـرِقُ ١٠٩/٣

تُنِيـل نَـزْراً قليـلاً وهـي مُشْفِقـةٌ ... كمـا يخـاف مَسِيسَ الحَيّـة الفَـرِقُ[6]

قال مصعب بن عثمان: فأنشَد رجل يوماً بحضرة ابنها عمران بن عبدالله بن مُطِيع هذا الشعرَ، ثم فطِنَ فأمسك؛ فقال له: لا عليك، فإنها كانت زوجتَه. وقال ابنُ المرزُبان في خبره: فقال له: امضِ رحِمك الله وما بأس

(١) المحصب: موضع فيما بين مكة ومنى وهو إلى منى أقرب.

(٢) الحجون: جبل بأعلى مكة، وقال السكريّ: مكان من البيت على ميل ونصف ميل (انظر «معجم البلدان» لياقوت في اسم الحجون).

(٣) الظلف: ما لان من الأرض، وقيل: ما صلب وغلظ منها، وفي ذلك أقوال كثيرة، (انظر «اللسان» مادة «ظلف»)

(٤) سرّة البلد: وسطه.

(٥) الشفق: رقة من حب تؤدّي إلى خوف.

(٦) الفرق: بكسر الراء ككتف وبضمها كرجل: للشديد الفزع، وقيل يقال: رجل فرق (بكسر الراء) إذا فزع من الشيء وليس من جبلته، ورجل فرق (بضمها) إذا فزع وكان منه الفزع جبلة.

بذلك، رجلٌ تزوّج[١] بنت عمّه وكان لها كفئاً كريماً فقال فيها شعراً بلغ ما بلغ، فكان ماذا!.

[٣/٢٣١] / شبّب بأم بكر بعد أن رآها ترمي الجمرة وحادثها:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدّثني أحمد بن عبد الرحمن التّميميّ عن أبي شُعَيْب الأسديّ عن القَحْذَميّ قال:

بينا الحارث بن خالد واقف على جَمْرة العَقَبة إذ رأى أمَّ بكر وهي ترمي الجَمْرةَ فرأى أحسنَ الناس وجهاً، وكان في خدّها خالٌ ظاهر، فسأل عنها فأُخْبِر بٱسمها حتى عَرف رَحْلَها، ثم أرسل إليها يسألها أن تأذَن له في الحديث، فأذِنت له، فكان يأتيها يتحدّث إليها حتى ٱنقضت أيامُ الحجّ، فأرادت الخروجَ إلى بلدها، فقال فيها:

ألا قُل لذاتِ الخال يا صاحِ في الخدّ ... تدوم إذا بانت على أحسن العَهْدِ

ومنها علاماتٌ بمجرى وِشاحها ... وأخرى تَزِين الجِيدَ من مَوْضِع العِقْدِ

وترعَى من الوُدّ الذي كان بيننا ... فما يَستوي راعي الأمانة والمُبْدي

وقل قد وعدتِ اليوم وعداً فأنجِزي ... ولا تُخْلِفي، لا خيرَ في مُخْلِف الوعدِ

وجُودي عليّ اليومَ منكِ بنائل ... ولا تَبْخَلي، قُدِّمتُ قَبْلَك في اللَّحدِ

فمن ذا الذي يُبدي السرورَ إذا دنت ... بكِ الدارُ أو يُعْنَى بنأيكُم بعدي

دنوّكُمُ منّا رَخاءٌ ننالُه ... ونأيُكُمُ والبعدُ جَهْدٌ على جَهدِ

كثيرٌ إذا تدنو ٱغتباطي بك النوى ... ووجدي إذا ما بِنْتُمُ ليس كالوجدِ

أقول ودمعي فوق خدّي مُخَضِّل[٢] ... له وَشَلٌ[٣] قد بَلَّ تَهْتَانُه خدّي

لقد منح اللّهُ البخيلةَ وُدَّنا ... وما مُنِحتْ ودّي بدعوى ولا قَصْدِ

شبب بليلى بنت أبي مرّة لما رآها بالكعبة:

أخبرني محمد بن خلف قال وحُدّثت عن المدائنيّ ولست أحفظ من حدّثني به قال:

[٣/٢٣٢] / طافت ليلى بنت أبي مرّة بن عُرْوة بن مسعود وأمّها ميمونة بنت أبي سفيان ٱبن حرب بالكعبة، فرآها الحارث بن خالد فقال فيها:

أطافت بنا شمسُ النهار ومَنْ رأى ... من الناس شمساً بالعِشاء تطوفُ

أبو أُمّها أوفَى قريشٍ بذِمّةٍ ... وأعمامُها إمّا سألتَ ثقيفُ

وفيها يقول:

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «متزوّج».

(٢) مخضّل: مندٍّ.

(٣) الوشل: الماء الكثير أو القليل فهو من أسماء الأضداد، والمراد به هنا الكثير.

أمِن طَلَلٍ بالجِزْعِ من مكّة[1] السِّدرِ ... عفا بين أكناف المُشَقَّر[2] فالحَضْرِ[3]

ظَلِلتَ وظلَّ القوم من غير حاجةٍ ... لَدُنْ غُدوةٍ[4] حتى دنَتْ حَزّةُ[5] العَصْرِ

يُبَكُّون من ليلَى عهوداً قديمةً ... وماذا يُبكّي القومُ من منزلٍ قَفْرِ

الغِناءُ في هذه الأبيات لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالخِنصر والبِنصر عن يحيى المكيّ، وذكر / غيرُه أنه للغَريض. ١١٠/٣

وفي ليلى هذه يقول ـ أنشدَناه وكيعٌ عن عبدالله بن شَبيب عن إبراهيم بن المُنْذِر الحِزاميّ للحارث بن خالد، وفي بعض الأبيات غناءٌ ـ:

صوت

لقد أرسلتْ في السرّ ليلَى تلومني ... وتزعُمُني ذا مَلّةٍ طَرِفاً[6] جَلْدا

وقد أخلفتْنا كلَّ ما وعَدتْ به ... ووالله ما أخلفتُها عامداً وعْدا

/ فقلتُ مُجيباً للرسول الذي أتى ... تُراه، لكَ الوَيْلاتُ، من قولها جِدّا؟ ٣٣/٣٦

إذا جئتَها فاقْرَ السلامَ وقُلْ لها ... دَعي الجَوْرَ ليلَى واسلُكي مَنْهجاً قَصْدا

أفي مُكثِنا عنكم ليالٍ مَرِضتُها ... تَزيدينَني ليلَى على مَرضي جَهْدا

تَعُدّين ذنباً واحداً ما جنيتُه ... عليّ وما أُحصي ذنوبكُم عَدّا

فإن شئتِ حرّمتُ النساءَ سِواكمُ ... وإن شئتِ لم أطعَم نُقاخاً[7] ولا بَرْدا

وإن شئتِ غُرْنا[8] بعدكم ثم لم نزَل ... بمكةَ حتى تَجلِسي[9] قابِلاً نَجْدا

الغِناءُ للغَريض ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى. وذكر ابنُ المكيّ أن فيه لدَحْمانَ ثانيَ ثقيل بالوسطى لا

(١) كذا في جميع النسخ، ولم يظهر لنا وجه لإضافة مكة إلى السدر اللهم إلا أن يراد أنها تنبته، على أنه ذكر في ياقوت في الكلام على مكة: «إن ليس بها شجر مثمر إلا شجر البادية فإذا جزت الحرم فهناك عيون وآبار وحوائط وأودية ذات خضر ومزارع ونخيل، وأما الحرم فليس به شجر مثمر إلا نخيل يسيرة متفرقة». ويجوز أن تكون محرّفة عن كلمة «أيكة».

(٢) المشقر، كما في «معجم ما استعجم» للبكري: سوق الطائف، وذكر أن الأخفش روى بيت أبي ذؤيب الهذليّ:

حتى كأني للحوادث مروة ... بصفا المشرق كل يوم تقرع

«بصفا المشقر»، وقد روى بيت أبي ذؤيب هذا بهذه الرواية (في كتاب «المنتقى في أخبار أم القرى» طبع أوروبا ص ٣).

(٣) الحضر: المراد به في هذا البيت: موضع بين مكة والمدينة وهو المذكور في شعر بعض الهذليين:

أيا ليت شعري هل تغير بعدنا ... أروم وآرام وشابة والحضر

(٤) لدن من الظروف التي تجر ما بعدها، وقد سمع نصب غدوة بعدها وهو نادر.

(٥) الحزة: الساعة والحين، قال ساعدة بن العَجلان:

ورميت فوق مُلاءٍ محبوكة ... وأبنت للأشهاد حَزّةَ أدعي

(٦) الطرف: من لا يثبت على صاحب.

(٧) النقاخ: الماء البارد العذب الصافي الخالص الذي يكاد ينقخ ـ أي يكسر ـ الفؤاد ببرده، هكذا ذكره صاحب «اللسان» واستشهد له بهذا البيت ونسبه إلى العرجيّ، وفسر البرد في قوله: «ولا برداً» بالريق.

(٨) غار الرجل: أتى الغور.

(٩) جلس الرجل: أتى نجداً، ومنه قول القائل:

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ... إن كنت تاركَ ما أمرتكَ فاجلِس

أدري أهذا أم غيرُه. وفيه[١] ثقيلٌ أوّلُ للأبْجَر عن يونس والهِشاميّ. وفيه لابن سُرَيج رمَل بالبِنصر. ولعَرّار خفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ وحَبَش.

غلبه أبان بن عثمان على الصلاة فقال فيه شعراً عرّض فيه بالحجاج:

أخبرني محمد بن خَلَف قال أخبرني محمد بن الحارث الخَرّاز قال حدّثنا أبو الحسن المدائنيّ قال:

كان الحارث بن خالد والياً على مكّة، وكان أبَان بن عثمان ربما جاءه كتابُ الخليفة أن يُصَلِّيَ بالناس ويُقِيمَ لهم حَجّهم، فتأخّر عنه في سنة الحرب كتابُه ولم يأتِ الحارثَ كتابٌ، فلما حضر المَوْسِمُ شخَص أبَان من المدينة، فصلّى بالناس وعاونَتْه بنو أميّة ومَوَاليهم فغَلَب الحارث على الصلاة، فقال:

[٣/٢٣٤] / فإن تَنْجُ منها يا أبَانُ مسلَّماً ... فقد أفلتَ الحَجّاجَ خيلُ شَبيبِ

فبلغَ ذلك الحجّاجَ فقال: مالي وللحارث! أيغلِبُه أبان بنُ عثمان على الصلاة ويهتِف بي أنا! ما ذِكْرُه أيّاي! فقال له عُبَيْد بن مَوْهَب: أتأذَن أيها الأمير في إجابته وهجائه؟ قال: نعم؛ فقال عبيد:

أبا وابِصٍ رَكِّب عَلاتَك[٢] والْتَمِس ... مَكاسِبَها إن اللئيم كَسوبُ

ولا تَذْكُرِ الحَجّاجَ إلا بصالحٍ ... فقد عِشْتَ من معروفه بذَنُوبِ[٣]

ولستَ بوالٍ ما حيِيتَ إمارةً ... لمُسْتَخلَفٍ إلا عليك رقيبُ

سأله عبد الملك عن أيّ البلاد أحب إليه فأجاب وقال شعراً:

قال المدائنيّ: وبلغني أن عبد الملك قال للحارث: أيّ البلاد أحبّ إليك؟ قال: ما حسُنتْ فيه حالي وعُرِض وجهي، ثم قال:

لا كُوفةٌ أُمّي ولا بَصْرةٌ أبي ... ولستُ كمن يَثْنيه عن وجهه الكَسَلْ[٤]

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

الغناء في شعره:

منها في تشبيب الحارث بأمرأته أمّ عِمْران:

١١١/٣

صوت

بانَ الخَليطُ الذي كنّا به نَثِقُ ... بانوا وقلبُك مجنونٌ بهم عَلِقُ

تُنِيل نَزْراً قليلاً وهي مُشْفِقةٌ ... كما يَخاف مَسِيسَ الحيّة الفَرِقُ

يا أمّ عِمرانَ ما زالتْ وما بَرِحت ... بيَ الصَّبابةُ حتى شفّني الشَّفَقُ

---

(١) في الأصول: «وقيل ثقيل أوّل».

(٢) العلاة في اوصل: الزبرة التي يضرب عليها الحداد الحديد، وتطلق أيضاً على الناقة تشبيهاً لها بالزبرة في صلابتها.

(٣) الذنوب: الحظ والنصيب، وفي هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الرويّ.

(٤) دخل على هذا البيت الخرم وهو سقوط حركة من أوّله.

[٣/٣٣٥] / لا أعتَـق اللّـهُ رِقّـي مـن صبابتكـم ... مـا ضـرّنـي أننـي صَـبٌّ بكـم قَلِـقُ

ضحِكتِ عن مُزْهَفِ الأنياب ذي أُشُرٍ[١] ... لا قَضَـمٌ[٢] فـي ثنـايـاه ولا رَوَقُ[٣]

يتـوقُ قلبـي إليكـم كـي يـلاقيَكـم ... كمـا يتـوق إلـى مَنْجـاتـه الغَـرِقُ

غنّى ابنُ محرز في الثالث ثم السادس ثم الخامس ثم الثاني، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وللغريض في الرابع والثاني والثالث والسادس خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو، ولِسَلْسَل في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّل مطلق عن الهشاميّ، ولابن سُرَيْج في الثاني والأوّل والرابع والخامس رمَل بالخنصر في مجرى البِنْصر عن إسحاق، وللهُذليّ في الثاني ثم الأوّل هَزَج عن الهشاميّ. وذكر حَبَش أن فيها لابن سريج ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى، ولابن مُحرِز ثانيَ ثقيل آخر بالبِنصر. وذكر الهشاميّ أن لابن سُرَيج في الأبيات خفيفَ رمل.

وممّا يغنّي فيه من شعر الحارث بن خالد في عائشة بنت طلحة تصريحاً وتعريضاً ببُسْرةَ جاريتِها:

صوت

يـا رَبْـعَ بُسْـرةَ بـالجنـاب تَكَلَّـمِ ... وأبِـنْ لنـا خبـراً ولا تَسْتَعْجِـمِ

مـالـي رأيتُـك بعـد أهلـك مُـوحِشـاً ... خَلَقـاً كحَـوْض البـاقـر[٤] المتهـدِّمِ

[٣/٣٣٦] / تَسْبـي الضجيـعَ إذا النجـومُ تغـوّرت ... طـوعُ الضجيـع أنيقـةُ المتـوسَّـمِ

قُـبٌّ[٥] البطـون أوانسٌ مثـلُ الـدُّمَـى ... يَخْلِطـن ذاك بعِفّـةٍ وتكـرُّمِ

الغِناء لمعبدٍ خفيفُ رمَلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. والأبياتُ أكثر من هذه إلا أني أعتمدتُ على ما غُنّيَ فيه.

ومنها صوتٌ قد جُمعتْ فيه عدّةُ طرائقَ وأصوات في أبياتٍ من القصيدة:

أعَـرفـتَ أطـلالَ الـرُّسـوم تنكّـرتْ ... بعــدي وبُـدِّل آيهُـنّ دُثُـورَا[٦]

وتَبـدّلـتْ بعـد الأنيـس بـأهلهـا ... عُفْـراً[٧] بَـواغِـمَ[٨] يـرتَعِيـن وُعُـورا

---

(١) الأشر: حدّة ورقة تكون في الأسنان.

(٢) كذا في م، حـ. والقضم (بفتحتين): انصداع في السن وقيل: تثلم وتكسر في أطراف الأسنان، وفيء: «لا قصم» بالصاد المهملة والقصم (بفتحتين): انشقاق السن عرضاً، يقال: قصمت سنه قصماً أي انشقت عرضاً، ورجل أقصم الثنايا إذا كان متكسرها من النصف، وفي ب، س: «مقضم» وهو مصدر ميميّ من قضمت الأسنان أي تكسرت وتفللت. وفي هذا الشطر «الطي» وهو هنا ذهاب الرابع الساكن من «مستفعلن» الأولى.

(٣) الروق: أن تطول الثنايا العليا على السفلى، وهو عيب في الأسنان.

(٤) الباقر: جماعة البقر.

(٥) القبّ: جمع قبّاء وهي الدقيقة الخصر الضامرة البطن.

(٦) دثر الرسم دثوراً: درس وبلي.

(٧) العفر جمع عفراء وهي من الظباء التي يعلو بياضها حمرة.

(٨) يقال: بغمت الظبية بغوماً وبغمت بغاماً: صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها فهي باغمة وبغوم.

مِن كلِّ مُضْبِيةِ الحديثِ ترى لها ... كَفَلاً كرابيةِ الكَثِيبِ وَثِيرا
دَعْ ذا ولكن هل رأيتَ ظَعائِنا ... قَرَّبْنَ أجْمَالاً لهنَّ بُكُورا
قَرَّبْنَ كلَّ مُخَيَّسٍ(١) مُتَحَمِّلٍ(٢) ... بُزْلاً(٣) تُشَبِّه هامَهنّ قُبُورا
يَفْتِنَّ لا يَألُون كلَّ مُغَفَّلٍ ... يملأنه بحديثهنّ سرورا
يا دارُ حسَّرها(٤) البلى تحسيرا ... وسَفَتْ عليها الريحُ بعدك بُورا
دَقَّ الترابُ نَخِيلهُ فمخيَّم ... بِعِراصها ومُسَيَّر تَسْيِيرا
/ يا رَبْعَ بُسْرة إن أضرَّ بك البِلَى ... فلقد عهدتُك آهلاً معمورا
/ عَقَبَ الرَّذاذُ خِلافهم(٥) فكأنّما ... بسَط الشَّواطِبُ(٦) بينهنّ حصيرا
إنْ يُمسِ حبلُكِ بعد طولِ تواصُلٍ ... خَلَقاً ويُصبِحْ بَيْنُكم(٧) مهجورا
فلقد أراني، والجديدُ إلى بِلًى ... زمناً بوصلكِ قانعاً مسروراً
جَذِلاً بمالي عندكم لا أبتغي ... للنفس غيرَكِ خُلَّةً وعشيرا
كنتِ المُنَى وأعزَّ مَنْ وطِىء الحصا ... عندي وكنتُ بذاكِ منكِ جديرا

١١٢/٣ [٣/٣٣٧]

غنَّى في الأوّل والثاني من هذه الأبيات معبد، ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو، مطلقٌ في مجرَى الوسطَى عن إسحاق، وللغريض فيه(٨) ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو، ولإسحاق فيهما ثاني ثقيل، ولإبراهيم فيهما وفي الثالث خفيفُ ثقيل بالسبابة والوسطَى عن أبنِ المكّي، وغنَّى الغريضُ في الثالث والسادس والرابع والخامس ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وغنَّى معبدٌ في السابع والثامن والعاشر خفيفَ ثقيلٍ بالسبّابة والوسطَى عن يحيى المكّيّ؛ وفيها ثاني ثقيل يُنسَبُ إلى طُوَيْس وأبن مِسْجَح وأبن سُرَيج، ولمالك في التاسع والعاشر والحادي عشرَ والثاني عشرَ خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة والوسطى عن يحيى المكيّ، وفيها بأعيانها / لأبن سُرَيج رملٌ بالسبّابة والوسطَى عن يحيى أيضاً، وليحيى المكّيّ في الحادي عشر وما بعده إلى آخر الأبيات ثاني ثقيل، ولإبراهيم فيها بعينها ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ، وفيها لإسحاق رَمَلٌ، وفي الثالث والرابع لحنٌ لخُلَيْدَةَ المكّيّة خفيفُ رملٍ عن الهشاميّ أيضاً.

[٣/٣٣٨]

(١) المخيس: المذلل.
(٢) كذا في حـ، وفي سائر النسخ: «متجمل» بالجيم.
(٣) البزل: جمع بازل وهو البعير الذي فطرنا به بدخوله في السنة التاسعة.
(٤) حسرها: أضرّ بها وأذهب بهجتها.
(٥) كذا ورد في «اللسان» في مادّة «عقب» ومادّة «خلف» غير أنه ورد في مادّة «خلف» هكذا: «عقب الربيع» فذكر «الربيع» بدل «الرذاذ». وفي الأصول: «عفت الرذاذ خلافه»، فالظاهر أن كلمة «عفت» محرّفة عن «عقب» و «خلافه» محرّفة عن «خلافهم». وخلافهم: بعدهم. وفي «اللسان» أيضاً «نشط» بدل «بسط».
(٦) الشواطب: جمع شاطبة، والشاطبة من النساء: التي تشق الجريد لتعمل منه الحصير، قال مالك بن خالد:
إذا أدركوهم يلحفون سراتهم ... بضرب كما جدّ الحصير الشواطب
(٧) كذا في الأصول والبين: الصلة والقرابة، ويحتمل أيضاً أن يكون «بينكم» بالتاء.
(٨) كذا في جميع النسخ، والمناسب للسياق «فيهما» بالتثنية كما هو ظاهر.

ومنها من أبيات قالها بالشأم عند عبد الملك أوّلها:

هل تعرفُ الدارَ أضحت آيُها عُجُمَا ... كالرَّقِّ[1] أجرى عليها حاذقٌ قَلَمَا

بالخَيفِ هاجت شؤوناً[2] غيرَ جامدةٍ ... فانهلّت العينُ تُذري واكفاً سَجِما

دارٌ لبُسرةَ أمست ما تُكلّمنا ... وقد أبنتُ لها لو تعرفُ الكَلِما

واهاً لبُسرةَ لو يدنو الأميرُ بها ... يا ليت بُسرةَ قد أمست لنا أَمَمَا[3]

صوت

حلّت بمكّة لا دارٌ مُصاقِبةٌ[4] ... هيهات جَيْرونُ[5] ممّن يسكن الحَرَما

يا بُسْرُ إنكُمُ شطَّ البِعادُ بكم ... فما تُنيلوننا وصلاً ولا نِعَما

غنّى في هذين البيتين الهذليّ ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى، وفيهما ليحيى المكّيّ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر، جميعاً من روايته:

قد قُلتُ بالخَيفِ إذ قالت لجارتها ... أدامَ وصلُ الذي أهدى لنا الكَلِما

[٣٣٩/٢]

/صوت

لا يُرغِمُ الله أنفاً أنت حامِلُه ... بل أنفُ شانيك فيما سرّكم رَغِما

إن كان رابكِ شيء لستُ أعلمه ... منّي فهذي يميني بالرضا سَلَما[6]

/ أو كنتُ أحببتُ شيئاً مثلَ حبّكُمُ ... فلا أرحتُ إذاً أهلاً ولا نَعَما

لا تكليني[7] إلى من ليس يرحمُني ... وقاكِ مَنْ تُبْغِضين الحتفَ والسَّقما

إن الوُشاةَ كثيرٌ إن أطعتِهمُ ... لا يرقُبون بنا إلاًّ[8] ولا ذِمَما

١١٣/٣

غنى ابن مُحرز في:

* لا يُرغِمُ اللّهُ أنفاً أنت حامله *

(١) الرقّ: الصحيفة البيضاء، وهو أيضاً جلد رقيق يكتب فيه.

(٢) الشؤون: الدموع.

(٣) أمماً: قريبة.

(٤) مصاقبة: مقاربة.

(٥) جيرون: بناء عند باب دمشق يقال: إن الجن بنته في عهد سليمان بن داود، وهو سقيفة مستطيلة على عمد وصقائف وحوله مدينة تطيف به، وذكروا أن اسم الشيطان الذي بناه «جيرون» فسمي به. وقيل: إن أوّل من بنى دمشق جيرون بن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح وبه سمي «باب جيرون» وسميت المدينة ﴿إرم ذات العماد﴾ وفي ذلك أقوال كثيرة غير هذه. (راجع «معجم البلدان» لياقوت في اسم «جيرون»).

(٦) السلم: الاسم من التسليم.

(٧) في هذا البيت «الطيّ» وهو هنا حذف الرابع الساكن من «مستفعلن» الأولى.

(٨) الإلّ: العهد.

خفيفَ ثقيل[١] بالبنصر، ولابن مِسجَح فيه ثاني ثقيلٍ عن حَبَش؛ وفي:

* لا تكليني إلى من ليس يرحمني *

لابن محرز ثقيل أوّل بالبنصر عن حبَش والهشاميّ.

أخر الصلاة لعائشة بنت طلحة فعزله عبد الملك ولامه فقال شعراً:

أخبرني محمد بن مَزْيَد والحسين بن يحيى قالا أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبَيْريّ قال:

أذّن المؤذِّنُ يوماً وخرج الحارثُ بن خالد إلى الصلاة، فأرسلتْ إليه عائشةُ ابنةُ طلحةَ: إنه بقيَ عليَّ شيءٌ من طوافي لم أُتِمَّهُ، فقعد وأمرَ المؤذّنين فكفُّوا عن الإقامة وجعل الناسُ يَصيحون حتى فرغَتْ من طَوافها، فبلغ ذلك عبدَ الملك بن مروان، فعزله وولّى مكّةَ عبدَ الرحمن بن عبدالله بن خالد بن أَسِيد، وكتب إلى الحارث: / [٣/٣٤٠] ويلَكَ، أتركت الصلاةَ لعائشةَ بنتِ طلحة! فقال الحارث: والله لو لم تَقْضِ طوافَها إلى الفجرِ لما كَبَّرتُ؛ وقال في ذلك:

لـم أُرَحِّبْ بـأن سَخِطـتِ ولكـن ... مـرحبـاً أن رضيـتِ عنّـا وأهـلا

إنّ وجهـاً رأيتُـه ليلـةَ البـد ... ر عليـه انثنـى الجمـالُ وحَـلاّ

وجهُهـا الوجـهُ لـو يُسالُ[٢] بـه المُـز ... نُ مـن الحسـنِ والجمـال استهـلاّ

إن عنـدَ الطَّـوَافِ حيـن أتتـه ... لجَمـالاً فَعْمـاً وخُلْقـاً رِفَـلاّ[٣]

وكُسِيـن الجمـالَ إن غِبـنَ عنهـا ... فـإذا مـا بـدتْ لهـنّ اضمحـلاّ

الغناء في شعره:

في شعر الحارث هذا غناء قد جمع كلَّ ما في شعره منه على اختلاف طرائقه، وهو:

صوت

أثْـلَ جُـودِي علـى المتيّـم أثـلاَ ... لا تـزيـدي فـؤادَه بـكِ خَبْـلا

أثـلَ إنـي والـراقصـاتِ[٤] بجَمْـعٍ ... يتبـاريْـن فـي الأزمّـة فُتْـلا[٥]

سـانحـاتٍ يقطعـن مـن عـرفـاتٍ ... بيـن أيـدي المطـيّ حَـزْنـاً وسَهـلا

والأكـفِّ المضمّـرات علـى الـركـ ... ـن بشُعْثٍ سعَوْا إلى البيت رَجْلي[٦]

لا أخـونُ الصـديـق فـي السـرّ حتـى ... يُنقَـلَ البحـرُ بـالغـرابيـل نقـلا

أو تمـرَّ الجبـالُ مـرَّ سحـابٍ ... مُـرْتَـقٍ قـد وعَـى مـن المـاء ثِقْـلا

---

(١) في ب، س: «خفيف ثقيل رمل بالبنصر».

(٢) يسال: يسأل سهلت همزته، وفي رواية ستأتي في ص ٣٤١ «وجهكِ البدر لو سألت إلخ».

(٣) الفعم: الممتلىء المستوي؛ والرفل: الواسع.

(٤) الراقصات: النوق المسرعات في سيرها، وجمع: المزدلفة وهو المشعر الحرام، سمي جمعاً لاجتماع الناس فيه.

(٥) فتلا: جمع فتلاء، وهي الناقة الثقيلة المتأطرة الرجلين، أو هي الناقة التي في ذراعيها «فتل» وهو تباعدهما عن الجنبين كأنهما فتلاً.

(٦) رجلي: ماشين على أرجلهم، جمع رجلان كعجلان وعجلي.

أنعم اللّـهُ لـي بـذا الـوجـهِ عيناً ... وبـه مـرحبـاً وأهـلاً وسَهـلا

/ حيـن قـالـت لا تُفشِيَـنَّ حـديثـي ... يـابـن عمّي أقسمت قلت أجلْ لا[1] [٣٤١/٣]

اتقـي اللّـهَ واقبلـي العـذرَ منّـي ... وتَجـافَـيْ عـن بعـض مـا كـان زَلّاً

لا تصُـدّي فتقتلينـي ظُلمـاً ... ليـس قتـلُ المحـبُّ للحِـبّ حِـلّاً

مـا أكـن سـؤتكـم بـه فلـك العُتـ ... ـبى لـدينـا وحَـقَّ ذاك وقَـلّا

لـم أرحِّـبْ بـأن سَخِطـتِ ولكـن ... مـرحبـاً أن رضيـت عنّـا وأهـلا

/ إنّ شخصـاً رأيتُـه ليلـةَ البـد ... ر عليـه أنثنـى الجَمـالُ وحـلّا [١١٤/٣]

جعـلَ اللّـهُ كـلَّ أنثـى فـداءً ... لـك بـل خـدَّهـا لـرجلِـك نعـلا

وجهك البـدرُ لـو سـألتُ بـه المز ... نَ مـن الحسـنِ والجمـالِ أستهـلّا

غنّى معبدٌ في الأبيات الأربعة الأولى خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو، ولأبن تَيْزن[2] في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّلُ عن إسحاق، ولأبن سريج في الأوّل والثاني والخامس ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ، وللغريض في الخامس إلى الثامن خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو، ولد حمان في التاسع والعاشر والثالثَ عشرَ والرابعَ عشرَ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو، ولمالك في التاسع إلى آخر الثاني عَشَر لحنٌ ذكَره يونس ولم يجنّسه، ولأبن سُرَيج في هذه الأبيات بعينها رمَل بالوسطى عن عمرو، وللغريض فيها أيضاً خفيفُ رمَل بالبنصر عن ابن المَكيّ، ولأبن عائشة في الخامس إلى آخر الثامن لحن ذكَره حمّاد عن أبيه ولم يذكر طريقته.

/ ومنها: [٣٤٢/٣]

صوت

أَحَقّـاً أن جيـرتنـا أستحبّـوا ... حُزُونَ الأرض بـالبلـد السَّخـاخِ[3]

إلـى عُقْـر الأبـاطـح مـن ثَبِيـر[4] ... إلى ثَوْر[5] فَمدْفَعِ[6] ذي مُرَاخِ[7]

فتلـك ديـارُهـم لـم يَبْـقَ فيهـا ... سـوى طلـلِ المُعَـرَّس والمُنَـاخِ

وقـد تَغْنَـى[8] بهـا فـي الـدار حُـورٌ ... نَواعمُ في المَجاسد[9] كالإرَاخِ[10]

(١) هكذا في حـ وهو الصواب، وفي سائر النسخ: «أجلاّ»، وهي «لا» وصلت خطأ «بأجل». والمعنى. «نعم لا أفشي».

(٢) في ب، س، حـ: «ابن بيزن». وفي سائر النسخ: «ابن بيزق» (انظر حاشية ٢ ص ٢٨٣ من الجزء الأول من هذه الطبعة).

(٣) السخاخ: الأرض اللينة الحُرَّة.

(٤) ثبير: جبل بمكة.

(٥) ثور: جبل بمكة.

(٦) المدفع: أحد مدافع المياه التي تجري فيها.

(٧) ذو مراخ: موضع قريب من المزدلفة، وقيل: هو من بطن كساب جبل بمكة.

(٨) تغنى: تقيم، من غنى الرجل بالمكان إذا أقام.

(٩) المجاسد: جمع مجسد وهو القميص الذي يلي البدن.

(١٠) الإراخ: بقر الوحش.

غنّي في هذه الأبيات الغريضُ، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن الهشاميّ.

جزعت سوداء لموت ابن أبي ربيعة فلما سمعت شعر الحارث طابت به نفساً:

وأخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا عبدالله بن محمد قال أخبرني محمد بن سلاّم قال:

كانت سوداءُ بالمدينة مشغوفةً بشعر عمر بن أبي ربيعة، وكانت من مولّدات مكّة، فلما ورَد على أهل المدينة نَعْيُ عمر بن أبي ربيعة أكبروا ذلك وأشتدّ عليهم، وكانت السوداءُ أشدَّهم حزناً وتَسَلُّباً[1] وجعلت لا تمرّ بِسِكّة من سكك المدينة إلا نَدبَتْه، فلقيها بعضُ فتيان مكّة، فقال لها: خَفِّضي عليك، فقد نَشَأ ابنُ عمّ له يشبه شعرُه شِعرَه، فقالت: أنشِدْني بعضه، فأنشدها قولَه:

إنـي ومـا نحـروا غَـداةَ مِنًـى ... عنـد الجِمـار تـؤودُهـا العُقُـلُ

الأبيات كلّها، قال: فجعلت تمسَح عينيها من الدموع وتقول: الحمد لله الذي لم يُضيِّع حَرَمه.

[٣٤٣/٣] / ناضل سليمان بن عبد الملك بينه وبين رجل من أخواله:

أخبرني اليَزِيديّ قال حدّثني عمّي (جَدُّ عبيد الله) عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال:

ناضلَ[2] سليمانُ بن عبد الملك بين الحارث وبين رجل من أخواله من بني عَبْس، فرمى[3] [الحارث بن] خالد فأخطأ ورمى العَبْسيّ فأصاب، فقال:

* أنا نَضَلتُ[4] الحارثَ بن خالدِ *

ثم رمَى العبسيّ فأخطأ ورمَى الحارثُ فأصاب، فقال الحارث:

* حَسِبْتَ نَضْلَ الحارث بن خالِد *

ورَمَيا فأخطأ العبسيّ وأصاب الحارثُ، فقال الحارثُ:

* مَشْيَكَ بين الزَّرْبِ[5] والمَرَابِدِ[6] *

ورَمَيا فأخطأ العبسَيّ وأصاب الحارثُ، فقال الحارثُ:

* وإنك الناقصُ غيرُ الزائدِ *

[١١٥/٣] فقال سليمانُ: / أقسمتُ عليك يا حارثُ إلاّ كفَفْتَ عن القولِ والرَّمْي فكَفّ.

---

(١) التسلب: حداد المرأة على زوجها، وقد يكون على غير الزوج، وهو أيضاً لبس المُحِدّ ثياب الحداد السود.

(٢) يقال: ناضله مناضلة ونضالاً ونيضالا فنضله: باراه في رمي السهام فغلبه، والمعنى المراد هنا أنه جعلهما يتباريان في الرمي بالسهام.

(٣) في جميع الأصول «فرمى خالد» والصواب ما أثبتناه.

(٤) كذا في حـ وهامش ب بخط الشيخ الشنقيطي وهو الصواب، وفي س: «أناضلت» وهو تحريف.

(٥) الزرب (بفتح الزاي وكسرها): موضع الغنم.

(٦) المرابد: محابس الإبل، واحدها «مربد» (بكسر الميم).

/ أخبارُ الأبْجَر ونَسَبه [٣/ ٣٤٤]

اسم الأبجر ولقبه وولاؤه:

الأَبْجَر لَقَبٌ غلَب عليه، وٱسمه عُبَيد الله بن القاسم بن ضبية[١] ، ويُكْنَى أبا طالب، هكذا روى محمد بن عبدالله بن مالك عن إسحاق، وروى هارون بن الزيّات عن حمّاد عن أبيه: أن ٱسمه محمد بن القاسم بن ضبية، وهو مولى لِكنانة ثم لِبَنِي بَكْر، ويقال: إنه مولى لِبَنِي لَيْث.

نشـأتـه:

أخبرني عمّي قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن عبدالله بن مالك وأخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا ٱبن مَهْرُويه وهارون بن الزّيات قالا[٢] حدّثنا عبدالله بن أبي سعد عن محمد بن عبدالله بن مالك قال:

كنا يوماً جلوساً عند إسحاق، فغنّتنا جارية يقال لها «سَمْحَة»:

إنّ العيونَ التي في طَرْفِها مَرَضٌ[٣] قَتَلْنَنا ثم لم يُحْيِينَ قَتْلانا

فَهِبتُ إسحاق أن أسألَه لِمَن الغِناء، فقلت لبعضِ من كان معنا: سَلْه، فسأله فقال له إسحاقُ: ما كان عهدي بك في شبيبتك لتسألنا عن هذا، فقال: أحْبَبتُه لمّا أسْنَنتُ، فقال: لا ولكنّ هذا النَّقْبَ عمَلُ هذا اللّص، وضرب بيده إلى / تَلابيبي، فقال له الرجل: صدقتَ يا أبا محمد، فأقْبَل عليّ فقال لي: ألم أَقُلْ لك إذا ٱشْتَهيتَ شيئاً فسَلْ عنه، [٣/ ٣٤٥] أَمَا لأُعطِيَنّك فيه ما تُعَابِي[٤] به مَنْ شئتَ منهم، أتدري لمن الشعرُ؟ فقلتُ: لجرير، فقال لي: والغِناء للأبجر، وكان مَدَنِيّاً مَنْشَؤه بمكّة، أو مَكيّاً منشؤه بالمدينة، أتدري ما ٱسمُه؟ قلت: لا، قال: ٱسمه عبيد الله بن القاسم بن ضبية، أتدري ما كنيته؟ قلت: لا، قال: أبو طالب، ثم قال: ٱذهب فَعَاي بهذا من شئتَ منهم فإنك تظفَر به.

كان ولاؤه لبني كنانة وقيل لبني ليث وكان يلقب بالحسحاس:

وقال هارون: حدّثني حمّاد عن أبيه قال: الأَبْجَر ٱسمه محمد بن القاسم بن ضبية وقال مرّة أخرى: عبيد الله بن القاسم، مولى لبني بكر بن كنانة، وقيل: إنه مَوْلى لبني لَيْثَ، يُلقَّبُ بالحَسْحَاس.

ظرفه وحسن لباسه وفرسه ومركبه:

قال هارون: وحدّثني حماد عن أبيه قال حدّثني عَوْرَك اللّهبيّ قال:

---

(١) كذا ورد هذا الاسم في هذا الموضع في جميع الأصول ولم نعثر على من تسمى بهذا الاسم، وقد ورد في حـ في هذا الموضع هكذا: «ضيبة» وفيما سيأتي: «القاسم بن ضبة». وفي «نهاية الأرب» ج ٤ ص ٣١٤ طبع دار الكتب المصرية «مُنَبّه».

(٢) في الأصول «قال» والسياق يقتضي ما أثبتناه.

(٣) في ء، حـ: «حور».

(٤) عايا صاحبه معاياة: ألقى عليه كلاماً لا يهتدي لوجهه.

لم يكن بمكّة أحدٌ أظرفَ ولا أَسْرى ولا أحسنَ هيئةً من الأبجر، كانت حُلّتُه بمائة دينار وفرسُه بمائة دينار ومركَبُه بمائة دينار، وكان يقف بين المأزِمَيْن[1] فيرفع صوتَه فيقِف الناسُ له يركَبُ بعضُهم بعضاً.

احتكم على الوليد بن يزيد في الغناء فأمضى حكمه:

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب عن [عبيد الله[2] بن] عبدالله بن خرداذبه عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، قالا[3]:

[٣/٣٤٦] / جلَس الأبجرُ في ليلة اليوم السابع من أيام الحَجّ على قريبٍ من التَّنْعِيم[4] فإذا عَسْكَرٌ جَرّار قد أقبل في آخر الليل، وفيه دوابُّ تُجْنَبُ وفيها فرسٌ أدْهَمُ عليه سَرْجٌ حِلْيَتُه ذهب فاندفع، فغنّى:

عَـرَفْـتُ ديـارَ الحـيّ خـاليـةً قَفْـرا ... كـأن بهـا لمّـا تـوهمتُهـا سَطْـرا

فلما سَمِعَه مَنْ في القِباب والمَحامل أمسكوا، وصاح صائحٌ: ويحك! أعِدِ الصوتَ، فقال: لا والله! إلا بالفرس الأدهم بسرجه ولجامه وأربعمائة دينار، فإذا الوليدُ بن يزيد صاحبُ / الإبل، فنُودِيَ: أين منزلُك ومَنْ أنتَ؟ فقال: أنا الأبجر ومنزلي على باب زُقاق الخَرّازِين، فغدا عليه رسولُ الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتَخْتٍ من ثياب وَشْي وغيرِ ذلك، ثم أتى به الوليدَ فأقام عنده، وراح مع[5] أصحابه عشيّة التَّرْوِيَة[6] وهو أحسنهم هيئة، وخرج معه أو بعده إلى الشأم.

(١١٦/٣)

خرج معه إلى الشأم:

قال إسحاق: وحدّثني عَوْرك اللّهبيّ أن خروجه كان معه، وذلك في ولاية محمد بن هشام بن إسماعيل مكّةَ، وفي تلك السنة حَجّ الوليد، لأن هشاماً أمره بذلك ليَهْتِكه عند أهل الحَرَم، فيجدَ السبيلَ إلى خَلْعه، فظهر منه أكثرُ مما أراد به من التّشاغُل بالمغنّين واللهو، وأقبل الأبجرُ معه حتى قُتل الوليدُ، ثم خرج إلى مصر فمات بها.

[٣/٣٤٧]

/ نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

صوت

عَـرَفْـتُ ديـارَ الحـيِّ خـاليـةً قَفْـرا ... كـأنّ بهـا لمّـا تـوهّمتُهـا سَطْـرا

وقفـتُ بهـا كيمـا تَـرُدّ جـوابَهـا ... فمـا بيّنَـتْ لـي الـدارُ عـن أهلهـا خُبْـرا

الغناءُ لأبي عبّاد ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو، وفيه لسِيّاط خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر.

(١) المأزمان كما في ياقوت: جبلا مكة؛ وقال أهل اللغة: هما مضيقا جبلين؛ وقيل: هو اسم موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة، وفي ذلك أقوال غير هذه.

(٢) الزيادة عن كتابه «المسالك والممالك».

(٣) في جميع الأصول: «قال» بالإفراد.

(٤) التنعيم: موضع بمكة في الحل، وهو بين مكة وسَرِف على فرسخين من مكة وقيل على أربعة، وسمي بذلك لأن جبلاً عن يمينه يقال له نعيم وآخر عن شماله يقال له ناعم.

(٥) في ء: «إلى».

(٦) عشيّة التروية: عشية اليوم الثامن من ذي الحجة.

أخذ صوتاً من الغريض فأكره عطاء بن أبي رباح على سماعه:

قال إسحاق: وحُدِّثتُ أنّ الأبجرَ أخذ صوتاً من الغريض ليلاً ثم دخل في الطوَاف حين أصبح، فرأى عطاء بن أبي رَبَاح يطوف بالبيت، فقال: يا أبا محمد، اِسمع صوتاً أخذتُه في هذه الليلة من الغريض؛ قال له: ويحك! أفي هذا الموضع! فقال: كفرتُ بربِّ هذا البيتِ لئن لم تسمَعْه منّي سِرًّا لأجهَرَنّ به؛ فقال: هاته، فغنّاه:

[صوت][1]

عُــوجِــي علينــا ربّــةَ الهــودَجِ	إنّــكِ إلاّ تَفْعَلِــي تَحْــرَجِــي[2]
إنّــي أُتِيحــتْ لــي يَمَــانِيــةٌ	إحدى بني الحارثِ من مَذْحِجِ
نلبَــثُ حــولاً كــامــلاً كلَّــه	لا نلتقــي إلا علــى مَنْهَــجِ
فــي الحــجِّ إن حجّــتْ ومــاذا مِنًى	وأهلُــه إنْ هــي لــم تَحْجُــجِ

فقال له عطاء: الخيرُ الكثيرُ والله في مِنًى وأهلِهِ حجّت أو لم تحجّ، فاذهب الآن. وقد مرّت نسبة هذا الصوت وخبرُه في أخبار العَرْجيّ والغريض.

[٣/٣٤٨] / **ختن عطاء بنيه فاختلف إليهم ثلاثة أيام يغني لهم:**

قال إسحاق: وذكر عمرو بن الحارث عن عبدالله[3] بن عُبيد بن عُمَير قال: خَتَن عطاء بن أبي رَبَاح بنيه أو بني أخيه، فكان الأبجرُ يختلف إليهم ثلاثةَ أيام يغنّي لهم.

نازع ابن عائشة في الغناء فتشاتما:

قال هارون بن محمد حدّثني حمّاد بن إسحاق قال نسخت من كتاب أبن أبي نجيح[4] بخطّه: حدّثني غُرَيْر بن طَلْحة الأرقميّ عن يحيى بن عِمْران عن عمر بن حفص بن أبي كِلاب قال:

كان الأبجرُ مولانا وكان مَكّيًّا، فكان إذا قَدِم المدينةَ نَزَل علينا، فقال لنا يوماً: أسمِعُوني غناءَ أبن عائشتيكم هذا، فأرسلنا فيه فجمَعْنا بينهما في بيت أبن هَبّار فتغَنّى ابن عائشة، فقال الأبجر: كلّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن تَغَنّيتُ معك إلاّ بنصف صوتي، ثم أدخل إصبعه في شِدْقه فتغنّى، فسمع صوتَه مَنْ في السّوق فحُشِر الناسُ علينا، فلم يفترقا حتى تشاتَمَا؛ قال: وكان ابن عائشة حديداً[5] جاهلاً.

غنى الوليد وقد عرف سرّه من خادمه فنشط له:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويَهْ قال وحدّثني ابن أبي سعد قال حدّثني القطرانيّ المغنّي عن محمد / بن جَبْر عن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني ابن أشعب عن أبيه قال: [١١٧/٣]

(١) الزيادة عن حـ.
(٢) تحرجي: تأثمي.
(٣) في أ، م،ء: «عن عبدالله بن عمر».
(٤) في حـ: «ابن أبي نجاح» وقد سموا «نجيحاً» (كأمير وزبير) ونجاحاً.
(٥) الحديد: الحادّ في الغضب، والجاهل: ضد الحليم.

دُعِيَ ذاتَ يوم المغنُّون للوليد بن يزيد، وكنت نازلاً معهم، فقلت للرسول: خُذني فيهم؛ قال: لم أُومَرْ بذلك وإنما أُمِرتُ بإحضار المغنِّين وأنت بَطّال[1] لا تدخل في جملتهم؛ فقلت: أنا والله أحسنُ غِناءً منهم، ثم آندفعتُ فغنّيته؛ فقال: لقد سمعتُ حَسَناً ولكنّي أخاف؛ فقلت: لا خوفَ عليك، ولك مع هذا شرطٌ، قال: وما هو؟ / قلت: كلّ ما أصبتُه فلك شَطْرُه؛ فقال للجماعة: اشهدوا عليه، فشهدوا، ومضينا فدخلنا على الوليد وهو لَقِسُ[2] النفس، فغنّاه المغنُّون في كل فنّ من خفيفٍ وثقيلٍ، فلم يتحرّك ولا نَشِط، فقام الأبجر إلى الخلاء، وكان خبيثاً داهيا، فسأل الخادمَ عن خبره، وبأيّ سببٍ هو خاثر[3]؟ فقال: بينه وبين آمرأته شرٌّ، لأنه عَشِق أختها فغَضِبتْ عليه فهو إلى أختها أميل، وقد عزم على طلاقها وحلف لها ألاّ يذكرها أبداً بمراسلة ولا مخاطبة، وخرج على هذا الحال من عندها؛ فعاد الأبجر إلينا وما جلس حتى آندفع فغنّى: [٣/٣٤٩]

صوت

فبِيِنِي فإنّي لا أُبالي وأيقني ... أصَعَّدَ باقي حبّكم أم تَصَوَّبا

ألم تعلَمِي أنّي عَزُوفٌ عن الهَوَى ... إذا صاحبِي من غير شيء تَغَضَّبا

فطَرِب الوليد وآرتاح وقال: أصبتَ يا عُبَيدُ والله ما في نفسي، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشَرِب حتى سكِر، ولم يحظَ بشيء أحدٌ سوى الأبجر، فلما أيقنتُ بآنقضاء المجلس وثَبْتُ فقلت: إن رأيتَ يا أمير المؤمنين أن تأمرَ مَنْ يضربني مائةَ الساعةَ بحضرتك! فضحك وقال: قَبّحك الله! وما السببُ في ذلك؟ فأخبرتُه بقصتي مع الرسول وقلت: إنه بَدَأني من المكروه في أوّل يومه بما اتصل عليّ إلى آخره، فأُريد أن أُضرَبَ مائةً ويُضرَبَ بعدي مثلَها، فقال له: لقد لَطُفتَ، أعطوه مائةَ دينار وأعطُوا الرسولَ خمسين ديناراً من مالنا عوضاً عن الخمسين التي أراد أن يأخذَها؛ فقبضتُها وما حَظِيَ أحدٌ بشيء غيري وغيرَ الرسول. والشعر الذي غَنّى فيه الأبجر الوليدَ بنَ يَزيد لعبد الرحمن بن الحكم أخي مَرْوان بن الحكم، والغناءُ للأبجر ثقيلٌ أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لغيره عدّة ألحان نُسبتْ.

[٣/٣٥٠] / صوت

من المائة المختارة من رواية جَحْظة

حمزةُ المبتاعُ بالمال الثّنا ... ويَرَى في بَيْعه أنْ قد غَبَنْ

فهو إن أعطَى عطاءً فاضلاً ... ذَا إخاءٍ لم يُكَدِّرْهُ بمَنّ

وإذا ما سَنَةٌ مُجْدِبَةٌ ... بَرَتِ الناسَ كبَرْيِ بالسَّفَنْ[4]

(١) البطال: الذي يهزل في حديثه.

(٢) لقس النفس: وصف من لقست نفسه إذا غثت وخبثت.

(٣) الخاثر: الذي غثت نفسه.

(٤) السفن (بالتحريك): كل ما يبري وينحت به، قال زهير:

* ضرباً كنحت جذوع الأثل بالسفن *

كــان للنــاسِ ربيعــاً مُغْــدِقــاً ساقطَ الأكنافِ إن راح أرجَحَنّ[1]

نُــور شَــرقٍ بيِّــنٌ فــي وجهــه لــم يُصِــبْ أثــوابَــه لــونُ الــدَّرَنْ

عروضه من الرمل. الشعر لموسى شَهَوات. والغناءُ لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.



(١) ارجحنّ: مال واهتز.

[٣٥١/ ١١٨/٣]

/ أخبار موسى شَهَوات ونسبُه وخبرُه في هذا الشعر

نسبه وسبب لقبه:

هو موسى بن يَسَار[١] مولى قريش، ويُختَلَفُ في وَلائه فيقال: إنه مولى بني سَهْم، ويقال: مولى بني تَيْم بن مُرَّة، ويقال: مولى بني عَدِيّ بن كعب؛ ويُكنى أبا محمد، وشَهَوات لقبٌ غَلَبَ عليه.

وحدّثني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال:

إنما لُقّب موسى شهوات لأنه كان سَؤولاً مُلحِفاً، فكان كلّما رأى مع أحد شيئاً يُعجبه من مالٍ أو مَتَاع أو ثوب أو فرس[٢]، تَباكى، فإذا قيل له: ما لك؟ قال: أشتهِي هذا؛ فسُمِّيَ موسى شهوات. قال: وذكر آخرون أنه كان من أهل أذْرَبيجانَ وأنه نشأ بالمدينة وكان يُجْلَب إليه القَنْدُ[٣] والسكّرُ، فقالت له امرأة من أهله: ما يزال موسى يَجيئنا بالشهوات؛ فغَلَبتْ عليه.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال:

كان محمد بن يحيى يقول: موسى شَهَوات مولى بني عَدِيّ بن كَعْب، وليس ذاك بصحيح، هو مولى تَيْم بن مُرّة. وذكر عبدالله بن شَبيب عن الحِزَاميّ: أنه مولى بني سَهْم.

[٣٥٢/] / وأخبرني وَكيع عن أحمد بن أبي خَيْثَمةَ عن مُصْعَب ومحمد بن سلاّم قال: موسى شهوات مولى بني سَهْم.

عشق جارية فأعطى بها عشرة آلاف درهم:

وأخبرني محمد بن الحسن[٤] بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عُبَيْدة قال:

هَوِيَ موسى شهوات جاريةً بالمدينة فأسْتُهِيم بها وساومَ مولاها فيها فأستام[٥] بها عشرةَ آلاف درهم، فجمع كلَّ ما يَملِكه وأستماح إخوانَه فبلَغ أربعةَ آلافِ درهم، فأتى إلى سعيد بن خالد العُثْمانِيّ فأخبره بحاله وأستعان به، وكان صديقَه وأوثقَ الناس عنده، فدافَعه[٦] وأعتلّ عليه فخرج من عنده؛ فلما ولّى تَمثّل سعيدٌ قولَ الشاعر:

كتبتَ إليَّ تَسْتهدِي الجَواري ... لقد أنْعَظْتَ من بَلَدٍ بَعيدِ

---

(١) كذا في «شرح القاموس» مادة (شهو) وقد صححه على هامش نسخته كذلك الأستاذ الشيخ محمد بن محمود الشنقيطي، وفي الأصول: «بشار» وهو تحريف.

(٢) في حـ «فرش» بالشين المعجمة.

(٣) القند: عسل تصب السكر إذا جمد.

(٤) كذا في س، وهو الصواب، وفي باقي الأصول: «الحسين».

(٥) الاستيام بالشيء: ذكر ثمنه، تقول: استمت عليه بسلعتي إذا كنت أنت تذكر ثمنها، وتقول: استام مني بسلعتي إذا كان هو العارض عليك الثمن.

(٦) دافعه: ماطله.

أتى سعيد بن خالد بن عبدالله بن أسيد يستعينه في ثمن الجارية فأعانه فمدحه:

فأتَى سعيدَ بن خالد بن عبدالله بن خالد بن أَسِيد فأخبره بقصّته فأمر له بستة آلاف درهم، فلما قبَضَها ونهَض قال له: أَجلِسْ، إذا أبتعتَها بهذا المال وقد أنفدتَ كلّ ما تَمْلِك فبأيّ حالٍ تَعِيشان! ثم دفع إليه ألفيْ درهم وكُسْوةً وطِيباً، وقال: أَصلِحْ بهذا شأنكما؛ فقال فيه:

أبا خالدٍ أعني سعيدَ بن خالدٍ ... أخا العُرْف لا أعني آبنَ بنتِ سعيدِ

ولكنني أعني آبنَ عائشةَ الذي ... أبو أبَوَيْه خالدُ بن أسِيدِ

عَقِيدُ[1] الندى ما عاش يَرضَى به النّدى ... فإن مات لم يَرْضَ النّدى بعَقِيدِ

دَعُوهُ دعوه إنكم قد رَقَدتُم ... وما هو عن أحسابكم برَقُودِ

قتلتَ أُناساً هكذا في جلودهم ... من الغيظ لم تقتُلْهمُ بحديدِ

/ رأى سعيد بن خالد العثماني في مدحه لسميه الذي أعانه هجوا له فشكاه: [٣/٣]

قال: فشكاه العثمانيّ إلى سليمان بن عبد الملك، فأحضر موسى وقال له: يا عاضّ كذا وكذا، أتهجو سعيدَ بن خالد! فقال: واللّهِ يا أميرَ المؤمنين ما هجوتُه ولكنّي مدحتُ أبنَ عمّه فغضِب هو، ثم أخبره بالقصّة؛ فقال للعثمانيّ: قد صدَق، إنما نَسَبَ مَنْ مدَحه إلى أبيه ليُعْرَف. قال: وكان سليمانُ إذا نظر إلى سعيد بن خالد بن عبدالله يقول: لَعَمْري والله ما أنت عن أحسابنا برَقود.

وأخبرني محمد بن عبدالله اليَزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ/ قال حدّثنا مُصْعَب بن عبدالله بهذا الحديث [١١٩/٣] فذكر نحو ما ذكره أبو عُبَيدة وقال فيه:

وكان سعيد بن خالد هذا تأخذه المُوتةُ[2] في كلّ سنة، فأرادوا عِلاجَه، فتكلّمتْ صاحبتُه على لسانه وقالت: أنا كريمة بنت مِلْحان سيّدِ الجنّ، وإن عالَجتموه قتلتموه، فوالله لو وجدتُ أكرم منه لهَوِيتُه.

أخبرني وكِيع عن أبي حَمْزة أَنَس بن خالد الأنصاريّ عن قَبِيصة بن عمر بن حَفْص المهلَّبيّ عن أبي عُبيدة قال حدّثني الحارث بن سليمان الهُجَيْميّ[3]، ـ وهو أبو خالد بن الحارث المحدِّث ـ قال: وكان عنده رُؤْبَة بن العَجّاج، قال:

شهِدت مجلسَ أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وأتاه سعيدُ بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان، فقال: يا أمير المؤمنين، أتيتُك مُسْتَعْدِياً، قال: ومَنْ بك؟ قال: موسى شَهَوات، قال: وماله؟ قال: سَمّع[4] بي وأستطالَ في عِرْضي، فقال: يا غلام، / عليّ بموسى فأْتني به فأُتِيَ به، فقال: ويلك! أسمَّعتَ به وأستطلتَ في عِرْضه؟ قال: [٣/٤] ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ولكنّي مدحتُ أبنَ عمّه فغضِب هو، قال: وكيف ذلك؟ قال: علِقتُ جاريةً لم يبلغ ثمنَها

(١) عقيد الندى: الكريم بطبعه.

(٢) الموتة: ضرب من الجنون والصرع يعتري الإنسان فإذا أفاق عاد إليه كمال عقله كالنائم والسكران.

(٣) كذا في «الخلاصة في أسماء الرجال» في اسم خالد بن الحارث، وفي ب، س: «الجهيمي» بتقديم الجيم على الهاء، وفي سائر النسخ «المجيمي» وكلاهما تحريف.

(٤) سمع به في الناس: شهّره وفضحه.

جِدَتِي[1]، فأتيتُه وهو صديقي فشكوتُ إليه ذلك، فلم أُصِبْ عنده شيئاً، فأتيتُ ٱبنَ عمّه سعيدَ بن خالد بن عبدالله بن خالد بن أَسِيد فشكوتُ إليه ما شكوتُه إلى هذا، فقال: تعودُ إليّ، فتركتُه ثلاثاً ثم أتيتُه فسَهَّل مِن إذْني، فلما ٱستقرّ بي المجلسُ قال: يا غلام، قل لقيِّمتي: هاتي ودِيعتي، ففتَح باباً بين بيتين وإذا بجارية، فقال لي: أهذه بُغْيَتُك[2]؟ قلتُ: نعم فِدَاك أبي وأمّي! قال: ٱجلِس ثم قال: يا غلام، قل لقيّمتي: هاتي ظَبْيَةَ[3] نَفَقتي، فأُتِيَ بظبيةٍ فنُثِرت بين يديه فإذا فيها مائةُ دينار ليس فيها غيرها فرُدَّت في الظَّبية، ثم قال: عَتِيدةَ[4] طِيبي، فأُتِيَ بها، فقال: ملحَفَةَ[5] فِراشي، فأُتِيَ بها، فصَيَّر ما في الظبية وما في العتيدة في حواشي المِلْحفة، ثم قال: شأنَك بهواك وٱستعِنْ بهذا عليه؛ فقال له سليمانُ بن عبد الملك: فذلك حين تقول ماذا؟ قال: قلت:

ذكر طائفة من أبيات القصيدة التي مدح بها سعيد بن خالد:

أنـا خـالـد أَعْنِـي سعيـدَ بـن خـالـدِ ... أخـا العُـرف لا أعنـي ٱبنَ بنـتِ سعيـدِ

ولكننـي أعنـي ٱبنَ عـائشـة الـذي ... أبـو أبـويـه خـالـدُ بـن أسِيـدِ

عقيدُ الندى ما عاش يرضَى به الندى ... فـإن مـات لـم يـرضَ النـدَى بعَقيـدِ

دعـوهُ دعُـوهُ إنكـم قـد رقـدتُـم ... ومـا هـو عـن أحسـابكـم بـرَقـودِ

فقال سليمان: عليّ يا غلام بسعيد بن خالد، فأُتِيَ به، فقال: أحقٌّ ما وصَفك به موسى؟ قال: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فأعاد عليه، فقال: قد كان ذلك / يا أمير المؤمنين، قال: فما طوّقتك هذه الأفعال؟ قال: دَيْنَ [٣٥٥/١] ثلاثين ألفَ دينار؛ فقال له: قد أمرتُ لك بمثلها وبمثلها وبمثلها وبثُلُث مثلها، فحُملت إليه مائةُ ألف دينار؛ قال: فلقِيتُ سعيدَ بن خالد بعد ذلك فقلت له: ما فعلَ المالُ الذي وصَلَك به سليمانُ؟ قال: ما أصبحتُ والله أملِك منه إلا خمسين ديناراً؛ قلتُ: ما ٱغتالَه؟ قال: خَلّةٌ[6] مِن صديق أو فاقةٌ من ذي رَحِم.

أخبرني وَكِيع قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمَة عن مُصْعَب الزبيريّ ومحمد بن سَلّام قال:

عشِق موسى شهوات جاريةً[7] بالمدينة فأُعْطَى بها عشرةَ آلاف درهم؛ ثم ذكر باقيَ الحديث مثل حديث سليمان بنِ أبي شَيْخ؛ وقال/ وفيه: أما والله لئن مدحتُه وهو سَمِيُّك وأبوه سَمِيُّ أبيك ولم أُفرِّق بينكما لَيقولن للناسُ: أهذا أم هذا، ولكن والله لأقولنّ قولاً لا يُشَكُّ فيه. وتمامُ هذه الأبيات التي مدح بها سعيداً بعد الأربعة المذكورة منها: [١٢٠/٣]

فِـدًى للكـريـم العَبْشَمِـيّ ٱبنِ خـالـد ... بَنِـيّ ومـالـي طـارِفـي وتَليـدي

علـى وجهـه تلقـى الأيـامِـنَ وٱسمِـهِ ... وكُـلُّ جَـواري طيـره بِسُعـودِ

(١) الجدة: اليسار والسعة.

(٢) البغية (بكسر الباء وضمها): ما ابتغى، يقال: فلان بغيتي وعند فلان بغيتي أي طلبتي.

(٣) الظبية: جراب صغير من جلد ظبي.

(٤) العتيدة: الحقة يكون فيها طيب الرحل أو العروس.

(٥) الملحفة: الملاءة.

(٦) الخلة: الحاجة والفقر.

(٧) في حـ: «مغنية».

أبان وما استغنى عن الشّدْيِ خيرهُ ... أبان به في المهد قبلَ قُعُودِ
دعوه دعوه إنكم قد رقدتُم ... وما هو عن أحسابكم برَقودِ
ترى الجُنْد والجنّابَ[1] يَغشَوْن بابَه ... بحاجاتهم من سيّد ومَسُودِ
فيُعطِي ولا يُعطَى ويُغشَى ويُجتدَى ... وما بابُه للمُجْتَدِي بسديدِ
/ قتلتَ أُناساً هكذا في جلودهم ... من الغيظ لم تقتلهمُ بحديدِ [٣/٣٥٦]
يعيشون ما عاشوا بغيظٍ وإن تَحِنْ ... مَنَاياهُمُ يوماً تَحِنْ بحُقُودِ
فقل لبُغاة العُرْف قد مات خالدٌ ... ومات الندَى إلا فُضُولَ سعيدِ

قال وكِيعٌ في خبره: أمّا قوله: «لا أعني أبنَ بنت سعيد» فإنّ أمّ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان آمِنةُ بنت سعيد بن العاصي، وعائشةَ أمّ عَقيد الندى بنت عبدالله بن خلف الخُزَاعيّة أختُ طَلْحة الطَّلَحاتِ، وأمُّها صَفِيَّة بنت الحارث بن طَلْحة بن أبي طَلْحة من بني عبد الدار بن قُصَيّ، وأمّ أبي[2] عقيد الندى رَمْلة بنت معاوية بن أبي سفيان.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال:

لما أنشد موسى شهوات سليمانَ بن عبد الملك شعرَه في سعيد بن خالد قال له: أتّفق اسمَاهُما وأسمْا أبوَيْهما، فتخوّفتُ أن يذهب شعري باطلاً ففرّقتُ بينهما بأمّهما، فأغضبه أنْ مدحتُ أبنَ عمّه، فقال له سليمانُ: بَلَى والله لقد هجوتَه وما خَفِي عليّ ولكني لا أجد إليك سبيلاً، فأطلقَه.

عمل شعراً في مدح حمزة بن عبدالله بن الزبير وقبل معبد أن يغنيه له ويكون عطاؤه بينهما:

أخبرني وكِيع قال حدّثني أحمد بن زُهَير قال حدّثنا محمد بن سلّام قال حدّثنا محمد بن مَسْلَمة الثقفيّ قال:

قال موسى شهوات لِمعبد: أأَمْدَحُ حَمْزةَ بن عبدالله بن الزبير بأبياتٍ وتُغَنّي فيها ويكون ما يُعطينا بيني وبينك؟ قال: نعم؛ فقال موسى:

/ حمزةُ المبتاعُ بالمال الثّنا ... ويَرى في بَيْعه أن قد غَبَنْ [٣/٣٥٧]
فهو إن أعطى عَطاءً فاضلاً ... ذا إخاءٍ لم يُكدِّرْه بِمَنّ
وإذا ما سَنَةٌ مُجْحِفَةٌ ... بَرَتِ الناسَ كَبَرْيِ بالسَّفَنْ
حَسَرتْ[3] عنه نقيّاً عرضُه ... ذا بلاءٍ عند مُخْناها[4] حَسَنْ
نُور صدقٍ بيّنٌ في وجهه ... لم يُدَنِّسْ ثوبَه لونُ الدَّرَنْ
كنتَ للناس رَبيعاً مُغْدِقاً ... ساقطَ الأكناف إن راح ارجَحَنّ

---

(١) الجناب: جمع جانب وهو الغريب.

(٢) كذا صححه الأستاذ الشنقيطي بهامش نسخته، وفي الأصول: «وأم ابن عقيد الندى».

(٣) حسرت: كشفت.

(٤) مخناها: مصدر ميميّ من أخنى أي أهلك.

قال أحمد بن زهير: وأوّلُ هذه القصيدة عن غير أبن سلاّم:

شاقَني اليومَ حبيبٌ قد ظَعَنْ ... ففؤادي مُسْتَهَامٌ مُرتَهَنْ

/ إنّ هنداً تَيمتني حِقْبَةً ... ثم بانت وهي للنفس شَجَنْ

فتنةٌ ألحَقَها اللَّهُ بنا ... عائذٌ باللهِ من شرّ الفِتَنْ

١٢١/٣

عارض فاطمة بنت الحسين لما زفت إلى عبدالله بن عمرو بشعر فأجيز:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال أخبرني الطَّلْحِي قال أخبرني عبد الرحمن بن حمّاد عن عِمْران بن موسى بن طَلْحة قال:

لما زُفّت فاطمةُ بنت الحسين رضوان الله عليه إلى عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفّان، عارَضَها[1] موسى شهوات:

طَلْحَةُ الخيرِ جَدّكم ... ولخيرِ الفَوَاطِمِ

أنتِ للطاهراتِ مِن ... فَرْعِ تَيْمٍ وهاشمِ

أرْتَجيكُمْ لنَفْعِكم ... ولدَفْعِ المَظالمِ

فأمر له بكُسْوةٍ ودنانيرَ وطيبٍ.

[٣٥٨/٣] / هجا داود بن سليمان لما تزوّج فاطمة بنت عبد الملك:

قال حدّثنا الكُرَانيّ قال حدّثنا العَنَزيّ عن العُتْبيّ قال:

كانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمرَ بن عبد العزيز، فلما مات عنها تزوّجها داودُ بن سليمان بن مروان وكان قبيحَ الوجه، فقال في ذلك موسى شهوات:

أبعد الأغرّ أبن عبد العزيز ... قَريعِ[2] قريشٍ إذا يُذْكَرُ

تَزوّجْتِ داودَ مُختارةً ... ألا ذلك الخَلَفُ الأعْوَرُ[3]

فكانت إذا سَخِطَتْ عليه تقول: صدق واللّهِ موسى، إنك لأنتَ الخَلَفُ الأعور، فيشتُمُه داود.

مدح يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية فأجازه:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرَانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن لَقِيط قال:

أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية على بابه بدِمَشق، وكان فتًى جواداً سَمْحاً، فلما ركب وثَب إليه فأخذ بعِنان دابّته، ثم قال:

قم فصوِّتْ إذا أتيت دِمَشْقاً: ... يا يزيدُ بن خالدِ بن يزيدِ

(١) كذا في الأصول، والمراد أنه اعترضها في سيرها ومدحها بهذا الشعر.

(٢) القريع: السيد والرئيس، يقال: فلان قريع الكتيبة أي رئيسها.

(٣) الأعور: الرديء من كل شيء، ويقال على الضعيف الجبان البليد الذي لا خير فيه.

يـا يـزيـدُ بـن خـالـدٍ إن تُجِبْنِـي ... يَلْقَنِـي طـائـري بنجـم السُّعـودِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم وكسوة، وقال له: كلما شئتَ فنادِنا نُجِبْك.

تزوّج بنت داود ابن أبي حميدة فلما سئل عن جلوتها قال شعراً:

أخبرنا وكيع قال حدّثني أحمد بن زُهَير قال حدّثنا مُصْعَب الزُّبَيْرِيّ قال:

زُوِّج موسى شهوات بنتَ مولًى لمَعْن بن عبد الرحمن بن عَوْف يقال له: داود بن أبي حُمَيدة، فلما جُلِيت[١] عليه قال داود: ما للجَلْوة؟ فأنشأ يقول:

[٣٥٩/٣]

/ تقـول لـيَ النسـاءُ غـدَاةَ تُجْلَـى ... حميـدةُ يـا فتـى للجِـلاءِ

فقلـتُ لهـم سَمَـرْقَنْـدٌ[٢] وبَلْـخٌ[٣] ... ومـا بـالصيـن مـن نَعَـمٍ[٤] وشَـاءِ[٥]

أبـوهـا حـاتـمٌ إن سِيـلَ خيـراً ... وليـثُ كـريهـةٍ عنـد اللقـاءِ

هجا أبا بكر بن عبد الرحمن حين حكم عليه ومدح سعيد بن سليمان:

أخبرني وكيع قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا مصعَب قال:

قضى أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حُوَيْطِب على موسى شهوات بقضيّة، وكان خالدُ بن عبد الملك[٦] استقضاه في أيام هشام بن عبد الملك، فقال موسى يهجوه:

وجدتُـك فَهًّـا[٧] في القضـاء مُخلِّطـاً[٨] ... فقـدْتُـك مـن قـاضٍ ومـن مُتـأمِّـرِ

[١٢٢/٣]

/ فدَعْ عنـك مـا شيـدتـه ذات رخـة[٩] ... أذى النـاس لا تَحْشُـرْهُـمُ كـلَّ مَحْشَـرِ

ثم وَلِيَ القضاءَ سعيدُ بن سليمان بن زيد[١٠] بن ثابت الأنصاريّ، فقال يمدحه:

مَـنْ سَـرّه الحُكْـمُ صِـرفـاً لا مِـزاجَ لـه ... مـن القُضَـاة وعـدلٌ غيـرُ مَغْمُـوز

فليـأتِ دارَ سعيـد الخَيْـر إنَّ بهـا ... أمضى على الحقّ من سيف ابن جُرْمُوزِ[١١]

(١) يقال: جليت العروس على زوجها جلوة (بتثليث الجيم) وجلاء (بكسر الجيم) إذا عرضت عليه مجلوّة، والجلوة (بالكسر): ما تعطاه العروس عند جِلائها.

(٢) سمرقند: مدينة عظيمة وهي عاصمة الصغد مبنية جنوبي وادي الصغد، قيل: هي من أبنية ذي القرنين.

(٣) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان.

(٤) النعم: الإبل.

(٥) الشاء: الغنم.

(٦) هو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ولي المدينة لهشام بن عبد الملك.

(٧) الفه: العييّ.

(٨) يقال: خلط في كلامه إذا هذى.

(٩) كذا في الأصول ولم نوفق إلى استجلاء ما غمض من معناه.

(١٠) كذا صححه الأستاذ الشيخ الشنقيطي على هامش نسخته، وفي الأصول: «يزيد» وهو تحريف.

(١١) هو عمرو بن جرموز قاتل الزبير بن العوّام رضي الله عنه.

هجاؤه سعد بن إبراهيم والي المدينة:

قال: وكان سعدُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف، قد وَلِيَ المدينةَ وٱشتدّ على السفهاء والشعراء والمغنِّين، ولحِقَ موسى شهوات بعضُ ذلك منه، وكان قبيحَ الوجه، فقال موسى يهجوه:

[٣/٣٦٠] / قـل لِسَعْـدٍ وجـهِ العجـوز لقـد كنـ ـتَ لِمَـا قـد[١] أُوتِيتَ سعداً مخيـلاً[٢]

إن تكـن ظـالمـاً جهـولاً فقـد كـا ن أبـوك الأدنَـى ظلـومـاً جهـولا

وقال يهجوه:

لعـن اللّـهُ والعبـادُ ثُطَيْـطَ[٣] الـ ـوجـه لا يُرْتَجَـى قبيـحَ[٤] الجِـوارِ

يَتّقـي النـاسُ فُحشـه وأذاه مثـلَ مـا يتّقـون بـولَ الحِمـارِ

لا تَغُـرّنْـك سَجْـدةٌ بيـن عينيْـ ـه حَـذارِ[٥] منهـا ومنـه حَـذارِ

إنهـا سَجْـدةٌ بهـا يَخْـدَع النـا سَ، عليهـا مـن سَجْـدة بـالدَّبـارِ[٦]

مدح عبدالله بن عمرو بن عثمان حين نفحه بعطية:

أخبرني عمّي قال أخبرني ثعلب عن عبدالله بن شَبيب قال:

ذكر الحِزاميّ[٧] أنّ موسى شهوات سأل بعضَ آلِ الزبير حاجةً فدفعه عنها، وبلغ ذلك عبدَالله بن عمرو بن عثمان، فبعث إليه بما كان ٱلتمسه من الزُّبَيْريّ من غير مسألة؛ فوقف عليه موسى وهو جالس في المسجد، ثم أنشأ يقول:

ليـس فيمـا بَـدَا لنـا منـك عيـبٌ عـابَـه النـاسُ غيـرَ أنـك فـانـي

أنـت نِعـمَ المَتَـاعُ لـو كنـتَ تَبْقَـى غيـرَ أنْ لا بقـاءَ لـلإنسـانِ

/ والشعر المذكور فيه الغناءُ، يقوله موسى شَهَوات في حَمْزة بن عبدالله بن الزبير، وكان فتًى كريماً جواداً على هَوَجٍ كان فيه، ووَلّاه أبوه العِراقَين وعَزَل مُصْعَباً لمّا تزوّج سُكَيْنة بنت الحسين رضي الله عنه وعائشةَ بنت طلحة [٣/٣٦١] وأمهر كلَّ واحدةٍ منهما ألفَ ألفِ درهم.

سبب عزل ابن الزبير لأخيه مصعب عن البصرة وتوليته ابنه حمزة:

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ عن مصعَب الزبيريّ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة، وأخبرني عبيد الله بن محمد الرّازي والحسينُ بن علي: قال عُبَيد الله حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ، وقال الحسين حدّثنا الحارث بن أبي أُسامة عن المدائنيّ عن أبي مِخْنَف:

---

(١) كذا في ب، س. وفي أ، م، حـ،ء: «لما أُتيت» بغير «قد» والبيت لا يتزن بغيرها، وفي جميع النسخ «أتيت» والصواب ما رجحناه.

(٢) كذا في ب، س، حـ، وفي أ، م،ء: «بخيلا».

(٣) ثطيط تصغير ثط، والثط والأثط: الكوسج وهو الذي عرى وجهه من الشعر إلا طاقات في أسفل حنكه. وفي أ،ء، م: «قبيح الوجه».

(٤) في أ، م،ء: «شطيط» ولم نجد فعيلاً وصفاً من هذه المادة.

(٥) دخل على هذا الشطر «الكف» وهو حذف الساكن السابع من «فاعلاتن الأولى».

(٦) الدبار: الهلاك والعفاء، والظاهر أن الباء زائدة.

(٧) كذا في أ،ء، م، وفي باقي النسخ «الحرامي» بالراء المهملة، وهو تحريف.

أن أنَسَ بن زُنَيم اللَّيْثيّ كتب إلى عبدالله بن الزُّبَير:

أبْلِغْ أميرَ المؤمنين رسالةً ... مِن ناصح لك لا يُريك خِداعا

بضعَ[1] الفتاةَ بألفِ ألفٍ كاملٍ ... وتَبِيتُ قاداتُ الجيوش جِياعا

لو لأبي[2] حَفصٍ أقولُ مَقالتي ... وأبُثُّ ما أبثُّكم لأرتاعا

/ فلما وصلت الأبياتُ إليه جَزِع ثم قال: صَدَق والله، لو لأبي حفصٍ يقول: إنّ مُصْعَباً تزوّج امرأتين بألفي ألفِ [١٢٣/٣] درهم لأرتاع، إنّا بعثنا مصعباً إلى العِراق فأغمد سيفَه وسَلّ أيره وسنَعْزِله، فدعا بأبنه حمزةَ، وأمُّه بنت منظور بن زَبّان الفَزاريّ وكان لها منه مَحَلٌّ لطيف، فولاّه البَصْرة وعَزَل مصعباً. فبلغ قولُه عبدَ الملك في أخيه مصعب، فقال: لكنّ أبا خُبَيْب أغمد سيفَه وأيرَه وخَيْرَه.

/ عزل ابن الزبير ابنه حمزة لهوجه وحمقه: [٣٦٢/٣]

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال: هذه الأبيات لعبدالله بن همّام[3] السَّلُوليّ.

قالوا جميعاً: فلما وَلِي أبنُه حمزة البصرة أساء السِّيرة وخَلّط تخليطاً شديداً، وكان جواداً شجاعاً أهوجَ، فوفدتْ إلى أبيه الوفود في أمره، وكتب إليه الأحنف بأمره وما يُنكره الناسُ منه وأنه يخشى أن تفسُد عليه طاعتُهم؛ فعزلَه عن البصرة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا المدائنيّ قال:

لما قَدِم حمزةُ بن عبدالله البصرةَ والياً عليها، وكان جواداً شجاعاً مُخَلِّطاً: يجود أحياناً حتى لا يَدَعَ شيئاً يملِكه إلا وَهَبه ويَمْنَع أحياناً ما لا يُمْنَع من مثله، فظَهَرتْ منه بالبصرة خِفّة وضَعْف. ورَكِب يوماً إلى فَيْض[4] البصرة، فلما رآه قال: إنّ هذا الغدير إن رَفَقُوا به لَيَكْفِيَنّهم صَيْفَتَهم هذه، فلما كان بعد ذلك رَكِب إليه فوافقه جازِراً[5] فقال: قد رأيتُه ذاتَ يوم فظننتُ أن لن يكفيَهم؛ فقال له الأحنف: إنّ هذا ماءٌ يأتينا ثم يَغِيض عنّا ثم يعود. وشَخَص إلى الأهواز فرأى جبلَها، فقال: هذا قُعَيْقِعان ـ وقعيقعان: جبلٌ بمكّة ـ فلُقِّب ذلك الجبلُ بقُعَيْقعان.

قال أبو زيد: وحدّثني غيرُ المدائنيّ أنه سَمِع بذكر الجبل بالبَصْرة، فدعا بعامله فقال له: ابعث فأتنا بخَرَاج الجبل؛ فقال له: إن الجبل ليس ببلد فآتيك بخراجه. وبعث إلى مَرْدانْشاه فاستحثّه بالخراج فأبطأ به، فقام إليه بسيفه فقتله؛ فقال له / الأحنف: ما أحَدَّ سيفك أيّها الأمير! وهَمّ بعبد العزيز بن شَبيب[6] بن خيّاط أن يضرِبه بالسِّياط؛ [٣٦٣/٣]

---

(١) بضع: نكح.

(٢) دخل على هذا الشطر «الوقص» وهو ما سكن ثانيه المتحرك وذهب رابعه الساكن من «متفاعلن».

(٣) في الأصول: «هشام» وهو تحريف.

(٤) فيض البصرة: نهرها.

(٥) جازراً: من الجزر وهو نقصان مائه، وضدّه «المد» وهو زيادته.

(٦) في «تاريخ الطبري» (طبع مدينة ليدن ـ القسم الثاني ص ٧٥٢). وفي ابن الأثير ص ٢٥٥ ج ٤ «بعبد العزيز بن بشر». وقد ورد في الطبري في قسم ٢ ص ٨٠٢ هذا الاسم هكذا «عبد العزيز بن بشر بن حياط»، وفي حـ: «ابن بشير بن حياط» بالحاء المهملة. وفي أ، م، ء: «ابن شبيب بن حياط» بالحاء المهملة أيضاً.

فكتب[١] إلى ابن الزبير بذلك وقال له: إذا كانت لك بالبصرة حاجةٌ فاصرِف أبنَك عنها وأعِدْ إليها مُصْعَباً؛ ففعل ذلك. وقال بعض الشعراء يهجو حمزة ويَعِيبه بقوله في أمر الماء الذي رآه قد جَزَر:

يـا بـن الـزُّبَيـر بَعَثـتَ حمـزةَ عـامـلاً ... يـا ليـتَ حمـزةَ كـان خلـفَ عُمَـانِ

أزرَى بِـدَجْلَـةَ حيـن عَـبَ عُبَـابُهـا ... وتقـاذفـتْ بـزواخـر الطُّـوفـانِ

نفار النوار من الفرزدق والتجاؤها لابن الزبير وشفاعة الفرزدق بابنه حمزة:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دَمَاذ عن أبي عُبَيدة قال:

خَطَبَ النَّوَارَ ابنةَ أعيَن المُجَاشِعِيّة رجلٌ من قومها، فجعلت أمْرَها إلى الفَرَزْدق، وكان ابنَ عمها دِنْيَةً[٢]، ليزوّجها منه، فأشهَد عليها بذلك وبأنّ أمرَهَا إليه شُهوداً عُدُولاً؛ فلما أشهدتْهم على نفسها قال لهم الفرزدق: فإني أُشْهِدكم أنّي قد تزوّجتُها، فمنعته النَّوار نفسَها وخرجت إلى الحجاز إلى عبدالله بن الزُّبَير، فاستَجارت بامرأته بنت منظور بن زَبَّان، وخرج الفرزدق فعاذَ بابنه حمزةَ، وقال يمدحه:

يا حَمْزَ هَلْ لك في ذي حاجةٍ، غَرِضتْ[٣] ... أنضـاؤه بمكـان[٤] غيـر ممطـورِ

/ فأنتَ أولَـى قُـرَيـشٍ أن تكونَ لهـا ... وأنـت بيـن أبـي بكـرٍ ومنظـورِ

١٢٤/٣

/ فجعل أمرُ النَّوار يقوَى وأمرُ الفرزدق يضعُف؛ فقال الفرزدق في ذلك: [٣/٣٦٤]

أمّـا بَنُـوه فلـم تَنفَـعْ شَفَـاعتُهـم ... وشُفِّعـت بنـتُ منظـور بـن زَبّـانـا

ليـس الشفيـعُ الـذي يـأتيـكَ مُؤتَـزِراً[٥] ... مثـلَ الشفيـع الـذي يـأتيـك عُـرْيـانـا

فبلغ ابنَ الزُّبَير شعرهُ، ولَقِيَه على باب المسجد وهو خارجٌ منه فضَغَط حَلْقَه حتى كاد يقتلُه، ثم خَلّاه وقال:

لقـد أصبحتْ عِـرْسُ الفَـرَزْدقِ نـاشِزاً[٦] ... ولـو رَضِيـتْ رُمـحَ[٧] أستِـهِ لأستقـرَّتِ

ثم دخل إلى النَّوَار فقال لها: إن شئتِ فَرَقْتُ بينكِ وبينَه ثم ضربتُ عنقَه فلا يهجونا أبداً، وإن شئتِ أمضيتِ نِكاحَه فهو ابن عمّك وأقربُ الناس إليك، وكانت امرأةً صالحةً، فقالت: أَوَ مَا غيرُ هذا؟ قال: لا؛ قالت: ما أُحِبّ أن يُقْتَل ولكني أُمضِي أَمْرَه فلعلّ اللّهَ أن يجعل في كُرْهي إيّاه خيراً؛ فمضتْ إليه وخرجتْ معه إلى البصرة.

غنى معبد حمزة بن عبدالله بشعره فأجازه:

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبَيْريّ: أن حمزة بن عبدالله كان جواداً، فدخل إليه مَعْبَد يوماً وقد أرسله ابن قَطَن مولاه يقترض له من حمزة ألفَ

---

(١) في «تاريخ الطبري» قسم ٢ ص ٧٥٢ «كتب الأحنف».

(٢) يقال: هو ابن عم دنية أي لاصق النسب.

(٣) في الأصول «عرضت» وقد صححها الأستاذ الشنقيطي كما أثبتناه. و «غرضت»: ملّت وضجرت.

(٤) كذا في «الأغاني» في ترجمة الفرزدق (ج ١٩ ص ١١ طبعة بولاق) وفي الأصول هنا: «ببلاد» وهو لا يتفق مع الوصف.

(٥) كذا في «ديوان» الفرزدق، وفي الأصول: «متزرا» بالإدغام. وإدغام الهمزة في تاء الافتعال بعضهم يجيزه والأكثر على منعه.

(٦) في رواية أخرى:

* ألا تلكم عرس الفرزدق جامحاً *

(٧) يريد بقوله «رمح أسته»: طعنه في دبره ورفسه بالأرجل، وهذا كناية عن امتهانه واحتقاره، والرمح: الضرب بالرجل.

دينار فأعطاه ألف الدينار، فلما خرج من عنده قِيل له: هذا عبد أبن قَطَن وهو يروي فيك شعر موسى شَهَوات فيُحْسِن / روايتَه، فأمر بردِّه فرُدَّ، وقال له ما حكاه القوم عنه، فغنّاه مَعْبَد الصوت فأعطاه أربعين ديناراً؛ ولما كان [٣/٣٦٥] بعد ذلك رَدّ أبنُ قَطَن عليه المالَ فلم يقبلْه، وقال له: إنه إذا خرج عنّي مالٌ لم يَعُدْ إلى ملكي. وقد رُوِيَ أنّ الداخلَ على حمزة والمخاطَبَ في أمره بهذه المخاطبة[1] أبنُ سُرَيْج، وليس ذلك بِثَبَتٍ، هذا هو الصحيح، والغناء لمعبد.

أنشد حمزة بن عبدالله شعراً وغناه إياه معبد فأجازهما:

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة عن محمد بن يحيى الغسّانيّ:

أن موسى شَهَوات أملق، فقال لمعبد: قد قلتُ في حمزة بن عبدالله شعراً فغنِّ فيه حتى يكون أجزلَ لصلتنا؛ ففعل ذلك معبد وغنّى في هذه الأبيات، ثم دخلا على حمزة فأنشده إيّاها موسى ثم غنّاه فيها مَعْبد، فأمَرَ لكل واحد منهما بمائتي دينار.

كان من شعراء الحجاز وكان خلفاء بني أمية يحسنون إليه:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدّثنا العمريّ عن الهيثم بن عبدالله عن عبدالله بن عيّاش قال:

كان موسى شهوات مولًى لسليمان بن أبي حَيْثَمة بن حُذَيفة العدويّ، وكان شاعراً من شعراء أهل الحجاز، وكان الخلفاء من بني أُميّة يحسِنون إليه ويُدِرُّون عطاءه وتَجيئه صِلاتُهم إلى الحجاز.

هجا داود بن سليمان بن مروان الذي تزوّج فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة زوجها عمر بن عبد العزيز:

وكانت فاطمةُ بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز، فلما مات عنها تزوّجها داودُ بن سليمانَ بن مروان وكان دميماً قبيحاً، فقال موسى شهوات في ذلك:

أبعـد الأغـرِّ أبـن عبـد العـزيـز ... قـريـع قـريـشٍ إذا يُـذكـرُ

تـزوّجـتِ داودَ مختـارةً ... ألَا ذلـك الخلَـفُ الأعـورُ

فغلبَ عليه ذلك في بني مروان، فكان يقال له: الخلفُ الأعورُ.

[٣/٣٦٦] ١٢٥/٣

/ صوت

من المائة المختارة

عُـوجـاً خليليّ على المَحْضَرِ[2] ... والـربـعِ مـن سَـلّامـة المُقْفِـرِ

عُـوجـاً بـه فـأستنطِقـاه فقـد ... ذكّـرنـي مـا كنـتُ لـم أذكُـرِ

ذكّـرنـي سَلمَـى وأيـامَهـا ... إذ جـاورَتْنـا بلَـوى عَسْجَـرِ[3]

---

(١) في م: «والمخاطب في هذه المخاطبة».

(٢) المحضر: المنهل الذي يجتمع القوم فيه ويحضرون عليه (انظر الحاشية رقم ١ من ص ٣٩٥ ج ٢ أغاني من هذه الطبعة).

(٣) عسجر: موضع قرب مكة. قال ياقوت في الكلام عليه بعد أن تكلم عن عسجد: «ولعله الذي قبله عير في قافية شعر» يريد «عسجداً» بالدال المهملة. وقد قال في الكلام عن عسجد إنه أسم موضع بعينه، واستشهد له بقول رزاح بن ربيعة العذري: =

بالربع من وَدّانَ مبدا[1] لنا ومحوراً ناهيك من محور

في مَحْضرٍ كنّا به نلتقي يا حبّذا ذلك من محضَرِ

إذ نحن والحيّ به جِيرةٌ فيما مضى من سالف الأعصُرِ

الشعر للوليد بن يزيد، وقيل: إنه لعمرَ بن أبي ربيعة، وقيل: إنه للعرجيّ، وهو للوليد صحيح، والغناء واللحن المختار لأبن سريج خفيفُ رمل بالبنصر في مجراها، وفيه لِشارِيةَ[2] خفيفُ رملٍ آخر عن أبن المعتزّ، وذكر الهشاميّ أنّ فيه لحَكَمٍ الواديّ خفيف رملٍ أيضاً.

عتب عمرو بن عثمان على زوجه سكينة بنت الحسين فأرسلت إليه أشعب:

أخبرني الحسينُ بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائنيّ قال:

كان زيد بن عمرو بن عثمان قد تزوّج سُكَينةَ بنتَ الحسين رضي الله تعالى عنه، فعَتَبَ عليها يوماً، فخرج إلى مال له، فذكر أشعب أن سكينة دعته فقالت / له: إن أبن عثمان خرج عاتباً عليّ فاعلَمْ لي حالَه، قلت: لا أستطيع أن أذهبَ إليه الساعةَ، فقالت: أنا أُعطيكَ ثلاثين ديناراً، فأعطتني إياها فأتيتُه ليلاً دخلتُ الدارَ، فقال: انظروا مَنْ في الدار، فأتوه فقالوا: أشعبُ، فنزل عن فرشه وصار إلى الأرض فقال: أُشَيْعِب[3]؟ قلت: نعم، قال: ما جاء بك؟ قلت: أرسلتني سُكينةُ لأعلَم خبركَ، أتذكّرتَ منها ما تذكُرتْ منك؟ وأنا أعلم أنك قد فعلتَ حين نَزَلتَ عن فرشك وصرتَ إلى الأرض، قال: دعني من هذا وغنّني: [٣/٣٦٧]

عُوجَاً به فاَستنطِقاه فقد ذكّرني ما كنتُ لم أذكُرِ

فغنّيتُه فلم يَطرَبْ، ثم قال: غنّني ويحك غير هَذا، فإن أصبتَ ما في نفسي فلك حُلّتي هذه وقد أشتريتُها آنِفاً بثلثمائة دينار، فغنّيته:

صوت

عَلِقَ القلبَ بعضَ ما قد شجاه من حبيبٍ أمسى هوانا هواهُ

ما ضِرارِي نفسي بِهجرَانِ[4] مَنْ ليـ ـس مُسيئاً ولا بعيداً نَواهُ

وأجتنابي بيتَ الحبيب وما الخُلـ ـدُ بأشهى إليّ من أن أراهُ

فقال: ما عَدَوْتَ ما في نفسي، خُذِ الحلّةَ، فأخذتُها ورجعتُ إلى سكينةَ فقصصتُ عليها القصّةَ، فقالت: وأين الحلّةُ؟ قلتُ: معي، فقالت: وأنت الآن تريد أن تلبسَ حلّة أبن عثمان! لا والله ولا كرامةَ! فقلت: قد أعطانيها، فأي شيءٍ تُريدينَ منّي! فقالت: أنا أشتَريها منكَ، فبعتُها إياها بثلثمائة دينار.

= فلمّا مررنَ على عسجدٍ وأسهَلْن من مُستناخٍ سبيلا

ثم قال: ويروى «عسجر».

(١) المبدا هنا: المبدأ سهلت همزته، أي المبتدأ، الذي كنا نبتدىء منه في الذهاب، ومحوراً أي مرجعاً نرجع إليه.

(٢) في أ، ء، م: «السارية» بالسين المهملة.

(٣) شعيب: تصغير «أشعب» كما يقال في تصغير «أسود» «سويد»، ويسمى هذا «تصغير الترخيم».

(٤) في حـ: «بهجرة من» (انظر الحاشية رقم ٣ ص ١٢٨ ج ١ «أغاني» من هذه الطبعة).

/ الشعر المذكور في هذا الخبر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء للدارمي خفيف ثقيلٍ بالخنصر في مجرى [٣/٣٦٨] الوسْطَى، وذكر عمرو بن بانة أنه للهذليّ، وفيه لابن جامع ثاني / ثقيل بالوسطى. ١٢٦/٣

غاضب رجل جارية كان يهواها فغنت مغنية من شعره فاصطلحا:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه أن رجلاً كانت له جارية يهواها وتهواه فغاضبها يوماً وتمادى ذلك بينهما، واتّفق أنّ مغنيةً دخلت فغنتهما:

ما ضِرَاري نفسي بِهجران مَنْ ليـ ... ـس مُسيئاً ولا بعيداً نواه

فقالت الجاريةُ: لا شيءَ واللّهِ إلا الحمقُ، ثم قامت إلى مولاها فقبّلَتْ رأسَه واصطلحا.

صوت
من المائة المختارة

يا ويحَ نفسي لو أنه أقصَر[1] ... ما كان عيشي كما أرى أكدَرْ

يا من عديري ممن كَلِفتُ به ... يشهد قلبي بأنه يسْحَرْ

يا رُبَّ يومٍ رأيتُني مَرِحاً ... آخذُ في اللهو مُسبِلَ المِئزرْ

بين ندامَى تحُثّ كأسَهمُ ... عليهمُ كفُّ شادنٍ[2] أحوَرْ

الشعر لأبي العتاهية والغناء لفرِيدةَ خفيفُ رملٍ بالبنصر.

إلى هنا انتهى الجزء الثالث من كتاب الأغاني
ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الرابع منه، وأوّله:
ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره سوى ما كان منها مع عتبة

---

(١) أقصر فلان عن الشيء: كف عنه وانتهى.

(٢) الشادن من أولاد الظباء: الذي قد قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه. والأحور: أن يكون البياض في العين محدقاً بالسواد كله، وإنما يكون هذا في البقر والظباء ثم يستعار للناس. (انظر في «اللسان» مادتي شدن وحور).



فهرس موضوعات الجزء الثالث

الموضوع — الصفحة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

(٣٥٦ هـ - ٩٧٦م)

إعداد

مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي

الجزء الرابع

طبعة كاملة وجديدة، مصححة، ملونة

محققة على تسع مخطوطات ومزيدة بفهارس شاملة

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان



/ بسم الله الرحمن الرحيم [١/٤]

ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره

سوى ما كان منها مع عتبة، فإنه أُفرد لكثرة الصنعة في تشبيبه بها، وأنها اتسعت جداً فلم يصلح ذكرها هنا، لئلا تنقطع المائة الصوت المختارة، وهي تذكر في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

اسمه ولقبه وكنيته ونشأته:

أبو العَتَاهِيَة لقبٌ غلَب عليه. واسمه إسماعيل بن القاسم بن سُوَيْد بن كَيْسان، مولى عَنَزة. وكنيتُه أبو إسحاق. وأُمّه أمّ زيد بنت زِيَاد المُحَارِبيّ مولى بني زُهْرةَ؛ وفي ذلك يقول أبو قَابُوس النَّصْرانيّ وقد بلغه أنّ أبا العتاهية فضّل عليه العَتَّابيّ:

قُــــلْ لِلمُكَنَّـــي نفسَـــه ... مُتَخَيِّـــراً بعَتَـــاهِيـــة
والمـــرســـلِ الكَلِـــمَ القبيـ ... ـحَ وعَتْـــه أُذُنٌ واعيـــة
إن كنـــتَ سِـــرًّا ســـؤتَنـــي ... أو كـــان ذاك عَـــلاَنيـــة
فعليـــكَ لعنـــةُ ذي الجـــلا ... لِ وأُمُّ زيـــدٍ زانيـــة

مناحيه الشعرية:

ومنشؤه بالكوفة. وكان في أوّل أمره يتخنّث ويحمل زاملة المخنّثين، ثم كان يبيع الفَخَّار بالكوفة، ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدّم. ويقال: أطبع الناس بَشّار / والسيّد[١] وأبو العتاهية. وما قدَر أحدٌ على جمع شعر هؤلاء [٢/٤] الثلاثة لكثرته. وكان غزيرَ البحر، لطيفَ المعاني، سهلَ الألفاظ، كثيرَ الافتنان، قليلَ التكلف، إلا أنه كثيرُ الساقط المرذول مع ذلك. وأكثرُ شعره في الزهد والأمثال. وكان قوم من أهل عصره ينسُبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث، ويحتجّون بأنّ شعره إنما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النُّشُور والمَعَاد. وله أوزان طريفة[٢] قالها مما لم يتقدّمه الأوائلُ فيها. وكان أبخلَ الناس مع يَساره وكثرة ما جمعه من الأموال.

سبب كنيته:

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال أخبرني محمد بن موسى بن حَمّاد قال:

قال المهديّ يوماً لأبي العتاهية: أنت إنسانٌ مُتحذلِقٌ[٣] مُعَتَّه[٤]. فاستوتْ له من ذلك كنيةٌ غلَبتْ عليه دون

(١) يعني السيد الحميري؛ واسمه إسماعيل بن محمد أبو هاشم، وقد أورد له أبو الفرج ترجمة في (ج ٧ ص ٢٢٩ ـ ٢٧٨ من هذه الطبعة).

(٢) كذا في ء، م. وفي سائر النسخ: «ظريفة» بالظاء المعجمة.

(٣) المتحذلق: المتكيس المتظرف.

(٤) يقال: رجل معته، إذا كان مجنوناً مضطرباً في خلقه. وقد ذكر صاحب «اللسان» (في مادة عته) هذا الخبر فقال: «وأبو العتاهية =

[٣/٤] اسمه وكنيته، وسارت له في الناس. قال: ويقال / للرجل المتحذلق: عَتَاهِيَةٌ، كما يقال للرجل الطويل: شَنَاحِيَةٌ[١]. ويقال: أبو عَتَاهية، بإسقاط الألف واللام.

/ قال محمد بن يحيى وأخبرني محمد بن موسى قال أخبرني ميمون بن هارون عن بعض مشايخه قال: كُنِي بأبي العتاهية أنْ كان[٢] يحبّ الشهرةَ والمُجُونَ والتعتُّه. وبلدُه الكوفةُ وبلد آبائه، وبها مولده ومنشؤه وباديتُه.

يقول ابنه إنها من عنزة:

قال محمد بن سَلّام: وكان محمد بن أبي العتاهية يذكر أن أصلَهم من عَنَزة، وأن جَدّهم كَيْسان كان من أهل عَيْن[٣] التَّمْر، فلما غزاها خالد بن الوليد كان كَيْسان جَدُّهم هذا يتيماً صغيراً يكفُله قَرَابةٌ له من عَنَزة، فسباه خالدٌ مع جماعةِ صبيانٍ من أهلها، فوجّه بهم إلى أبي بكر، فوصلوا إليه وبحَضْرته عَبّادُ بن رِفَاعةَ العَنَزيّ بن أسَد بن رَبيعة بن نِزَار، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يسأل الصبيانَ عن أنسابهم فيُخبره كلُّ واحد بمبلغ معرفته، حتى سأل كَيْسانَ، فذكر له أنه من عَنَزة. فلما سمعه عَبّاد يقول ذلك استوهبه من أبي بكر رضي الله عنه، وقد كان خالصاً له، فوهبه له؛ فأعتقه، فتوَلَّى عَنَزةَ[٤].

استعداؤه مندل بن علي وأخاه علي سبه بأنه نبطي:

أخبرني محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا الحَسَن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثنا أحمد بن الحَجّاج الجَلّانِيّ الكُوفيّ قال حدّثني أبو دُوَيْل مُصْعَب بن دُوَيل الجَلّانِي،

قال: لم أرَ قطُّ مَنْدَلَ بن عليّ العَنَزيّ وأخاه حَيَّانَ بن عليّ غضِبا من شيء قطُّ إلا يوماً واحداً، دخل عليهما أبو العتاهية وهو مُضَمَّخ بالدماء. فقالا له: وَيْحَك! ما بالُك؟ فقال لهما: من أنا؟ فقالا له: أنت أخونا وابنُ عمّنا

[٤/٤] ومولانا. فقال: إنّ فلاناً الجزّار قَتَلني وضربني وزعم أنّي نَبَطِيٌّ[٥]، فإن كنتُ نبطيًّا هرَبت على وجهي / وإلّا فقوما فخُذَا لي بحقّي. فقام معه مَنْدَل بن عليّ وما تعلّق نعلَه[٦] غضباً؛ وقال له: والله لو كان حقُّك على عيسى بن موسى لأخذتُه لك منه؛ ومرّ معه حافياً حتى أخذ له بحقّه.

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن الحسن بن عليّ عن عمر[٧] بن معاوية عن جُبَارة بن المُغَلِّس[٨] الحِمّانيّ قال: أبو العتاهية مولَى عَطَاء بن مِحْجَن العَنَزيّ.

= الشاعر المعروف ذكر أنه كان له ولد يقال له عتاهية، وقيل: لو كان الأمر كذلك لقيل له أبو عتاهية بغير تعريف؛ إنما هو لقب لا كنية، وكنيته أبو إسحاق. ولقب بذلك لأن المهديّ قال له: أراك متخلطاً متعتها. وكان قد تعته بجارية للمهديّ... وقيل: لقب بذلك لأنه كان طويلاً مضطرباً، وقيل: لأنه يرمي بالزندقة».

(١) كذا في نسخة الشنقيطي، وهو الموافق لما «معاجم اللغة». وفي أكثر الأصول: «شناجية» بالجيم المعجمة، وهو تصحيف.

(٢) في أ، حـ، ء: «إذ كان».

(٣) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربيّ الكوفة، غزاها خالد بن الوليد في أيام أبي بكر رضي الله عنه.

(٤) تولى عنزة: اتخذهم أولياء له.

(٥) النبطيّ: منسوب إلى النبط، وهم جيل ينزلون البطائح بين العراقين.

(٦) ما تعلق نعله: ما لبسها.

(٧) في حـ: «عن محمد بن معاوية».

(٨) كذا في «تهذيب التهذيب» و «الخلاصة في أسماء الرجال» و «أنساب السمعاني» و «شرح القاموس» مادة غلس. وفي أ، حـ، ء: «جنادة بن المغلس»، وفي ب، س: «جبادة بن الأفلس» وكلاهما تحريف.

أبي العتاهية وصنعة أهله:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويةَ قال قال أبو عَوْن أحمد بن المُنَجِّم أخبرني خِيَارٌ الكاتب قال:

..ن أبو العتاهية وإبراهيمُ الموصليّ من أهل المَذار[1] جميعاً، وكان أبو العتاهية وأهلُه يعمَلون الجِرَارَ الخُضْر، فقدما إلى بغداد ثم افترقا؛ فنزل إبراهيم الموصليّ بَبَغداد، ونزل أبو العتاهية الحيرةَ. وذُكر عن الرِّياشيّ أنه قال مثلَ ذلك، وأن أبا العتاهية نقله إلى الكوفة.

قال محمد بن موسى: فولاءُ أبي العتاهية من قِبَل أبيه لعَنَزة، ومن قِبَل أُمّه لبني زُهْرة، ثم لمحمد بن هاشم بن عُتْبة بن أبي وَقّاص، وكانت أُمّه مَولاةً لهم، يقال لها أُمّ زيد.

/ أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن مَهْرُويةَ؛ قال قال الخليل بن أسَد: [٤/٥]

كان أبو العتاهية يأتينا فيستأذن ويقول: أبو إسحاق الخَزّاف. وكان أبوه حجّاماً من أهل ورجة[2]؛ ولذلك يقول أبو العتاهية:

ألَا إنّما التّقْوَى هو العزّ والكَرَمْ ... وحُبُّك للدّنيا هو الفقر والعَدَمْ
وليس على عبدٍ تَقِيٍّ نقيصةٌ ... إذا صحّح التّقوى وإن حاك أو حَجَمْ

فاخره رجل من كنانة فقال شعراً:

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا الغَلَابيّ قال حدّثنا محمد بن أبي العتاهية قال:

/ جاذب رجلٌ من كِنانةَ أبا العتاهية في شيء، ففخَر عليه الكِنانيّ واستطال بقوم من أهله؛ فقال أبو العتاهية: [١٢٨/٣]

دَعْنِيَ من ذِكْرِ أبٍ وجَدِّ ... ونَسَبٍ يُعْلِيكَ سُورَ المجدِ
ما الفخرُ إلا في التُّقَى والزُّهدِ ... وطاعةٍ تُعطِي جِنَانَ الخُلْدِ
لا بُدَّ من وِرْدٍ لأهلِ الوِرْدِ ... إمّا إلى ضَحْلٍ[3] وإمّا عِدِّ[4]

آراؤه الدينية:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن أحمد بن حَرْب قال:

كان مذهب أبي العتاهية القولَ بالتوحيد، وأنّ الله خلق جوهرين متضادّين لا من شيء، ثم إنه بَنَى العالَم هذه البِنْية منهما، وأن العالَم حديثُ العين والصّنعة لا مُحدِثَ له إلا اللّهُ. وكان يزعم أنّ الله سيرُدّ كلّ شيء إلى الجوهرين المتضادّين قبل أن تَفْنَى الأعيانُ جميعاً. وكان يذهب إلى أن المعارف واقعةٌ بقَدْر الفكر / والاستدلال [٤/٦]

---

(١) كذا في أ، بالذال المعجمة. والمذار في ميسان بين واسط والبصرة، وهي قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام. وفي سائر النسخ: «المزار» بالزاي المعجمة؛ ولم نعثر عليه في أسماء البلدان.

(٢) كذا في جميع الأصول التي بأيدينا، ولم نعثر عليه في «معاجم البلدان»، والذي في «اللسان» (مادة ودج) و «معجم ما استعجم» (ج ٢ ص ٦٢٢) أن «ودج» اسم موضع.

(٣) الضحل: الماء القليل على الأرض لا عمق له.

(٤) العِدّ: الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع كماء العين.

والبحث طِباعاً. وكان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب، ويتشيّع بمذهب الزّيدية[١] البَتْرِيّة المبتدِعة، لا يتنقَّص أحداً ولا يرى مع ذلك الخروجَ على السّلطان. وكان مُجَبِّراً[٢].

مناظرته لثمامة بن أشرس في العقائد بين يدي المأمون:

قال الصُّوليّ: فحدّثني يَمُوتُ بن المُزَرِّع قال حدّثني الجاحظ قال: قال أبو العتاهية لثُمَامةَ بين يَدي المأمون ـ وكان كثيراً ما يعارضه بقوله في الإجبار ـ: أسألك عن مسألة. فقال له المأمون: عليك بشعرك. فقال: إنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يأذن لي في مسألته ويأمرَه بإجابتي! فقال له: أجِبْه إذا سألك. فقال: أنا أقول: إنّ كلّ ما فعله العباد من خيرٍ وشرّ فهو من الله، وأنت تأبى ذلك، فمن حرّك يدي هذه؟ وجعل أبو العتاهية يحرّكها. فقال له ثُمامة: حرّكها مَنْ أُمّه زانية. فقال: شتمني والله يا أمير المؤمنين. فقال ثمامةُ: ناقض الماصُّ بَظْر أُمه والله يا أمير المؤمنين! فضحِك المأمون وقال له: ألم أقل لك أن تَشْتَغِل بِشعرك وتدعَ ما ليس من عملك! قال ثمامة: فلقيني بعد ذلك فقال لي: يا أبا مَعْن، أمَا أغناك الجواب عن السَّفَه؟! فقلت: إنّ من أتمّ الكلامِ ما قطع الحجة، وعاقبَ على الإساءة، وشَفَى من الغيظ، وانتصَر من الجاهل.

قال محمد بن يحيى وحدّثني عَون بن محمد الكِنْدِيّ قال:

سمعتُ العبّاس بن رُسْتَم يقول: كان أبو العتاهية مُذَبْذَباً في مذهبه: يعتقد شيئاً، فإذا سمع طاعِناً عليه ترك اعتقاده إيّاه وأخذ غيره.

[٤/٧] / اعترض عليه أبو الشمقمق في ملازمة المخنثين فأجابه:

حدّثني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثني ابن أبي الدّنيا قال حدّثني الحُسَين بن عبد ربه قال حدّثني عليُّ بن عُبيدة الرَّيْحانيّ قال حدّثني أبو الشَّمَقْمَق: أنه رأى أبا العتاهية يحمل زاملةَ المُخَنَّثين، فقلت له[٣]: أمِثْلُك يضع نفسه هذا الموضعَ مع سِنّك وشعرك وقدرك؟! فقال له: أُريد أن أتعلّم كِيَادَهم، وأتحفَّظ كلامهم.

حاوره بشر بن المعتمر في صنعة الحجامة:

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال:

ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أنّ بِشْر بن المُعْتَمِر قال يوماً لأبي العتاهية: بلغني أنك لمّا نَسَكْتَ جلستَ تحجُم اليتامى والفقراءَ للسبيل، أكذلك كان؟ قال نعم. قال له: فما أردتَ بذلك؟ قال: أردتُ أن أضع من نفسي حَسَبَما رفعتْني الدّنيا، وأضعَ منها ليَسقُط عنها الكِبْر، وأكتسب بما فعلتُه الثوابَ، وكنت أحجُمُ اليتامى والفقراء خاصّة. فقال له بشر: / دَعْني من تذليلك نفسَك بالحِجامة؛ فإنه ليس بحُجّة لك أن تؤدّبَها وتُصْلِحَها بما لعلّك تُفسد به أمرَ غيرك؛ أُحبّ أن تُخبرَني هل كنتَ تعرف الوقت الذي كان يحتاج فيه من تحجُمه إلى إخراج الدّم؟ قال [١٢٩/٣]

(١) الزيدية: فرقة نسبت إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تقصر الإمامة على أولاد فاطمة ولا تجيز الإمامة في غيرهم. والبترية: طائفة منهم أصحاب كثير النوى الأبتر، توقفوا في أمر عثمان أهو مؤمن أم كافر، وفضلوا علياً على جميع الناس بعد رسول الله ﷺ (انظر الكلام على هذه الفرقة ببيان واف في كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني طبع أوروبا ص ١١٥ ـ ١٢١).

(٢) مجبراً: يقول بالجبر، وهو عند أهل الكلام إسناد إفعال إلى الله سبحانه إيجاداً وتأثيراً. ويقول الجبرية إنه لا قدرة للعبد أصلاً لا مؤثرة ولا كاسبة، فهو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها.

(٣) كذا في جميع الأصول. ولعله: «فقال له».

لا. قال: هل كنت تعرف مقدارَ ما يحتاج كلّ واحد منهم إلى أن يُخرجه على قَدْر طبعه، مما إذا زدتَ فيه أو نقصْت منه ضَرّ المحجومَ؟ قال لا. قال: فما أُراكَ إلا أردتَ أن تتعلّم الحِجامةَ على أقْفاء اليتامى والمساكين!

أراد حمدوية صاحب الزنادقة أخذه فتستر بالحجامة:

أخبرني محمد بن يحيى الصّولِيّ قال حدّثنا أبو ذَكْوان قال حدّثنا العبّاس بن رُسْتَم قال: كان حَمْدُوية صاحبُ الزّنادقة قد أراد أن يأخذ أبا العتاهية، ففزِع من ذلك وقعَد حجّاماً.

/ أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهروية قال قال أبو دِعَامة عليّ بن يزيد: أُخبر [٨/٤] يحيى بن خالد أنّ أبا العتاهية قد نَسَك، وأنه جلس يحجُم النّاس للأجر تَوَاضُعاً بذلك. فقال: ألم يكن يبيع الجِرَار قبل ذلك؟ فقيل له بلى. فقال: أمَا في بَيْع الجِرار من الذُّلّ ما يكفيه ويَسْتَغنى به عن الحجامة!

سئل عن خلق القرآن فأجاب:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني شيخ من مشايخنا قال حدّثني أبو شُعَيب صاحب ابن أبي دُوَاد قال:

قلت لأبي العتاهية: القرآن عندك مخلوقٌ أم غير مخلوق؟ فقال: أسألتني عن الله أم عن غير الله؟ قلتُ: عن غير الله، فأمسك. وأعدتُ عليه فأجابني هذا الجوابَ، حتى فعل ذلك مراراً. فقلت له: ما لك لا تُجيبني؟ قال: قد أجبتُك ولكنك حِمار.

أوصافه وصناعته:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا شيخ من مشايخنا قال حدّثني محمد بن موسى قال:

كان أبو العتاهية قَضِيفاً[١]، أبيضَ اللون، أسودَ الشعر، له وَفْرة[٢] جَعْدة، وهيئة حسنة ولَبَاقة وحَصَافة، وكان له عَبِيد من السُّودان، ولأخيه زيدٍ أيضاً عبيدٌ منهم يعملون الخَزَف في أَتُّون[٣] لهم؛ فإذا اجتمع منه شيء ألقَوْه على أجير لهم يُقال له أبو عباد / اليَزيديّ من أهل طاق[٤] الجرّار بالكوفة، فيبيعه على يديه ويردّ فضلَه إليهم. وقيل: بل [٩/٤] كان يفعل ذلك أخوه زيدٌ لا هو؛ وسُئل عن ذلك فقال: أنا جرّار القوافي، وأخي جَرّار التّجارة.

قال محمد بن موسى: وحدّثني عبدالله بن محمد قال حدّثني عبد الحميد بن سريع مولى بَني عِجْل قال:

أنا رأيتُ أبا العتاهية وهو جرّار يأتيه الأحداثُ والمتأدّبون فيُنشِدُهم أشعارَه، فيأخذون ما تكسّر من الخَزَف فيكتبونها فيها.

كان يشم أبا قابوس ويفضل عليه العتابيّ فهجاه:

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني عَوْن بن محمد الكِنْدِيّ قال حدّثني محمد بن عمرَ الجُرْجَانِيّ قال:

---

(١) كذا في ء، أ، م، والقضيف: الدقيق العظم القليل اللحم. وفي ب، س: «نظيفاً». وفي حـ: «قصيفاً» بالصاد المهملة. والظاهر أنها مصحفة عن «قضيفاً».

(٢) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس أو ما سال على الأذنين أو ما جاوز شحمة الأذن. والجعدة: التي فيها التواء وتقبض.

(٣) الأتون (بتشديد التاء): الموقد، والعامة تخففه.

(٤) في ب، س: «طارق الجرار» وهو تحريف.

لمّا هَاجَى أبو قَابُوس النَّصْرانيّ كُلْثُومَ بن عمرو العَتّابيّ، جعل أبو العتاهية يشتُم أبا قابوس ويضَع منه؛ ويُفَضِّل العَتّابيّ عليه؛ فبلغه ذلك فقال فيه:

قُـــلْ للمُكَنَّـــي نفسَـــه ... مُتخيِّـــراً بعتـــاهيـــةْ

والمـــرسِـــلِ الكَلِـــمَ القبيـ ... ـــحَ وعَتْـــه أُذُنٌ واعيـــةْ

إن كنـــتَ ســـرًا ســـؤتَنـــي ... أو كـــان ذاك عَـــلانيـــةْ

فعليـــك لعنـــةُ ذي الجـــلاَ ... ل وأُمِّ زيـــدٍ زانيـــةْ

ـ يعني أمَّ أبي العتاهية، وهي أمّ زيد بنت زياد ـ فقيل له: أتشتُم مسلماً؟ فقال: لم أشْتُمه، وإنّما قلتُ:

فعليـــك لعنـــةُ ذي الجـــلا ... ل ومَـــنْ عَنَيْنـــا زانيـــةْ

[١٠/٤] / هجاه والبة بن الحباب:

١٣٠/٣ قال: وفيه يقول وَالِبَةُ بن الحُبَاب وكان / يُهاجيه:

كـــان فينـــا يُكْنَـــى أبـــا إسحـــاقِ ... وبهـــا الـــرّكْـــبُ ســـارَ فـــي الآفـــاقِ

فتكنَّـــى مَعْتُـــوهُنَـــا[١] بعَتَـــاهٍ ... يـــا لهـــا كُنيـــةً أتـــت بـــاتّفـــاقِ

خلـــقَ الله لِحْيـــةً لـــك لا تنـ ... ـفكّ معقـــودةً بـــداء الحُـــلاَقِ[٢]

حصته مع النوشجاني:

أخبرنا محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنا النُّوشَجَانِيّ قال: أتاني البَوّاب يوماً فقال لي: أبو إسحاق الخزّاف بالباب؛ فقلت: ائْذَن له، فإذا أبو العتاهية قد دخل. فوضعت بين يديه قِنْوَ مَوْزٍ[٣]؛ فقال: قد صِرْتَ تقتل العلماءَ بالموز، قتلتَ أبا عُبَيدة بالموز، وتريد أن تقتلني به! لا والله لا أذوقه. قال: فحدّثني عُرْوة بن يوسف الثَّقفيّ قال: رأيت أبا عبيدة قد خرج من دار النُّوشَجَانيّ في شِقّ مَحْمِلٍ مُسَجًّى، إلاّ أنه حيّ، وعند رأسه قِنْوُ موز وعند رجليه قِنْوُ موز آخر، يُذْهَب به إلى أهله. فقال النُّوشَجَانيّ وغيرُه: لمّا دخلنا عليه نعوده قلنا: ما سبب عِلّتك؟ قال: هذا النُّوشَجَانيّ جاءني بمَوز كأنه أُيُور المساكين، فأكثرتُ منه، فكان سببَ عِلّتي. قال: ومات في تلك العِلّة.

رأي مصعب بن عبدالله في شعره:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال:

سمعتُ مُصْعَب بن عبدالله يقول: أبو العتاهية أشعرُ الناس. فقلت له: بأيّ شيء استحقّ ذلك عندك؟ فقال: بقوله:

تَعَلّقـــتُ بـــآمـــالِ ... طِـــوالٍ أيّ آمـــالِ

---

(١) كذا في أكثر النسخ و «ديوانه» طبع بيروت. وفي ب، س: «معتوتها».

(٢) الحلاق: صفة سوء. وقد ورد هذا البيت في هامش «ديوانه» (ص ٣٤٣) هكذا:

خلـــق الله لحيـــة لـــك لا تنـ ... ـفـــك معقـــودة لـــدى الحـــلاّق

(٣) القنو: الكباسة، وهي كالعنقود من العنب.

وأقبلــتُ علــى الــدّنيــا مُلحًّــا أيَّ إقبــالِ

/ أيــا هــذا تَجَهَّــزْ لـ ـفــراق الأهــل والمــال [١١/٤]

فــلا بــدَّ مــن المــوت علــى حــالٍ مــن الحــالِ

ثم قال مُصعب: هذا كلامٌ سهلٌ حقٌّ لا حشوَ فيه ولا نُقصان، يعرِفه العاقل ويُقِرّ به الجاهل.

استحسن الأصمعيّ بعض شعره:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال: سمعتُ الأصمعيّ يستحسن قولَ أبي العتاهية:

أنــتَ مــا استغنيــتَ عــن صــا حبــك الــدهــرَ أخــوه

فــإذا احتجــتَ إليــه ســاعــةً مجّــك فُــوه

أنشد سلم الخاسر من شعره وقال: هو أشعر الجنّ والإنس:

حدّثنا محمد بن العبّاس اليَزيدي إملاءً قال حدّثني عمّي الفَضْل بن محمد قال حدّثني موسى بن صالح الشَّهْرَزُورِيّ[1] قال:

أتيتُ سَلْماً الخَاسِرَ فقلت له: أنْشِدْني لنفسك. قال: لا، ولكن أُنشدك لأشعر الجنّ والإنس، لأبي العتاهية، ثم أنشدني قولَه:

صوت

سَكَــنٌ يبقَــى لــه سَكَــنُ مــا بهــذا يُــؤذِن الــزَّمــنُ

نحــن فــي دارٍ يُخَبِّــرنــا بِبِلاَهــا نــاطــقٌ لَسِــنُ

دار سَــوء لــم يَــدُمْ فَــرَحٌ لامــرىءٍ فيهــا ولا حَــزَنُ

فــي سبيــل الله أنفسُنــا كلُّنــا بــالمــوت مُــرتَهَــنُ

كــلُّ نفــسٍ عنــد مِيتَتِهــا حظُّهــا مــن مــالهــا الكَفَــنُ

إنّ مــالَ المــرء ليــس لــه منــه إلاّ ذكــرهُ الحســن

/ فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني رجل من أهل / البَصْرة أُنسِيتُ اسمَه، قال حدّثني حَمْدون بن زيد قال حدّثني رجاء[2] بن مَسْلَمة قال: [١٢/٤] ١٣١/٣

قلتُ لسَلْم الخاسر: من أشعرُ الناس؟ فقال: إن شئتَ أخبرتُك بأشعر الجنّ والإنس. فقلتُ: إنما أسألك عن

(١) الشهرزوريّ: نسبة إلى شهرزور، وهي كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان.

(٢) في حـ: «رجاء بن سلمة».

الإنس، فإن زدتَني الجنَّ فقد أحسنتَ. فقال: أشعرُهم الذي يقول:

سَكَنٌ يبقَى لـه سَكَنُ ... ما بهذا يُؤذِن الزَّمَنُ

قال: والشعر لأبي العتاهية.

مدح جعفر بن يحيى شعره بحضرة الفرّاء فوافقه:

حدّثني اليَزيديّ قال حدّثني عمّي الفَضْل قال حدّثنا عبدالله بن محمد قال حدّثنا يحيى بن زِيَاد الفَرّاء قال:

دخلتُ على جعفرِ بن يحيى فقال لي: يا أبا زكريّا، ما تقول فيما أقول؟ فقلت: وما تقول أصْلَحك الله؟ قال: أزعُم أنّ أبا العتاهية أشعرُ أهل هذا العصر. فقلت: هو والله أشعرُهم عندي.

مدح داود بن زيد وعبدالله بن عبد العزيز شعره:

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني جعفرُ بن النَّضْر الوَاسِطيّ الضَّرير قال حدّثني محمد بن شِيرَوَيْه[1] الأنماطيّ قال:

قلت لداود بن زيد بن رَزِين الشاعر: مَنْ أشعرُ أهل زمانه؟ قال: أبو نُوَاس. قلت: فما تقول في أبي العتاهية؟ فقال: أبو العتاهية أشعرُ الإنس والجنّ.

[١٣/٤] / أخبرني الصوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال قال الزُّبير بن بكّار: أخبرني إبراهيم بن المُنْذِر عن الضحّاك، قال:

قال عبدالله بن عبد العزيز العُمَريّ: أشعرُ الناس أبو العتاهية حيث يقول:

ما ضَرّ مَنْ جَعل التُّرابَ مِهادَه ... ألّا ينامَ على الحرير إذا قَنِعْ

صَدَق والله وأحسن.

مهارته في الشعر وحديثه عن نفسه في ذلك:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني أحمد بن حَرْب قال حدّثني المعلّى بن عثمان قال:

قيل لأبي العتاهية: كيف تقول الشعر؟ قال: ما أردتُه قطّ إلا مَثَل لي، فأقول ما أريد وأترُك ما لا أُريد.

أخبرني ابن عَمّار قال حدّثني ابن مَهْرُويَهْ قال حدّثني رَوْح بن الفرج الحِرْمَازيّ قال:

جلستُ إلى أبي العتاهية فسمعتُه يقول: لو شئتُ أن أجعل كلامي كلَّه شِعراً لفعلتُ.

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثنا أبو عِكْرِمة قال:

قال محمد بن أبي العتاهية: سُئل أبي: هل تَعْرِف العَرُوض؟ فقال: أنا أكبر من العروض. وله أَوْزانٌ لا تَدخُل في العَروض.

نظم شعراً للرشيد وهو مريض فأبلغه الفضل وقرّ به الرشيد:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا العَنَزيّ. قال حدّثناأبو عِكرمة قال:

(١) في أ،ء: «خروية» بالخاء المعجمة. وفي ب، حـ، س: «سرويه». ولعل الجميع محرف عما أثبتناه.

حُمّ الرّشيدُ، فصار أبو العتاهية إلى الفضل بن الرّبيع برُقعة فيها:

لـو عَلِـم النّـاسُ كيـف أنـت لهـم ... مـاتـوا إذا مـا ألِمْـتَ أجْمَعُهـمْ

/ خليفـةَ الله أنـت تـرجَـح بـالـنّـاس إذا مـا وُزِنـتَ أنـت وهُـمْ [١٤/٤]

قـد عَلِـم النّـاسُ أنّ وجهَـك يَسـ ... ـتَغْنِـي[1] إذا مـا رآه مُعـدِمُهـمْ

فأنشدها الفضلُ بن الربيع الرشيدَ؛ فأمر بإحضار أبي العتاهية، فما زال يُسامِره ويُحَدّثه إلى أن بَرِئ[2]، ووَصل إليه بذلك السببِ مالٌ جَليلٌ.

إعجاب ابن الأعرابيّ به وإفحامه من تنقص شعره:

قال: وحُدّثتُ أنّ ابن الأعرابيّ حَدّث بهذا الحديث؛ فقال له رجل بالمجلس: ما هذا الشعر بمُستحق لِما قلتَ. قال: ولِمَ؟ قال: لأنه شعر ضعيف. فقال ابن الأعرابيّ ـ وكان أحَدَّ الناس ـ: الضعيفُ والله عقلُك لا شعرُ أبي العتاهية، ألِأبي العتاهية تقول: إنّه ضعيفُ الشعر! فوالله ما رأيتُ شاعراً قطّ أطبعَ ولا أقدرَ / على بيت منه، وما أحسبُ مذهبَه إلا ضَرْباً من السحر، ثم أنشد له: ١٣٢/٣

قطّعـتُ منـك حَبـائـلَ الآمـال ... وحَطَطـتُ عـن ظَهْـر المَطِـيّ رِحـالـي

ووجـدتُ بَـرْد اليـأس بيـن جَـوانحـي ... فـأرَحْـتُ مـن حَـلٍّ ومـن تَـرْحـال

يـا أيهـا البَطِـرُ الـذي هـو مـن غـدٍ ... فـي قبـره متمـزّقُ الأوصـال

حـذَف المُنَى عنه[3] المُشَمِّرُ في الهُدى ... وأرى مُنـاك طَـويلـةَ الأذيـال

حِيَـلُ ابـن آدم فـي الأمـور كثيـرةٌ ... والمـوتُ يَقْطَـعُ حيلـةَ المُحتـال

قِسْـتُ السـؤالَ فكـان أعظـمَ قيمـةً ... مـن كـلّ عـارفـةٍ جـرَتْ بسـؤال

فـإذا ابتُلِيـتَ ببَـذْلِ وجهـك سـائـلاً ... فـابـذُلْـه للمُتكَـرّم المِفضـال

/ وإذا خَشِيـتَ تَعَـذُراً فـي بلـدةٍ ... فـاشـدُدْ يَـديْـك بعـاجـل التّـرحـال [١٥/٤]

واصْبِـرْ علـى غِيَـرِ الـزّمـان فـإنّمـا ... فَـرَجُ الشّـدائـد مثـلُ حَـلّ عِقـال

ثم قال للرجل: هل تعرف أحداً يُحسِنُ أنْ يقول مثلَ هذا الشّعر؟ فقال له الرجل: يا أبا عبدالله، جعلني الله فداءَك! إني لم أرْدُدْ عليك ما قلتَ، ولكنّ الزهدَ مذهبُ أبي العتاهية، وشعرُه في المديح ليس كشعره في الزُّهد. فقال: أفلَيْس الذي يقول في المديح:

---

(١) كذا في جميع النسخ و «الديوان»، وهي رواية جيدة وفيها المطابقة بين العدم والغنى. ومع هذا فمن المحتمل أن يكون «يستسقي»؛ قال أبو طالب:

وأبيـض يستسقـي الغمـام بـوجهـه ... ثمـال اليتـامـى عصمـة لـلأرامـل

(٢) أهل العالية يقولون: برأت من المرض أبرأ برءاً وبروءاً. وأهل الحجاز يقولون: برأت من المرض برءاً بالفتح. وسائر العرب يقولون: برئت من المرض. وبرؤ برءاً من باب قرب لغة. (انظر «اللسان» مادة برأ و «المصباح المنير»).

(٣) في ب، س، حـ: «عنده» وهو تحريف.

وهارونُ ماءُ المُزْن يُشْفَى به الصَّدَى[١] إذا ما الصَّدِي بالرِّيق غَصَّتْ حَنَاجِرُهْ
وأوْسَطُ بيتٍ في قريش لبيْتُه وأوّلُ عِزٍّ في قريش وآخرُه
وزَحْفٍ له تَحكي البروقَ سيوفُه وتَحكي الرعودَ القاصفاتِ حوافرُه
إذا حَمِيتْ شمسُ النَّهار تضاحكتْ إلى الشَّمس فيه بَيْضُه[٢] ومَغَافره
إذا نُكِبَ الإسلامُ يوماً بِنَكْبةٍ فهارونُ من بين البَرِيّة ثائرُه
ومَنْ ذا يفوت الموتَ والموتُ مُدركٌ كذا لم يَفُتْ هارونَ ضِدٌّ يُنافرهْ

قال: فتخلّص الرجل من شرّ ابن الأعرابيّ بأن قال له: القولُ كما قلتَ، وما كنتُ سمِعتُ له مثلَ هذين الشعرين، وكتبهما عنه.

قال أبو نواس لست أشعر الناس وهو حي:

حدّثني محمد قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني ابن الأعرابيّ المُنَجِّم قال حدّثني هارون بن سَعْدان بن الحارث مولى عُبّاد قال:

حضرتُ أبا نُوَاس في مجلس وأنشد شعرا. فقال له مَنْ حضَر في المجلس: أنت أشعرُ الناس. قال: أمّا والشيخُ حيّ فلا. (يعني أبا العتاهية).

أنشد لثمامة شعره في ذم البخاري فاعترض على بخاري فأجابه:

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني عليّ بن مَهْديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السَّريّ قال:

[١٦/٤] / قال ثُمامة بن أَشْرَس أنشدني أبو العتاهية:

إذا المرءُ لم يُعْتِقْ من المال نفسَه تَملّكه المالُ الذي هو مالِكُه
ألاَ إنّما مالي الذي أنا مُنفِقٌ وليس لِيَ المالُ الذي أنا تارِكُه
إذا كنتَ ذا مالٍ فبادِرْ به الذي يَحِقّ وإلاّ استهلكَتْه مَهَالِكُهْ

فقلت له: من أين قضيتَ بهذا؟ فقال: من قول رسول الله ﷺ: «إنما لك من مالك ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبِستَ فأبليْتَ، أو تصدّقت فأمضَيْتَ». فقلت له: أتؤمن بأنّ هذا قولُ رسولِ الله ﷺ وأنه الحقّ؟ قال نعم. قلت: فلِم تحبِس عندك سبعاً / وعشرين بدْرَةً[٣] في دارك، ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تُزكّي ولا تُقدّمها ذُخراً ليوم فقرك وفاقتك؟ فقال: يا أبا مَعن، والله إنّ ما قلتَ لهو الحقّ، ولكنّي أخاف الفقرَ والحاجةَ إلى الناس. فقلت: وبِمَ تَزِيد حالُ مَنِ افتقر على حالِك وأنت دائمُ الحِرْص دائمُ الجَمْع شحيحٌ على نفسك لا تشتري اللحمَ إلا من عِيد إلى عيد؟! فترك جوابَ كلامي كلّه، ثم قال لي: والله لقد اشتريتُ في يوم عاشوراء لحماً وتوابِلَه وما يتبَعه بخمسة دراهم. فلما

[١٣٣/٣]

---

(١) الصدى: العطش.
(٢) البيض (بفتح الباء): جمع بيضة وهي الخوذة تصنع من الحديد ليتقي بها في الحرب. والمغافر: جمع مغفر، وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة، وقيل فيه غير ذلك.
(٣) البدرة: عشرة آلاف درهم.

قال لي هذا القولَ أضحكني حتى أذهلني عن جوابه ومُعاتبته، فأمسكتُ عنه وعلمت أنه ليس ممن شرَح الله صدرَه للإسلام.

بخله، ونوادر مختلفة في ذلك:

أخبرني يحيى بن عليٍّ إجازةً قال حدّثني عليّ بن المهديّ قال قال الجاحظ: حدّثني ثُمامة قال:

دخلتُ يوماً إلى أبي العتاهية فإذا هو يأكل خُبزاً بلا شيء. فقلتُ: كأنك رأيتَه يأكل خُبزاً وحده؛ قال: لا! ولكنّي رأيتُه يتأدّم بلا شيء. فقلت: وكيف ذلك؟ فقال: رأيت قُدّامه خبزاً يابساً من رِقَاقِ فَطيرٍ وقَدَحاً فيه لبنٌ حليبٌ، فكان يأخُذ / القطعة من الخبز فيغمِسها من اللبن ويُخرجها ولم تَتعلّق منه بقليل ولا كثير؛ فقلت له: كأنك اشتهيتَ أن تتأدّم بلا شيء، وما رأيتُ أحداً قبلك تأدّم بلا شيء. [١٧/٤]

قال الجاحظ: وزعم لي بعضُ أصحابنا قال: دخلتُ على أبي العتاهية في بعض المتنزّهات، وقد دعا عَيّاشاً صاحبَ الجِسْر وتهيّأ له بطعام، وقال لغلامه: إذا وضعتَ قُدّامهم الغَدَاء فقَدِّمْ إليّ ثَريدةً[١] بخلّ وزَيْت. فدخلت عليه، وإذا هو يأكل منها أَكْلَ مُتكمّش[٢] غيرَ مُنكر لشيء. فدعاني فمددت يدي معه، فإذا بثريدة بخلٍّ وبِزْرٍ بَدلاً من الزَّيت. فقلت له: أتدري ما تأكل؟ قال: نعم ثريدةً بخلٍّ وبِزْر. فقلت: وما دعاك إلى هذا؟ قال: غَلِط الغلام بين دَبّة[٣] الزيت ودَبّة البِزْر؛ فلمّا جاءني كَرِهت التجبُّر وقلت: دُهْنٌ كدهن، فأكلتُ وما أنكرتُ شيئاً.

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عبدالله بن عَطِيّة الكوفيّ قال حدّثنا محمد بن عيسى الخُزَيْميّ، وكان جارَ أبي العتاهية، قال:

كان لأبي العتاهية جَارٌ يلتقِط النَّوَى ضعيفٌ سيّءُ الحال مُتجمِّلٌ[٤] عليه ثياب فكان يمرّ بأبي العتاهية طَرَفَيِ النهار؛ فيقول أبو العتاهية: اللهم أَغْنِه عمّا هو بسبيله، شيخٌ ضعيف سيّءُ الحال عليه ثيابٌ مُتجمّل، اللهم أَعِنْه، اصنَعْ له، بارِكْ فيه. فبَقِي على هذا إلى أن مات الشيخ نَحْواً من عشرين سنة. ووالله[٥] إنْ تصدّق عليه بدرهم ولا دانِق قطّ، وما زاد على الدعاء شيئاً. فقلتُ له يوماً: يا أبا إسحاق إني أراك تُكثِر الدعاءَ لهذا الشيخ وتزعُم أنه فقير مُقِلّ، فلِمَ لا تتصدّق عليه بشيء؟ فقال: أخشى أن يعتاد الصَّدَقَةَ، والصدقةُ أخِرُ[٦] كَسْب العبد، وإنّ في الدعاء لخيراً كثيراً.

/ قال محمد بن عيسى الخُزَيْميّ هذا: وكان لأبي العتاهية خادمٌ أسودُ طويلٌ كأنه مِحْراك أَتُّون، وكان يُجْرِي عليه في كل يوم رغيفين. فجاءني الخادم يوماً فقال لي: والله ما أشبَع. فقلت: وكيف ذاك؟ قال: لأنّي ما أَفْتُر من الكَدّ وهو يُجري عليّ رغيفين بغير إدَام. فإن رأيتَ أن تكلّمه حتى يزيدَني رغيفاً فتُؤجَر! فوعدتُه بذلك. فلمّا جلستُ معه مَرّ بنا الخادم فكَرِهتُ إعلامَه أنّه شكا إليّ ذلك، فقلت له: يا أبا إسحاق، كم تُجْري على هذا الخادم في كلّ [١٨/٤]

(١) في ب، س: «ثردة» والثردة (بالضم): الاسم من ثرد الخبز أي فته ثم بلّه بمرق.
(٢) تكمش الرجل: أسرع.
(٣) الدبة: الوعاء للبزر والزيت.
(٤) المتجمل: الفقير الذي لم يظهر على نفسه المسكنة والذل.
(٥) في أ، حـ، ء: «لا والله».
(٦) أي أرذله وأدنؤه. ويجوز مد الألف.

[١٣٤/٣] يوم؟ قال / رغيفين. فقلت له: لا يكْفِيانه. قال: من لم يكْفِه القليلُ لم يكفه الكثير، وكلُّ من أعطى نفسَه شهوتَها هلَك، وهذا خادمٌ يدخُل إلى حُرَمي وبناتي، فإن لم أعَوِّده القناعةَ والاقتصاد أهلكني وأهلكَ عِيالي ومالي. فمات الخادم بعد ذلك فكفَّنه في إزارٍ وفِراشٍ له خَلَقٍ. فقلت له: سبحان الله! خادمٌ قديمُ الحُرمة طويلُ الخِدمة واجبُ الحق، تُكفِّنه في خَلَق، وإنما يكفيك له كفنٌ بدينارٍ! فقال: إنه يصير إلى البِلَى، والحيُّ أولى بالجديد من الميّت. فقلت له: يرحمك الله أبا إسحاق! فلقد عوّدتَه الاقتصادَ حياً وميّتاً.

قال محمد بن عيسى هذا: وقَف عليه ذاتَ يوم سائلٌ من العَيَّارِينَ[١] الظُّرَفاء وجماعةٌ من جيرانه حولَه، فسأله مِنْ بين الجيران؛ فقال: صنَع الله لك! فأعاد السّؤال فأعاد عليه ثانيةً، فأعاد عليه ثالثةً فردّ عليه مثلَ ذلك، فغضِب وقال له: ألستَ القائل:

كــــلُّ حَــــيٍّ عنـــد ميتتـــه ... حظُّـــه مِـــن مـــالـــه الكفـــنُ

ثم قال: فبالله عليك أتريدُ أن تُعِدَّ مالَك كلَّه لثَمن كفنك؟ قال لا. قال: فبالله كم قَدّرت لكفنك؟ قال: خمسة [١٩/٤] دنانير. قال: فهي إذاً حظُّك من مالك / كلِّه. قال نعم. قال: فتصدّق عليّ من غير حظّك بدِرْهم واحد. قال: لو تصدّقت عليك لكان حظّي. قال: فاعمَلْ على أنّ ديناراً من الخمسة الدنانير وَضِيعةٌ[٢] قيراط، وادفَعْ إليّ قيراطاً واحداً، وإلا فواحدة أخرى[٣]. قال: وما هي؟ قال: القبور تحفر بثلاثة دراهم، فأعطني درهماً وأُقيم لك كفيلاً بأنّي أحفِر لك قبرك به متى مِتّ، وتربَح درهمين لم يكونا في حُسْبانك، فإن لم أحتفر رددتُه على وَرَثَتك أو ردّه كفيلي عليهم. فخجِل أبو العتاهية وقال: اعزُبْ لعنك الله وغضِب عليك! فضحِك جميع مَنْ حضر. ومرّ السائلُ يضحك؛ فالتفت إلينا أبو العتاهية فقال: من أجل هذا وأمثاله حُرّمت الصدقةُ. فقلنا له: ومَنْ حرّمها ومتى حُرّمت! فما رأينا أحداً ادّعى أنّ الصدقة حُرّمت قبله ولا بعده.

قال محمد بن عيسى هذا: وقلت لأبي العتاهية: أتُزَكّي مالَك؟ فقال: والله ما أُنفق على عيالي إلاّ من زكاة مالي. فقلت: سبحانَ الله! إنما ينبغي أن تُخرج زكاةَ مالك إلى الفقراء والمساكين. فقال: لو انقطعتْ عن عيالي زكاةُ مالي لم يكن في الأرض أفقرُ منهم.

سئل عن أحكم شعره فأجاب:

أخبرني عيسى بن الحُسين الورّاق قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال:

قال سليمان بن أبي شَيْخ قال إبراهيم بن أبي شَيْخ قلت لأبي العتاهية: أيُّ شعرٍ قلتَه أحْكم؟ قال قَوْلي:

عَلِمْـــتَ يـــا مُجـــاشِـــعُ بـــنَ مَسْعَـــدَهْ ... أنّ الشّبـــاب والفَـــراغَ والجِـــدَهْ

* مَفْسَـــــــدةٌ للمـــــــرء أيُّ مَفْسَـــــــدهْ *

[٢٠/٤] / عاتب عمرو بن مسعدة على عدم قضاء حاجته بعد موت أخيه:

أخبرني عيسى قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنا أبو غَزِيّة قال:

---

(١) العيار: الكثير الطواف والذي يتردّد بلا عمل.

(٢) الوضيعة: الحطيطة.

(٣) في ب، س: «فواحداً آخر قال وما ذلك».

كان مُجاشع بن مَسْعَدة أخو عمرو بن مَسْعَدة صَديقاً لأبي العتاهية، فكان يقوم بحوائجه كلِّها ويُخلص مودّتَه، فمات، وعرَضتْ لأبي العتاهية حاجةٌ إلى أخيه عمرو بن مسعدة فتباطأ فيها؛ فكتب إليه أبو العتاهية:

غَنِيتَ عن العهد القديم غَنِيتَا ... وضَيَّعتَ وُدًّا بيننا ونَسِيتَا

ومِن عَجَب الأيّام أن مات مَألَفي ... ومَن كُنتَ تَغْشاني به وبَقِيتَا

/ فقال عمرو: استطال أبو إسحاق أعمارَنا وتوعّدنا، ما بعد هذا خيرٌ، ثم قَضَى حاجتَه. ١٣٥/٣

فارق أبا غزية في المدينة وأنشده شعراً:

أخبرني الحَرَمي بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا أبو غَزِيّة قال:

كان أبو العتاهية إذا قدِم من[1] المدينة يجلس إليّ؛ فأراد مرّة الخروجَ من المدينة فودّعني ثم قال:

إنْ نَعِشْ نجتمعْ وإلاّ فما أشْـ ... ـغلَ مَنْ مات عن جميع الأنام

طالبه غلام من التجار بمال فقال فيه شعراً أخجله:

أخبرني أحمد بن العَبّاس العَسْكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزِيّ قال حدّثني عبد الرحمن بن إسحاق العُذْرِيّ قال:

كان لبعض التُّجّار من أهل باب الطّاق[2] على أبي العتاهية ثمنُ ثيابٍ أخذها منه. فمرّ به يوماً، فقال صاحبُ الدُّكّان لغلام ممن يخدُمه حسنِ الوجه: أَدرِك أبا العتاهية فلا تُفارِقه حتى تأخذَ منه مالنا[3] عنده؛ فأدركه على رأس الجِسْر، / فأخذ بعنان حماره ووَقَفه[4]. فقال له: ما حاجتُك يا غلام؟ قال: أنا رسول فلان، بعثني إليك لآخذَ مالَه عليك. فأمسك عنه أبو العتاهية؛ وكان كلُّ مَن مَرّ فرأى الغلامَ مُتعلّقاً به وقف ينظُر، حتى رضِي أبو العتاهية جَمْعَ الناس وحَفْلَهم، ثم أنشأ يقول: [٢١/٤]

واللّهِ ربِّك إنّني ... لأُجِلُّ وجهَك عن فِعالِكْ

لو كان فِعلُك مثلَ وجـ ... ـهِك كنتُ مُكْتفِياً بذلِكْ

فخجِل الغلام وأَرسل عِنانَ الحمار، ورجَع إلى صاحبه، وقال: بَعثتني إلى شيطان جَمع عليَّ الناس وقال فيَّ الشعرَ حتى أخجلني فهرَبتُ منه.

حجبه حاجب عمرو بن مسعدة فقال فيه شعراً:

أخبرني أحمد بن العبّاس قال حدّثنا العَنَزِيّ قال قال إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم التَّيْميّ: حدّثني إبراهيم بن حَكِيم قال:

---

(١) كذا في جميع النسخ. والسياق يقتضي حذف «من» كما هو ظاهر.

(٢) باب الطاق: محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقيّ تعرف بطاق أسماء.

(٣) في س، ب: «ما كان عنده».

(٤) حكى عن بعضهم أنه قال: ما يمسك باليد يقال فيه: أوقفت (بالألف)، وما لا يمسك باليد يقال فيه: وقفت (بغير ألف). والفصيح وقفت بغير ألف في جميع الباب إلا في قولك: ما أوقفك هاهنا؟ وأنت تريد: أيّ شأن حملك على الوقوف. (انظر «المصباح المنير» مادة وقف).

كان أبو العتاهية يختلِف إلى عمرو بن مَسعدة لود كان بينه وبين أخيه مُجاشع. فاستأذن عليه يوماً فحُجب عنه، فلَزِم منزلَه. فاستبطأه عمرو؛ فكتب إليه: إنّ الكسل يمنعني من لقائك؛ وكتب في أسفل رقعته:

كَسَّلني اليأسُ منك عنك فما ... أرفَع طَرْفِي إليك من كَسَلِ

إنّي إذا لم يكن أخي ثِقة ... قطَّعتُ منه حبائلَ الأملِ

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد النَّحْويّ قال:

استأذن أبو العتاهية على عمرو بن مَسْعدة فحُجب عنه؛ فكتب إليه:

[٢٢/٤] / مالك قد حُلْتَ عن إخائك واسـ ... ـتبدلت يا عمرُو شِيمةً كَدِرهْ

إنّي إذا البابُ تاه حاجبُه ... لم يَكُ عندي في هَجْره نَظِرَهْ

لَسْتُمْ تُرَجُّونَ للحساب ولا ... يومَ تكونُ السماءُ مُنفطِرهْ

لكنْ لدنيا كالظلّ بهجتُها ... سريعةُ الانقضاءِ مُنْشمِرَهْ

قد كان وجهي لديك معرفةً ... فاليومَ أضحى حَرْفاً من النَّكِرهْ

قصيدته في هجو عبدالله بن معن وما كان بينهما:

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثنا أبو عِكْرِمة قال:

كان الرَّشيد إذا رأى عبدَالله بن مَعْن بن زَائدة تمثّل قولَ أبي العتاهية:

أختُ بني شَيْبان مرّتْ بنا ... ممشوطةً كُوراً[1] على بَغْلِ

١٣٦/٣ / وأوّل هذه الأبيات:

يا صاحِبَيْ رَحْلِيَ لا تُكْثِرا ... فِي شَتْم عبدالله من عَذْلِ

سبحانَ من خَصَّ ابنَ معنٍ بما ... أرى به من قِلَّة العَقْلِ

قال ابنُ مَعْنٍ وجَلا نفسَه ... على مَنِ الجَلْوةُ يا أهْلِي

أنا فتاةُ الحيّ من وَائلٍ ... في الشَّرَف الشّامخ والنُّبْلِ

ما في بَني شَيْبانَ أهلِ الحِجَا ... جاريةٌ واحدةٌ مثلي

وَيْلِي ويا لَهْفِي على أمْرَدٍ ... يُلْصِق منّي القُرْط بالحِجْل[2]

صافحتُه يوماً على خَلْوةٍ ... فقال دَعْ كفي وخُذْ رِجْلي

أختُ بني شيبانَ مرَّتْ بنا ... ممشوطةً كُوراً على بَغْلِ

تُكْنَى أبا الفضل ويَا مَن رأى ... جاريةً تُكْنَى أبا الفضلِ

[٢٣/٤] / قد نَقَّطتْ في وجهها نُقطةً ... مَخافةَ العين من الكُحْلِ

---

(١) الكور: الرحل.

(٢) الحجل (بفتح الحاء وكسرها): الخلخال.

إن زُرتموها قال حُجّابُها نحن عن الزُّوّار في شُغْلِ
مولاتُنا مشغولةٌ عندها بَعْلٌ ولا إذنَ على البَعْلِ
يا بنتَ مَعْنِ الخيرِ لا تجهَلي وأين إقصارٌ عنِ الجهلِ
أتَجلِدُ الناسَ وأنت امرؤٌ تُجلَد في الدُّبْرِ وفي القُبْلِ
ما ينبغي للنّاس أن يَنسُبُوا مَنْ كان ذا جُودٍ إلى البُخلِ
يَبْذُلُ ما يمنع أهلُ الندى هذا لعَمْري مُنتهى البَذْلِ
ما قلتُ هذا فيك إلاّ وقد جَفّتْ به الأقلامُ من قَبْلي

قال: فبعث إليه عبدالله بن مَعْن، فأتِي به؛ فدعا بغِلْمان له ثم أمرَهم أن يَرتكبوا منه الفاحشةَ، ففعلوا ذلك، ثم أجلسه وقال له: قد جزيتُك على قولك فيّ، فهل لك في الصُّلح ومعه مَرْكبٌ وعشرة آلاف درهم أو تُقيم على الحرب؟ قال: بل الصلح. قال: فأسمِعْني ما تقوله في الصلح؛ فقال:

ما لعُذّالي ومالي أمروني بالضّلال
عذَلوني في اغْتِفاري لابن مَعْنٍ واحتمالي
إن يكن ما كان منه فبِجُرمي وفِعالي
أنا منه كنتُ أسوا عِشْرةً في كلّ حال
قل لِمن يَعْجَب من حُسـ ـنِ رُجوعي ومَقالي
رُبَّ وُدٍّ بعد صَدٍّ وهوى بعد تَقالِي[1]
قد رأينا ذا كثيراً جارياً بين الرّجال
إنما كانتْ يميني لطَمَتْ مني شِمالي

/ حب سعدى التي كان يحبها ابن معن ثم هجاها: [٤/٢٤]

/ حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى اليَزيديّ قال حدّثنا أبو سُوَيد عبد القَويّ بن محمد بن أبي العتاهية ومحمدُ بن سعد قالا[2]:

كان أبو العتاهية يَهوَى في / حَداثته امرأةً نائحة من أهل الحِيرة لها حُسن وجمال يقال لها سُعدى؛ وكان عبدالله بن مَعْن بن زائدة المُكنّى بأبي الفضل يَهواها أيضاً، وكانت مولاةً لهم، ثم اتَّهمها أبو العتاهية بالنِّساء، فقال فيها: ١٣٧/٣

ألاَ يا ذَواتِ السَّحْق في الغرب والشّرقِ أفِقْن فإنّ النَّيك أشفَى من السَّحْقِ
أفِقْن فإنّ الخبز بالأُدم يُشتَهَى وليس يَسُوغُ الخبزُ بالخُبز في الحَلْقِ

(١) التقالي: التباغض.
(٢) في جميع النسخ: «قال» بالإفراد.

أراكُنَّ تَرْقَعن الخُروقَ بمثلها ... وأيّ لبيب يرقَع الخَرْقَ بالخَرق

وهل يصلُح المِهراسُ[1] إلا بعُوده ... إذا احْتِيج منه ذاتَ يوم إلى الدَّقّ

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الغَلاَبيّ قال حدّثني مَهْدِيّ بنُ سابق قال:

تهدّد عبدُالله بن معن أبا العتاهية وخوّفه ونهاه أن يَعْرِض لمولاته سُعْدى؛ فقال أبو العتاهية:

ألاَ قُلْ لابن معنٍ ذا الـ ... ـذي في الوُدّ قد حالا

لقد بُلِّغتُ ما قال ... فما باليتُ ما قالا

ولو كان من الأُسْدِ ... لَمَا صَال ولا هالا

فصُغْ ما كنتَ حلَّيتَ ... به سَيْفَك خَلْخالا

وما تصنَع بالسيف ... إذا لم تَكُ قَتّالا

ولو مَدّ إلى أُذْنيـ ... ـه كَفّيه لما نَالا

قَصيرُ الطُّولِ والطِّيلـ ... ـةِ[2] لا شَبّ ولا طَالا

أرى قومَك أبطالا ... وقد أصبحتَ بطّالا

[٢٥/٤] / ضربه عبدالله بن معن فهجاه:

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثني سُليمان المدائنيّ قال:

احتال عبدالله بن مَعْن على أبي العتاهية حتى أُخِذ في مكان فضربه مائةَ سَوْط ضرباً ليس بالمبرِّح غَيْظاً عليه، وإنما لم يَعْنُفْ في ضربه خوفاً من كثرة من يُعنَى به؛ فقال أبو العتاهية يهجوه:

جَلَدَتْني بكَفّها ... بنتُ معنِ بن زائدهْ

جَلَدتني فأوجعتْ ... بأبي تِلك جَالدهْ

وتَراها مع الخَصِيّ ... على الباب قاعدهْ

تتكنّى كُنَى الرجا ... لِ بِعَمْدٍ مُكَايدهْ

جلَدَتْني وبالغتْ ... مائةً غيرَ واحدهْ

اجْلِديني واجْلِدي ... إنّما أنتِ والدهْ

وقال أيضاً:

ضربَتْني بكَفّها بنتُ مَعْنِ ... أَوْجَعَتْ كفُّها وما أوجَعتني

ولَعَمْري لولا أذى كفّها إذ ... ضَرَبَتْني بالسَّوط ما تَركَتْني

---

(١) المهراس: الهاون.

(٢) الطيلة هنا: العمر.

توعده يزيد بن معن لهجائه أخاه فهجاه:

قال الصُّوليّ: حدّثنا عَوْن بن محمد ومحمد بن موسى قالا:

لمّا اتصل هِجاءُ أبي العتاهية / بعبدالله بن معن وكَثُر، غضِبَ أخوه يزيدُ بن معن من ذلك وتَوعّد أبا العتاهية؛ ١٣٨/٣ فقال فيه قصيدتَه التي أوّلُها:

بَنَى مَعْنٌ ويَهدِمُه يزيدُ ... كذاك اللّهُ يفعل ما يُريدُ

فمَعْنٌ كان للحُسّاد غَمًّا ... وهذا قد يُسَرّ به الحسود

يزيدُ يزيدُ في مَنْعٍ وبخلٍ ... ويَنقُص في العطاء ولا يزيد

[٢٦/٤] / **مصالحته أولاد معن:**

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني جَبَلَةُ بن محمد قال حدّثني أبي قال:

مضى بنو مَعْن إلى مَنْدَل وحيّان ابنَيْ عليّ العَنَزِيَّيْن الفقيهين ـ وهما من بني عمرو بن عامر بطنٍ مِنْ يَقْدُمَ بن عَنَزة، وكانا من سادات أهل الكوفة ـ فقالوا لهما: نحن بيتٌ واحد وأهلٌ، ولا فرقَ بيننا، وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتانا من بعيد الوَلاء لوجبَ أن تَرْدعاه. فأحْضَرا أبا العتاهية، ولم يكن يُمكنه الخلافُ عليهما، فأصلحا بينه وبين عبدالله ويزيد ابنَيْ معن، وضمِنا عنه خُلُوصَ النيّة، وعنهما ألاّ يَتْبَعاه بسوء، وكانا ممّن لا يُمكن خلافُهما، فرجَعت الحالُ إلى المَودّة والصَّفاء. فجعل الناس يَعذِلون أبا العتاهية على ما فرّط منه، ولامه آخرون في صُلْحه لهما؛ فقال:

ما لعُذّالي وما لي ... أمَروني بالضَّلال

وقد كُتِبَتْ مُتقدِّمة.

رثاؤه زائدة بن معن:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال:

كان زائدةُ بن معنٍ صديقاً لأبي العتاهية ولم يُعِنْ إخوتَه عليه، فمات؛ فقال أبو العتاهية يَرثيه:

حَزِنتُ لموت زائدةَ بن مَعْنٍ ... حقيقٌ أن يطولَ عليه حُزني

فَتَى الفتيانِ زائدةُ المُصَفَّى ... أبو العباس كان أخي وخِدْني

فتى قومٍ وأيُّ فتًى توارتْ ... به الأكفانُ تحت ثَرًى ولِبْن[1]

ألا يا قبرَ زائدةَ بن مَعْنٍ ... دعوتُك كي تُجيبَ فلَم تُجبني

سَلِ الأيّامَ عن أركانِ قومي ... أصبن بهنّ رُكناً بعد ركن

[٢٧/٤] / **كان عبدالله بن معن يخجل إذا لبس السيف لهجوه فيه:**

أخبرني الصّوليّ قال حدّثنا الحسن بن عليّ الرازيّ القارىء قال حدّثني أحمد بن أبي فَنَن قال:

(١) اللبن (بكسر فسكون لغة في اللبن ككتف، ويقال فيه: اللبن بكسرتين مثل إبل): المضروب من الطين مربعاً للبناء.

كنّا عند ابن الأعرابيّ، فذكروا قولَ ابن نَوْفَلٍ في عبد الملك بن عُمَير:

إذا ذاتُ دَلٍّ كلَّمتْه لحاجةٍ   فَهَمَّ بأن يَقْضِي تَنَحْنَحَ أو سَعَلْ

وأن عبد الملك قال: تركني والله وإنّ السُّعْلة لتَعْرِض لي في الخلاء فأَذْكُر قولَه فأهاب أن أسعُل. قال: فقلت لابن الأعرابيّ: فهذا أبو العتاهية قال في عبدالله بن مَعْن بن زائدة:

فصُغْ ما كنت حَلَّيتَ   به سيفَك خَلْخالاً

وما تصنع بالسَّيفِ   إذا لم تك قَتَّالا

فقال عبدالله بن مَعْن: ما لبِستُ سيفي قطّ فرأيت إنساناً يَلمَحُني إلا ظننتُ أنه يحفَظ قولَ أبي العتاهية فيّ، فلذلك يتأمَّلُني فأخجَل. فقال ابن الأعرابيّ: اِعْجَبوا لعبد يَهجو مولاه. قال: وكان ابن الأعرابيّ مولى بني شَيْبان.

ناظر مسلم بن الوليد في قول الشعر:

١٣٩/٣ نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: / حدّثني عليّ بن مَهْدِيّ قال حدّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال:

اجتمع أبو العتاهية ومسلم بن الوليد الأنصاريّ في بعض المجالس، فجرى بينهما كلامٌ؛ فقال له مُسلم: والله لو كنتُ أرضى أن أقولَ مثل قولك:

الحمدُ والنعمةُ لكْ   والملكُ لا شريكَ لكْ

* لبيكَ إنّ المُلكَ لكْ *

[٢٨/٤] / لقلتُ في اليوم عشرة آلاف بيت، ولكنّي أقول:

مُوفٍ على مُهجٍ في يوم ذي رهجٍ[1]   كأنّه أجلٌ يسعَى إلى أملِ

ينال بالرّفق ما يَعْيا الرجالُ به   كالموتِ مُستعجِلاً يأتي على مَهَلِ

يكسو السيوف نُفوسَ الناكثين به   ويجعلُ الهامَ تِيجانَ القنا الذُّبُلِ

للّهِ من هاشمٍ في أرضه جبلٌ   وأنت وابنُك رُكْنا ذلك الجَبَلِ

فقال له أبو العتاهية: قُلْ مثلَ قولي:

* الحمدُ والنِّعمةُ لكْ *

أَقُلْ مثل قولك:

* كأنّه أجلٌ يَسعى إلى أملِ *

تقارض هو وبشار الثناء على شعريهما:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثنا الغَلاَبيّ قال حدّثنا مَهْديّ بن سابِق قال:

(١) في يوم ذي رهج: أي في يوم ذي غبار من الحرب. وفي «ديوان مسلم» (طبع مدينة ليدن ص ٩):

* موف على مهج واليوم ذو رهج *

قال بَشّار لأبي العتاهية: أنا والله أَسْتَحسِنُ اعتذارَك من دَمْعك حيث تقول:

كم مِن صَديقٍ لي أُسا رِقُه البُكاءَ من الحَياءِ
فإذا تأمَّلَ لامني فأقول ما بي مِنْ بُكاء
لكن ذهبتُ لأرتدي فطَرَفتُ عيني بالرِّداء

فقال له أبو العتاهية: لا والله يا أبا مُعَاذ، ما لُذتُ إلاّ بمعناكَ ولا اجْتنيتُ إلا من غَرْسك حيث تقول:

/ صوت [٢٩/٤]

شكوتُ إلى الغواني ما أُلاقي وقلتُ لهنّ ما يَومي بَعيدُ
فقُلْنَ بكيتَ قلتُ لهنّ كلاّ وقد يَبكي من الشّوق الجَلِيدُ
ولكنّي أصابَ سَوادَ عيني عُوَيْدُ قَذًى له طَرَفٌ حديدُ
فقُلْنَ فما لدَمْعِهما سواءً أكِلْتا مُقْلتَيْك أصاب عُودُ

لإبراهيم المَوصليّ في هذه الأبيات لَحْنٌ من الثَّقيل الأوّل بالوُسطى مُطْلَق.

شكا إليه محمد بن الفضل الهاشميّ جفاء السلطان فقال شعراً:

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَة قال حدّثني محمد بن هارون الأَزْرَقيّ مولى بني هاشم عن ابن عائشة عن ابنٍ لمحمد بن الفضل الهاشميّ قال:

جاء أبو العتاهية إلى أبي فتحدّثا ساعةً، وجعل أبي يشكو إليه تَخَلُّفَ الصَّنعة[١] وجَفاءَ السلطان. فقال لي أبو العتاهية: اكتُبْ:

كلٌّ على الدّنيا له حِرْصُ والحادثاتُ أَناتُها غَفْصُ[٢]
وكأنّ مَن وارَوْه في جَدَثٍ لم يبدُ منه لناظرٍ شَخصُ
تَبْغِي من الدنيا زِيادتَها وزيادةُ الدنيا هي النَّقْصُ
لِيَدِ المنيّة في تَلَطُّفها عن ذُخْرِ كلِّ شفيقةٍ فَحْصُ

حبسه الرشيد ثم عفا عنه وأجازه:

حدّثني عمرو قال حدّثني عليّ بن محمد الهشاميّ[٣] عن جدّه ابن حَمْدون قال أخبرني مُخَارِق / قال: ١٤٠/٣

لمّا تنسّك[٤] أبو العتاهية ولبِس الصوف، أمره الرشيد أن يقول شعراً في الغزَل، فامتنع؛ فضربه الرشيد ستين عصاً، وحلَف ألاّ يخرُج من حَبْسه حتى يقول شعراً / في الغزل. فلمّا رُفعت المَقارعُ عنه قال أبو العتاهية: كلُّ [٣٠/٤]

(١) كذا في الأصول. ولعلها: «الصنيعة».
(٢) الغفص: الختل.
(٣) في جميع النسخ: «الشامي» وهو تحريف.
(٤) في حـ: «تقرّأ» ومعناه: تنسك.

مملوكٍ له حرّ وامرأته طالِقٌ إن تكلّم سَنَةً إلاّ بالقرآن أو بلا إلّه إلا الله محمد رسول الله. فكأنّ الرشيد تَحزّن مما فعله، فأمر أن يُحبَسَ في دار ويُوسَّعَ عليه، ولا يُمنع من دخول من يُريد إليه. قال مُخارق: وكانت الحالُ بينه وبين إبراهيم الموصليّ لطيفةً، فكان يبعثُني إليه في الأيام أتعرّف خبرَه. فإذا دخلتُ وجدتُ بين يديه ظَهْراً[1] ودواةً، فيكتب إليّ ما يريد، وأُكلّمه. فمكث هكذا سنةً. واتّفق أنّ إبراهيم الموصليّ صنع صوتَه:

صوت

أعرَفتَ دارَ الحيّ بالحِجْرِ فشدوريان فقُنّةِ الغَمْرِ[2]
وهجرتَنا وأَلِفتَ رَسْمَ بِلًى والرسمُ كان أحقَّ بالهَجْرِ

ـ لَحْنُ إبراهيم في هذا الشعر خفيفُ رَمَلٍ بالوُسْطَى. وفيه لإسحاق رمل بالوسطى ـ قال مُخارق: فقال لي إبراهيم: اذهَبْ إلى أبي العتاهية حتى تُغنّيَه هذا الصوتَ. فأتيته في اليوم الذي انقضتْ فيه يمينه، فغنّيته إيّاه. فكتب إليّ بعد أن غنّيته: هذا اليوم تَنقضي فيه يميني، فأحِبّ أن تُقيم عندي إلى الليل؛ فأقمتُ عنده نهاري كلّه، حتى إذا أذّن الناسُ المغربَ كلّمني، فقال: يا مُخارق. قلت: لَبّيك. قال: قُلْ لصاحبك: يابن الزانية! أمَا والله لقد أبقيتَ للناس فِتنةً إلى يوم القيامة، فانظر أين أنت من الله غداً! قال مُخارق: فكنتُ أوّل من أفطر على كلامه؛ فقلت: دَعْني من هذا، هل قلت شيئاً للتخلّص من هذا الموضع؟ فقال: نعم، قد قلت في امرأتي شعراً. قلت: هاته؛ فأنشدني:

[٣١/٤]

/ صوت

مَن لِقلبٍ مُتيَّمٍ مُشتاقِ شفّه شوقُه وطولُ الفراقِ
طالَ شوقي إلى قعيدةِ بيتي ليت شعري فهل لنا من تَلاقي
هي حظّي قد اقتصرتُ عليها من ذوات العُقود والأطواقِ
جَمَع اللّهُ عاجلاً بِك شملي عن قريبٍ وفكّني من وَثاقي

قال: فكتبتها وصِرْتُ بها إلى إبراهيم؛ فصنع فيها لَحناً، ودخل بها على الرشيد؛ فكان أوّل صوت غنّاه إيّاه في ذلك المجلس؛ وسأله: لمن الشعرُ والغِناء؟ فقال إبراهيم: أمّا الغناء فلي، وأما الشعر فلأسيرك أبي العتاهية. فقال: أوَ قد فَعل؟ قال: نعم قد كان ذلك. فدعا به، ثم قال لمسرور الخادم: كم ضربنا أبا العتاهية؟ قال: ستين عصاً، فأمر له بستين ألف درهم وخلَع عليه وأطلقه.

غضب عليه الرشيد وترضّاه له الفضل:

نسختُ من كتاب هارونَ بن عليّ بن يحيى: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثنا الحسين بن أبي السَّرِيّ قال:

قال لي الفضل بن العباس: وجَد الرشيدُ وهو بالرَّقّة على / أبي العتاهية وهو بمدينة السّلام، فكان أبو العتاهية ١٤١/٣

(١) لعله يريد بالظهر هنا الريش الذي يظهر من ريش الطائر وجمعه ظهار كعرق وعراق. ويظهر أنه كان من عادتهم الكتابة به كالأقلام.

(٢) القنة: ذروة الحبل وأعلاه. والغمر: جبل بحذاء توُز. وتوز: من منازل طريق مكة من البصرة معدود في أعمال اليمامة. أما «شدوريان» فلم نهتد إليه.

يرجو أن يتكلّم الفضلُ بن الربيع في أمره، فأبطأ عليه بذلك؛ فكتب إليه أبو العتاهية:

أَجَفَوْتَنِي فيمن جفاني ... وجعلتَ شأنَك غيرَ شأني

ولطالما أمّنتني ... ممّا أرى كلَّ الأمان

حتّى إذا انقلب الزّما ... نُ عليَّ صرت مع الزمان

فكلّم الفضلُ فيه الرشيد فرضِي عنه. وأرسل إليه الفضلُ يأمره بالشخوص. ويذكر له أنّ أمير المؤمنين قد رضي عنه؛ فشخَص إليه. فلما دخل إلى الفضل أنشده قوله فيه:

/ قد دعوناه نائياً فوجدنا ... ه على نأيه قريباً سميعَا [٣٢/٤]

فأدخله إلى الرشيد، فرجع إلى حالته الأولى.

كان يزيد بن منصور يحبه ويقربه فرثاه عند صوته:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال حدّثني عليّ بن مَهْديّ قالَ حدّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال:

كان يزيد بن منصور خالُ المهديّ يتعصب لأبي العتاهية؛ لأنه كان يمدح اليمانيةَ أخوالَ المهديّ في شعره؛ فمن ذلك قولُه:

صوت

سقِيتَ الغيثَ يا قصرَ السّلامِ ... فنِعْم مَحَلّةُ الملكِ الهُمامِ

لقد نشرَ الإلهُ عليك نُوراً ... وحفَّكَ بالملائكة الكِرام

سأشكُر نعمةَ المهديّ حتّى ... تدورَ عليّ دائرةُ الحِمام

له بيتانِ بيتٌ تُبَّعِيٌّ ... وبيتٌ حَلَّ بالبلد الحرام

قال: وكان أبو العتاهية طولَ حياة يزيد بن منصور يدّعي أنه مولًى لليمن ويَنْتفِي من عَنَزَةَ؛ فلمّا مات يزيد رجَع إلى ولائه الأوّل. فحدّثني الفضل بن العبّاس قال: قلت له: ألم تكن تُزعمُ أنّ ولاءَك لليمن؟! قال: ذلك شيءٌ احتجنا إليه في ذلك الزمن، وما في واحدٍ ممّن انتميتُ إليه خيرٌ، ولكنّ الحقَّ أحقُّ أن يُتّبع. وكان ادّعى ولاء اللَّخْميّين. قال: وكان يزيد بن منصور من أكرم النّاس وأحفظِهم لحُرْمةٍ، وأرعاهم لعهدٍ، وكان بارًّا بأبي العتاهية، كثيراً فضلُه عليه؛ وكان أبو العتاهية منه في مَنَعةٍ وحِصْنٍ حَصِين مع كثْرة ما يدفعُه إليه ويمنَعه من المَكاره. فلمّا مات قال أبو العتاهية يَرْثيه:

/ أَنْعَى يزيدَ بن منصورٍ إلى البَشَرِ ... أَنْعَى يزيدَ لأهلِ البَدْوِ والحَضَرِ [٣٣/٤]

يا ساكنَ الحُفْرة المهجورِ ساكنُها ... بعد المَقاصر والأبواب والحُجَر

وجدتُ فَقْدَكَ في مالي وفي نَشَبي ... وجدتُ فقدك في شَعْري وفي بَشَري[1]

فلستُ أَدْرِي جزاكَ الله صالحةً ... أمنظَري اليومَ أسْوَأ فيك أم خَبَري

(١) في «ديوانه»: «شعري (بكسر الشين) وفي نثري».

استحسن شعره بشار وقد اجتمعا عند المهدي:

حدّثنا ابن عَمّار قال حدّثنا محمد بن إبراهيم بن خَلَف قال حدّثني أبي قال:

حُدّثتُ أنّ المهديّ جلس للشّعراء يوماً، فأذِن لهم وفيهم بشّار وأشجعُ، وكان أشجع يأخذ عن بشّار / ويُعَظّمه، وغيرُ هذين، وكان في القوم أبو العتاهية. قال أشجع: فلمّا سمع بشار كلامَه قال: يا أخا سُلَيم، أهذا ذلك الكوفيّ المُلَقّب؟ قلت نعم. قال: لا جزى الله خيراً مَنْ جمعنا معه. ثم قال له المهديّ: أنشد؛ فقال: ويحك! أوَ يَبدأ فيُستَنشَدَ أيضاً قبلنا؟! فقلتُ: قد تَرى. فأنشد:

ألاَ ما لِسيّدتي ما لها ... أدلاًّ فأحمِلَ إدْلالَها

وإلاّ ففيمَ تَجنّتْ وما ... جَنيتُ سَقى اللّهُ أطلالَها

ألاَ إنّ جاريةً لِلإما ... مِ قد أُسْكِن الحبُّ سِرْبالَها

مَشتْ بين حُورٍ قصارِ الخُطَا ... تُجاذِب في المَشْي أكفالَها

وقد أتعب اللّهُ نفسي بها ... وأتعب باللّوم عُذّالَها

قال أشجع: فقال لي بشّار: وَيْحَكَ يا أخا سُلَيم! ما أدري من أيّ أمْرَيْه أعجب: أمِنْ ضعف شِعْره، أم من تَشْبيبه بجارية الخليفة، يسمع ذلك بأذنه! حتى أتى على قوله:

أتتْه الخلافةُ مُنقادةً ... إليه تُجَرِّرُ أذيالَها

ولم تكُ تصلُح إلاّ له ... ولم يكُ يصلُح إلاّ لها

/ ولو رامها أحدٌ غيرُه ... لَزُلزلتِ الأرضُ زِلْزالَها

ولو لم تُطِعْه بناتُ القلوبِ[1] ... لمَا قَبِل اللّهُ أعمالَها

وإنّ الخليفةَ من بُغْض لا ... إليه لَيُبْغِض مَن قالَها

قال أشجع: فقال لي بشّار وقد اهتزّ طرباً: ويحك يا أخا سُلَيم! أترى الخليفةَ لم يَطِرْ عن فَرْشه طَرَباً لِما يأتي به هذا الكوفيّ؟

شنّع عليه منصور بن عمار ورماه بالزندقة:

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني ابن مَهْرُويَهْ قال حدّثني العبّاس بن مَيمون قال حدّثني رَجاء بن سَلَمة قال:

سمعتُ أبا العتاهية يقول: قرأتُ البارحة ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، ثم قلتُ قصيدة أحسنَ منها. قال: وقد قيل: إنّ منصورَ بن عمّار شَنّع عليه بهذا.

قال يحيى بن عليّ حدّثنا ابن مَهْرُويَهْ قال حدّثني أبو عُمَر القرشيّ قال:

لمّا قَصّ منصور بن عَمّار على الناس مجلسَ البَعُوضة[2] قال أبو العتاهية: إنما سرق منصورٌ هذا الكلامَ من

(١) بنات القلوب: النيات.

(٢) يريد بذلك أنه قص ما يتعلق بالبعوضة من خلقها وصفتها وما أودعه الله فيها من الأسرار، فأطلق المكان ـ وهو المجلس ـ وأراد ما =

رجل كوفيّ. فبلغ قولُه منصوراً فقال: أبو العتاهية زِنْديقٌ، أمَا تَرَوْنه لا يذكر في شعره الجنة ولا النار، وإنما يذكر الموت فقط! فبلغ ذلك أبا العتاهية، فقال فيه:

يا واعظَ الناس قد أصبحتَ مُتَّهَماً ... إذ عِبتَ منهم أُموراً أنت تأتيها
كالمُلْبِس الثوبَ من عُرْيٍ وعورتُه ... للناس باديةٌ ما إنْ يُواريها
/ فأعظمُ الإثمِ بعد الشرك نَعلَمُه ... في كلّ نفسٍ عَماها عن مَساويها [٤/٣٥]
عِرفانُها بعيوب الناس تُبصرها ... منهم ولا تُبصِر العيبَ الذي فيها

فلم تَمضِ إلاّ أيامٌ يسيرة حتى مات منصور بن عَمّار، فوقف أبو العتاهية على قبره وقال: يَغفِرُ الله لك أبا السَّرِيّ ما كنتَ رميتَني به.

وشى به إلى حمدويه صاحب الزنادقة فتحقق أمره وتركه:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن موسى قال أخبرني النَّسَائيّ عن محمد بن أبي العتاهية قال:

كانت لأبي العتاهية جارةٌ تُشرِف عليه، فرأته ليلةً يَقْنُت، فروتْ عنه أنه يُكلّم القمرَ، واتّصل الخبرُ بحَمْدُويَه صاحبِ الزنادقة، / فصار إلى منزلها وبات وأشرف على أبي العتاهية ورآه يُصلّي، ولم يَزَلْ يرقبه حتى قَنَت وانصرف إلى مَضْجَعه، وانصرف حَمْدُويه خاسئاً. [١٤٣/٣]

قال شعراً يدل على توحيده ليتناقله الناس:

حدّثنا محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن الرِّياشيّ قال حدّثنا الخليل بن أسد النُّوشَجَانِيّ قال:

جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال: زعَم الناس أنّي زنديق، والله ما ديني إلى التّوحيد. فقلنا له: فقُلْ شيئاً نتحدّث به عنك؛ فقال:

ألا إنّنا كلّنا بائدُ ... وأيّ بني آدمٍ خالدُ
وبَدْؤُهُم كان من ربّهم ... وكلٌّ إلى ربّه عائدُ
فيا عجباً كيف يُعْصَى الإلـ ... ـهُ أم كيف يَجْحَدُه الجاحدُ
وفي كلّ شيءٍ له آيةٌ ... تدلّ على أنّه واحدُ

/ أرجوزته المشهورة وقوّة شعرها: [٤/٣٦]

أخبرني أبو دُلَف هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال:

تذاكروا يوماً شعرَ أبي العتاهية بحضرة الجاحظ؛ إلى أن جرى ذكرُ أُرجُوزتهِ المُزدوِجة التي سمّاها «ذاتَ الأمثال»؛ فأخذ بعضُ مَنْ حضر يُنشدها حتى أتى على قوله:

يا لَلشَّبابِ المَرِحِ التَّصابي ... روائحُ الجنّة في الشّبابِ

= يقع فيه. وهذا المجاز كثير الاستعمال. وقد تكلم الإمام الغزالي في «الإحياء» في باب المحبة على البعوضة (راجع ج ٤ ص ٢٤٧ طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ) وتكلم عليها الدميريّ أيضاً في «حياة الحيوان» (راجع ج ١ ص ١٥٩ ـ ١٦٦ طبع بولاق).

فقال الجاحظ للمُنشِد: قِفْ، ثم قال: انظروا إلى قوله:

* روائـحُ الـجنّة فـي الشَّبـاب *

فإنّ له معنًى كمعنى الطَّرَب الذي لا يقدِر على معرفته إلا القلوبُ، وتَعجِز عن ترجمته الألسنةُ إلا بعد التطويل وإدامةِ التفكير. وخيرُ المعاني ما كان القلبُ إلى قَبوله أسرعَ من اللسان إلى وَصفه. وهذه الأُرجوزة من بدائع أبي العتاهية، ويقال: إن [له][1] فيها أربعةَ آلاف مَثَل. منها قوله:

حَسْبُـك ممّـا تَبْتَغيـه القـوتُ ... مـا أكثـرَ القُـوتَ لمـن يمـوتُ
الفقـرُ فيمـا جـاوز الكفَـافـا ... مـنِ اتقـى اللّـهَ رَجـا وخـافـا
هـيَ المقـاديـرُ فلُمْنـي أو فَـذَرْ ... إن كنـتُ أخطـأتُ فمـا أخطـأ القَـدَرْ
لِكـلِّ مـا يُـؤذِي وإن قَـلَّ أَلَـمْ ... مـا أطولَ اللَّيـلَ علـى مـن لـم يَنَـم
مـا انتفـع المـرءُ بمثـلِ عَقْلـهِ ... وخيـرُ ذُخْـرِ المـرءِ حُسْـنُ فِعْلـهِ
إنّ الفسـاد ضِـدُّهُ الصّـلاحُ ... ورُبَّ جِـدٍّ جَـرّه المُـزَاحُ
مَـن جَعـل النَّمّـامَ عينـاً هلَكـا ... مُبْلِغُـك الشـرَّ كَبـاغيـه لكَـا
إنّ الشَّبـابَ والفَـراغ والجِـدَه ... مَفْسَـدةٌ للمـرء أيُّ مَفْسَـدهْ

[٣٧/٤] / يُغْنيـك عـن كـلّ قبيـحٍ تَـرْكُـهُ ... يَـرتَهِـن الـرأيَ الأصيـلَ شَكُّـهُ
مـا عَيـشُ مَـنْ آفتُـه بقـاؤُهْ ... نَغَّـص عيشـاً كلَّـه فَنـاؤُهْ[2]
يـا رُبَّ مَـنْ أسخطنـا بجَهْـدهِ ... قـد سَـرّنـا اللّـهُ بغَيـر حَمْـده
مـا تطلُـع الشمـسُ ولا تغيـبُ ... إلاّ لأمـرٍ شـأنُـه عجيـبُ
لكـلّ شـيء مَعْـدِنٌ وجَـوْهَـرُ ... وأوسـطٌ وأصغـرٌ وأكبـرُ

[١٤٤/٣] / مَـنْ لـك بـالمَحْضِ وكـلٌّ مُمتـزِجْ ... وسـاوسَ فـي الصّـدر منـه تَعتلـجْ
وكـلُّ شـيءٍ لاحـقٌ بجـوهـرهْ ... أصغـرُه مُتّصِـلٌ بـأكبـرهْ
مـا زالـتِ الـدنيـا لنـا دارَ أذَى ... ممـزوجـةَ الصَّفـو بـألـوان القَـذَى
الخَيـرُ والشـرُّ بهـا أزواجُ ... لِـذا نِتـاجٌ ولِـذا نِتـاجُ
مَـنْ لـك بـالمَحْض وليس مَحْـضُ ... يَخبُـث بعـضٌ ويَطيـب بعـضُ
لكـلّ إنسـانٍ طبيعتـانِ ... خيـرٌ وشـرٌّ وهمـا ضِـدّانِ
إنّـك لـو تَستنشـق الشَّحيحَـا ... وجـدتَـه أنتـنَ شـيءٍ ريحَـا
والخيـرُ والشـرُّ إذا مـا عُـدّا ... بينهمـا بَـوْنٌ بعيـدٌ جِـدّا

---

(١) الزيادة عن أ، م.

(٢) في «ديوانه» ص ٣٤٨: «. . . عيشاً طيّباً فناؤه».

عجبتُ حتى غمّني السكوتُ صِرْتُ كأنّي حائرٌ مبهوتُ
كذا قضى اللّهُ فكيف أصنَعُ الصمتُ إن ضاق الكلامُ أوسعُ

وهي طويلة جدّاً، وإنما ذكرتُ هذا القدرَ منها حسَب ما اشتاقَ الكلامُ من صفتها.

برمه بالناس وذمهم في شعره:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويَهْ عن رَوْح بن الفَرَج قال:

شاوَرَ رجلٌ أبا العتاهية فيما ينقُشه على خاتمه؛ فقال: انقُش عليه: لَعنةُ الله على الناس؛ وأنشد:

[٣٨/٤] / بَرِمتُ بالناس وأخلاقهم فصِرْتُ أستأنِس بالوُحدَهْ
ما أكثرَ الناسَ لعَمْري وما أقلَّهم في حاصل العِدّهْ

مدح عمر بن العلاء فأجازه وفضله على الشعراء:

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا الغَلاَبيّ قال حدّثنا عبدالله بن الضحّاك: أنّ عمر بن العلاء مولى عمرو بن حُرَيث صاحبَ المهديّ كان مُمَدَّحاً، فمدحه أبو العتاهية، فأمر له بسبعين ألف درهم؛ فأنكر ذلك بعضُ الشعراء وقال: كيف فعل هذا بهذا الكوفيّ! وأيّ شيء مِقدارُ شعره! فبلغه ذلك، فأحضر الرجلَ وقال له: والله إنّ الواحد منكم لَيَدُور على المعنى فلا يُصيبه، ويتعاطاه فلا يُحسنه، حتى يُشَبِّب بخمسين بيتاً، ثم يمدَحنا ببعضها، وهذا كأنّ المعاني تُجمع له، مدحني فقَصَّر التشبيبَ، وقال:

إنّي أَمِنتُ من الزمان ورَيبِهِ لَمّا عَلِقتُ من الأمير حِبالاَ
لو يستطيع الناسُ من إجلاله لحَذَوْا له حُرَّ الوُجوه نِعالاَ

صوت

إنّ المطايا تَشتكيك لأنّها قطَعتْ إليك سَباسِباً[1] ورِمالاَ
فإذا وَرَدْنَ بنا وَرَدن مُخِفَّةً[2] وإذا رجَعْنَ بنا رجعن ثِقالاَ

أخذ هذا المعنى من قول نُصَيب:

فعاجُوا فأَثْنَوْا بالذي أنت أهلُه ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

رأي العتابي فيه:

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن عَوْن قال حدّثني محمد بن النَّضْر كاتب غَسّان بن عبدالله قال:

[٣٩/٤] / أَخرجتُ رسولاً إلى عبدالله بن طاهر وهو يُريد مصر، فنزلت على العَتّابيّ، وكان لي صديقاً، فقال: أنشِدني لشاعر العراق ـ يعني أبا نواس، وكان قد مات ـ فأنشدتُه / ما كنت أُحفظ من مُلَحِه، وقلت له: ظَننتُك تقول هذا لأبي العتاهية. فقال: لو أردتُ أبا العتاهية لقلت لك: أنشِدني لأشعر الناس، ولم أقتصر على العراق. ١٤٥/٣

(١) سباسب: جمع سبسب، وهو الأرض القفر البعيدة.

(٢) مخفة: قليلة الحمل. وفي «ديوانه» (طبع بيروت): «خفائفا».

ملاحظته على سهولة الشعر لمن يعالجه:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني هارون بن سَعْدان عن شيخ من أهل بغداد قال:

قال أبو العتاهية: أكثرُ الناس يتكلّمون بالشعر وهم لا يعلمون، ولو أحسنُوا تأليفَه كانوا شعراء كلُّهم. قال: فبينما نحن كذلك إذ قال رجلٌ لآخر عليه مِسحٌ[1]: «يا صاحب المِسْحِ تَبيع المسْحَ؟»[2]. فقال لنا أبو العتاهية: هذا من ذلك، ألم تسمعوه يقول:

* يـــا صـــاحـــبَ المِســـح تَبيـــع المِسحـــا *

قد قال شعراً وهو لا يعلم. ثم قال الرجل: «تعال إن كنتَ تريد الرِّبح»[2]. فقال أبو العتاهية: وقد أجاز المصراع بمصراع آخر وهو لا يعلم، قال له:

* تعـــالَ إن كنـــتَ تُـــريـــد الـــرِّبحـــا *

وصف الأصمعيّ شعره:

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن بَشِير[3] أبو طاهر الحَلَبيّ قال حدّثنا مَزْيَد الهاشميّ عن السُّدْريّ قال:

[٤/٤٠] / سمعت الأصمعيّ يقول: شِعْرُ أبي العتاهية كَساحة الملوك يَقع فيها الجوهرُ والذهب والتراب والخَزَف والنَّوَى.

مدح يزيد بن منصور لشفاعته فيه لدى المهدي:

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال:

لمّا حَبس المهديُّ أبا العتاهية، تكلّم فيه يَزيد بن منصور الحِميريّ حتى أطلقه؛ فقال فيه أبو العتاهية:

مـا قلـتُ فـي فَضلِـه شيئـاً لِأمـدحَـه	إلاّ وفضـلُ يَـزيـدٍ فـوقَ مـا قلـتُ
مـا زِلـتُ مـن رَيْـبِ دهـري خـائفـاً وَجِلاً	فقـد كفـانـيَ بعـدَ الله مـا خِفْـتُ

قدرته على ارتجال الشعر:

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني عليّ بن مَهديّ قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبدالله بن الحسن قال:

جاءني أبو العتاهية وأنا في الديوان فجلس إليّ. فقلتُ: يا أبا إسحاق، أمَا يصعُب عليك شيءٌ من الألفاظ فتحتاج فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائرُ من يقول الشعر، أو إلى ألفاظ مُسْتكرَهة؟ قال لا. فقلت [له][4]: إنّي لأحسب ذلك من كثرة رُكوبك القوافيَ السَّهلةَ. قال: فاعْرِضْ عليّ ما شئتَ من القوافي الصعبة. فقلت: قل أبياتاً على مثل البلاغ. فقال من ساعته:

(١) المسح: كساء من شعر كثوب الرهبان.
(٢) في الأصول: «المسحا» و «الربحا» بالألف، وهو نثر لا داعي فيه لألف الإطلاق.
(٣) في أ، ء، م: «ابن بشر».
(٤) زيادة عن حـ.

أيُّ عيشٍ يكون أبلغ من عيـ ـشٍ كَفافٍ قُوتٍ بقَدْرِ البلاغِ[(١)]
صاحبُ البَغْيِ ليس يسلَمُ منه وعلى نَفْسه بَغَى كلُّ باغِي
رُبَّ ذي نِعمةٍ تَعرَّضَ منها حائلٌ بينه وبين المَساغِ
أبلَغ الدهرُ في مَواعظِه بل زاد فيهنّ لي على الإبلاغِ
غَبَنَتْني الأيّامُ عقلي ومالي وشَبابي وصِحّتي وفَراغِي

/ أخبرنا يحيى إجازةً قال حدّثنا عليّ بن مَهْدِيّ قال حدّثني أبو عليّ اليَقْطِيني قال حدّثني أبو خَارِجةَ بنُ مسلم [٤١/٤] قال:

كان مسلم بن الوليد يستخف به فلما أنشده من غزله أكبره

قال مسلم بن الوليد: كنت مُسْتَخِفًّا بشعر أبي العتاهية، فلَقِيَني يوماً فسألني أن أصير إليه، فصِرت إليه فجاءني بلَونٍ واحد فأكلناه، / وأحضَرني تمراً فأكلناه، وجلسنا نتحدّث، وأنشدته أشعاراً لي في الغزل، وسألته أن يُنْشِدني؛ [١٤٦/٣] فأنشدني قولَه:

بالله يا قُرّةَ العينَيْنِ زُوريني قبل المماتِ وإلاّ فاستَزِيريني
إنّي لأعْجَبُ من حُبٍّ يُقَرّبني ممن يُباعدني منه ويُقْصِيني[(٢)]
أمّا الكثير فما أرجوه منكِ ولو أطمعتِني في قليلٍ كان يَكفيني

ثم أنشدني أيضاً:

رأيتُ الهوى جمرَ الغَضَى غيرَ أنّه على حَرِّه في صدر صاحبه حُلْوُ

صوت

أخِلاّيَ بي شَجْوٌ وليس بكم شجوُ وكلُّ امرىءٍ عن شَجو صاحبه خِلْوُ
وما من مُحِبٌّ نال ممن يُحِبّه هوًى صادقاً إلاّ سيدخُله زَهْوُ
بُلِيتُ وكان المَزْحُ بدْءَ بَلِيّتي فأحببتُ حقًّا والبلاء له بَدْوُ
وعُلِّقتُ مَنْ يزهو[(٣)] عليّ تجبُّراً وإنّيَ في كلّ الخِصال له كُفْوُ
رأيتُ الهوى جمرَ الغَضَى غير أنّه على كل حالٍ عند صاحبه حُلْوُ

(١) البلاغ هنا: الكفاية.
(٢) كذا في أ، ء، م. وفي سائر النسخ: «ويعصيني».
(٣) يزهو: يترفع ويتكبر. والفصيح: «يزهى» بالبناء للمجهول.

ـ الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل مُطلق في مَجْرى الوسطى عن إسحاق، وله فيه أيضاً خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو. ولعمرو بن بانة رَملٌ بالوسطى من كتابه. ولَعريبَ فيه خفيفُ ثقيلٍ من كتاب ابن المُعتزّ ـ قال مسلم: ثم أنشدني أبو العتاهية:

[٤٢/٤]

/ صوت

خليليَّ مالي لا تَزال مَضَرّتي ... تكون على الأقدار حَتْماً منَ الحَتْمِ

يُصاب فؤادي حين أرْمي ورَمْيَتي ... تعودُ إلى نَحري ويَسْلَمُ من أرْمي

صَبَرتُ ولا والله ما بي جَلادَةٌ ... على الصبر لكنّي صبَرتُ على رَغْمي

ألا في سبيلِ الله جسمي وقُوّتي ... ألا مُسْعِدٌ حتى أنوح على جسمي

تُعَدّ عظامي واحداً بعد واحدٍ ... بِمَنْحَى[١] منَ العُذّال عَظْماً على عَظم

كفاكَ بحقّ الله ما قد ظلمتَني ... فهذا مَقام المستجير من الظُّلْمِ

ـ الغناء لسِيّاط في هذه الأبيات، وإيقاعه من خفيف الثَّقيل الأوّل بالسبّابة في مجرى البِنْصر عن إسحاق ـ قال مسلم: فقلت له: لا والله يا أبا إسحاق ما يُبالي مَنْ أحسنَ أن يقول مثل هذا الشّعر ما فاته من الدنيا! فقال: يا بن أخي، لا تقولنّ مثل هذا؛ فإن الشعر أيضاً من بعض مَصايد الدنيا.

وفد مع الشعراء على الرشيد ومدحه فلم يجز غيره:

أخبرنا يحيى إجازةً قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن الفضل قال حدّثني ابن الأعرابيّ قال:

اِجتمعتِ الشعراء على باب الرشيد، فأذِن لهم فدخلوا وأنشدوا؛ فأنشد أبو العتاهية:

يا مَنْ تَبَغّى[٢] زمناً صالحاً ... صَلاحُ هارونَ صلاحُ الزمنْ

١٤٧/٣ / كلُّ لسانٍ هو في مُلكه ... بالشكر في إحسانه مُرْتَهَنْ

قال: فاهتزّ[٣] له الرشيد، وقال له: أحسنتَ والله! وما خرج في ذلك اليوم أحد من الشعراء بِصلَةٍ غيره.

[٤٣/٤] / **قال شعراً في المشمر فرس الرشيد فأجازه:**

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عامر بن عِمْران الضَّبيّ قال حدّثني ابن الأعرابيّ قال:

أجرى هارونُ الرشيد الخيلَ، فجاءه فرس يقال له المُشَمِّر سابقاً، وكان الرشيد مُعْجَباً بذلك الفرس، فأمر الشعراء أن يقولوا فيه؛ فبدرهم أبو العتاهية فقال:

---

(١) في ب، س: «نحني» بتقديم الحاء على النون. وهو تحريف.

(٢) تبغي: تطلب.

(٣) في ب، س: «فادهش له».

جاء المشمّرُ والأفراسُ يَقْدُمُها ... هَوْناً على رِسْله[١] وما انْبَهَرَا
وخَلّف الريحَ حَسْرَى[٢] وهي جاهدةٌ ... ومَرّ يَختطف الأبصارَ والنظرَا

فأجزلَ صلتَه، وما جَسَر أحدٌ بعد أبي العتاهية أن يقول فيه شيئاً.

رثاؤه صديقه علي بن ثابت:

أخبرني يحيى إجازةً قال حدّثني الفضل بن عبّاس بن عُقْبة بن جعفر قال:

كان عليّ بن ثابت صديقاً لأبي العتاهية وبينهما مُجَاوبات كثيرة في الزهد والحِكمة، فتُوفّي عليّ بن ثابت قبله، فقال يَرثيه:

مُؤْنِسٌ كان لي هَلَكْ ... والسبيلُ التي سَلَكْ
يا عليّ بنَ ثابتٍ ... غَفَر الله لي ولَكْ
كلُّ حيٍّ مُمَلَّكٍ ... سوف يَفْنَى وما مَلَكْ

قال الفَضْل[٣]: وحضر أبو العتاهية عليّ بن ثابت وهو يجود بنفسه، فلم يَزَلْ مُلتزمَه حتى فاض[٤]؛ فلما شُدّ لَحْياه بكى طويلاً، ثم أنشد يقول:

يا شَرِيكي في الخير قَرّبك اللّـ ... ـهُ فنعم الشّريكُ في الخير كُنتَا
قد لَعَمْري حكَيْتَ لي غُصَصَ المو ... تِ فحرّكْتَني لها وسَكَنْتَا

[٤/٤٤] / قال: ولمّا دُفن وقف على قبره يبكي طويلاً أحرَّ بكاء، ويردِّد هذه الأبياتَ:

ألاَ مَنْ لي بأُنْسِك يا أُخَيّا ... ومَنْ لي أن أبُثّك ما لديّا
طَوتْكَ خُطوبُ دهرك بعد نَشْرٍ ... كذاك خُطوبُه نَشْراً وطيّا
فلو نَشَرتْ قُواكَ ليَ المنايا ... شكوتُ إليك ما صنعتْ إليّا
بكيتُك يا عليُّ بدمع عَيني ... فما أغنَى البكاءُ عليك[٥] شَيّا
وكانت في حياتك لي عِظاتٌ ... وأنت اليومَ أوعظُ منك حيّا

اشتمال مرثيته في علي بن ثابت على أقوال الفلاسفة في موت الإسكندر:

قال عليّ بن الحسين مؤلّف هذا الكتاب: هذه المعاني أخذها كلّها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لمّا حضروا تابوت الإسكندر، وقد أُخرج الإسكندر ليُدْفَنَ: قال بعضهم: كان الملك أمسِ أهيبَ منه اليومَ، وهو اليوم أوعظُ منه

(١) على رسله: على تؤدته وهينته، ومثله الهون (بالفتح).
(٢) حسري: كالة معيية.
(٣) في ب، س: «أبو الفضل» وهو تحريف.
(٤) في م: «فاظ» وكلاهما بمعنى مات.
(٥) في أ، م،ء: «على».

أمس. وقال آخر: سَكَنَتْ حركةُ الملك في لذّاته، وقد حرّكنا اليوم في سكونه جزعاً لفقده. وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما أبو العتاهية في هذه الأشعار.

سأله جعفر بن الحسين عن أشعر الناس فأنشده من شعره:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني جعفر بن الحسين المُهَلَّبيّ قال:

١٤٨/٣ لَقِينا أبو العتاهية فقلنا له: يا أبا إسحاق، مَنْ / أشعرُ الناس؟ قال: الذي يقول:

اللّـهُ أنجـحُ مـا طلبـتَ بـه … والبِـرُّ خيـرُ حَقيبـة الـرَّحْـلِ[1]

فقلت: أنْشِدْني شيئاً من شعرك؛ فأنشدني:

يا صاحبَ الرُّوح ذي الأنفاسِ في البدَنِ[2] … بيـن النهـار وبيـن الليـل مُـرْتَهَـنِ

لقلّمـا يتخطّـاك اختـلافُهمـا … حتـى يُفَـرِّق بيـن الـرُّوح والبـدنِ

[٤/٤٥] / لَتَجْـذِبَنِّـي[3] يـدُ الـدُّنيا بقـوّتهـا … إلـى المنـايـا وإن نـازعتُهـا رَسَنـي

للّـهِ دُنَيـا أُنـاسٍ دائِبيـن لهـا … قـد ارتَعَـوْا فـي رياض الغَيّ والفِتَـنِ[4]

كسـائمـاتٍ رِتـاعٍ[5] تَبتغـي سِمَنـاً … وحَتْفُهـا لـو دَرَتْ فـي ذلـك السِّمَـنِ

قال: فكتبتُها، ثم قلت له: أنْشِدني شيئاً من شعرك في الغزل؛ فقال: يا ابن أخي، إنّ الغزل يُسرِع إلى مثلك.

فقلت له: أرجو عصمةَ الله جل وعزّ. فأنشدني:

كـأنّهـا مـن حُسنهـا دُرّةٌ … أخـرجهـا اليَـمُّ إلـى السـاحـلِ

كـأن فـي فيهـا وفـي طَـرفهـا … سـواحـراً أقبلـنَ مـن بـابـل

لـم يُبْـقِ مِنّـي حبُّهـا مـا خـلا … حُشَـاشَـةً فـي بَـدَنٍ نـاحـل

يـا مَـنْ رأى قبلـي قتيـلاً بكَـى … مـن شـدّة الـوَجْـد علـى القـاتـل

فقلت له: يا أبا إسحاق، هذا قولُ صاحبنا جَميل:

خليلـيّ فيمـا عِشتُمـا هـل رأيتمـا … قتيـلاً بكـى مـن حـبّ قـاتِلـه قبلـي

فقال: هو ذاك يا بن أخي وتبسّم.

شعره في التحسر على الشباب:

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أبو عِكْرِمة عن شيخ له من أهل الكوفة قال:

---

(١) في ب، ﺀ: «الرجل» بالجيم المعجمة.

(٢) كذا في «ديوانه». وفي جميع الأصول: «والأنفاس والبدن».

(٣) كذا في «الديوان». وفي الأصول: «التجذبن به الدنيا...».

(٤) ورد هذا البيت في «الديوان» هكذا:

لله درّ أنـاس عمـرت بهـم … حتـى رعـوا فـي ريـاض الغـيّ والفتـن

(٥) رتاع: جمع راتعة. وفي «الديوان»: «رواع» جمع راعية، وهما بمعنى.

دخلتُ مسجدَ المدينة ببغداد بعد أن بُويع الأمينُ محمدٌ بسَنةٍ، فإذا شيخٌ عليه جماعةٌ وهو يُنشد:

[٤/٤٦]

/ لَهْفِي على وَرَقِ الشَّبابِ … وغُصونِه الخُضْرِ الرِّطابِ
ذهبَ الشبابُ وبانَ عنّي غيرَ مُنتَظَرِ الإيابِ
فلأَبكِيَنَّ على الشَّبا … بِ وطِيبِ أيامِ التّصابي
ولأبكِيَنَّ من البِلَى … ولأبكِيَنَّ من الخِضابِ
إنّي لآمُلُ أن أخلُدَ والمنيّةُ في طِلابي

قال: فجعل يُنشدها وإنّ دموعَه لتَسيل على خدّيه. فلمّا رأيت ذلك لم أصبر أنْ مِلتُ فكتبتُها. وسألت عن الشيخ فقيل لي: هو أبو العتاهية.

كان ابن الأعرابي يعيب شعره:

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثني أبو العباس محمد بن أحمد قال:

كان ابن الأعرابيّ يَعيب أبا العتاهية ويَثْلُبُه، فأنشدته:

كم من سفيهٍ غاظَني سَفَهاً … فشَفَيْتُ نفسي منه بالحِلْمِ
وكَفَيْتُ نفسي ظلمَ عاديتي … ومنحتُ صفوَ مودّتي سِلْمي[1]
ولقد رُزِقتُ لظالمي غِلَظاً … ورَحِمتُه إذ لَجّ في ظُلْمي

أحب شعره إليه:

/ أخبرني محمد بن عِمران قال حدّثني العنزيّ قال حدّثني محمد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن أحمد الأزديّ قال:

[١٤٩/٣]

قال لي أبو العتاهية: لم أقل شيئاً قطّ أحبَّ إليّ من هذين البيتين [في][2] معناهما:

ليت شعري فإنّني لستُ أدري … أيَّ يومٍ يكون آخِرَ عُمْري
وبأيّ البلاد يُقبَض رُوحي … وبأيّ البِقاع[3] يُحْفَر قبري

/ راهن في أوّل أمره جماعة على قول الشعر فغلبهم:

[٤/٤٧]

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثني محمد بن الفضل قال حدّثنا محمد بن عبد الجَبّار الفَزاريّ قال:

اجتاز أبو العتاهية في أوّل أمره وعلى ظهره قفصٌ فيه فَخّار يدور به في الكوفة ويَبيع منه، فمرّ بفتيان جُلوس

(١) سلمي: مسالمي؛ يقال: فلان سلم لفلان، وحرب له، إذا كان بينهما سلام أو حرب.
(٢) التكملة عن نسخة أ.
(٣) في ب، س: «البلاد».

يتذاكرون الشعرَ ويتناشدونه، فسلّم ووضع القفص عن ظهره، ثم قال: يا فتيانُ أراكم تَذَاكرون الشعرَ، فأقول شيئاً منه فتُجيزونه، فإن فعلتم فلكم عشرةُ دراهم، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم؛ فَهزِئوا منه وسَخِروا به وقالوا نعم. قال: لا بدّ أن يُشْتَرى بأحد القِمارَيْن[1] رُطَبٌ يُؤكل فإنه قِمار[1] حاصل، وجعل رَهْنَه تحت يد أحدهم، ففعلوا. فقال: أجِيزوا:

* ساكِني الأجداث أنتُمْ *

وجعل بينه وبينهم وقتاً في ذلك الموضعِ إذا بلغته الشمسُ ولم يُجيزوا البيتَ، غُرِّموا الخَطَر[2]؛ وجعل يهزأ بهم وتَمّمه:

....	مثلَنا بالأمس كُنتم
ليت شعري ما صنعتم	أربحتم أم خَسِرتم

وهي قصيدة طويلة في شعره.

هجاه أبو حبش وذم شعره:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبدالله عن أبي خَيْثَم العَنَزيّ قال:

لمّا حَبَس الرشيدُ أبا العتاهية وحلَف ألاّ يُطلِقَه أو يقولَ شعراً، قال لي أبو حَبَش: أسمعتَ بأعجبَ من هذا الأمر، تقول الشعراء الشعرَ الجيّد النادر فلا يُسمع منهم، ويقول هذا المُخَنَّث المُفَكَّك تلك الأشعارَ بالشفاعة! ثم أنشدني:

[٤٨/٤]

/ أبا إسحاق راجعت الجماعَهْ	وعُدْتَ إلى القوافي والصِّناعَهْ
وكنت كجامحٍ[3] في الغَيّ عاصٍ	وأنت اليومَ ذو سمعٍ وطاعَهْ
فجُرَّ الخَزَّ مما كنتَ تُكْسَى	وَدَع عنك التَّقَشُّفَ والبَشاعَهْ
وشَبِّبْ بالتي تهوَى وخَبِّرْ	بأنّك مَيّتٌ في كلّ ساعَهْ
كَسَدنا ما نُراد وإنْ أجدنا	وأنت تقول شعرَك بالشّفاعَهْ

خرج مع المهدي في الصيد وقد أمره بهجوه فقال شعراً:

أخبرني أحمد بن العبّاس العَسْكريّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثنا محمد بن عبدالله قال حدّثني أبو خَيْثَم العَنَزيّ، وكان صديقاً لأبي العتاهية، قال حدّثني أبو العتاهية قال:

أخرجني المهديّ معه إلى الصَّيْد، فوقعنا منه على شيءٍ كثير، فتفرّق أصحابُه في طلبه وأخذ هو في طريق غيرِ طريقهم فلم يَلْتَقُوا[4]، وعَرض لنا وادٍ جرّارٌ وتَغَيّمتِ السماءُ وبدأت تُمطر فتحيّرنا، وأشرفْنا على الوادي فإذا فيه

---

(١) في ب، س، حـ: «القمرين... قمر».
(٢) الخطر هنا: الرهان.
(٣) في الأصول: «كجامع» ولا يستقيم بها الكلام، فآثرنا ما أثبتناه.
(٤) في ب، س: «فلم يلتفتوا».

ملّاح يُعَبِّر النّاسَ، فلجأنا إليه فسألناه عن الطريق، فجعل يُضَعِّف رأينا ويُعَجِّزنا في بَذْلنا أنفسَنا في ذلك الغَيْم للصيد حتى أبْعَدنا، / ثم أدخلَنا كُوخاً له. وكاد المهديّ يموت برداً؛ فقال له: أُغَطِّيك بجُبّتي هذه الصوف؟ فقال نعم؛ فغطّاه بها، فتماسك قليلاً ونام. فافتقده غِلمانُه وتَبِعوا أثرَه حتى جاءونا. فلمّا رأى الملّاح كثرتَهم علم أنه الخليفةُ فهرب، وتبادر الغِلمان فنَحَّوُا الجبّةَ عنه وألقَوْا عليه الخَزَّ والوَشْيَ. فلما انتبه قال لي: وَيْحَك! ما فعل الملّاح؟ فقد والله وَجَب حقُّه علينا. فقلت: هرَب والله خوفاً من قُبح ما خاطبنا به. قال: إنّا لله! والله لقد أردتُ أن أغْنِيه، وبأيِّ شيء / خاطبَنا! نحن والله مُستحقّون لأقبحَ مما خاطبنا به! بحياتي عليك إلاّ ما هجوتَني. فقلت: يا أميرَ المؤمنين، كيف تَطيب نفسي بأن أهجوَك! قال: والله لَتَفْعَلَنّ؛ فإني ضعيفُ الرأي مُغْرَمٌ بالصَّيد. فقلت:

١٥٠/٣

[٤٩/٤]

يا لابسَ الوَشْيِ على ثوبه ... ما أقبحَ الأشيبَ في الراحِ

فقال: زِدْني بحياتي؛ فقلت:

لو شئتَ أيضاً جُلْتَ في خَامةٍ[1] ... وفي وِشاحَيْنِ وأَوْضاحِ[2]

فقال: وَيْلَك! هذا معنى سَوْء يَرْوِيه عنك الناسُ، وأنا أستأهل. زِدْني شيئاً آخر. فقلت: أخاف أن تغضَب. قال: لا والله. فقلت:

كم من عظيمِ القَدرِ في نفسه ... قد نام في جُبّة مَلاّحِ

فقال: معنى سَوْء عليك لعنةُ الله! وقمنا وركبنا وانصرفنا.

وقعت في عسكر المأمون رقعة فيها شعره فوصله:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنا جماعة من كتّاب الحسن بن سهل قالوا:

وقعتْ رقعةٌ فيها بيْتا شعرٍ في عسكر المأمون؛ فجيء بها إلى مُجَاشع بن مَسْعَدة، فقال: هذا كلام أبي العتاهية، وهو صديقي، وليستِ المخاطبة لي ولكنّها للأمير الفضلِ بن سهل. فذهبوا بها، فقرأها وقال: ما أعرف هذه العلامةَ. فبلغ المأمونَ خبرُها فقال: هذه إليّ وأنا أعرف العلامة. والبيتان:

[٥٠/٤]

/ صوت

ما على ذا كنّا افترقْنا بِسَنْدا[3] ... نَ وما هكذا عهِدْنا الإخاءَ

تَضْرِبُ الناسَ بالمُهَنَّدة البِيـ ... ـضِ على غَدْرِهم وتَنْسَى الوفاءَ

قال: فبعث إليه المأمون بمالٍ.

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكّل رَمَلٌ من رواية ابن المُعتزّ.

---

(١) الخام: ثوب من القطن لم يغسل.

(٢) الأوضاح: حليّ من فضة أو هي الخلاخيل.

(٣) سندان: مدينة ملاصقة للسند.

استبطأ عادة ابن يقطين فقال شعراً فعجلها له:

قال: وكان عليّ بن يقَطِين صديقاً لأبي العتاهية، وكان يَبَرّه في كل سنة ببِرّ واسع، فأبطأ عليه بالبِرّ في سنة من السنين، وكان إذا لَقِيه أبو العتاهية أو دخل عليه يُسَرّ به ويرفع مجلسَه ولا يَزيده على ذلك. فلقيه ذاتَ يوم وهو يريد دارَ الخليفة، فاستوقفه فوقف له، فأنشده:

حتّى متى ليت شعري يا ابنَ يَقْطِينِ ... أُثني عليك بما لا منك تُولِيني

إنّ السّلامَ وإنّ البِشْرَ من رجلٍ ... في مثل ما أنت فيه ليس يَكْفِيني

هذا زمانٌ أَلحّ الناسُ فيه على ... تيه الملوك وأخلاقِ المساكينِ

/ أمَا علمتَ جزاك الله صالحةً ... وزادك اللّهُ فضلاً يا ابنَ يَقْطِينِ

أنّي أُريدك للدُّنيا وعاجلها ... ولا أُريدك يومَ الدِّين للدِّين

[١٥١/٣]

فقال عليّ بن يَقطين: لستُ والله أبرح ولا تَبرح من موضعنا هذا إلا راضياً، وأمر له بما كان يبعث به إليه في كل سنة، فحُمل من وقته وعليٌّ واقفٌ إلى أن تَسلّمه.

[٤/٥١] / نظم شعراً في الحبس فلما سمعه الرشيد بكى وأطلقه:

وأخبرني محمد بن جعفر النحويّ صِهْرُ المبرّد قال حدّثنا محمد بن يزيد قال:

بلغني من غير وجه: أنّ الرشيد لمّا ضرب أبا العتاهية وحبَسه، وَكّل به صاحبَ خَبَرٍ يكتب إليه بكل ما يسمعه. فكتب إليه أنه سمعه يُنشد:

أمَا والله إنّ الظلمَ لُومُ ... وما زال المُسيء هو الظَّلُومُ

إلى دَيّانِ يومِ الدين نَمْضِي ... وعند الله تجتمع الخصومُ

قال: فبكى الرشيد، وأمر بإحضار أبي العتاهية وإطلاقه، وأمر له بألفَيْ دينار.

رماه منصور بن عمار بالزندقة وشنع عليه فاحتقره العمامة:

أخبرني محمد بن جعفر قال حدّثني محمد بن موسى عن أحمد بن حرب عن محمد بن أبي العتاهية قال: لمّا قال أبي في عُتْبة[1]:

كأنّ عتابة من حسنها ... دُمْيةُ قَسٍّ فتنَتْ قَسَّها

يا رَبِّ لو أَنْسَيْتَنِيها بما ... في جَنّة الفِرْدوس لم أَنْسَها

شَنّع عليه منصور بن عمّار بالزندقة، وقال: يتهاون بالجنة ويَبتذل ذِكْرَها في شعره بمثل هذا التهاونِ! وشنّع عليه أيضاً بقوله:

إنّ المليك رآكِ أحـ ... ـسنَ خَلْقِه ورأى جَمالكْ

(١) هي عتبة جارية المهدي، وقد اشتهر بمحبته لها وأكثر من تشبيبه فيها.

فحـــــذا بقُـــــذْرةِ نفســـــه　　　حُـورَ الجِنـــان علـــى مثـالِـــكْ

وقال: أيُصَوِّر الحورَ على مِثال امرأة آدميّة واللّهُ لا يحتاج إلى مثال! وأوقع له هذا على ألْسِنة العامّة؛ فلَقِي منهم بلاءً.

سأله الباذغيسي عن أحسن شعره فأجابه:

حدّثني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا خَليل بن أسد قال حدّثني أبو سَلَمة البَاذَغيسيّ قال:

/ قلتُ لأبي العتاهية: في أيّ شعر أنت أشعرُ؟ قال: قولي: [٤/٥٢]

النـــاسُ فـــي غَفَـــلاتهـــمْ　　　وَرَحـــا المنيّـــةِ تَطْحَـــنُ

أنشد المأمون شعره في الموت فوصله:

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدّثني يَحيى بن عبدالله القُرَشِيّ قال حدّثني المُعَلّى بن أيّوب قال:

دخلتُ على المأمون يوماً وهو مُقْبِل على شيخ حَسَن اللِّحيةِ خَضيبٍ شديد بياض الثياب على رأسه لاطئةٌ[1]، فقلت للحسن بن أبي سعيد ـ قال: وهو ابن خالة المُعَلّى بن أيوب. وكان الحسن كاتبَ المأمون على العامّة ـ: مَنْ هذا؟ فقال: أمَا تعرفه؟ فقلت: لو عرفتُه ما سألتُك عنه. فقال: هذا أبو العتاهية. فسمعت المأمونَ يقول له: أنْشِدني أحسنَ ما قلتَ في الموت؛ فأنشده:

أنســـاكَ مَحْيَـــاك الممـــاتـــا　　　فطَلَبْـــتَ فـــي الـــدنيـــا الثّبـــاتـــا

أوَثِقْـــتَ بـــالـــدنيـــا وأنـــ　　　ـــت تـــرى جَمـــاعتَهـــا شَتـــاتـــا

/ وعـــزَمـــتَ منـــك علـــى الحيـــا　　　ةِ وطُـــولِهـــا عَـــزْمـــاً بَتـــاتـــا [١٥٢/٣]

يـــا مَـــنْ رأى أبَـــوَيْـــه فيـــ　　　ـمَـــنْ قـــد رأى كـــانـــا فمـــاتـــا

هـــل فيهمـــا لـــك عِبْـــرةٌ　　　أم خِلْـــتَ أنّ لـــك انْفِـــلاتـــا

ومَـــن الـــذي طَلَـــبَ التَّفَلُّـــ　　　ـــتَ مـــن مَنِيّتـــه ففـــاتـــا

كـــلٌّ تُصَبِّحـــه المنـــ　　　ـيّـــةُ أو تُبَيِّتُـــه بَيـــاتـــا

قال: فلمّا نهَض تَبِعتُه فقبضت عليه في الصَّحْن أو في الدِّهْليز، فكتبتها عنه.

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: قال حدّثني عليّ بن مَهْدِيّ قال حدّثني الجاحظ عن ثُمَامَة قال:

/ دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده: [٤/٥٣]

مـــا أحســـنَ الـــدنيـــا وإقبـــالَهـــا　　　إذا أطـــاع اللّـــهَ مَـــنْ نـــالَهـــا

مَـــنْ لـــم يُـــواسِ النـــاسَ مـــن فضلهـــا　　　عَـــرَّض لـــلإدبـــار إقبـــالَهـــا

فقال له المأمون: ما أجود البيتَ الأوّل! فأمّا الثاني فما صنعتَ فيه شيئاً، الدنيا تُدبِر عمن واسَى منها أو ضَنّ

---

(١) اللاطئة: قلنسوة صغيرة تلطأ بالرأس.

بها، وإنما يُوجِب السماحةُ بها الأجرَ، والضنُّ بها الوِزْرَ. فقال: صدقتَ يا أمير المؤمنين، أهلُ الفضلِ أوْلَى بالفضل، وأهل النقصِ أولى بالنقص. فقال المأمون: ادْفَعْ إليه عَشَرةَ آلاف درهم لاعترافه بالحق. فلمّا كان بعد أيام عاد فأنشده:

كـم غـافـلٍ أوْدَى بـه الـمـوتُ ... لـم يـأخُـذِ الأُهـبَـةَ للفَـوْتِ
مَـنْ لـم تَـزُلْ نعمتُـه قبلَـه ... زال[1] عـن النعمـة بـالمـوتِ

فقال له: أحسنتَ! الآن طَيَّبْتَ المعنى؛ وأمر له بعشرين ألف درهم.

تأخرت عنه عادة المأمون سنة فقال شعراً فأعجلها له:

أخبرني أحمد بن العبّاس العَسْكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدّثني ابنُ سِنَانٍ[2] العِجْليّ عن الحسن بن عَائِذ قال:

كان أبو العتاهية يَحُجّ في كلّ سنة، فإذا قدِم أَهْدَى إلى المأمون بُرْداً ومِطْرَفاً ونعلاً سوداء ومَساوِيكَ أَرَاكٍ، فيبعَثُ إليه بعشرين ألف درهم. [وكان][3] يُوَصِّل الهديّة من جهته مِنْجابٌ مولى المأمون ويَجِيئه بالمال. فأهدى مرّةً له كما كان يُهدي كلّ سنة إذا قَدِم، فلم يُثِبْه ولا بعث إليه بالوظيفة. فكتب إليه أبو العتاهية:

[٤/٥٤] / خَبِّـرونـي أنّ مِـن ضَـرْب السَّنَـة ... جُـدُداً بِيضـاً وصُفْـراً حَسَنَـة
أُحْـدِثَـتْ لكنّنـي لـم أرهـا ... مِثْـلَ مـا كنـتُ أرى كـلَّ سَنَـة

فأمر المأمون بحمل العشرين ألف دِرهم، وقال: أغفلْناه حتى ذكّرنا.

كان الهادي واجداً عليه فلما تولى استعطفه:

حدّثنا محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا المُغيرة بن محمد المُهَلَّبيّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال أخبرني عُرْوة بن يوسف الثَّقفيّ قال:

لمّا وَلِي الهادي الخلافةَ كان واجداً على أبي العتاهية لمُلازمته أخاه هارونَ وانقطاعه إليه وتَرْكِه موسى، وكان أيضاً قد أمر أن يخرُج معه إلى الرَّيّ فأبى ذلك؛ فخافه وقال يَستعطفه:

ألاَ شَـافِـعٌ عنـد الخليفـةِ يَشْفَـعُ ... فيـدفَـعَ عنّـا شـرَّ مـا يُتَـوَقَّـعُ
وإنّـي علـى عُظْـمِ الـرجـاء لخـائـفٌ ... كـأنّ علـى رأسـي الأسِنَّـةَ تُشْـرَعُ
[١٥٣/٣] / يُـرَوِّعنـي مـوسـى علـى غيـر عَثْـرةٍ ... ومـالـي أرى[4] مـوسى مـن العفـوِ أَوْسَعُ
ومـا آمِـنٌ يُمسِـي ويُصبـح عـائـذاً ... بعفـو أميـر المـؤمنيـن يُـرَوَّع

(١) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «تذعر النعمة بالموت».
(٢) في أ، ء، م: «أبو سنان». ولم نقف على ما يرجح إحداهما.
(٣) هذه الكلمة ساقطة من ب، س، حـ.
(٤) كذا في جميع النسخ و«الديوان». ولعله: «لدى موسى».

مدح الهادي فأمر خازنه بإعطائه فمطله فقال شعراً في ابن عقال فعجلها له:

حدّثني الصُّولِيّ قال حدّثني عليّ بن الصبَّاح قال حدّثني محمد بن أبي العتاهية قال: دخل أبي على الهادي فأنشده:

يـا أمـيـنَ اللّـهِ مـا لـي ... لسـتُ أدري اليـومَ مـا لِـي
لـم أَنَـلْ منـك الـذي قـد ... نـال غيـري مـن نَـوالِ
تَبْـذُلُ الحـقَّ وتُعْطِـي ... عـن يميـنٍ وشِمـال
وأنـا البـائـسُ لا تَنـ ... ـظُـر فـي رِقّـةِ حـالـي

/ قال: فأمر المُعَلَّى الخازنَ أن يُعْطِيَه عشرةَ آلاف درهم. قال أبو العتاهية: فأتيته فأبى أن يُعطِيَها. ذلك أنّ الهادي امتحنني في شيءٍ من الشعر، وكان مَهيباً، فكنتُ أخافه فلم يُطِعني طَبْعي، فأمر لي بهذا المال، فخرجتُ. فلمّا مَنعنيه المُعَلَّى صِرتُ إلى أبي الوليد أحمد بن عِقال، وكان يُجالس الهادي، فقلت له: [٥٥/٤]

أَبْلِغْ سَلِمتَ أبا الوليدِ سَلامي ... عنِّـي أميـرَ المـؤمنيـن إمـامـي
وإذا فـرَغـتَ مـن السّلامِ فقـل لـه ... قـد كـان مـا شـاهـدتَ مـن إفحامـي
وإذا حَصِـرتُ[١] فليـس ذاك بمُبْطِـلٍ ... ما قـد مَضَـى مـن حُـرْمتي وذِمـامـي
ولطـالمـا وفَـدتْ إليـك مـدائحـي ... مخطـوطـةً فَلْيـاتِ[٢] كـلُّ مـلامِ
أيّـامَ لـي لَسَـنٌ ورِقّـةُ جِـدّةٍ ... والمـرءُ قـد يَبْلَـى مـع الأيّـامِ

قال: فاستخرج[٣] لي الدراهمَ وأنفذها إليّ.

كان الهادي واجداً عليه فلما تولى استعطفه ومدحه فأجازه:

حدّثني الصوليّ ومحمد بن عِمران الصيرفيّ قالا حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثنا محمد بن أحمد بن سليمان قال: وُلِد للهادي ولد في أوّل يوم وَلِي الخلافةَ؛ فدخل أبو العتاهية فأنشده:

أكثـرَ مـوسـى غيـظَ حُسّـادِه ... وزَيَّـنَ الأرضَ بـأولادِهِ
وجـاءنـا مـن صُلْبـه سَيِّـدٌ ... أَصْيَـدُ فـي تقطيـع أجـداده
فـاكتسـتِ الأرضُ بـه بَهْجـةً ... واستبشـر الملـكُ بميـلادِهِ
وابتسـم المِنْبَـرُ عـن فَـرْحـةٍ ... عَلَـتْ بهـا ذروةُ أعـواده
/ كـأنّنـي بعـد قليـلٍ بـه ... بيـن مَـوالِيـه وقُـوّادِهِ [٥٦/٤]
فـي محفِـلٍ تَخْفِـق رايـاتُـه ... قـد طَبَّـق الأرضَ بـأجنـادِهِ

قال: فأمر له موسى بألف دينار وطِيبٍ كثيرٍ، وكان ساخطاً عليه فرضِي عنه.

---

(١) الحصر: العيّ في المنطق.
(٢) في أ، ء، م: «فلتأت».
(٣) كذا في حـ، وفي سائر الأصول: «فاستخرج إليّ».

حضر غضب المهدي على أبي عبيد الله وترضاه عنه بشعر فرضي عنه:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال حدّثني عليُّ بن مَهْديّ قال حدّثني عليّ بن يزيد الخَزْرجيّ الشاعر عن يحيى بن الرَّبيع قال:

دخل أبو عُبَيد الله على المهديّ، وكان قد وجَد عليه في أمر بلَغه عنه، وأبو العتاهية حاضرٌ المجلسَ، فجعل المهديّ يشتُم أبا عُبيد الله ويتغيّظ عليه، ثم أمر به فجُرّ برِجله وحُبِس، ثم أطرق المهديّ طويلاً. فلمّا سكن أنشده ١٥٤/٣ / أبو العتاهية:

أرى الدُّنيا لمن هي في يَدَيْهِ عذاباً كلّما كَثُرتْ لدَيْهِ

تُهِين المُكْرِمين لها بصُغْرٍ[1] وتُكْرِم كلَّ من هانتْ عليهِ

إذا استَغنيْتَ عن شيءٍ فدَعْهُ وخُذْ ما أنت محتاجٌ إليهِ

فتبسّم المهديّ وقال لأبي العتاهية: أحسنتَ! فقام أبو العتاهية ثم قال: والله يا أميرَ المؤمنين، ما رأيتُ أحداً أشدَّ إكراماً للدّنيا ولا أصْونَ لها ولا أشَحَّ عليها من هذا الذي جُرّ برجله الساعةَ. ولقد دخلتُ إلى أمير المؤمنين ودخل هو وهو أعزّ الناس، فما بَرِحتُ حتى رأيتُه أذلّ الناس، ولو رضِي من الدنيا بما يَكفيه لاستوتْ أحوالُه ولم تتفاوت. فتبسّم المهديّ ودعا بأبي عُبيد الله فرَضِي عنه. فكان أبو عُبيد الله يشكر ذلك لأبي العتاهية.

مدح شعراً له بإسحاق بن حفص:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثني محمد بن الحسن قال حدّثني إسحاق بن حَفْص قال:

[٥٧/٤] / أنشدني هارون بن مُخَلَّد الرازيّ لأبي العتاهية:

ما إن يَطِيبُ لذي الرعاية[2] للـ ـأيّام لا لَعِبٌ ولا لَهْوُ

إذ كان يطْرب[3] في مَسرّته فيموت من أجزائه جُزو

فقلت: ما أحسنَهما! فقال: أهكذا تقول! والله لهما رُوحانيّان يطيران بين السماء والأرض.

فضله ابن مناذر على جميع المحدثين:

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي عن ابن عكْرِمة عن مسعود بن بِشْر المازنيّ قال:

لَقِيتُ ابنَ مُناذِر بمكة، فقلت له: مَنْ أشعرُ أهل الإسلام؟ فقال: أترى مَنْ إذا شئت هزَل، وإذا شئت جدّ؟ قلت: مَنْ؟ قال: مثلُ جَرير حين يقول في النَّسيب:

إنّ الذين غَدَوْا بلُبّك غادروا وَشَلاً بعينك ما يزال مَعِينَا

غَيّضْنَ من عَبَراتِهنّ وقُلْن لي ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا

(١) الصغر: الضيم والذل.

(٢) في س، ب: «الوعاية» بالواو وهو تحريف.

(٣) في «ديوانه» (ص ٢٩٨): «يسرف».

ثم قال حين جدّ:

إنّ الّـــذي حَـــرَمَ المَكـــارِمَ تَغلِبـــاً ... جعـــل النُّبـــوّةَ والخـــلافـــةَ فينـــا

مُضَـــرٌ أبـــي وأبـــو الملـــوك فهـــل لكـــم ... يـــا آل تَغلِـــبَ مـــن أبٍ كـــأبينـــا

هـــذا ابـــنُ عمّـــي فـــي دِمَشْـــقَ خليفـــةٌ ... لـــو شئـــتُ ســـاقكُـــم إلـــيّ قَطِينـــا[1]

ومن المُحْدَثِين هذا الخبيثُ الذي يتناول شعرَه من كُمِّه. فقلت: مَنْ؟ قال: أبو العتاهية. قلت: في ماذا؟ قال: قوله:

/ اللّـــهُ بينـــي وبيـــن مَـــوْلاتِـــي ... أَبْـــدَتْ لِـــيَ الصَّـــدَّ والمَـــلالاتِ [٥٨/٤]

لاَ تَغْفِـــرُ الـــذنـــبَ إن أســـاتُ ولا ... تقبَـــل عُـــذري ولا مُـــواتـــاتـــي

منحتُهـــا مُهجتـــي وخَـــالِصتـــي ... فكـــان هجـــرانُهـــا مُكـــافـــاتـــي

أَقلقنـــي حُبُّهـــا وصَيَّـــرنـــي ... أُحـــدوثـــةً فـــي جميـــع جَـــاراتـــي

ثم قال حين جدّ:

ومَهْمـــهٍ[2] قـــد قطعـــتُ طَـــامِسَـــه[3] ... قَفْـــرٍ علـــى الهَـــوْل والمُحـــامـــاةِ

/ بحُـــرَّةٍ[4] جَسْـــرةٍ عُـــذافِـــرةٍ ... خَـــوصـــاءَ عَيْـــرانـــةٍ عَلَنْـــداةِ [١٥٥/٣]

تُبـــادر الشمـــسَ كلّمـــا طلعـــتْ ... بـــالسَّيـــر تَبْغـــي بـــذاك مَـــرضـــاتـــي

يـــا نـــاقُ خُبّـــي بنـــا ولا تَعِـــدي ... نَفْسَـــك ممـــا تَـــرَيْـــنَ راحـــاتِ

حتّـــى تُنَـــاخـــيْ بنـــا إلـــى مَلِـــكٍ ... تَـــوَّجَـــه اللّـــهُ بـــالمَهَـــابـــاتِ

عليـــه تـــاجـــانِ فـــوق مَفْـــرقِـــهِ ... تـــاجُ جـــلالٍ وتـــاجُ إخْبـــاتِ[5]

يقـــول للـــرِّيـــح كلّمـــا عصَفـــتْ ... هـــل لـــكِ يـــا ريـــحُ فـــي مُبـــاراتـــي

مَـــنْ مثـــلُ مَـــنْ عمُّـــه الـــرســـولُ ومَـــنْ ... أخـــوالُـــه أكـــرمُ الخـــؤُولاتِ

عير إسحاق بن عزيز لقبوله المال عوضاً عن عبادة معشوقته:

أخبرني وَكِيع قال: قال الزُّبَير بن بَكّار حدّثني أبو غَزِيّة، وكان قاضياً على المدينة، قال: كان إسحاق بن عُزَيز يتعشّق عَبّادة جارية المُهَلَّبيّة، وكانت المهلبيّة مُنقطعةً إلى الخَيْزُران. فركِب إسحاق يوماً ومعه عبدالله بن مُصْعَب يُريدان المهديّ، فلقيا عَبّادة؛ فقال إسحاق: يا أبا بكر، هذه عبّادة، وحرّك دابّته حتى سبَقها فنظر إليها، / فجعل [٥٩/٤]

(١) القطين هنا: الخدم والأتباع.

(٢) المهمه: المفازة البعيدة.

(٣) الطامس هنا: البعيد.

(٤) الحرة من الإبل: العتيقة الأصيلة. والجسرة: العظيمة من الإبل وغيرها. والعذافرة: العظيمة الشديدة من الإبل. والخوصاء: وصف من الخوص وهو ضيق العين وصغرها وغؤورها. والعيرانة من الإبل: التي تشبه بالعير في سرعتها ونشاطها. والعلنداة: الناقة الضخمة الطويلة.

(٥) الإخبات: الخشية والخضوع.

عبدالله بن مُصعب يتعجّب من فِعله. ومضيا فدخلا على المهديّ، فحدّثه عبدالله بن مصعب بحديث إسحاق وما فعل. فقال: أنا أشتريها لك يا إسحاق. ودخل على الخَيْزُران فدعا بالمهلبيّة فحضرتْ، فأعطاها بعبّادة خمسين ألف درهم. فقالت له: يا أمير المؤمنين، إن كنتَ تُريدها لنفسك فبِها فداك الله، وهي لك. فقال: إنما أريدها لإسحاق بن عُزَيز. فبكت وقالت: أتُؤثِر عليّ إسحاق بن عُزَيز وهي يَدي ورجلي ولساني في جميع حوائجي! فقالت لها الخيزران عند ذلك: ما يُبكيك؟ والله لا وَصَلَ إليها ابنُ عُزَيز أبداً، صار يتعشّق جواريَ الناس! فخرج المهديّ فأخبر ابنَ عُزَيز بما جرى، وقال له: الخمسون ألف درهم لك مكانَها، وأمر له بها، فأخذها عن عبّادة. فقال أبو العتاهية يُعَيِّره بذلك:

مَـــنْ صَــدَقَ الحــبَّ لأحبـابــهِ ... فــإنّ حُــبّ ابــن عُــزَيْــزٍ غُــرورْ
أنســـاه عبّـــادةَ ذاتَ الهـــوى ... وأذهــبَ الحــبَّ الــذي فــي الضميــرْ
خمســـون ألفـــاً كلُّهـــا راجِـــحٌ ... حُسْنـاً لهـا فـي كـل كِيـسٍ صَـريـرْ

وقال أبو العتاهية في ذلك أيضاً:

حُبُّـــك للمـــال لا كحبـــك عبَّـ ... ـــادةَ يـــا فـــاضـحَ المُحبّينـــا
لـــو كنـــتَ أصفيتَهـــا الــوِدادَ كمـــا ... قُلْـــتَ لَمَـــا بِعْتَهـــا بخمسينـــا

طال وجع عينه فقال شعراً:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني جَبَلة بن محمد قال حدّثني أبي قال:

رأيتُ أبا العتاهية بعد ما تَخَلّص من حَبْس المهديّ وهو يلزَم طبيباً على بابنا ليكحَل عينه. فقيل له: قد طال وَجَع عينِك؛ فأنشأ يقول:

[٤/٦٠]

/ صوت

أيـــا وَيْـحَ نفسي وَيْحَها ثـــم وَيْحَهـــا ... أمَـا مـن خَـلاصٍ مـن شِبـاك الحبـائـلِ
أيـا ويـحَ عينـي قـد أضَـرّ بهـا البُكـا ... فلـم يُغنِ عنهـا طِـبٌّ مـا فـي المكـاحـلِ

١٥٦/٣ / في هذين البيتين لإبراهيم الموصليّ لحنٌ من الثقيل الأوّل.

كان الهادي واجداً عليه لاتصاله بهارون فلما ولي الخلافة مدحه فأجزل صلته:

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال:

كان الهادي وَاجِداً على أبي العتاهية لمُلازمته أخاه هارونَ في خلافة المهديّ، فلمّا ولي موسى الخلافةَ، قال أبو العتاهية يمدَحه:

صوت

يضطـــرب الخـــوفُ والـــرجـــاء إذا ... حَـــرّك مـــوســـى القضيـــبَ أو فَكّـــرْ
مـــا أبْيَـــنَ الفضـــلَ فـــي مُغَيَّـــبِ مـــا ... أوْردَ مـــن رأيـــه ومـــا أصْـــدَرْ

ـ في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكل لحن من الثقيل الأوّل في نهاية الجَوْدة، وما بان به فضلُه في الصّناعة ـ:

فكم تَرَى عَزَّ عند ذلك مِنْ ... مَعْشَرِ قومٍ وذَلَّ مِنْ مَعْشَرْ
يُثمِر مِنْ مَسِّه القضيبُ ولو ... يَمَسُّه غيرُه لَمَا أثْمَرْ
مَنْ مِثلُ موسى ومثلُ والدِه الـ ... ـمهديّ أو جَدِّه أبي جَعفرْ

قال: فرضي عنه. فلمّا دخل عليه أنشده:

لَهْفي على الزمن القصير ... بين الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ
إذ نحن في غُرَف الجنا ... نِ نَعُومُ في بحرِ السُّرورِ
في فتية ملكوا عنا ... نَ الدهر أمثال الصُّقور
/ ما منهمُ إلاّ الجَسو ... رُ على الهوى غيرُ الحَصُورِ [٤/٦١]
يَتَعاوَرُون مُدامةً ... صهباءَ من حَلَب العَصيرِ
عَذراءَ ربّاها شُعا ... عُ الشمسِ في حَرِّ الهَجيرِ
لم تُدْنَ من نارٍ ولم ... يَعْلَقْ بِها وَضَرُ القُدورِ
ومُقَرْطَقٍ يمشي أمَا ... مَ القومِ كالرَّشَأ الغَريرِ
بزُجاجةٍ تَستخرجُ التـ ... ـعبيرَ الدّفينَ من الضمير
زهراءَ مثلِ الكوكب الـ ... ـدُّرّيّ في كَفّ المُدِيرِ
تَدعُ الكريمَ وليس يَد ... ري ما قَبِيلٌ من دَبيرٍ[١]
ومُخَصَّراتٍ[٢] زُرْنَنا ... بعد الهُدوّ من الخُدور
رَيَّا[٣] رَوَادِفُهنّ يَلْـ ... ـبَسْنَ الخواتمَ في الخُصور
غُرِّ الوُجوه محجَّبا ... تٍ قاصراتِ الطَّرف حُور
مُتَنَعِّماتٍ في النَّعيـ ... ـمِ مُضَمَّخاتٍ بالعَبيرِ
يَرفُلْنَ في حُلَلِ المَحا ... سِنِ والمجَاسدِ[٤] والحرير
ما إن يَرَيْنَ الشمسَ إلاّ الفَرْطَ[٥] من خَلَل السُّتور

---

(١) القبيل: ما وليك. والدبير: ما خالفك. يقولون: لا يعرف قبيله من دبيره، ولا يدري قبيلاً من دبير، أي لا يعرف شيئاً.

(٢) مخصرات: دقيقات الخصور.

(٣) رياهنا: ممتلئة.

(٤) المجاسد: جمع مجسد، وهو القميص الذي يلي البدن.

(٥) كذا في أكثر الأصول. والفرط: الحين؛ يقال: لا ألقاه إلا في الفرط، أي في الأيام مرة. وفي ب، س: «القرط» بالقاف، وهو تصحيف.

وإلــى أميــنِ اللَّـــهِ مَهـ ــرَ بُنـا مـن الـدّهـر العَثُـورِ
وإليــه أتعبْنـــا المطـــا يَـا بـالـرّواح وبـالبُكـور
/ صُعْـرَ الخُـدود كـأنّمـا جُنِّحْـنَ أجنحـةَ النُّسـورِ
/ مُتَسَـرْبِـلاتٍ بـالظَّـلا مِ علـى السُّهـولـة والـوُعـور
حتّـى وَصَلْـنَ بنـا إلـى رَبّ المـدائـن والقُصـور
مـا زال قبـلَ فِطـامِـه فـي سـنّ مُكتهِـلٍ كبيـر

١٥٧/٣ [٦٢/٤]

ـ قال: قيل لو كان جَزْل اللفظ لكان أشعر الناس ـ فأجزل صلته. وعاد إلى أفضل ما كان له عليه.

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثني الكُرّانيّ عن أبي حاتم قال:

قَدِم علينا أبو العتاهية في خلافة المأمون. فصار إليه أصحابُنا فاستنشدوه، فكان أوّل ما أنشدهم:

ألم تَـرَ رَيْـبَ الـدّهـر فـي كـلّ ساعـةٍ لـه عـارضٌ[١] فيـه المنيّـة تلمَـع
أيـا بـانِـي الـدُّنيـا لغيـرك تَبتنِـي ويـا جـامـعَ الـدنيـا لغيـرك تَجْمَـعُ
أرى المـرءَ وَثّـابـاً علـى كـل فُـرْصـةٍ وللمـرء يـومـاً لا مَحـالـةَ مَصْـرعُ
تبـاركَ مَـنْ لا يَملِـك المُلْـكَ غيـرُهُ متـى تنقضـي حـاجـاتُ مـن ليـس يَشبَـعُ
وأيُّ امـرىءٍ فـي غـايـةٍ ليـس نفسُـه إلـى غـايـةٍ أخـرى سـواهـا تَطَلَّـع

قال: وكان أصحابنا يقولون: لو أنّ طَبْعَ أبي العتاهيةِ بجزالة لفظٍ لكان أشعرَ الناس.

تمثل الفضل بشعر له حين انحطت مرتبته في دار المأمون:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويَهْ قال حدّثني سليمان بن جعفر الجَزَريّ قال حدّثني أحمد بن عبدالله قال:

كانت مَرْتَبة أبي العتاهية مع الفضل بن الربيع في موضع واحد في دار المأمون. فقال الفضل لأبي العتاهية: يا أبا إسحاق، ما أحسنَ بيتين لك وأصدقَهما! قال: وما هما؟ قال: قولك:

[٦٣/٤]

/ مـا النّـاسُ إلا لِلكثِيـر المـالِ أو لمُسَلَّـطٍ مـا دام فـي سُلْطـانـهِ
فـإذا الـزمـانُ رمـاهمـا بِبَليّـةٍ كـان الثّقـاتُ هنـاك مـن أعـوانـهِ

يعني: من أعوان الزمان. قال: وإنما تَمثّل الفضلُ بن الرّبيع بهذين البيتين لانحطاط مرتبتِهِ في دار المأمون وتَقدُّمِ غيره. وكان المأمون أمر بذلك لتحريره[٢] مع أخيه.

كان ملازماً للرشيد فلما تنسك حبسه ولما استعطفه أطلقه:

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال:

---

(١) العارض: الأصل فيه السحاب المعترض في الأفق.

(٢) لعل أصل الكلام «لتحريره نفسه مع أخيه» فسقطت من الناسخ أو حذفها المؤلف للعلم بها.

قال لي محمد بن أبي العتاهية: كان أبي لا يُفارق الرشيدَ في سَفَرٍ ولا حَضَر إلا في طريق الحجّ، وكان يُجري عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمَعَاوِن. فلمّا قدِم الرشيدُ الرَّقّة، لبِس أبي الصوفَ وتزهّد وترك حُضورَ المُنادمة والقول في الغزل، وأمر الرشيدُ بحبسه فحُبس؛ فكتب إليه من وقته:

صوت

أنـا اليـومَ لـي والحمـدُ لله أشْهُـرُ ... يَـرُوح علـيّ الهَـمُّ منكـم ويَبْكُـرُ

تَـذَكَّـرْ أمِيـنَ الله حَقّـي وحُـرْمتـي ... ومـا كنـتَ تُـولينـي لعلـك[1] تَـذْكُـرُ

ليـالـيَ تُـدْنـي منـك بـالقُـرْبِ مجلسـي ... ووجهُـك مـن مـاء البشـاشـةِ يَقْطُـرُ

فمَـنْ لـيَ بـالعيـن التـي كنـتَ مـرّةً ... إلـيّ بهـا فـي سـالِـف الـدهـرِ تَنظُـرُ

/ قال: فلمّا قرأ الرشيد الأبيات قال: قولوا له: لا بأس عليك. فكتب إليه:

١٥٨ / ٣

[٤/ ٦٤]

/ صوت

أرِقـت وطـار عـن عَيْنـي النُّعـاسُ ... ونـام السـامـرون ولـم يُـوَاسُـوا

أمِيـنَ الله أمْنُـك خيـرُ أمـنٍ ... عليـك مـن التُّقَـى فيـه لِبـاسُ

تُسـاس مـن السمـاء بكـلّ بِـرٍّ ... وأنـت بـه تَسُـوس كمـا تُسـاسُ

كـأنّ الخَلْـقَ رُكِّـبَ فيـه رُوحٌ ... لـه جَسَـدٌ وأنـت عليـه رَاسُ

أمِيـنَ الله إنّ الحَبْـسَ بـأسٌ ... وقـد أرْسلـتَ[2]: ليـس عليـك بـاسُ

ـ غنّى في هذه الأبيات إبراهيم، ولحنه ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. وفيه أيضاً ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ ـ قال: وكتب إليه أيضاً في الحبس[3]:

وكلّفتنـي مـا حُلْـتَ بينـي وبينـه ... وقلـتَ سـأبغـي مـا تـريـد ومـا تهـوى

فلـو كـان لـي قلبـانِ كَلّفـتُ واحـداً ... هـواك وكلّفـت الخَلِـيّ لِمـا يَهْـوَى

قال: فأمر بإطلاقه.

حدّثني عمّي قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني الزبير بن بكّار قال حدّثني ثابت بن الزُّبير بن حبيب قال حدّثني ابن أُخت أبي خالد الحَرْبيّ قال:

قال لي الرشيد: احْبِسْ أبا العتاهية وضَيِّقْ عليه حتى يقولَ الشعرَ الرقيق في الغزل كما كان يقول. فحبستُه في بيتٍ خمسة أشبارٍ في مثلها؛ فصاح: الموت، أخْرِجوني، فأنا أقول كلَّ ما شئتم. فقلت: قُلْ. فقال: حتى أتنفّس. فأخرجته وأعطيته دواةً وقِرْطاساً؛ فقال أبياته التي أوّلها:

---

(١) كذا في «الديوان» (ص ٣٢٦) وأشير في هامشه إلى رواية أخرى هي: «كذلك يذكر». وفي جميع النسخ: «الذلك يذكر».

(٢) في «الديوان»: «وقد وقعت».

(٣) في أ،ء، م: «من الحبس».

[٤/٦٥] / صوت

مَــنْ لعبــدٍ أذلّــه مــولاهُ ... مــا لــه شــافــعٌ إليــه سِــواهُ
يَشتكــي مــا بــه إليــه ويخشــا ... هُ ويــرجــوه مثــل مــا يخشــاهُ

قال: فدفعتُها إلى مَسرور الخادم فأوْصلها، وتقدّم الرشيد إلى إبراهيم الموصليّ فغنّى فيها، وأمر بإحضار أبي العتاهية فأحضر. فلما أُحضر قال له: أَنشِدْني قولَك:

صوت

يــا عُتْــبَ سيّــدتــي أمَــا لَــكِ دِيــنُ ... حتّــى متــى قلبــي لــديــكِ رَهيــنُ
وأنــا الــذّلــولُ لكــلّ مــا حمّلتِنــي ... وأنــا الشقــيُّ البــائــسُ المسكيــنُ
وأنــا الغــداةَ لكــلّ بــاكٍ مُسعِــدٌ ... ولكــلّ صَــبٍّ صــاحــبٌ وخَــدِيــنُ
لا بــأسَ إنّ لــذاك عنــدي راحــةً ... لِلصَّــبّ أن يَلْقَــى الحــزيــنَ حــزيــنُ
يــا عُتْــبَ أيــن أفِــرُّ منــك أميــرتــي ... وعلــيّ حِصْــنٌ مــن هَــواكِ حصيــنُ

ـ لإبراهيم في هذه الأبيات هَزَجٌ عن الهِشاميّ ـ فأمر له الرشيد بخمسين ألف درهم.

ولأبي العتاهية في الرشيد لمّا حبسه أشعارٌ كثيرة، منها قوله:

يــا رشيــدَ الأمــرِ أرشِــدْنــي إلــى ... وجــهِ نُجحِــي لاعَــدِمــتَ الــرَّشَــدَا
/ لا أراكَ اللّــهُ سُــوءاً أبــداً ... مــا رأتْ مثلَــك عيــنٌ أحــدَا
أَعِــنِ[1] الخــائــفَ وارحَــمْ صــوتَــه ... رافعــاً نحــوَكَ يــدعــوك يَــدَا
وَابــلائــي مــن دَعــاوَى أمــلٍ ... كلّمــا قلــتُ تَــدانَــي بَعُــدَا
كــم أُمَنّــي بِغَــدٍ بعــد غــدٍ ... يَنفَــدُ العمــرُ ولــم ألْــقَ غــدَا

[٣/١٥٩]

[٤/٦٦] / هجا القاسم بن الرشيد فضربه وحبسه ولما اشتكى إلى زبيدة بره الرشيد وأجازه:

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني عليّ بن مَهْدِيّ قال حدّثني الحُسين بن أبي السَّرِيّ قال:

مرّ القاسم بن الرشيد في مَوْكِبٍ عظيم وكان من أتْيَهِ الناس، وأبو العتاهية جالسٌ مع قوم على ظهر الطريق، فقام أبو العتاهية حين رآه إعظاماً له، فلم يَزَلْ قائماً حتى جاز، فأجازه ولم يلتفت إليه؛ فقال أبو العتاهية:

يَتِيــهُ ابــنُ آدم مــن جهلــهِ ... كــأنّ رَحَــا المــوت لا تَطْحَنُــهْ

فسمع بعضُ مَنْ في موكبه ذلك فأخبر به القاسمَ؛ فبعث إلى أبي العتاهية وضربه مائة مقْرَعةٍ[2]، وقال له: يا

(١) كذا في جميع النسخ و «الديوان». ولعله: «آمن الخائف».
(٢) المقرعة: السوط.

ابنَ الفاعلة! أتَعَرَّض بي في مثل ذلك الموضع! وحبَسه في داره. فدسَّ أبو العتاهية إلى زُبَيْدة بنت جعفر، وكانت تُوجِب[1] له [حقَّه][2]، هذه الأبيات:

حتّى متى ذُو التِّيه في تِيهِهِ ... أصلحه اللَّهُ وعافاهُ
يَتِيه أهلُ التِّيه من جهلهم ... وهم يموتون وإن تاهُوا
مَنْ طلب العِزَّ لِيبقَى به ... فإنَّ عِزَّ المرء تَقْواهُ
لم يعتصم بالله من خلقه ... مَنْ ليس يَرْجُوه ويَخْشاهُ

وكتب إليها بحالة وضيق حبسه، وكانت مائلةً إليه، فرثَتْ[3] له وأخبرت الرشيد بأمره وكلّمته فيه؛ فأحضره وكساه ووصله، ولم يرْضَ عن القاسم حتى برّ أبا العتاهية وأدناه واعتذر إليه.

/ مدح الرشيد والفضل فأجازاه: [٦٧/٤]

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ: قال حدّثني عليُّ بن مهديّ قال حدّثني محمد بن سهل عن خالد بن أبي الأزهر قال:

بعث الرشيدُ بالْحَرَشيّ[4] إلى ناحية المَوْصِل، فجبى له منها مالاً عظيماً من بقايا الخراج، فوافَى به باب الرشيد، فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواريه، فاستعظم الناسُ ذلك وتحدّثوا به؛ فرأيتُ أبا العتاهية وقد أخذه شِبْهُ الجنون، فقلتُ له: مالك وَيْحك؟! فقال لي: سبحان الله! أيُدْفَع هذا المال الجليل إلى امرأة، ولا تتعلّق كفِّي بشيء منه! ثم دخل إلى الرشيد بعد أيّام فأنشده:

اللَّهُ هَوّنَ عندك الدّنيا وبَغَّضها إليكا
فأبَيْتَ إلاّ أن تُصَغِّر كلَّ شيء في يَديكا
ما هانتِ الدُّنيا على ... أحدٍ كما هانت عَلَيْكا

فقال له الفضل بن الربيع: يا أمير المؤمنين، ما مُدِحَتِ الخلفاء بأصدَق من هذا المدح. فقال: يا فضل، أَعْطِه عشرين ألف درهم. فغدا أبو العتاهية على الفضل فأنشده:

إذا ما كنتَ مُتَّخِذاً خليلاً ... فمثلُ الفضلِ فاتَّخِذِ الخليلاَ
يرى الشُّكْرَ القليلَ له عظيماً ... ويُعطي من مَواهبه الجزِيلاَ
/ أراني حيثُما يَمَّمتُ طَرْفي ... وجدتُ على مَكارمه دليلاَ [١٦٠/٣]

فقال له الفضل: والله لولا أنّ أُساوِيَ أميرَ المؤمنين لأعطيتُك مثلها، ولكن سأُوصلها إليك في دَفَعات، ثم أعطاه ما أمر له به الرشيد، وزاد له خمسةَ آلاف درهم من عنده.

---

(١) كذا في حـ وهو المناسب؛ يقال: أوجب لفلان حقه إذا راعاه، وفي سائر النسخ: «توجه له» وليس لها معنى.
(٢) زيادة يقتضيها السياق.
(٣) كذا في ب، س. وفي سائر النسخ: «فرثت له».
(٤) في الأصول: «المجرشي». ولم نجد هذا الاسم. ولعله محرف عما أثبتناه، وهو سعيد الحرشي الذي كان معاصراً للرشيد وكان يقوم له بأعمال هامة.

[٦٨/٤] / سمع علي بن عيسى شعره وهو طفل فأعجب به:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا المُبَرِّد قال حدّثني عبد الصمد بن المُعَذَّل قال:

سمعتُ الأميرَ عليَّ بنَ عيسى بن جعفر يقول: كنت صبيًّا في دار الرشيد، فرأيت شيخاً يُنشد والناسُ حوله:

ليس للإنسان إلّا ما رُزِقْ ... أستعينُ اللّهَ بالله أَثِقْ

عَلِقَ الهمُّ بقلبي كلُّه ... وإذا ما علِق الهمّ عَلِقْ

بأبي مَنْ كان لي من قلبه ... مَرَّةً وُدٌّ قليلٌ فسَرِقْ

يا بني[(١)] الإسلام فيكم مَلِكٌ ... جامعُ الإسلام عنه يَفْتَرِقْ

لَنَدَى هارونَ فيكم وَلَهُ ... فِيكُم صَوْبٌ هَطُولٌ ووَرِقْ

لم يَزَلْ هارونُ خيراً كلّه ... قُتِل الشّرُّ به يومَ خُلِقْ

فقلتُ لبعض الهاشميّين: أمَا ترى إعجابَ الناس بشِعْرِ هذا الرجل؟ فقال: يا بُنَيّ، إنّ الأعناقَ لتُقْطَع دون هذا الطبع. قال: ثم كان الشيخ أبا العتاهية، والذي سأله إبراهيمَ بن المهديّ.

استعطف الرشيد وهو محبوس فأطلقه:

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثني عبد القويّ بن محمد بن أبي العتاهية عن أبيه قال:

لبِس أبو العتاهية كساءَ صُوفٍ ودُرّاعةَ صُوفٍ، وآلَى على نفسه ألَّا يقول شعراً في الغَزَل، وأمر الرشيدُ بحبسه والتضييقِ عليه؛ فقال:

[٦٩/٤] / صـوت

يا بنَ عمِّ النبي سمعاً وطاعه ... قد خلعنا الكساء والدُّرّاعه

ورجَعْنا إلى الصِّناعة لمّا ... كان سُخْطُ الإمام تَرْكَ الصِّناعة

وقال أيضاً:

أمَا رَحِمْتِني يومَ وَلَّتْ فَأَسْرعتْ ... وقد تركْتِني واقفاً أتلفَّتُ

أُقَلِّبُ طَرْفي كي أراها فلا أرى ... وأحلِبُ عيني دَرَّها وأُصَوِّتُ

فلم يَزَلِ الرشيد مُتوانياً في إخراجه إلى أن قال:

أمَا والله إنّ الظلم لُومُ ... وما زال المُسِيء هو الظَّلُومُ

إلى دَيّانِ يومِ الدِّين نَمْضِي ... وعند الله تَجتمع الخصومُ

(١) ورد هذا البيت في «ديوانه» (ص ٣١٤) وكذا فيما سيأتي (ص ٧٤) من هذا الجزء هكذا:

يا بني العباس فيكم ملك ... شعب الإحسان عنه تفترق

لأمـرٍ مـا تَصَـرَّفـتِ الليـالـي ... وأمـرٍ مـا تُـوُلِّيـتِ[1] النُّجـومُ

تمـوت غـداً وأنـت قَـرِيـرُ عيـنٍ ... مـن الغَفَـلات فـي لُجَـجٍ تَعـومُ

تنـامُ ولـم تَنَـمْ عنـك المنـايـا ... تَنَبَّـهْ للمنيَّـة يـا نَـؤُومُ

سَـلِ الأيـامَ عـن أمَـمٍ تَقَضَّـتْ ... ستُخبـرك المَعـالـمُ والـرُّسُـومُ

تَـروم الخُلْـدَ فـي دار المنـايـا ... وكـم قـد رام غيـرُكَ مـا تـرومُ

/ ألا يـا أيُّهـا الملـك المُـرَجَّـى ... عليـه نَـواهِـضُ الـدنيـا تَحـومُ

أَقِلْنِـي زَلَّـةً لـم أجْـرِ منهـا ... إلـى لَـومٍ ومـا مثلـي مَلـومُ

وخَلِّصْنـي تُخَلَّـصْ يـومَ بَعْـثٍ ... إذا للنـاس بُـرِّزت[2] الجَحِيـمُ

فرَقَّ له وأمر بإطلاقه.

١٦١/٣

/ حديثه عن شعره ورأي أبي نواس فيه: [٤/٧٠]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ: قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني ابن أبي الأبيض قال:

أتيتُ أبا العتاهية فقلت له: إنّي رجلٌ أقول الشعرَ في الزُّهد، ولي فيه أشعارٌ كثيرة، وهو مذهب أَستحسِنه؛ لأني أرجو ألاّ آثَمَ فيه، وسمعت شعرك في هذا المعنى فأحببت أن أستزيدَ منه، فأُحِبّ أن تُنشدني من جَيِّد ما قلتَ؛ فقال: اعلَمْ أنّ ما قلته رديء. قلت: وكيف؟ قال: لأنّ الشعر ينبغي أن يكون مثلَ أشعار الفحول المتقدّمين أو مثلَ شعر بشّار وابن هَرْمة، فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظُه مما لا تخفَى على جُمهور الناس مثل شعري، ولا سيما الأشعارُ التي في الزُّهد؛ فإن الزُّهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رُواة الشعر ولا طُلاّب الغريب، وهو مذهب أَشغَفُ الناس به الزُّهَادُ وأصحاب الحديث والفقهاءُ وأصحاب الرِّياء والعامّة، وأعجبُ الأشياء إليهم ما فهِموه. فقلت: صدقتَ. ثم أنشدني قصيدتَه:

لِـدُوا للمـوت وابْنُـوا للخـراب ... فكلّكُـم يَصيـر إلـى تَبـابٍ[3]

ألا يـا مـوتُ لـم أر منـك بُـدًّا ... أتيـتَ ومـا تَحِيـفُ ومـا تُحـابـي

كـأنّـك قـد هَجَمْـتَ علـى مَشِيبـي ... كمـا هجـم المشيـبُ علـى شَبـابـي

قال: فصِرتُ إلى أبي نُوَاس فأعلمتُه ما دار بيننا؛ فقال: والله ما أحسب في شعره مثلَ ما أنشدك بيتاً آخر. فصرت إليه فأخبرته بقول أبي نواس؛ فأنشدني قصيدتَه التي يقول فيها:

/ طُـولُ التَّعـاشُـرِ بيـن النّـاس مَمْلـولُ ... مـا لابـنِ آدمَ إن فَتّشْـتَ معقـولُ [٤/٧١]

يـا راعـيَ الشّـاءِ[4] لا تُغْفِـلْ رِعـايتهـا ... فـأنـت عـن كـلّ مـا استُرْعِيـتَ مسـؤول

(١) توليت النجوم (بالبناء للمفعول): أي تولاها الله، فتطلع ثم تغيب بتأثير قدرته. ولا يصح بناء الفعل للفاعل إلا مع ضرورة قبيحة وهي عدم حذف لام الفعل مع تاء التأنيث وقلبها ياء.

(٢) في أ: «سعرت»، وفي هامشها كما في الأصل.

(٣) التباب: الهلاك.

(٤) في أ، ء، م: «يا راعي الناس». وفي «الديوان»: «يا راعي النفس».

إنّـي لَفِـي مَنـزلٍ مـا زِلـتُ أعمُـره ... علـى يَقيـنٍ بـأنّـي عنـه منقـولُ
وليـس مـن مَـوْضِـعٍ يـأتيـه ذو نَفَسٍ ... إلاّ وللمـوتِ سَيـفٌ فيـه مَسْلـولُ
لـم يُشْغَـلِ المـوتُ عنّـا مـذ أُعِـدّ لنـا ... وكلّنـا عنـه بـاللـذّات مَشغـولُ
ومَـنْ يَمُـتْ فهـو مَقْطـوعٌ ومُجْتَنَـبٌ ... والحـيُّ مـا عـاش مَغْشِـيٌّ ومَـوْصـولُ
كُـلُّ مـا بـدا لـك فـالآكـالُ فـانِيـةٌ ... وكُـلُّ ذي أُكُـلٍ لا بُـدَّ مَـأكـولُ

قال: ثم أنشدني عدّة قصائد ما هي بدون هذه، فصِرتُ إلى أبي نُوَاس فأخبرته؛ فتغيّر لونُه وقال: لِمَ خَبَّرْتَه بما قلتُ! قد والله أجاد!ولم يَقُلْ فيه سوءاً.

كان أبو نواس يجله ويعظمه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْهِ قال حدّثني عليّ بن عبدالله بن سعد قال حدّثني هارون بن سَعْدان مولى البَجَلِيِّين قال:

كنتُ مع أبي نُواس قريباً من دُور بني نِيبَخْت[1] بنهر طابَق[2] وعنده جماعةٌ، فجعل يَمُرّ به القُوّاد والكُتّاب وبنو هاشم فيُسَلِّمون عليه وهو مُتّكِىءٌ ممدودُ الرجل لا يتحرّك لأحدٍ منهم، حتى نظرنا إليه قد قبض رِجليه ووثَب وقام إلى شيخٍ / قد أقبل على حمارٍ له، فاعتنق أبا نواس ووقف أبو نواس يُحادثه، فلم يزل واقفاً معه يُراوِح بين رجليه يرفع رجلاً ويضع أخرى، ثم مضى الشيخ ورجع إلينا أبو نواس وهو يتأوّه. فقال له بعضُ مَنْ حضر: والله لأنت أشعرُ منه. فقال: والله ما رأيتُه قطّ إلا ظننت أنه سَماءٌ وأنا أرض.

[٤/٧٢] / رأي بشار فيه:

قال محمد بن القاسم حدّثني عليّ بن محمد بن عبدالله الكوفيّ قال حدّثني السَّرِيّ بن الصَّبّاح مولى ثَوْبَان بن عليّ قال:

كنتُ عند بَشّار فقلتُ له: مَنْ أشعرُ أهل زماننا؟ فقال: مُخَنَّثُ أهل بغداد (يعني أبا العتاهية).

عزى المهدي في وفاة ابنته فأجازه:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى المُنَجِّم إجازةً: قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الخَزْرَجِيّ الشاعر قال حدّثني عبدالله بن أيّوب الأنصاريّ قال حدّثني أبو العتاهية قال:

ماتت بنتُ المهديّ فحزِن عليها حُزناً شديداً حتى امتنع من الطعام والشراب، فقلت أبياتاً أُعَزّيه بها؛ فوافيته وقد سَلا وضحك وأكل وهو يقول: لا بدّ من الصبر على ما لا بدّ منه، ولئن سَلَوْنا عمن فقدنا لَيَسْلُوَنَّ عنّا من يَفْقِدنا، وما يأتي الليلُ والنهارُ على شيء إلا أبْلَيَاه. فلمّا سمعتُ هذا منه قلت: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي أن أُنشدك؟ قال هاتِ؛ فأنشدته:

مـا للجـديـدَيـن لا يَبْلَـى اختـلافُهمـا ... وكـلُّ غَـضٍّ جـديـدٍ فيهمـا بـالِـي

(١) كذا في حـ. وقد وردت محرفة في سائر النسخ.
(٢) نهر طابق: محلّة كانت ببغداد من الجانب الغربيّ.

١٦٢/٣

يـا مَـنْ سـلا عـن حبيـبٍ بعـد مِيتتـه ... كـم بعد موتك أيضاً عنك مِنْ سـالي
كـأنّ كـلّ نعيـم أنـت ذائقُـه ... مـن لـذّة العيـش يحكـي لُمعَةَ الآلِ
لا تلعَبَنَّ بـك الـدنيـا وأنـت تـرى ... مـا شئـتَ مـن عِبَـرٍ فيهـا وأمثـال
مـا حِيلـةُ المـوت إلاّ كُـلّ صـالحـةٍ ... أولاً فمـا حِيلـةٌ فيـه لمُحتـالِ

فقال لي: أحسنتَ ويحك! وأصبتَ ما في نفسي ووعظت وأوْجزت! ثم أمر لي لكلّ بيت بألف درهم.

[٤/٧٣]

/ حبسه الرشيد مع إبراهيم الموصليّ ثم أطلقهما:

أخبرني محمد بن عمْران الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثني أحمد بن خَلّاد قال حدّثني أبي قال:

لمّا مات موسى الهادي قال الرشيد لأبي العتاهية: قُلْ شعراً في الغَزَل؛ فقال: لا أقول شعراً بعد موسى أبداً، فحبَسه. وأمر إبراهيمَ المَوْصِليّ أن يغنّي؛ فقال: لا أُغَنّي بعد موسى أبداً، وكان مُحسِناً إليهما، فحبسه. فلمّا شخَص إلى الرَّقّة حفَر لهما حَفِيرةً واسعةً وقطَع بينهما بحائطٍ، وقال: كونَا بهذا المكان لا تخرُجا منه حتى تَشعُر أنت ويُغَنّي هذا. فصَبَرا على ذلك بُرْهةً. وكان الرشيد يشرب ذاتَ يومٍ وجعفرُ بـن يحيـى معه، فغنَّتْ جاريةٌ صوتاً فاستحسناه وطرِباً عليه طَرَباً شديداً، وكان بيتاً واحداً. فقال الرشيد: ما كان أحوجه إلى بيتٍ ثانٍ ليطولَ الغِناءُ فيه فنَستَمتع مدّةً طويلة به! فقال له جعفر: قد أصبتَه. قال: من أين؟ قال: تبعَث إلى أبي العتاهية فيُلحِقه به لقُدْرته على الشعر وسرعته. قال: هو أنكدُ من ذلك، لا يُجيبنا وهو محبوس ونحن في نعيم وطربٍ. قال: بلى! فاكتُبْ إليه حتى تعلَم صحّة ما قلتُ لك. فكتب إليه بالقِصّة وقال: ألحِقْ لنا بالبيت بيتاً ثانياً[1]. فكتب إليه أبو العتاهية:

شُغِـلَ المسكيـنُ عـن تلـك المِحَـنْ ... فـارَقَ الـرُّوحَ وأخلَـى مـن بـدن
/ ولقـد كُلِّفـتُ أمـراً عَجبـاً ... أنـأَلُ التَّفـريحَ[2] مـن بيت الحَزَنْ

١٦٣/٣

فلمّا وصلتْ قال الرشيد: قد عرّفتك أنه لا يفعل. قال: فتُخرِجه حتى يفعل. قال: لا! حتى يشعُر؛ فقد حلَفتُ. فأقام أياماً لا يفعل. قال: ثم قال أبو العتاهية لإبراهيم: إلى كم هذا نُلاجُّ الخلفاء! هَلُمّ أَقُلْ شعراً وتُغَنّ فيه. فقال أبو العتاهية:

[٤/٧٤]

/ بـأبـي مَـنْ كـان فـي قلبـي لـه ... مـرّةً حُـبٌّ قليـلٌ فسُـرِقْ[3]
يـا بنـي العبّـاس فيكـم مَلِـكٌ ... شُعَـبُ الإحسـان منـه تفتـرِقْ
إنّمـا هـارونُ خيـرٌ كلُّـه ... مـات كـلّ الشـرّ مُـذْ يـوم خُلِـقْ

وغنّى فيه إبراهيم. فدعا بهما الرشيد؛ فأنشده أبو العتاهية وغنّاه إبراهيم، فأعطى كلَّ واحد منهما مائة ألف درهم ومائةَ ثوب.

حدّثني الصُّوليّ بهذا الحديث عن الحسين بن يحيى عن عبدالله بن العبّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع، فقال فيه:

---

(١) في حـ: «آخر».
(٢) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «التفريج» بالجيم.
(٣) تقدّم هذا الشعر في ص ٦٨ من هذا الجزء مع اختلاف في الرواية.

غضِب الرشيد على جاريةٍ له فحلَف ألاّ يدخُل إليها أيّاماً، ثم ندِم فقال:

صَــدَّ عنّــي إذ رآنــي مُفْتَتَــنْ ... وأطــال الصَّــدَّ لمّــا أن فَطَــنْ

كــان مَملـوكي فـأضحـى مـالكـي ... إنّ هـذا مـن أعـاجيـب الـزَّمـنْ

وقال لجعفر بن يحيى: اطلُبْ لي مَنْ يَزيدُ على هذين البيتين. فقال له: ليس غيرُ أبي العتاهية. فبَعث إليه فأجاب بالجواب المذكور، فأمر بإطلاقه وصلَته. فقال: الآن طاب القولُ؛ ثم قال:

عِـزَّةُ الحِـبّ أرتْـه[1] ذِلّتـي ... فـي هـواه ولـه وجـهٌ حَسَـنْ

ولهــذا صِـرتُ مملـوكـاً لـه ... ولهـذا شَـاعَ مـا بـي وعَلَـنْ

فقال: أحسنتَ والله وأصبتَ ما في نفسي! وأضْعَف صلتَه.

شعره في ذم الناس:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الهَيْثَم بن عثمان قال حدّثني شَبِيب بن منصور قال:

[٧٥/٤] / كنتُ في الموقِف واقفاً على باب الرشيد، فإذا رجلٌ بَشِع الهيئة على بغل قد جاء فوقف، وجعل الناسُ يُسَلِّمون عليه ويُسائلونه ويُضاحكونه، ثم وقف في الموقِف، فأقبل الناس يَشْكُون أحوالَهم: فواحد يقول: كنت مُنقطِعاً إلى فلان فلم يصنع بي خيراً، ويقول آخر: أمّلت فلاناً فخاب أملي وفعل بي، ويشكو آخرُ من حاله؛ فقال الرجل:

فَتّشْـتُ ذي الـدنيـا فليـس بهـا ... أحـدٌ أراه لآخَـرٍ حـامِـدْ

حتّـــى كـــأنّ النـــاسَ كلّهـــمُ ... قـد أُفـرِغـوا فـي قـالَـب واحـدْ

فسألتُ عنه فقيل: هو أبو العتاهية.

هجا سلما الخاسر بالحرص:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويَهْ قال حدّثني أحمد بن خَلاّد عن أبيه عن عبدالله بن الحسن قال: أُنشِد المأمونُ بيتَ أبي العتاهية يُخاطب سَلْماً الخاسر:

تَعـالـى الله يـا سَلْـم بـنَ عمـرٍو ... أذلَّ الحِـرصُ أعنـاقَ الـرجـالِ

[١٦٤/٣] فقال المأمون: إنّ الحرص لمُفسِدٌ للدّين والمروءة، والله ما عرفتُ من رجلٍ قطّ حِرْصاً ولا / شَرَهاً فرأيت فيه مُصْطَنَعاً. فبلغ ذلك سَلْماً فقال: ويلي على المخنَّث الجَرّار الزنديق! جمع الأموالَ وكنزَها وعبّأ البدورَ[2] في بيته ثم تَزهّد مُراءاةً ونِفاقاً، فأخذ يهتِف بي إذا تَصَدّيتُ للطلب.

---

(١) في أ، ء، م: «أرادت».

(٢) البدور: جمع بدرة، وهي كيس فيه ألف درهم أو عشرة آلاف درهم.

اقتص منه الجماز لخاله مسلم فاعتذر له:

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ المؤدِّب ومحمد بن عِمْران الصَّيْرفيّ قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثني محمد بن أحمد بن سليمان العَتَكيّ قال حدّثني العبّاس بن عبيد الله بن سِنَان بن عبد الملك بن مِسْمَع قال:

/ كنّا عند قُثَم بن جعفر بن سلمان وعنده أبو العتاهية يُنشد في الزهد، فقال قُثَم: يا عبّاس، اطلُبِ الساعةَ [٧٦/٤] الجَمّاز حيث كان، ولك عندي سَبَقٌ[1]. فطلبته فوجدته عند رُكن دار جعفر بن سليمان، فقلت: أَجِبِ الأمير؛ فقام معي حتّى أتى قُثَم؛ فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية يُنشده؛ فأنشأ الجَمّاز يقول:

ما أقبحَ التَّزهيدَ من واعظٍ ... يُزَهِّدُ النَّاسَ ولا يَزْهَدُ

لو كان في تزهيده صادقاً ... أضحى وأمسى بيتُه المسجدُ

يخاف أن تنفَدَ أرزاقُه ... والرزق عند الله لا ينفَدُ

والرزق مقسومٌ على مَنْ ترى ... ينالُه الأبيضُ والأسودُ

قال: فالتفت أبو العتاهية إليه فقال: مَنْ هذا؟ قالوا: [هذا][2] الجمّاز وهو ابن أختِ سَلْم الخاسر، اقتصّ لخاله منك. فأقبل عليه وقال: يا بن أخي، إني لم أذهب حيث ظننتَ ولا ظنّ خالُك، ولا أردتُ أن أهتِف به؛ وإنما خاطبته كما يُخاطب الرجلُ صديقَه، فالله يغفِر لكما؛ ثم قام.

غناه مخارق بشعره:

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني محمد بن أحمد بن خَلَف الشِّمْرِيّ عن أبيه قال:

كنتُ عند مُخارِق، فجاء أبو العتاهية في يوم جمعة فقال: لي حاجةٌ وأريد الصلاةَ؛ فقال مُخارق: لا أبرحَ حتّى تعود. قال: فرجَع وطرح ثيابَه، وهي صوفٌ، وغسل وجهه، ثم قال له: غَنِّني:

[٧٧/٤]

/ صوت

قال لي أحمدٌ ولم يدرِ ما بي ... أتُحِبُّ الغداةَ عُتْبَةَ حقّا

فتنفَّستُ ثم قلتُ نعم حُبّاً ... جرى في العُروق عِرْقاً فعِرْقا

فجذَب مُخارق دواةً كانت بين يديه فأَوْقع عليها ثم غَنّاه؛ فاستعاده ثلاثَ مَرّاتٍ فأعاده عليه، ثم قام وهو يقول: لا يَسمع والله هذا الغناءَ أحدٌ فيُفْلح. وهذا الخبر رواية محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْهِ عنه.

وحدّثنا [به][3] أيضاً في كتاب هارون بن عليّ بن يحيى عن ابن مهرويه عن ابن عَمّار قال حدّثني أحمد بن يعقوب عن محمد بن حَسّان الضَّبّيّ قال حدّثنا مُخارق قال:

---

(١) أصل السبق (بالتحريك) الخطر يوضع بين أهل السباق، وهو ما يتراهنون عليه.

(٢) زيادة عن حـ.

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ب، س.

لقيني أبو العتاهية فقال: بلغني أنك خَرَّجْتَ قولي:

قال لي أحمدٌ ولم يَدْرِ ما بي ... أتُحِبُّ الغداةَ عُتْبَةَ حَقَّا

فقلت نعم. فقال: غَنِّه. فمِلْتُ معه إلى خَرَابٍ، فيه قوم فقراء سكّان، فغَنَّيْتُه إياه؛ فقال: أحسنتَ والله! منذ ابتدأتَ حتّى سكتَّ؛ ثم قال لي: أمَا ترى ما فعل الملك بأهل هذا الخراب!

شعره في تبخيل الناس:

أخبرني جَحْظَة قال حدّثني مَيْمُون بن هارون قال:

١٦٥/٣ قال مُخارِق: لَقِيتُ أبا العتاهية على الجِسْر، / فقلت له: يا أبا إسحاق، أتُنشدني قولَك في تَبْخيلك الناسَ كلِّهم؟ فضحِك وقال لي: هاهنا؟ قلت نعم. فأنشدني:

إن كنتَ مُتّخِذاً خليلاً ... فتَنَقَّ وانتقِدِ الخليلا

مَنْ لم يكن لك مُنصِفاً ... في الودّ فابْغِ به بديلا

ولَرُبّما سُئِل البخيـ ... ـلُ الشيءَ لا يَسْوَى فَتِيلا

/ فيقول لا أجد السبيـ ... ـلَ إليه يَكْرَهُ أن يُنِيلا [٧٨/٤]

فلِذاك لا جعَل الإلٰـ ... ـهُ له إلى خيرٍ سبيلا

فاضْرِبْ بطَرْفك حيث شئـ ... ـتَ فلن ترى إلاّ بخيلا

فقلتُ له: أفْرَطْتَ يا أبا إسحاق! فقال: فديتُك! فأكْذِبْني بجوادٍ واحد. فأحببتُ مُوافقتَه، فالتفتُّ يميناً وشمالاً ثم قلت: ما أجد. فقبّل بين عينيّ وقال: فديتُك يا بُنَيّ! لقد رَفَقْت حتى كِدتَ تُسرِف.

كان بعد تنسكه يطرب لحديث هارون بن مخارق:

أخبرني محمد بن خَلَف وكَيع قال حدّثني هارون بن مُخارِق قال:

كان أبو العتاهية لمّا نسَك يقول لي: يا بُنَيّ، حدّثني؛ فإن ألفاظَك تُطْرِب كما يُطرِب غِناؤُك.

جفاه أحمد بن يوسف فعاتبه بشعر:

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيْثَم الأنباريّ قال حدّثني أبو هَفَّان قال حدّثني موسى بن عبد الملك قال:

كان أحمد بن يوسف صديقاً لأبي العتاهية، فلمّا خدَم المأمونَ وخُصّ به، رأى منه أبو العتاهية جَفْوة، فكتب إليه:

أبا جعفرٍ إنّ الشريفَ يَشينه ... تَنايُهُه على الأخِلاّء بالوَفْرِ

ألم تر أنّ الفقر يُرجَى له الغنَى ... وأنّ الغِنى يُخشَى عليه من الفقر

فإن نِلتَ تِيهاً بالذي نهلْتَ من غنًى ... فإنّ غنايَ في التجمّل والصبر

قال: فبعث إليه بألفي درهم، وكتب إليه يعتذر مما أنكره.

طلب إليه أن يجيز شعراً فأجازه على البديهة:

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويَهْ قال حدّثني إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الكوفيّ قال حدّثني أبو جعفر المَعْبَديّ قال:

[٧٩/٤] / قلت لأبي العتاهية: أجِزْ لي قولَ الشاعر:

وكـــان المـــالُ يـــأتينـــا فكنّـــا نُبـــذّره وليـــس لنـــا عقـــولُ

فلمّـــا أن تـــولّـــى المـــالُ عنّـــا عَقَلْنـــا حيـــن ليـــس لنـــا فُضُـــولُ

قال: فقال أبو العتاهية على المكان:

فقصِّـــر مـــا تـــرى بـــالصّبـــر حقّـــا فكـــلٌّ إن صبـــرتَ لـــه مُـــزِيـــلُ

قال لابنه: أنت ثقيل الظل:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مُهْرُويَهْ قال حدّثني الحسن بن الفَضْل الزَّعْفَرَانيّ قال: حدّثني مَنْ سمع أبا العتاهية يقول لابنه وقد غضِب عليه: اذهَبْ فإنك ثقيلُ الظلّ جامد الهواء.

أهدى إلى الفضل نعلاً فأهداها للخليفة:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويَهْ قال حدّثني يَحيى بن خليفة الرّازي قال حدّثنا حَبيب بن الجَهْم النُّمَيْريّ قال:

حضرتُ الفضلَ بن الربيع مُتَنجِّزاً جائزتي وفَرْضي، فلم يدخل عليه أحدٌ قبلي، فإذا عَوْنٌ حاجبُه قد جاء فقال: هذا أبو العتاهية يُسَلِّم عليك وقد قدِم من مكة؛ فقال: أَعْفِني منه الساعةَ يشغَلُني عن ركوبي. فخرج إليه عَوْنٌ / فقال: إنّه على الرّكوب إلى أمير المؤمنين. فأخرَج من كُمّه نعلاً عليها شِراكٌ فقال: قل له إنّ أبا العتاهية أهداها ١٦٦/٣ إليك جُعِلتُ فداءك. قال: فدخل بها؛ فقال: ما هذه؟ فقال[1]: نعلٌ وعلى شراكها مكتوبٌ كتاب. فقال: يا حبيب، اقرأ ما عليها فقرأته فإذا هو:

نعـــلٌ بعثـــتُ بهـــا ليلبسَهـــا قَـــرْمٌ[2] بهـــا يمشـــي إلـــى المجـــدِ

لـــو كـــان يَصلُـــح أن أُشَـــرِّكهـــا[3] خـــدّي جعلـــتُ شِـــراكَهـــا خـــدّي

[٨٠/٤] / فقال لحاجبه عَوْن: احمِلْها معنا، فحملها. فلمّا دخل على الأمين قال له: يا عبّاسيّ، ما هذه النّعل؟ فقال: أهداها إليّ أبو العتاهية وكتب عليها بيتين، وكان أمير المؤمنين أَوْلى بلُبْسها لِما وصف به لابسها. فقال: وما هما؟ فقرأهما. فقال: أجاد والله! وما سبَقه إلى هذا المعنى أحد، هَبُوا له عشرة آلاف درهم. فأخرجتْ والله في بَدْرة وهو راكب على حماره، فقبضها وانصرف.

---

(١) في الأصول: «قال: فدخلت بها؛ فقال: ما هذه؟ فقلت».

(٢) القرم (بالفتح) هنا: السيد العظيم. ولتلبسها قدم بها تمشي».

(٣) أشركها: أجعل لها شراكاً. والشراك: سير النعل على ظهر القدم.

قيل إنه كان من أقل الناس معرفة:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مُهْرَوَيْهَ قال حدّثنا إسماعيل[١] بن عبدالله الكوفيّ قال حدّثنا عمروس[٢] صاحب الطعام وكان جارَ أبي العتاهية، قال:

كان أبو العتاهية من أقلّ الناس معرفةً، سمعتُ بِشْراً المرِّيسيّ يقول له: يا أبا إسحاق، لا تُصلِّ خلفَ فلانٍ جارِك وإمامِ مسجدِكم؛ فإنه مُشَبِّه[٣]. قال: كلّا! إنّه قرأ بنا البارحةَ في الصّلاة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ وإذا هو يظنّ أنّ المشبّه لا يقرأ ﴿قُلْ هو آلله أحد﴾.

شكا إليه بكر بن المعتمر ضيق حبسه فكتب إليه شعراً:

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مَهْرَوَيْهَ قال حدّثني أحمد بن يعقوب الهاشميّ قال حدّثني أبو شَيخ منصور بن سليمان عن أبيه قال:

كتب بَكْر بن المُعْتَمِر إلى أبي العتاهية يشكو إليه ضِيقَ القَيْد وغمّ الحبس؛ فكتب إليه أبو العتاهية:

[٨١/٤]

/ هـــيَ الأيّـــام والعِبَـــرُ وأمـــرُ الله يُنْتَظَـــرُ
أتَيْـــأس أن تـــرى فـــرجـــاً فـــأيـــن اللّـــهُ والقَـــدَرُ

ذمّه الخيلاء وشعره في ذلك:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابنُ مَهْرُويه قال حدّثنا أحمد بن عُبَيْد بن ناصح قال:

كنت أمشي مع أبي العتاهية يدُه في يدي وهو متكىء عليّ ينظر إلى الناس يذهبون ويجيئون، فقال: أمَا تراهم هذا يَتيه فلا يتكلم، وهذا يتكلم بصَلَفٍ! ثم قال لي: مرَّ بعض أولاد المهلَّب بمالك بن دينار وهو يَخطِرُ، فقال: يا بُنَيّ، لو خَفَّضتَ بعضَ هذه الخُيَلاء ألم يكن أحسنَ بك من هذه الشُّهرة التي قد شهَرت بها نفسك؟! فقال له الفتى: أوَ ما تعرِف مَنْ أنا! فقال له: بلى! والله أعرِفك معرفة جيدة، أوّلُك نطفة مَذِرة[٤]، وآخرك جِيفةٌ قَذِرة، وأنت بين ذينك حامِلٌ عَذِرة. قال: فأرخى الفتى أُذنيه وكفّ عما كان يفعل وطَأطَأ رأسَه ومشى مُسترسِلاً. ثم أنشدني أبو العتاهية:

أيـــا واهـــاً لـــذِكـــر اللّـــــهِ يـــا واهـــاً لـــه واهَـــا
لقـــد طَيَّـــب ذِكـــرُ اللّـــــهِ بـــالتسبيـــح أفـــواهـــا

---

(١) في أ، ء، م: «ابن إسماعيل بن عبدالله».

(٢) في ء، م: «عمرو بن صاحب الطعام».

(٣) المشبه: الذي يرى رأي المشبهة، وهم فرقة من الشيعة يقولون: إن معبودهم صورة ذات أعضاء وأبعاض إما روحانية وإما جسمانية، ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن. وقد حكى أن جماعة منهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة، وأن المخلصين من المسلمين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حدّ الإخلاص والاتحاد المحض. (انظر كتاب «الملل والنحل» للشهرستانيّ طبع أوروبا ص ٧٥).

(٤) مذرة: قذرة.

فيا أنتن من حُشٍّ[1] على حشٍّ إذا تاها
أرى قوماً يتيهون حُشوشاً[2] رُزقوا جاها

/ مدح إسماعيل بن محمد شعره واستنشده إياه: [٨٢/٤]

حدّثني اليَزيديّ عن عمه إسماعيل بن محمد بن أبي محمد قال.

قلت لأبي العتاهية وقد جاءنا: / يا أبا إسحاق، شعرُك كلُّه حَسَنٌ عجيب، ولقد مرّت بي منذُ أيام أبياتٌ لك ١٦٧/٣ استحسنتها جداً؛ وذلك أنها مقلوبةٌ أيضاً، فأواخرُها كأنها رأسُها، لو كتبها الإنسان إلى صديق له كتاباً والله لقد كان حسناً أرفعَ ما يكون شعراً. قال: وما هي؟ قلت:

المرءُ في تأخير مُدّته كالثوب يَخلُق بعبد جِدّتِه
وحياتُه نَفَسٌ يُعَدّ له ووفاتُه استكمالُ عِدّته
ومصيرُه من بعد مُدّته لِبِلًى[3] وذا من بعد وُحْدته
مَنْ مات مَالَ ذوو مودّته عنه وحالوا عن مودّتِه
أزِفَ الرحيلُ ونحن في لَعِبٍ ما نستعِدّ له بِعُدّته
ولقلّما تُبْقِي الخطوبُ على أثَرِ الشّبابِ وحَرِّ وقْدته
عَجَباً لمنتبِهٍ يُضَيّع ما يحتاج فيه ليوم رَقْدته

شبه أبو نواس شعراً له بشعره:

قال اليزيديّ: قال عمّي وحدّثني الحسين بن الضحّاك قال:

كنت مع أبي نُوَاس فأنشدني أبياته التي يقول فيها:

يا بني النقصِ والغِيَرْ وبني الضعف والخَوَرْ

فلمّا فرَغ منها قال لي: يا أبا عليّ، والله لكأنها من كلام صاحبك (يعني أبا العتاهية).

سأل أعرابياً عن معاشه ثم قال شعراً:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني حُذَيْفَة بن محمد الطائيّ قال حدّثني أبو دُلف القاسم بن عيسى العجْليّ قال:

/ حَجَجْت فرأيت أبا العتاهية واقفاً على أعرابيّ في ظل مِيلٍ[4] وعليه شَمْلةٌ[5] إذا غطّى بها رأسَه بدتْ [٨٣/٤]

(١) الحش (بتثليث أوّله): النخل المجتمع، ويكنى به عن بيت الخلاء لأنه كان من عادتهم التغوّط في البساتين، والجمع: حشوش. وفي «ديوان أبي العتاهية»: «... من زبل على زبل...».

(٢) في «الديوان»: «بهاما».

(٣) في ب، س و «ديوانه» ص ٥٦ طبع بيروت هكذا: «بَلْياً». وفي سائر الأصول هكذا: «بالياً». وقد رجحنا ما أثبتناه.

(٤) الميل: منار يبنى للمسافر في أنشاز الأرض وأشرافها.

(٥) الشملة: كساء مخمل دون القطيفة.

رِجلاه، وإذا غطّى رجليه بدا رأسُه. فقال له أبو العتاهية: كيف اخترت هذا البلَد القَفْر على البُلدان المُخصِبة؟ فقال له: يا هذا، لولا أن الله أقنع بعضَ العباد بشرّ البلاد، ما وَسِع خيرُ البلاد جميعَ العباد. فقال له: فمن أين مَعاشُكم؟ فقال: منكم معشرَ الحاجّ، تمرّون بنا فننال من فُضولكم، وتَنْصرفون فيكون ذلك. فقال [له][1]: إنما نمرّ ونَنْصرِف في وقت من السنة، فمن أين معاشُكم؟ فأطرق الأعرابيّ ثم قال: لا والله لا أدري ما أقول إلا أنّا نُرْزَقُ من حيث لا نَحتسب أكثرَ مما نُرزق من حيث نَحتسب. فولّى أبو العتاهية وهو يقول:

ألاَ يـا طـالـبَ الـدُّنيـا ... دَعِ الـدنيـا لشـانِيكَـا

ومـا تصنَـعُ بـالـدنيـا ... وظِـلُّ الميـل يَكْفِيكَـا

شتمه سلم لما سمع هجوه فيه:

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال:

لمّا قال أبو العتاهية:

تعـالـى اللّـهُ يـا سَلْـمُ بـنَ عَمْـرٍ ... أذلّ الحـرصُ أعنـاقَ الـرجـالِ

قال[2] سَلم: ويلي على ابن الفاعلِة! كَنَز البُدور ويزعُم أنّي حريصٌ وأنا في ثوبيّ هذين!

كان عبدالله بن عبد العزيز يتمثل كثيراً بشعره:

أخبرني محمد بن مَزْيَد والحَرَميّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني عمرو بن أدعَج قال: قلت لعبدالله بن عبد العزيز العُمَريّ وسمعته يتمثّل كثيراً من شعر أبي العتاهية: أشهدُ أنّي سمعته يُنشد لنفسه:

[٨٤/٤]
١٦٨
٣

/ مَـرّتِ اليـومَ شـاطـرهْ ... بَضّـة الجسـم سـاخـرهْ

إنّ دُنيـا هـي التـي ... مـرّت اليـومَ سـافـرهْ

سَـرَقـوا نصـفَ اسمهـا ... فَهْـيَ دنيـا وآخِـرهْ

فقال عبدالله بن عبد العزيز: وَكَله اللّهُ إلى آخرتها. قال: وما سُمع بعد ذلك يَتمثّل ببيتٍ[3] من شعره.

قال عليّ بن الحسين مؤلف هذا الكتاب: هذه الأبيات لأبي عُيَيْنة المُهَلّبيّ، وكان يُشَبّب بدنيا في شعره، فإما أن يكون الخبرُ غلطاً، وإما أن يكون الرجل أنشدها العُمَريّ لأبي العتاهية وهو لا يعلم أنّها ليست له.

موازنة بينه وبين أبي نواس:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل قال:

قال لي الحِرْمازِيّ: شهِدتُ أبا العتاهية وأبا نُوَاس في مجلس، وكان أبو العتاهية أسرع الرجلين جواباً عند البديهة، وكان أبو نواس أسرعَهما في قول الشعر؛ فإذا تَعاطَيا جميعاً السرعةَ فضَله أبو العتاهية، وإذا توقّفا وتمهّلا فضَله أبو نواس.

(١) زيادة عن حـ.
(٢) في الأصول: «فقال».
(٣) في الأصول: «وما سمع بعد ذلك بيت يتمثل به...».

رأى من صالح المسكين جفوة فعاتبه فجاهره بالعداوة:

أخبرني أحمد بن العبّاس عن ابن عُلَيْل العنزيّ قال حدّثنا أبو أنَس كَثِيرُ بن محمد الحِزَاميّ قال حدّثني الزُّبَير بن بكّار [عن][1] مَعْروف العامِليّ قال:

قال أبو العتاهية: كنتُ منقطعاً إلى صالح المسكين، وهو ابنُ أبي جعفر المنصور، فأصبت في ناحيته مائةَ ألف درهم، وكان لي ودوداً[2] وصديقاً، فجئتهُ يوماً، وكان لي في مجلسه مَرْتَبَةٌ لا يجلس فيها غيري، فنظرت إليه قد قصّر بي عنها، وعاودتُه ثانيةً فكانت حاله تلك، ورأيت نظرَه إليّ ثقيلاً، فنهضتُ وقلت:

[٤/ ٨٥]

/ أراني صالحٌ بُغْضا ... فأظهرتُ له بُغْضا

ولا واللّهِ لا ينقُـ ... ـضُ إلا زدتُه نَقْضا

وإلاّ زِدتُه مقتاً ... وإلا زدته رفْضَا

ألاَ يا مُفْسِدَ الودّ ... وقد كان له محضا

تغضبتَ مِنَ الريح ... فما أطلُب أن تَرْضَى

لئن كان لك المالُ الـ ... ـمُصفى إنّ لي عِرْضَا

قال أبو العتاهية: فنُمي الكلامُ إلى صالح فنادى بالعداوة؛ فقلت فيه:

مَدَدْتُ لمُعْرِضٍ حَبْلاً طويلاً ... كأطول ما يكون من الحِبَالِ

حبالِ بالصَّريمة ليس تَفْنَى ... مُوَصَّلَةٍ على عَدد الرمال

فلا تنظُرْ إليّ ولا تُرِدْني ... ولا تُقْرِبْ حبالَك من حبالي

فليت الرَّدْمَ[3] من يأجوجَ بيني ... وبينَك مثبتاً أُخرَى الليالي

فكَرِشْ[4] إن أردتَ لنا كلاماً ... ونقطع قِحْفَ[5] رأسِك بالقَذَال[6]

استنشده مساور شعراً في جنازة فأبى:

حدّثني أحمد بن عبَيد الله بن عمّار قال حدّثنا عليُّ بن سليمانَ النَّوْفَليّ قال: قال مُسَاوِر السبّاق، وأخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير عن مُسَاوِر السبّاق قال:

شَهِدتُ جنازةً في أيّام الحاجّ وقت خروج الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن الحسن[7] المقتول بفَخّ[8]، فرأيتُ رجلاً قد حضر الجنازةَ معنا وقد قال لآخر: هذا / الرجل الذي / صِفَتُه كذا وكذا أبو العتاهية.

[٤/ ٨٦]
١٦٩
٣

(١) زيادة يقتضيها السياق. وفي حـ: «الزبير بن معروف العاملي».

(٢) في حـ، ب: «ودّاً». والود (مثلث الواو): الكثير الود، كالودود.

(٣) الردم: سدّ يأجوج ومأجوج.

(٤) كرّش الرجل: قطب وجهه.

(٥) القحف: العظم الذي فوق الدماغ من الجمجمة. وقيل لا يسمى قحفاً حتى ينفلق من الجمجمة فيبين.

(٦) كذا في حـ. والقذال: جماع مؤخر الرأس ما بين نقرة القفا إلى الأذن. وفي سائر الأصول: «بالقتال» بالتاء المثناة من فوق.

(٧) في طبعة بولاق: الحسن بن علي بن الحسين بن الحسن بن الحسين.

(٨) فخ: واد بمكة، وهو فيما قيل: وادي الزاهر.

فالتفت إليه فقلتُ له: أنت أبو العتاهية؟ فقال: لا، أنا أبو إسحاق. فقلت له: أَنْشِدْني شيئاً من شعرك؛ فقال لي: ما أحمقَكَ! نحن على سَفَرٍ وعلى شَفِير قَبْر، وفي أيام العشر، وببلدكم هذا تَستنشدني الشعر! ثم أَدْبَرَ عنّي ثم عاد إليّ فقال: وأُخرى أَزِيدُكها، لا والله ما رأيت في بني آدم قطُّ أسمجَ منك وجهاً!

قال النوفليّ في خبره: وصدق أبو العتاهية، كان مُساوِرٌ هذا مُقَبَّحاً طويلَ الوجه كأنّه ينظُر في سيف.

حجبه حاجب يحيى بن خاقان فقال شعراً فاسترضاه فأبى:

أخبرني عمّي الحسن بن محمد وجَحْظَة قالا حدّثنا مَيْمونُ بن هارونَ قال:

قدِم أبو العتاهية يوماً منزلَ يحيى بن خَاقَانَ، فلمّا قام بادر له الحاجب فانصرف. وأتاه يوماً آخرَ فصادفه حين نزل، فسلّم عليه ودخل إلى منزله ولم يأذَنْ له؛ فأخذ قِرْطاساً وكتب إليه:

أراكَ تُراعُ حين تَرى خَيالي ... فما هذا يَرُوعك من خيالي
لعلّك خائفٌ منّي سؤالاً ... ألا فلَكَ الأمانُ مِنَ السؤالِ
كَفَيْتُك إنّ حالَك لم تَمِلْ بي ... لأطلُبَ مثلَها بَدَلاً بحالي
وإنّ اليُسْرَ مثلُ العُسْر عندي ... بأيّهما مُنِيتُ فلا أُبالي

فلمّا قرأ الرُّقعةَ أمر الحاجبَ بإدخاله إليه، فطلبه فأبى أن يرجِع معه، ولم يَلْتقِيا بعد ذلك.

كان بينه وبين أبي الشمقمق شرّ:

أخبرني عبدالله بن محمد الرّازيّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائنيّ قال:

[٤/٨٧] / اِجتمع أبو نواس وأبو الشَّمَقْمَق في بيت ابن أُذَيْن، وكان بين أبي العتاهية وبين أبي الشَّمَقْمَق شرٌّ، فخبّؤه من أبي العتاهية في بيت. ودخل أبو العتاهية فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيثٌ[1]، فظنّ أنّه جاريةٌ، فقال لابن أُذَيْن: متى استطرفتَ[2] هذه الجارية؟ فقال: قريباً يا أبا إسحاق، فقال: قُلْ فيها ما حضَر؛ فمدّ أبو العتاهية يدَه إليه وقال:

مددتُ كفّي نحوَكم سائلاً ... ماذا تَرُدُّون على السائلِ

فلم يَلْبَثْ أبو الشمقمق حتى ناداه من البيت:

نَرُدّ في كفّك ذا فَيْشَةٍ ... يَشْفِي جوًى في اسْتِك من داخلِ

فقال أبو العتاهية: شمقمق والله! وقام مُغْضَباً.

استنشد ابن أبي أمية شعره ومدحه:

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنا عليّ بن محمد النَّوْفَليّ قال حدّثني سليمانُ بن عَبّاد قال حدّثنا سليمان بن مُناذر قال:

كنّا عند جعفر بن يحيى وأبو العتاهية حاضرٌ في وسط المجلس؛ فقال أبو العتاهية لجعفر: جعلني الله فداك!

(١) فيه تأنيث: فيه لينٌ وتَخنُّثٌ.

(٢) استطرفت: استحدثت. وفي الأصول: «متى استظرفتها» بالمعجمة.

معكم شاعرٌ يُعْرَف بابن أبي أُميّة أُحِبّ أن أسمعَه يُنْشِد؛ فقال له جعفر: هو أقربُ الناس منك. فأقبل أبو العتاهية على محمد، وكان إلى جانبه، وسأله أن يُنْشِدَه، فكأنّه حَصِر ثم أنشده:

صوت

رُبّ وعدٍ منك لا أنساه لي　　　أوْجَبَ الشكرَ وإن لم تَفعلِ

أَقطَعُ الدهرَ بوعدٍ حَسَنٍ　　　وأُجلّي غَمْرَةً ما تَنْجَلي

كلّما أمّلتُ وعداً صالحاً　　　عَرَض المكروهُ دونَ الأملِ

/ وأرى الأيّامَ لا تُدْنِي الذي　　　أرْتَجي منك وتُدْني أجلي ١٧٠/٣

/ ـ في هذه الأبيات لأبي حَبَشة رَمَلٌ ـ قال: فأقبل أبو العتاهية يُرَدّد البيت الأخير ويُقبّل رأسَ ابن أبي أميّة [٤/٨٨] ويَبكي، وقال: وَدِدْتُ والله أنّه لي بكثيرٍ من شِعْري.

لم يرض بتزويج ابنته لمنصور بن المهدي:

أخبرني حَبيبُ بن نَصْر قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال:

كانت لأبي العتاهية بنتان، اسم إحداهما «لله»، والأُخرى «بالله»؛ فخطَب منصورُ بن المهديّ «لله» فلم يُزوّجه، وقال: إنما طلبها لأنّها بنتُ أبي العتاهية، وكأنّي بها قد مَلّها، فلم يكن لي إلى الانتصافِ منه سبيلٌ، وما كنت لأُزوّجها إلا بائع خَزَفٍ وجِرَارٍ، ولكنّي أختاره لها مُوسِراً.

كان له ابن شاعر:

وكان لأبي العتاهية ابنٌ يقالُ له محمد وكان شاعراً، وهو القائل:

قد أفْلَحَ السالِمُ الصَّمُوتُ　　　كَلامُ راعِي الكلامِ قُوتُ

ما كلُّ نُطْقٍ له جوابٌ　　　جوابُ ما يُكْرَهُ السُّكوتُ

يا عَجباً لامرىءٍ ظَلُومٍ　　　مُسْتَيقِنٍ أنّه يموت

سأله عبدالله بن الحسن بن سهل أن ينشده من شعره ففعل:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثنا زكريّا بن الحُسَين[1] عن عبدالله بن الحسن بن سَهْل الكاتب قال:

قلت لأبي العتاهية: أنشِدْني من شعرك ما تستحسن، فأنشدني:

ما أسرعَ الأيّامَ في الشّهرِ　　　وأسرَعَ الأشْهُرَ في العُمْرِ

(١) في حـ: «الحسن».

صوت

لـيـس لمـن ليسـتْ لـه حِيلـةٌ ... مـوجـودةٌ خيـرٌ مـن الصَّبْـرِ
فـاخـطُ مـع الـدهـر إذا مـا خطـا ... واجْـرِ مـع الـدهـر كمـا يَجْـرِي
مَـنْ سَـابَقَ الـدهـرَ كبـا كَبْـوةً ... لـم يَسْتَقِلْهـا آخِـرَ الـدهـر

لإبراهيم في هذه الأبيات خفيفُ ثَقيلٍ وثقيلٌ أوّل.

[٤/٨٩] / لما جفاه الفضل وصله ابن الحسن بن سهل:

قال عبدالله بن الحسن: وسمعتُ أبا العتاهية يُحدّث قال: ما زال الفضلُ بن الربيع من أمْيَلِ النّاس إليّ، فلمّا رجع من خُراسان بعد موت الرشيد دخلت إليه، فاستنشدني فأنشدتُه:

أفنيـتَ عمـرَك إدبـاراً وإقـبـالاَ ... تَبْغِـي البنيـن وتَبْغِـي الأهْـلَ والمـالاَ
الموتُ هَـوْلٌ فكُـنْ مـا شِئـتَ مُلْتمِساً ... مـن هَـوْلِـه حِيلـةً إن كنـتَ مُحتـالا
ألـم تَـرَ المَلِـكَ الأمْسِـيَّ حيـن مضـى ... هـل نـال حـيٌّ مـن الـدنيـا كمـا نـالاَ
أفنـاه مَـنْ لـم يَـزَلْ يُفْنِـي القُـرونَ فَقَـدْ ... أضحـى وأصبـح عنـه الملـكُ قـد زالا
كـم مـن ملـوكٍ مضـى رَيْبُ الزمـانِ بهـم ... فـأصبحـوا عِبَـراً فينـا وأمـثـالاَ

فاستحسنها وقال: أنت تَعرِف شُغْلي، فعُدْ إليّ في وقت فراغي اقعد معك وآنَسْ بك. فلم أزَلْ أراقِب أيّامَه حتى كان يومُ فراغه فصرتُ إليه؛ فبينما هو مُقبِلٌ عليّ يستنشدني ويسألني فأحدّثه، إذ أنشدتُه:

ولّـى الشبـابُ فمـا لـه مـن حِيلـةٍ ... وكَسَـا ذُؤَابَتِـيَ المشيـبُ خِمـارَا
أيـن البـرامكـةُ الـذيـن عَهِـدْتُهـمْ ... بـالأمـسِ أعظـمَ أهْلِهـا أخـطـارا

١٧١/٣ / فلمّا سمع ذكرى البرامكة تَغيّر لونُه ورأيتُ الكراهيةَ في وجهه، فما رأيت منه خيراً بعد ذلك.

قال: وكان أبو العتاهية يُحَدّث هذا الحديثَ ابن الحسن بن سَهْل؛ فقال له: لئن كان ذلك ضَرّك عند الفَضْل بن الربيع لقد نفَعك عندنا؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وأجْرَى له كلَّ شهر ثلاثة آلاف درهم، فلم يزل يَقْبَلها دَارّةً إلى أن مات.

عاتب مجاشع بن مسعدة فردّ عليه من شعره:

قال عبدالله بن الحسن بن سهل: وسمعت عمرو بن مَسْعَدة يقول: قال لي أخي مُجاشع: بينما أنا في بيتي إذ جاءتني رُقعةٌ من أبي العتاهية فيها:

[٤/٩٠] / خَليـلٌ لـي أُكـاتِمـه ... أرانـي لا أُلائِمُـه
خليـلٌ لا تَهُـبّ الـرِّيـ ... ـحُ إلاّ هـبّ لائمـهُ
كـذا مَـنْ نـال سلطـانـاً ... ومـن كَثُـرتْ دراهمـهُ

قال: فَبعثتُ إليه فأتاني، فقلت له: أمَا رَعَيْتَ حقًّا ولا ذِماماً ولا موَدّة! فقال لي: ما قلتُ سوءاً. قلتُ: فما

حمَلك على هذا؟ قال: أَغِيبُ عنك عشرةَ أيّام فلا تسألُ عنّي ولا تبعَثُ إليّ رسولاً! فقلت: يا أبا إسحاق، أنَسِيتَ قولك:

يَـــأبَـى المُعَلَّـــق بـــالمُنَـــى ... إلاّ رَواحـــــاً وادّلاجَـــــا
أرْفُـــقْ فعمـــرُك عُـــودُ ذي ... أَوَدٍ رأيـــتُ بـــه اعـــوجـــاجَـــا
مَـــنْ عَـــاج مـــن شـــيءٍ إلـــى ... شـــيءٍ أصـــاب لـــه مَعَـــاجـــا

فقال: حسبُك! حسبُك! أوسعْتَني عُذْراً.

عاب شعر ابن مناذر لاستعماله الغريب، فخجل:

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ الزّارع قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزِيّ قال حدّثني محمد بن عِمْران بن عبد الصّمد الزّارع قال حدّثنا ابن عائشة قال:

قال أبو العتاهية لابن مُناذر[1]: شعرك مُهَجَّن لا يَلْحَق بالفحول، وأنت خارجٌ عن طبقة المُحْدَثين. فإن كنت تَشْبهت بالعَجّاج ورُؤْبة فما لَحِقتَهما ولا أنت / في طريقهما، وإن كنت تذهب مَذْهَبَ المُحْدَثين فما صنعتَ شيئاً. [٩١/٤] أَخْبِرْني عن قولك:

* ومَـــنْ عـــاداك لاقَـــى المَـــرْمَـــرِيسَـــا[2] *

أَخْبِرْني عن المرمريس ما هو؟ قال: فخجِل ابن مناذر وما راجعه حَرْفاً. قال: وكان بينهما تَنَاغُر[3].

عرف عبيد الله بن إسحاق بمكة وسأله أن يجيز شعره:

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثني الحُسَين بن إسماعيل المَهْديّ قال حدّثني رَجَاء بن سَلَمة قال:

وَجَد المأمونُ عليّ في شيء، فاستأذنتُه في الحجّ فأذن لي، فقَدِمتُ البصرة وعُبيد الله بن إسحاق بن الفضل الهاشميّ[4] عليها وإليه أمرُ الحجّ، فزاملتُه إلى مكة. فبينا نحن في الطَّواف رأيت أبا العتاهية، فقلت لعُبيد الله: جُعِلْتُ فِداك! أتُحِبّ أن ترى أبا العتاهية؟ فقال: والله إنّي لأحِبُّ أن أراه وأعاشِرَه. قلت: فافرُغْ من طَوافك واخْرُجْ، ففعل. فأخذتُ بيد أبي العتاهية فقلت له: يا أبا إسحاق، هل لك في رجلٍ من أهل البصرة شاعرٍ أديب ظريف؟

---

(١) في شرح «القاموس» مادة «نذر» ما نصه: و «ابن مناذر بالفتح ممنوع من الصرف ويضم فيصرف. قال الجوهريّ: هو محمد بن مناذر شاعر بصري، فمن فتح الميم منه لم يصرفه ويقول إنه جمع منذر؛ لأنه محمد بن المنذر بن المنذر بن المنذر، ومن ضمه صرفه» اهـ. وقد ورد في «معجم البلدان» لياقوت (ج ٤ ص ٦٤٤ طبع مدينة ليدن) ما يؤكد أنه بالضم ليس غير؛ قال: «ذكر المبرد أن محمد بن مناذر الشاعر كان إذا قيل ابن مناذر بفتح الميم يغضب ويقول: أمَناذر الكبرى أم مناذر الصغرى، وهما كورتان من كور الأهواز، إنما هو مُناذر على وزن مُفاعل من ناذر يناذر فهو مناذر، مثل ضارب فهو مُضارب». وقد ورد في «المشتبه في أسماء الرجال» للذهبيّ (ص ٤٥٧ طبع مدينة ليدن) بالضم أيضاً.

(٢) المرمريس: الداهية.

(٣) التناغر: التناكر. وفي حـ: «تباعد».

(٤) كذا في حـ،ء. وفي سائر النسخ: «الهشامي» وهو تحريف.

قال: وكيف لي بذلك؟ فأخذت بيده فجئتُ به إلى عُبيد الله، وكان لا يعرفه، فتحدّثنا ساعةً، ثم قال له أبو العتاهية: هل لك في بيتين تُجيزهما؟ فقال له عُبيد الله: إنه لا رَفَثَ ولا فُسوقَ ولا جِدالَ في الحجّ. فقال له: لاَ نَرْفُثُ ولا نفسُق ولا نُجادِل. فقال: هات إذاً. فقال أبو العتاهية:

[١٧٢/٣] / إنّ المنـونَ غُـدُوَّهـا ورَواحَهـا ... فـي النـاس دائبـة تُجيـل قِـداحَهـا

يـا سـاكـرَ الـدنيـا لقـد أوطنتَهـا ... ولَتَنـزَحـنّ وإن كَـرِهـت نـزَاحَهـا

[٩٢/٤] / فأطْرَق عُبيد الله ينظر إلى الأرض ساعةً، ثم رفع رأسه فقال:

خُـذْ لا أبـالـك للمنيّـة عُـدَّةً ... واحتَـلْ لنفسـك إن أردتَ صـلاحَهـا

لا تَغْتَـرِرْ فكـأنّنـي بعُقـاب رَيـ ... ـب الموت قد نَشَرتْ عليك جَنَاحَهَا

قال: ثم سمعتُ الناس يَنْحَلون أبا العتاهية هذه الأربعةَ الأبيات كلّها، وليس له إلاّ البيتان الأوّلان.

قصته في السجن مع داعية عيسى بن زيد:

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا مَيمون بن هارون قال حدّثني إبراهيم بن رَبَاح قال أخبرني إبراهيم بن عبدالله، وأخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا هارون بن مُخَارِق قال حدّثني إبراهيم بن دَسْكَرة، وأخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثني أحمد بن سُليمان بن أبي شَيخ قال:

قال أبو العتاهية: حبَسني[1] الرشيدُ لمّا تركتُ قولَ الشعر، فأدخِلتُ السجنَ وأغلِق البابُ عليّ، فدَهِشتُ كما يدهَش مثلي لتلك الحال، وإذا أنا برجل جالسٍ في جانب الحبس مُقَيّد، فجعلت أنظر إليه ساعةً، ثم تمثّل:

صوت

تَعـوّدتُ مُـرَّ الصبـر حتـى أَلِفْتُـهُ ... وأسلمنـي حسـنُ العَـزاء إلـى الصبـرِ

وصيّـرنـي يـأسـي مـن النّـاس راجيـاً ... لحُسْـن صنيـعِ الله مـن حيـثُ لا أدري

فقلت له: أعِدْ، يرحمك الله، هذين البيتين. فقال لي: ويلَك أبا العتاهية! ما أسوأ أدبَك وأقلَّ عقلَك! دخلتَ عليّ الحَبْسَ فما سَلّمتَ تسليمَ المُسْلِمِ على المُسْلم، ولا سألتَ مسألةَ الحُرّ للحرّ، ولا توجّعت توجُّع المُبتلَى للمُبتلَى، حتى إذا سمعتَ بيتين / من الشعر الذي لا فضلَ فيك غيرُه، لم تصبِر عن استعادتهما، ولم تُقَدِّم قبلَ مسألتك عنهما عُذْراً لنفسك في طلبهما! فقلتُ: يا أخي إنّي دَهِشتُ لهذه الحال، فلا تَعذِلْني واعذِرْني مُتفضِّلاً بذلك. فقال: أنا والله أولى بالدَّهَش والحَيْرة منك؛ لأنك حُبِستَ في أن تقول شعراً به ارتفعتَ وبلَغت، فإذا قُلْتَ أَمِنت، وأنا مأخوذٌ بأن أدُلَّ على ابن رسول الله ﷺ ليُقْتَلَ أو أقتَلَ دونه، ووالله لا أدُلّ عليه أبداً، والساعة يُدعى بي فأُقتل، فأيُّنا أحقُّ بالدَّهَش؟ فقلت له: أنت والله أولى، سَلّمك الله وكفاك، ولو علمتُ أنّ هذه حالُك ما سألتُك. [٩٣/٤]

قال: فلا نَبْخَلُ عليك إذاً، ثم أعاد البيتين حتى حَفِظتُهما. قال: فسألته مَنْ هو؟ فقال: أنا خاصّ دَاعيةُ عيسى بن زيد وابنِه أحمد. ولم نَلْبثْ أن سمعنا صوتَ الأقفال، فقام فسكَب عليه ماء كان عنده في جَرّه، ولِبس ثوباً نظيفاً كان

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (ج ١ ص ١٠٢): «أمر المهدي بحبسي...».

عنده، ودخل الحَرَسُ والجند معهم الشمع فأخرجونا جميعاً، وقُدِّم قبلي إلى الرشد. فسأله عن أحمد بن عيسى؛ فقال: لا تسألني عنه واصنَع ما أنت صانع، فلو أنه تحت ثوبي هذا ما كشفتُه عنه. وأمر بضَرْب عُنقه فضُرِب. ثم قال لي: أظنّك قد ارتعتَ يا إسماعيل! فقلت: دون ما رأيته تَسِيل منه النفوس. فقال: ردّوه إلى مَحْبِسه فرُدِدْتُ، وانتحلت هذين البيتين وزِدْتُ فيهما:

إذا أنا لم أقْبَلْ من الدّهر كلَّ ما تكَرَّهتُ منه طال عَتْبي على الدهر

/ لِزُرْزُور غلامِ المَارِقيِّ في هذين البيتين المذكورين خفيفُ رَمَل. وفيهما لعريب خفيفُ ثَقِيل. ١٧٣/٣

كان خلفاً في شعره له منه الجيد والرديء:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني عليّ بن مَهْديّ قال حدّثني ناجيَةُ بن عبد الواحد قال:

/ قال لي أبو العبّاس الخُزَيْميّ: [٩٤/٤]

كان أبو العتاهية خِلْفاً في الشعر، بينما هو يقول في موسى الهادي:

لَهْفِي على الزمنِ القصيرِ بين الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ

إذ قال:

أيا ذَوِي الوَخامة أكثرتُمُ المَلامة
فليس لي على ذا صبْرٌ ولا قُلامة
نعمْ عَشِقتُ مُوقاً هل قامتِ القِيامة
لأَرْكَبَنَّ فيمن هَوِيتُه الصَّرامة

عرض شعراً له على سلم الخاسر فذمه فأجابه:

ونسختُ من كتابه[1]: حدّثني عليّ بن مَهديّ قال حدّثني أحمد بن عيسى قال حدّثني الجَمّاز قال:

قال سَلْمٌ الخاسِر: صار إليّ أبو العتاهية فقال: جئتُك زائراً؛ فقلت: مقبولٌ منك ومشكورٌ أنت عليه، فأقِمْ. فقال: إنّ هذا مما يَشتَدّ عليّ. قلت: ولِمَ يشتدّ عليك ما يَسهُل على أهل الأدب؟ فقال: لِمَعرفتي بضيق صدرك. فقلت له وأنا أضحك وأعجب من مُكابرته: «رَمَتْني بدائها[2] وانسلَّتْ». فقال: دَعْني من هذا واسمَعْ منّي أبياتاً. فقلت: هاتِ؛ فأنشدَني:

نغَّص الموتُ كلَّ لذّة عيشٍ يا لَقومي لِلْموت ما أوْحَاهُ[3]
عجباً أنّه إذا مات مَيْتٌ صَدّ عنه حبيبُهُ وجَفاهُ
حيثُما وُجِّه امرؤٌ ليفوتَ الـ ـموت فالموتُ واقفٌ بِحِذَاهُ

(١) يريد كتاب هارون بن علي الوارد في الصفحة السابقة.
(٢) هذا مثل يضرب لمن يعيّر آخر غيباً هو فيه.
(٣) ما أوحاه: ما أسرعه.

إنّمـا الشَّيْـبُ لابـن آدمَ نـاعٍ قـام فـي عـارِضَيْـهِ ثـم نَعَـاهُ

[٤/٩٥] / مـنْ تَمَنّـى المُنَـى فـأغْرق فيهـا مـات مـن قبـلِ أن ينـالَ مُنـاهُ

مـا أَذَلَّ المُقِـلَّ فـي أعْيُـنِ النّـا س لإقـلالـه ومـا أَقْمَـاهُ[1]

إنمـا تنظـر العيـونُ مـن النـا سِ إلـى مـن تَـرْجـوه أو تخشـاهُ

ثم قال لي: كيف رأيتَها؟ فقلت له: لقد جوّدتَها لو لم تكن ألفاظُها سُوقيّةً. فقال: والله ما يُرَغّبني فيها إلاّ الذي زهّدك فيها.

مر به حميد الطوسي متكبراً فقال شعراً:

ونسخت من كتابه: عن عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبدالله بن عطيّة عن محمد بن عيسى الحربيّ قال:

كنت جالساً مع أبي العتاهية، إذ مرّ بنا حُمَيْدٌ الطُّوسيّ في موكِبه وبين يديه الفُرْسانُ والرَّجّالةُ، وكان بِقُرب أبي العتاهية سَوادِيٌّ[2] على أتان، فضربوا وجه الأتان ونَحّوْه عن الطريق، وحُميد واضعٌ طَرْفَه على مَعرَفَة فرسه والناسُ ينظرون إليه يعجَبون منه وهو لا يلتفت تِيهاً؛ فقال أبو العتاهية:

لِلمـوت أبنـاءٌ بهـمْ مـا شِئْـتَ مـن صَلَـفٍ وتيـهِ

وكـأنّنـي بـالمـوت قـد دارَتْ رَحَـاه علـى بَنِيـهِ

[١٧٤/٣] / قال: فلمّا جاز حميد مع صاحب الأتان قال أبو العتاهية:

مـا أذلَّ المُقِـلَّ فـي أعيـن النّـا س لإقـلالـه ومـا أقْمـاهُ

إنمـا تنظـر العيـونُ مـن النـا س إلـى مـن تَـرجـوه أو تَخشـاهُ

اعترض عليه في بخله فأجاب:

قال عليّ بن مهديّ وحدّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال:

قيل لأبي العتاهية: مالك تَبخَل بما رزقك الله؟ قال: والله ما بَخِلتُ بما رزقني الله قطّ. قيل له: وكيف ذاك وفي بيتك من المال ما لا يُحْصَى؟ قال: ليس ذلك رِزقي، ولو كان رزقي لأنفقتُه.

[٤/٩٦] / طلب من صالح الشهرزوري حاجة فلم يقضها فعاتبه حتى استرضاه فمدحه:

قال عليّ بن مهديّ وحدّثني محمد بن جعفر الشَّهْرَزُورِيّ قال حدّثني رَجَاء مولى صالح الشَّهْرَزُورِيّ قال:

كان أبو العتاهية صديقاً لصالح الشهرزوريّ وآنس الناس به، فسأله أن يُكَلّم الفضلَ بن يحيى في حاجة له؛ فقال له صالح: لست أُكلّمه في أشباه هذا، ولكن حَمِّلْني ما شئت في مالي. فانصرف عنه أبو العتاهية وأقام أيّاماً لا يأتيه؛ فكتب إليه أبو العتاهية:

أَقْلِـلْ زيـارتَـك الصديـقَ ولا تُطِـلْ إتيـانَـه فتَلِـجَّ فـي هِجْـرانـهِ

(١) ما أقماه: ما أذله.

(٢) السواديّ: القرويّ، من سواد البلدة وهو ما حولها من القرى، أو هو الرجل من عامة الناس.

إنّ الصديقَ يَلِجّ في غِشْيانِه لصديقه فيُمَلُّ من غِشْيانه
حتى تراه بعد طول مَسرّةٍ بمكانه مُتبرِّماً بمكانه
وأقلُّ ما يُلْفَى الفتى ثِقَلاً على إخوانه ما كفّ عن إخوانه
وإذا توانَى عن صِيانة نفسه رجلٌ تُنُقِّص واستُخِفّ بشانه

فلمّا قرأ الأبياتَ قال: سبحانَ الله! أتهجُرني لمنعي إيّاك شيئاً تعلم أنّي ما ابتذلتُ نفسي له قطّ، وتنْسَى مودّتي وأخوّتي، ومِنْ دون ما بيني وبينك ما أوجب عليك أن تَعْذِرني! فكتب إليه:

أهلَ التّخَلُّقِ لو يدوم تَخَلُّقٌ لسكنتُ ظِلّ جَناح مَنْ يَتَخَلّقُ
ما الناس في الإمساك إلا واحدٌ فبأيِّهم إنْ حُصِّلوا[1] أتعلّقُ
هذا زمانٌ قد تعوّد أهلُه تِيهَ الملوك وفِعلَ مَنْ يَتصدّق[2]

فلمّا أصبح صالحٌ غدا بالأبيات على الفضل بن يحيى وحدّثه بالحديث؛ فقال له: لا والله ما على الأرض أبْغضُ إليّ من إسداء عارفةٍ إلى أبي العتاهية؛ لأنه ممن ليس / يظهر عليه أثرُ صنيعةٍ، وقد قضيتُ حاجتَه لك؛ فرجعَ [٤/٩٧] وأرسلني إليه بقضاء حاجته[3]. فقال أبو العتاهية:

جَزَى اللّهُ عنّي صالحاً بوفائه وأضْعَفَ أضعافاً له في جَزائه
بَلَوْتُ رجالاً بعدَه في إخائهم فما ازددتُ إلاّ رغبةً في إخائه
صديقٌ إذا ما جئتُ أبغيه حاجةً رجعتُ بما أبغي ووجهي بمائه

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني أحمد بن حرب قال:

أنشدني محمد بن أبي العتاهية لأبيه يعاتب صالحاً هذا في تأخيره قضاء حاجته:

صوت

أعَيْنَيّ جُوداً وابكِيا وُدَّ صالحِ وهِيجَا عليه مُعْوِلاتِ النّوائحِ
فما زالَ سلطاناً أخٌ لي أوَدُّه فيَقْطَعُني جُرْماً[4] قطيعةَ صالح

/ الغناء في هذين البيتين لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البِنْصَر. ١٧٥/٣

أمر الرشيد مؤدّب ولده أن يرويهم شعره:

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جَدّه قال:

كان الرشيد مُعْجَباً بشعر أبي العتاهية، فخرج إلينا يوماً وفي يده رُقْعتانِ على نسخةٍ واحدة، فبعَث بإحداهما

---

(١) حصّلوا: خبروا وميزوا.
(٢) يتصدّق هنا: يسأل.
(٣) أي رجع الفضل وأرسلني إلى أبي العتاهية بقضاء حاجته.
(٤) في ء: «جزماً». وفي سائر النسخ: «حزماً» بالحاء المهملة. ويظهر أن كليهما مصحف عما أثبتناه.

إلى مُؤَدِّبٍ لوَلَده وقال: لِيُرَوِّهِمْ ما فيها، ودفَع الأُخرى إليّ وقال: غَنّ في هذه الأبيات. ففتحتُها فإذا فيها:

صوت

قُــلْ لِمَــنْ ضَــنَّ بِــوُدِّهْ وكَــوى القلــبَ بصَــدِّهْ
مــا ابتلَــى اللَّــهُ فــؤادي بــكَ إلاّ شُــؤْمَ جَــدِّهْ
[٩٨/٤] / أيُّهــا الســارقُ عَقلِــي لا تَضَنَّــنَّ بِــرَدِّهْ
مــا أرى حُبَّــكَ إلاّ بــالغــاً بــي فــوقَ حَــدِّهْ

تمثل المعتصم عند موته بشعر له:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثني عبدالله بن محمد الأُمَوِيّ العُتْبِيّ قال قال لي محمد بن عبد الملك الزيّات:

لمّا أحسّ المعتصم بالموت قال لابنه الواثق: ذهب والله أبوك يا هارون! لِلّهِ درُّ أبي العتاهية حيث يقول:

المــوتُ بيــنَ الخَلْــقِ مُشْتَــرَكُ لا سُــوقَــةٌ يَبْقَــى ولا مَلِــكُ
مــا ضَــرَّ أصحــابَ القَلِيــلِ ومــا أغْنَــى عَــنِ الأمــلاكِ مــا مَلَكُــوا

عدّ أبو تمام خمسة أبيات من شعره وقال لم يشركه فيها غيره:

أخبرني حبيب بن نصر المهَلَّبيّ وعمّي الحسن والكوكَبيّ قالوا حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال:

قال لي أبو تَمّام الطائيّ: لأبي العتاهية خمسةُ أبياتٍ ما شَرِكَه فيها أحدٌ، ولا قَدَر على مثلها مُتَقَدِّم ولا متأخِّر، وهو قوله:

النــاسُ فــي غَفَــلاتِهِــمْ ورَحَــى المَنِيَّــةِ تَطْحَــنُ

وقوله لأحمد بن يوسف:

ألــم تَــرَ أنّ الفَقْــرَ يُــرْجَــى لــه الغِنَــى وأنّ الغِنَــى يُخْشَــى عليــه مِــنَ الفَقْــرِ

وقوله في موسى الهادي:

ولمّــا استَقَلُّــوا بــأثقــالِهِــمْ وقــد أزْمَــعُــوا لِلّــذي أزمــعــوا
قــرنــتُ التفــاتــي بــآثــارِهِــمْ وأتْبَعْتُهُــمْ مُقْلــةً تَــدْمَــعُ

وقوله:

هَــبِ الــدنيــا تصيــر إليــك عَفْــواً أليــس مصيــرُ ذاك إلــى زَوَالِ

[٩٩/٤] / عزاؤه صديقاً له:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثني محمد بن سعيد المَهْدِيّ عن يحيى بن سَعِيدٍ الأنصاريّ قال:

مات شيخٌ لنا ببغداد، فلمّا دفنّاه أقبل الناسُ على أخيه يُعَزُّونه، فجاء أبو العتاهية إليه وبه جَزَعٌ شديد، فعزّاه ثم أنشده:

لا تَأْمَنِ الدَّهْرَ والْبَسْ ... لكلِّ حينٍ لِباسا
لَيَدْفِنَنّا أُناسٌ ... كما دَفَنّا أُناسا

/ قال: فانصرف الناس، وما حفِظوا غيرَ قول أبي العتاهية. ١٧٦/٣

أرسل لخزيمة من شعره في الزهد فغضب وذمه:

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حبيب بن عبد الرحمن عن بعض أصحابه:

قال: كنت في مجلس خُزَيمة[1]، فجرى حديثُ ما يُسْفَكُ من الدماء، فقال: والله ما لنا عند الله عذرٌ ولا حُجّةٌ إلّا رجاء عفوه ومغفرته. ولولا عِزُّ السلطان وكراهةُ الذلّة، وأن أصير بعد الرياسة سُوقةً وتابعاً بعد ما كنتُ متبوعاً، ما كان في الأرض أزهَدُ ولا أعبدُ منّي؛ فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه برُقْعة من أبي العتاهية فيها مكتوبٌ:

أراكَ امرأً ترجو من الله عَفْوَهُ ... وأنت على ما لا يُحِبُّ مُقِيمُ
تَدُلُّ على التقوى وأنت مُقَصِّرٌ ... أيا مَنْ يُداوِي الناسَ وهو سَقِيمُ
وإنّ امرأً لم يُلْهِهِ اليومُ عن غَدٍ ... تَخَوُّفَ ما يأتي به لحكيمُ
وإنّ امرأً لم يَجعلِ البِرَّ كنزَهُ ... وإنْ كانتِ الدنيا له لعديمُ

/ فغضِب خُزَيمةُ وقال: والله ما المعروفُ عند هذا المعتوه المُلْحِف من كنوز البِرّ فيرغَب فيه حرٌّ. فقيل له: [١٠٠/٤] وكيف ذاك؟ فقال: لأنّه من الذين يكنِزون الذهب والفِضّة ولا يُنفقونها في سبيل الله.

مدح يزيد بن مزيد فوصله:

ونسخت من كتابه: عن عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال قال لي الفضل بن العبّاس:

قال لي أبو العتاهية: دخلتُ على يزيدَ بن مَزْيَد، فأنشدتُه قصيدتي التي أقول فيها:

وما ذاك إلّا أنّني وَاثِقٌ بما ... لديك وأنّي عالمٌ بوفائكا
كأنّك في صدري إذا جئتُ زائراً ... تُقَدِّر فيه حاجتي بابتدائكا
وإنّ أميرَ المؤمنين وغيرَه ... لَيعلَمُ في الهيجاء فضلَ غَنائكا
كأنّك عند الكَرِّ في الحرب إنّما ... تَفِرُّ من السِّلْم الذي من وَرائكا
فما آفةُ الأملاكِ غيرُك في الوَغَى ... ولا آفةُ الأموال غيرُ حِبائكا

قال: فأعطاني عشرة آلاف درهم، ودابةً بسرْجها ولِجامها.

---

(١) هو خزيمة بن خازم أحد قوّاد الرشيد.

وعظ راهب رجلاً عابداً بشعره:

وأخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق وعمّي الحسن بن محمد وحبيب بن نصر المهلّبي قالوا: حدّثنا عمر بن شَبّة قال:

مرّ عابدٌ براهبٍ في صَوْمعة؛ فقال له: عِظْني. فقال: أَعِظُك وعليكم نَزَل القرآن، ونبيّكم محمد ﷺ قريب العهد بكم[1]؟ قلت نعم. قال: فاتَّعِظْ ببيتٍ من شعر شاعركم أبي العتاهية حين يقول:

تَجَرَّدْ مِنَ الدنيا فإنَّك إنّما ... وقعتَ إلى الدنيا وأنت مُجَرَّدُ

فضله العتابي على أبي نواس:

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثني الفضل بن محمد الزّارع قال حدّثني جعفر بن جَمِيل قال:

[١٠١/٤] / قَدِم العَتّابي الشاعر على المأمون، فأنزله على إسحاق بن إبراهيم، فأنزله على كاتبه ثَوَابةَ بن يونس، وكنّا نختلف إليه نكتب عنه. فجرى ذات يوم ذِكْرُ الشعراء؛ فقال: لَكُمْ يا أهلَ العراق شاعرُ منوَّه الكُنْية، ما فعل؟ فذكر القوم أبا نُوَاس؛ فانتهرهم ونفض يده وقال: ليس ذلك، حتى طال الكلام. فقلت: لعلّك تريد أبا العتاهية. فقال: / نعم! ذاك أشعرُ الأوّلين والآخرين في وقته. ١٧٧/٣

لام أبا نواس في استماع الغناء:

أخبرني محمد بن عِمْران قال حدّثني العَنَزيّ قال حدّثني محمد بن إسحاق عن عليّ بن عبدالله الكِنْديّ قال:

جلس أبو العتاهية يوماً يَعْذُلُ أبا نُوَاس ويلومه في استماع الغِناء ومجالستِه لأصحابه؛ فقال له أبو نواس:

أتُــرَانِــي يــا عَتَــاهِــي ... تــاركــاً تلــك المَــلاَهِــي
أتُــرانِــي مفسِــداً بــالـنُّـسْــكِ عنــد القــوم جــاهِــي

قال: فوثَب أبو العتاهية وقال: لا بارَك الله عليك! وجعل أبو نواس يضحك.

بلغه أن إبراهيم بن المهدي رماه بالزندقة فبعث إليه يعاتبه فردّ عليه إبراهيم:

أخبرني جَحْظَةُ قال حدّثني هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ قال:

بلغ أبا العتاهية أنّ أبي رماه في مجلسه بالزندقة وذكَره بها؛ فبعث إليه يُعاتبه على لسان إسحاق الموصلي، فأدّى إليه إسحاق الرسالة؛ فكتب إليه أبي:

إنّ المنيّــة أمهلتْــك عَتَــاهِــي ... والمــوتُ لا يسهــو وقلبُــك ســاهِــي
يــا ويــحَ ذي السنّ الضعيــف أَمَــالُــه ... عــن غَيِّــه قبــل الممــات تَنَــاهِــي
وُكِّلْــتَ بــالــدنيــا تُبَكِّيهــا وتَنْــ ... ــدُبهــا وأنــت عَــنِ القيــامــة لاهِــي
والعيــشُ حُلْــوٌ والمَنُــونُ مَــريــرةٌ ... والــدَّارُ دارُ تَفَــاخُــرٍ وتَبَــاهِــي

(١) في جميع الأصول: «ونبيكم محمد ﷺ قريب العهد بكم صلى الله عليه وسلم وعلى آله». ويظهر أن هذا تكرار من النساخ.

[٤/١٠٢] / فاختَرْ[1] لنفسك دونها سُبُلاً ولا ... تَتَحامَقَنَّ لها فإنّك لاهي

لا يُعْجِبَنَّكَ أنْ يُقال مُفَوَّهٌ ... حَسَنُ البَلاغة أو عَريضُ الجاه

أصْلِحْ جَهُولاً من سَريرتك الّتي ... تخلو بها وارهَبْ مَقامَ اللّهِ

إنّي رأيتُك مُظهِراً لِزَهَادةٍ ... تحتاجُ منك لها إلى أشباه

كان عبدالله بن العباس بن الفضل مشغوفاً بالغنا في شعره:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني الحُسَين بن يحيى الصوليّ قال حدّثني عبدالله بن العبّاس بن الفضل بن الرَّبيع قال:

رآني الرشيد مشغوفاً بالغِناء في شعر أبي العتاهية:

صوت

أحمدٌ قال لي ولم يَدْرِ ما بي ... أتُحِبُّ الغداةَ عُتْبةَ حَقّا

فتنَفَّسْتُ ثم قلتُ نَعَمْ حُبّاً ... جَرَى في العُروق عِرْقاً فعِرقا

لو تَجُسّينَ يا عُتَيبةُ قلبي ... لَوجَدْتِ الفؤادَ قَرْحاً تَفَقّا

قد لَعَمْري مَلَّ الطبيبُ ومَلَّ الأهلُ منّي مما أُقاسي وأَلْقَى

ليتَني مُتُّ فاسترحتُ فإنّي ... أبداً ما حَيِيتُ منها مُلَقَّى[2]

ولا سيما من مُخارِق، وكان يُغَنّي فيه رَمَلاً لإبراهيم أخذه عنه. وفيه لحنٌ لفَرِيدة رمل. هكذا قال الصُّولِي: «فريدة» بالياء، وغيره يقول: «فِرِندة» بالنون.

أمره الرشيد أن يقول شعراً يغني فيه الملاحون فلما سمعه بكى:

حدّثني الصُّولِي قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا محمد بن صالح العَدَوِيّ قال أخبرني أبو العتاهية قال:

كان الرشيدُ مما يُعجبه غِناءُ المَلاّحين في الزَّلّالات[3] إذا رَكِبها، وكان يتأذّى بفساد كلامهم ولحنهم، فقال: قولوا لمن معنا من الشعراء يعمَلوا لهؤلاء شعراً يُغَنُّون فيه. / فقيل له: ليس أحدٌ أَقْدَرَ على / هذا من أبي العتاهية، وهو في الحَبْس. قال: فوَجّه إليّ الرشيد: قُلْ شعراً حتّى أسمعَه منهم، ولم يأمُرْ بإطلاقي؛ فغاظني ذلك فقُلْتُ: والله لأقولَنَّ شعراً يَحزُنه ولا يُسَرُّ به، فعَمِلتُ شعراً ودفعتُه إلى مَنْ حَفَّظَه الملاّحين. فلمّا رَكِب الحَرّاقة[4] سمِعه، وهو: [٤/١٠٣] [١٧٨/٣]

خانَك الطَّرْفُ الطَّمُوحُ ... أيُّها القَلْبُ الجَمُوحُ

---

(١) في حـ: «فاحتل».

(٢) الملقى: الممتحن الذي لا يزال يلقاه مكروه.

(٣) لم نجد هذا الاسم في «كتب اللغة» التي بين أيدينا بالمعنى المراد منه هنا. وظاهر أن المراد به نوع من السفن.

(٤) الحرّاقة: ضرب من السفن الحربية الكبيرة فيها مرامي نيران يرمى بها العدوّ في البحر. وكان منها أنواع تستعمل للنزهة والرياضة والتنقل عند الخلفاء والملوك والأمراء في أوّل العصر العباسي (مثل الذهبية عندنا) وهي المرادة هنا.

لِـلـدَّوَاعِـي الخَيْـرِ والشَّـرِّ دُنُـوٌّ ونُـزُوحُ

هَـلْ لمطلـوبٍ بِـذَنْـبٍ تَـوبـةٌ منـه نَصُـوحُ

كيـف إصـلاحُ قُلُـوبٍ إنّمـا هُـنَّ قُـرُوحُ

أَحْسَـنَ اللّـهُ بنـا أنْ الخَطَـايَـا لا تَفُـوحُ

فـإذَا المستـورُ مِنّـا بيـنَ ثَـوبَيْـهِ نَضُـوحُ[1]

كَـمْ رأينـا مِـنْ عَـزِيـزٍ طُـوِيَـتْ عنـه الكشُـوحُ

صَـاحَ منـه بِـرَحِيـلٍ صَـائِـحُ الـدَّهْـرِ الصَّـدُوحُ

مـوتُ بعـضِ النـاسِ فـي الأرْ ضِ علـى قـومٍ فُتُـوحُ

سيصيـر المـرءُ يـومـاً جَسَـداً مـا فيـه رُوحُ

بيـن عَيْنَـيْ كُـلِّ حَـيٍّ عَلَـمُ المـوتِ يلـوحُ

كُلُّنـا فـي غَفْلَـةٍ والْـ ـمَـوْتُ يغـدو ويـروح

لِبَنِـي الـدُّنيـا مِـنَ الـدُّنْـ ـيَـا غَبُـوقٌ[2] وصَبُـوحُ

رُحْـنَ فـي الـوَشْـي وأَصْبَحْـ ـنَ عليهِـنَّ المُسُـوحُ

/ كُـلُّ نَطّـاحٍ مِـنَ الـدَّهْـ ـرِ لـه يـومٌ نَطُـوحُ [١٠٤/٤]

نُـحْ علـى نَفْسِـكَ يـا مِسْـكِيـنُ إنْ كنـتَ تنـوح

لَتَمُـوتَـنَّ وإنْ عُـمِّـرْتَ مـا عُمِّـرَ نُـوحُ

قال: فلمّا سمع ذلك الرشيدُ جعل يبكي ويَنْتَحِب، وكان الرشيدُ من أغزر الناس دموعاً في وقت المَوْعِظة، وأشدِّهم عَسْفاً في وقت الغَضَب والغِلْظة. فلمّا رأى الفضلُ بن الرَّبيع كثرةَ بكائه، أومأ إلى المَلّاحين أن يسكتوا.

هجا منجاباً الذي كان موكلاً بحبسه:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الحسن بن جابر كاتِب الحسن[3] بن رَجَاء قال:

لمّا حَبَس الرشيدُ أبا العتاهية دَفَعه إلى مِنجَابٍ، فكان يَعْنُف به؛ فقال أبو العتاهية:

مِنْجَـابُ مـاتَ بِـدائِـهِ فـاعْجَـلْ لـه بِـدَوائِـهِ

إنَّ الإمـامَ أعلَّـهُ ظُلْمـاً بحَـدِّ شَقـائِـهِ

لا تُعْنِفَـنَّ[4] سِيَـاقَـهُ مـا كُـلُّ ذاك بِـرَائِـهِ[5]

---

(١) في «الديوان»: «نضوح» بالفاء.

(٢) الغبوق: ما شرب أو أكل آخر النهار، ويقابله الصبوح وهو ما أكل أو شرب أوّل النهار.

(٣) في الأصول: «الحسين» وهو تحريف.

(٤) أعنف الشيء: أخذه بشدّة.

(٥) يريد: «برأيه».

مـــا شِمْـــتُ هـــذا فـــي مَخَـــا ... يِـــلِ بَـــارِقَـــاتِ سَمَـــائـــهِ

مدح الرشيد حين عقد ولاية العهد لبنيه:

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثني أحمد بن مُعَاوية القُرَشيّ قال:

لمّا عَقَد الرشيدُ ولايةَ العهد لبنيه الثلاثة: الأمين، والمأمون، والمؤتمن، قال / أبو العتاهية: [١٧٩/٣]

رَحَلْتُ عَـنِ الـرَّبْـعِ المُحِيـلِ قَعُـودِي ... إلـى ذي زُحُـوفٍ[١] جَمَّـةٍ وجُنُـودِ

وَراعٍ يُـراعِـي اللَّيـلَ فـي حِفْـظِ أُمَّـةٍ ... يُـدَافِـعُ عنهـا الشـرَّ غيـرِ رَقُـودِ

بِـأَلْـوِيَـةٍ جبـريـلُ يَقْـدُمُ أهلَهـا ... ورَايـاتِ نَصْـرٍ حـولَـه وبُنُـودِ

/ تَجَـافَـى عَـنِ الـدُّنْيـا وأَيْقَـنَ أنَّهـا ... مُفَـارِقَـةٌ ليسـتْ بَـدارِ خُلـودِ [١٠٥/٤]

وشَـدَّ عُـرَا الإسـلامِ منـه بِفِتْيَـةٍ ... ثَـلاثَـةِ أمْـلاكٍ وُلاةِ عُهُـودِ

هُـمْ خيـرُ أولادٍ، لَهُـمْ خيـرُ وَالـدٍ ... لَـهُ خيـرُ آبـاءٍ مَضَـتْ وجُـدود

بنـو المصطفَـى هـارونَ حـولَ سَـرِيـرِه ... فَخَيْـرُ قِيَـامٍ حـولَـه وقُعُـودِ

تُقَلِّـبُ ألحـاظَ المَهَـابَـةِ بينهـم ... عيـونُ ظِبَـاءٍ فـي قُلـوبِ أُسُـودِ

جُـدُودُهُـمُ[٢] شمـسٌ أتـتْ فـي أهِلَّـةٍ ... تَبَـدَّتْ لِـرَاءٍ فـي نُجـومِ سُعُـودِ

قال: فوصله الرشيدُ بصِلَةٍ ما وَصَل بمثلها[٣] شاعراً قَطُّ.

ذكر لملك الروم فالتمسه من الرشيد فاستعفى هو، فكتب من شعره في مجلسه وعلى باب مدينته:

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأَسَدِيّ إجازةً قال حدّثني الرِّيَاشيّ قال:

قَدِم رسولٌ لِمَلِك الرُّوم إلى الرشيد، فسأل عن أبي العتاهية وأنشده شيئاً من شعره، وكان يُحْسِن العربيّة، فمضى إلى ملك الرُّوم وذكَره له؛ فكَتَب ملكُ الرُّوم إليه، ورَدّ رسولَه يسأل الرشيدَ أن يُوَجِّه بأبي العتاهية ويأخذَ فيه رهائن مَنْ أراد، وألَحَّ في ذلك. فكلَّم الرشيد أبا العتاهية في ذلك، فاستعفى منه وأباه. واتَّصل بالرشيد أنّ مَلِكَ الرُّوم أَمَر أن يُكْتَبَ بيتان من شعر أبي العتاهية على أبواب مَجَالِسه وبابِ مدينته، وهما:

صوت

مــا اختلــفَ اللَّيــلُ والنَّهــارُ ولا ... دارتْ نجــومُ السمــاءِ فــي الفَلَــكِ

إلاّ لِنَقْــلِ السُّلْطــانِ عــن مَلِــكٍ ... قَــدِ انقَضَــى مُلْكُــه إلــى مَلِــكِ

(١) الزحوف: جمع زحف وهو الجيش.

(٢) كذا في «الديوان». وفي الأصول: «خدودهم» بالخاء.

(٣) في الأصول: «ما وصل مثلها».

انقطع بعد خروجه من الحبس فلامه الرشيد فكتب له شعراً معتذراً ومادحاً:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثنا الرّبيع بن محمد الخُتَّليّ الوَرّاق قال أخبرني ابن أبي العتاهية:

[١٠٦/٤] / أنّ الرشيدَ لمّا أطلق أباه من الحَبْس، لَزِم بيتَه وقَطَع الناسَ؛ فذكَره الرشيد فعُرِّفَ خبرَه، فقال: قولوا له: صِرْتَ زِيرَ نساء وحِلْسَ[1] بَيْت؛ فكتب إليه أبو العتاهية:

بَــرِمْــتُ بِــالنَّــاسِ وأخــلاقِهِــم ... فصِــرْتُ أسْتــأْنِــسُ بِــالــوُحْــدَهْ

مــا أكثَــرَ النَّــاسَ لَعَمْــرِي ومــا ... أقَلَّهــم فــي مُنْتَهــى العِــدَّهْ

ثم قال: لا ينبغي أنْ يمضي شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدحٌ له، فقرَن هذين البيتين بأربعةِ أبيات مدحه فيها، وهي:

صـوت

عــادَ لــي مــن ذِكْــرِهــا نَصَــبُ ... فــدمــوعُ العَيــن تَنْسَكِــبُ

وكــذاكَ الحُــبُّ صَــاحِبُــه ... يَعْتَــرِيــهِ الهَــمُّ والــوَصَــبُ

[١٨٠/٣] / خيــرُ مَــنْ يُــرْجَــى ومَــنْ يَهَــبُ ... مَلِــكٌ دانــتْ لــه العَــرَبُ

وحقيــقٌ أنْ يُــدَانَ لــه ... مَــنْ أبــوه لِلنَّبِــيّ أبُ

أمره الرشيد أن يعظه فقال شعراً فبكى:

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا عَوْن بن محمد قال حدّثنا محمد بن أبي العتاهية قال:

قال الرشيدُ لأبي: عِظْني؛ فقال له: أخافك. فقال له: أنت آمِن. فأنشده:

لا تَـأْمَـنِ المـوتَ فـي طَـرْفٍ ولا نَفَـسِ ... إذَا تَسَتَّـرْتَ بِـالأبـواب والحَـرَسِ

واعْلَـمْ بـأنّ سِهـامَ المـوت قـاصـدةٌ ... لكـلِّ مُـدَّرِعٍ منّـا ومُتَّـرِسِ

تـرجـو النجـاةَ ولـم تَسْلُـكْ طَـرِيقَتَهـا ... إنّ السفينـةَ لا تَجْـرِي علـى اليَبَـسِ

قال: فبكى الرشيد حتى بل كُمَّه.

[١٠٧/٤] / **تناظر ابن أبي فنن وابن خاقان فيه وفي أبي نواس، ثم حكما ابن الضحاك ففضله:**

حدّثني عَمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال:

قال لي أحمد بن أبي فَنَن: تناظرت أنا والفَتْحُ بن خاقان في منزله: أيُّما [الرجلين] أشعر: أبو نُوَاس أم أبو العتاهية. فقال الفتح: أبو نواس، وقلت: أبو العتاهية. ثم قلت: لو وُضِعتْ أشعارُ العرب كلُّها بإزاء شعر أبي العتاهية لَفَضَلها، وليس بيننا خلافٌ في أنّ له في كلّ قصيدة جيّداً ووَسَطاً وضعيفاً، فإذا جُمع جيِّده كان أكثرَ من جيِّد كلِّ مُجَوِّد. [ثم] قلتُ له: بمَن تَرْضَى؟ قال: بالحسين بن الضحّاك. فما انقطع كلامُنا حتّى دخل الحسين بن

(١) حلس بيت: ملازمه لا يبرحه، وهو مما يذم به الرجل.

الضحّاك؛ فقلتُ: ما تقول في رجلين تَشَاجَرا، فَفَضَّل أحدُهما أبا نُوَاس وفضَّل الآخَرُ أبا العتاهية؟ فقال الحسين: أُمُّ مَنْ فَضَّل أبا نُوَاسٍ على أبي العتاهية زانيةٌ؛ فخَجِل الفَتْح حتى تبيَّن ذلك فيه، ثم لم يُعَاوِدْني في شيءٍ من ذِكْرِهما حتّى افترقنا.

اجتمع مع مخارق فما زال يغنيه وهو يشرب ويبكي ثم كسر الآنية وتزهد:

وقد حدّثني الحسن بن محمد بهذا الخبر على خلاف ما ذكره إبراهيم بن المهديّ فيما تقدّم، فقال: حدّثني هارون بن مُخَارِق قال حدّثني أبي قال:

جاءني أبو العتاهية فقال: قد عزمتُ على أنْ أتزوَّد منك يوماً تَهَبُه لي، فمتى تَنْشَطُ؟ فقلتُ: مَتَى شِئتَ. فقال: أخاف أن تقطع بي. فقلت: والله لا فعلتُ وإنْ طَلَبني الخليفة. فقال: يكون ذلك في غدٍ. فقلت: أفعل. فلمّا كان من غدٍ باكرني رسولُه فجئتُه، فأدخلني بيتاً له نظيفاً فيه فَرْشٌ نظيفٌ، ثم دعا بمائدة عليها خُبْزٌ سَمِيذٌ[1] وخَلٌّ وبقْلٌ[2] ومِلْحٌ وجَدْيٌ مَشْوِيّ فأكلنا منه، ثم دعا بسَمَكٍ مَشْوِيّ فأصبنا منه حتى اكتفينا، ثم دعا بحَلْواء فأصبنا منها وغَسَلْنا أيدِيَنا، وجاؤونا بفاكهةٍ ورَيْحان وألوانٍ / من الأنبذة، فقال: اخْتَرْ ما يصلُح لك منّها؛ فاخترتُ [١٠٨/٤] وشربت؛ وصبَّ قَدَحاً ثم قال: غَنِّني في قولي:

أحمدٌ قال لي ولم يَدْرِ ما بي ... أتُحِبُّ الغَداةَ عُتْبةَ حَقّا

فَغنَّيتُه، فشَرِب قدحاً وهو يبكي أحَرَّ بكاء. ثم قال: غَنِّني في قولي:

ليس لِمَنْ ليستْ له حِيلةٌ ... موجودةٌ خيرٌ مِنَ الصَّبرِ

فغنَّيته وهو يبكي ويَنْشِج[3]، ثم شرِب قدحاً آخر ثم قال: غنِّني، فديتك، في قولي:

خَلِيلَيَّ ما لي لا تَزالُ مَضَرَّتي ... تكونُ مع الأَقدارِ حَتْماً من الحَتْمِ

فغنّيته إيّاه. وما زال يقترح عليّ كلَّ صوتٍ غُنِّي به في شِعْره فأُغنِّيه ويشرَب ويبكي حتى صار العتمة. فقال: أحِبُّ أن تَصْبِر حتَّى ترى ما أصنع فجلست. فأمر ابنَه وغلامه فكَسَرا كلَّ ما بين أيدينا من النبيذ / وآلته والمَلاَهي، ‏١٨١/٣ ثم أمر بإخراج كلِّ ما في بيته من النَّبيذ وآلته، فأخرِجَ جميعُه، فما زال يكسِره ويَصُبُّ النبيذ وهو يبكي حتى لم يبقَ من ذلك شيءٌ، ثم نَزَع ثيابَه واغتسل، ثم لَبِس ثياباً بيضاً من صُوف، ثم عانقني وبكى، ثم قال: السلامُ عليك يا حبيبي وفَرَحي من الناس كلِّهم سلامَ الفِراق الذي لا لِقاءَ بعده؛ وجعل يبكي، وقال: هذا آخِرُ عَهْدِي بك في حالِ تَعَاشُرِ أهل الدنيا؛ فظننتُ أنّها بعضُ حماقاته، فانصرفت، وما لَقِيته زماناً. ثم تشوّقته[4] فأتيته فاستأذنتُ عليه فأذِن لي فدخلت، فإذا هو قد أخذ قَوْصَرَتَيْنِ[5] وثَقَب إحداهما وأدخل رأسَه ويديه فيها وأقامها مقام القميص، وثقَب الأخرى[6] وأخرج رجليه منها وأقامها مقام السَّراويل. فلمّا رأيته نَسِيتُ كلَّ ما كان عندي من الغَمّ عليه والوحْشة

(١) السميذ: الدقيق الأبيض وهو لباب الدقيق.
(٢) كذا في الأصول. ويحتمل أيضاً أن يكون «نقل» إذ هو المناسب للمقام.
(٣) نشج الباكي: غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.
(٤) في «معاجم اللغة» التي بين أيدينا أن «تشوّق» يتعدّى بالحرف. فلعل ما هاهنا من باب الحذف والإيصال، والأصل: «تشوّقت إليه».
(٥) القوصرة (بتشديد الراء وتخفيفها): وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري.
(٦) في الأصول: «أخرى».

[١٠٩/٤] لِعِشْرته، / وضَحِكْتُ والله ضحكاً ما ضَحِكت مثلَه قَطُّ. فقال: مِنْ أيّ شيءٍ تَضحَك؟ فقلت: أسخن[1] الله عينك! هذا أيُّ شيء هو؟ مَنْ بَلَغَكَ عنه أنّه فَعَل مثلَ هذا من الأنبياء والزُّهّاد والصحابة والمجانين، اِنْزِعْ عنك هذا يا سَخِين العين! فكأنه أستحيا منّي. ثم بَلَغني أنّه جَلَس حَجّاماً، فَجهدتُ أن أراه بتلك الحال فلم أرَه. ثم مَرِض، فبَلَغني أنه آشتهى أنْ أغنّيَه، فأتيتُه عائداً، فخرج إليّ رسولُه يقول: إنْ دخلتَ إليّ جَدَّدْتَ لي حزناً وتاقتْ نفسي من سَماعك إلى ما قد غلبتُها عليه، وأنا أستودعك اللّهَ وأعتذر إليك من ترك الِالتقاء، ثم كان آخر عهدي به.

تمنى عند موته أن يجيء مخارق فيغنيه في شعره:

حدّثني جحظة قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

قيل لأبي العتاهية عند الموت: ما تشتهي؟ فقال: أشتهي أن يجيء مُخَارِق فيَضَعَ فمه على أذني ثم يُغَنّيني.

سَيُعْرَضُ عن ذِكْرِي وتُنْسَى مَوَدّتي ... ويَحْدُثُ بعدي للخليلِ خليلُ

إذَا ما انقضتْ عنّي مِنَ الدَّهْرِ مُدَّتي[2] ... فإنَّ غَنَاءَ الباكياتِ قليلُ

وأخبرني به أبو الحسن الأَسَدِيّ قال حدّثنا محمد بن صالح [بن] النطّاح قال:

قال بِشْر بن الوليد لأبي العتاهية عند الموت: ما تشتهي؟ فذَكَر مثلَ الأوّل.

وأخبرني به ابن عمّار أبو العبّاس عن ابن أبي سعد عن محمد بن صالح: أنّ بِشراً قال ذلك لأبي العتاهية عند الموت، فأجابه بهذا الجواب.

آخر شعر قاله في مرضه الذي مات فيه:

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ: حدّثني عليُّ بن مَهْدِيّ قال حدّثني عبدالله بن عَطِيّة قال حدّثني محمد بن أبي العتاهية قال: آخرُ شعرٍ قاله أبي في مَرَضه الذي مات فيه:

إلهي[3] لا تُعَذِّبْنِي فإنّي ... مُقِرٌّ بالذي قد كان مِنّي

فما لي حيلةٌ إلّا رجائي ... لِعَفْوِك إنْ عَفَوْتَ وحُسْنُ ظَنّي

[١١٠/٤] / وكَمْ مِنْ زَلّةٍ لي في الخَطَايا ... وأنتَ عليّ ذو فَضْلٍ ومَنِّ

إذَا فَكّرْتُ في نَدَمِي عليها ... عَضِضْتُ أنامِلِي وقَرَعْتُ سِنّي

أجنُّ بزَهْرةِ الدُّنيا جُنُونا ... وأُقْطَعُ طولَ عُمْري بالتمنّي

ولَوْ أنّي صَدَقْتُ الزُّهْدَ عنها ... قلبتُ لأهلِها ظَهْرَ المِجَنّ

يَظُنّ الناسُ بي خيراً وإنّي ... لَشَرُّ الخَلْقِ إنْ لم تَعْفُ عنّي

(١) أسخن الله عينه: أبكاه وأحزنه.

(٢) كذا في «وفيات الأعيان» لابن خلكان «وديوانه» طبع بيروت (ص ٢٢١). ومدته: أجله. وفي الأصول: «الليلة».

(٣) ورد هذا الشعر في «ديوانه» (ص ٢٦٣) باختلاف يسير في الرواية عما هنا.

أمر بنته في علته التي مات فيها أن تندبه بشعر له:

/ أخبرني محمد بن عِمْران الصيرَفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل قال حدّثني أحمد بن حمزة الضُّبَعيّ قال [١٨٢/٣] أخبرني أبو محمد المؤدِّب قال:

قال أبو العتاهية لابنته رُقَيّةَ في عِلّته التي مات فيها: قُومي يا بُنَيّة فانْدُبي أباك بهذه الأبيات؛ فقامتْ فنَدبَته بقوله:

لَعِبَ البِلَى بمَعَالِمي ورُسُومي ... وقُبِرْتُ حَيًّا تحت رَدْمِ هُمومي

لَزِمَ البِلَى جِسْمِي فأَوْهَنَ قُوّتي ... إن البِلَى لَمُوَكَّلٌ بِلُزومي

تاريخ وفاته ومدفنه:

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا محمد بن داود بن الجَرّاح قال حدّثني عليّ بن محمد قال حدّثني مُخارِق المُغَنّي قال:

تُوُفّي أبو العتاهية، وإبراهيم الموصليّ، وأبو عَمْرو الشَّيْباني عبد السلام[1] في يومٍ واحد في خِلافة المأمون، وذلك في سنة ثلاثَ عَشْرةَ ومائتين.

/ أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويَهْ عن أحمد بن يوسف عن أحمد بن الخليل عن إسماعيل بن [١١١/٤] أبي قُتَيْبَة قال:

مات أبو العتاهية، ورَاشِدٌ الخَنّاق، وهشيمة الخَمّارة في يوم واحدٍ سنة تِسْع ومائتين.

وذكر الحارثُ بن أبي أُسامةَ عن محمد بن سَعْد كاتب الوَاقديّ: أنّ أبا العتاهية مات في يوم الاثنين لثمانٍ خَلَوْنَ من جُمَادَى الأُولى سنة إحدَى عَشْرةَ ومائتين، ودُفِن حيالَ قَنْطَرة الزيّاتين في الجانب الغَرْبيّ ببغداد.

أخبرني الصُّوليّ عن محمد بن موسى عن أبي محمد الشَّيْباني عن محمد بن أبي العتاهية: أنّ أباه توفّي سنة عَشْرٍ ومائتين.

الشعر الذي أمر أن يكتب على قبره:

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى عن محمد بن القاسم عن إبراهيم بن عبدالله بن الجُنَيْد عن إسحاق بن عبدالله بن شُعَيْب قال:

أَمَرَ أبو العتاهية أنْ يُكْتَبَ على قَبْره:

---

(١) كذا في أكثر الأصول. وظاهر الكلام أن عبد السلام اسم لأبي عمرو الشيباني، وهو غير صحيح؛ فإن أبا عمرو الشيباني الذي توفي في اليوم الذي توفي فيه أبو العتاهية اسمه إسحاق بن مرار (وزان كتاب) وهو من رمادة الكوفة، ونزل إلى بغداد وجاور شيبان للتأدب فيها فنسب إليها، وكان من الأئمة الأعلام في اللغة والشعر. وفي ء: «وعبد السلام» بزيادة واو العطف، وهو ما يفيد أنه اسم لشخص آخر ذكر في وفيات هذه السنة. وقد بحثنا في كتب التاريخ والتراجم عمن توفوا في سنة ٢١٣ فلم نعثر فيهم على من تسمى بعبد السلام. وفي نسخة أ: «أبو عمرو الشيباني... السلام». والظاهر أن البياض في «أ» وكلمة «عبد» في باقي الأصول أصله «بمدينة». ومدينة السلام هي بغداد. ويؤيد هذا ما ورد في «وفيات الأعيان» في ترجمة أبي عمرو الشيباني من قوله: «... مات إسحاق بن مرار في اليوم الذي مات فيه أبو العتاهية وإبراهيم النديم الموصليّ سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد».

أُذْنَ حَـــيٌّ تَسَمَّعِـــي   اِسْمَعِـي ثُـمَّ عِـي وعِـي
أنـــا رَهْـــنٌ بِمَضْجَعِـــي   فـاحْـذَرِي مِثْـلَ مَصْـرَعِـي
عِشْــتُ[1] تسعيـــنَ حِجَّــةً   أَسْلَمَتْنـــي لمَضْجَعـــي
كَـمْ تـرى الحَـيَّ ثـابتـاً   فـي دِيَـارِ التـزَعْـزُعِ
ليـــس زادٌ ســوى التُّقــى   فخُـــذِي منــه أَوْ دَعِـــي

رثاه ابنه بشعر:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمةَ قال:

لمَّا مات أبو العتاهية رثاه ابنه محمد بن أبي العتاهية فقال:

[١١٢/٤] / يــا أبــي ضَمَّــكَ الثَّــرَى   وطَـــوى المـــوتُ أجْمَعَـــكْ
ليتَنـــي يـــومَ مُـــتَّ صِـرْ   تُ إلـــى حُفْـــرةِ مَعَـــكْ
رحِـــمَ اللّـــهُ مَصْــرَعَــكْ   بَـــرَّدَ اللّـــهُ مَضْجَعَـــكْ

أنكر ابنه أنه أوصى أن يكتب شعر على قبره:

أخبرني الحسن قال حدّثني أحمد بن زُهَير قال:

قال محمد بن أبي العتاهية: لَقِيَني محمد بن أبي محمد اليَزِيدِيّ[2] فقال: أَنْشِدْني الأبياتَ التي أَوْصَى أبوك أن تُكْتَبَ على قَبْره؛ فأنشأتُ أقول له:

كَـذَبْـتَ علَـى أخٍ لـك فـي مَمَـاتـهْ   وكَـمْ كَـذِبٍ فَشَـا لـك فـي حَيـاتـهْ
[١٨٣/٣] / وأكْـذَبُ مـا تكـونُ علـى صَـدِيـقٍ   كَـذَبْـتَ عليـه حَيًّـا فـي مَمَـاتـهْ

فخَجِل وانصرف. قال: والنّاس يقولون: إنّه أوْصَى أنْ يُكْتَبَ على قبره شعرٌ له، وكان ابنُه يُنْكِر ذلك.

وذكر هارون بن عليّ بن مَهْدِيّ عن عبد الرحمن بن الفضل أنّه قرأ الأبياتَ العينيّة التي أوّلها:

* أُذْنَ حَـيٌّ تَسَمَّعِـي *

على حَجَرٍ عند قبر أبي العتاهية.

ولم أذكُرْ هاهنا مع أخبار أبي العتاهية أخبارَه مع عُتبةَ، وهي من أعظم أخباره؛ لأنّها طويلة، وفيها أغانٍ كثيرة، وقد طالت أخباره هاهنا فأفردتُها.

---

(١) في «الديوان» بدل هذا البيت والذي يليه بيت واحد، وهو:
عشـــت تسعيـــن حجـــة   فـــي ديـــار التـــزعـــزع

(٢) في الأصول: «الزبدي». والتصويب عن كتاب «الأنساب» للسمعاني.

/ أخبار فريدة

[١١٣/٤]

أخبار فريدة الكبرى ونشأتها ومصيرها:

قال مؤلف هذا الكتاب: هما اثنتان مُحسِنتان لهما صَنْعةٌ تُسَمَّيان بفَرِيدة. فأمّا إحداهما، وهي الكبرى، فكانت مُوَلَّدةً نشأتْ بالحجاز، ثم وقعتْ إلى آل الربيع، فعُلِّمَتِ الغِناءَ في دُورهم، ثم صارتْ إلى البرامكة. فلمّا قُتِل جعفر بن يحيى ونُكِبُوا هَرَبتْ، وطلبها الرشيد فلم يجدها، ثم صارت إلى الأمين، فلمّا قُتِل خرجتْ، فتزوّجها الهَيْثَم بن مُسْلِم[١] فولدتْ له ابنَه عبدَالله، ثم مات عنها، فتزوَّجها السِّنْدِيّ بن الحَرَشِيّ[٢] وماتت عنده. ولها صنعةٌ جيِّدة، منها في شعر الوليد بن يَزِيد:

بعض الشعر الذي لها فيه صنعة:

صوت

وَيْــحَ سَلْمَــى لــو تَــرَانِــي لَعَنَــاهــا مــا عَنَــانِــي
واقفــاً فــي الــدَّار أبْكِــي عــاشقــاً حُــورَ الغَــوَانِــي

ولحنُها فيه خفيفُ رمَلٍ.

ومن صَنْعتها:

صوت

ألاَ أيُّهــا الــرَّكْــبُ ألاَ هُبُّــوا نُسَائلكُمْ هـل يقتُـل الرَّجُـلَ الحُـبُّ[٣]
ألاَ رُبَّ رَكْــبٍ قــد وقفــتُ مَطِيَّهُــمْ عليكِ ولـولا أنـتِ لـم يَقِـفِ الـرَّكْـبُ

لحنُها فيه ثاني ثقيل. وفيه لابن جامع خفيفُ رَمَلٍ بالسبَّابة في مجرى الوسطى.

/ سأل صالح بن حسان الهيثم بن عديّ عن بيت نصفه بدوي والآخر حضري ثم ذكره:

[١١٤/٤]

فحدّثني محمد بن العباس اليَزِيديّ قال حدّثنا الخليل بن أَسَدٍ قال حدّثني العُمَرِيّ قال حدّثني الهيثم بن عَدِيّ قال:

(١) كذا في ب، س. وفي سائر النسخ: «سلم».
(٢) كذا في «الطبري» (ص ٦٨٠ و ٧٣٤ و ٨٥٥ و ٨٥٦ من القسم الثالث) وهو أحد رجالات الرشيد والمأمون. وفي الأصول: «الجرشي» بالجيم.
(٣) الرواية المشهورة لهذين البيتين:

ألا أيهــا النــوّام ويحكــم هبّــوا نســائلكم هــل قتــل الــرجــل الحــبُّ
ألا رب ركــب قــد دفعــت وجيفهــم إليــك ولــولا أنــت لــم يــوجــف الــركــبُ

قال صالح بن حَسّان يوماً: ما نِصْفُ بيتٍ كأنّه أعرابيّ في شَمْلةٍ، والنصفُ الآخَرُ كأنّه مُخَنَّثٌ مُفَكَّك؟ قلت: لا أدري. فقال: قد أَجّلتُك حولاً. فقلت: لو أَجّلتني عشرةَ أحوالٍ ما عرفتُه. فقال: أَوَّهْ! أُفٍّ لك! قد كنتُ أحسَبك أجودَ ذِهْناً مما أرى. فقلت: فما هو الآن؟ قال: قولُ جميل.

* ألا أيّهـا الـرَّكْـبُ النِّـيامُ ألا هُـبُّوا *

هذا كلام أعرابيّ، ثم قال:

* أُسائلكم هل يقتل الرَّجلَ الحبُّ *

كأنّه والله من مخنّثي العقيق.

أخبار فريدة وهي المحسنة دون فريدة الكبرى:

وأمّا فريدةُ الأُخرى فهي الّتي أرى بل لا أَشُكُّ في أنّ اللَّحْنَ المختارَ لها؛ لأنّ إسحاق اختار هذه المائةَ الصوتِ للواثق، فاختار فيها لِمُتَيَّمَ لحناً، ولأبي دُلَف لحناً، ولسُلَيْم بن سَلّام لحناً، ولرِياضَ جاريةِ أبي حَمّاد لحناً. وكانت فريدةُ أَثِيرةً عند الواثق وحَظِيَّةً لديه جِدًّا، فاختار لها هذا الصوت، لمكانها من الواثق، ولأنّها ليستْ دون مَنِ اختار له من نُظَرائها.

قدّمت هي وشارية في الطيب وإحكام الغناء:

١٨٤/٣ أخبرني الصُّوليّ قال / حدّثنا الحسين بن يحيى عن رَيِّقَ: أنها اجتمعت هي وخِشْفُ الواضِحيّة يوماً، فتذاكرتا أحسنَ ما سَمِعتاه من المُغَنّيات؛ فقالت رَيِّق: شارِيةُ أحسَنُهنّ غناءً ومُتَيَّم، وقالت خِشْف: عَرِيبُ وفَرِيدة؛ ثم اجتمعتا على تساوِيهنّ، وتقديم متيّم في الصَّنْعة، وعَرِيب في الغَزارة والكثرة، وشاريةَ وفَرِيدةَ في الطِّيب وإحكام الغناء.

[١١٥/٤] / أهداها ابن بانة للواثق:

حدّثني جَحْظةُ قال حدّثني أبو عبدالله الهشاميّ قال:

كانت فَرِيدةُ جارية الواثق لعَمْرو بن بانة، وهو أهداها إلى الواثق، وكانت من الموصوفات المُحسِنات، ورُبِّيَتْ عند عمرو بن بانة مع صاحبةٍ لها اسمُها «خِلّ»، وكانت حسنةَ الوجه، حسنةَ الغِناء، حادّةَ الفِطْنة والفَهْم.

سألت ابن بانة عن صاحبة لها بالإشارة:

قال الهشاميّ فحدّثني عمرو بن بانةَ قال: غَنّيتُ الواثقَ:

قلـتُ حِـلاًّ[1] فـاقبَلِـي مَعْـذِرَتِـي ... مـا كـذا يَجـزِي مُحِـبٌّ مَـنْ أَحَـبّْ

فقال لي: تَقَدّمْ إلى السِّتارة فألْقِه على فَرِيدةَ، فألقيتُه عليها؛ فقالت: هو حِلٌّ[2] أو خِلٌّ كيف هو؟ فعلمتُ أنها سألتني عن صاحبتها في خَفاءٍ من الواثق.

(١) كذا في ترجمة عمر بن أبي ربيعة الواردة في هذا الكتاب (ج ١ ص ١٣٤ من هذه الطبعة). وفي الأصول هنا: «خلا» بالخاء المعجمة.

(٢) في الأصول: «خلي» بالخاء المعجمة والياء في آخره.

تزوّجها المتوكل ثم ضربها حتى غنت:

ولمّا تزوّجها المتوكل أرادها على الغناء، فأبتْ أن تُغَنِّي وفاءً للواثق، فأقام على رأسها خادماً وأمَرَه أن يضرب رأسها أبداً أو تُغَنِّيَ؛ فاندفعتْ وغَنَّتْ:

فَلا تَبْعَدْ[1] فكُلُّ فتى سيأتي ... عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي

نقل ابن بسخنر قصة لها مع الواثق وغيرته من جعفر المتوكل:

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجم قال حدّثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال:

كانت لي نَوْبة في خدمة الواثق في كل جمعة، إذا حضرتُ رَكِبتُ إلى الدار؛ فإنْ نَشِط إلى الشُّرْب أقمتُ عنده، وإن لم يَنْشَطِ انصرفت. وكان رَسْمُنا ألاّ يحضر أحدٌ منّا إلاّ في يوم نوبته. فإنّي لفي منزلي في غير يوم نوبتي إذا رُسُل الخليفة قد هجموا عليّ وقالوا لي: احضُرْ. فقلت: أَلِخَيْرٍ؟ قالوا: خير. فقلت: إنّ هذا يومٌ لم يُحْضِرْني فيه أمير المؤمنين قطُّ، ولعلكم غلِطتم. فقالوا: الله المستعان، لا تُطِلْ / وبادِرْ؛ فقد أمَرنا ألاّ نَدَعَك تستقرّ على [١١٦/٤] الأرض. فداخلني فزع شديد؛ وخِفتُ أن يكون ساعٍ قد سعى بي، أوْ بَلِيَّةٌ قد حدثتْ في رأي الخليفة عليّ؛ فتقدّمتُ بما أردت وركبت حتى وافيتُ الدار؛ فذهبت لأدخل على رَسْمي من حيث كنتُ أدخل، فمُنِعتُ، وأخذ بيدي الخَدَم فأدخلوني وعدَلوا بي إلى مَمرّات[2] لا أعرفها، فزاد ذلك في جَزَعِي وغمّي. ثم لم يَزَلِ الخَدَم يُسْلِمونني من خدمٍ إلى خَدَم حتى أَفضيتُ إلى دار مفروشة الصَّحْن، مُلْبَسة الحِيطان بالوَشْي المنسوج بالذهب، ثم أفضيتُ إلى رِوَاقٍ أرضُه وحيطانُه مُلْبَسَةٌ بمثل ذلك، وإذا الواثق في صَدْره على سَريرٍ مُرَصَّع بالجوهر وعليه ثيابٌ منسوجة بالذهب، وإلى جانبه فَريدةُ جاريتُه، عليها مثلُ ثيابه وفي حِجرها عُودٌ. فلمّا رآني قال: جَوَّدْتَ[3] والله يا محمد إلينا. فقبّلت الأرضَ ثم قلت: يا أمير المؤمنين خيراً! قال: خيراً، أمَا ترانا[4]! طلبتُ والله ثالثاً يُؤنِسنا فلم أرَ أحقَّ بذلك منك، فبحياتي بَادِرْ فكُلْ شيئاً وبادِرْ إلينا. فقلتُ: قد والله يا سيّدي أكلتُ وشَرِبْت أيضاً. قال: فاجْلِسْ فجلستُ، وقال: هاتوا لمحمد رِطْلاً في قَدَحٍ، فأُحْضِرْتُ ذلك، واندفعتْ فريدةُ تُغَنِّي:

/ أَهابُكِ إجلالاً وما بكِ قُدرةٌ ... عليّ ولكنْ مِلْءُ عينٍ حَبيبُها [١٨٥/٣]

وما هَجَرتُكِ النَّفْسُ يا لَيْلَ أَنَّها ... قَلَتْكِ ولا أنْ قَلَّ منكِ نَصِيبُها[5]

فجاءت والله بالسِّحْر، وجعل الواثق يُجاذِبها، وفي خلال ذلك تُغَنِّي الصوتَ بعد الصوت، وأُغَنِّي أنا في خلال غِنائها، فمرّ لنا أحسنُ ما مَرَّ لأحد. فإنا لكذلك إذ رَفَع / رِجْلَه فضرب بها صَدْرَ فَريدةَ ضربة تدحرجت منها من [١١٧/٤] أعلى السرير إلى الأرض وتَفتّتَ عُودُها ومَرّتْ تعدو وتَصِيح، وبَقِيتُ أنا كالمنزوع الرُّوح؛ ولم أشُكَّ في أنّ عينه

---

(١) لا تبعد: لا تهلك.

(٢) في جميع الأصول: «مبرات» بالباء، وهو تحريف.

(٣) جوّدت هنا: أسرعت. قال في «اللسان»: «يقال: جوّد في عدوه تجويداً».

(٤) في ب، س: «خيراً ما ترى أنا طلبت...».

(٥) ورد هذا البيت في شرح «ديوان حماسة» أبي تمام (ص ٥٩٨ طبع أوروبا) هكذا:

وما هجرتك النفس أنك عندها ... قليل ولكن قل منك نصيبها

وقعتْ عليّ[1] وقد نظرتُ إليها ونظرتْ إليّ؛ فأطرقَ ساعة إلى الأرض متحيّراً وأطرقتُ أتوقَّع ضرب العُنُق. فإنّي لكذلك إذ قال لي: يا محمد، فوثبتُ. فقال: وَيْحَكَ! أرأيتَ أغربَ مما تَهَيَّأ علينا! فقلتُ: يا سيِّدي، الساعةَ والله تخرج رُوحي، فعلَى مَنْ أصابنا بالعين لعنةُ الله! فما كان السببُ؟ أَلِذَنْبٍ؟ قال: لا والله! ولكن فكرت أنّ جعفراً يقعُد هذا المقعَد ويقعُد معها كما هي قاعدة معي، فلم أُطِقِ الصبرَ وخامرني ما أخرجني إلى ما رأيتَ. فسُرِيَ عنّي وقلت: بل يقتُل الله جعفراً، ويحيا أمير المؤمنين أبداً، وقبّلت الأرض وقلت: يا سيِّدي اللَّهَ اللَّهَ! اِرْحَمْها ومُرْ بردّها. فقال لبعض الخَدَم الوقوفِ: مَنْ يجيء بها؟ فلم يكن بأسرعَ من أن خرجت وفي يدها عُودُها وعليها غيرُ الثياب التي كانت عليها. فلما رآها جذبها وعانقها، فبكتْ وجعل هو يبكي، واندفعتُ أنا في البكاء. فقالت: ما ذَنْبي يا مولاي ويا سيِّدي؟ وبأيِّ شيءٍ استوجبتُ هذا؟ فأعاد عليها ما قاله لي وهو يبكي وهي تبكي. فقالت: سألتُك بالله يا أمير المؤمنين إلّا ضربتَ عُنقي الساعةَ وأرَحْتَني من الفكر في هذا، وأرحتَ قلبك من الهمّ بي، وجعلت تبكي ويبكي، ثم مسحا أعينَهما ورجعتْ إلى مكانها؛ وأومأ إلى خَدَم وُقُوفٍ بشيءٍ لا أعرِفه، فمضوا وأحضروا أكياساً فيها عَيْنٌ[2] ووَرِقٌ، ورُزَماً فيها ثياب كثيرة، وجاء خادمٌ بدُرْجٍ ففتحه وأخرج منه عِقْداً ما رأيتُ قطُّ مثلَ جوهر كان فيه، فألبسَها إيّاه، وأُحضِرت بَدْرة فيها عشرةُ آلافِ درهم فجُعِلَتْ بين يدي وخمسةُ تُخُوتٍ فيها ثياب، وعُدْنا إلى أمرنا وإلى أحسنِ مما كنا؛ فلم نَزَلْ كذلك / إلى الليل، ثم تفرّقنا. [١١٨/٤]

قصتها مع المتوكّل بعد الواثق:

وضَرَب الدهر ضَرْبَه[3] وتقلّد المتوكل. فواللّهِ إنّي لفي منزلي بعد يوم نَوْبَتي إذ هَجَم عليّ رُسُلُ الخليفة، فما أمهلوني حتى رَكِبْتُ وصِرْتُ إلى الدّار، فأُدخِلْتُ واللّهِ الحجرةَ بعينها، وإذا المتوكّل في الموضع الذي كان فيه الواثقُ على السرير بعينه وإلى جانبه فَرِيدةُ. فلمّا رآني قال: وَيْحَكَ! أمَا ترى ما أنا فيه من هذه! أنا منذ غُدْوةٍ أطالبها بأنْ تُغَنِّيني فتأبَى ذلك! فقلت لها: يا سبحانَ الله! أتُخالفين سيِّدك وسيِّدنا وسيد البشر! بحياته غَنِّي! فعرفتْ واللّهِ ثم اندفعتْ تُغَنِّي:

مُقِيمٌ بالمَجَازةِ[4] من قَنَوْنَى[5] ... وأهلُكِ بالأُجَيْفِرِ[6] فالثِّمادِ[7]

فلا تَبْعَدْ فكلُّ فتًى سيأتي ... عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي

ثم ضربتْ بالعود الأرضَ، ثم رمتْ بنفسها عن السرير ومرَّت تعدو وهي تصيح واسيِّداه! فقال لي: ويحَك! ما هذا؟ فقلتُ: لا أدري والله يا سيِّدي. فقال: فما ترى؟ فقلت: أرى / أن أنصرف أنا وتحضُرَ هذه ومعها غيرُها؛ فإنّ الأمر يؤول إلى ما يُريد أمير المؤمنين. قال: فانْصَرِفْ في حِفْظ الله! فانصرفتُ ولم أدرِ ما كانت القصة. [١٨٦/٣]

---

(١) في الأصول: «وقعت إليّ»، على أنه يجوز أن يكون التحريف في الفعل وأن أصله: «وقعت إليّ».

(٢) العين: الذهب المضروب وهو الدنانير. والورق: الدراهم المضروبة من الفضة.

(٣) يقال: ضرب الدهر ضربانه ومن ضربانه، وضرب الدهر ضربه ومن ضربه أي مرّ من مروره وذهب بعضه.

(٤) المجازة: منزل من منازل طريق مكة بين ماوية وينسوعة.

(٥) قنوني: واد من أودية السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة.

(٦) الأجيفر: موضع في أسفل السبعان من بلاد قيس. وقال الأصمعيّ: هو لبني أسد.

(٧) الثماد: موضع في ديار بني تميم قرب المرّوت.

مدح محمد بن عبد الملك غناءها:

أخبرني جعفر بن قدامةَ قال حدّثني محمد بن عبد الملك قال:

سمعتُ فريدة تغنّي:

أخِلاّيَ بي شَجْوٌ وليس بكم شَجْوُ ... وكلُّ امرىءٍ مما بِصاحبه خِلْوُ

أذابَ الهوى لَحْمِي وجِسْمِي ومَفْصِلي ... فلم يبقَ إلاّ الرُّوحُ والجَسَدُ النِّضْوُ

فما سمعتُ قبلَه ولا بعده غناءً أحسنَ منه.

/ الشعر لأبي العتاهية، والغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل مطلق في مجرى الوسطى عن الهِشاميّ، وله أيضاً فيه [١١٩/٤] خفيفُ ثَقِيلٍ بالسبّابة والبِنصَر عن ابن المكيّ. وفيه لعمرو بن بانةَ رملٌ بالوسطى من مجموع أغانيه. وفيه لعَرِيبَ خفيفُ ثَقِيلٍ آخَرُ صحيحٌ في غنائها من جَمْع ابنِ المعتزّ وعليّ بن يحيى. وتمام هذه الأبيات:

وما مِنْ مُحِبٍّ نال ممن يُحِبُّهُ ... هوًى صادقاً إلاّ سَيَدْخُلُه زَهْوُ

ـ وفيها كلُّها غناء مُفترقُ الألحان في أبياته(١) ـ:

بُلِيتُ وكان المَزْحُ بدءَ بليّتي ... فأحببتُ جهلاً والبلايا لها بَدْوُ

وعُلِّقْتُ مَنْ يَزْهُو عليّ تَجَبُّراً ... وإنّيَ في كلّ الخِصال له كُفْوُ

صوت

من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

باتتْ هُمُومِي تَسْرِي طوارقها ... أكُفُّ عيني والدمعُ سابِقُها

لِمَا أتاها مِنَ اليقين ولم ... تكُنْ تراه يُلِمُّ طارقُها

الشعر لأُميّة بن أبي الصَّلْت، والغِناءُ للهُذَليّ خفيفُ ثَقِيلٍ أوّل بالوسطى. وفيه لابن مُحْرِزٍ لحنان: هَزَجٌ وثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ وحبش. وذكر يونس: أنّ فيه لابن مُحْرز لحناً واحداً مجنَّساً.

---

(١) وردت هذه الجملة في الأصول هكذا: «وفيها كلها غناء مفترق في أبياته الألحان». وكان ينبغي أن تكون هذه الجملة عقب الأبيات.

[٤/١٢٠]

ذكر أمية بن أبي الصّلت ونسبه وخبره

نسبه من قبل أبويه:

واسمُ أبي الصَّلْت عبدُالله بن أبي ربيعة بن عَوْف بن عُقْدَةَ بن عَنزةَ[1] بن قَسِيّ، وهو ثَقِيفُ بن مُنَبِّه بن بَكْر بن هَوَازِن. هكذا يقول مَنْ نَسَبهم إلى قَيْس[2]، وقد شُرِح ذلك في خبر طُرَيْح[3]. وأُمّ أميّة بن أبي الصلت رُقَيّةُ بنت عبد شمس بن عبد مَنَاف. وكان أبو الصلت شاعراً، وهو الذي يقول في مدح سيف بن ذي يَزَن:

لِيَطْلُبِ الثأرَ أمثالُ ابن ذي يَزَنٍ ... إذ صارَ في البَحْرِ للأعداء أحْوَالا[4]

وقد كُتِب خبر ذلك في موضعه.

أولاد أمية:

وكان له أربعة بنين: عمروٌ وربيعة ووَهْبٌ والقاسم. وكان القاسم شاعراً، وهو الذي يقول ـ أنشدَنيه الأخفَش وغيرُه عن ثَعْلَب، وذكر الزُّبير أنّها لأميّة ـ:

$\frac{١٨٧}{٣}$

صوت

قومٌ إذا نَزَلَ الغريبُ[5] بدارِهم ... رَدُّوه ربَّ صَواهِلٍ وقِيَانِ

لا يَنْكُتون الأرضَ عند سُؤالِهم ... لِتَلَمُّسِ العِلّاتِ بالعِيدانِ

يمدَح عبدَالله بن جُدْعان بها، وأوّلها:

قومي ثَقِيفٌ إنْ سألتَ وأُسْرتي ... وبهم أُدافِع ركْنَ مَنْ عاداني

غنَّاه الغَرِيض، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصَر. ولابن مُحْرِزٍ فيه خفيفُ ثقيلٍ أوّلُ بالوسطى، عن الهشاميّ جميعاً.

---

(١) في كتاب «الشعر والشعراء»: «غيرة». وغيرة (وزان عنبة): اسم قبيلة أيضاً.

(٢) يريد قيس عيلان وهو الجد الأعلى لهوازن؛ لأن هوازن هو ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان.

(٣) ستأتي أخبار طريح في هذا الجزء (ص ٣٠٢).

(٤) في «الشعر والشعراء»:

لن يطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن ... لجج في البحر للأعداء أحوالا

وفي «شعراء النصرانية»:

* في البحر خيّم للأعداء أحوالا *

وفي «سيرة ابن هشام»:

* في البحر ريم للأعداء أحوالا *

(٥) في «الشعر والشعراء»: «الحريب» بالحاء المهملة، وهو الذي سلب ماله.

/ [١٢١/٤] وكان ربيعة ابنُه شاعراً، وهو الذي يقول:

وإنْ يَــكُ حيًّــا[١] مــن إيَــادٍ فــإنَّنــا ... وقَيْســاً سَــوَاءٌ مــا بَقِينَــا ومــا بَقُــوا

ونحــن خيــارُ النَّــاسِ طُــرًّا بِطــانــةً ... لِقَيْــسٍ وهُــمْ خيــرٌ لنــا إنْ هُــمُ بَقُــوا[٢]

كان يستعمل في شعره كلمات غريبة

أخبرني إبراهيم بن أيُّوب قال حدّثنا عبدالله بن مُسْلِم قال:

كان أُمَيّة بن أبي الصَّلْتِ قد قرأ كتاب الله عز وجل الأوّل، فكان يأتي في شعره بأشياء لا تَعْرِفها العرب؛ فمنها قولُه:

* قَمــرٌ وسَــاهُــورٌ يُسَــلُّ ويُغْمَــدُ[٣] *

وكان يسمّي اللَّهَ عزّ وجلّ في شعره السَّلْطِيطَ، فقال:

* والسَّلْطِيــــطُ[٤] فــــوق الأرض مُقْتَــــدِرُ *

وسمّاه في موضع آخَرَ التغرور فقال[٥]: «وأيّده التغرور». وقال ابن قُتَيْبَةَ: وعلماؤنا لا يحتجّون بشيء من شعره لهذه العِلّة.

هو أشعر ثقيف بل أشعر الناس

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّةَ قال:

/ [١٢٢/٤] قال أبو عُبَيدة: اتَّفقت العرب على أنّ أشعرَ أهل المُدُن أهلُ يَثْرِبَ ثم عبدُ القيس ثم ثَقيف، وأنّ أشعرَ ثَقيف أُمَيّة بن أبي الصَّلْت.

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال:

قال يحيى بن محمد: قال الكُمَيْتُ: أُمَيّة أشعرُ الناس، قال كما قُلْنا ولم نَقُلْ كما قال.

---

(١) كذا في الأصول.

(٢) كذا في الأصول. وفيه الإيطاء وهو تكرار القافية لفظاً ومعنى، وهو عيب.

(٣) هذا عجز بيت وصدره:

* لا نقص فيه غير أن خبيئه *

والساهور فيما يذكر أهل الكتاب: غلاف القمر يدخل فيه إذا كسف.

(٤) هكذا في الأصول. وهذه الصيغة لا يتزن بها الشطر. وقد ورد البيت كاملاً في «اللسان» (مادة سلط) هكذا:

إن الأنــام رعــايــا الله كلهــم ... هــو السَّلِيطــط فــوق الأرض مستطــر

قال ابن جني: هو القاهر، من السَّلاطة. قال: ويروى السَّلِيطَط (بكسر السين) وكلاهما شاذ. قال صاحب «التهذيب»: سليطط جاء في شعر أمية بمعنى المسلط، قال: ولا أدري ما حقيقته. وورد في «الشعر والشعراء»: «السلطليط». وفي «القاموس»: «والسلطيط» بالكسر: المسلط، ثم قال شارحه: «هكذا في سائر أصول «القاموس»، والصواب السَّلطيط كما في «العباب»، وقد وجد هكذا أيضاً في بعض النسخ على الهامش، وهو صحيح. ويروى السليطط بفتح السين وبكسرها... وبكل هذا يروى شعر أمية... إلخ».

(٥) عبارة ابن قتيبة في «الشعر والشعراء»: «وأبدت الثغرورا، يريد الثغر. وهذه أشياء منكرة، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة في اللغة».

تعبد والتمس الدين وطمع في النبوّة:

قال الزُّبَيْر وحدّثني عَمّي مُصْعَب عن مُصْعَب بن عثمان قال:

كان أُميّة بن أبي الصلت قد نَظَر في الكُتُب وقرأها، ولَبِس المُسُوحَ تَعَبُّداً، وكان ممن ذكَر إبراهيمَ وإسماعيل والحَنيفيّة، وحرّم الخمرَ وشكّ في الأوثان، وكان[1] مُحَقِّقاً، والتمس الدِّين وطَمِع في النبوّة؛ لأنه قرأ في الكُتب أنّ نَبِيّاً يُبْعَثُ من العرب، فكان يرجو أن يكونَه[2]. قال: فلمّا بُعِث النبيُّ ﷺ قيل له: هذا الذي كُنْتَ تَسْتَرِيثُ[3] وتقول فيه؛ فحسَده عدوُّ الله وقال: إنّما كنتُ أرجو أنْ أكونَه؛ فأنزل الله فيه عزّ وجلّ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾. قال: وهو الذي يقول:

كُـلُّ دِيـنٍ يـومَ القيامـةِ عنـد الـلّـ ـهِ إلاّ دِيـنَ الحَنيفـةِ زُورُ

كان يحرّض قريشاً بعد بدر:

قال الزُّبير وحدّثني يحيى بن محمد قال: كان أُميّة يُحَرِّض قريشاً بعد وَقْعة بَدْرٍ، وكان يَرْثِي مَنْ قُتِل من قريش في وَقْعة بدر؛ فمن ذلك قولُه:

مـاذا بِبَـدْرٍ والعَقَنْـ ـقَـلِ مِـنْ مَـرَازِبـةٍ جَحَـاجِـحْ[4]

[١٢٣/٤] / وقال: وهي قصيدةٌ نهى رسول الله ﷺ عن رواياتها. ويقال: إن أُميّة قَدِم على أهل مكة «باسمِك اللّهُمّ»؛ فجعلوها في أوّل كُتُبهم مكان (بسم الله الرحمن الرحيم).

أسف الحجاج على ضياع شعره:

قال الزُّبير وحدّثني عليّ بن محمد المدائنيّ قال:

[١٨٨/٣] قال الحجّاج على المِنْبَر: ذَهب قومٌ يَعْرِفون شعر أُميّة، / وكذلك اندراسُ الكلام.

كان يتحسس أخبار نبيّ العرب فلما أخبر ببعثته تكدّر:

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير عن عُمَر بنِ أبي بكر المُؤَمّلي[5] وغيرِه قال:

كان أُميّة بن أبي الصلت يلتمس الدِّين ويطمَع في النبوّة، فخرج إلى الشأم فمرّ بكنيسة، وكان معه جماعةٌ من العرب وقريش، فقال أُميّة: إنّ لي حاجةً في هذه الكنيسة فانتظروني، فدخل الكنيسةَ وأبطأ، ثم خرج إليهم كاسفاً متغيِّر اللَّون، فرمَى بنفسه، وأقاموا حتى سُرِّي عنه، ثم مَضَوْا فَقَضَوْا حوائجهم ثم رجعوا. فلمّا صاروا إلى الكنيسة قال لهم: انتظروني، ودخل إلى الكنيسة فأبطأ، ثم خرج إليهم أسوأ من حاله الأولى؛ فقال أبو سُفْيان بن حَرْب: قد

(١) في حـ: «وصام محققاً».
(٢) في جميع الأصول: «أن يكون هو».
(٣) تستريث: تستبطيء.
(٤) العقنقل: كثيب رمل ببدر. ومرازبة: جمع مرزبان، وهو الفارس الشجاع المقدّم على القوم دون الملك، وهو معرّب وأصله فارسي. وجحاجح: جمع جَحْجَح، وهو السيد المسارع في المكارم.
(٥) كذا ورد هذا الاسم هنا في أكثر الأصول، وهو الموافق لما في «الطبري» (ص ١١١٦ قسم أوّل طبعة أوروبا) وأشير بهامشه إلى أن في بعض النسخ: «الموصلي». وفي م، ء هنا وفي جميع الأصول فيما يأتي (ص ١٢٥): «عمرو بن أبي بكر الموصلي».

شَقَقْتَ على رُفَقائك. فقال: خَلُوني؛ فإنّي أرتاد على نَفْسِي[1] لمَعَادي، إنّ هاهنا راهباً عالماً أخبرني أنه تكون بعد عيسى عليه السلامُ سِتُّ رَجَعاتٍ، وقد مضتْ منها خمسٌ وبَقِيتْ واحدةٌ، وأنا أطمَع في النبوّة وأخاف أن تُخطِئني، فأصابني ما رأيتَ. فلمّا رجعتُ ثانيةً أتيتُه فقال: قد كانتِ الرجعة، وقد بُعِث نبيٌّ من العرب؛ فيئستُ من النبوّة، فأصابني ما رأيتَ؛ إذا فاتني ما كنتُ أطمع فيه.

/ أخبره شيخ راهب أن ليست فيه أوصاف النبيّ: [٤/١٢٤]

قال: وقال الزُّهْرِيّ: خرج أميّة في سفر فنزلوا منزلاً، فأمّ أميّة وجهاً وصعِد في كَثيب، فرُفِعتْ له كنيسةٌ فانتهى إليها، فإذا شيخٌ جالسٌ، فقال لأميّة حين رآه: إنك لَمتبوع، فَمنْ أين يأتك رئيُك[2]؟ قال: من شِقّي الأيسر. قال: فأيُّ الثياب أحَبُّ إليك[3] أن يلقاك فيها؟ قال: السواد. قال: كِدْتَ تكون نبيَّ العرب ولستَ به، هذا خاطرٌ من الجنّ وليس بمَلَكٍ، وإنّ نبيَّ العرب صاحبَ هذا الأمر يأتيه من شِقّه الأيمن، وأحَب الثياب إليه أن يلقاه فيها البياضُ.

حديثه مع أبي بكر:

قال الزُّهْرِيّ: وأتى أُميّةُ أبا بكر فقال: يا أبا بكر، عَمِي الخبر، فهل أحسستَ شيئاً؟ قال: لا والله! قال: قد وجدتُه يخرُج العامَ.

سأل أبا سفيان عن عتبة بن ربيعة:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال:

سمعتُ خالد بن يزيد يقول: إنّ أُميّة وأبا سُفْيان اصطحبا في تجارة إلى الشأم؛ ثم ذكر نحوه، وزاد فيه: فخرج من عند الراهب وهو ثقيل. فقال له أبو سفيان: إنّ بك لَشَراً، فما قِصّتُك؟ قال: خيرٌ، أخبِرْني عن عُتْبَةَ بن رَبِيعةَ كَمْ سِنُّه؟ فذكر سِنّاً. وقال: أخبِرْني عن ماله فذكَر مالاً. فقال له: وضعتَه. فقال أبو سفيان. بل رفعتُه. فقال له: إنّ صاحب هذا الأمر ليس بشيخ ولا ذي مالٍ. قال: وكان الراهبُ أشْيَبَ، وأخبره أنّ الأمر لرجلٍ من قريش.

زعم أنه فهم ثغاء شاة:

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثني الزُّبير قال حُدِّثْتُ عن عبد الرحمن بن أبي حَمّاد المِنْقَرِيّ قال:

كان أُميّة جالساً معه قوم، فمرّتْ بهم غنمٌ فثَغَت[4] منها شاة؛ فقال للقوم: هل تَدْرُون ما قالتِ الشاة؟ قالوا لا. قال: إنّها قالت لِسَخْلتها: مُرّي لا يجيء الذئب / فيأكلك كما أكل أختَكِ عامَ أوّلَ في هذا الموضع. فقام بعض [٤/١٢٥] القوم إلى الراعي فقال له: أخبِرْني عن هذه الشاة التي ثَغَتْ ألها سَخْلةٌ؟ فقال: نعم، هذه سخلتها. قال: أكانت لها عامَ أوّلَ سخلةٌ؟ قال: نعم، وأكلها الذئب في هذا الموضع.

---

(١) في حـ: «النفسي لمعادي».

(٢) رئيّ (بفتح الراء وقد تكسر): جنيّ كانت العرب تزعم أنه يرى مصاحبه كهانة وطبا ويلقى على لسانه شعراً.

(٣) لعله: «أحب إليه». وانظر الخبر في ص ١٢٦.

(٤) ثغت الشاة: صاحت وصوّتت.

قال الأصمعي: كل شعره في بحث الآخرة:

قال الزُّبَير وحدّثني يحيى بن محمد عن الأَصْمَعيّ قال: ذهب أُمَيّة في شعره بعامّة ذِكْر الآخرة، وذهب عَنْتَرةُ بعامّة ذكر الحَرْب، وذهب عُمَر بن أبي ربيعة بعامّة ذكر الشباب.

جاءه طائران وهو نائم فشق احدهما عن قلبه:

قال الزبَيْر حدّثني عمر[1] بن أبي بكر المؤمّلي قال حدّثني رجلٌ من أهل الكوفة قال:

كان أميّة نائماً فجاء طائران / فوقَع أحدُهما على باب البيت، ودخل الآخَر فشَقّ عن قلبه ثم ردّه الطائر؛ فقال له الطائر الآخَر: أَوَعَى؟ قال نعم. قال: زَكَا؟ قال: أَبَى[2]. ١٨٩/٣

خرج مع ركب إلى الشام فعرضت لهم جنية فاسترشد راهباً للوقاية منها:

أخبرني عَمّي قال حدّثني أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابيّ عن ابن دَأْب قال:

خرج ركبٌ من ثَقِيفٍ إلى الشام، وفيهم أميّة بن أبي الصَّلْت، فلمّا قفَلوا راجعين نزلوا منزلاً لِيَتَعشَّوْا بعَشَاء، إذ أقبلتْ عَظَايةٌ[3] حتى دَنَتْ منهم، فَحصَبها بعضُهم بشيءٍ في وجهها فرجعتْ؛ وكَفَتُوا[4] سُفْرتَهم ثم قاموا يرحَلون مُمْسِين؛ فطلعتْ عليهم / عجوزٌ من وراء كَثِيبٍ مُقَابِلٍ لهم تتوكّأ على عصاً، فقالت: ما منعكم أن تُطْعِموا رَجِيمةَ[5] الجاريةَ اليتيمة التي جاءتكم عَشِيّةً؟ قالوا: ومَنْ أنتِ؟ قالت: أنا أُمّ العَوّام، إمْتُ[6] منذ أعوام؛ أمَا وربِّ العباد، لَتَفْتَرِقُنّ في البلاد؛ وضربتْ بعصاها الأرض ثم قالت: بَطِّئِي إيابَهم، ونَفِّرِي رِكابَهم؛ فوثبت الإبلُ كأنّ على ذِرْوَةِ كل بعير منها شيطاناً ما يُمْلَكُ منها شيءٌ، حتى افترقتْ في الوادي. فجمعناها في آخر النهار من الغد ولم نَكَدْ[7]. فلمّا أَنَخْناها لِنَرْحَلَها طلعتْ علينا العجوزُ فضربتِ الأرضَ بعصاها ثم قالت كقولها الأوّل؛ ففعلت الإبل كفعلها بالأمس، فلم نجمعها إلا الغَدَ[8] عَشِيّة. فلمّا أنخناها لِنَرْحَلَها أقبلتِ العجوزُ ففعلتْ كفعلها في اليومين ونفرت الإبلُ. فقُلْنا لأُميّة: أين ما كنت تُخبرنا به عن نفسك؟ فقالت: اذهَبُوا أنتم في طلب الإبل ودَعُوني. فتوجّه إلى ذلك الكثيب الذي كانت العجوز تأتي منه حتى علاه وهَبَط منه إلى وادٍ، فإذا فيه كنيسةٌ وقناديل، وإذا رجلٌ مضطجع معترض على بابها، وإذا رجلٌ أبيض الرأس واللِّحْية؛ فلمّا رأى أُمَيّةَ قال: إنّك لمتبوع، فمن أين يأتيك صاحبُك؟ قال: من أُذني اليسرى. قال فبأيّ الثياب يأمرك؟ قال: بالسواد. قال: هذا خطيب الجنّ؛ كِدت والله أن تكونَه ولم تفعل؛ إنّ

[126/4]

(١) في الأصول: «عمرو بن أبي بكر الموصلي». وانظر الحاشية رقم ١ في الصفحة ١٢٣.

(٢) ورد هذا الخبر في «طبقات الشعراء» لمحمد بن سلام الجمحي (ص ٦٧ طبع أوروبا) مع زيادة في العبارة واختلاف في بعض الكلمات. وسيعيده المؤلف بتفصيل أوفى في ص ١٢٧.

(٣) العظاية: دويبة ملساء تشبه سام أبرص وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل، وهي أنواع كثيرة وكلها منقطة بالسواد، ومن طبعها أنها تمشي مشياً سريعاً ثم تقف.

(٤) كذا في أ، ء، م. وكفت الشيء: ضم بعضه إلى بعض. وفي سائر الأصول: «وكفوا». والسفرة: ما يبسط تحت الخوان من جلد أو غيره.

(٥) في حـ: «رحيمة» بالحاء المهملة.

(٦) آمت المرأة (من باب ضرب): فقدت زوجها.

(٧) في الأصول: «تكد» بالتاء المثناة من فوق.

(٨) في الأصول: «إلى الغد».

صاحب النبوّة يأتيه صاحبه من قِبَل أذنه اليمنى، ويأمره بلباس البياض؛ فما حاجتك؟ فحدّثه حديثَ العجوز؛ فقال: صدقتْ، وليست بصادقة! هي آمرأةٌ يهودية من الجنّ هَلَك زوجُها منذ أعوام، وإنّها لن تزال تصنَع ذلك بكم حتى تُهْلِكَكم إنِ آستطاعت. فقال أميّة: وما الحِيلة؟ فقال: جَمِّعوا ظَهْرَكم[١]، فإذا جاءتكم ففعلتْ كما كانت تفعل فقولوا لها: سَبْعٌ من فوقٌ وسبعٌ من / أسفل، باسمِك اللّهُمّ؛ فلن تَضُرَّكم. فرجع أميّة إليهم وقد جمعوا الظَّهْر. [٤/١٢٧] فلمّا أقبلتْ قال لها ما أمره به الشيخ، فلم تَضُرَّهم. فلمّا رأتِ الإبلَ لم تتحرّك قالت: قد عرفتُ صاحبَكم، ولَيَبْيَضَّنّ أعلاه، ولَيَسْوَدَّنّ أسفلُه؛ فأصبح أميّة وقد بَرِص في عِذَارَيْهِ واسوَدّ أسفلُه. فلمّا قَدِموا مكةَ ذكروا لهم هذا الحديثَ؛ فكان ذلك أوّل ما كَتَب أهلُ مكة «باسمِك اللّهم» في كُتُبهم.

خبر الطائرين اللذين شق أحدهما صدره ومحاورتهما:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو غَسّان محمد بن يحيى قال حدّثنا عبد العزيز بن عِمْران عن عبد الرحمن بن عبدالله بن عامر بن مسعود عن الزُّهْرِيّ قال:

دخل يوماً أميّة بن أبي الصَّلْت على أخته وهي تهيىء[٢] أَدَماً لها، فأدركه النومُ فنام على سرير في ناحية البيت. قال[٣]: فانشقّ جانبٌ من السقف في البيت، وإذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخرُ مكانَه، فشَقّ الواقعُ / صدرَه فأخرج قلبَه فشقّه؛ فقال الطائرُ الواقفُ للطائر الذي على صدره: أوعى؟ قال: وَعَى. قال: ١٩٠/٣ أَقَبِلَ؟ قال: أبَى. قال: فردّ قلبه في موضعه فنَهَض؛ فأتبعهما أميّة طَرْفَه فقال:

لَبَّيْكُمـــــا لبيكمـــــا هـــــأنـــذا لَـــدَيْكُمـــا

لا بَرِيءٌ فأَعْتَذِر، ولا ذو عَشِيرةٍ فأَنْتَصِر. فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه، ثم أخرج قلبه فشقّه؛ فقال الطائر الأعلى: أَوَعَى؟ قال: وَعَى. قال: أَقَبِلَ؟ قال: أبى، ونَهَض؛ فأتبعهما بَصَرَه وقال:

لَبَّيْكُمـــــا لبيكمـــــا هـــــأنـــذا لـــديكمـــا

/ لا مالٌ يُغْنِيني، ولا عشيرةٌ تَحْمِيني. فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه، ثم أخرج قلبه فشقَّه؛ فقال الطائر [٤/١٢٨] الأعلى: أَوَعَى؟ قال: وَعَى. قال: أَقَبِل؟ قال: أبى، ونَهَض؛ فأتبعهما بصره وقال:

لبَّيكمـــــا لبيكمـــــا هـــــأنـــذا لـــديكمـــا

محفوفٌ بالنِّعم، محوطٌ من الريب. قال: فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه وأخرج قلبَه فشقّه؛ فقال الأعلى: أَوَعَى؟ فقال: وَعَى. قال: أَقَبِل؟ قال: أبى. قال: ونَهَض، فأتبعهما بصرَه وقال:

لَبَّيْكُمـــــا لبيكمـــــا هـــــأنـــذا لـــديكمـــا

إنْ تَغْفِرِ اللّهُـــمَّ تَغْفِـــرْ جَمّـــا وأيُّ عبـــدٍ لـــك لا أَلَمّا[٤]

---

(١) الظهر: الركاب التي تحمل عليها الأثقال في السفر، لحملها إياها على ظهورها.

(٢) في حـ: «تهنأ». وفي «اللسان» (مادة خلق): «قالت فدخل عليّ وأنا أخلق أديما لي». والخلق: التقدير؛ يقال: خلق الأديم يخلقه خلقاً، إذا قدره قبل القطع وقاسه ليقطع منه مزادة أو قربة أو خفاً.

(٣) كذا في ب، س، حـ. وفي سائر الأصول: «قالت» أي أخته.

(٤) ألم: باشر اللمم أي صغار الذنوب.

قالت أُخته: ثم انطبق السَّقفُ وجَلس أُمَيَّة يمسَح صدرَه. فقلت: يا أخي، هل تجد شيئاً؟ قال: لا، ولكنّي أجد حَرّاً في صَدْرِي. ثم أنشأ يقول:

ليتني كنتُ قبلَ ما قد بدا لي ... في قِنَانِ[1] الجبالِ أرْعَى الوُعولاَ

اِجْعَلِ الموتَ نُصْبَ عينِك واحْذَر ... غَوْلَةَ الدَّهْرِ إنّ للدّهر غُولاَ

تصديق النبيّ له في شعره:

حدّثني محمد بن جرير الطبريّ قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثني سَلَمة عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عُتْبة عن عِكْرِمة عن ابن عبّاس:

أنّ رسول الله ﷺ صَدَّق أُمَيَّة في قوله:

رَجُلٌ وثورٌ تحت رِجْلِ يَمِينِه ... والنَّسْرُ للأُخرى وليثٌ مُرْصَدُ[2]

[١٢٩/٤] / فقال رسول الله ﷺ. «صَدَق»[3].

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني حمّاد بن عبد الرحمن بن الفضل الحَرّانيّ قال حدّثنا أبو يوسف ـ وليس بالقاضي ـ عن الزُّهْرِيّ عن عُرْوة عن عائشة عن النبيّ ﷺ بمثل هذا.

أنشد النبيّ بعض شعره فقال: «إن كاد أمية ليسلم»:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبَير قال حدّثنا جعفر بن الحسين المُهَلَّبيّ قال حدّثني إبراهيم بن إبراهيم بن أحمد عن عِكْرِمة قال: أُنْشِد[4] النبيُّ ﷺ قولَ أُميّة:

الحمدُ لِلّه مُمْسانا ومُصْبَحَنا ... بالخير صَبَّحَنا ربّي ومَسّانا

رَبُّ الحنيفةِ لم تَنْفَدْ خزائنُها ... مملوءةً طَبَّقَ الآفاقَ سُلْطانَا

ألاَ نَبِيٌّ لنا مِنّا فيُخبِرَنا ... ما بعدَ غايتنا من رأس مَحْيانا

بينَا يُرَبِّبُنا آباؤنا هَلَكوا ... وبينما نَقْتَنِي الأولادَ أفنانا

وقد عَلِمْنا لَوَ انّ العلمَ ينفعنا ... أنْ سوف يَلْحَقُ أُخرانا بأُولانا

فقال النبيُّ ﷺ: «إنْ كاد أُمَيَّةُ لَيُسلِم».

شعر له في عتاب ابنه وتوبيخه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني أحمد بن مُعاوية قال حدّثنا عبدالله بن أبي بكر، / وحدّثنا خالدُ بن عُمارةَ: [١٩١/٣]

(١) القنان: أعالي الجبال، واحدها قنّة.

(٢) قال الجاحظ في كتاب «الحيوان» (ج ٦ ص ٦٨) طبع مصر: «وقد جاء في الخبر أن من الملائكة من هو في صورة الرجال، ومنهم من هو في صورة الثيران، ومنهم من هو في صورة النسور، ويدل على ذلك تصديق النبيّ ﷺ لأمية بن أبي الصلت...» وأورد هذا البيت.

(٣) هذه الكلمة تتطلب أن يكون الكلام قبلها هكذا: وأنشد رسول الله ﷺ قول أمية كذا فقال ﷺ: «صدق».

(٤) في س: «استنشدني»، في ب: «أنشدني».

/ أنّ أميّة عَتَب على ابنٍ له فأنشأ يقول: [١٣٠/٤]

غَـذَوْتُـك مـولـوداً ومُنْتُـكَ[١] يـافعـاً ... تـعـلُّ بمـا أَجْنِـي[٢] عليـك وتَنْهَـلُ

إذا ليلـةٌ نـابَتْـك بـالشَّكْـوِ[٣] لـم أَبِتْ ... لِشَكْـواكَ إلاّ سـاهـراً أَتَمَلْمَـلُ

كـأنّـي أنـا المطـروقُ دونَـك بـالّـذي ... طُـرِقـتَ بـه دُونـي فَعَيْنِـيَ تَهْمُـلُ

تخـافُ الـرَّدَى نفسـي عليـك وإنّنـي ... لأَعلـمُ أنّ المـوتَ حَتْـمٌ مُـؤَجَّـلُ

فلمّـا بلغـتَ السِّـنَّ والغـايـةَ التـي ... إليهـا مَـدَى مـا كنـتُ فيـك أُؤمِّـلُ

جعلـتَ جـزائـي غِلْظَـةً وفظـاظـةً ... كـأنّـك أنـت المُنْعِـمُ المُتَفَضِّـلُ

محاورة بين أبي بكر الهذليّ وعكرمة في شعر له:

قال الزبير قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ قال أبو بكر الهُذَليّ قال[٤]: قلتُ لِعكْرِمةَ: ما رأيتُ مَن يُبَلِّغنا عن النبيِّ ﷺ أنه قال لأُميّة: «آمَنَ شِعْرُه وكَفَر قلبُه»؛ فقال: هو حقٌّ، وما الذي أنكرتم من ذلك؟ فقلتُ له: أنكرنا قولَه:

والشمـسُ تطلُـع كـلَّ آخـرِ لَيلـةٍ ... حمـراءَ مَطْلَـعُ لَـونِهـا مُتَـوَرِّدُ

تـأبَـى فـلا تبـدو لنـا فـي رِسْلِهـا[٥] ... إلاّ مُعَـذَّبـةً وإلاّ تُجلَـدُ

فما شأنُ الشمس تُجْلَد؟ قال: والذي نفسي بيده ما طلعتْ قَطُّ حتّى يَنْخُسَها سبعون ألفَ مَلَكٍ يقولون لها: اطْلُعي؛ فتقول: أأطْلُعُ على قومٍ يعبدونني من دون الله! قال: فيأتيها شيطانٌ حين[٦] تستقبلُ الضِّياء يريد أن يَصُدَّها عن الطُّلوع فتطلُع على قَرْنَيه، فيُحْرِقه الله تحتها. وما غَرَبتْ قطُّ إلاّ خرّتْ للّهِ ساجدةً، فيأتيها شيطانٌ / يريد أن يَصُدَّها عن السجود، فتغرُب على قَرْنيه فيُحْرِقه الله تحتها؛ وذلك قول النبيِّ ﷺ: «تطلُع بين قَرْنَيْ شيطان وتغرب بين قرنَيْ شيطان». [١٣١/٤]

تمثل ابن عباس بشعره عند معاوية:

حدّثني أحمد بن محمد بن[٧] الجَعْد قال حدّثنا محمد بن عَبّاد قال حدّثنا سُفْيان بن عُيَيْنة عن زِيَاد بن سَعْد أنّه سمع ابن حاضِر[٨] يقول:

اختلف ابن عبّاس وعمرو بن العاصي عند معاوية؛ فقال ابن عباس: ألاَ أُغنيك؟ قال بلى! فأنشده:

---

(١) في شرح «ديوان الحماسة» للتبريزي (ص ٣٥٤) طبع أوروبا: «وعلتك».

(٢) أجني عليك: أكسب. ويجوز أن يكون من جنيت الثمرة جنياً وجناية. (عن «شرح الحماسة» للتبريزي). وفيه رواية أخرى: «بما أدنى إليك».

(٣) كذا في «شرح ديوان الحماسة». وفي الأصول: «آبتك بالشجو».

(٤) كذا ورد في جميع النسخ لفظ «قال»، ولا لزوم له.

(٥) الرسل هنا: الرفق والتؤدة.

(٦) في ب: «حتى يستقبل».

(٧) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «أحمد بن محمد الجعد». وهو من شيوخ أبي الفرج الدين يروي عنهم كثيراً في هذا الكتاب.

(٨) اسمه عثمان بن حاضر الحميري؛ ويقال: الأزدي أبو حاضر القاص. وقال عبد الرزاق: عثمان بن أبي حاضر (انظر «تهذيب التهذيب» في اسم عثمان).

والشمسُ تغربُ كلَّ آخرِ ليلةٍ … في عينِ ذِي خُلُبٍ[1] وثَأْطٍ حَرْمَدِ

أحاديثه وأحواله في مرض موته:

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا عمّي عن مُصْعَب بن عثمان عن ثابت بن الزُّبير قال:

لمّا مرض أميّة مَرَضَه الذي مات فيه، جعل يقول: قد دنا أجلي، وهذه المَرْضةُ مَنِيّتي، وأنا أعلم أنّ الحنيفيّة حقٌّ، ولكن الشكّ يُدَاخلُني في محمد. قال: ولمّا دنت وفاته أُغْمِي عليه قليلاً ثم أفاق وهو يقول:

لَبَّيْكُما لبيكما … هأنذا لديكما

[١٣٢/٤] / لا مالٌ يَفْدِيني، ولا عشيرةٌ تُنْجِيني. ثم أُغْمِي عليه أيضاً بعد ساعة حتى ظَنّ ممّنْ حَضَره من أهله أنّه قد قَضَى، ثم أفاق وهو يقول:

لَبَّيْكُما لبيكما … هأنذا لديكما

لا بَرِيءٌ فأعتذر، ولا قويٌّ فأنتصر. ثم إنّه بقي يحدّث مَنْ حَضَره ساعةً، ثم أُغْمِي عليه مثل المرّتين الأُولَيَيْنِ حتى يئسوا من حياته، وأفاق وهو يقول:

لبيكما لبيكما … هأنذا لديكما

محفوفٌ بالنِّعَم،

إنْ تَغْفِرِ اللّهُمَّ تغفرْ جَمّا … وأيُّ عبدٍ لك لا أَلَمّا

[١٩٢/٣] ثم أقبل على القوم فقال: قد جاء وقتي، فكونوا في أُهْبَتي؛ وحدّثهم قليلاً حتّى يئس القوم / من مَرَضه، وأنشأ يقول:

كلُّ عيشٍ وإنْ تَطاولَ دَهْراً … مُنْتَهى أمرِه إلى أن يَزُولاَ

ليتَني كنتُ قبل ما قد بَدَا لي … في رُؤوس الجبال أَرْعَى الوُعولاَ

اِجعَلِ الموتَ نُصْبَ عينيك[2] واحذَرْ … غَولةَ الدّهر إنّ لِلدّهر غُولا

ثم قَضَى نَحْبَه، ولم يُؤْمن بالنبيّ ﷺ. وقد قيل في وفاة أُميّة غيرُ هذا.

لما بعث النبي هرب بابنتيه إلى اليمن ثم مات بالطائف:

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عمّ أبي قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال:

سمعت في خبر أُميّة بن أبي الصَّلْت، حين بُعِث النبيّ ﷺ، أنه أخذ بِنْتَيْه وهرَب بهما إلى أقصى اليمن، ثم عاد

---

(١) الخلب: أيابن بلغة حمير. والثأط: الطين الحمأة (أي الأسود)، وقيل: الطين حمأة كان أو غير حمأة. والحرمد: الأسود مل الطين. ورواية هذا الشعر في «اللسان» مادة (ثأط):

لمع المشارق والمغارب يبتغي … أسباب أمسر عن حكيم مرشد
فأتى مغيب الشمس عند مآبها … في عين ذي خلب وثأط حرمد

وقد أورده صاحب «اللسان» لأمية، ثم قال: وأورد الأزهري هذا البيت مستشهداً به على الثأطة الحمأة، وكذلك أورده ابن برّي وقال: إنه لتبّع يصف ذا القرنين.

(٢) كذا في س. وفي سائر الأصول: «عينك».

إلى الطائف؛ فبينما هو يشرب مع / إخوانٍ له في قَصْر غَيْلان[١] بالطائف، وقد أودع ابنتَيْه اليمن ورجع إلى بلاد [١٣٣/٤] الطائف، إذ سَقَط غرابٌ على شُرْفةٍ في القصر فنَعب نَعْبةً؛ فقال أُميّة: بفِيك الكَثْكَثُ! ـ وهو التُّراب ـ فقال أصحابه: ما يقول؟ قال: يقول إنّك إذا شَرِبتَ الكأس التي[٢] بيدك مُتَّ، فقلتُ: بفِيكَ الكَثْكَث. ثم نَعَب نعبةً أخرى، فقال أُميّة نحو ذلك؛ فقال أصحابه: ما يقول؟ قال: زَعَم أنّه يَقَع على هذه المَزْبَلة أسفلَ القصر، فيستثير عَظْماً فيبتلعه فيَشْجَى به فيموت، فقلتُ نحو ذلك. فوقع الغرابُ على المَزْبَلة، فأثار العَظْمَ فشَجِيَ به فمات؛ فانكسر أُمَيّة، ووضع الكأس من يده، وتغيَّر لونُه. فقال له أصحابه: ما أكثرَ ما سمعنا بمثل هذا وكان باطلاً! فألَحُّوا عليه حتى شرِب الكأس، فمال في شِقٍّ وأُغْمِي عليه ثم أفاق، ثم قال: لا بَرِيءٌ فأعتذر، ولا قويٌّ فأنتصر، ثم خرجتْ نفسُه.

٢/٤

/ صوت

من المائة المختارة

تَبَلَتْ[٣] فؤادَكَ في المنامِ خَرِيدةٌ ... تَشْفِي[٤] الضَّجِيعَ ببارِدٍ بَسّامِ
كالمِسْكِ تَخْلِطُه بماءِ سَحابةٍ ... أو عاتقٍ[٥] كَدَمِ الذَّبِيحِ مُدَامِ

عَرُوضه من الكامل. الشعرُ لحسّان بن ثابت، والغِناء لموسى بن خَارِجةَ الكوفيّ ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوَتَر في مجرى البِنْصر. وذكر حمّاد عن أبيه أنّ فيه لحناً لَعزّةَ المَيْلاء. وليس موسى بكثير الصنعة ولا مشهور، ولا ممن خَدَم الخلفاء.

(١) هو غيلان بن سلمة بن معتّب، وكان وفد على كسرى وحاوره فأُعجب به واشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها وكساه وبعث معه من الفرس من بنى له هذا القصر بالطائف؛ فكان أوّل قصر بنى بها. (راجع «الأغاني» ج ١٢ ص ٤٨، ٤٩ طبع بلاق).

(٢) في جميع الأصول: «الذي».

(٣) تبلت فؤادك: أسقمته. والخريدة: الحيية.

(٤) في «ديوان» حسان: «تسقى» وعلى هذه الرواية تكون الباء في «ببارد» زائدة.

(٥) العاتق هنا: الخمر القديمة التي حبست زماناً حتى عتقت وجادت، وقيل: هي التي لم يفض أحد ختامها كالجارية العاتق التي قد أدركت ولما تتزوّج.

[٤/١٣٤]

/ أخبار حسّان بن ثابت ونسبه

نسبه من قبل أبويه وكنيته:

هو حَسّان[١] بن ثابت بن المُنذِر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مَنَاة بن عَدِيّ بن عمرو بن مالك بن النّجّار، واسمُه[٢] تَيْمُ الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخَزْرَج بن حارثةَ بن ثعلبة، وهو العَنْقاء بن عمرو؛ وإنما سُمّي العنقاء لطُول عُنُقه. وعمرو هو مُزَيْقِياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغِطْرِيف بن امرىء القيس البِطرِيق بن ثعلبة البهْلول بن مازن بن الأزد، وهو ذري[٣] ـ وقيل: ذِرَاء ممدود ـ بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان.

قال مُصْعَبٌ الزُّبَيْرِيّ فيما أخبرنا [به] الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهَيْر عمّه قال: بنو عَدِيّ بن عمرو بن مالك [بن] النجّار يُسَمَّوْن بني مَعَالَةَ. ومعالةُ أُمّه[٤]، وهي امرأةٌ من القَيْن وإليها كانوا يُنْسَبون. وأُمّ حَسّان بن ثابت بن المنذر، الفُرَيْعةُ بنت خالد بن قيس[٥] بن لَوْذان / بن عبْد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخَزْرَج بن ساعِدةَ بن كعب بن الخزرج. وقيل: إنّ اسم النجّار تَيْمُ اللاّت؛ وفي ذلك يقول حسّان بن ثابت:

وأُمُّ ضِـــرَارٍ تَنْشُــدُ النّــاسَ وَالِهــاً ... أَمَـا لِابْــنِ تَيْـمِ اللّـهِ مــاذا أَضَلَّــتِ

[٤/١٣٥] / يعني ضِرَارَ بنَ عبد المُطَّلب، وكان ضَلَّ فنَشَدتْه أُمُّه. وإنما سمّاه رسولُ الله ﷺ تَيْمَ اللّهِ؛ لأنّ الأنصار كانت تنْسب إليه، فكَرِه أن يكون في أنسابها ذكرُ اللاّت.

ويُكْنَى[٦] حَسّان بن ثابت أبا الوليد. وهو فَحْلٌ من فُحول الشعراء. وقد قيل: إنّه أشعر أهل المَدَر[٧]. وكان أحدَ المُعَمَّرين من المُخَضْرَمين، عُمِّر مائةً وعشرين سنةً: ستّين في الجاهليّة وستّين في الإسلام.

---

(١) هذا الاسم إن جعلته فعّالاً من الحسن أجريته، وإن جعلته فعْلان من الحس (بالفتح) وهو القتل أو الحس بالشيء لم تجره. قال ابن سيده: وقد ذكرنا أنه من الحَسّ أو الحِسّ، وقال: ذكر بعض النحويين أنه فعّال من الحُسْن، وليس بشيء. (انظر «اللسان» مادة حسن).

(٢) كذا في «أسد الغابة» في ترجمة حسان. وفي سائر الأصول: «وهم تيم الله». وبنو النجار هم تيم الله بن ثعلبة.

(٣) نقل صاحب «شرح القاموس» مادة أزد عن الشيخ عبد القادر البغدادي أن اسمه «درء» بكسر فسكون وآخره همزة، وعن أبي القاسم الوزير أنه دراء ككتاب.

(٤) كذا في أكثر الأصول. وفي حـ: «أمة».

(٥) في «تهذيب التهذيب» طبع الهند: «الفريعة بنت خالد بن حبيش». وفي «أسد الغابة» طبع بلاق: «الفريعة بنت خالد بن خنيس». وفي «خزانة الأدب» للبغدادي (ج ١ ص ١١١ طبع بلاق): «الفريعة بنت خنس».

(٦) ويكنى أيضاً أبا الحُسَام، كما في «خزانة الأدب» للبغدادي و «أسد الغابة»، لمناضلته عن رسول الله ﷺ ولتقطيعه أعراض المشركين. ويكنى أيضاً أبا عبد الرحمن. ويلقب بذي الأُكلة (بالضم) كما في «القاموس» مادة أكل.

(٧) المدر (بالتحريك): المدن والحضر. وفي ء، أ، م: «المدن».

عاش حسان مائة وعشرين سنة:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عُبَيدةَ قال: عاش ثابتُ بن المنذر مائةً وخمسين[١] سنةً، وعاش حسّان مائةً وعشرين سنة. ومما يحقّق ذلك ما أخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهَير قال حدّثني الزُّبير بن بكار قال حدّثني محمد بن حسين[٢] عن إبراهيم بن محمد عن صالح بن إبراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن سعيد بن زُرَارةَ عن حَسّان بن ثابت قال: إنّي لَغُلَامٌ يَفَعَةٌ ابن سَبْعِ سنين أو ثمانٍ، إذا بيهوديّ بِيثْرِب يَصْرُخ ذاتَ غَداةٍ: يا مَعشَر يَهُود؛ فلما اجتمعوا إليه قالوا: ويلك! مالكَ؟ قال: طَلَع نجمُ أحمدَ الذي يُولَد به في هذه الليلة. قال: ثم أدركه اليهوديّ ولم يُؤمِن به. فهذا يدلّ على مُدّة عُمره في الجاهليّة؛ لأنه ذكر أنه أدرك ليلةَ وُلِد النبيّ ﷺ، وله يومئذ ثمان سِنِينَ، والنبيّ/ ﷺ بُعِث وله أربعون سنةً، وأقام بمكة ثلاثَ عَشرةَ سنةً، فقَدِم المَدِينةَ [٣٦/٤] ولحسّان يومئذ، على ما ذكره، سِتّون سنةً أو إحدى وستون سنة، وحينئذ أسلم.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار عن الرحمن بن عبدالله قال حدّثني ابن أبي الزِّناد قال:

عُمِّر حَسّان بن ثابت عشرين ومائةَ سنةٍ: سِتّين في الجاهليّة، وسِتّين في الإسلام.

قال أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرني أحمد بن زُهَير قال حَدّث سليمان بن حَرْب عن حمّاد بن زيد عن يَزِيد بن حازمٍ عن سليمان بن يَسَار قال:

رأيتُ حسّان بن ثابت وله ناصيةٌ قد سَدَلَها بين عينيه.

كان يخضب شاربه وعنفقته بالحناء:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عليُّ بن محمد النَّوْفَلي عن أبيه قال:

كان حسّان بن ثابت يَخضِب شاربَه وعَنْفَقَتَه[٣] بالحِنّاء، ولا يَخْضِب سائرَ لِحْيته. فقال له ابنه عبد الرحمن: يا أبتِ، لِمَ تفعل هذا؟ قال: لأكونَ كأنّي أَسَدٌ والغٌ في دَمٍ.

فضل الشعراء بثلاث:

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عُبيدة قال:

فَضَل حسّان الشعراء بثلاث: كان شاعرَ الأنصار في الجاهليّة، وشاعرَ النبيّ ﷺ في النبوّة، وشاعرَ اليمن كلِّها في الإسلام.

أجمعت العرب على أنه أشعر أهل المدر:

قال أبو عُبَيدة: وأجمعتِ[٤] العربُ على أنّ حَسّان أشعر أهل المَدَر. أخبرنا بذلك أيضاً أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّةَ عن أبي عُبَيدة قال:

---

(١) في «أسد الغابة» و «تهذيب التهذيب» و «النجوم الزاهرة»: أن عمر حسان مائة وعشرون سنة، وكذلك عاش أبوه ثابت وجدّه المنذر وأبو جدّه حرام، ولا يعرف في العرب أربعة تناسلوا من صلب واحد وعاش كل منهم مائة وعشرين سنة غيرهم.

(٢) في حـ: «محمد بن الحسن».

(٣) العنفقة: شعرات بين الشفة السفلى والذقن.

(٤) كذا في «أسد الغابة». وفي جميع الأصول: «اجتمعت».

[١٣٧/٤] / اتّفقت العرب على أنّ أشعر أهل المَدَر أهلُ يَثْرِب، ثم عبدُ القيس ثم ثَقِيفٌ؛ وعلى أنّ أشعر أهلِ يَثْرِب حَسّان بن ثابت.

سأل أبا هريرة عن حديث في شأنه فأجابه:

٤/٤ أخبرني حبيب بن نَصر المُهَلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عَفّان / قال حدّثنا عبد الواحد بن زِيَاد قال حدّثنا مَعْمَر عن الزُّهْريّ عن سَعِيد بن المُسَيِّب قال.

جاء حَسّان إلى نَفَرٍ فيهم أبو هُرَيرةَ، فقال: أَنْشُدُكَ اللّهَ: أسَمِعْتَ رسول الله ﷺ يقول: «أجِبْ عَنّي» ثم قال: «اللّهُمّ أَيِّده بِرُوح القُدُس»؟ قال أبو هريرة: اللّهمّ نعم.

كان أحد الأنصار الثلاثة الذين عارضوا شعراء قريش:

أخبرني حبيب بن نَصْر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثنا وَهْب بن جَرِير قال حدّثنا أبي قال سمعتُ محمد بن سِيرِينَ، قال أبو زيد وحدّثنا هَوْذَةُ بن خليفة قال حدّثنا عَوْف عن محمد بن سيرين قال:

كان يهجو رسولَ الله ﷺ ثلاثةُ[1] رَهْطٍ من قريش: عبدالله بن الزِّبَعْرَي، وأبو سُفْيان بن الحارث بن عبد المُطَّلِب، وعمرُو بن العاصي؛ فقال قائل لعليّ بن أبي طالب رضوانُ الله عليه: اهْجُ عنّا القومَ الذين قد هَجَوْنا. فقال عليٌّ رضي الله عنه: إنْ أذِن لي رسول الله ﷺ فعلتُ. فقال رجلٌ: يا رسول الله، ائذن لعليّ كي يهجو عنّا هؤلاء القوم الذين قد هجونا. قال: «ليس هُنَاك» أو «ليس عنده ذلك»؛ ثم قال للأنصار: «ما يَمْنَع القَوْمَ الذين نَصَروا رسول الله - ﷺ - بسلاحهم أن يَنْصُروه بألسنتهم؟». فقال حسّان بن ثابت: أنا لها، وأخذ بطَرَف لسانه وقال: [١٣٨/٤] والله ما يَسُرُّني به مِقْوَلٌ[2] بين بُصْرَى وصَنْعاء. فقال: «كيف / تهجوهم وأنا منهم؟» فقال: إنّي أسُلُّك منهم كما تُسَلُّ الشَّعَرةُ من العَجِين. قال: فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت، وكَعْبُ بن مالك، وعبدُالله بن رَوَاحةَ. فكان حَسّان وكَعْبٌ يُعَارِضانِهم بمثل قولهم بالوقائع والأيّام والمآثر ويُعَيِّرانهم بالمَثالِب، وكان عبدالله بن رَوَاحةَ يُعَيِّرهم بالكفر. قال: فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قولَ حسان وكعب، وأهوَنُ القول عليهم قولَ ابن رواحة. فلمّا أسلموا وفقهوا الإسلام، كان أشدُّ القول عليهم قولَ ابن رواحة.

استأذن النبيّ في هجو قريش فأمره أن يأخذ أنسابهم عن أبي بكر:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المُهَلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عبدالله بن بكر بن حبيب السَّهْميّ قال حدّثنا أبو يونس القُشَيْريّ وهو حاتم[3] بن أبي صَغِيرةَ قال حدّثنا سِمَاكُ بن حَرْب قال:

قام حَسّان أبو الحُسَام فقال: يا رسولَ الله، ائذَنْ لي فيه، وأخرج لساناً له أسود، فقال: يا رسول الله، لو شئتُ لفَرَيْتُ به المَزَادَ[4]، ائذَنْ لي فيه. فقال: «اذهَبْ إلى أبي بكر فَلْيُحَدِّثْك حديثَ القوم وأيّامِهم وأحسابِهم ثم

(١) زاد في «أسد الغابة» رابعاً هو ضرار بن الخطاب.

(٢) المقول: «اللسان».

(٣) كذا في «طبقات ابن سعد» (ج ٧ قسم ٢ ص ٣١ طبع أوروبا) و«تهذيب التهذيب» (ج ٢ ص ١٣٠ طبع الهند) و«الخلاصة» طبع مصر؛ وهو مولى بني قشير، واسم أبيه مسلم، وأبو صغيرة أبو أمه، وهو يروي عن عمرو بن دينار وسماك بن حرب. (انظر «الأنساب» للسمعاني). وقد ورد هذا الاسم مضطربا في جميع الأصول.

(٤) المزاد: جمع مزادة، وهي التي يحمل فيها الماء، وهي ما فتم بجلد ثالث بين الجلدين ليتسع؛ سميت بذلك لمكان الزيادة.

آهْجُهم وجبريلُ معك». قال أبو زيد قال ابن وَهْب وحدّثنا بهذا الحديث حاتم عن السُّدّيّ عن البَرَاء بن عازِبٍ وعن سِمَاكِ بن حَرْب - فأنا أشك: أهو عن أحدهما أم عنهما جميعاً - قال أبو زيد: وحدّثنا عليّ بن عاصم قال حدّثنا حاتم بن أبي[1] صَغِيرةَ عن سِمَاك بن حَرْبٍ / بنَحْوِه، وزادَ فيه: فأخرج لسانَه أسودَ، فوضعه على طَرَف أَرْنَبَتِه، [١٣٩/٤] وقال: يا رسولَ الله، لو شِئتَ لَفَرَيْتُ به المَزادَ؛ فقال: «يا حسّان وكيف وهو مِنّي وأنا[2] منه؟» قال: والله لأَسُلَّنَّه منك كما يُسَلُّ الشَّعر من العجين! قال: «يا حسّان فَأْتِ أبا بكر فإنّه أعلمُ بأنساب القوم منك». فأتى أبا بكر فأعلَمَه ما قال رسول الله ﷺ؛ فقال: كُفَّ عن فُلانة واذكُرْ فلانةَ. فقال:

هَجَوْتَ[3] محمداً فأجَبْتُ عنه ... وعندَ اللهِ في ذاكَ الجَزَاءُ

/ فإنّ أبي ووالدَه وعِرْضي ... لِعِرْضِ محمد منكم وِقَاءُ ⁵⁄٤

أتهجوه ولستَ له بكُفْءٍ ... فشَرُّكُما لخَيْرِكُما الفِدَاء

لما بلغ قريشاً شعر حسان اتهموا فيه أبا بكر:

أخبرني الحسن بن عليّ قال[4] حدّثنا أحمد بن زُهَيْر قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بكّار قال حدّثنا أحمد بن سليمان عن الأصمعيّ عن عبد الرحمن بن أبي الزِّنادَ قال:

لمّا أُنْشِدتْ قريشٌ شعرَ حَسّان قالت: إنّ هذا الشَّتْمَ ما غاب عنه ابن[5] أبي قُحَافة.

قال الزُّبير: وحدّثني محمد بن يحيى عن يعقوب[6] بن إسحاق بن مُجَمِّع عن رجلٍ من بني العَجْلان قال:

/ لما بلغ أهلَ مكة شعر حسّان ولم يكونوا عَلِموا أنّه قولُه، جعلوا يقولون: لقد قال أبو بكر الشِّعْرَ بعدَنا. [١٤٠/٤]

أسمعه ابن الزبعري وضرار من هجوهما وفرا فاستعدى عمر فردهما فأنشدهما مما قال فيهما:

قال الزُّبَيْر: وحدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَيْر قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن فَضَالَة عن أبيه عن خالد بن محمد بن فَضَالَة عن أبيه عن خالد[7] بن محمد بن ثابت بن قيس بن شَمّاس قال:

---

(١) كذا في «طبقات ابن سعد» (ج ٧ قسم ٢ ص ٣١ طبع أوربا) و «تهذيب التهذيب» (ج ٢ ص ١٣٠ طبع الهند) و «الخلاصة» طبع مصر وهو مولى بني قشير، واسم أبيه مسلم، وأبو صغيره أبو أمه وهو يروي عن عمرو بن دينار وسماك بن حرب. (انظر «الأنساب» للسمعاني) وقد ورد هذا الاسم مضطرباً في جميع الأصول.

(٢) يريد ابن عمه أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

(٣) وردت هذه الأبيات في «السيرة» لابن هشام (ص ٨٣٠ طبع أوروبا) ضمن قصيدة مطلعها:

عفت ذات الأصابع فالجواء ... إلى عذراء منزلها خلاء

على غير ترتيب «الأغاني» بذكر البيت الثالث بعد الأول وبزيادة بيتين بعده هما:

هجوت مباركاً براً حنيفاً ... أمين الله شيمته الوفاء

أمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء

ويليهما البيت «فإن أبي إلخ». وانظر هذا الشعر أيضاً في «صحيح مسلم» (ج ٢ ص ٢٦٠ - ٢٦١ طبع بولاق).

(٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «أخبرني الحسن بن علي قال قال...» بتكرير كلمة «قال».

(٥) هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

(٦) لم نعثر على هذا الاسم في «كتب التراجم» التي بين أيدينا والذي بها هو: «يعقوب بن مجمع» أو «يعقوب بن إسحاق بن زيد» كما في «تهذيب التهذيب» و «الخلاصة في أسماء الرجال». وفي «لسان الميزان» (ج ٦ ص ٣٠٢): «يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن مجمع» ولعله هذا.

(٧) لم نعثر على خالد هذا في «كتب التراجم»، وليس في ولد محمد بن ثابت بن قيس بن شماس من يسمى خالداً، وقد أحصاهم ابن سعد =

نَهَى عمرُ بن الخطّاب الناسَ أن يُنْشِدوا شيئاً من مُنَاقضة الأنصار ومُشْرِكي قُرَيْش، وقال: في ذلك شَتْمُ الحَيّ[1] بالمَيّت، وتجديدُ الضغائن، وقد هَدَم الله أَمْرَ الجاهليّة بما جاء من الإسلام. فقدِم المدينةَ عبدُالله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِيّ وضِرَار بن الخطّاب الفِهْرِيّ ثم المُحَارِبيّ، فنزلا على أبي أحمد بن جَحْش، وقالا له: نُحِبُّ أن تُرْسِلَ إلى حَسّان بن ثابت حتّى يأتيك، فنُنْشِدَه ويُنْشِدَنا مما قلنا له وقال لنا. فأرسل إليه فجاءه؛ فقال له: يا أبا الوليد، هذانِ أَخَوَاك ابنُ الزِّبَعْرَى وضِرَارٌ قد جاءا أن يُسْمِعاكَ وتُسمِعَهما ما قالاَ لكَ وقلتَ لهما. فقال ابن الزِّبَعْرَى وضِرَارٌ: نَعَمْ يا أبا الوليد، إن شِعْرك كان يُحتَمَلُ في الإسلام ولا يُحتمل شعرُنا، وقد أحببنا أن نُسْمِعَك وتُسْمِعَنا. فقال حسّان: أفتَبْدَآن أم أبدأ؟ قالا: نبدأ نحن. قال: ابتدِئا؛ فأنشداه حتى فارَ فصار كالمُرْجَل غَضَباً، ثم استويا على رَاحِلتَيْهما يريدان مكة؛ فخرج حسّان حتى دخل على عُمَر بن الخطّاب فقصَّ عليه قِصّتَهما وقِصّتَه. فقال له عمر: لن يَذْهَبا عنك بشيء إن شاء الله، وأرسل مَنْ يَرُدّهما، وقال له عمر: لو لم تُدْرِكْهما إلاّ بمكة فارْدُدْهما عليّ. وخرجا فلمّا كانا بالرَّوْحاء[2] رَجَع ضِرَارٌ إلى صاحبه بكُرْهٍ، فقال له يا بنَ الزِّبَعْرَى: أنا أعرِف عمر وذبَّه عن الإسلام وأهلِه، / وأعرف حسّان وقلّةَ صَبْره على ما فعلنا به، وكأنّي به قد جاء وشَكَا إليه ما فعلنا، فأرسلَ في آثارنا وقال لرسوله: إن لَمْ تَلْحَقْهُما إلاّ بمكة فارْدُدْهما عليّ؛ فارْبَحْ بنا تَرْكَ العناء وأَقِمْ بنا مكانَنا؛ فإنْ كان الذي ظننتُ فالرجوعُ من الرَّوْحاء أسهلُ منه من أبعد منها، وإنْ أخطأ ظَنّي فذلك الذي نُحِبُّ ونحن من وراء المُضِيّ. فقال ابن الزِّبَعْرَى: نِعْمَ ما رأيتَ. قال: فأقاما بالرَّوْحاء، فما كان إلاّ كَمَرّ الطائرِ حتّى وافاهما رسول عمر فردّهما إليه؛ فدعا لهما بحسّان، وعُمَرُ في جماعةٍ من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال لحسّان: أَنْشِدْهما مما قلتَ لهما؛ فأنشدهما حتّى فَرَغ مما قال لهما فوقف. فقال له عمر: أَفَرَغتَ؟ قال نعم. فقال له: أَنْشَداك في الخَلاء وأنشدتَهما في الملا. وقال لهما عمر: إن شئتُما فَأَقِيمَا، وإن شئتما فانصرِفا. وقال لمن حضَره: إنّي قد كنتُ نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دَفْعاً للتضاغُن عنكم وبَثّ القبيح فيما بينكم، فأمّا إذ أَبَوْا فاكْتُبوه / واحتفظوا به. فدوّنوا ذلك عندهم. قال خَلاّد[3] بن محمد: فأدركتُه والله وإنّ الأنصار لَتُجَدِّده عندها إذا خافتْ بِلاه.

[١٤١/٤] ٦/٤

شعر له في هجو أبي سفيان بن الحارث:

أخبرنا أحمد[4] بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عَفّان بن مُسْلِم قال حدّثنا عِمران بن زيد قال: سمعتُ أبا إسحاق قال في قصة حَسّان وأبي سُفْيان بن الحارث نحوَ ما ذكره مما قَدّمنا ذِكْرَه، وزاد فيه: فقال حسّان فيه:

وإنّ سَنَـامَ المَجْـدِ مـن آلِ هـاشـمٍ ... بنـو بِنْـتِ[5] مَخْـزومٍ، ووالـدُك العَبْـدُ

= في «الطبقات» (ج ٥ ص ٥٨ ـ ٥٩ طبع أوربا). على أن السند كله مضطرب ولم نوفق لتحقيقه.

(١) في «أسد الغابة»: «وقال في ذلك شتم الحيّ والميت إلخ».

(٢) الروحاء: موضع بين مكة والمدينة على نحو ثلاثين ميلا من المدينة.

(٣) لم نجد هذا الاسم في «كتب التراجم» التي بين أيدينا. وقد تقدم في سند هذا الخبر رجلان كل منهما يسمى خالد بن محمد، فلعله أحدهما.

(٤) في الأصول: «محمد بن عبد العزيز» وظاهر جداً أنه أحمد بن عبد العزيز الجوهري الذي يروي عن عمر بن شبة، ويروي عنه كثيراً أبو الفرج.

(٥) بنت مخزوم: يريد بها فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وهي أم عبدالله (أبي النبيّ ﷺ) والزبير وأبي طالب أبناء عبد المطلب. ووالدك العبد: يريد به الحارث بن عبد المطلب وهو أبو أبي سفيان.

[١٤٢/٤] / ومَـنْ ولـدتْ أبنـاء زُهْـرةَ[١] منكُـم   كِـرامٌ ولـم يَلْحَـقْ عجـائـزَكَ المَجْـدُ
وإنّ امْـرأً كـانـتْ سُمَيَّـةُ[٢] أمَّـهُ   وسَمْـراءُ[٣] مغلـوبٌ إذا بَلَـغ الجَهْـدُ
وأنـت هَجِيـنٌ[٤] نِيـطَ فـي آل هـاشـمٍ   كمـا نِيطَ خَلْـفَ الرَّاكـب القَـدَحُ الفَـرْدُ

فقال العبّاس: وما لي وما لحسّان! يعني في ذكره نُتَيْلَةَ[٥]، فقال فيها:

ولَسْـتَ كَعبّـاسٍ ولا كـابـنِ أُمِّـهِ[٦]   ولكـن هَجِيـنٌ ليس يُـورَى لـه زَنْـدُ

أعانه جبريل في مديح النبي:

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا القَعْنَبيّ قال حدّثنا مَرْوان بن مُعاوية قال حدّثنا إِيَاس السُّلَميّ عن ابن بُرَيْدَةَ قال:

أعان جبريلُ عليه السلام حسّان بن ثابت في مديح النبيّ ﷺ بسبعين بيتاً.

مدحه النبي ومدح كعباً وعبدالله بن رواحة:

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عُمَر قال حدّثنا محمد بن منصور قال حدّثنا سعيد بن عامر قال حدّثني جُوَيْرِية بن أسماء قال:

[١٤٣/٤] / بلغني أنّ رسول الله ﷺ قال: «أمرتُ عبدالله بن رَوَاحةَ فقال وأحْسَنَ، وأمرتُ كَعْبَ بن مالك فقال وأحسن، وأمرتُ حسّان بن ثابت فَشفَى واشْتَفَى».

أخبره النبيّ أن روح القدس يؤيده:

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أحمد بن عيسى قال حدّثنا ابن وهْب قال أخبرنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن مَرْوان بن عثمان ويَعْلَى بن شَدّاد بن أوْس عن عائشة قالت:

سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لحسّان بن ثابت الشاعر: «إنّ رُوحَ القُدُس لا يزال يُؤيِّدك ما كافحتَ عن الله عز وجل وعن رسول الله» ﷺ.

---

(١) يريد في هذا البيت مدح آمنة أم النبيّ ﷺ وهالة أم حمزة وصفية، وكلتاهما زهرية؛ إذ هما ابنتا وهب بن عبد مناف بن زهرة. وقوله: «ولم يلحق عجائزك المجد» يهجو أبا سفيان بأن أمهاته لسن بأحرار؛ إذ كانت أم أبي سفيان نفسه أم ولد وأم أبيه كذلك أم ولد. ورواية «الديوان» في هذا البيت (ص ٩١ طبع ليدن):

ومـا ولـدت أفنـاء زهـرة منكـم   كـريمـاً ولـم يقـرب عجـائـزك المجـد

(٢) كذا في «الديوان». وسمية هي أم الحارث بن عبد المطلب، وأبوها موهب غلام لبني عبد مناف. وفي الأصول: «ثيلة» بالثاء المثلثة وهو تحريف. (انظر «شرح النووي» على «صحيح مسلم» ج ٥ ص ٢٠٠ طبق بلاق).

(٣) سمراء: هي أم أبي سفيان المهجوّ.

(٤) الهجين: من أبوه عربيّ وأمه ليست بعربية. ونيط في آل هاشم: نسب إليهم وليس منهم. يريد أنه ليس من خالصهم.

(٥) كذا في «المعارف» لابن قتيبة و «شرح القاموس» (مادة نتل)، وهي نتيلة بنت كليب بن مالك بن جناب أم العبّاس وضرار ابني عبد المطلب، وهي إحدى نساء بني النمر بن قاسط. وفي الأصول «نثيلة» بالثاء المثلثة وهو تصحيف.

(٦) يريد ضرار بن عبد المطلب.

استنشده النبيّ وجعل يصغي إليه:

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عُمَر قال حدّثنا هَوْذَةُ بن خليفة قال حدّثنا عَوْفُ بن محمد قال:

قال النبيّ ﷺ ليلةً وهو في سَفَرٍ: «أين حَسّان بن ثابت»؟ فقال حسّان: لَبَّيْكَ يا رسول الله وسَعْدَيْك. قال: «أَحْدُ»، فجعل يُنْشِد ويُصْغِي إليه النبيّ ﷺ ويستمع، فما زال يستمع إليه وهو سائقٌ رَاحِلتَه حتّى كان رأسُ الراحلة يَمَسُّ الوَرِكَ حتّى فَرَغ من نشيده. فقال النبيّ ﷺ: «لَهَذَا أَشَدُّ عليهم من وَقْع النَّبْل».

انتهره عمر لإنشاده في مسجد الرسول فردّ عليه:

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أبو عاصم النبيل قال أخبرنا ابن جُرَيْج قال أخبرنا زِيَاد بن أبي سَهْل قال حدّثني سعيد بن المُسَيِّب:

أنّ عمر مرّ بحسّان بن ثابت وهو يُنْشِد في مسجد رسول الله ﷺ فانتهره عمر؛ فقال حسّان: قد[1] أنشدتُ فيه مَنْ هو خيرٌ منك؛ فانطلق عمر.

[١٤٤/٤] / أخبرنا أحمد قال حدّثنا أبو دَاوُد الطَّيَالِسيّ قال حدّثنا إبراهيم بن سَعْد عن الزُّهريّ عن سعيد بن المُسَيِّب:

أنّ عمر مرّ على حسان وهو يُنْشِد في مسجد رسول الله ﷺ، فذكر مثلَه وزاد فيه: وعَلِمْتُ أنّه يريد النبيّ ﷺ.

٧/٤ أخبرنا أحمد قال حدّثنا / عمر قال حدّثنا محمد بن حاتم قال حدّثنا شُجَاع بن الوليد عن الإفرِيقيّ عن مُسْلِم بن يَسَار:

أنّ عمر مرّ بحسّان وهو يُنْشِد الشعرَ في مسجد رسول الله ﷺ، فأخذ بأُذُنه وقال: أَرُغَاءٌ كرُغَاءِ البعير! فقال حسّان: دَعْنا عنك يا عمر! فوالله لَتَعْلَمُ أنّي كنت أُنْشِد في هذا المسجد مَنْ هو خيرٌ منك فلا يُغَيِّر عليّ! فصدّقه عمر.

مدح الزبير بن العوام للومه قوماً لم يحسنوا الاستماع له:

حدّثنا محمد بن جَرِير الطبريّ والحَرَميّ بن أبي العلاء وعبد العزيز بن أحمد عمّ أبي وجماعةٌ غيرهم قالوا حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنا أبو غَزِيَّةَ محمد بن موسى قال حدّثني عبدالله بن مُصْعَب عن هشام بن عُرْوَةَ عن فاطمة بنت المُنْذِر عن جَدّتها أسماء بنت أبي بكر قالت:

مرّ الزُّبَيْر بن العَوّام بمجلسٍ من أصحابِ رسول الله ﷺ، وحسّان بن ثابت يُنْشِدُهم من شِعْره وهم غيرُ نِشَاطٍ لِمَا يسمعون منه، فجلس معهم الزُّبير فقال: ما لي أراكم غيرَ آذِنِينَ لِمَا تسمَعون من شعر ابن الفُرَيعة! فلقد كان يَعْرِض لرسول الله ﷺ فيُحْسِن استماعه ويُجْزِل عليه ثوابَه، ولا يشتغل عنه بشيء. فقال حسّان:

أقـامَ علـى عهـد النبـيّ وهَـدْيِـهِ	حَـوَارِيُّـه[2] والقَـوْلُ بـالفِعْـل يُعْـدَلُ
[١٤٥/٤] / أقـامَ علـى مِنْهـاجِـه وطَـرِيقِـهِ	يـوَالِـي وَلِـيَّ الحـقِّ والحَـقُّ أعـدل
هـو الفـارسُ المشهـور والبَطَـلُ الـذي	يَصُـولُ إذا مـا كـان يـومٌ مُحَجَّـلُ

(١) رواية «صحيح مسلم» (ج ٢ ص ٢٥٩ طبع بلاق): «قد كنت أنشد فيه من هو خير منك».

(٢) حواريّ النبيّ ﷺ الزبير بن العوّام، لقوله عليه الصلاة والسلام: «إن لكل نبي حوارياً وإن حواريّ الزبير». وفي رواية: «الزبير ابن عمتي وحواريّ من أمتي» أي خاصتي من أصحابي وناصري.

إذا كَشَفتْ عن ساقها الحربُ حَشَّها[١] بـأبيـض سَبـاقٍ إلى المـوتِ يُـرْقِـل[٢]
وإنَّ امـرأً كـانـتْ صَفِيـةُ أُمَّـهُ ومِـنْ أسَـدٍ فـي بيتهـا لمَـرَفَّـل[٣]
لـه مـن رسـول الله قُـربَـى قـريبـةٌ ومِـنْ نُصْـرة الإسلامِ نصـرٌ مُـؤَثَّـلُ
فكَـمْ كُـربـةٍ ذَبَّ الـزُّبَيْـرُ بسيفـه عَـنِ المصطفـى واللّـهُ يُعْطِـي فيُجْـزِلُ
فمـا مثلُـه فيهـم ولا كـان قبلَـه وليس يكـون الـدَّهْـرَ مـا دام يَـذْبُـلُ[٤]
ثنـاؤك خيـرٌ مـن فِعـال مَعَـاشِـرٍ وفِعْلُـك يـابْـنَ الهـاشميّـة أفضـلُ

تقدم هو وكعب وابن رواحة لحماية أعراض المسلمين فاختاره النبيّ دونهما:

أخبرني أحمد بن عيسى العِجْليّ قال حدّثنا واصلُ بن عبد الأَعْلَى قال حدّثنا ابن فُضَيْل عن مُجَالِد عن الشَّعْبيّ قال:

لما كان عامُ الأحزاب[٥] وردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً، قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ يَحْمِي أعراض المسلمين»؟ فقال كعب: أنا يا رسول الله، وقال عبدالله بـن رَوَاحة: أنا يا رسول الله، وقال حَسّان بن ثابت: أنا يا رسول الله؛ فقال: «نعمْ أُهْجُهم أنت فإنّه سَيُعِينُك عليهم رُوحُ القُدُس».

سبه قوم في مجلس ابن عباس فدافع عنه:

أخبرني أحمد بن عبد[٦] الرحمن قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا أبو داوُد قال حدّثنا حُدَيْج بن مُعاوية عن أبي إسحاق عن سَعِيد بن جُبَيْر قال:

/ كنّا عند ابن عبّاس فجاء حَسّان، فقالوا: قد جاء اللَّعين. فقال ابن عبّاس: ما هو بلعين؛ لقد نَصَر [١٤٦/٤] رسول الله ﷺ بلسانه ويده.

حَدّثنيه أحمد بن الجَعْد قال حدّثنا محمد بن بَكّار قال حدّثنا حُدَيْج بن معاوية قال حدّثنا أبو إسحاق عن سَعِيد بن جُبير قال:

جاء رجلٌ إلى ابن عبّاس فقال: قد جاء اللعين حَسّان من الشأم. فقال ابن عباس: ما هو بلعين؛ لقد جاهد مع رسول الله ﷺ بلسانه ونفسه.

---

(١) حش الحرب: أسعرها وهيجها.
(٢) الإرقال: ضرب من السير السريع؛ قال النابغة:
إذا استنـزلـوا للطعـن عنهـنّ أرقلـوا إلـى المـوت إرقـال الجمـال المصـاعـب
(٣) المرفل: المعظم المسوّد.
(٤) يذبل: اسم جبل في بلاد نجد.
(٥) الأحزاب: قريش وغطفان وبنو قريظة تألبوا على حرب النبيّ ﷺ.
(٦) كذا في جميع الأصول. والذي يروي عن عمر بن شبة كثيراً في كتاب «الأغاني» هو أحمد بن عبد العزيز الجوهري؛ فلعله هذا.

قدم وفد تميم على النبيّ مفتخرين فأمره النبيّ أن يجيب شاعرهم:

٨/٤ أخبرنا أحمد قال حدّثنا / عمر قال حدّثنا عبدالله بن عمرو وشُرَيْح بن النُّعمان قالا حدّثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن هشام بن عُرْوةَ عن أبيه عن عائشة قالت:

لمّا قَدِم وفد بني تميم وضَع النبيّ ﷺ لحسّان مِنْبَراً وأجلسه عليه، وقال: «إنّ الله لَيُؤَيِّد حَسّانَ برُوح القُدُس ما كافح[1] عن نبيّه» ﷺ. هكذا روى أبو زيد هذا الخبر مختصراً. وأتينا به على تمامه هاهنا؛ لأنّ ذلك حسنٌ فيه: أخبرنا به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَيْر قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنا محمد بن الضحّاك عن أبيه قال:

قَدِم على النبيّ ﷺ وفدُ بني تميم وهم سبعون أو ثمانون رجلاً، فيهم الأقْرَع بن حابِس، والزِّبْرِقان بن بَدْر، وعُطَارِد بن حاجب، وقَيْسُ بن عاصم، وعمرو بن الأهْتَم، وانطلق معهم عُيَيْنة بن حِصْنٍ، فقَدِموا المدينةَ، فدخلوا المسجدَ، فوقفوا عند الحُجُرات، فنادَوْا بصوتٍ عالٍ جافٍ: أُخْرُجْ إلينا يا محمد؛ فقد جئنا لِنُفَاخِرَك، وقد جئنا [١٤٧/٤] بشاعرنا وخطيبنا. فخرج إليهم رسول الله ﷺ / فجلس. فقام الأقْرَعُ بن حابِس فقال: والله إنّ مَدْحِي لَزَيْن، وإن ذَمِّي لَشَيْن. فقال النبيّ ﷺ: «ذلك الله». فقالوا: إنّا أكرمُ العرب. فقال رسول الله ﷺ: «أكرمُ منكم يوسفُ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام». فقالوا: إيذَنْ لشاعرنا وخطيبنا. فقام رسول الله ﷺ فجلس وجلس معه الناس، فقام عُطارِد بن حاجِب فقال:

الحمدُ لِلَّهِ الذي له الفضلُ علينا وهو أهلُه، الذي جعلنا ملوكاً وجعلنا أعَزَّ أهل المَشرِق[2]، وآتانا أموالاً عِظَاماً نفعل فيها المعروفَ، ليس في الناس مثلُنا؛ ألسنا برؤوس الناس وذوي فَضْلهم! فمَنْ فاخرنا فليَعْدُدْ مثلَ ما عَدَدْنا، ولو نشاء لأكثرنا، ولكنّا نستحي من الإكثار فيما خوّلنا الله وأعطانا. أقول هذا، فأْتُوا بقَوْلٍ أفضلَ من قولنا، أو أمرٍ أَبْيَنَ من أمرنا. ثم جلس.

فقام ثابت بن قيس بن شَمَّاس فقال: الحمدُ لِلَّهِ الذي السمٰواتُ والأرضُ خَلْقُه، قضَى فيهنّ أمرَه ووَسِع كُرْسِيَّه علمُه[3]، ولم يَقْضِ شيئاً إلّا من فضله وقُدْرته؛ فكان من قدرته أنِ اصطفى من خَلْقِه لنا رسولاً أكرمَهم حَسَباً وأصدقَهم حديثاً وأحسنهم رأياً، فأنزل عليه كتاباً، وائتَمَنه على خَلْقه، وكان خِيرةَ اللَّهِ من العالمين. ثم دعا[4] رسولُ الله ﷺ إلى الإيمان، فأجابه مِنْ قومه وذوي رَحِمِه المهاجرون أكرمُ الناس أنساباً، وأَصْبَحُ الناس وجوهاً، [١٤٨/٤] وأفضلُ الناس فِعالاً. ثم كان أوّل مَنِ اتّبع رسول الله ﷺ من العرب واستجاب له نحن مَعْشَرَ الأنصار؛ / فنحن أنصارُ الله ووزراءُ رسولِه، نُقَاتِل الناسَ حتى يُؤْمِنوا ويقولوا: لا إلَهَ إلاّ اللَّهُ. فمَنْ آمن بالله ورَسُولِه مَنَع منّا مالَه ودمَه، ومَنْ كَفَر بالله ورسوله جاهَدْناه في الله، وكان جهادُه يسيراً. أقول قولي هذا، وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات.

فقام الزِّبْرِقان فقال:

(١) في حـ: «ما نافح» بالحاء المهملة، وهما بمعنى واحد.

(٢) في الطبري (ص ١٧١١ من القسم الأوّل طبع أوروبا): «وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عدداً وأيسره عدة... إلخ».

(٣) كذا في «سيرة ابن هشام» (ص ٩٣٥ طبع أوروبا) و الطبري. وفي الأصول: «ووسع كرسيه وعلمه» بواو العطف. وقد وردت هاتان الخطبتان في «السيرة» و الطبري باختلاف يسير عما هنا.

(٤) في «سيرة ابن هشام» والطبري: «ثم دعا الناس إلى... إلخ».

نحنُ[1] الملوكُ فلا حَيٌّ يُقَارِبُنا ... مِنّا الملوكُ وفينا يُؤْخَذُ الرُّبُعُ[2]

تلكَ المكارمُ حُزْناها مُقَارَعَةً ... إذا الكرامُ على أمثالها اقترعوا

كَمْ قد نَشَدْنا مِنَ الأحياءِ كُلِّهِمُ ... عند النِّهابِ وفضلُ العِزِّ يُتَّبَعُ

/ ونَنْحَرُ الكُومَ[3] عُبْطاً[4] في مَنازلنا ... للنازلين إذا ما استَطْعَموا شَبِعوا

ونحن نُطْعِمُ عند المَحْلِ ما أكلوا ... مِنَ العَبِيطِ إذا لم يَظْهَرِ القَزَعُ[5]

ونَنصرُ الناسَ تأتينا سَرَاتُهُمُ ... مِنْ كُلِّ أوْبٍ فتَمْضِي ثم تُتَّبَعُ

٩/٤

فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى حسّان بن ثابت فجاء، فأمره أن يُجيبه.

فقال حسان:

إنّ الذوائبَ[6] مِنْ فِهْرٍ وإخْوَتِهِمْ ... قد بَيَّنُوا سُنَّةً لِلنّاسِ تُتَّبَعُ

/ يَرْضَى بها كلُّ مَنْ كانت سريرتُه ... تَقْوَى الإلهِ وبالأمرِ الذي شَرَعُوا

[١٤٩/٤]

قومٌ إذا حاربوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ ... أو حاولوا النَّفْعَ في أشياعهم نَفَعُوا

سجِيَّةٌ تلك منهم غيرُ مُحْدَثَةٍ ... إنّ الخلائقَ فاعلَمْ شَرُّها البِدَعُ

لا يَرْقَعُ[7] النّاسُ ما أوهتْ أكُفُّهُمُ ... عند الدِّفاعِ[8] ولا يُوهُون ما رَقَعوا

إنْ كان في النّاسِ سَبّاقون بعدَهُمُ ... فكلُّ سَبْقٍ لأدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ

أعِفَّةٌ ذُكِرَتْ في الوَحْيِ عِفَّتُهُمْ ... لا يَطْمَعون ولا يُزْرِي بهم طَمَعُ[9]

---

(١) ورد هذا الشعر في «ديوان» حسان و «سيرة ابن هشام» (ص ٩٣٥ طبع أوربا) و «الطبري» (قسم ١ ص ١٧١٢ طبع أوروبا) باختلاف عما هنا.

(٢) كان من عادة العرب في الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضاً وغنموا، أخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصاً دون أصحابه، وذلك الربع يسمى المِرْباع. ورواية البيت في «السيرة» و «الطبري»:

نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البِيَعُ

(٣) الكوم: جمع أكوم وهو البعير الضخم السنام، والأنثى كوماء.

(٤) عبطَ الذبيحة عبطاً: نحرها من غير داء ولا كسر وهي سمينة فتية. ويقال للناقة: عبيطة، والجمع عبط (بضمتين) وقد تسكن عينه.

(٥) ورد هذا البيت في «نهاية ابن الأثير» و «اللسان» (مادة سدف) هكذا:

ونطعم الناس عند القحط كلهم ... من السديف إذا لم يُؤْنَس القزع

والسديف: شحم السنام. والقزع: السحاب، أي نطعم الشحم في المحل. وفي الأصول: «الفرع» بالفاء والراء، وهو تصحيف.

(٦) ورد هذا الشعر أيضاً في «السيرة» (ص ٩٣٦ طبع أوربا) و «الطبري» (قسم ١ ص ١٧١٤ طبع أوروبا) و «الديوان» باختلاف يسير عما هنا.

(٧) كذا في أ، ء، و «ديوانه» (ص ٢٣ طبع أوروبا). وفي سائر الأصول: «يرفع» بالفاء.

(٨) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «الرقاع».

(٩) في «الديوان»:

* لا يطبعون ولا يرديهم الطمع *

ولا يَضَنُّونَ عن جارٍ بِفَضْلِهِمُ ... ولا يَمَسُّهُمُ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ[(١)]

يَسْمُون للحرب تبدو وهي كالحة ... إذا الزَّعَانِفُ[(٢)] من أظفارِها خَشَعُوا

لا يَفْرَحون إذا نالوا عَدُوَّهُمُ ... وإنْ أُصِيبوا فلا خُورٌ ولا جُزُعُ

كأنَّهم في الوَغَى والموتُ مُكْتَنِعٌ[(٣)] ... أُسُودُ بِيشَةَ[(٤)] في أرساغها فَدَعُ[(٥)]

خُذْ منهمُ ما أتى[(٦)] عَفواً وإنْ مَنَعُوا ... فلا يَكُنْ هَمُّكَ الأمرَ الذي مَنَعُوا

فإنّ في حَرْبِهم - فاتْرُكْ عداوتَهم - ... سُمًّا يُخَاض[(٧)] عليه الصَّابُ والسَّلَعُ

أَكْرِمْ بقَومٍ رسولُ الله قائدُهُمْ ... إذا تَفَرَّقَتِ الأهواءُ والشِّيَعُ

[٤/١٥٠] / أَهْدَى لهمْ مِدَحِي قلبٌ يؤازِرُهُ ... فيما أراد لسانٌ حائِكٌ صَنَعُ

فإنّهم[(٨)] أفضلُ الأحياء كلِّهمُ ... إنْ جَدّ بالناس جِدُّ القولِ أو شَمَعُوا[(٩)]

فقام عُطَارِد[(١٠)] بن حاجب فقال:

أتيناك كيما يعلَم الناسُ فضلَنا ... إذا اجتمعوا وقتَ احتضارِ المَوَاسِمِ

بأنّا فُروعُ الناسِ في كلّ موطنٍ ... وأنْ ليس في أرض الحجاز كَدَارِمِ[(١١)]

فقام حسّان بن ثابت فقال:

مَنَعْنَا رسولَ الله من غَضَبٍ له ... على أنْفِ راضٍ[(١٢)] من مَعَدٍّ وراغمِ

---

(١) ورد هذا البيت في أ، ء. وذكر محرّفاً في م، وسقط في سائر النسخ.

(٢) الزعانف: أرذال الناس.

(٣) المكتنع: الداني القريب.

(٤) بيشة: من عمل مكة مما يلي اليمن، على خمس مراحل من مكة، وفي وادي بيشة موضع مشجر كثير الأسد. وفي «السيرة»: «أسد بحَلْية...». وحلية: مأسدة بناحية اليمن.

(٥) الفدع: اعوجاج في الرسغ.

(٦) كذا في «ديوانه» والسيرة. وفي الأصول: «... ما أتوا عفواً... إلخ».

(٧) يخاض: يخلط. والصاب والسلع: ضربان من الشجر مرّان.

(٨) هذه رواية السيرة و«الديوان». وفي الأصول: «وإنهم» بالواو.

(٩) كذا في «ديوانه» طبع أوروبا «وسيرة ابن هشام» والطبري. ومعناه: مزحوا، وهو أنسب للمقام، لمقابلته لقوله: «إن جدّ بالناس إلخ». قال أبو ذؤيب يصف حُمُراً:

فلبثن حيناً يعتلجن بروضة ... فيجدّ حيناً في العلاج ويشمع

وفي الأصول و«ديوانه» طبع مصر: «سمعوا» بالسين المهملة.

(١٠) الذي في «سيرة ابن هشام» (ص ٩٣٧ طبع أوروبا) أن هذا الشعر من قول الزبرقان بن بدر.

(١١) دارم: أبو حيّ من تميم.

(١٢) في الأصول: «على رغم أنف». ورواية «الديوان» و«سيرة ابن هشام»:

نصرنا وآوينا النبيّ محمداً ... على أنف راض من معد وراغم

ورواية الطبري:

منعنا رسول الله إذ حل وسطنا ... على كل باغ من معدّ وراغم

هَلِ المجدُ إلاّ السُّؤْدُدُ العَوْدُ[1] والنَّدَى ... وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائمِ

إسلام وفد تميم وإكرام النبيّ لهم:

قال: فقال الأقرَع بن حابس: والله إنّ هذا الرجلَ لَمُؤَتًّى[2] له! واللّهِ لَشاعرُه أشعرُ من شاعرنا، ولَخَطِيبُه أخطبُ [من خطيبنا][3]، ولأصواتُهم أرفعُ من أصواتنا! أعطِني يا محمد فأعطاه. فقال: زِدْني فزاده. فقال: اللَّهمّ إنّه سيد / العرب. فنزلتْ فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾. ثم إنّ القوم أسلموا، [١٥١/٤] وأقاموا عند النبيّ ﷺ يتعلّمون القرآن، ويتفقّهون في الدّين. ثم أرادوا الخروج إلى قومهم، فأعطاهم رسول الله ﷺ وكساهم، وقال: «أما بَقِيَ منكم أحدٌ؟»، وكان عمرو بن الأهْتَم في رِكَابهم، فقال قيس / بن عاصم، وهو من ١١/٤ رَهْطِه وكان مُشَاحناً له، لم يبقَ منّا أحدٌ إلاّ غلامٌ حديثُ السنّ في رِكابنا؛ فأعطاه رسول الله ﷺ مِثْلَ ما أعطاهم.

مناقضة عمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم:

فبلغ عمراً ما قال قيس؛ فقال عمرو بن الأهتَم لقيس:

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْبَاء[4] تَشْتُمني ... عند الرسول فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ

إنْ تُبْغِضونا فإنّ الرُّومَ أصلُكُمُ ... والرومُ لا تملِك البغضاء للعَرَبِ

فإنّ[5] سُؤْدُدَنا عَوْدٌ وسُؤددكم ... مُؤَخَّرٌ عند أصل العَجْبِ والذَّنَبِ

فقال له قيس:

لولاَ دفاعي كنتُم أعْبُداً ... دارُكُم الحِيرةُ والسَّيْلَحُونْ[6]

شعر حسان الذي يقرر به إيمانه بالرسل:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحَبِيب بن نصر قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني عمر بن عليّ بن مُقَدَّم عن يحيى بن سَعيد عن أبي حَيَّان التَّيْميّ عن حَبيب بن أبي ثابت، قال أبو زيد وحدّثنا محمد بن عبدالله بن الزُّبير قال حدّثنا مِسْعَرٌ عن سعد بن إبراهيم، قالوا:

/ قال حَسّان[7]: ثابت للنبيّ ﷺ: [١٥٢/٤]

(١) العود: القديم.

(٢) كذا في الطبري و«سيرة ابن هشام». ومؤتى له: مسهّل وميسر له. وفي الأصول: «المؤثر له» تحريف.

(٣) التكملة عن «سيرة ابن هشام» والطبري.

(٤) الهلباء: الاست.

(٥) رواية هذا البيت في «سيرة ابن هشام»:

سدناكم سؤدداً رَهْواً وسؤددكم ... باد نواجذه مُقْعٍ على الذنب

والعجب من كل دابة: ما انضم عليه الوركان من أصل الذنب المغروز في مؤخر العجز.

(٦) السيلحون: موضع قرب الحيرة، وقيل: هو بين الكوفة والقادسية.

(٧) نسب هذا الشعر في «اللسان» (مادة فلل) إلى عبدالله بن رواحة يصف العُزّي، وهي شجرة كانت تعبد، وذكر بيتين من هذا الشعر تذكرهما لاختلافهما في بعض الألفاظ عما هنا، وهما:

شهدت ولم أكذب بأن محمداً ... رسول الذي فوق السموات من عَلِ =

صوت

شَهِـدتُ بـإذن الله أنّ محمـداً ... رسولُ الـذي فـوق السّمٰـواتِ من عَـلُ
وأنّ أخـا[1] الأحقـاف إذ يَعْـذِلُـونـه ... يقـومُ بـدِيـن الله فيهـم فيَعـدِلُ
وأنّ أبـا يحيـى[2] ويحيـى كِـلاهُمـا ... لـه عَمَـلٌ فـي دينِـه مُتَقَبَّـلُ
وأنّ الـذي عـادَى اليهـودَ ابـنَ مَـرْيَـمٍ ... رسولٌ أتَى من عند ذي العرش مُرْسَلُ
وأنّ الـذي بـالجِـزْعِ[3] مـن بطـن نَخْلـةٍ ... ومَـنْ دونَهـا فِـلٌّ[4] مـن الخيـر مَعْـزِلُ

- غنّى في هذه الأبيات مَعْبَد خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر من رواية يونس وغيره - فقال النبيّ ﷺ: «أنا أشهَد معك».

[٤/١٥٣] / أنكرت عليه عائشة شعراً له في مدحها:

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا زُهَيْر بن حَرْب قال حدّثني جرير عن الأعمش عن أبي الضُّحَى عن مَسْروق، وأخبرني بها أحمد بن عيسى العِجْليّ قال حدّثنا سُفْيان بن وكيع قال حدّثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضُّحَى عن مسروق قال:

دخلتُ على عائشة وعندها حَسّانُ وهو يَرْثِي بنتاً[5] له، وهو يقول:

رَزَانٌ[6] حَصَـانٌ مـا تُـزَنُّ بِـريبَـةٍ ... وتُصْبِحُ غَـرْثَـى[7] مـن لُحـوم الغَـوَافِـلِ

فقالت عائشة: لكن أنت لستَ كذلك. فقلت لها: أيدخل عليك هذا وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾! فقالت: أمَا تراه في عذاب عظيم قد ذَهَب بصرُه!

أخبر بوقعة صفين قبل وقوعها:

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيع قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدّثنا ابن أبي أُوَيْس قال حدّثني أبي

= وأن التـي بـالجـزع مـن بطـن نخلـة ... ومـن دانهـا فـل مـن الخيـر معـزل

ثم أعقبهما بالجملة التفسيرية الآتية: «أي خال من الخير. ويروى «ومن دونها»، أي الصنم المنصوب حول العزي».

(١) هو هود عليه السلام، وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾. والأحقاف هنا: واد بين عُمَان وأرض مَهْرة، أو هو رمل فيما بين عمان وحضرموت، أو رمال مشرفة على البحر بالشحر من أرض اليمن.

(٢) يعني بأبي يحيى زكريا عليه السلام.

(٣) الجزع: قرية عن يمين الطائف وأخرى عن شماله. ورواية «الديوان» في هذا البيت:

وأن التـي بـالسـدّ مـن بطـن نخلـة ... ومـن دانهـا فـل مـن الخيـر معـزل

(٤) الفلّ: الذي لا خير عنده، كالأرض الفل وهي التي لا نبت فيها ولا خير. (انظر التعليقات التي على «ديوان حسان» المطبوع بأوروبا الذي أشرف على طبعه المستشرق الإنجليزي جيب). وبطن نخلة: موضع بين مكة والطائف.

(٥) رجعنا إلى هذه القصيدة في «ديوانه» فلم نجد فيها شيئاً من الرثاء، وكلها في مدح عائشة والاعتذار عما رماها به هو وغيره من الإفك. (راجع «ديوانه» صفحة ١٦٢ من هذا الجزء) وهي غير القصيدة التي ربى بها ابنته وإن كانت على قافيتها.

(٦) رواية «الديوان»: «حصان رزان إلخ». وامرأة رزان إذا كانت ذات ثبات ووقار وعفاف وكانت رزينة في مجلسها. وامرأة حصان (بفتح الحاء): عفيفة بينة الحصانة.

(٧) الغرثى: الجائعة، أي إنها تصبح جائعة من لحوم الناس. والمراد أنها لا تغتابهم.

ومالك بن الربيع بن مالك حدّثاني جميعاً عن الرَّبِيع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه أنه قال:

بينَا نحن جُلوسٌ عند حَسّان بن ثابت، وحسّان مضطجعٌ مُسْنِدٌ رِجْلَيهِ إلى فَارِع[1] قد رفعهما عليه، إذ قال: مَهْ! أمَا رأيتم ما مرَّ بكم الساعةَ؟ قال مالك: قلنا: لا والله، وما هو؟ فقال حسّان: فَاخِتةٌ[2] مَرَّتْ الساعةَ بيني وبين فارع فصدمتني، أو قال: فزَحَمتني. قال: قلنا: وما هي؟ قال:

[١٥٤/٤] / ستأتيكُم غَدْواً أحاديثُ جَمَّةٌ ... فأصغُوا لها آذانَكم وتَسَمَّعُوا

١١/٤

قال مالك بن أبي عامر: فصَبَحَنا من الغد حديثُ صِفِّين.

سمعه المغيرة بن شعبة ينشد شعراً فبعث إليه بمال:

أخبرنا وكيع قال حدّثنا اللَّيث بن محمد عن الحَنْظَلِيّ عن أبي عَبْدةَ عن العَلاء بن جَزْء العَنْبَري قال:

بينَا حَسّان بن ثابت بالخَيْفِ وهو مكفوفٌ، إذ زَفَر زَفرةً ثم قال:

وكأنَّ حافِرَها بكلِّ خَمِيلةٍ[3] ... صاعٌ يَكِيلُ به شحيحٌ مُعْدِمُ

عارِي الأَشَاجِعِ[4] من ثَقِيفٍ أصلُه ... عبدٌ ويزعمُ أنّه من يَقْدُم[5]

قال: والمُغِيرة بن شُعبة جالسٌ قريباً منه يسمَع ما يقول، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم. فقال: مَنْ بَعَث بهذا؟ قال[6]: المُغيرة بن شُعْبة سَمِع ما قلتَ. قال: واسَوْءتاه! وقَبِلها.

استجار الحارث بن عوف من شعره بالنبي:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني الأصمعيّ قال:

جاء الحارث بن عَوْف بن أبي حارِثةَ إلى النبيّ ﷺ فقال: أَجِرْني من شعر حسّان، فلو مُزِج البحرُ بشِعْره لمَزَجَه. قال: وكان السببُ في ذلك ـ فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة عن الأصمعيّ، وأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي مُصْعَب ـ أنّ الحارث بن عَوْف أتى رسولَ الله ﷺ فقال: ابْعَثْ معي / مَنْ يدعو إلى دِينك وأنا له جار. فأرسل معه رجلاً من الأنصار. فغَدَرتْ بالحارث [١٥٥/٤] عشيرتُه فقتلوا الأنصاريَّ، فقَدِم الحارثُ على رسول الله ﷺ، وكان عليه الصلاة والسلام لا يؤنِّب أحداً في وجهه، فقال: «ادعُوا لي حسّان»؛ فدُعي له. فلمّا رأى الحارثَ أنشده:

يا حَارِ مَنْ يَغْدِرْ بذِمّة جارِه ... منكُمْ فإنّ محمداً لم يَغْدِرِ

---

(١) فارع: اسم أُطم، وهو حصن بالمدينة كان لحسان بن ثابت.

(٢) الفاختة: واحدة الفواخت، وهي ذوات الأطواق من الحمام؛ قيل لها ذلك للونها لأنه يشبه الفَخْت الذي هو ضوء القمر.

(٣) الخميلة: الأرض السهلة التي تنبت، شبه نبتها بخمل القطيفة.

(٤) الأشاجع: أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف، وقيل: هي عروق ظاهر الكف، واحدها: أشجع.

(٥) يقدم: أبو قبيلة، وهو يقدم بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وهو يحتمل أن يكون بضم الميم، فيكون علماً منقولاً عن جملة، نحو:

* نبئت أخوالي بني يزيدُ *

وأن يكون بكسرها، وبفتحها على أنه ممنوع من الصرف، فيكون فيه إقواء.

(٦) كذا في جميع الأصول. وكان الأولى أن يكون «قيل» أو «قالوا».

إنْ تَغْـدِرُوا فَـالغَـدْرُ منكـم شِيمَـةٌ والغـدرُ ينبُـت فـي أُصـول السَّخْبَـرِ[١]

فقال الحارث: اكفُفْه عنّي يا محمد، وأُوَدّي إليك دِيَةَ الخُفارة[٢]؛ فأدّى إلى النبيّ ﷺ سبعين عُشَرَاء[٣]، وكذلك دِيةُ الخُفَارة، وقال: يا محمد، أنا عائذٌ بك من شرّه، فلو مُزِج البحرُ بشِعْره مزجَه.

أنشد شعراً بلغ النبي فآلمه فضربه ابن المعطل وعوّضه النبي:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إبراهيم بن المُنذِر قال حدّثنا عبدالله بن وَهْب قال أخبرنا العَطّاف بن خالد قال:

كان حسّان بن ثابت يجلس إلى أُطُمِه فارِع، ويجلِس معه أصحابٌ له ويَضَع لهم بِساطاً يجلِسون عليه؛ فقال يوماً، وهو يرى كثرةَ مَنْ يأتي إلى النبيّ ﷺ من العرب فيُسْلِمون:

[١٥٦/٤] / أرَى الجَلاَبِيبَ[٤] قد عَزُّوا وقد كَثُروا وابـنُ الفُـرَيْعَـةِ أمسَـى بَيْضَـةَ[٥] البَلَـدِ

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «مَنْ لي بأصحاب البِساطِ بفارع؟». فقال صَفْوان بن المعَطَّل: أنا لك يا رسول الله منهم؛ فخرج إليهم فاخترط سيفَه، فلمّا راوْه عَرَفوا الشرَّ في وجهه ففَرّوا وتبدّدوا، وأدرك حَسّانَ داخلاً بيتَه، فضربه وفَلَق أَلْيَتَه. قال: فبلغَنا أنّ النبيّ ﷺ عوّضه وأعطاه حائطاً[٦]، فباعه من مُعاوية بعد ذلك بمالٍ كثير، فبناه معاوية قصراً، وهو الذي يقال له: «قصر الدّارَين». وقد قيل: إنّ صَفْوان بن المُعَطَّل إنما ضرب حسّان لِما قاله ١٢/٤ فيه وفي عائشة زَوْجِ النبيّ ﷺ من الإفك[٧]؛ لأن صفوان / هو الذي رَمَى أهلُ الإفك عائشة به.

(١) السخبر: شجر إذا طال تدلت رؤوسه وانحنت، وقيل: هو شجر من شجر الثمام له قضب مجتمعة وجرثومة. وفي «اللسان» يقال: ركب فلان السخبر إذا غدر، وذكر البيت.

(٢) الخفارة (مثلثة الخاء): الذمام.

(٣) العشراء من النوق: التي مضى على حملها عشرة أشهر، وقيل: ثمانية.

(٤) كذا في أكثر الأصول، وهو الموافق لما في «الطبري» (ص ١٥٢٦ من القسم الأوّل) و «اللسان» مادة «بيض» و «التنبيه»: (ص ٧٦ طبع دار الكتب المصرية) و «الأضداد في اللغة» (ص ١١٨ طبع بيروت). وقال البكري في «التنبيه»: «وكان المنافقون يسمون المهاجرين رضي الله عنهم الجلابيب». وفي «اللسان»: «أراد بالجلابيب سِفْلة الناس وغُثْراءهم». وفي س و «تاج العروس شرح القاموس» (ج ٥ ص ١٢) و «الديوان»: «الخلابيس». وقال في «الشرح»: الخلابيس: الأخلاط من كل وجه». (انظر «ديوانه» المطبوع في ليدن سنة ١٩١٠ ص ٩١).

(٥) العرب تقول للرجل: هو بيضة البلد، يمدحونه بذلك، وتقول للآخر: هو بيضة البلد، يذمونه بذلك. والممدوح يراد به البيضة التي يحضنها الظليم ويقيها؛ لأن فيها فرخه. والمذموم يراد به البيضة المنبوذة بالعراء المذرة التي لا حافظ لها ولا يدري لها أب وهي تريكة الظليم. قال الرمّاني: إذا كانت النسبة إلى مثل المدينة ومكة والبصرة فبيضة البلد مدح، وإذا نسب إلى البلاد التي أهلها أهل ضعة فبيضة البلد ذم.

(٦) الحائط: البستان. وفي كتاب «التنبيه» للبكري: فأعطاه النبيّ ﷺ عوضاً: بيرحاء (وهي قصر بني جُدَيلة اليوم بالمدينة)، وسيرين (أمة قبطية وهي أم عبد الرحمن بن حسان رضي الله عنهما). وسيذكر المؤلف هذه الرواية في ص ١٦٢ من هذا الجزء.

(٧) يعني أبو الفرج بالإفك هنا الحديث الذي تخرّصه قوم على عائشة رضي الله عنها، وكان ذلك عقب غزوة غزاها النبيّ ﷺ كان يستصحب فيها عائشة؛ فحدث أنه أمر بالرحيل، وكانت عائشة منطلقة لبعض شأنها، فأمر بهودجها فحمل على بعيره، وظن القوم أنها فيها ولم تكن هناك. فلما رجعت عائشة إلى الهودج ألفت النبيّ ﷺ وأصحابه قد ارتحلوا؛ فمكثت مكانها حتى عثر بها صفوان بن المعطل؛ فرجعها إلى المدينة؛ فأرجف بها أناس ورموها بالإفك، وكان منهم حسان بن ثابت رضي الله عنه.

/ وأخبرنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمةُ عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن [٤/١٥٧] عُتْبَةَ قال:

اعترضَ صَفْوان بن المُعَطَّل حسّان بن ثابت بالسَّيْف لِما قَذَفه به من الإفك حين بلَغه ما قاله. وقد كان حسّان قال شِعْراً يعرِّض بابن المعطَّل وبمن أسلَم من العرب من مُضَر فقال:

أمسَى الجَلابِيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُروا وابنُ الفُرَيْعةِ أمسَى بَيْضَةَ البَلَدِ

قد ثَكِلَتْ أُمُّه مَنْ كنتُ صاحبَه أو كان مُنْتَشِباً في بُرْثُنِ الأَسَدِ

ما للقتيلِ الذي أعدُو فآخُذُه من دِيَةٍ فيه أُعْطِيها ولا قَوَدِ[١]

ما البحرُ حين تَهُبُّ الرِّيحُ شَامِيةً[٢] فيَغْطَئِلُّ[٣] ويَرْمي العِبْرَ بالزَّبَدِ

يوماً بأغلبَ منّي حين تُبْصِرُني بالسيف أَفْرِي كفَرْيِ العارِضِ[٤] البَرِدِ

فاعترضه صَفْوان بن المعطَّل بالسيف فضربه وقال:

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عنّي فإنّني غلامٌ إذا هُوجِيتُ لستُ بشاعرِ

قبض ثابت بن قيس على ابن المعطل لضربه له، ثم انتهى الأمر إلى النبي فاسترضاه:

وحدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا [ابن] حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمةُ عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْميّ:

أنّ ثابت بن قيس بن الشَّمّاس أخا بَلْحارث بن الخَزْرَج وَثَب على صَفْوان بن المعطَّل في ضَرْبه حسّان فجمع يديه على عُنُقه، فانطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج، فلَقِيَه عبدُالله بن رَوَاحةَ فقال: ما هذا؟ فقال: ألاَ أُعَجِّبُك[٥]! ضَرَب / حسّانَ بالسيف! والله ما أُراه إلاّ قد قتلَه. فقال له عبدالله بن رَواحةَ: هل عَلِم رسولُ الله ﷺ [٤/١٥٨] بشيءٍ من هذا؟ قال: لا والله. قال: لقدِ اجترأت! أَطْلِقِ الرجلَ، فأطلقه. ثم أتَوْا رسولَ الله ﷺ فذُكِر ذلك له، فدعا حسّان وصَفْوان بن المعطَّل؛ فقال ابن المعطَّل: يا رسولَ الله، آذاني وهجاني فضربتُه. فقال رسول الله ﷺ لحسّان: «يا حسّان أَتَعِيبُ على قومي أنْ هداهم الله عزّ وجلّ للإسلام!»، ثم قال: «أَحْسِنْ يا حسّان في الذي أصابك». قال: هي لك يا رسول الله.

إيراد ما تقدم برواية أخرى مفصلة:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني المَدائنيّ قال حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن أبيه عن إسحاق بن يَسَارٍ[٦] عن بعض رجال بني النجّار بمثل ذلك، وزاد في الشعر الذي قاله

---

(١) القود: القصاص.

(٢) في «ديوانه» ص ٦٢: «شاملة».

(٣) كذا في «ديوانه». واغطالّ الشيء: ركب بعضه بعضاً. وفي حـ: «فيغضئل» بالغين والضاد المعجمتين. وفي سائر الأصول: «فيعضئل» بالعين المهملة والضاد المعجمة، وكلاهما تحريف. والعبر: جانب النهر. وعبر الوادي: شاطئه وناحيته.

(٤) العارض: السحاب المعترض في الأُفق. وسحاب برد (بكسر الراء): فيه قرّ وبرد.

(٥) يقال: عجبه بالشيء، إذا نبهه على التعجب منه.

(٦) كذا في م وهو الموافق لما في «الطبري» (قسم أول ص ١٥٢٥ طبع أوروبا) وهو الصواب؛ لأنه يعني محمد بن إسحاق بن يسار =

حسان زيادةً، ووافقه عليها مُصْعَب الزُّبَيريّ، فيما أخبرنا به الحسن بن عليّ، قال قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني عمي مُصْعَب في القِصّة، فذكر أنّ فِتيةً من المهاجرين والأنصار تنازعوا على الماء وهم يَسْقُون خيولَهم، فغَضب من ذلك حسّان فقال هذا الشعر.

وذكر الزُّهْرِي، فيما أخبرنا أحمد بن يحيى بن الجَعْد، قال حدّثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبي قال حدّثنا محمد بن فُلَيْح عن موسى بن عُقْبة عن ابن شِهَاب الزُّهْرِيّ أنّ هذا الخبر كان بعد غَزْوة النبيّ ﷺ بني المُصْطَلِق[1]. قال:

[٤/١٥٩] / وكان في أصحاب رسول الله ﷺ رجلٌ يقال له: سِنَان[2]، ورجل من بني غِفَار يقال له: جَهْجاه[3]؛ فخرج جَهْجاهٌ بفرس لرسول الله ﷺ وفَرَس له يومئذ يَسْقِيهما، فأوردهما الماء، فوجد على الماء فِتْيةً من الأنصار، / فتنازعوا فاقتتلوا؛ فقال عبدالله بنُ أُبَيّ ابنُ سَلُولَ: هذا ما جَزَوْنا به، آويناهم ثم هم يُقاتلوننا! وبلغ حسّانَ بن ثابت الذي بين جَهْجاه وبين الفِتْية الأنصار، فقال وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قَدِموا على رسول الله ﷺ في الإسلام ـ وهذا الشعرُ من رواية مُصْعَب دون الزُّهْريّ ـ:

أمسى الجلابيبُ[4] قد عَزُّوا وقد كثُروا ... وابنُ الفُرَيعةِ أمسى بيضةَ البَلَدِ
يمشون بالقول سِرًّا في مُهَادَنةٍ ... تَهَدُّداً لي كأنّي لستُ من أحَدِ
قد ثَكِلتْ أُمُّه مَنْ كنتُ صاحبَه ... أو كان مُنْتشِباً في بُرْثُنِ الأسَدِ
ما للقتيل الذي أسمو فأقتُلُه ... من دِيَةٍ فيه أُعْطِيها ولا قَوَدِ
ما البحرُ حين تَهُبُّ الريحُ شاميةً ... فيَغْطَئِلُ ويَرْمي العِبْرَ بالزَّبَدِ
يوماً بأغلبَ منّي حين تُبْصِرُني ... أفْرِي من الغَيْظ فَرْيَ العارِضِ البَرِدِ
أمّا قريشٌ فإنّي لستُ تاركَهم ... حتى يُنِيبُوا مِنَ الغَيّاتِ بالرَّشَدِ
[٤/١٦٠] / ويتركوا اللاتَ والعُزّى بمَعْزِلَةٍ ... ويَسْجُدوا كلُّهم للواحد الصَّمَدِ
ويَشْهَدوا أنّ ما قال الرسولُ لهم ... حقٌّ ويُوفُوا بعهد الله في سَدَدِ[5]

= صاحب «السيرة». وقد اضطربت بقية الأصول في هذا السند؛ ففي س: «محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق عن ابن يسار». وفي غيرها: «محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق عن يسار» وكلاهما تحريف.

(١) بنو المصطلق: بطن من خزاعة. والمصطلق: لقب جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة؛ وسمي بالمصطلق لحسن صوته، وهو أوّل من غنى من خزاعة.

(٢) كذا في «سيرة ابن هشام» (ص ٧٢٦ طبع أوروبا) و «الطبري» (ص ١٥١١ من القسم الأول طبع أوروبا). وفي الأصول: «جعان». وقد ساق ابن هشام والطبري هذه القصة هكذا: «فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين؛ فغضب عبدالله بن أبيّ إلخ».

(٣) هو جهجاه بن سعيد الغفاري، كما في الطبري «والمعارف» لابن قتيبة (ص ١٦٥). وفي «سيرة ابن هشام» (ص ٧٢٦ طبع أوروبا): «جهجاه بن مسعود». وفي «أُسْد الغابة»: «هو جهجاه بن قيس وقيل ابن سعيد بن سعد بن حرام بن غفار الغفاري من أهل المدينة».

(٤) انظر الحاشية رقم ١ ص ١٥٦ من هذا الجزء. وانظر هذا الشعر في «الديوان» و «سيرة ابن هشام» (ص ٧٣٨ وفيما تقدم من هذا الجزء (ص ١٥٧) تجده مختلفاً عما هنا في بعض ألفاظه.

(٥) السدد: القصد.

أَبْلِـغْ بَنِـيّ بـأنّـي قـد تـركـتُ لهـم ... مـن خيـر مـا تَـرَكَ الآبـاء للـوَلَـدِ

الـدّارُ واسطـةٌ والنخـلُ شـارعـةٌ ... والبِيضُ يَرْفُلْنَ فـي القَسّيّ[1] كـالبَرَد

قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا حسان نَفِستَ[2] عليّ إسلامُ قومي» وأغضبه كلامُه. فغدا صفوان بن المعطّل السُّلَميّ على حسّان فضربه بالسيف. وقال صفوان:

تَلَـقَّ ذُبَـابَ السَّيْـفِ عنّـي فـإنّنـي ... غـلامٌ إذا هُـوجِيـتُ لسـتُ بشـاعـرِ

فوثب قومُه على صَفْوان فحبسوه، ثم جاؤوا سعدَ بن عُبَادةَ بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي حَزِيمةَ[3] بن ثعلبة بن طَرِيف[4] بن الخَزْرَج بن سَاعِدةَ بن كَعْب بن الخَزْرَج بن حَارِثةَ بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وهو مُقْبِلٌ على نَاضِحه بين القِرْبَتَيْن، فذكروا له ما فعَل حسّان وما فعلوا؛ فقال: أشاورتُم في ذلك رسولَ الله ﷺ؟ قالوا لا. فقعد إلى الأرض. وقال: وَانْقِطاعَ ظَهْراه! أتأخذون بأيديكم ورسولُ الله ﷺ بين ظَهْرَانَيْكم! ودعا بِصَفْوان فأُتي به، فكساه وخلّاه. فجاء إلى النبيّ ﷺ؛ فقال له رسول الله ﷺ: «مَنْ كَسَاكَ كساه الله». وقال حسّان لأصحابه: احملوني إلى رسول الله ﷺ / أترضّاه ففعلوا؛ فأعرض عنه رسولُ الله ﷺ، فردّوه. ثم سألهم فحملوه إليه الثانية؛ فأعرض عنه [١٦١/٤] رسولُ الله ﷺ، فانصرفوا به. ثم قال لهم: عُودوا بي إلى رسول الله ﷺ؛ فقالوا له: قد جئنا بك مرّتين كلّ ذلك يُعْرِض فلا نُبْرِمُه[5] بك. فقال: احملوني إليه هذه المرّة وحدَها، ففعلوا. فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأُمّي! احْفَظْ قولي:

هجـوتَ محمـداً فـأجبـتُ عنـه ... وعنـد اللّـهِ فـي ذاك الجـزاءُ

فـإنّ أبـي ووالـدَه وعِـرْضـي ... لعِـرْضِ محمـدٍ منكـم وِقَـاءُ

/ فرضِي عنه رسولُ الله ﷺ ووَهَب له سِيرِينَ[6] أُخت مارية أمِّ ولد رسول الله ﷺ إبراهيمَ. هذه رواية ١٤/٤ مُصعَب[7]. وأمّا الزُّهريّ فإنه ذكر أنّ رسولَ الله ﷺ لمّا بلغه ضربُ السُّلَميّ حسّانَ قال لهم: «خُذُوه فإنْ هلك حسّان فاقتلوه». فأخذوه فأسروه وأوثَقُوه؛ فبلَغ ذلك سعدَ بنَ عُبَادةَ، فخرج في قومه إليهم فقال: أَرْسِلُوا الرجلَ. فأبَوْا عليه؛ فقال: أعمَدتم إلى قومِ رسول الله ﷺ تُؤْذُونهم وتَشْتُمونهم وقد زعمتم أنّكم نصرتموهم! أرْسِلُوا الرجلَ؛ فأبوا عليه حتى كاد يكون قتالٌ، ثم أرسلوه. فخرج به سعدٌ إلى أهله فكساه حُلّةً، ثم أرسله سعدٌ إلى أهله. فبلغنا أنّ

---

(١) القسي: ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر؛ نسبت إلى قرية على ساحل البحر قريباً من تنّيس يقال لها القس (بفتح القاف وكسرها).

(٢) نفس عليه الشيء: حسده عليه ولم يره أهلاً له.

(٣) كذا في حـ، وهو الموافق لما في «القاموس» (مادة حزم) و «طبقات ابن سعد» (ج ٥ قسم ٢ ص ١١٥). وفي سائر الأصول: «خزيمة» بالخاء المعجمة، وهو تصحيف.

(٤) كذا في «الطبقات». وفي الأصول: «ظريف» بالظاء المعجمة.

(٥) أبرمه هنا: أضجره وأمله.

(٦) كذا في الأصول و «سيرة ابن هشام» (ص ٧٣٩ طبع أوروبا) و «الطبري» (ص ١٥٢٨، ١٥٩١، ١٧٨١ قسم أوّل) و «الإصابة» لابن حجر العسقلاني (ج ٨ ص ١١٨) و «التنبيه» للبكري (ص ٧٦ طبع دار الكتب المصرية)، وضبطها الزرقاني أيضاً في «شرحه على المواهب» (ج ٣ ص ٣٢٥ طبع بولاق) بقوله: «سيرين بكسر السين المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الراء». وفي «تاريخ ابن الأثير» (ج ٢ ص ١٥٢) و «معجم البلدان» لياقوت (ج ١ ص ٧٨٤): «شيرين بالشين المعجمة».

(٧) في الأصول: «أبي مصعب» وهو تحريف.

النبيّ ﷺ دخل المسجد لِيُصلّيَ فيه، فقال: «مَنْ كَسَاك كساه اللّٰهُ من ثياب الجنّة». فقال: كساني سَعد بن عُبَادة. وذكر باقيَ الخبر نحوه.

[٤/١٦٢] / **شعره في مدح عائشة والاعتذار عما رماها به:**

وحدّثني محمد بن جرير الطبريّ قال حدّثني ابن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمةُ عن ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث:

أنّ رسول الله ﷺ أعطاه عِوَضاً منها بيرحاء[١]، وهي قصرُ بني حُدَيْلَة[٢] اليومَ بالمدينة، كانت مالاً لأبي طَلْحة[٣] بن سَهْلٍ تَصدّق بها إلى رسول الله ﷺ، فأعطاه حَسّانَ في ضَرْبته، وأعطاه سِيرِينَ (أَمَةً قِبْطيّة) فولدتْ له عبدَ الرحمن بن حَسّان. قال: وكانت عائشة تقول: لقد سُئل عن صَفْوان بن المُعَطَّل، فإذا هو حَصُورٌ (لا يأتي النساء)؛ قُتِل بعد ذلك شهيداً. قال ابن إسحاق في روايته عن يعقوب بن عُتْبَةَ: فقال حسّان يعتذر مِنَ الذي قال في عائشة:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ ... وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحومِ الغَوَافِلِ

فإنْ كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتُمُ ... فلا رفعتْ سَوْطِي إليَّ أنامِلِي

وكيفَ ووُدّي من قديمٍ ونُصْرَتي ... لآلِ رسولِ الله زَيْنِ المَحَافِلِ

فإنّ الّذي قد قِيلَ ليس بِلائطٍ[٤] ... ولكنّه[٥] قولُ امرىءٍ بِيَ مَا حِلِ[٦]

[٤/١٦٣] / **هجاء رجل بما فعل به ابن المعطل:**

قال الزبير وحدّثني محمد بن الضحّاك: أنّ رجلاً هجا حسّان بن ثابت بما فعل به ابن المُعَطَّل فقال:

وإنّ ابنَ المُعَطَّلِ من سُلَيْمٍ ... أَذَلَّ قِيادَ رَأْسِك بالخِطَامِ[٧]

---

(١) في «النهاية» لابن الأثير (مادة برح): «هذه اللفظة كثيراً ما تختلف ألفاظ المحدّثين فيها، فيقولون: بيرحاء بفتح الباء وكسرها وبفتح الراء وضمها والمدّ فيهما وبفتحهما والقصر، وهي اسم مال وموضع بالمدينة».

(٢) كذا في «اللسان» (مادة حدل) و «معجم البلدان» لياقوت (ج ١ ص ٧٨٤ طبع أوروبا)، و «تاريخ ابن الأثير» ج ٢ ص ١٥٢ طبع أوروبا) و «سيرة ابن هشام» (ص ٧٣٩ طبع أوروبا). وقد جاء في «اللسان»: «حديلة بضم الحاء وفتح الدال، هي محلة بالمدينة نسبت إلى بني حديلة بطن من الأنصار». وفي الأصول وكتاب «التنبيه» للبكري (ص ٧٦): «جديلة» بالجيم المعجمة، وهو تصحيف.

(٣) كذا في «اللسان» (مادة برح) و «معجم البلدان» (ج ١ ص ٧٨٤ طبع أوروبا) و «سيرة ابن هشام». وفي الأصول: «لطلحة» بدون «أبي» وهو تحريف.

(٤) كتب في حـ بين السطور بخط رفيع فوق هذه الكلمة تفسيراً لها: «لائق». وفي «اللسان» (مادة ليط): «... أبو زيد: يقال: ما يليط به النعيم ولا يليق به، معناه واحد».

(٥) رواية «الديوان»:

* بك الدهر بل سعي امرىء بك عاجل *

(٦) محل به إلى السلطان محلاً ومحالاً: كاده بسعاية إليه.

(٧) الخطام: الحبل الذي يقاد به البعير.

سبه أناس فدافعت عنه عائشة:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّةَ قال أخبرنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جُرَيْج قال أخبرني محمد بن السائب عن أُمّه: أنّها طافتْ مع عائشة ومعها أُمُّ حكيم وعاتكة: (امرأتان من بني مخزوم). قالت: فابْتَدَرْنا حَسّانَ نَشْتُمه وهو يطوف؛ فقالتْ: أَبْنَ الفُرَيْعةِ تَسْبُبْنَ! قلنَ: قد قال فيكِ فبرّأَكِ الله. قالت: فأين قولُه:

هجـوتَ محمـداً فـأجبـتُ عنـه ... وعنـد اللّـهِ فـي ذاك الجَـزاءُ

فـإنّ أبـي ووالـدَه وعِـرْضِـي ... لِعِـرْضِ محمـدٍ منكـم وِقَـاءُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَيْر قال حدّثني إبراهيم بن المُنْذِر عن سُفْيان بن عُيَيْنَةَ عن محمد بن السائب بن بَرَكَةَ عن أُمّه بنحو ذلك، وزاد فيه: إني لأرجو أن يُدْخِله الله الجنّةَ بقوله.

أخبرني الحسن قال حدّثنا الزُّبير عن عبد العزيز بن عمْران عن سُفيان بن عُيينة وسَلْمِ بن خالد عن يوسف بن مَاهَك عن أُمّه قالت:

كنتُ أطوف مع عائشة / بالبيت، فذكرتُ حَسّان فسَبَبْتُه؛ فقالت: بئس ما قُلْتِ! أتَسُبِّينَه وهو الذي يقول: 15/4

فـإنّ أبـي ووالـده وعِـرْضِـي ... لِعِـرْضِ محمـدٍ منكـم وِقَـاءُ

/ فقلت: أليس ممن لَعَن اللّهُ في الدنيا والآخرة بما قال فيك؟ قالت: لم يَقُلْ شيئاً، ولكنه الذي يقول: [164/4]

حَصَـانٌ رَزَانٌ مـا تُـزَنّ بـريبـةٍ ... وتُصبِـحُ غَـرْثَـى مـن لُحـومِ الغَـوَافِـلِ

فـإنْ كـان مـا قـد جـاء عنّـيَ قلتُـه ... فـلا رفعـتْ سَـوْطِـي إلـيَّ أنـاملـي

أخبرني الحسن قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني مُصْعَب عَمِّي قال حدّثني بعضُ أصحابنا عن هشام بن عُرْوةَ عن أبيه قال:

كنتُ قاعداً عند عائشة، فمرَّ بجنازة حسّان بن ثابتٍ فنِلْتُ منه؛ فقالت: مَهْلاً! فقلتُ: أليس الذي يقول! قالت: فكيف بقوله:

فـإنّ أبـي ووالـدَه وعِـرْضِـي ... لِعِـرْضِ محمـدٍ منكـم وِقَـاءُ

أخبره بلسانه:

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثني أحمد بن سَلْمان عن سليمان بن حَرْب قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن أيّوب[1] عن محمد بن سيرين:

أنّ حسّان أخذ يوماً بطَرَفِ لسانه وقال: يا رسولَ الله، ما يَسرُّني أنّ لي به مِقْوَلاً[2] بين صَنْعاءَ وبُصْرَى[3]، ثم قال:

---

(١) يريد أيوب بن أبي تميمة السختياني، كما في «الخلاصة» للخزرجي.

(٢) كذا في ب، حـ. والمغول: سيف دقيق له حد ماض. وفي «الديوان» (ص ٢): «لساني صارم... إلخ». وفي سائر الأصول: «لساني مقول».

(٣) بصرى. اسم لموضعين: بصرى الشام من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران، وبصرى بغداد وهي إحدى قراها قرب عكبراء.

لِســانــي مِغْــوَلٌ لا عيــبَ فيــه وبَحْــرِي مــا تُكَــدِّرُه الــدِّلاَءُ

عن مناصرة أمية بنت عبد مناف يوم الخندق:

أخبرنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمة قال حدّثني محمد بن إسحاق عن يحيى بن عَبّاد بن عبدالله بن الزُّبَير عن أبيه قال:

[١٦٥/٤] / كانت صَفِيّةُ بنت عبد المُطَّلب في فارعٍ (حِصْنِ حسّان بن ثابت)، يعني يومَ الخَنْدَق. قالت: وكان حسّان معنا فيه والنساء والصِّبْيان. قالتْ: فمرّ بنا رجلٌ من يَهُودَ فجعل يُطِيف بالحِصْن، وقد حاربتْ بنو قُرَيْظَة وقطعتْ ما بينها وبين رسول الله ﷺ، ليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عنّا، ورسولُ الله والمسلمون في نُحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم، إذْ أتانا آتٍ. قالت: فقلتُ: يا حسّان، إنّ هذا اليهوديّ كما ترى يُطِيفُ بالحِصْن، وإنّي والله ما آمَنُه أن يَدُلّ على عَوْرَاتِنا مَنْ وراءنا مِنْ يَهُودَ، وقد شُغِل عنّا رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، فانْزِلْ إليه فاقْتُلْه؛ فقال: يَغْفِرُ اللّهُ لكِ يا ابنةَ عبد المُطَّلِب! لقد عَرَفْتِ ما أنا بصاحب هذا. قالت: فلمّا قال ذلك ولم أرَ عنده شيئاً احْتَجَزْتُ[١] ثم أخذتُ عموداً ثم نزلتُ إليه من الحِصْن فضربتُه بالعمود حتى قتلتُه، فلمّا فرغت منه رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسّان، انْزِلْ إليه فاسْلُبْه؛ فإنّه لم يمنعني من سَلْبِه إلاّ أنّه رجلٌ. قال: ما لي بِسَلْبه من حاجةٍ يا بنتَ عبد المطّلب.

حديث ابن الزبير عن يوم الخندق وفي حديثه ما يبين جبن حسان:

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا عليّ بن صالح عن جَدّي عبدالله بن مُصْعَب عن أبيه قال:

كان ابن الزُّبير يحدِّث أنه كان في فَارِعٍ (أُطُم حسّان بن ثابت) مع النساء يوم الخندق ومعهم عُمَرُ بن أبي سَلَمَة. قال ابن الزُّبير: ومعنا حسّان بن ثابت ضارباً وَتِداً في آخر الأُطُم، فإذا حَمَل أصحابُ رسول الله ﷺ على المشركين حَمَل على الوَتِد فضربه بالسيف؛ وإذا أقبل المشركون انحاز عن الوَتِدِ حتّى كأنه يُقاتل قِرْناً، يتشبّه بهم [١٦٦/٤] كأنّه يُرِي أنّه مُجاهدٌ حين جَبُن. وإنّي لأظلم ابنَ أبي سلمةَ / وهو أكْبَرُ منّي بسنتين فأقول له: تَحْمِلُني على عُنقك حتّى أنظرَ، فإنّي أَحْمِلُك إذا نزلتُ. قال: فإذا حملني ثم سألني أن يركَب قلتُ له: هذه المرّةَ أيضاً. قال: وإنّي لأنظر إلى أبي مُعْلَماً بصُفْرةٍ، فأخبرتُها أبي بعدُ؛ فقال: [أين كنتَ[٢] حينئذ؟ فقلتُ: على عُنُق ابن أبي سَلَمةَ يَحْمِلُني. فقال]: أمَا والّذي نَفْسِي بيده إنَّ رسولَ الله ﷺ لَيَجْمَع لي أبَوَيْه[٣].

قال ابن الزُّبير: وجاء يَهُوديٌّ يرتقي إلى الحِصْن. فقالت صَفِيّة له: أَعْطِني السيف، فأعطاها. فلمّا ارتقى اليهوديّ ضربتْه حتّى قتلتْه، ثم احتزّتْ[٤] رأسَه فأعطته حسّانَ وقالت: طَوِّحْ به؛ فإنّ الرجلَ أقوى وأشدُّ رمية من المرأة. تريد أن تُرْعِبَ به أصحابَه.

---

(١) يقال: احتجز بردائه، إذا شدّه على وسطه.

(٢) هذه العبارة موجودة في س وساقطة من سائر الأصول.

(٣) يعني أن النبي صلوات الله عليه كان يقول له: فداك أبي وأمي.

(٤) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «اجتزت» بالجيم المعجمة. وما اخترناه أصوب في هذا المقام؛ لأن الحز قطع العنق ونحوه، والجز للشعر والحشيش ونحوهما.

كان حسان مقطوع الأكحل:

قال الزُّبَيْر: وحدّثني عمّي عن الوَاقِدِيّ قال: كان أَكْحَلُ[(١)] حسّانَ قد قُطع فلم يكن يَضْرِب بيده.

أنشد النبي شعراً في شجاعته فضحك:

قال الزُّبير وحدّثني عليّ بن صالح عن جَدّي أنّه سَمع أن حَسَّانَ بن ثابت أَنشد رسول الله ﷺ:

لقد غدوتُ أمامَ القوم مُنْتَطِقاً ... بِصَارِمٍ مِثْلِ لَوْنِ المِلْحِ قَطَّاعِ

يَحْفِزُ[(٢)] عنّي نِجادَ السيفِ سابغةٌ[(٣)] ... فَضْفَاضَةٌ[(٤)] مثل لَوْنِ النِّهْيِ بالقَاعِ

/ قال: فضَحِك رسولُ الله ﷺ؛ فظنّ حسّان أنه ضَحِك من صفته نَفْسَه مع جبْنه. [١٦٧/٤]

قال النابغة: إنه شاعر والخنساء بكاءة:

قال الزُّبَير وحدّثني محمد بن الحسن قال:

قال حَسَّان بن ثابت: جئتُ نابغةَ بني ذُبْيان، فوجدتُ الخنساءَ بنتَ عَمْرو حين قامتْ من عنده، فأنشدتُه؛ فقال: إنّك لشاعرٌ، وإنّ أُختَ بني سُلَيْم لَبَكَّاءة.

سمعه الحطيئة ينشد فسأله وهو لا يعرفه فأجابه الحطيئة بما لم يرضه:

قال الزُّبير وحدّثني يحيى بن محمد بن طَلْحةَ بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّدّيق قال أخبرني غير واحدٍ من مَشايخي[(٥)]:

أنّ الحُطَيْئةَ وقَف على حَسّان بن ثابت وحَسّانُ يُنْشِدُ من شِعْره؛ فقال له حسّان وهو لا يعرفه: كيف تَسْمَع هذا الشعرَ يا أعرابيّ؟ قال الحُطَيْئة: لا أرى به بأساً. فغضِب حَسّان وقال: اسْمَعُوا إلى كلامِ هذا الأعرابيّ! ما كُنْيَتُك؟ قال: أبو مُلَيْكَةَ. قال: ما كنتَ قَطُّ أَهْوَنَ عليّ منك حين كُنِّيتَ بامرأةٍ، فما اسْمُك؟ قال: الحُطَيْئة فقال حَسَّان: امْضِ بسِلام.

اتهمه أعشى بكر عند خمار بالبخل فاشترى كل الخمر وأراقها:

أخبرني محمد بن العباس اليَزِيديّ قال حدّثني محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرَقيّ[(٦)] قال حدّثنا عبدالله بن

---

(١) الأكحل: عرق في وسط الذراع؛ قال ابن سيده: يقال له عرق النسا في الفخذ، وفي الظهر الأبهر، ويسمى: عرق الحياة ونهر البدن.

(٢) يحفز: يدفع.

(٣) يقال: درع سابغة، إذا كانت طويلة تامة.

(٤) فضفاضة: واسعة. والنهي: الغدير. وفي «الديوان» (ص ٦٦ طبع أوروبا) ورد هذا الشطر هكذا:

* تغشى الأنامل مثل النهي بالقاع *

وفسره في (ص ٩٥) بقوله: «شبه الدرع في بياضها واطرادها بالغدير».

(٥) في الأصول: «من مشايخه».

(٦) الزرقيّ: نسبة إلى بني زريق، بطن من الأنصار، وهم بنو زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم الخزرجي. (راجع «أنساب السمعاني»).

شَبيب قال حدّثني الزُّبير، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني بعضُ القرشيين قال:

دخل حسّان بن ثابت في الجاهليّة بيتَ خَمَّارٍ بالشّأم ومعه أعْشَى بَكْر بن وائل، فاشتريا خمراً وشَرِبًا، فنام حسّان ثم انتبه، فسَمع الأعشى يقول للخمّار: كَرِه الشيخ / الغُرْمَ. فترَكه حسَّانُ حتَّى نام، ثم اشترى خمر الخمَّار كلَّها. ثم سَكَبها في البيت حتَّى سالتْ تحت الأعشى؛ فعَلِم أنَّه سَمع كلامه فاعتذر إليه؛ فقال حَسّان: [١٦٨/٤]

ولَسْنَا بِشَرْبٍ فَوْقَهُمْ ظِلُّ بُرْدةٍ ... يُعِدُّون لِلْخَمَّارِ تَيْساً ومِفْصَدَا[1]

ولكِنَّنا شَرْبٌ كِرَامٌ إذا انتشَوْا ... أهانوا الصَّرِيحَ[2] والسَّدِيفَ المُسَرْهَدَا

كأنَّهُمُ ماتُوا زمانَ[3] حَليمةٍ ... فإنْ تأْتِهمْ تَحْمَدْ نِدَامَتَهمْ[4] غَدَا

وإن جئتَهم ألْفَيْتَ حولَ بُيوتِهمْ ... من المِسْكِ والجَادِيِ[5] فَتِيتاً مُبَدَّدَا

تَرَى حولَ أثناءِ الزَّرَابِيِّ[6] ساقطاً ... نِعَالاً وقَسُّوباً[7] ورَيْطاً[8] مُنَضَّدَا

/ وذَا نُمْرُقٍ[9] يَسْعَى ومُلْصِقَ خَدِّهِ ... بديباجةٍ تكْفَافُها قد تَقَدَّدَا [١٧/٤]

---

(١) كذا في أكثر من خمس نسخ مختلفة من «ديوانه». والمفصد: آلة الفصد. يريد أنهم ملوك لا يفصدون التيس ويأكلون دمه. وفي الأصول: «ومقصداً» بالقاف وهو تصحيف. وفي أكثر نسخ «الديوان»: «للحانوت» بدل «للخمار».

(٢) رواية «الديوان»:

ملوك وأبناء الملوك إذا انتشوا ... أهانوا الصبوح والسديف المسرهدا

والصريح: اللبن ذهبت رغوته. والسديف: لحم السنام، وقيل شحمه. والمسرهد: السمين من الأسنمة.

(٣) في «ديوانه»:

* وتحسبهم ماتوا زمين حليمة *

يقول: تراهم من سكرهم كأنهم موتى. وزمان حليمة، يشير به إلى أحد أيام العرب المعروفة، وهو يوم التقى المنذر الأكبر والحارث الأكبر الغساني. والعرب تضرب به المثل في كل أمر متعالم مشهور، وللشريف النابه الذكر، فتقول: «ما يوم حليمة بسر». وحليمة هذه هي بنت الحارث بن أبي شمر. وسبب إضافة اليوم إليها أنها أخرجت طيباً في مِرْكَن فطيبت به جيش أبيها الذي وجّه به إلى المنذر. قال النابغة يصف سيوفاً:

تورثن من أزمان يوم حليمة ... إلى اليوم قد جُرِّبن كل التجارب

(انظر: «لسان العرب» مادة حلم و «نهاية الأرب» ج ٣ ص ٥١ طبع دار الكتب المصرية).

(٤) ندامتهم: منادمتهم ومجالستهم.

(٥) الجاديّ: الزعفران.

(٦) الزرابي: الطنافس. وفي «الصحاح»: النمارق، الواحد من كل ذلك زربية (بفتح الزاي وسكون الراء). وقد ورد هذا البيت وفي «اللسان» مادّة قسب وبعض نسخ «الديوان» هكذا:

ترى فوق أذناب الروابي سواقطا ... نعالاً وقسوباً وريطاً معضدا

(٧) كذا في «ديوانه» و «لسان العرب». والقسوب: خفاف لا واحد له. وفي الأصول: «قسياً».

(٨) الريط: جمع ريطة، وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لِفْقين، أو هي كل ثوب لين رقيق.

(٩) النمرق والنمرقة: وسادة صغيرة يتكأ عليها، وما يفترشه الراكب فوق الرحل، وهو المراد هنا. وفي بعض نسخ «الديوان»:

* وذو نَطَف يسعى ملصق خده *

والنطف: القرط. والتكفاف، لعله يريد به الخياطة الثانية بعد الأولى التي هي الشل. وتقدد: تقطع وبلي.

/ **تعييره الحارث بن هشام بفراره عن أخيه وردّ الحارث عليه:** [١٦٩/٤]

وهذه القصيدة يقولها حَسّان بن ثابت في وَقْعَة بَدْرٍ يفخَر بها ويُعَيِّر الحارث بن هشام بِفِرَارِه عن أخيه أبي جهل بن هشام. وفيها يقول:

صـوت

إنْ كُنْتِ كـاذِبـةَ الـذي حَـدَّثْتِنـي ... فنَجَـوْتِ مَنْجَـى الحـارثِ بـن هشـامِ

تَـرَكَ الأحِبَّـةَ أنْ يُقَـاتِـلَ دونَهـم ... ونجـا بـرأس طِمِـرَّةٍ[١] ولجَـامِ

ـ غنّاه يحيى المكيّ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى. ولعَزَّة المَيْلاءِ فيه خفيفُ رمل بالبِنْصَر. وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالبِنْصَر لموسى بن خارجةَ الكوفيّ ـ فأجاب الحارث بن هشام، وهو مشرك يومئذٍ، فقال:

صـوت

اللهُ[٢] يعلَم ما تركتُ قِتالَهم ... حتّى رَمَوْا فَرَسِي بأشْقَرَ[٣] مُزْبِدِ

وعلمـتُ أنّـي إنْ أقـاتِـلْ واحـداً ... أُقْتَـلْ ولا يَضْـرُرْ عَـدُوِّيَ مَشْهَـدي

ففَـرَرْتُ منهـمْ والأحِبَّـةُ فِيهـمُ ... طَمَعـاً لهـم بعِقَـاب يـوم مُـرْصَـدِ

غنّى فيه إبراهيم المَوْصِليّ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبِنْصَر، وقيل: بل هو لفُلَيْح.

تمثل رتبيل بشعر حسان فأنشده الأشعث ردّ الحارث فأعجب به:

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وَكِيعٌ قال حدّثني سليمان بن أيّوب قال حدّثنا محمد بن سلّام عن يونس قال:

/ لمّا صار ابنُ الأشعث إلى رُتْبِيل[٤]، تمثّل رُتْبِيل بقول حَسّان بن ثابت في الحارث بن هشام: [١٧٠/٤]

تَـرَكَ الأحِبَّـةَ أنْ يُقَـاتِـلَ دونَهُـمْ ... ونجـا بـرأس طِمِـرَّةٍ ولجـامِ

فقال له ابن الأشعث: أوَ ما سمعتَ ما ردّ عليه الحارثُ بن هشام؟ قال: وما هو؟ فقال قال:

اللّـهُ يعلَـم مـا تـركـتُ قتـالَهـم ... حتـى رَمَـوْا فـرسـي بـأَشْقَـرَ مُـزْبِـدِ

وعلمـتُ أنّـي إنْ أُقـاتِـلْ واحـداً ... أُقْتَـلْ ولا يَضْـرُرْ عَـدُوِّيَ مَشْهَـدي

فصـددتُ عنهـمْ والأحِبَّـةُ فيهـمُ ... طمعـاً لهـم بعقـاب يـوم مُـرْصَـدِ

فقال رُتْبِيل: يا معشرَ العرب، حَسَّنتم كلَّ شيء حتى حسَّنتم الفِرَارَ.

---

(١) الطمرة: الأنثى من الجياد. وهي المستفزة للوثب والعدو، وقيل: الطويلة القوائم الخفيفة.

(٢) انظر هذه الأبيات في أشعار «الحماسة» و «سيرة ابن هشام» (ص ٢٥٣ طبع أوروبا).

(٣) الأشقر من الدم: الذي صار علقاً ولم يعله غبار. وزبده: البياض الذي يعلوه.

(٤) رتبيل (ويقال فيه زنبيل كما في «الطبري» و «ابن الأثير»): صاحب الترك، كان بنواحي سجستان، وقد غزاه في سنة ٧٩ هـ عُبيد الله بن أبي بكرة، وكان والياً بسجستان، وتوغل في بلاده وأصاب منه غنائم وأموالاً وهدم قلاعاً وحصوناً. وغزاه في سنة ٨٠ هجرية عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من قبل الحجاج، فدخل بلاده وأخذ منها الغنائم واستولى على الحصون. وكتب إلى الحجاج بذلك ويشير عليه ألا يتوغل في البلاد؛ فأبى الحجاج ذلك وكتب له ثلاثة كتب يأمره فيها بمحاربته والتوغل في بلاده؛ وكان من جراء ذلك أن خرج عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج وبايعه الناس، وكان من أمرهما ما كان مما تراه مفصلاً في «كتب التاريخ».

ذكر الخبر عن غزاة بدر

أخبار غزاة بدر:

حدّثني بخبرها محمد بن جرير الطبري في «المَغَازي» قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمةُ قال حدّثني محمد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن مُسْلِم الزُّهْرِيّ وعاصم بن عُمَر بن قَتادةَ وعبدُالله بن أبي بكر ويزيد بن رُومانَ عن غَزْوةِ بدْرٍ وغيرُهم من علمائنا عن عبدالله بن عبّاس، كلٌّ قد حدّثني بعضَ هذا الحديث، فاجتمع حديثُهم فيما سمعتُ من حديث بدر، قالوا:

[١٧١/٤] / **ندب النبي المسلمين للعير واستنفار أبي سفيان لقريش:**

لمّا سمع رسولُ الله ﷺ بأبي سُفْيان مُقْبِلاً من الشام ندَب المسلمين إليهم، وقال: «هذه عِيرُ قريش فيها أموالُهم فاخرُجوا إليها؛ فلعلّ الله أن يُنَفِّلَكُموها»[١]. فانتدب الناسُ، فخفّ بعضُهم وثَقُل بعضهم؛ وذلك أنّهم لم يظنُّوا أنّ رسول الله ﷺ يَلْقَى حرباً. وكان أبو سفيان استقدم حين دنا من الحجاز وجعل يتجسّسُ[٢] الأخبارَ، ويسأل مَنْ لَقِي من / الرُّكبان، تَخَوُّفاً على أموال الناس، حتى أصاب خبراً من بعض الرُّكبان أنّ محمداً استنفر أصحابَه لك ولعيرك، فحَذِرَ[٣] عند ذلك فاستأجر ضَمْضَمَ بن عَمْرو الغِفَارِيّ فبعثه إلى مكة وأمَرَه أن يأتي قريشاً يَسْتَنْفِرهم إلى أموالهم ويُخبِرُهم أنّ محمداً قد عرَض لها في أصحابه؛ فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة. [١٨/٤]

رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب:

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَنْ لا أتّهِمُ عن عِكْرِمة مولى ابن عبّاس ويزيد بن رُومان عن عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْر قال[٤]: وقد رأتْ عاتكة بنت عبد المُطّلِب قبل قدوم ضَمْضَم [مكةَ][٥] بثلاثِ [ليالٍ][٥] رُؤْيَا أفزعتْها، فبعثت إلى أخيها العبّاس بن عبد المطلب، فقالت: يا أخي، واللّهِ لقد رأيتُ الليلةَ رؤيَا أفظعتني وتخوّفتُ أن يدخلَ على قومك [منها][٥] شَرٌّ أو مُصِيبة، فاكْتُمْ عني[٦] ما أحدِّثك. قال لها: وما رأيتِ؟ قالت: رأيتُ راكباً أقبل على بعيرٍ له حتى

---

(١) نفَلَه النفل ونفلّه (بالتضعيف) وأنفله: أعطاه الغنيمة أو الهبة.

(٢) في حـ «والسيرة»: «يتحسس» (بالحاء المهملة). والتجسس والتحسس كلاهما بمعنى واحد وهو تطلُّب الأخبار والبحث عنها.

(٣) في «السيرة» (ص ٤٢٨ طبع أوروبا): «فحذِر».

(٤) الذي في «السيرة»: «عن عكرمة عن ابن عباس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قالا». وعكرمة هذا هو عكرمة أبو عبدالله البربري مولى ابن عباس ويروى عنه.

(٥) الزيادة عن «سيرة ابن هشام».

(٦) كذا في «السيرة». وفي الأصول: «عليّ».

وَقَف بالأبْطَح، ثم صرَخ بأعلى صوته: أنِ انْفِروا / يا آلَ غُدَرَ[1] لِمصارعكم في ثلاث؛ وأرى[2] الناسَ قدِ اجتمعوا [٤/١٧٢] إليه، ثم دخل المسجد والناسُ يتبعونه؛ فبينما هُم حولَه مَثُلَ به بعيرهُ على ظهر الكعبة، ثم صرخَ بأعلى صوته: انْفِرُوا يا آلَ غُدَرَ لمصارعكم في ثلاث، ثم مَثَل به بعيرُه على رأس أبي قُبَيْس فصرَخ بمثلها، ثم أخذ صخرةً فأرسلها فأقبلتْ تَهْوِي، حتّى إذا كانت بأسفلِ الجبل ٱرْفَضَّتْ[3]، فما بقِي بيتٌ من بيوت مكةَ ولا دارٌ من دُورها إلّا دخلتْها منها فِلْقة. قال العباس: إنّ هذه لرؤيا، وأنتِ فاكْتُمِيها ولا تذكريها لأحدٍ. ثم خرج العبّاس فلَقِي الوليدَ بن عُتْبة بن ربيعة، وكان له صديقاً، فذكَرها [له][4] واستكتمه إيَّاها؛ فذكرها الوليدُ لأبيه عُتْبة، ففشا الحديثُ [بمكة][4] حتى تحدثت به قريش. قال العبّاس: فغدوتُ أطوف بالبيت، وأبو جهلٍ بن هشام ورهطٌ من قريش قُعُودٌ يتحدّثون برؤيا عاتكة. فلمّا رآني أبو جهل قال: يا أبا الفَضْل، إذا فرغتَ من طَوَافك فأَقْبِلْ إلينا؛ فلمّا فرغتُ أقبلتُ إليه حتى جلست معهم. فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطّلب[5]، متى حَدَثَتْ فيكم هذه النَّبِيّة؟! قال: قلتُ: وما ذاك؟ قال: الرؤيا التي رأتْ عاتكة. قلت: وما رأتْ؟ قال: يا بني عبد المطّلب، أما رَضِيتم أن تتنبّأ رجالُكم حتى تتنبّأ نساؤكم! قد زعمتْ عاتكة في رؤياها أنّها[6] قالت: انْفِروا في ثلاثٍ؛ فسنتربّص بكم هذه الثلاثَ؛ فإن يكن ما قالتْ حقًّا فسيكون، وإن تَمْضِ الثلاثُ ولم يكن من ذلك شيء نَكْتُبْ كتاباً عليكم أنكم أكذَبُ أهلِ بيتٍ في العرب. قال العبّاس: / فواللّهِ ما كان إليه منّي كبيرٌ إلّا أن جحدتُ ذلك وأنكرتُ أن تكون رأت شيئاً. قال: ثم تفرّقنا. فلمّا [٤/١٧٣] أمسينا[7] لم تبقَ امرأةٌ من بني عبد المُطّلب إلّا أتتني فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيثِ أن يقَع في رجالكم، ويتناولَ النساءَ وأنت تسمَع، ولم يكن عندك غِيَرٌ[8] لشيءٍ مما سمعتَ؟! قلتُ: قد والله فعلتُ، ما كان منّي إليه من كبيرٍ، وايْمُ اللّهِ لأتَعَرَّضَنّ له؛ فإنْ عاد لأكْفِيَنَّكُنَّه[9]. قال: فغدوتُ في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حَدِيدٌ مُغْضَبٌ أرَى [أنّي][10] قد فاتني منه أمرٌ أحِبُّ أن أُدْرِكَه منه. قال: فدخلتُ المسجدَ فرأيتُه، فوالله إنّي لأمشي نحوَه العِرَضْنةَ[11] ليعود لبعضِ ما كان فأُوقِعَ به. وكان رجلاً خفيفاً حديدَ الوَجْهَ حديدَ اللِّسان حديدَ النَّظَر، إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ[12]. قال: قلت في نفسي: مالَه لَعَنه الله! أكُلُّ هذا فَرَقاً أنْ أشاتِمه! فإذا هو قد سمع ما لم أسمَعْ، صوتَ ضَمْضَم بن عمرو الغِفَارِيّ / وهو يصرُخ ببطن الوادي [واقفاً على بعيره قد جَدَّع بعيرَه وحوّل رَحْلَه وشَقّ ١٩/٤ قَميصَه وهو يقول][10]: يا معشرَ قريش اللَّطِيمةَ[13] [اللطيمةَ!][10] أموالُكم مع أبي سفيان بن حَرْبٍ قد عَرَض لها

---

(١) غدر: كصرد، وأكثر ما يستعمل في النداء في الشتم؛ فيقال للمفرد يا غدر، وللجمع يا آل غدر. وقال ابن الأثير: غدر معدول عن غادر للمبالغة. ويقال للذكر: غدر، والأنثى غدارِ (كقطام)، وهمامختصان بالنداء في الغالب.

(٢) في «السيرة»: «فأرى».

(٣) أرفضت: تفرّقت.

(٤) الزيادة عن «سيرة ابن هشام».

(٥) كذا في «السيرة». وفي الأصول: «يا بني عبد مناف» ولا يخفى أن عبد مناف جد عبد المطلب.

(٦) في «سيرة ابن هشام»: «أنه قال انفروا إلخ» ويكون المراد بضمير المذكر الهاتف الذي رآته.

(٧) في «السيرة»: «أمسيت».

(٨) مصدر قولك: غار الرجل على امرأته غيرة وغَيْراً.

(٩) كذا في «السيرة». وفي الأصول: «لأكفينكموه» وهو تحريف إذ الخطاب لجماعة الإناث.

(١٠) زيادة عن «السيرة».

(١١) يقال: فلان يمشي العرضنة والعِرِضْنَى أي في مشيته بغى من نشاطه. وفي «السيرة لابن هشام»: «إني لأمشي نحوه أتعرّضه».

(١٢) يشتدّ: يعدو.

(١٣) اللطيمة: العير يحمل الطيب وبز التجار.

محمد في أصحابه، لا أرى أنْ تُدْرِكوها! الغَوْثَ الغوثَ! قال: فشَغَلني عنه وشَغَله عنّي ما جاء من الأمر. قال: فتجهَّز الناس سِرَاعاً، وقالوا: لا يَظُنّ محمدٌ وأصحابُه أن تكون كعيرِ ابن الحَضْرَمِيّ[1]! كلاَّ والله لَيَعْلَمُنّ غيرَ ذلك! فكانوا بين رجلين: إمّا خارج وإمّا باعث مكانَه رجلاً. [١٧٤/٤]

خروج قريش وإرسال أبي لهب العاصي بن هشام مكانه:

وأوعبت قريش فلم يتخلَّف من / أشرافها أحدٌ إلا أبو لَهَبٍ بن عبد المُطلب تخلَّف فبعث مكانَه العاصيَ بن هشام بن المُغِيرة، وكان لَطَّ[2] له بأربعة آلاف درهم كانتْ له عليه، فأفلس[3] بها، فاستأجره بها على أن يُجْزِيء عنه بَعْثَه، فخرج عنه وتخلَّف أبو لهب. هكذا في الحديث. فذكر أبو عُبَيدة وابنُ الكلبيّ: أنّ أبا لهبٍ قامَر العاصيَ بن هشام في مائةٍ من الإبل، فقَمَره[4] أبو لهب، ثم عاد فقَمَره أيضاً، ثم عاد فقَمَره أيضاً الثالثةَ، فذهب بكلِّ ما كان يَمْلكه. فقال له العاصي: أرى القِداحَ قد حالفتك يابْنَ عبد المطّلب، هَلُمَّ نجعَلْها على أيِّنا يكون عبداً لصاحبه؛ قال: ذلك لك؛ فدَحَاها[5] فقَمَره أبو لهب، فأَسْلَمه قيناً، وكان يأخذ منه ضريبةً. فلما كان يومُ بَدْرٍ وأخذتْ قريش كلَّ مَنْ لم يخرُج بإخراج رجلٍ مكانَه أخرجه أبو لهب عنه وشَرَط له العِتْقَ؛ فخرج فقتَله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

رجع الحديث إلى وقعة بدر.

وبخ ابن أبي معيط أمية بن خلف لإجماعه القعود فخرج:

قال محمد بن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي نَجيح:

أنّ أُمَيّةَ بن خَلَفٍ كان قد أجمع القعودَ، وكان شيخاً [جليلاً جسيماً][6] ثقيلاً، فجاءه عُقْبةُ بن أبي مُعَيْط وهو جالسٌ في المسجد بين ظَهْرَانَيْ قومه بمِجْمَرةٍ يحملها، فيها نارٌ ومِجْمَرٌ[7]، حتّى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا عليّ، اسْتَجْمِرْ فإنّما أنت / من النساء! قال: قَبّحك الله وقبّح ما جئتَ به! ثم تجهّز وخرج مع الناس. فلمّا فرغوا من جَهازهم وأجمعوا السيرَ، ذكروا ما [كان][8] بينهم وبين بني بكر بن عبد مَنَاةَ بن كِنانةَ من الحرب[9]، فقالوا: إنّا نخشَى أن يأتُوا من خَلْفِنا. [١٧٥/٤]

تخوّف قريش من كنانة وتأمين إبليس لهم:

قال محمد بن إسحاق: فحدّثني يزيد بن رُومان عن عُرْوةَ بن الزُّبير قال: لمّا أجمعتْ قريش المسيرَ ذكرتِ

---

(١) هو عمرو بن الحضرمي. وقد أورد ابن هشام في «السيرة» خبر هذه العير.

(٢) كذا في هامش «تاريخ الطبري» (ص ١٢٩٥ من القسم الأوّل). ولط الغريم بالحق: ماطل فيه ومنعه، ولط حقه: جحده. وفي حديث طهفة: «لا تلطط في الزكاة» أي لا تمنعها. وفي الأصول: «لاط» وهو تحريف.

(٣) في «السيرة»: «أفلس» بدون الفاء.

(٤) قمره: غلبه في المقامرة.

(٥) دحاها: رماها. والدحو: رمي اللاعب بالحجر أو الجوز وغيره. وذلك أنهم كانوا يحفرون حفرة بمقدار الحجر الذي يريدون رميه، ثم يتنحون عنها قليلاً ويرمون بالأحجار إليها؛ فإن وقعت الأحجار في الحفرة غلب صاحبها وإن لم تقع فيها غُلب. وتسمى تلك الأحجار المداحي، واحدها: مدحاة.

(٦) الزيادة عن «السيرة».

(٧) المجمر: العود يتبخر به.

(٨) الزيادة عن «السيرة».

(٩) كذا في «السيرة». وفي الأصول: «كنانة بن الحارث» وهو تحريف.

الذي بينها وبين بني[1] بكر بن عبد مَنَاةَ، فكاد ذلك أن يُثَبِّطَهم، فتبدّى لهم إبليسُ في صورة سُرَاقةَ بن جُعْشُم المُدْلِجيّ، وكان من أشراف بني كِنانةَ، فقال: إنّي جارٌ لكم مِنْ أن تأتيكم كِنانةُ [من خَلْفِكم][2] بشيءٍ تكرَهونه، فخرجوا سِرَاعاً.

خروج النبيّ وعدد جيشه والطريق التي سلكها:

وخرج رسولُ الله ﷺ ـ فيما بَلَغني عن غير ابن إسحاق ـ لثلاثِ ليالٍ خَلَوْن من شهر رمضان المعظَّم في ثلاثمائةٍ وبِضْعةَ عَشَرَ رجلاً من أصحابه. فاختُلِفَ في مبلغ الزيادة على العشرة؛ فقال بعضُهم: كانوا ثلاثمائة وثلاثةَ عَشَرَ رجلاً. وكان المهجرون يومَ بَدْرٍ سبعةً وسبعين رجلاً، وكان الأنصار مائتين وستةً وثلاثين رجلاً، وكان صاحبُ راية رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان صاحبُ راية الأنصار سَعْدَ بن عُبَادةَ.

/ حدّثنا محمد قال حدّثنا هارون بن إسحاق قال حدّثنا مُصْعَب بن المِقْدَام، قال أبو جعفر وحدّثني محمد بن إسحاق الأهْوازيّ قال حدّثنا أبو أحمد الزُّبَيريّ قال حدّثنا إسرائيل قال حدّثنا أبو إسحاق عن البراء قال[3]: [١٧٦/٤]

كنّا نتحدّث أنّ عِدّة أصحابِ بَدْرٍ على عِدّة أصحابِ طالوتَ الذين / جازوا معه النهر ـ ولم يَجُزْ معه إلاّ مؤمن ـ ثلاثمائةٍ وبِضْعةَ عَشَر. [٢٠/٤]

استشارة النبيّ لأصحابه وتأييد الأنصار له:

قال ابن إسحاق في حديثه عمّن روى عنه: وخرج رسولُ الله ﷺ في أصحابه، وجعل على الساقة[4] قَيْسَ بن أبي صَعْصَعةَ أخا بني مَازِن بن النجّار، في ليالٍ مضت من رمضان؛ فسار حتّى إذا كان قريباً من الصَّفْراء بعَث بَسْبَسَ بن عمرو الجُهَنيّ حليفَ بني ساعِدةَ وعَدِي بن أبي الزَّغْباء حليفَ بني النجّار إلى بدر يتجسّسان[5] له الخبرَ عن أبي سُفيان بن حَرْبٍ وغيرِه، ثم ارتحلَ رسول الله ﷺ وقدّمهما. فلمّا استقبل الصَّفْراءَ، وهي قريةٌ بين جبلين، سأل عن جَبَلَيْها ما أسماهما؟ فقيل: يقال لأحدهما هذا مُسْلِح، وللآخر هذا مُخْرِئ؛ وسأل عن أهلها فقالوا: بنو النّار، وبنو حُرَاق (بطنان من غِفَار)؛ فكَرِهَهما رسولُ الله ﷺ والمرورَ بينهما، وتفاءلَ[6] باسميهما وأسماءِ أهاليهما، فتَرَكهما والصَّفراءَ يساراً، وسلَكَ ذاتَ اليمين على وادٍ يقال له ذَفِرَان فخرج منه، حتّى إذا كان ببعضه نَزَل، وأتاه

---

(١) كانت الحرب التي بين قريش وبين بني بكر في ابن الحفص بن الأخيف أحد بني معيص بن عامر بن لؤي، قتله بنو بكر بضَجْنان، وكان خرج يبتغي بها ضالة له، بإيعاز من سيدهم عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح، فثأر للغلام أخوه مكرز من عامر بن يزيد بأن قتله وخاض بطنه بسيفه، ثم أتى به الكعبة ليلاً فعلقه بأستارها. فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد معلقاً بأستار الكعبة فعرفوه، فقالوا: إن هذا لسيف عامر بن يزيد عدا عليه مكرز بن حفص فقتله. (انظر «السيرة» لابن هشام ج ١ ص ٤٣١ طبع أوروبا).

(٢) الزيادة عن «السيرة».

(٣) كذا في الأصول. ولعله: «قالا».

(٤) ساقة الجيش: مؤخرته.

(٥) في حـ: «يتحسان». (انظر الحاشية رقم ٢ ص ١٧١ من هذا الجزء).

(٦) تفاءل هنا بمعنى تطير. والفأل يكون فيما يحسن ويسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء. وفي الحديث عن أنس عن النبيّ ﷺ قال: «لا عدوى ولا طِيَرَةَ ويعجبني الفأل الصالح». والفأل الصالح: الكلمة الحسنة. وهذا يدل على أن من الفأل ما يكون صالحاً ومنه ما يكون غير صالح.

[١٧٧/٤] الخبرُ عن قريش بمسيرهم ليمنَعوا عِيرَهم؛ فاستشار النبيّ ﷺ الناسَ وأخبرهم / عن قريش، فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قام المِقْدادُ بن عمرو فقال: يا رسولَ الله، امضِ لِمَا أمرك الله فنحن معك. والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذْهَبْ أنت وربُّك فقاتِلاَ إنّا هاهُنا قاعدون، ولكن اذهَبْ أنت وربُّك فقاتِلاَ إنّا معكما مُقاتلون مُعْلَمُون[١]. فوالّذي بعَثَك بالحقّ لو سرتَ بنا إلى بَرْكِ[٢] الغِمَاد ـ يعني مدينةَ الحبشة ـ لجالدنا معك حتّى تَبْلُغَه. فقال رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير.

حدّثنا محمد قال حدّثنا محمد بن عُبَيد المُحَارِبيّ قال حدّثني إسماعيلُ بن إبراهيم أبو يحيى قال حدّثنا المُخَارِق عن طارق عن عبدالله بن مسعود قال:

شَهِدْتُ من المِقْداد مَشْهَداً لأَنْ أكونَ صاحبَه أحَبُّ إليّ مما في الأرض من كلّ شيء، كان رجلاً فارساً، وكان رسولُ الله ﷺ إذا غَضِب احمارّتْ وَجْنتاه، فأتاه المِقْدادُ على تلك الحال، فقال: أَبْشِرْ يا رسول الله، فوالله لا نقولُ لك كما قالتْ بنو إسرائيل لموسى: اذْهَبْ أنت وربُّك فقاتِلاَ إنّا هاهنا قاعِدون، ولكن والذي بَعَثك بالحقّ لنكونن بين يديك ومِنْ خَلْفك وعن يمينك وشِمالك أو يَفْتَحَ اللّهُ تبارك وتعالى.

[١٧٨/٤] / رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق:

ثم قال رسول الله ﷺ: «أَشِيروا عليّ أيُّها الناس». وإنما يريد الأنصار؛ وذلك أنّهم كانوا عَدَدَ الناس، وأنّهم حين بايعوا بالعَقَبة قالوا: يا رسول الله إنا بُرَآء من ذِمامك حتّى نصير إلى دارنا، فإذا وصلتَ فأنت في ذِمامنا، نَمْنَعُك مما نمنَع منه أنفسَنا وأبناءنا ونساءَنا. فكان رسولُ الله ﷺ يتخوّف ألاّ تكونَ الأنصارُ ترى عليها نُصرتَه إلاّ ممن دَهِمَه بالمدينة من عَدُوّه، وأنْ ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدوّ في غير بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سَعْدُ بن مُعَاذ: والله لكأنك تُريدنا يا رسولَ الله. قال: «أجل». قال: فقد آمنّا بك يا رسول الله وصدّقناك وشَهِدْنا أنّ ما جئتَ به هو الحقُّ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقَنا على السمع والطاعة، فامْضِ بنا يا رسولَ الله لِمَا أردت [فنحن معك][٣]. فوالذي / بعَثك بالحقّ لو استعرضتَ[٤] بنا هذا البحرَ وخُضْتَه لَخُضْناه معك ما يتخلّف منّا رجلٌ واحد، وما نكره أن تلْقَى بنا عدوًّا غداً. إنّا لَصُبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ[٥] عند اللِّقاء، لعل اللّهَ تعالى أن يُرِيَكَ [منّا][٣] ما تَقَرّ به عينُك؛ فسِرْ بنا على بركة الله. فسُرّ[٦] رسولُ الله ﷺ [بقول سعد][٣] ونَشَّطه ذلك؛ ثم قال:

(١) أعلم نفسه: وسمها بسيما الحرب كعلّمها.

(٢) برك الغماد (بفتح الباء وكسرها، وبكسر الغين وضمها وقيل مثلث الغين)، اختلف فيه فقيل: موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل: موضع في أقصى أرض هَجَر، وقيل: بلد باليمن، وقيل غير ذلك. وورد في «تاريخ الطبري» (ص ١٣٠٠ من القسم الأوّل طبع أوروبا) ما يؤيد التفسير الذي ذكره أبو الفرج. وورد أيضاً في «معجم ما استعجم» للبكريّ (ص ١٤٨) ما نصه: «... وفي حديث هجرة النبيّ ﷺ أنه لما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً إلى الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة... إلخ».

(٣) زيادة عن «السيرة».

(٤) استعرض البحر: أتاه من جانبه عرضاً.

(٥) يقال: رجل صَدْق اللقاء وقوم صُدْق (بالضم)، ومثاله فرس وَرْد وأفراس وُرْد. (انظر «اللسان» مادة صدق).

(٦) في الأصول: «فسار رسول الله ﷺ ونشطه ذلك». وما أثبتناه عن «السيرة والكشاف» للزمخشري في تفسير سورة الأنفال.

«سِيرُوا على بركة الله وأَبْشِروا؛ فإنّ الله قد وعَدَني إحدى الطائفتين[١]، واللَّهِ لكأنّي أنظر إلى مصارع القوم».

نزول النبيّ قريباً من بدر وسؤاله شيخاً عن قريش:

ثم ارتحل رسولُ الله ﷺ من ذَفِرَانَ[٢]، وسَلَك على ثَنَايا يُقال لها / الأَصَافِر[٣]، ثم انحطّ منها على بلدٍ يقال [٤/١٧٩] له الدَّبَّة[٤]، ثم ترك الحَنَّانَ[٥] بيمينٍ، وهو كثيبٌ عظيم كالجبل، ثم نزل قريباً من بَدْرٍ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه ـ قال الطبريّ[٦] قال محمد بن إسحاق: حدّثني محمد بن يحيى بن حَبَّانَ ـ حتّى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلَغه عنهم؛ فقال الشيخ: لا أُخبركما حتى تُخبراني ممن[٧] أنتما. فقال له رسولُ الله ﷺ: «إذا أخبرتَنا أخبرناك». فقال: أَوَ ذاك بذاك؟ فقال: «نعم». قال الشيخ: فإنّه بلغني أنّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا؛ فإنْ كان صَدَقني الذي أخبرني، فهم اليومَ بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به رسولُ الله ﷺ). وبلغني أنّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا؛ فإن كان الذي حدّثني صَدَقني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به قريش). فلمّا فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «نحن من ماء»، ثم انصرف الشيخ عنه. قال يقول الشيخ: ما من ماء؟ أمِنْ ماء العراق؟ ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه.

أرسل النبي نفراً من أصحابه إلى بدر يلتمسون له الخير:

فلما أمسى بعث عليَّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، والزبَيْر بن العوّام، وسَعْدَ بن أبي وَقَّاص في نَفَرٍ من أصحابه إلى بَدْرٍ يلتمسون له الخبر عليه ـ.

قبض هؤلاء النفر على غلامين لقريش ومعرفة أخبارهم منهما:

قال محمد بن إسحاق: حدّثني يزيد بن رُومانَ عن عُرْوةَ بن الزُّبير: ـ فأصابوا رَاوِيَةً[٨] لقريش فيها أَسْلَمُ غلامُ

---

(١) يشير إلى قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾. والطائفتان هما العير وهم ركب أبي سفيان، والنفير وهم أهل مكة الذين نفروا لمساعدته.

(٢) ذفران: واد قرب وادي الصفراء.

(٣) الأصافر: جبال قريبة من الجحفة عن يمين الطريق من المدينة إلى مكة؛ سميت بذلك لأنها هضبات صفر.

(٤) الدبة: موضع قرب بدر.

(٥) كذا في «السيرة ومعجم البلدان» لياقوت. وفي جميع الأصول: «ثم نزل الحيان» وهو تحريف.

(٦) كذا في الطبري و«السيرة». وفي جميع الأصول وردت هذه العبارة هكذا: «قال الطبري: قال محمد بن إسحاق حدّثني محمد بن إسحاق حدّثني محمد بن يحيى بن حبان. . . إلخ». ومحمد بن إسحاق المكرر هنا شخص واحد، وهو محمد بن إسحاق بن يسار صاحب «السيرة» الذي ينقل عنه الطبري والذي يروى عن محمد بن يحيى بن حبان. (راجع «تهذيب التهذيب» و«تراجم» من روى عنهم محمد بن إسحاق المطبوع بليدن).

(٧) كذا في «السيرة» والطبري. وفي الأصول: «من».

(٨) يراد بالراوية هنا القوم يستقون الماء على الدواب.

[٤/١٨٠] / بني الحَجَّاج، وعَرِيضٌ[١] أبو يَسَار غلامُ بني العاصي بن سعيد، فأتَوْا بهما رسولَ الله ﷺ وهو يصلّي. فسألوهما فقالا[٢]: نحن سُقَاةٌ لقريش بعثونا نَسْقِيهم من الماء. فكرِه القومُ خبرَهما ورجَوْا أن يكونا لأبي سُفْيان فضربوهما، فلمّا أذلقوهما[٣] قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما. وركَع رسولُ الله ﷺ وسجد سجدتين ثم سلَّم، ثم قال: «إذا صَدَقاكم ضربتموهما، فإذا كَذَباكم تركتموهما، صَدَقَا واللّهِ إنّهما لقريش. أخْبِراني أين قريش»؟ قالا: هم وراء [هذا الكثيب الذي ترى بالعُدْوة القُصْوَى[٤] ـ و] الكثيبُ: العَقَنْقَل ـ فقال لهما رسولُ الله ﷺ: «كَم القومُ»؟ قالا: لا ندري. قال: «كَمْ يَنْحَرون كلَّ يوم»؟ قالا: يوماً تِسْعاً ويوماً عَشْراً. فقال رسول الله ﷺ: «القوم ما بين التّسعمائة[٥] والألفِ». ثم قال لهما رسول الله ﷺ: «فمَنْ فيهم من أشراف قريش»؟ قالا: عُتْبةُ بن رَبِيعَة، وشَيْبَةُ بن ربيعة، وأبو البَخْتَرِيّ بن هشام، وحَكِيمُ بن حِزَام، ونَوْفَلُ بن خُوَيْلِد، والحارثُ بن عامر بن نَوْفَل، وطُعَيْمَةُ بن عَدِيّ، والنَّضْرُ بن الحارث، وزَمْعَةُ[٦] بن الأَسْوَد، وأبو جهل بن هشام، وأُمَيَّةُ بن / خَلَف، ونُبَيْهٌ ومُنَبِّه ابنا الحجّاج، وسُهَيْل بن [٤/١٨١] عمرو، وعمرو بن وُدّ. فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: «هذه مكة قد رمتْ إليكم أفلاذَ / كَبِدها». ٢٢/٤

قدم أبو سفيان إلى بدر متجسساً ثم اتجه بالعير نحو الساحل:

قال ابن إسحاق[٧]: وقد كان بَسْبَسُ بن عمرو وعَدِيّ بن أبي الزَّغْباء مَضَيا حتّى نزلا بدراً فأناخا إلى تَلٍّ قريبٍ من الماء، ثم أخذا شنّاً[٨] يستقيان فيه، ومَجْدِيُّ بن عمرو الجُهَنيّ على الماء، فسمع عَدِيٌّ وبَسْبَسٌ جاريتين من جواري الحاضر وهما تتلازمانِ[٩] على الماء، والملزومة تقول لصاحبتها: إنّما تأتي العِيرُ غداً أو بعد غدٍ فأعمَلُ لهم ثم أقْضِيكِ الذي لكِ. قال مَجْدِيٌّ: صَدَقْتِ، ثم خَلَّص بينهما. وسَمِع ذلك عديٌّ وبَسْبَس فجلسا على بَعِيرَيْهما ثم انطلقا حتى أتَيا رسولَ الله ﷺ فأخبراه بما سَمِعا. وأقبل أبو سُفيان قد[١٠] تقدّم العِيرَ حَذِراً حتى ورد الماءَ، فقال

---

(١) كذا في «السيرة لابن هشام» (ج ١ ص ٤٣٦) «والطبري» (ص ١٣٠٣ من القسم الأوّل. وفي الأصول: «غريض بن يسار» بالغين المعجمة.

(٢) كذا في الطبري و «السيرة». وفي الأصول: «فقالوا».

(٣) أذلقه: أضعفه وأقلقه. وفي حديث عائشة أنها كانت تصوم في السفر حتى أذلقها الصوم أي أجهدها وأذابها وأقلقها.

(٤) التكملة عن الطبري و «السيرة».

(٥) الفصيح في العدد المضاف أن يعرف المضاف إليه، وجوز بعضهم تعريف الطرفين. أما تعريف الأوّل دون الثاني فغير صواب. وعلى هذا يحمل ما ورد من الأحاديث من هذا النوع على أنه مروي بالمعنى. على أن بعضهم خرجه بتقدير مضاف نكرة، فيقول في مثل ما هنا: «بين التسع تسع مائة».

(٦) ضبطه صاحب «المغني» في «أسماء رجال الحديث» المطبوع بهامش «تقريب التهذيب» (ص ١٠١ طبع الهند) بالعبارة هكذا: «زمعة بزاي وميم مفتوحتين وعين مهملة وأكثر الفقهاء والمحدّثين يسكنون الميم، والدسودة... إلخ». وقال صاحب «القاموس»: وزمعة بالفتح ويحرّك». وضبطه الفيومي في «المصباح» بفتح الميم، ثم قال: «والمحدّثون يقولون: زمعة بالسكون، ولم أظفر به في «كتب اللغة». وفي «شرح المواهب اللدنية» (ج ٣ ص ٢٧١) قال: «زمعة بزاي فميم فعين مهملة مفتوحات». وقال ابن الأثير: «وأكثر ما سمعنا أهل الحديث والفقهاء يقولونه بسكون الميم. وقول «المصباح»: لم أظفر بالسكون في «كتب اللغة» قصور؛ فقد قدّمه «القاموس» ثم حكى الفتح؛ فظاهره أن السكون أكثر لغة».

(٧) في الأصول: «قالوا وقد كان بسبس إلخ»، والتصويب عن «السيرة».

(٨) الشنّ: القربة الخلق الصغيرة.

(٩) يقال: لزم فلان غريمه، إذا تعلق به.

(١٠) كذا في صلب الطبري (ص ١٣٠٥ قسم أوّل طبع أوروبا). وفي الأصول: «حين تقدم». وفي «سيرة ابن هشام»: «حتى تقدم» وكلتا الروايتين أشير إليها في هامش الطبري.

لمجديّ بن عمرو: هل أحسستَ أحداً؟ قال: ما رأيتُ أحداً أنكره، إلاّ أنّي رأيتُ راكبين أناخا إلى هذا التلّ ثم استقيا في شَنٍّ لهما ثم انطلقا. فأتى أبو سفيان مُنَاخَهما فأخذ من أبعار بعيرَيْهما ففتّه فإذا فيه النَّوَى، فقال: هذه والله علائفُ يَثْرِب! فرجع إلى أصحابه سريعاً فصرَف[1] وَجْهَ عِيرِه عن الطريق [فساحَلَ بها][2] وترك بدراً يَساراً، ثم انطلق حتّى أسرع.

رؤيا جهيم بن أبي الصلت:

وأقبلت قريش، فلمّا نزلوا الجُحْفَةَ[3] رأى جُهَيْمُ بن أبي الصَّلْت بن مَخْرَمَةَ بن عبد المُطَّلِب بن عبد مَنَافٍ رُؤْيَا، فقال: إنّي رأيت فيما يرى النائم، وإنّي / لَبَيْنَ النائم واليَقْظان إذْ نظرتُ إلى رجلٍ أقبلَ على فَرَسٍ ومعه بعيرٌ [١٨٢/٤] له ثم قال: قُتِل عُتْبَةُ بن ربيعة، وشَيْبَةُ بن ربيعة، وأبو الحكم بن هِشَام، وأُمَيَّةُ بن خَلَفٍ، وفلانٌ وفلان ـ فعدّد رجالاً ممن قُتِل يومئذٍ من أشراف قريش ـ ورأيتُه ضرَب في لَبَّة[4] بعيره ثم أرسله في العسكر، فما بَقِي خِباءٌ من أخبية العسكر إلاّ أصابه نَضْحٌ من دمه. قال: فبلغتْ أبا جهل فقال: وهذا أيضاً نبيٌّ آخَرُ من بني عبد المطّلب! سيعلم غداً مَنِ المقتول إنْ نحن التقينا.

نصح أبو سفيان إلى قريش أن يرجعوا فأبى أبو جهل:

ولمّا رأى أبو سفيان أنّه قد أحرز عِيرَه، أرسل إلى قريش: إنكم إنّما خرجتم لتمنعوا عِيرَكم ورِحَالَكم[5] وأموالَكم فقد نَجّاها الله فارجعوا. فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتّى نَرِدَ بدراً ـ وكان بدرٌ مَوْسِماً من مواسم العرب تجتمع به، لهم بها سُوقٌ كلَّ عام ـ فنُقيم عليه ثلاثاً، ونَنْحَرُ الجُزُرَ ونُطْعِم الطعامَ ونسقي الخمور، وتَعْزِف علينا القِيَان، وتسمَع بنا العربُ [بمسيرنا وجَمْعِنا][6]، فلا يزالون يَهابُوننا أبداً، فَامْضُوا.

رجوع بني زهرة:

فقال الأَخْنَس بن شَرِيق بن عَمرو بن وَهْبٍ الثَّقَفِيّ، وكان حليفاً لبني زُهْرَةَ، وهم بالجُحْفة: يا بني زُهرة قد نَجّى اللَّهُ لكم عِيرَكم وخلَّص لكم صاحبَكم مَخْرَمَةَ بن نَوْفَل، وإنّما نَفَرتم لتمنعوه ومالَه، فاجعلوا بي جُبْنَها[7] وارجعوا؛ فإنّه لا حاجةَ بكم في أن تخرُجوا في غير ضَيْعةٍ لما يقول هذا (يعني أبا جهل)؛ فلم يَشْهَدْها زُهْرِيّ، وكان فيهم مُطاعاً. ولم يكن بَقِي من قريش بطنٌ إلاّ نَفَر منهم ناسٌ، إلاّ بني عَدِيّ بن كَعب لم يخرج منهم رجلٌ واحد. فرجعتْ بنو زُهْرةَ مع الأَخْنَس بن شَرِيق، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد.

---

(١) في الطبري و «السيرة»: «فضرب».

(٢) زيادة عن «السيرة». وساحل بها: اتجه بها نحو الساحل.

(٣) الجحفة (بالضم): ميقات أهل الشام، وكانت قرية جامعة، على اثنين وثمانين ميلاً من مكة، وكانت تسمى مَهْيعة فنزل بها بنو عبيل وهم إخوة عاد، وكان أخرجهم العماليق من يثرب، فجاءهم سيل الجُحاف فأجحفهم؛ فسميت الجحفة.

(٤) اللبة: المنحر وموضع القلادة من الصدر كاللبب.

(٥) في «السيرة لابن هشام»: رجالكم» بالجيم المعجمة.

(٦) زيادة عن «السيرة».

(٧) كذا في «السيرة لابن هشام» (ج ١ ص ٤٣٨) و «تاريخ الطبري» (ص ١٣٠٧ من القسم الأوّل). وفي الأصول: «فاجعلوني جنبها» وهو تحريف.

اتهام قريش لبني هاشم:

ومضى القوم، وقد كان بين طالب بن أبي طالب ـ وكان في القوم ـ وبين بعض قريش محاورةٌ؛ فقالوا: والله [١٨٣/٤] لقد عرفنا يا بني هاشم ـ وإنْ خرجتم معنا ـ أنّ هواكم / [لمع][١] محمد؛ فرجع طالبٌ إلى مكة فيمن رجع. وأمّا ابنُ الكلبيّ فإنه قال فيما حُدِّثتُ عنه: شَخَص طالبُ بن أبي طالب إلى بَدْرٍ مع المشركين، أُخرِجَ كَرْهاً، فلم يُوجَد في الأَسْرَى ولا في القَتْلَى ولم يرجِع إلى أهله، وكان شاعراً، وهو الذي يقول:

٢٣/٤ / يا رَبِّ إمّا يَغْـزُوَنّ طـالـبْ ... في مِقْنَبٍ[٢] من هذه المَقَانِبْ

فَلْيَكُنِ المسلوبَ غيرَ السالبْ ... وليكنِ المغلوبَ غيرَ الغالبْ

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

نزول قريش بالعدوة القصوى من الوادي:

قال: ومضت قريشٌ حتّى نزلوا بالعُدْوَةِ القُصْوَى من الوادي خَلْفَ العَقَنْقَل. وبطنُ الوادي، وهو يَلْيَل[٣]، بين بَدْرٍ وبين العقنقل: الكثيب الذي خَلْفَه قريشٌ. والقَلِيب ببدر من العُدْوة الدُّنْيا من بطن يَلْيَل إلى المدينة. وبَعث اللّهُ عزّ وجلّ السماءَ، وكان الوادي دَهْساً[٤]، فأصاب رسولَ الله ﷺ [وأصحابَه منها][١] ما لَبّدَ لهم الأرضَ ولم يمنعهم المسيرَ، وأصاب قريشاً منها ما لم يَقْدِروا على أن يرتحِلوا معه. فخرج رسولُ الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتّى حاذى ماءً من مياه بَدْرٍ فنزل به.

أشار الحباب بن المنذر على النبيّ برأي فاتبعه:

قال ابن إسحاق: فحدّثني عشرة[٥] رجالٍ من بني سَلِمَةَ ذكروا أنّ الحُبابَ بن المُنْذِر بن الجَمُوح قال: [١٨٤/٤] يا رسولَ الله، أرأيتَ هذا المنزلَ، أمنزلٌ أنْزَلَكَهُ اللّهُ ليس لنا / أن نَتقدّمَه ولا نتأخَّرَ عنه، أم هو الرأي والحربُ والمَكِيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة». فقال: يا رسولَ الله، إنّ هذا ليس لك بمنزِل، فانْهَضْ بالناس حتّى تأتِيَ أدنى ماءٍ من مياه القوم فتنزلَهُ، ثم تُعَوِّرَ[٦] ما سواه من القُلُب ثم تبنيَ عليه حوضاً فتملأه ماءً، ثم نُقاتِلَ القومَ فنشرب ولا يشربوا. فقال رسولُ الله ﷺ: «لقد أشرتَ بالرأي». فنهض رسولُ الله ﷺ ومَنْ معه من الناس حتّى أتى أدنى ماءٍ من القوم فنزل عليه، ثم أَمَر بالقُلُب فعُوِّرَتْ[٧] وبَنَوْا حوضاً على القَليب الذي نزل عليه فمُلِىء ماءً ثم قذفوا فيه الآنية.

---

(١) الزيادة عن «السيرة لابن هشام» (ج ١ ص ٤٣٨ طبع أوروبا).

(٢) المقنب: جماعة الخيل والفرسان، وقيل: هي دون المائة.

(٣) يليل (بتكرير الياء المفتوحة): اسم واد يدفع في بدر. وفي «معجم ما استعجم» (في الكلام على رضوى): «ووادي يَنْبُع يليل يصب في غَيْقَة». وفي الأصول: «تليل» بالتاء المثناة من فوق في أوّله، وهو تصحيف.

(٤) الدهس: هو كل لين سهل لا يبلغ أن يكون رملاً وليس بتراب ولا طين كالدَّهاس، وقيل أيضاً: الأرض السهلة يثقل فيها المشي.

(٥) في «السيرة»: «قال ابن إسحاق: فحدّثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا إلخ».

(٦) كذا في الطبري و «السيرة». وعوّر العين أو القليب: طمّه وردمه. وفي الأصول: «تغوّر» بالغين المعجمة، وهو تصحيف.

(٧) كذا في «السيرة» والطبري. وفي الأصول: «فغوّرت» بالغين المعجمة.

بناء عريش من جريد للنبيّ:

قال محمد بن إسحاق: فحدّثني محمد بن أبي بكر أنّ سعدَ بن مُعَاذ قال: يا رسول الله، نَبْنِي لك عَرِيشاً من جريدٍ فتكون فيه ونُعِدّ عندك ركائبَك، ثم نَلْقَى عدوّنا؛ فإن نحن أعزّنا الله وأظهَرَنا على عدوّنا كان ذلك[1] ما أحببنا، وإن كانت الأُخرى جلستَ على ركائبك فلَحِقتَ بمن وراءنا من قومنا؛ فقد تخلّف عنك أقوامٌ يا نبيّ الله ما نحن بأشدَّ حُبًّا لك منهم، [ولو ظنّوا[2] أنّك تلقَى حرباً ما تخلّفوا عنك، يمنعك الله بهم، يُناصحونك ويُجاهدون معك]. فأثنى [عليه][3] رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير. ثم بُنِي لرسول الله ﷺ عَرِيشٌ فكان فيه.

إقبال قريش دعاء النبيّ عليها:

وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحتْ وأقبلتْ. فلمّا رآها رسول الله ﷺ تَصَوَّبُ[4] من العقنقل ـ وهو الكثيب الذي منه جاؤوا ـ إلى الوادي قال: «اللَّهُمّ هٰذِى قريشٌ قد أقبلتْ بُخَيلائها وفَخْرِها تُحَادُّك وتكذِّب رسولَك. اللَّهمّ فنَصْرَكَ الذي وعدتَني. اللَّهمّ فأَحِنْهُمُ[5] / الغداة». وقد قال رسولُ الله ﷺ ورأى عُتْبَةَ بن ربيعةَ في القوم على جمل [١٨٥/٤] له أحمرَ: «إنْ يَكُنْ عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر إنْ يُطيعوه يَرْشُدوا».

عرض خفاف بن إيماء معونته على قريش:

وقد كان خُفَاف [بن إيماء][6] بن رَحَضة الغِفَاريّ، أو أبوه[7] أيْما بن رَحَضةَ، بعث إلى قريش حين مَرُّوا به ابناً له بجزائر أهداها لهم وقال لهم: إنْ أحببتم أن نُمِدّكم[8] بسلاحٍ ورجالٍ فعلنا. فأرسلوا [إليه][6] مع ابنه: أنْ وَصَلَتْك رَحِمٌ! فقد قضيتَ الذي عليك. فلَعَمْرِي لئن كنّا إنّما نُقاتلُ الناسَ فما بنا ضعفٌ [عنهم][6]، ولئن كنّا نُقاتلُ اللّهَ كما يزعُم محمد فما لأحدٍ بالله من طاقةٍ. فلمّا نزل الناسُ أقبل نفرٌ من قريش حتّى وردوا الحوضَ حَوْضَ رسولِ الله ﷺ. / فقال رسولُ الله ﷺ: «دَعُوهم». فما شَرِب منهم رجلٌ إلاّ قُتِل يومئذ، إلاّ ما كان من حَكِيم بن حِزَامٍ فإنّه لم يُقْتَلْ، نجا على فرس له يقال له الوَجِيه، وأسلمَ بعد ذلك فَحَسُنَ إسلامُه؛ فكان إذا اجتهد [في][6] يمينه قال: والذي نجّاني من يوم بَدْرٍ. [٢٤/٤]

بعث قريش عمير بن وهب متجسساً فأخبرهم بما روّعهم:

قال محمد بن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاقُ بن يَسَارٍ وغيرُه من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار قالوا:

لمّا اطمأنّ القوم بعثوا عُمَيْر بن وَهْبٍ الجُمَحِيّ فقالوا: احْزُرْ[9] لنا أصحابَ محمد؛ فاستجال بفرسه حولَ

(١) كذا في «السيرة». وفي الأصول: «ذلك مما».

(٢) زيادة عن «السيرة» و «تاريخ الطبري».

(٣) الزيادة عن «السيرة» (ج ١ ص ٤٤٠ طبع أوروبا).

(٤) التصوّب: الانحدار من علو.

(٥) الحين (بالفتح): الهلاك. وحان الرجل: هلك. وأحانه الله: أهلكه.

(٦) الزيادة عن «السيرة» و «تاريخ الطبري».

(٧) في الأصول: «أخوه»، والتصويب عن «السيرة» و«تاريخ الطبري». وإيماء بكسر الهمزة مع المدّ أو بفتحها مع القصر. ورحضة بالتحريك أو بالفتح، أو بالضم، أقوال فيه. (انظر «شرح القاموس» مادة رحض).

(٨) كذا في «السيرة». وفي الأصول والطبري: «أمدّكم».

(٩) الحزر: التخمين والتقدير.

العسكر ثم رجَع إليهم، فقال: ثلاثُمائة رجل يَزِيدون قليلاً أو يَنقُصونه، ولكن أَمْهِلُوني حتى أنظر: أَلِلقَوْمِ كَمِينٌ أو مَدَدٌ. قال: فضرب في الوادي حتى أمعنَ، فلم ير شيئاً، فرجع فقال: لم أَرَ شيئاً، ولكن قد رأيتُ / يا معشر قريش [١٨٦/٤] الوَلَايَا[١] تحمِل المَنَايَا! نَواضِحُ[٢] يَثْرِب تحمل الموت الناقع! قومٌ ليس لهم مَنَعة ولا ملجأٌ إلّا سيوفُهم. والله ما أُرَى أن يُقْتَلَ رجلٌ منهم حتّى يقتلَ رجلاً منكم! فإذا أصابوا منكم أعدادَهم، فما خيرُ العَيْشِ بعد ذلك! فَرَوْا رَأْيَكم. فلمّا سَمِع حَكِيم بن حِزَامٍ ذلك مشى في الناس فأتى عُتْبَةَ بن ربيعة وقال: يا أبا الوليد، إنّك كبيرُ قريش الليلةَ وسيِّدُها والمطاعُ فيها، هل لك إلى أمرٍ لا تزالُ تُذْكَرُ منه بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: تَرْجِع بالناس وتَحْمِل دَمَ حَلِيفِك عمرو بن الحَضْرَمِيّ. قال: قد فعلتُ، أنت على ذلك شهيدٌ، إنما هو حليفي فعليّ عَقْلُه[٣] وما أُصِيبَ من ماله؛ فَأْتِ ابنَ الحَنْظَلِيَّةَ[٤] فإنّي لا أخشَى أن يَسْحَرَ الناسَ غيرُهُ (يعني أبا جهل بن هشام).

يقص حكيم بن حزام حديث بدر لمروان بن الحكم:

حدّثنا محمد قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنا غمامةُ[٥] بن عمرو السَّهْمِي قال حدّثنا مُسَوَّر بن عبد الملك اليَرْبُوعيّ عن أبيه عن سَعِيد بن المُسَيّب قال:

بينَا نحن عند مَرْوانَ بنِ الحَكَم إذ دخل عليه حاجبُه فقال: هذا أبو خالدٍ حَكِيمُ بنُ حِزَامٍ. قال: إيذَنْ له. فلمّا دخل حَكِيمُ بن حِزَام، قال: مرحباً بك يا أبا خالد، أُدْنُ؛ فحال له مَرْوان عن صَدْرِ المجلس حتّى كان بينه وبين الوِسادة، ثم استقبله مروانُ فقال: حَدِّثْنا حديثَ بَدْرٍ. قال: خرجْنا حتّى إذا نزلنا الجُحْفَةَ رجعتْ قبيلةٌ من قبائل قُرَيْشٍ بأسْرِها، فلم يَشْهَدْ أحدٌ من مشركيهم بدراً؛ ثم خرجْنا حتى نزلنا العُدْوةَ التي / قال الله عزّ وجلّ؛ فجئتُ [١٨٧/٤] عُتْبَةَ بن ربيعة فقلتُ: يا أبا الوليد، هل لك أن تذهبَ بشَرَفِ هذا اليومِ ما بَقِيتَ؟ قال: أفعلُ ماذا؟ قال: قلتُ: إنكم لا تطلبون من محمد إلّا دَمَ واحدٍ: (ابن الحضرميّ) وهو حليفُك، فتَحَمَّلْ دِيَتَه فيرجعَ الناسُ. قال: أنت وذاك، وأنا أتحمَّلُ دِيَتَه، فاذهَبْ إلى ابن الحَنْظَلِيّة (يعني أبا جهل) فقل له: هل لك أن تَرْجِعَ اليومَ بمن معك عن ابن عمِّك؟ فجئتُه فإذا هو في جماعةٍ من بين يديه ومِنْ ورائه، فإذا ابنُ الحضرميّ واقفٌ على رأسه وهو يقول: قد فسختُ عَقْدِي من بني عبد شمس، وعَقْدِي إلى بني مخزوم. فقلتُ له: يقول لك عُتْبة بن ربيعة: هل لك أن ترجع اليومَ عن ابن عمِّك بمن معك؟ قال: أمَا وجد رسولاً غيرَك؟ قلتُ: لا، ولم أكن لأكونَ رسولاً لغيره. قال حكيم: فخرج مُبَادِراً إلى عُتْبة وخرجتُ معه لئلا يفوتَني من الخبر شيء، وعُتْبَةُ يَتّكِيء على إيماء بن رَحَضَة الغِفَاريّ، وقد أهدَى

---

(١) الولايا: جمع ولية، وهي البرذعة أو ما تحتها.

(٢) النواضح: جمع ناضح. والناضح: البعير يستقى عليه، ثم استعمل في كل بعير وإن لم يحمل الماء.

(٣) العقل: الدية.

(٤) قال ابن هشام: الحنظلية أم أبي جهل، وهي أسماء بنت مُخَرِّبة أحد بني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

(٥) كذا في الأصول بالغين المعجمة. وقد ذكر الطبري (قسم أوّل ص ١٣١٣) هذا القصة بهذا الإسناد، وفيه: «عمّامة بن عمرو السهمي» بالعين المهملة. وفي هامشه في الصفحة نفسها نقلاً عن نسخة أخرى: «غمامة» بالغين المعجمة كما في الأصول. وفي القسم الثالث من الطبري (ص ٢٦٨): «عُثامة بن عمرو السهمي». وفي هامشه في الصفحة نفسها نقلاً عن نسختين أخريين: «غمانة» بالغين و «عتّامة» بالعين والتاء. ولم نعثر على هذا الاسم في «كتب التراجم» حتى نستطيع ترجيح أحد هذه الأسماء.

إلى المشركين عَشْرَ جزائرَ، فطلَع أبو جهل والشرُّ في وجهه، فقال لعُتْبة: انْتَفَخَ سَحْرُك[1]! فقال عُتبة: فستعلم. فسَلَّ أبو جهل سيفَه / فضرب به مَتْنَ فرسه؛ فقال إيماء بن رَحَضةَ: بئس المُقامُ هذا! فعند ذلك قامتِ الحَرْب. ٢٥/٤

رجع الحديث إلى ابن إسحاق:

نصح عتبة بن ربيعة قريشاً بالرجوع فأبى أبو جهل:

ثم قام عُتْبة بن ربيعة خطيباً، فقال: يا مَعْشَرَ قريش، والله ما تصنَعون بأن تَلْقَوْا محمداً وأصحابَه شيئاً! والله لئن أصبتموه، لا يزال الرجلُ منكم ينظُر في وجه رجلٍ يكره النظَر إليه، رجلٍ قَتَلَ ابنَ عَمِّه أو ابنَ خاله أو رجلاً من عشيرته، فارجِعُوا وخَلُّوا بين محمد وبين سائر العرب؛ فإن أصابوه فذلك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم[2] / ولم تَعْدَمُوا منه ما تُريدون. قال حكيم: فانطلقتُ حتّى جئتُ أبا جهل، فوجدتُه قد نَثَل[3] دِرْعاً له من جِرَابها[4] ١٨٨/٤٣ وهو يُهَيِّئها؛ فقلت له: يا أبا الحكم، إنّ عُتبة أرسلني إليك بكذا وكذا (الذي قال)؛ فقال: انتفَخَ والله سَحْرُه حين رأى محمداً وأصحابه. كلاّ والله! لا نَرْجِعُ حتّى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه؛ وما بِعُتْبة ما قال، ولكنه قد رأى أنّ محمداً وأصحابَه أَكَلَةُ[5] جَزُورٍ، وفيهم ابنهُ قد تَخَوَّفكم عليه. ثم بعث إلى عامر بن الحَضْرَميّ فقال له: هذا حَلِيفُك يُريد أن يرجعَ بالناس وقد رأيتَ ثَأرَك بعينك، فقُمْ فانْشُدْ خُفْرَتَك[6] ومقتلَ أخيك. فقام عامر بن الحضرميّ فاكتشف[7] ثم صرَخَ: واعَمْراهُ! واعمراه! فحَمِيَتِ الحربُ، وحَقِبَ[8] أمرُ الناس، واستوسقُوا[9] على ما هم عليه من الشرّ، وأَفْسدَ على الناس الرَّأْيُ الذي دعاهم إليه عُتْبة بن ربيعة. ولمّا بلغ عُتْبةَ قولُ أبي جهل: «انتفخ سَحْرُه» قال: سيعلم مُصَفِّر الاِسْتِ مَنِ انتفخ سَحْرُه: أنا أم هو! ثم التمس عُتْبةُ بَيْضةً لِيُدْخِلَها في رأسه فلم يجد في الجيش بيضةً تَسَعُه من عِظَم هامته؛ فلمّا رأى ذلك اعتَجَرَ[10] على رأسه بِبُرْدٍ له.

أقسم الأسود بن عبد الأسد ليشربن من حوض المسلمين فقتل:

وقد خرج الأَسْوَدُ بن عبد الأَسَد المخزوميّ، وكان رجلاً شَرِساً سَيِّءِ الخُلق، فقال: أُعاهد اللّهَ لأشربَنَّ من حَوْضِهم أو لأَهْدِمَنَّه أو لأموتَنَّ دونه. فلمّا خرج خرج له حمزةُ بن عبد المُطَّلب، فلمّا التقَيَا ضربه حمزةُ فأبان قَدَمه

(١) يكنى بانتفاخ السحر عن مجاوزة القدر، ولكنه هنا كناية عن الجبن؛ وذلك أن الجبان يملأ الخوف جوفه فينتفخ سحره. والسحر: الرئة وما حولها مما يعلق به الحلقوم فوق السرة.

(٢) في حـ: «ألفاكم ولم تعرضوا منه لما تريدون».

(٣) نثل: أخرج.

(٤) كذا في م، وهو الموافق لما في «السيرة» والطبري. وفي سائر الأصول: «عن جرابها».

(٥) يريد أنهم قلة تكفيهم جزور واحدة لطعامهم.

(٦) كذا في «السيرة» و «تاريخ الطبري». والخفرة: الذمة والعهد. وفي الأصول: «حقوقك».

(٧) كذا في م «والسيرة» والطبري. وفي «القاموس»: «واكتشفت المرأة لزوجها: بالغت في التكشف له عند الجماع». فلعله يريد أنه أشرف على شيء عال أو نحو ذلك حتى انكشف للناس ثم صرخ فيهم. وفي سائر الأصول: «فاكتنف»، وهو تحريف.

(٨) حقب أمر الناس: فسد.

(٩) استوسقوا: اجتمعوا.

(١٠) الاعتجار: لف العمامة على الرأس.

[١٨٩/٤] بنصف ساقه وهو دون الحَوْض، فوقَع على ظهره / تَشْخَبُ رجلُه دماً نحوَ أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يُريد أن يُبِرَّ يمينَه، وأتبعه حمزةُ فضربه حتَّى قتله في الحوض.

طلب عتبة بن ربيعة وابنه وأخوه المبارزة فندب لهم النبيّ من قتلهم:

ثم خرج بعده عُتْبة بن ربيعة بين أخيه شَيْبةَ بن ربيعة وآبنه الوليد بن عُتْبَةَ، حتَّى إذا نَصَل[١] من الصَّفّ دعا إلى المُبارزة، فخرج إليه فِتْيةٌ مِنَ الأنصار ثلاثةُ نَفَرٍ، وهم: عَوْف[٢] ومُعَوِّذ ابنا الحارث، وأمُّهما عَفْراء ورجلٌ آخر يقال[٣]: هو عبدالله بن رَوَاحَةَ؛ فقالوا: مَنْ أنتم؟ قالوا: رَهْطٌ من الأنصار. قالوا: ما لنا بكم حاجة. ثم نادى مناديهم: يا محمد، أَخْرِجْ إلينا أكفاءَنا من قومنا. فقال رسول الله ﷺ: «قُمْ يا حمزةُ بنَ عبد المطّلب، قُمْ يا عُبَيْدةُ ابنَ الحارث، قم يا عليّ بن أبي طالب». فلمّا قاموا ودَنَوْا منهم، قالوا: مَنْ أنتم؟ فقال عُبَيدة: عُبَيْدةُ، وقال حمزة: حمزة، وقال عليٌّ: عليّ. قالوا: نعمْ[٤] أكفاءٌ كِرامٌ. فبارز عُبَيدةُ بنُ الحارث، وكان أسنَّ القوم، عُتْبَةَ بن ربيعة؛ وبارز حمزةُ شيبةَ بن ربيعة؛ وبارز عليٌّ الوليدَ بن عُتْبَة. فأمّا حمزةُ فلم يُمْهِلْ شيبةَ أنْ قتله. و [أمّا][٥] عليٌّ فلم يُمْهِلِ الوليدَ بن عُتْبَة أنْ قتله. واختلف عُبَيْدةُ وعُتْبةُ بينهما بضربتين كلاهما أَثْبَتَ[٦] صاحبَه؛ فكَرّ حمزة وعليٌّ على عتبة بأسيافهما فذَفَّفَا[٧] عليه فقتلاه، واحتملا صاحبَهما عُبيدة، فجاءا به إلى أصحابه وقد قُطِعتْ / رِجْلُه ومُخُّه [١٩٠/٤] يَسيل. فلمّا أتَوْا بعُبيدة إلى رسول الله ﷺ قال: ألستُ شهيداً يا رسولَ الله؟ / قال: «بلى». فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حيًّا لعلمِ أنّي بما قال أحقُّ منه حيث يقول:

ونُسْلِمُــــه[٨] حتَّـــى نُصَـــرَّعَ حـــولَـــهُ ... ونَـــذْهَـــلَ عـــن أبنـائنـا والحَـــلائـــلِ

قال محمد بن إسحاق: وحدّثني عاصِمُ بنُ عُمَر بنِ قَتادةَ: أنّ عُتْبةَ بن ربيعة قال للفِتْية من الأنصار حين انتسبوا له: أكفاءٌ كرامٌ، إنما نُريد قومنا. ثم تزاحفَ الناسُ ودنا بعضُهم من بعض ـ وقد أمر رسولُ الله ﷺ [أصحابَه][٩] ألاّ

(١) كذا في «سيرة ابن هشام». ونصل: خرج. وفي الأصول والطبري: «فصل» بالفاء.

(٢) كذا في م، وهو الموافق لما في «سيرة ابن هشام» (ص ٤٤٣ طبع أوروبا) و «تاريخ الطبري» (ص ١٢١٠، ١٢١٢، ١٣١٧، ١٣٢٢، ١٣٣٦ من القسم الأوّل طبع أوروبا) و «طبقات ابن سعد». وفي الأصول: «عوذ» بالذال المعجمة في آخره، وهو قول لبعضهم في أسمه حكاه ابن عبد البر في «الاستيعاب» وابن حجر في «الإصابة».

(٣) كذا في «السيرة». وفي الأصول والطبري: «يقال له عبدالله بن رواحة». ولا يخفى ما بين التعبيرين من خلاف.

(٤) في حـ، ب: «نحن».

(٥) زيادة عن م «والسيرة» والطبري.

(٦) أثبت صاحبه: أثخنه بالجراح.

(٧) دفف على الجريح: أجهز عليه.

(٨) هذا البيت من قصيدة أبي طالب التي مطلعها:

خليلـــيّ مـــا أذنـــي لأوّل عـــاذل ... بصغـــواء فـــي حـــق ولا عنـــد بـــاطـــل

وقبل هذا البيت:

كـــذبتـــم وبيـــتِ الله نُبْـــزَى محمـــداً ... ولمـــا نُطـــاعـــن دونـــه ونُنـــاضـــلِ

ونبزي: نُغْلَب ونقهر، وهو على تقدير النفي. ومحمد نصب على نزع الخافض، أي لا نغلب عليه. ونسلمه (بالرفع) معطوف على نبزي أي لا نسلمه. وقد ورد هذا البيت في «اللسان» مادة (بزا) هكذا:

كـــذبتـــم وحـــق الله يـــبـــزي محمـــد ... . إلخ

ومعناه، كما في «اللسان»، يُقهر ويستذل. وهو على تقدير النفي أيضاً.

(٩) زيادة عن «السيرة» والطبري.

يحمِلوا حتى يأمُرَهم، وقال: «إنِ اكتنفكم القومُ فانْضَحُوهم بالنَّبْل» - ورسولُ الله ﷺ في العَرِيش معه أبو بكر.

وكانت وَقْعةُ بدرٍ يومَ الجمعة صَبِيحةَ سبعَ عَشْرةَ من شهر رمضان، قال ابن إسحاق: كما[1] حدّثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين.

تعديل النبي لصفوف أصحابه وقصة سواد بن غزية:

قال محمد بن جرير وحدّثنا ابن حُمَيد[2] قال حدّثنا سَلَمةُ قال قال لي محمد بن إسحاق حدّثني حَبّان[3] بن واسع بن حَبّان عن أشياخٍ من قومه:

/ أنّ رسولَ الله ﷺ عدّل صفوفَ أصحابه يوم بدرٍ، وفي يده قِدْحٌ[4] يُعَدِّل به القومَ، فمرّ بَسَواد[5] بن غَزِيّةَ [١٩١/٤] حليفِ بني عَدِيّ بن النجّار وهو مُسْتَنْتِلٌ[6] من الصفّ، فطعَن رسولُ الله ﷺ في بطنه بالقِدْح، ثم قال: «اسْتَوِ يا سواد بن غزيّة». فقال: يا رسول الله، أوْجعتَني! وقد بَعثك الله بالحقّ، فأقِدْني. قال: فكشَف رسولُ الله ﷺ عن بطنه وقال: «اسْتَقِدْ»؛ فاعتنقه وقبّل بطنَه. فقال: «ما حَمَلك على هذا يا سَوَاد»؟ فقال: يا رسول الله، حضَر ما ترى، فلم آمَنِ الموتَ، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يَمَسّ جِلْدي جلدَك؛ فدعا له رسولُ الله ﷺ بخير وقال له خيراً. ثم عدّل رسولُ الله ﷺ الصفوف، ورجع إلى العريش ودخله ومعه أبو بكر ليس معه غيرُه، ورسولُ الله ﷺ يُناشد ربَّه ما وَعَده من النصر، ويقول فيما يقول: «اللَّهُمّ إنْ تَهْلِكْ هذه العِصابة اليومَ - يعني المسلمين - لا تُعْبَد بعد اليوم»، وأبو بكر يقول: يا نبيّ الله خَلِّ بعضَ مُناشدتك ربَّك؛ فإنّ اللّهَ مُنجزٌ لك ما وعدك.

دعاء النبيّ يوم بدر:

حدّثنا محمد بن جَرير قال حدّثنا محمد بن عُبَيد المُحَارِبيّ قال حدّثنا عبدالله بن المُبارَك عن عِكْرِمة بن عَمّار قال حدّثني سِمَاكٌ الحَنَفيّ قال سمعتُ ابنَ عبّاس يقول: حدّثني عمر بن الخطاب قال:

لمّا كان يومُ بدر ونظر رسولُ الله ﷺ إلى المشركين وعِدتِهم وإلى أصحابه وهم نَيِّفٌ على ثَلاثمائة، استقبل الكعبة وجعل يدعو ويقول: «اللَّهُمّ / أَنْجِزْ لي ما وعدتَني. اللَّهُمّ إن تَهْلِكْ هذه العِصابةُ من أهل الإسلام لا تُعْبَدْ في [١٩٢/٤] الأرض»، فلم يَزَل كذلك حتى سَقَط رداؤُه؛ فأخذ أبو بكر فوضع رداءَه عليه، ثم التزمه من ورائه فقال: كفاكَ

---

(١) كذا في «سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري». وفي الأصول: «قال ابن إسحاق فحدّثني إلخ» وهو خطأ.

(٢) كذا في الطبري و «تهذيب التهذيب»، وهو محمد بن حميد بن حيان التميمي أبو عبدالله الرازي أحد شيوخ ابن جرير الطبري وممن رووا عن سلمة بن الفضل. وفي الأصول: «أبو أحمد» وهو خطأ.

(٣) كذا في «السيرة» (ص ٤٤٤ طبع أوروبا)، وهو حبان بن واسع بن حبان بن منقذ أحد شيوخ محمد بن إسحاق (راجع «تهذيب التهذيب» حـ ٢ ص ١٧٠، و «كتاب من روى عنهم» محمد بن إسحاق ص ٩ طبع ليدن). وفي الطبري: «حبان بن واسع بن حبان بن واسع». وفي جميع الأصول: «واسع حيان بن واسع».

(٤) القدح (بالكسر): السهم قبل أن ينصل ويراش.

(٥) ورد هذا الاسم هكذا في «تاريخ الطبري» (ص ١٣١٩ قسم أول) و «أسد الغابة» (ج ٢ ص ٣٧٤) و «طبقات ابن سعد» (ج ٣ ص ٧٢ من القسم الثاني). وفي «سيرة ابن هشام» (ص ٤٤٤، ٥٠٤ طبع أوروبا) قال ابن هشام في الموضعين: «ويقال سَوّاد بن غزية». وفي «الإصابة» (ج ٣ ص ١٤٨ طبع مصر) في الكلام على سواد بن غزية: «المشهور أنه بتخفيف الواو، وحكى السهيلي تشديدها».

(٦) كذا في س والطبري و «السيرة». ونتل من بين الصف واستنتل: تقدّم. وفي سائر الأصول: «استنثل» بالثاء المثلثة.

يا نبيَّ اللَّه، بأبي أنت وأمّي، مناشدتُك لربّك، سيُنْجِزُ لك ما وعدك. فأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1].

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن وَكِيع قال حدّثنا الثَّقَفِيّ (يعني عبدَ الوهّاب) عن خالد عن عِكْرِمة عن ابنِ عبّاس:

أنّ النبيَّ ﷺ قال وهو في قُبَّة[2] يومَ بدرٍ «اللَّهُمَّ أسألُك عهدَك ووَعْدَك. اللَّهمّ إن شئتَ لم تُعْبَدْ بعد اليوم».

٢٧/٤ قال: فأخذ أبو بكر بيده فقال: حَسْبُك / يا نبيَّ الله، فقد ألححتَ على رَبّك، وهو في الدِّرْع؛ فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

أخذت النبيّ سنة ثم انتبه مبشراً بالنصر ومحرّضاً على القتال:

قال: وقد خَفَق رسولُ الله ﷺ خَفْقةً وهو في العَرِيش، ثم انتبه فقال: «يا أبا بكر أتاك نَصْرُ الله، هذا جبريلُ آخذٌ بعِنَانِ فَرَسِه يقوده وعلى ثناياه النَّقْعُ»[3]. قال: وقد رُمِي مِهْجَعٌ مولى عُمَر بن الخَطّاب بسهمٍ فقُتِل، فكان أوّلَ قَتِيلٍ من المسلمين. ثم رُمِي حارثةُ بن سُرَاقةَ أحدُ بني عَدِيّ بن النجّار وهو يشرب من الحوض [بسهم فأصاب نَحْرَه][4] فقُتِل. ثم خرج رسولُ الله ﷺ إلى الناس فحرّضهم ونَفَّل كلَّ امرىءٍ ما أصاب، وقال: «والذي نَفْسِي بيده لا يُقاتلهم / اليومَ رجلاً فيُقتَلَ صابراً مُحتَسِباً مُقبِلاً غير مُدْبِرٍ إلاّ أدخله اللَّهُ الجنّة». فقال عُمَيْر بن الحُمَام أخو بني سَلِمَة وفي يده تَمَرات يأكلها: بَخٍ بخٍ! أمَا بيني وبين أن أدخلَ الجنّةَ إلاّ أن يقتلَني هؤلاء! قال: ثم قَذَف التَّمَراتِ من يده وأخذ سيفَه فقاتلَ القومَ حتى قُتِل، وهو يقول: ١٩٣/٤

رَكْضاً إلى اللَّهِ بغيرِ زَادِ ... إلاّ التُّقَى وعَمَلَ المَعَادِ
والصَّبْرَ في اللَّهِ على الجِهَادِ ... وكلُّ زَادٍ عُرْضةُ النَّفَادِ
* غيرَ التُّقَى والبِرِّ والرَّشَادِ *

حدّثنا محمد بن جَرِير قال حدّثنا ابن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمةُ قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عُمَر بن قَتَادةَ:

أنّ عَوْفَ بنَ الحارث، وهو ابنُ عَفْرَاء، قال: يا رسولَ الله، ما يُضحِك الربَّ من عبده؟ قال: «غَمْسُه يَدَه في العدوّ حاسراً»؛ فنَزَع دِرْعاً كانت عليه فقذَفها، ثم أخذ سيفَه فقاتل القومَ حتى قُتِل.

التقاء الفريقين وهزيمة المشركين:

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمةُ عن ابن إسحاق قال وحدّثني محمد بن مُسْلم الزُّهْرِيّ عن عبدالله بن ثَعْلَبةَ بن صُعَيْر العُذْرِيّ حليفِ بني زُهْرةَ قال:

---

(١) مردفين: متتابعين بعضهم في إثر بعض.

(٢) كذا في «تاريخ الطبري». والمراد بالقبة العريش الذي نصب له. وفي الأصول: «في فتية» وهو تحريف.

(٣) النقع: الغبار.

(٤) زيادة عن «السيرة».

لمّا التقى الناسُ ودنا بعضُهم من بعضٍ[١]، قال أبو جهل: اللّهُمّ أقطَعُنا للرَّحِم وآتانا بما لا يُعْرَف فأحِنْهُ الغداةَ؛ فكان هو المُسْتَفْتِحَ على نفسه. ثم إنّ رسولَ الله ﷺ أخذ حَفْنَةً من الحصباء واستقبل بها قريشاً، ثم قال: «شاهتِ الوجوهُ» ثم نَفَحهم[٢] بها، وقال لأصحابه: «شُدُّوا»؛ فكانتِ الهزيمةُ، فقتَل اللّهُ مَنْ قَتَل من صَناديد قريش، وأَسَرَ مَنْ أَسَر منهم. فلمّا وضع القومُ أيديَهم / يأسِرون ـ ورسولُ الله ﷺ في العَريش، وسعدُ بن مُعاذ قائمٌ على باب [١٩٤/٤] العريش الذي فيه رسولُ الله ﷺ مُتَوَشِّحاً بالسيف في نَفَرٍ من الأنصار، يحرُسون رسولَ الله ﷺ، يخافون عليه كَرّةَ العَدوّ ـ رأى رسولُ الله ﷺ ـ فيما ذُكِرَ لي ـ في وجه سعد بن مُعَاذ الكراهةَ فيما يصنَع الناس؛ فقال له: «كأنّك كَرِهْتَ ما يصنَع الناس»! قال: أجَلْ يا رسولَ الله! كانت أوّلَ وَقْعةٍ أوقعها الله عزّ وجلّ بأهل الشِّرْك؛ فكان الإثخانُ في القَتْل أعجبَ إليّ مِنَ استبقاءِ الرجال.

نهي النبيّ عن قتل جماعة خرجوا مستكرهين مع قريش:

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمَةُ عن محمد بن إسحاق قال، وحدّثني العبّاس بن عبد/ الله بن مَعْبَد[٣] عن بعض أهله عن ابن عبّاس: [٢٨/٤]

أنّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه يومئذ: «إنّي قد عرفتُ أنّ رجالاً من بني هاشم [وغيرهم][٤] قد أُخرِجوا كَرْهاً لا حاجةَ لهم بقتالنا؛ فمَنْ لَقِي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتُلْه، ومَنْ لَقِيَ أبا البَخْتَرِيّ [بن هشام] بن الحارث فلا يقتُلْه ومنْ لَقِي العبَّاسَ بن عبد المُطّلِب ـ عمّ رسول الله ﷺ ـ فلا يقتُلْهُ، فإنّما خرج مُسْتَكْرَهاً». قال: فقال أبو حُذَيفةَ بن عُتْبَة بن ربيعة: أيُقْتَلُ آباؤنا وأبناؤنا وإخوانُنا[٥] وعشيرتُنا ونترك العبّاسَ! واللّهَ لئن لَقِيتُه لأُلْحِمَنّه[٦] السيفَ! فبلغتْ رسولَ الله ﷺ، فجعل يقول لعُمَر بن الخطّاب: «يا أبا حَفْص أمَا تسمعَ إلى قول أبي حُذَيفةَ يقول أضرِب وجهَ عمّ رسول الله ـ ﷺ ـ بالسيف». فقال: عمر: يا رسولَ الله، دَعْني فَلأَضْرِبنّ عُنُقَه بالسيف، فواللّهَ لقد نافقَ. قال/ عمر: واللّهِ إنّه لأوّلُ يوم كَنّاني فيه رسولُ الله ﷺ بأبي حفص. قال: فكان أبو حُذَيفةَ يقول: ما أنا بآمنٍ [١٩٥/٤] من تلك الكلمةِ التي قلتُ يومئذ ولا أزالُ منها خائفاً إلاّ أن تكَفِّرها عنّي الشهادة؛ فقُتِل يومَ اليمامة [شهيداً][٧].

سبب نهي النبي عن قتل أبي البختري وقصة قتله:

قال: وإنّما نهى رسولُ الله ﷺ عن قتل أبي البَخْتَرِيّ، لأنه كان أكفَّ القومِ عن رسول الله ﷺ وهو بمكة، كان لا يُؤْذِيه ولا يبلُغه عنه بمكة شيءٌ يكرَهُه، وكان ممن قام في نَقْض الصحيفة التي كتبتْ قريش على بني هاشم وبني المُطّلب. فلَقِيه المُجذَّر بن ذِياد[٨] البَلَوِيّ حليفُ الأنصار من بني عَدِيّ، فقال المجذَّر بن ذِياد لأبي البَخْتَرِيّ: إنّ

(١) كذا في م و «السيرة». وفي باقي الأصول: «ودنا بعضهم من بعضهم».

(٢) نفحهم: ضربهم.

(٣) كذا في «تاريخ الطبري» (ص ١٣٢٣ من القسم الأوّل طبع أوروبا) و «سيرة ابن هشام» (ص ٤٤٦ طبع أوروبا) و «تهذيب التهذيب» (ج ٥ ص ١٢٠ طبع الهند). وفي الأصول: «مصعب» وهو تحريف.

(٤) زيادة عن م «والسيرة» والطبري

(٥) في «السيرة»: «وإخوتنا».

(٦) لأجعلن لحمه طعاماً للسيف. وفي الأصول: «لألجمنه».

(٧) زيادة عن م «والسيرة» والطبري.

(٨) كذا في الطبري و «سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد» (ج ٣ ص ٩٨ من القسم الثاني طبع أوروبا) و «أسد الغابة» (ج ٤ ص ٣٠٢) و =

رسولَ الله ﷺ قد نهى عن قتلك، ومع أبي البختريّ زميلٌ له خرج معه من مكة، وهو جُنادةُ بن مُلَيْحةَ بنِ زُهَيْر بن الحارث بن أَسَد ـ وجُنادة رجلٌ من بني ليث. واسم أبي البَخْتَرِيّ العاصي بن هشام بن الحارث بن أَسَد ـ قال: وزميلي؟ فقال المجذَّر: لا واللَّهِ ما نحن بتاركي زميلِك؛ ما أمَرنا رسولُ الله ﷺ إلاّ بك وحدَك. قال: واللَّهِ إذاً لأموتن [أنا][1] وهو جميعاً! لا تتحدّث عنّي نساءُ قريش بين أهل مكة أنّي تركتُ زميلي حرصاً على الحياة. فقال أبو البَخْتَرِيّ حين نازله المُجَذَّر وأبى إلاّ القتالَ[2] وهو يَرْتَجز:

لـــن يُسْلِـمَ ابـنُ حُـرَّةٍ أَكِيلَـــه[3] حتـــى يمـــوتَ أو يـــرى سبيلَـــه

[٤/١٩٦] / فاقتتلا، فقتله المُجَذَّر بن ذِياد. ثم أتى المجذَّر بن ذِياد رسولَ الله ﷺ فقال: والّذي بعثك بالحق، لقد جَهِدتُ عليه أن يستأسِرَ فآتيك به، فأبى إلاّ القتالَ، فقاتلتُه فقتلته.

عبد الرحمن بن عوف وأمية بن خلف:

قال محمد بن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عَبّاد بن عبدالله بن الزُّبَير عن أبيه، قال: وحدّثنيه[4] أيضاً عبدُالله بن أبي بكر وغيرُهما عن عبد الرحمن بن عَوْف قال:

كان أُمَيّةُ بن خَلَفٍ لي صديقاً بمكة. قال: وكان اسمي عبدَ عَمْرو، فسُمِّيتُ حين أسلمتُ عبدَ الرحمن ونحن بمكة. قال: وكان يلقاني بمكة فيقول: يا عبد عمرو، أرَغِبْتَ عن اسمٍ سمّاك به أبَوَاك؟ فأقول نعم؛ فيقول: فإنّي لا أعرف الرحمن، فاجعَلْ بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أمّا أنت فلا تُجيبني باسمك الأوّل، وأمّا أنا فلا أدعوك بما لا أعرف. قال: فكان إذا دعاني: يا عبدَ عمرو، لم أجبه. فقلت: اجعَلْ بيني وبينك يا أبا عليّ ما شئت. قال: فأنت عبدُ الإلَه. فقلت نعم. قال: فكنتُ إذا مررتُ به قال: يا عبدَ / الإلَه فأُجيبه فأتحدّث معه. حتى إذا كان يومُ بَدْرٍ، مررتُ به وهو واقفٌ مع عليٍّ ابنه آخذاً بيده، ومعي أدراعٌ قد سلبتُها وأنا أحمِلها. فلمّا رآني قال: يا عبدَ عمرو، فلم أُجبه. فقال: يا عبدَ الإلَه، قلت نعم. قال: هل لك فيّ فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع؟ قلتُ: نعم، هَلُمَّ إذاً. فطرحتُ الأدراعَ من يدي وأخذتُ بيده وبيد ابنه عليٍّ، وهو يقول: ما رأيتُ كاليوم قطُّ، أمَا لكم حاجةٌ في اللبن[5]؟ ثم خرجتُ أمشي بينهما.

[٢٩/٤]

/ مقتل أمية بن خلف وابنه:

[٤/١٩٧] قـال ابـن إسحاق: وحدّثني عبد الواحد بن أبي عَوْن عن سَعْد[6] بن إبراهيم بن عبد الرحمن عن أبيه عن[7] عبد الرحمن بن عَوْف قال:

= «المشتبه في أسماء الرجال» للذهبي (ص ٤٦٤) و «شرح القاموس» مادة ذود. وورد فيه: «والمجذر بن ذياد بالكسر ويقال ذَيّاد ككتّان، والأول أكثر». وفي الأصول: «زياد» بالزاي. وفي «سيرة ابن هشام» (ص ٤٤٧): «ويقال المجذر بن ذئاب».

(١) زيادة عن م و «السيرة» والطبري.

(٢) كذا في م و «السيرة». وفي سائر الأصول: «القتل».

(٣) في «سيرة ابن هشام»: «زميله».

(٤) كذا في «السيرة». وفي الأصول: «حدّثني».

(٥) قال ابن هشام: «يريد باللبن أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن».

(٦) كذا في الطبري. وفي «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني أن عبد الواحد بن أبي عون يروي عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف. وقد ورد في الأصول: «... أبي عون بن سعيد بن إبراهيم إلخ» وهو خطأ.

(٧) كذا في م و «سيرة ابن هشام» والطبري. وفي سائر الأصول: «عن أبيه عبد الرحمن» وهو خطأ.

قال لي أُمَيَّةُ بن خَلَفٍ وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما: يا عبدَ الإلَه، من الرجلُ المُعْلَمُ[١] منكم بريش نَعامةٍ في صدره؟ قال قلت: ذلك حمزةُ بن عبد المُطّلب. قال: ذلك الذي فَعَل بنا الأفاعيل. قال عبد الرحمن: فواللّهِ إنّي لأقودهما إذ رآه بِلالٌ معي ـ وكان هو الذي يعذّب بِلالاً بمكة على أن يترك الإسلام، فيُخرجه إلى رَمْضاءِ مكة[٢] إذا حَمِيتْ فيُضْجِعه على ظهره، ثم يأمر[٣] بالصخرة العظيمة فتُوضَع على صدره، ثم يقول: لا تزالُ هكذا حتى تُفارقَ دينَ محمد؛ فيقول بِلالٌ: أَحَدٌ أَحَدٌ ـ فقال بلالٌ حين رآه: رَأسُ الكُفْر أُمَيَّةُ بن خَلَفٍ، لا نجوتُ إن نَجَوَا! قال: قلتُ: أيْ بلالُ، أبأسِيرَيّ! قال: لا نجوتُ إن نَجَوَا! قلت: أيْ بلالُ، أبأسيرَيّ تُسَمِّعُ[٤] يا بـنَ السوداء! قال: لا نجوتُ إن نَجَوا! ثم صرَخ بأعلى صوته: يا أنصارَ الله، رَأسُ الكفر أُمَيَّة بن خلف، لا نجوتُ إن نَجَوَا. قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المَسَكَة[٥] وأنا أَذُبُّ عنه. قال: فأخلفَ رجلٌ السيفَ فضَرَب رِجْلَ ابنِه[٦] فوقَع، وصاح أُمَيّةُ / صيحةً ما سمعتُ بمثلها قطُّ. قال قلت: انْجُ بنفسك ولا نَجاءَ[٧]! فواللّهِ ما أُغني عنك شيئاً. قال: [١٩٨/٤] فهبَرُوهما[٨] بأسيافهم حتى فرغوا منهما. قال: فكان عبد الرحمن يقول: رَحِم اللّهُ بلالاً! ذَهَب بأدْراعِي وفَجَعني بأسيرَيّ.

قتال الملائكة في غزوة بدر:

قال ابن إسحاق حدّثني عبدالله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس قال حدّثني رجلٌ من بني غِفَار[٩] قال:

أقبلتُ أنا وابنُ عمٍّ لي حتى أصعدنا في جبلٍ يُشْرِف بنا على بَدْر، ونحن مشركان ننتظر الوَقْعةَ على مَنْ تكون الدَّبْرة[١٠]ـ فننْهَب مع من يَنْهَبُ. فبينا نحن في الجبل إذ دنتْ منّا سحابةٌ، فسَمِعْنا فيها حَمْحَمةَ الخيل، وسمعتُ قائلاً يقول: أَقْدِمْ[١١] حيزُومُ. قال: فأمّا ابن عَمّي فانكشف قِناعُ[١٢] قَلْبه فمات مكانه. وأما أنا فكدْتُ أهْلِك، ثم تماسكتُ.

قال محمد بن إسحاقُ حدّثني أبي إسحاق بن يسارٍ عن رجالٍ من بني مَازِن بن النجّار عن أبي داودَ المازِنيّ، وكان شَهِد بدراً، قال:

---

(١) كذا في م و «السيرة» والطبري. وفي سائر الأصول: «المتعلم».
(٢) كذا في م و «السيرة» والطبري. وفي سائر الأصول: «رمضاء بمكة».
(٣) كذا في م و «السيرة». وفي سائر الأصول: «يأتي».
(٤) كذا في م. والتسميع: التشهير؛ يقال: سمّع بالرجل، إذا أذاع عنه عيباً وندّد به وشهره وفضحه. وفي جـ والطبري: «أي بلال تسمع يا ابن السوداء». وفي سائر الأصول: «أي بلال أتسمع يا بـن السوداء».
(٥) كذا في م و «السيرة» والطبري. والمسكة (بالتحريك): السوار. وفي سائر الأصول: «السكة» وهو تحريف.
(٦) كذا في «السيرة». وفي الأصول: «قال: فضرب رجل أمية فوقع إلخ».
(٧) في «السيرة»: «انج بنفسك ولا نجاء به».
(٨) هبروهما: قطعوهما.
(٩) كذا في «سيرة ابن هشام» و «تاريخ الطبري». وفي الأصول: «بني عفان».
(١٠) الدبرة (بالفتح): العاقبة؛ يقال: لمن الدبرة أي الدولة والنصر والظفر، وعلى من الدبرة أي الهزيمة.
(١١) أقدم حيزوم: أمر بالإقدام، وهو التقدّم في الحرب، والإقدام: الشجاعة. وقد تكسر همزة «إقدَم» فيكون أمراً بالتقدّم لا غير، والصحيح الفتح من أقدم. وحيزوم: اسم فرس جبريل عليه السلام. (انظر ابن الأثير و «اللسان» مادتي قدم وحزم).
(١٢) قناع القلب: غشاؤه؛ تشبيها بقناع المرأة.

إنّ لأتْبَعُ رجلاً من المشركين يوم بَدْرٍ لأضربه، إذ وَقَع رَأْسُه قبل أن يصلَ إليه سيفي، فعلمتُ أنه قد قَتَله غيري.

[١٩٩/٤] / حدّثنا محمد بن جَرير قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبدالله بن الحكَم المِصْريّ قال حدّثنا يحيى بن بُكَيْر قال حدّثني محمد بن إسحاق عن العَلاَء بن كَثِير عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمة عن أبي أمامةَ بن سَهْل بن حُنيف قال:

قال لي أبي: يا بُنَيّ، لقد رأيتُنا يومَ بَدْرٍ وإنّ أحدنا لَيُشيرُ إلى المُشْرِكِ بسيفه فيقَع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيفُ.

لباس الملائكة يوم بدر وحنين:

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حَميْدٍ قال حدّثنا سَلَمةُ عن محمد قال، وحدّثني الحسن بن عُمَارَةَ قال أخبرنا سَلَمةُ عن الحَكَم بن عُتَيْبَةَ[١] عن مِقْسَم مولى عبدالله / بن الحارث عن عبدالله بن عباس قال: [٣٠/٤]

كانت سِيمَا الملائكة يوم بدرٍ عمائم بِيضا قد أرسلوها على[٢] ظهورهم، ويومَ حُنَيْنٍ عمائمَ حُمْراً، ولم تُقاتل الملائكةُ في يومٍ من الأيّامِ سِوى يومِ بدر، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام مَدَداً وعَدَداً ولا يضرِبون.

مقتل أبي جهل بن هشام:

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حُميد قال حدّثنا سَلَمةُ قال، قال محمد وحدّثني ثَوْر بن زيد[٣] ولي بني[٤] الدِّيل عن عِكْرِمةَ مولى ابنِ عبّاس عن ابن عباس، قال وحدّثني عبدالله بن أبي بكر، قالا: كان مُعاذ بن عمرو بن الجَمُوح أخو بني سَلِمةَ يقول:

لمّا فَرغ رسولُ الله ﷺ من غزوة بدر أمر بأبي جهل أن يُلْتَمَس في القَتْلَى، وقال: «اللّهُمّ لا يُعْجِزَنّك». وكان أوّلُ مَنْ لقِيَ أبا جهل مُعاذَ بن عمرو بن الجَمُوح، قال: سمعتُ القوم، وأبو جهل في مثل الحَرَجة[٥]، وهم [٢٠٠/٤] يقولون: أبو الحَكَم / لا يُخْلَصُ إليه. فلمّا سمعتها جعلتُها من شأني، فعَمَدتُ نحوَه، فلمّا أمكنني حملتُ عليه، فضربته ضربةً أطَنَّتْ[٦] قدمَه بنصف ساقه، فوالله ما شَبَّهتها حين طاحت إلاّ كالنواة تَطِيح من تحت مِرْضَخة[٧] النَّوَى حين يُضْرَب بها. قال: وضربني ابنه عكْرِمةُ على عاتقي فطرح يدي، فتعلّقتْ بجلدةٍ من جنبي، وأجهضني القتالُ عنها؛ فلقد قاتلتُ عامّةَ يومي وإنّي لأسحبُها خلفي، فلمّا آذتْني جعلتُ عليها رجلي ثم تَمَطَّيْتُ بها حتى طرحتُها. قال: ثم عاش مُعاذ بعد ذلك حتى كان في زمن عثمان بن عَفّان. قال: ثم مرّ بأبي جهلٍ، وهو عَقِير[٨]، مُعَوِّذ بن

---

(١) كذا في «المشتبه في أسماء الرجال» للذهبي و «تهذيب التهذيب». وفي الأصول: «عيينة» وهو تصحيف.

(٢) كذا في «السيرة». وفي الأصول: «في».

(٣) في الأصول: «يزيد» والتصويب عن «تهذيب التهذيب» والطبري.

(٤) كذا في م. وفي سائر الأصول: «ابن الديل».

(٥) الحرجة بالتحريك: مجتمع شجر ملتف كالغيضة، والجمع: حَرَج وحراج.

(٦) أطنت: قطعت.

(٧) كذا في الطبري. وفي «النهاية» لابن الأثير: «شبهتها النواة تنزو من تحت المراضخ» جمع مرضخة، وهي حجر يرضخ به النوى. والرضخ: الكسر. وفي الأصول: «مِرَضّة النوى». ورض الشيء: دقه وجرشه.

(٨) كذا في م و «السيرة» والطبري. والعقير: المجروح. وفي سائر الأصول: «عفير» بالفاء، وهو تصحيف.

عفراء، فضربه حتى أثبته[١]، فتركه وبه رمَقٌ، وقاتل معوذ حتى قُتِل. فمرّ عبدالله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله ﷺ أن يُلتَمَسَ في القتلَى، وقال لهم رسول الله ﷺ فيما بلغني: «انظُروا إنْ خَفِي عليكم في القتلَى إلى أثر جُرح بركبته؛ فإنّي ازدحمتُ أنا وهو يوماً على مأدُبة لعبدالله بن جُدْعان [ونحن غلامان][٢] وكنت أشبَّ ـ أو أشَفَّ ـ منه بيسير، فدفعته فوقع عى ركبتيه فخُدِش [في][٢] إحداهما خَدْشاً لم يَزَل أثرُه فيها بعدُ»[٣]. فقال عبدالله بن مسعود: فوجدتُه بآخر رَمَقٍ فعرفتُه، فوضعتُ رجلي على عُنقه. قال: وقد كان ضَبَث[٤] بي مَرّةً بمكة فآذاني ولَكَزني، ثم قلتُ: هل أخزاكَ اللّهُ / يا عدوّ الله؟ قال: وبماذا أخزاني! أَعْمَدُ[٥] من رجلٍ قتلتموه! لمن الدَّبْرةُ اليومَ؟ [٢٠١/٤] قال: قلت: لله ولرسوله ﷺ.

حدّثنا محمد بن جَرير قال حدّثنا ابن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمةُ عن محمد قال:

زعم رجالٌ من بني مخزومٍ أنّ ابن مسعود كان يقول: قال لي أبو جهل: لقد ارتقيتَ يا رُوَيْعِيَ الغنم مُرْتَقًى صعباً؛ ثم احتززتُ رأسه، ثم جئتُ به رسولَ الله ﷺ، فقلت: يا رسولَ الله، هذا رأسُ عدوّ الله أبي جهل. فقال رسول الله ﷺ: «اللّهِ الذي لا إله غيرُه»! ـ وكانت يمينَ رسول الله ﷺ ـ قلت: نعم واللّهِ الذي لا إلَهَ غيرُه، ثم ألقيتُ رأسَه بين يَدَيْ رسول الله ﷺ؛ قال: فحَمِد اللّهَ.

تكليم النبي أصحاب القليب بعد موتهم:

قال محمد بن إسحاق وحدّثني يزيدُ بن رُومانَ عن عُروةَ بن الزُّبير عن عائشةَ قالت:

لمّا أمر رسول الله ﷺ بالقتلَى أن يُطرَحُوا في القَلِيبِ طُرِحوا فيها إلاّ ما كان من أميّةَ بنِ خَلَفٍ، فإنّه انتفخ في دِرْعه فملأها؛ فذهبوا بهِ ليُخرِجوه فتزايَل، فأقرّوه[٦] وألقَوْا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة. فلمّا ألقَوْهم في القَلِيب، وقف رسولُ الله ﷺ / فقال: «يا أهلَ القَلِيبِ هَلْ وجدتُمْ ما وَعَدكم ربُّكم حقًّا فإني وجدتُ ما وعدني ربّي حقًّا». فقال له أصحابُه: يا رسولَ الله، أتكلّمُ قوماً / موتى؟ قال: «لقد عَلِموا أنَّ ما وعدهم ربُّهم حَقٌّ». قالت [٢٠٢/٤] عائشة: والناسُ يقولون: «لقد سَمِعُوا ما قلتُ لهم»، وإنما قال رسولُ الله ﷺ: «لقد عَلِموا».

قال ابن إسحاق وحدّثني حُمَيْدٌ الطويلُ عن أنَس بن مالك قال:

لمّا سمع أصحاب رسول الله ﷺ رسولَ الله ﷺ وهو يقول من جَوْف الليل: «يا أهلَ القَلِيبِ يا عُتْبةُ بن ربيعةَ ويا شيبةُ بن ربيعة ويا أبا جهل بن هشام ـ فعدّد منْ كان منهم في القليب ـ هل وجدتُم ما وَعَدكم ربّكم حقًّا فإنّي قد

---

(١) أي جرحه جراحاً لا يتحرّك معها ولا يقوم.

(٢) زيادة عن م و «السيرة».

(٣) كذا في م. وفي سائر الأصول: «بعده».

(٤) ضبث بالشيء ضبثاً: قبض عليه بكفه.

(٥) أعمد: أي أعجب. قال أبو عبيد: معناه هل زاد على سيد قتله قومه! هل كان إلا هذا! أي إن هذا ليس بعار. يريد أن يهوّن على نفسه ما حل به من الهلاك، وأنه ليس بعار عليه أن يقتله قومه. وقال شمر: هذا استفهام أي أأعجب من رجل قتله قومه! قال الأزهري: كأن الأصل أأعمد إلخ فخففت إحدى الهمزتين. والمراد بالدبرة: الدولة والظفر كما مرّ في الحاشية رقم ٤ ص ١٩٨ من هذا الجزء.

(٦) كذا في «السيرة». وفي الأصول: «فأقروه» بالفاء، وهو تصحيف.

وجدتُ ما وعدني ربّي حقًّا» قال المسلمون: يا رسولَ الله، أتُنادي قوماً قد جَيَّفُوا! فقال: «ما أنتمْ بأَسْمَعَ لِما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يُجيبوني».

قال محمد بن إسحاق وحدّثني بعض أهل العلم: أنَّ رسولَ الله ﷺ يوم قال هذه المقالةَ قال: «يا أهلَ القَلِيب بئس عشيرةُ النبيّ كنتم لنبيّكم! كذّبتموني وصدّقني الناسُ، وأخرجتموني وآواني الناسُ، وقاتلتموني ونصرني الناسُ». ثم قال: «هل وجدتُمْ ما وَعَدكم ربُّكم حقًّا» للمقالة التي قالها. ولمّا أمَر بهم رسولُ الله ﷺ أن يُلْقَوْا في القليب، أخِذ عُتْبةُ فسُحِبَ إلى القليب، فنظر رسولُ الله ﷺ، فيما بلغني، إلى وجه أبي حُذَيْفةَ بن عُتْبةَ، فإذا هو كئيبٌ قد تغيَّر؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «يا أبا حُذَيْفةَ لعلّك قد دخلك من شأن أبيك شيء» أو كما قال. قال فقال: لا والله يا رسولَ الله ما شَكَكتُ في أبي ولا في مَصْرَعه، ولكنّني كنتُ أَعْرِف من أبي رأياً وفضلاً وحِلْماً، فكنتُ أرجو أن يَهْدِيَ اللَّهُ إلى الإسلام، فلمّا رأيتُ ما أصابه وذكرتُ ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنتُ أرجو له، أحزنني[1] ذلك. قال: فدعا رسولُ الله ﷺ له بخير وقال له خيراً.

[٢٠٣/٤] / اختلاف المسلمين على الفيء:

ثم إنّ رسولَ الله ﷺ أمر بما في العسكر مما جمَع الناسُ فجُمع، واختلف المسلمون فيه: فقال مَنْ جَمَعه: هو لنا، وقد كان رسولُ الله ﷺ نَفَّل كلَّ امرىءٍ ما أصاب. فقال الذين كانا يُقاتلون العدوّ ويطلبونهم: لولا نحن ما أصبتموه، لَنَحنُ شَغَلْنا القومَ عنكم حتّى أصبتم ما أصبتم. وقال[2] الذين كانوا يحرُسون رسول الله ﷺ مخافةَ أن يُخالِف[3] إليه العدوّ: واللّهِ ما أنتم بأحقَّ منّا، ولقد رأينا أن نقتل العدوّ إذ ولّانا الله ومَنَحنا أكتافَهم، ولقد رأينا أن نأخُذ المتاعَ حين لم يكن دونه مَنَ يَمْنَعُه، ولكنْ خِفْنا على رسول الله ﷺ كَرّةَ العدوّ، فقُمْنا دونه، فما أنتم بأحقَّ به منّا.

مقتل النضر بن الحارث:

قال ابن إسحاق وحدّثني عاصم بن عُمَرَ بن قَتَادةَ ويزيد بن رُومَانَ: أنّ رسول الله ﷺ جمع الأسارَى من المشركين، وكانوا أربعةً وأربعين أسيراً، وكان من القَتْلَى مثلُ ذلك، وفي الأسارى عُقْبةُ بن أبي مُعَيْطٍ، والنَّضْرُ بن الحارث بن كَلَدةَ، حتّى إذا كان رسولُ الله ﷺ بالصَّفْراء، قُتِل النَّضْرُ بن الحارث بن كَلَدة، قَتَله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

تعنيف سودة لسهيل بن عمرو حين أُسر وعتاب النبيّ لها في ذلك:

قال محمد بن إسحاق حدّثني عبدالله بن أبي بكر عن يحيى بن عبدالله بن عبد الرحمن بن سَعْد[4] بن زرَارة قال:

(١) كذا في «السيرة». وفي الأصول: «فلما رأيت ما أصابه ذكرت. . . . . فحزنني ذلك».
(٢) كذا في «السيرة». وفي الأصول: «فقال».
(٣) أي مخافة أن يأتيه العدوّ في غيبة أصحابه.
(٤) في الأصول: «أسعد» وهو خطأ، والتصويب عن «طبقات ابن سعد» (ج ٣ ص ١٣٨ من القسم الثاني طبع أوروبا). قال ابن سعد ما نصه: «وكان لأسعد بن زرارة من الولد حبيبة مبايعة، وكبشة مبايعة، والفريعة مبايعة؛ وأمهم عميرة بنت سهل بن ثعلبة بن =

/ قُدِم بالأسارى / حين قُدِم بهم، وسَوْدةُ بنتُ زَمْعةَ (زوجُ النبيّ ﷺ) عند آل عَفراءَ في مَنَاحَتِهم على عَوْف [٢٠٤/٤] [٣٢/٤] ومُعَوِّذ ابني عفراء، وذلك قبلَ أن يُضْرَبَ عليهنّ الحجاب. قال: تقول سَوْدةُ: واللّهِ إنّي لعندهم إذْ أُتِينا، فقيل: هؤلاء الأسارى قد أُتِي بهم، فرُحْتُ إلى بيتي ورسولُ الله ﷺ فيه، وإذا أبو يَزيدَ سُهَيْلُ بنُ عمرو في ناحية الحُجْرة مجموعةً يداه إلى عُنُقه بحَبْل. قالت: فوالله ما ملكتُ نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلتُ: يا أبا يزيد، أعْطَيْتُم بأيديكم، ألاَ مُتُّم كِراماً! فواللّهِ ما أنبهني إلاّ قولُ رسول الله ﷺ من البيت: «يا سَوْدة أعَلَى اللّهِ وعلى رسوله»! قالت فقلت: يا رسولَ الله، والذي بَعَثك بالحقّ ما ملكتُ نفسي حين رأيتُ أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عُنُقه بحَبْل أن قلتُ ما قلت.

إخبار الحيسمان أهل مكة عن قتلى بدر:

قال محمد بن إسحاق: وكان أوّلُ مَنْ قَدِم مكةَ بمُصاب قريش، الحَيْسُمانَ[1] بنَ عبدالله بن إيَاس بن ضُبَيْعةَ بن رُومَان بن كعب بن عمرو الخُزَاعيّ. قالوا: ما وراءك؟ قال: قُتِل عُتْبةُ بن ربيعة، وشَيْبةُ بن ربيعة، وأبو الحَكَم بن هِشَام، وأميّةُ بن خَلَفٍ، وزَمْعةُ بن الأسْوَد، وأبو البَخْتَرِيّ بن هشام، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحَجّاج. قال: فلمّا جعل يُعَدِّد أشرافَ قريش قال صَفْوانُ بن أمَيّةَ وهو قاعدٌ في الحِجْر: واللّهِ إن يَعْقِلْ هذا فسَلُوه عنّي. قالوا: ما فعل صَفْوان بن أمَيّة؟ قال: هو ذلك جالس في الحِجْر، وقد واللّهِ رأيتُ أباه وأخاه حين قُتِلا.

/ أبو لهب وتخلفه عن الحرب ثم موته: [٢٠٥/٤]

قال محمد بن إسحاق حدّثني حُسَين بن عبدالله بن عُبَيْد الله بن عبّاس عن عِكْرِمةَ[2] مولى ابن عبّاس قال:

قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنتُ غلاماً للعبّاس بن عبد المُطّلب، وكان الإسلامُ قد دَخَلَنا أهلَ البيت، [فأسلم العبّاس][3] وأسلمتْ أمّ الفضل، وأسلمتُ، وكان العبّاس يَهَاب قومَه، ويكره خِلافَهم، وكان يكتُم إسلامَه، وكان ذا مالٍ كثير متفرّق في قومه، وكان أبو لَهَبٍ عدوُّ الله قد تخلَّف عن بدر، وبعث مكانَه العاصيَ بن هشام بن المُغِيرة، وكذلك صَنَعوا، لم يتخلَّف رجلٌ إلاّ بَعث مكانَه رجلاً. فلمّا جاء الخبر عن مُصاب أهل بَدرٍ من قريش، كَبَته الله وأخزاه، ووَجَدْنا في أنفسنا قوّةً وعزّاً؛ وكنتُ رجلاً ضعيفاً، وكنتُ أعملَ القِدَاحَ أنْحَتُها في حُجْرة زَمْزَم؛ فواللّهِ إنّي لجالسٌ فيها أنْحَتُ القِدَاحَ، وعندي أمُّ الفضل جالسة وقد سَرّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل الفاسقُ أبو لَهَبٍ يَجُرُّ رِجْلَيْهِ بِسير[4] حتى جلس على طُنُب الحُجْرة، فكان ظهرهُ إلى ظهري. فبينا هو جالس إذ قال الناسُ: هذا أبو سُفْيان بن الحارث بن عبد المُطّلب قد قَدِم؛ فقال أبو لهب: هَلُمَّ إليّ يا بنَ أخي، فعندك لَعَمْرِي الخبر. فجلس

= الحارث بن يزيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، ولم يكن لأسعد بن زرارة ذكر وليس له عقب إلا ولادات بناته هؤلاء، والعقب لأخيه سعد من زرارة».

(١) كذا في «تاريخ الطبري» (ص ١٣٣٨ من القسم الأوّل طبع أوروبا) و «سيرة ابن هشام» (ص ٤٦٠) و «شرح القاموس» مادة «حسم». وفي الأصول: «الحيثمان» بالثاء المثلثة، وهو تحريف. ثم ذكر الطبري خلافاً في نسب الحيسمان هذا فقال: «وقال الواقديّ: الحيسمان بن حابس الخزاعي». وفي «الاشتقاق» لابن دريد (ص ٢٨٠): «الحيسمان بن عمرو». وفي «أسد الغابة»: «الحيسمان بن إياس بن عبدالله بن إياس بن ضبيعة بن عمرو بن مازن». وذكر في «الإصابة» في نسبه أقوالاً كثيرة، فراجعها.

(٢) كذا في «سيرة ابن هشام». وفي سائر النسخ: «عن عكرمة بن إسحاق مولى ابن عباس» تحريف.

(٣) الزيادة عن «السيرة».

(٤) في «السيرة»: «بشرّ».

إليه والنّاسُ قيامٌ عليه. فقال يابنَ أخي أخبِرْني كيف كان أمْرُ الناس؟ قال: لا شيءَ والله، إنْ كان إلاّ أنْ لَقِيناهم فأبَحْنَاهم أكتافَنا يقتلُون ويأسِرون كيف شاؤوا. وَايْمُ اللَّهِ مع ذلك ما لُمتُ الناسَ، لَقِينا رجالاً بِيضاً على خَيْلٍ بُلْقٍ بين السماء والأرض ما تُلِيق[1] شيئاً ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعتُ طُنُبَ الحُجْرة بيدي، ثم قلتُ: تلك والله الملائكة! فرفع أبو لَهَبٍ / يدَه فضرب وجهي ضربةً شديدة. قال: فساورتُه فاحتملني فضرب بي الأرض، ثم بَرَك عليّ يضربني، وكنتُ رجلاً ضعيفاً؛ فقامت أمّ الفضل إلى عمود من عُمُد الحُجْرة فأخذتْه فضربته به ضربةً، فشجّتْ في رأسه / شَجّةً مُنْكَرة وقالت: أتَسْتَضْعِفه أنْ غاب عنه سيِّده! فقام مُوَلِّياً ذليلاً. فوالله ما عاش فيها إلاّ سبعُ ليالٍ حتى رماه الله جلّ جلاله بالعَدَسة[2] فقتلته؛ فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثاً لا يَدْفِنانه حتى أَنْتَنَ في بيته ـ وكانت قريش تتّقي العَدَسةَ كما يُتَّقَى الطاعون ـ حتى قال لهما رجلٌ من قريش وَيْحَكما! لا تَسْتَحيِيان أنّ أباكما قد أنتن في بيته لا تُغَيِّبانه! فقالا: نخشى هذه القَرْحة. قال: فانْطَلِقا فأنا معكما. فما غسَّلوه إلاّ قَذْفاً بالماء عليه من بعيد ما يَمَسُّونه؛ فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكة على جدار، وقذفوا عليه الحجارةَ حتّى وارَوْه.

[٢٠٦/٤] ٣٣/٤

العباس بن عبد المطلب وتألم النبي لأسره:

قال محمد بن إسحاق وحدّثني العبّاس بن عبدالله بن مَعْبَد عن بعض أهله عن الحَكَم بن عُتَيْبَةَ عن ابن عبّاس قال:

لمّا أمسى القومُ من يوم بَدْرٍ، والأسارى محبوسون في الوَثَاق، بات رسول الله ﷺ ساهراً أوّلَ ليلته. فقال له أصحابه: يا رسول الله، ما لك لا تنام؟ فقال: «سمعتُ تَضَوُّرَ العبّاس في وَثَاقه»؛ فقاموا إلى العبّاس فأطلقوه؛ فنام رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق وحدّثني الحسن بن عُمَارةَ عن الحكم بن عُتَيْبةَ عن ابن عبّاس قال:

كان الذي أَسَرَ العبّاسَ أبو اليَسَر كعبُ بن عمرو أخو بني سَلِمَةَ، وكان رجلاً مجموعاً، وكان العبّاس رجلاً جسيماً. فقال رسول الله ﷺ لأبي اليَسَر: / «كيف أسَرْتَ العبّاسَ يا أبا اليَسَر»؟ فقال: يا رسول الله، أعانني عليه رجلٌ ما رأيتُه قبل ذلك ولا بعده، هيئته كذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ: «لقد أعانك عليه مَلَكٌ كريم».

[٢٠٧/٤]

طلب منه النبي الفداء وأخبره عن أمواله بمكة:

قال ابن إسحاق عن الكلبيّ[3] عن أبي صالح عن ابن عبّاس:

أنّ رسول الله ﷺ قال للعبّاس بن عبد المطلب حين أُنْتُهِي به إلى المدينة: «يا عبّاس أَفْدِ نَفْسَك، وابنَ أخيك عَقِيل بن أبي طالب، ونوفلَ بن الحارث، وحليفَكَ عُتْبَةَ بن عمرو بن جَحْدَم أخا بني الحارث بن فِهْر؛ فإنك ذو مال». فقال: يا رسول الله، إنّي كنتُ مُسْلِماً ولكنّ القومَ استكرهوني. فقال: «الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما

---

(١) ما تليق شيئاً: ما تبقى على شيء؛ يقال: هذا سيف لا يليق شيئاً أي لا يمرّ بشيء إلا قطعه. وفي ب، حـ: «ما تلين»؛ وهو تحريف.
(٢) العدسة: بثرة قاتلة تخرج بالبدن.
(٣) كذا في أكثر الأصول والطبري. وفي س: «عن ابن الكلبي»، والذي يروي عنه ابن إسحاق، كما في «الأنساب» للسمعاني، هو محمد بن السائب الكلبي، ومحمد هذا يسميه الرواة كثيراً «الكلبي». وفي بعض الأحيان «ابن الكلبي». وأما هشام ابنه فيعرف بالكلبي قولاً واحداً، ولم نعرف أن ابن إسحاق روى عنه.

تذكُر حقًّا فالله يَجْزِيك به، فأمّا ظاهرُ أمرك فقد كان علينا؛ فافْدِ نفسك». وكان رسول الله ﷺ قد أخذ منه عشرين أوقِيّةً من ذهب. فقال العبّاس: يا رسول الله، احْسُبْها لي في فِدائي. قال: «لا، ذلك شيء أعطاناه الله منك». قال: فإنّه ليس لي مال. قال قال: «فأين المالُ الذي وضعته بمكة حين خرجتَ من عند أمّ الفضلِ بنت الحارث ليس معكما أحدٌ، ثم قلت لها إن أُصِبْتُ في سَفْرتي هذه فلِلْفَضْل كذا ولعبدالله كذا ولِقُثَم كذا ولعُبَيد الله كذا»؟ قال: والذي بعثَك بالحقِّ ما عَلم هذا أحدٌ غيري وغيرُها، وإنّي لأعلم أنّك رسولُ الله. ففَدَى العبّاسُ نفسَه وابنَ أخيه وحليفَه.

/ فدت زينب زوجها أبا العاصي فردّ عليها النبي الفداء: [٢٠٨/٤]

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى[١] بن عَبّاد بن عبدالله بن الزُّبَير عن أبيه عن عائشةَ قالت:

لمّا بَعَث أهلُ مكة في فِدَاء أَسْرَاهم، بعثتْ زينبُ بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاصي بن الربيع بمال، وبعثت فيه بِقِلادةٍ لها كانت خديجةُ أدخلتْها بها على أبي العاصي حين بَنَى عليها. فلمّا رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها[٢] رِقّةً شديدة وقال: «إنْ رأيتم أن تُطْلِقوا لها أسيرَها وتَرُدُّوا عليها الذي لها فافعلوا»! فقالوا: نعم يا رسول الله؛ / فأطلقوه وردّوا عليها الذي لها. ٣٤/٤

رثاء الأسود بن المطلب لأولاده:

قال ابن إسحاق. حدّثني يحيى بن عَبّاد عن أبيه قال:

ناحتْ قريش على قَتْلاَها، ثم قالت: لا تفعلوا فيبلُغَ ذلك محمداً [وأصحابه][٣] فيَشْمَتُوا بكم، ولا تبعَثوا في فِداء أَسْرَاكم حتى تَسْتَأْنُوا[٤] بهم، لا يتأرّب[٥] عليكم محمد وأصحابُه في الفِداء. قال: وكان الأَسْوَد بن المُطَّلِب[٦] قد أُصيب له ثلاثةٌ من ولده: زَمَعَةُ[٧] وعَقِيلٌ والحارث بنو الأسود، وكان يُحِبّ أن يبكي على بَنِيه. فبينا هو / كذلك [٢٠٩/٤] إذ سمع نائحةً في الليل، فقال لغلامه وقد ذهب بصرُه: انْظُرْ هل أُحِلَّ النَّحِيب؟ وهل بكت قريش على قَتْلاَها؟ لعلّي أبكي على أبي حَكِيمة (يعني زَمَعةَ)؛ فإنّ جَوْفي قدِ احترق. فلمّا رجع إليه الغلامُ قال: إنما هي امرأةٌ تبكي على بعيرٍ لها أضَلَّته؛ فذلك حين يقول الأَسْوَد:

(١) كذا في م و«السيرة» (ص ٤٦٥) والطبري (قسم أوّل ص ١٣٤٧) وفيما سيأتي في هذه الصفحة في جميع الأصول. وفي سائر الأصول هنا: «محمد بن عباد». ومحمد بن عباد هذا هو أخو يحيى بن عباد، ولم تعرف لابن إسحاق رواية عنه.

(٢) كذا في «السيرة» لابن هشام (ص ٤٦٥ طبع أوروبا). وفي الأصول: «فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رسول الله ﷺ رقة إلخ» ولعل هذا تكرار من الناسخ.

(٣) زيادة عن س.

(٤) كذا في الطبري (قسم ١ ص ١٣٤٢) و«السيرة» (ص ٤٦١). واستأني: تربص وانتظر. وفي ب، حـ: «حتى يستأنسوا بهم». وفي س: «حتى يتأسوا منهم».

(٥) كذا في الطبري. ويتأرب: يتأبى ويتشدّد. وفي «السيرة» و«اللسان» مادة أرب: «لا يأرب». وأرب: تشدّد. وفي الأصول: «ولا يتأوب» بالواو.

(٦) كذا في «السيرة» وهو الموافق لما في «حماسة أبي تمام» (ص ٣٩٧ ـ شرح التبريزي طبع أوروبا) و«الاشتقاق» لابن دريد. وفي الأصول والطبري: «ابن عبد يغوث» وهو خطأ.

(٧) انظر الحاشية رقم ٥ ص ١٨٠ من هذا الجزء.

أتبكي أنْ أُضِلَّ لها بعيرٌ ... ويَمْنَعُها البكاءُ من الهُجودِ[١]

ولا[٢] تَبْكي على بَكْرٍ ولَكِنْ ... على بَدْرٍ تَقَاصَرتِ الجُدُودُ[٣]

على بَدْرٍ سَرَاةَ[٤] بني هُصَيْصٍ ... ومَخْزومٍ ورَهْطِ أبي الوَلِيدِ

وبَكِّي[٥] إنْ بَكَيْتِ على عَقِيلٍ ... وبَكِّي حارِثاً أَسَدَ الأُسودِ

وبَكِّيهم ولا تُسْمِي جميعاً ... فما لأبي حَكِيمةَ من نَدِيدِ

ألَا قد ساد بَعْدَهُمُ رجالٌ ... ولولَا يومُ بَدْرٍ لم يَسُودُوا

[٢١٠/٤] / **رثاء هند بنت عتبة أباها:**

ومما قيل في بَدْرٍ من الشِّعر وغُنِّيَ به قولُ هند بنت عُتْبَةَ ترثي أباها:

صوت

مَنْ حَسَّ[٦] لي الأَخَوَيْنِ كَالْـ ... ـغُصْنَيْنِ أو مَنْ رَاهُمَا[٧]

قَرْمَانِ[٨] لا يَتَظالَمَا ... نِ ولا يُرامُ حِمَاهُما

وَيْلِي على أَبَوَيَّ والْـ ... ـقَبْرِ الذي وَارَاهُمَا

لا مِثْلَ كَهْلِي في الكُهُو ... لِ ولا فَتًى كَفَتَاهُما

ـ ذكر الهِشاميّ أنّ الغناء لابن سُرَيج رملٌ، وفي الكتاب الكبير المنسوب إلى إسحاق أنه للغريض ـ وتمام هذه الأبيات:

---

(١) ورد هذا البيت في «حماسة أبي تمام» و «السيرة» ص ٤٦٢ والطبري هكذا:

أتبكي أن يضل لها بعير ... ويمنعها من النوم السهود

وذكر معه في «الحماسة» الثاني والأخير من هذه الأبيات، وهما البيتان المتفقان معه في حركة الروي.

(٢) في «الحماسة» والطبري و «السيرة»: «فلا. . . . . . إلخ».

(٣) البكر: الفتيّ من الإبل. وتقاصرت الجدود أي تواضعت الحظوظ. يريد أنه يستهين فقد المال ويستعظم فقد النفوس. وتقاصرت: تفاعلت من القصور والعجز، كأنها تبارت في القصور. ويحتمل أن تكون من القصر الذي هو ضد الطول، وتكون كلمة «على» من «على بدر» موضوعة موضع الباء؛ كما يقال: هم على ماء كذا وهم بماء كذا. وقال أبو هلال: تقاصرت الجدود: عثرت. والعاثر يتطأطأ عند العثار فيتقاصر. والعثار في الجدّ مثل، وكذلك التقاصر. ويجوز أن يقال: إنه أراد بالجدود الأعمار أي إنه قتل من قتل من المشركين فذهب بهم عز قريش، أي لا تبكي على بكر وابكي على من تقاصرت جدودهم ببدر فهلكوا. (عن «شرح الحماسة» للتبريزي باختصار).

(٤) سراة: جمع سرى وهو السيد الكريم.

(٥) بكّاه بالتضعيف مثل بكاه المخفف.

(٦) حس من باب نصر كاحس.

(٧) أصل راهما: رآهما؛ فخففت فيه الهمزة على حدّ: «لا هناك المرتع»؛ فاجتمعت ألفان، فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين. (انظر «اللسان» مادة رأى).

(٨) القرم: السيد العظيم.

أشـــدانِ لا يَتَـــذَلَّـــلا نِ ولا يُـــرامُ حِمـــاهـــما
رُمْحَيـــنِ خَطِّيَّيـــن فـــي كَبِـدِ السمـــاءِ تـــراهمـــا
مـــا خَلَّفـــا إذ وَدَّعـــا فـــي سُـــودَدٍ شَـــرْوَاهمـــا[1]
ســـادًا بغيـــرِ تكلُّـــفٍ عَفْـــواً يَفِيـــضُ نَـــداهُمـــا

معاظمتها الخنساء بعكاظ وشعرهما في مصابهما:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني الحارث بن أبي أُسامة قال حدّثنا محمد بن سعد عن الوَاقِديّ، وأخبرني ابن أبي الأزهر قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقِديّ عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال:

لمّا كانت وَقعةُ بَدْرٍ، قُتِل فيها عُتْبة بن ربيعة، وشَيْبةُ بن ربيعة، والوليدُ بن عتبة؛ فأقبلتْ هند بنت عُتبة تَرْثِيهم، وبَلَغها تَسْوِيمُ[2] الخَنْساءِ هَوْدَجَها في المَوْسِم / ومُعاظمتُها العربَ بمُصيبتها بأبيها عمرو بن الشَّريد وأَخَوَيْها [٤/٢١١] صَخْرٍ ومُعاوية، وأنّها / جعلتْ تَشْهَد المَوْسِمَ وتَبْكيهم، وقد سوّمت هودجَها براية، وأنها تقول: أنا أعظم العرب ٣٥/٤ مصيبةً، وأنّ العربَ قد عرفتْ لها بعضَ ذلك. فلمّا أُصيبتْ هندُ بما أُصيبتْ به وبلغها ذلك، قالت: أنا أعظمُ من الخنساء مصيبةً، وأمرتْ بهودجها فسُوِّمَ براية، وشَهِدَتِ الموسمَ بعُكَاظ، وكانت سوقاً يجتمع فيها العرب، فقالت: اِقْرِنوا جَمَلي بجمل الخنساء، ففعلوا. فلمّا أن دنتْ منها، قالت لها الخنساء: مَنْ أنتِ يا أُخَيَّة؟ قالت: أنا هند بنت عُتْبَةَ أعظمُ العرب مصيبةً، وقد بلغني أنّكِ تُعاظِمين العربَ بمصيبتك، فَبِم تُعاظِمينَهم؟ فقالتِ الخنساء: بعَمْرِو بن الشَّرِيدِ، وصَخْرٍ ومُعَاوية ابني عمرو، وبِمَ تُعاظِمينَهم أنتِ؟ قالت: بأبي عُتْبَةَ بنِ ربيعة، وعَمِّي شيبةَ بنِ ربيعة، وأخي الوليد. قالت الخنساء: أوَ سَوَاءٌ هُمْ عندكِ؟ ثم أنشدتْ تقول:

أُبَكِّـي أبـي عَمْـراً بعيـنٍ غَـزِيـرَةٍ قليـلٌ إذا نـام الخَلِـيُّ هُجـودُهـا
وصِنْـوَيَّ لا أَنْسَـى مُعَـاويـةَ الـذي لـه مـن سَـرَاةِ الحَـرَّتَيْـن[3] وُفُـودُهـا
وصخـراً، ومَـنْ ذا مثـلُ صخـرٍ إذا غَـدَا بسـاهمـةِ[4] الآطـالِ قُبّـاً يَقُـودُهـا
فـذلـك يـا هنـدُ الـرَّزِيَّـةُ فـاعْلَمِـي ونِيـرانُ حَـرْبٍ حيـن شَـبَّ وَقُـودُهـا

/ فقالت هندٌ تُجيبها: [٤/٢١٢]

أبَكِّـي عَمِيـدَ الأَبْطَحَيْـنِ[5] كِلَيْهِمـا وحـامِيهمـا مـن كـل بـاغٍ يُـريـدهـا

---

(١) شرواهما: مثلهما.
(٢) سوّم الشيء: جعل له سومة وعلامة ليعرف بها ويتميز.
(٣) الحرّة: الأرض ذات الحجارة السود النخرة. والمراد بالحرّتين: حرة بني سليم وحرة بني هلال بالحجاز. أي هو مقصد الأشراف من القبائل تأتيه وفودها فيما يلم بها.
(٤) كذا في «ديوان الخنساء» (طبع المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٨٩٥). والساهمة: الدقيقة. والآطال: جمع إطل (بالكسر وبكسرتين) وهو الخاصرة. وفي م: «بسلهبة الآطال» والسلهبة: من الخيل الطويلة على وجه الأرض. وفي سائر الأصول: «الأبطال» وهو تحريف. وفي نسخة مخطوطة من «الديوان» محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٧٠ أدب ص ٨٦): «بساهمة الأبصار قب». والقب: جمع أقب وقباء، وهي الفرس الدقيقة الخصر الضامرة البطن.
(٥) عميد القوم: سندهم وسيدهم. وتريد بالأبطحين: بطحاء مكة وسهل تهامة. وأصل الأبطح: المسيل الواسع فيه دقاق الحصى.

أَبِي عُتْبَةُ الخَيْراتِ وَيْحَكِ فاعْلَمِي ... وشَيْبَةُ والحامي الذِّمارَ وليدُها

أولئك آلُ المَجْدِ من آلِ غالبٍ ... وفي العِزِّ منها حين يَنْمِي عَدِيدُها[1]

وقالت لها أيضاً يومئذ:

مَنْ حَسَّ لِي الأَخَوَيْنِ كَالْـ ... ـغُصْنَيْنِ أو مَنْ رَاهُمَا

لم ينكر معاوية على عبدالله بن جعفر سماعه الغناء:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني بعض القُرَشيّين قال:

قَدِم عبدُالله بن جعفر على معاوية وافداً، فدخل عليه إنسانٌ ثم ذهب إلى معاوية فقال: هذا ابنُ جعفر يشرَب النَّبيذَ، ويسمَع الغناء، ويُحرِّك رأسَه عليه. فجاء مُعاويةُ مُتَغيِّراً حتّى دخل على ابن جعفر، وعَزَّةُ المَيْلاءُ بين يديه كالشمس الطالعة في كِوَاء[2] البيت يُضِيء بها البيتُ، تُغَنِّيه على عُودها:

تَبَلَتْ[3] فُؤادَكَ في الظَّلامِ خَرِيدةٌ ... تَشْفِي الضَّجِيعَ ببارِدٍ بَسَّامِ

وبين يديه عسٌّ[4]؛ فقال: ما هذا يا أبا جعفر؟ قال: أقسمتُ عليك يا أمير المؤمنين لَتَشْرَبَنَّ منه، فإذا عسلٌ مَجْدُوحٌ[5] بمِسْكٍ وكافور. فقال: هذا طَيِّبٌ، فما هذا الغناء؟ قال: هذا شعرُ حَسَّانَ بن ثابت في الحارث بن هشام. قال: فهل تُغَنِّي بغير هذا؟ / قال: نعم، بالشعر الذي يأتيك به الأعرابيّ الجافي[6] الأذفَر، القبيحُ المَنْظَر، فيُشافهُك به، فتُعطيه عليه؛ وآخذه أنا، فأختار محاسنه ورقيق كلامه، فأعطيه هذه الحسَنة الوجه، اللَّيِّنة اللمْس، الطيبة الريح، فتُرَتّله بهذا الصوت الحسن. قال: فما تحريكُكَ رأسَك؟ قال: أَرْيَحِيَّةٌ أجِدُها إذا سمعت الغناء، لو سُئلتُ عندها لأعطيتُ، ولو لَقِيتُ لأَبْلَيْتَ. فقال معاوية: قَبَّح اللَّهُ قوماً عَرَّضوني لك. ثم خرج وبَعَث / إليه بِصِلَةٍ.

[٤/٢١٣]

٣٦/٤

صوت

من المائة المختارة

عمر بن أبي ربيعة ونعم:

أيُّها القلبُ لا أراكَ تُفِيقُ ... طَالَما قد تَعَلَّقَتْكَ العَلُوقُ[7]

مَنْ يَكُنْ مِنْ هَوَى حبيبٍ قريباً ... فأنا النازِحُ البعيدُ السَّحِيقُ

---

(١) عديدها: جموعها.

(٢) كواء البيت: منافذه وثقوبه، واحدها كُوَّة. وفي م: «كسر البيت». وفي سائر الأصول: «كذا البيت» بالدال المهملة، وهو تحريف.

(٣) ورد هذا البيت في «ديوان حسان» (طبع أوروبا ص ٣) هكذا:

تبلت فؤادك في المنام خريدة ... تسقي الضجيع ببارد بسام

وتبلت فؤادك: أسقمته وذهبت به.

(٤) العس (بالضم): القدح الكبير.

(٥) مجدوح: مخلوط.

(٦) الجافي: الغليظ في المعاشرة. والأدفر (بالدال المهملة): النتن.

(٧) يريد به ما علقه من كلف الحب وجهده.

قُضِيَ الحُبُّ بيننا فالتقينا وكلانا إلى اللقاء مَشُوقُ

الشعر في البيت الأوّل والثالث لعُمَر بن أبي ربيعة، والبيت الثاني ليس له، ولكن هكذا غُنّي؛ وليس هو أيضاً مُشَاكِلاً لحكاية ما في البيت الثالث. والغناء لبَابَوَيْهِ[1] الكُوفيّ، خفيفُ ثقيلٍ أوّل. وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من قريش، يقال لها نعم، كان كثيرَ الذِّكر لها في شعره. أخبرني بذلك محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان عن أبي عبدالله التَّمِيميّ عَنِ القَحْذَميّ والمَدَائنيّ. قال: وهي التي يقول فيها:

* أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ *

/ قال: وكانتْ تُكْنَى أُمَّ بَكْر، وهي من بني جُمَحَ. وتمامُ هذه الأبيات على ما حكاه ابن المَرْزُبان عمّن ذكرتُ: [٢١٤/٤]

فالتَقَيْنا ولم نَخَفْ ما لَقِينَا ليلةَ الخَيْفِ، والمُنَى قد تَشُوقُ[2]

وجرى بيننا فجدّد وصلا قُلَّبٌ[3] حُوَّلٌ أريبٌ رفيقُ

لا تَظُنّي أنّ التَّراسُلَ والبَذْ لَ لكلّ النساءِ عندي يَلِيقُ

هل لكَ اليومَ إنْ نأتْ أُمُّ بَكْرٍ وتَولَّتْ إلى عَزَاءٍ طريقُ

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حُدِّثْتُ عن محمد بن حُمَيْد عن عبدالله بن سَوّار القاضي عن بِشْر بن المُفَضَّل قال:

بلَغ عُمَرَ بنَ أبي ربيعة أنّ نُعْماً اغتسلتْ في غَدِيرٍ، فأتاه فأقام عليه، وما زال يشرَب منه حتى جَفّ.

أخبرني محمد بن خَلَفٍ قال: قال محمد بن حَبِيبَ الراوية:

بلَغني أنّ نُعْماً استقبلتْ عمرَ بن أبي ربيعة في المسجد الحرام، وفي يدها خَلُوقٌ[4] من خَلُوق المسجد، فمسحتْ به ثوبه، ومضتْ وهي تضحك؛ فقال عمر:

أدخلَ اللّهُ ربُّ موسى وعيسى جَنّةَ الخُلْدِ مَنْ مَلاَنِي خَلُوقَا

مسحتْه مِن كَفِّها في قميصي حين طافتْ بالبيت مَسْحاً رَفِيقَا

غَضِبَتْ أنْ نظرتُ نحوَ نساءٍ ليس يَعْرِفْنَنِي سَلَكْنَ طريقَا

وأرى بينها وبين نساءٍ كنتُ أَهْذِي بِهِنّ بَوْناً سَحِيقَا

وهذا البيت الأوّل مما عِيب على عمر.

/ ومما غُنّي فيه من تَشْبِيبِ عمرَ بنُعْمٍ هذه: [٢١٥/٤]

(١) في الأصول: «لباتويه» بالتاء المثناة، وهو تصحيف.
(٢) كذا في أكثر الأصول. وفي م وجميع نسخ «ديوانه»: «تسوق» بالسين المهملة.
(٣) القُلّب الحوّل: المحتال البصير بتقليب الأمور.
(٤) الخلوق: ضرب من الطيب مائع فيه صفرة؛ لأن أعظم أجزائه من الزعفران.

صوت

دِينَ[١] هذا القلبُ مِنْ نُعُمِ بِسَقَامٍ[٢] ليس كالسُّقُمِ
إنّ نُعْماً أقصدتْ[٣] رجلاً آمناً بالخَيْفِ إذ ترمي
بِشَتِيتٍ[٤] نَبْتُه رَتِلٍ طَيِّبِ الأنيابِ والطَّعْمِ
/ وبِوَحْفٍ[٥] مائلٍ رَجِلٍ كعناقيدَ مِن الكَرْمِ

٣٧/٤

ومنها:

صوت

خَلِيلَيَّ أَرْبَعَا[٦] وسَلاَ بِمَغْنَى الحَيِّ قد مَثَلاَ
بأعلَى الوادِ[٧] عند البِئْرِ هَيَّجَ عَبْرةً سَبَلاَ[٨]
وقد تَغْنَى به نُعُمٌ وكنتَ بِوَصْلِها جَذِلاَ
/ لَيَالِيَ لا نُحِبُّ لنا بِعَيْشٍ قد مَضَى بَدَلاَ
وتَهْوَانَا ونَهْوَاها ونَعْصِي قَوْلَ مَنْ عَذَلاَ
وتُرْسِلُ في مُلاَطَفَةٍ ونُعْمِلُ نحوَها الرُّسُلاَ

[٤/٢١٦]

غنّاه الهذليّ، ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأول بالسبّابة في مجرى الوُسْطَى عن إسحاق. وفيه لابن سُرَيج لحنانِ: رَمَلٌ بالبِنْصَر في مجراها عن إسحاق، وخفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها عن إسحاق ثاني ثقيلٍ، ولسُلَيْمٍ خفيفُ رملٍ، جميعاً عن الهِشاميّ. قال: ويقال: إنّ اللحنَ المسوب إلى سُلَيْمٍ لِحَكَم[٩] الواديّ.

ومنها من قصيدة أوّلها:

---

(١) دين: جوزي وكوفي.

(٢) كذا في «اللسان» (مادة دين). وفي الأصول. «وسقام» بواو العطف. وورد هذا البيت في «ديوان عمر بن أبي ربيعة» (ص ٥٧ طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١١ هـ وطبع أوروبا ص ٨٤) هكذا:

قد أصاب القلب من نعم سُقْمُ داء ليس كالسقم

(٣) أقصده: أصابه فقتله.

(٤) الثغر الشتيت: المفلّج، وهو أن يكون بين أسنانه تباعد. ورتل (وزان كتف وسبب): مستو حسن التنضيد.

(٥) الوحف: الشعر الكثيف المسودّ. والرجل من الشعر (بفتح الراء وكسر الجيم، ومثله الرجل بفتح الراء والجيم): ما كان بين السبوطة والجعودة.

(٦) أربعاً: أقيما. ومغني الحيّ: محل إقامتهم. ومثل: قام وانتصب.

(٧) الوادي: كل منفرج بين الجبال والتلال والآكام يكون مسلكاً للسيل ومنفذاً. وربما اكتفى فيه بالكسرة عن الياء؛ كما قال أبو الرُّبَيس التغلبي:

لا صلحَ بيني فاعلموه ولا بينكم ما حملتْ عاتقي
سيفي وما كنا بنجد وما قرقر قُمْرُ الواد بالشاهق

(٨) سبل (بالتحريك): اسم المصدر من أسبل المطر والدمع إذا هطلا؛ ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع إذا وصف به.

(٩) في م: «لسليمان». وفي سائر الأصول: «السليم الوادي».

لقـــد أرسلـــتْ نُعْـــمٌ إلينـــا أن ائْتِنَـــا فـــأحبِبْ بهـــا مـــن مُـــرْسِـــلٍ مُتَغَضِّـــبِ

يُغَنَّى منها في قوله:

صوت

فقلـتُ لِجَنَّـادٍ خُـذِ السيـفَ واشْتَمِـلْ عليـه بِـرِفْـقٍ وارْقُـبِ الشمـسَ تَغْـرُبِ

وأَسْرِجْ لِيَ الدَّهْمـاءَ واعْجَـلْ بِمِمْطَـرِي[1] ولا تُعْلِمَـنْ حَيًّـا مِـنَ النّـاسِ مَـذْهَبِـي[2]

فلمّـــا التقينـــا سَلّمـــتْ وتبَسّمـــتْ وقـــالـــتْ مقـــالَ المُعْـــرِضِ المُتَجَنِّـــبِ

أَمِــنْ أجـلِ واشٍ كـاشـحٍ[3] بنميمـةٍ مَشَــى بيننـــا صَــدَّقْتَــه لــم تُكَــذِّبِ

وقَطَّعْـتَ حبـلَ الـوصـلِ منّـا، ومَـنْ يُطِـعْ بِــذي ودِّه قــولَ المُــؤرِّشِ[4] يُعْتَــبِ

[٢١٧/٤]

/ صوت

مـــا بـــالُ أهْلِـــكِ يـــا رَبـــابُ خُـــزْراً[5] كـــأنّهُـــمُ غِضَـــابُ

إنْ زُرْتُ أهلَـــــكِ أوْعَـــــدُوا وتَهِـــرّ دونَهُـــم الكـــلابُ

عروضه من الكامل[6]. الشعر لعَلَس ذي جَدَنٍ الحِمْيَرِيّ، أخبرنا بذلك محمد بن الحسن بن دُرَيْد عن عمّه عن العبّاس بن هشام عن أبيه. والغناء لطُوَيْس؛ ولحنُه المختار خفيفُ رَمَلٍ بالبِنصر.

نسب علس ذي جدن وأخباره

نسبه وسبب لقبه:

هو عَلَسُ بن زيد بن الحارث بن زيد بن الغَوْث بن سَعْد بن عَوْف بن عَدِيّ بن مالك بن زيد[7] الجُمهور بن سَهْل بن عمرو بن قَيْس بن مُعاوية بن جُشَمَ بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهَيْر بن أعز[8] بن الهمّ بن الهَمَيْسَع بن حِمْيَر بن سَبَأ بن يَشْجُب بن / يَعْرُب بن قَحطان. وهو مَلِكٌ من ملوك حِمْيَر. ولُقّب ٣٨/٤

---

(١) الممطر والممطرة (بكسر الميم فيهما): ثوب من صوف يلبس في المطر يتوقى به منه.

(٢) هذه رواية «الديوان» في هذا الشطر. وفي الأصول:

* ولا يعلمن حيّ من الناس مذهبي *

وفي هذه الأبيات اختلاف يسير عما في «الديوان».

(٣) الكاشح: العدوّ المضمر للعداوة؛ لأنه يطوي كشحه على العداوة أو لأنه يتباعد عنك ويوليك كشحه.

(٤) أرّش بين القوم: أفسد. وفي س: «المحرش». والمحرّش: الذي يغري بعض القوم ببعض.

(٥) خزراً: جمع أخزر. والأخزر: الذي ينظر بلحظ عينه.

(٦) هو من مجزوء الكامل المرفل.

(٧) في «نهاية الأرب» (ج ٢ ص ٣٠٨ طبعة أولى) عند كلامه على نسب أحد ولد الهميسع بن حمير: «... زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عديّ بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة، وهم حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو... إلخ» ويلاحظ أن بين سياق النسبين خلافاً.

(٨) في «نهاية الأرب» (ص ٣٠٩): «ابن زهير بن أيمن بن الهميسع». وفي كتاب «العبر» لابن خلدون (ج ٢ ص ٥١ طبع بلاق): «زهير بن أيين بن الهميسع».

ذا جَدَنٍ لحسن صوته ـ والجَدَن: الصوت بلغتهم ـ ويقال: إنه أوّل من تَغَنّى باليمن.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ وأبي مِسْكين قالا: إنّما سُمّي ذا جَدَنٍ لحسن صوته.

٢١٨/٤ / قبره بصنعاء وآثاره:

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنا عبدالله بن أبي سَعْد قال حدّثنا عليُّ بن الصَّبّاح عن ابن الكَلْبيّ عن إسماعيل بن إبراهيم بن ذي الشَّعَار الهَمْدانيّ عن حَيّان بن هانىء الأَرْحَبيّ عن أبيه قال:

أخبرني رجلٌ من أهل صَنْعاء: أنّهم حفَروا حفيراً في زمن مَرْوان، فوقفوا على أَزَجٍ[1] له بابٌ، فإذا هم برجل على سريرٍ كأعظم ما يكون من الرجال، عليه خاتمٌ من ذهب وعِصابةٌ من ذهب، وعند رأسه لَوْحٌ من ذهب مكتوبٌ فيه: «أنا عَلَس ذو جَدَنِ القَيْلُ، لخليلي منّي النَّيْل، ولعَدُوّي منّي الوَيْل. طلبت فأدركتُ وأنا ابن مائة سنةٍ من عمري، وكانتِ الوَحْشُ تأذَنُ[2] لصوتي. وهذا سيفي ذو الكَفّ عندي، ودِرْعي ذاتُ الفُروج ورُمْحي الهِزَبْرِيّ، وقوسي الفَجْواء[3]، وقَرَني[4] ذاتُ الشرّ، فيها ثلاثمائة حَشْر، من صَنْعة ذي نَمِرٍ[5]؛ أعددت ذلك لدفع الموت عنّي فخانني». قال: فنظرنا فإذا جميعُ ذلك عنده. ووجدت هذا الخبر عن ابن الكلبيّ في بعض الكتب من غير رواية ابن عَمّار، فوجدت فيه: فإذا طولُ السيف اثنا عشر شبراً، وعليه مكتوبٌ تحت شاربِه[6] بالمُسْنَدِ[7]: «بِاسْتِ امرىء كنتَ في يده فلم يَنْتَصِر».

انقضت أخباره.

---

(١) عبارة «القاموس» و «شرحه» مادّة أزج: «الأزج محركة: ضرب من الأبنية». وفي «الصحاح» و «المصباح» و «اللسان»: الأزج: بيت يبنى طولاً ويقال له بالفارسية أوستان.

(٢) تأذن كتفرح: تسمع. يشير بذلك إلى جمال صوته.

(٣) القوس الفجواء: هي التي يبين وترها عن كبدها، ومثل الفجواء الفَجّاء والمنفجّة.

(٤) القرن: الجعبة. والحشر: الدقيق من الأسنّة.

(٥) ذو نمر: واد بنجد في ديار بني كلاب. (انظر «معجم ياقوت» في نمر، وكتاب «ما يعوّل عليه في المضاف والمضاف إليه» في «ذي نمر»).

(٦) للسيف شاربان وهما، كما قال ابن شميل، أنفان طويلان أسفل القائم، أحدهما من أحد الجانبين والآخر من الجانب الآخر، وتحتهما الغاشية. والشارب والغاشية يكونان من حديد وفضة وأدم.

(٧) المسند: خط لحمير، وهو موجود بكثرة في الحجارة وقصور اليمن، وترى صورته في كتاب «منتخبات في أخبار اليمن» (ص ٥٢ طبع ليدن) وكتاب «تاريخ الأدب» للمرحوم حفني ناصف بك (ج ١ ص ٥٠ طبع مصر).

/ أخبار طُوَيس[1] ونسبه [٤/٢١٩]

أوّل من صنع الهزج والرمل واشتهر بالهزج:

طُوَيسٌ لَقَبٌ، واسمه طاوُس[2]، مولى بني مخزوم. وهو أوّلُ مَنْ غنّى الغِناءَ المُتْقَنَ من المخنَّثين. وهو أوّلُ مَن صنع الهَزَجَ والرَّمَلَ في الإسلام. وكان يقال: أحسنُ الناس غناءً في الثَّقِيل ابنُ مُحرِز، وفي الرمَل ابنُ سُرَيْج، وفي الهزج طُوَيْس. وكان الناس يَضْرِبون به المَثَلَ، فيقال: «أَهْزَجُ من طُوَيس».

غنى أبان بن عثمان بالمدينة فطرب وسأله عن عقيدته وعن سنه وعن شؤمه:

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهَر والحسين بن يحيى قالا: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكَلْبيّ عن أبيه وأبي مِسْكين، قال إسحاق: وحدّثني المدائنيّ والهَيْثَم بن عَدِيّ عن صالح بن كَيْسان:

أنّ أبانَ بن عثمان وفَد على عبد الملك بن مَرْوان، فأمَّرَه على الحجاز؛ فأقبل حتّى إذا دنا من المدينة تلقّاه أهلُها، وخرَج إليه أشرافُها، فخرج معهم طُوَيْس؛ فلمّا رآه سلَّم عليه، ثم قال له: أيها الأمير، إنّي كنتُ أعطيتُ اللّهَ عهداً لئن رأيتُك أميراً لأخضِبَنَّ يديّ إلى المِرْفَقَيْن، ثم أزْدُو[3] بالدُّفّ بين يديك، ثم أبْدَى عن دُفّه وتغنّى بشعر ذي جَدَنٍ الحِمْيَرِيّ:

مـــا بـــالُ أهلِـــكِ يـــا ربـــابُ ... خُـــزْراً كـــأنّهُـــم غِضـــابُ

قال: فطَرِب أبَان حتى كاد أن يطير، ثم جعل يقول له: حَسْبُك يا طاوُس - ولا يقول له: يا طُوَيس لِنُبْلِه في عينه - ثم قال له: اجْلِسْ فجلَس. فقال له أبان: قد زعموا أنّك كافر. فقال: جُعِلتُ فِداءَك! والله إنّي لأشْهَدُ أنْ لا إلَهَ / إلاّ اللّهُ وأنّ محمداً رسولُ الله، وأصَلّي الخمسَ، وأصوم شهرَ رمضان، وأحُجُّ البيت. فقال: أفأنت أكبرُ أم [٤/٢٢٠] عمرو بن عثمان؟ - وكان عمرٌو أخا أبَان لأبيه وأمّه - فقال له طويس: أنا والله، جُعِلتُ فداءك، مع جلائل[4] نساء قومي، أُمْسِكُ بذُيولهنّ يومَ زُفّتْ أُمُّك المباركةُ إلى أبيك الطيِّب[5]. قال: فاستحيا أبَان ورَمَى بطَرْفه إلى الأرض.

---

(١) تقدمت لطويس ترجمة أخرى في الجزء الثالث من هذه الطبعة (صفحة ٢٧ ـ ٤٤). وقد ذكرنا هناك ما قد يكون سبباً في تكرار الترجمة، وبينا سبب عدم ضمنا إحدى الترجمتين إلى الأخرى.

(٢) تقدم في ترجمته في الجزء الثالث من هذا الكتاب أن اسمه عيسى بن عبدالله.

(٣) أزدو: أضرب.

(٤) كذا في حـ، ط،ء. وفي سائر النسخ: «حلائل» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.

(٥) قال ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (ج ٣ ص ٢٤٢) بعد أن ساق هذه القصة: «انظر إلى حذفه ورقة أدبه كيف لم يقل أمك الطيبة إلى أبيك المبارك». وفسر ذلك الجاحظ في كتابه «الحيوان» (ج ٤ ص ١٩) فقال: «ولو قال شهدت زفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك لم يحسن ذلك؛ لأن قولك طيب إنما يدل على قدر ما اتصل به من الكلام، وقد قال الشاعر:

* والطيبون معاقد الأُزُر *

وقد يخلو الرجل بالمرأة فيقول وجدتها طيبة، يريد طيبة الكَوْم (الوطء) لذيذة نفس الوطء».

٣٩/٤ وأخبرني بهذه / القصة إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال حدّثنا العُتْبيّ عن أبيه بمثل هذه القصة عن أبان وطُوَيس. وزاد فيها أنّ طُوَيْساً قال له: نَذْرِي أيّها الأمير! قال: وما نَذْرُك؟ قال: نذرتُ إنْ رأيتُك أميراً في هذه الدار أنْ أغنّيَ لك وأزْدُو بِدُفّي بين يديك. فقال له: أَوْفِ بنَذْرِك؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يُوفُونَ بالنَّذْرِ﴾. قال: فأخرجَ يديه مخضوبتين، وأخرج دُفَّه وتَغَنّى:

* ما بالُ أهلِكِ يا ربابُ *

وزاد فيه: فقال له أبَان: يقولون: إنّك مشؤوم، قال: وفوق ذلك! قال: وما بلَغ من شُؤمك؟ قال: وُلِدتُ ليلةَ قُبِض النبيّ ﷺ، وفُطِمْتُ ليلةَ مات أبو بكر رضي الله عنه، واحتلمتُ ليلةَ قُتِل عُمَر رضوانُ الله عليه، وزُفَّتْ إليّ أهلي ليلةَ قُتِل عثمانُ رضي الله عنه. قال: فاخرُجْ عنّي عليك الدَّبَارُ[١].

أهدر دمه أمير المدينة مع المخنثين:

أخبرني إسماعيل قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمد بن الوليد قال حدّثني مُصْعَب بن عثمان عن نَوْفَل بن عُمَارةَ قال:

[٤/٢٢١] / خرج يحيى[٢] بن الحكم وهو أمير على المدينة، فبَصُر بشخصٍ بالسَّبَخة مما يلي مسجدَ الأحزاب، فلمّا نظر إلى يحيى بن الحكم جلَس، فاستراب به، فوجّه أعوانه في طَلَبه؛ فأُتِي به كأنه امرأةٌ في ثياب مُصَبَّغة مصقولة وهو مُمْتَشِطٌ مُخْتَضِبٌ. فقال له أعوانه: هذا ابن نُغَاش[٣] المُخَنَّث. فقال له: ما أحْسِبُك تقرأ من كتاب الله عزّ وجلّ شيئاً، اِقرأ أُمّ القرآن. فقال: يا أبانَا لو عرفت أُمّهنّ عرفتُ البناتِ. فقال له: أتتهزّأ بالقرآن لا أُمّ لك! وأمر به فضُرِبتْ عُنُقُه. وصاح في المخنّثين: مَنْ جاء بواحدٍ منهم فله ثلاثمائة[٤] درهم. قال زَرْجُون المخنَّث: فخرجتُ بعد ذلك أريد العالِيَةَ، فإذا بصوت دُفٍّ أعجبني، فدنوتُ من الباب حتى فَهِمْتُ نَغَماتِ قومٍ آنَسُ بهم، ففتحتُه ودخلتُ، فإذا بطُوَيْس قائمٌ في يده الدُّفّ يتغنّى؛ فلمّا رآني قال لي: إيه يا زَرْجون! قَتَل يحيى بنُ الحَكَم ابنَ[٥] نُغَاش؟ قلتُ نعم. [قال][٦]: وجَعَل[٧] في المخنّثين ثلاثمائة درهم؟ قلتُ نعم. فاندفع يُغَنّي:

ما بالُ أهلِكِ يا ربابُ ... خُزْراً كأنّهمُ غِضابُ
إن زرتُ أهلَكِ أوعدوا ... وتَهِرّ دونهمُ كِلابُ

ثم قال لي: وَيْحَك! أفَما جعلَ فيّ زيادةً ولا فَضَّلني عليهم في الجُعْلِ بفضلي [شيئاً][٨].

---

(١) كذا في أكثر الأصول. وفي م: «الدمار» ومعناهما: الهلاك.

(٢) ساق المؤلف هذا الخبر في الجزء الثالث من هذا الكتاب (ص ٢٩ من هذه الطبعة) منسوباً لأخيه مروان، وكلاهما ولي المدينة.

(٣) في الخبر السابق بالجزء الثالث: «النغاشي».

(٤) في الخبر السابق: «عشرة دنانير».

(٥) في ب، س: «قال ابن نغاش» بزيادة «قال». ولا يستقيم معها السياق.

(٦) زيادة في ط، و.

(٧) في ب، س: «أوجعل» بهمزة الاستفهام. على أن الاستفهام مفهوم من سياق الكلام.

(٨) زيادة عن م، س.

/ مالك بن أنس وحسين بن دحمان الأشقر: [٤/٢٢٢]

أخبرني محمد بن عمرو[(١)] العَتّابيّ قال حدّثنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان ـ ولم أسمعه أنا من[(٢)] محمد بن خلف ـ قال حدّثني إسحاق بن محمد بن أَبَان الكوفيّ قال حدّثني حُسين بن دَحْمَان الأشْقَر قال:

كنتُ بالمدينة، فخَلَا لي الطريق وَسَطَ النهار، فجعلتُ أتغنّى:

مـا بـالُ أهلِـكِ يـا رَبـابُ خُـزْراً كـأنّهـمُ غِضـابُ

قال: فإذا خَوْخةٌ[(٣)] قد فُتِحتْ، وإذا وجهٌ قد بدا تَتْبَعُه لِحْيةٌ حمراء، فقال: يا فاسقُ أسأتَ التأدية، ومنعتَ القائلة، وأذعتَ الفاحشةَ؛ ثم اندفع يُغَنِّيه، فظننتُ أنّ طُوَيْساً قد نُشِر بعينه[(٤)]؛ فقلت له: أصلحك اللّهُ! مِنْ أين لك هذا الغِناءُ؟ فقال: نشأتُ وأنا غلامٌ حَدَثٌ أتْبَعُ المُغَنِّين وآخُذ عنهم، فقالت لي أُمّي: يا بُنَيّ إنّ المُغَنِّي إذا كان قبيحَ الوجه لم يُلْتَفَتْ إلى غِنائه، فدَعِ الغِناءَ واطلُبِ الفقه؛ فإنه لا يضرّ معه قبحُ الوجه. فتركتُ المُغَنِّين واتَّبعتُ الفقهاء، فبلّغ الله بي عزّ وجلّ ما ترى. فقلتُ له: فأعِدْ جُعِلتُ فداءك! قال: لا ولا كرامةَ! أتريد أن تقول: أخذتُه / عن مالك بن أنَسٍ! وإذا هو مالك بن أنس ولم أعلم.

[٤/٢٢٣]

/ صوت

من المائة المختارة

لِمَـنْ رَبْـعٌ بـذات الجَيْـ ـشِ أمْسَـى دارسـاً خَلَقَـا
وقفــتُ بــه أُســائلُــه ومَــرّتْ عِيسُهــم حِــزَقَــا[(٥)]
عَلَــوْا بــك ظــاهــرَ البَيْـدا ءِ والمحــزونُ قــد قَلِقَــا

حديث النبي عن انخساف الأرض بجيش يغزو الكعبة:

ـ ذات الجيش: موضع. ذكر النبيّ ﷺ أنّ جيشاً يغزو الكعبة، فيُخْسَفُ بهم إلاّ رجلاً واحداً يُقَلَّب وجهُه إلى قَفَاه، فيرجع إلى قومه كذلك، فيخبرُهم الخبر. حدّثني بهذا الحديث أحمد بن محمد الجَعديّ قال حدّثنا محمد بن بَكّار قال حدّثنا إسماعيل بن زكريّا عن محمد بن سُوقةَ قال سمعتُ نافعَ بن[(٦)] جُبَيْر بن مُطْعِمٍ يقول حدّثتني عائشةُ قالت:

قال رسولُ الله ﷺ: «يغزو جيشٌ الكعبةَ حتى إذا كانوا ببَيْداءَ من الأرض خُسِفَ بأوّلِهم وآخِرهم». قالت

---

(١) كذا في ط، ء. وفي حـ: «محمد بن عمرو العباسي القرشي». وفي ب، س: «محمد بن عمر العباسيّ القرشي». وفي م: «محمد بن العمرو الغنائي القرشي». وقد بحثنا عنه في «إنباه الرواة» للقفطي و «معجم الأدباء» لياقوت و «تاريخ ابن خلكان» و «نزهة الألباء» لابن الأنباري و «بغية الوعاة» للسيوطي و «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني، فلم نجده حتى نرجح إحدى هذه الروايات.

(٢) هذه الجملة المعترضة ساقطة من ء، ط.

(٣) الخوخة: البويب، أو الباب الصغير في الباب الكبير.

(٤) كذا في حـ، س، م. وفي باقي الأصول: «يغنيه» بصيغة الفعل المضارع.

(٥) حزقاً: جماعات، واحده حزقة.

(٦) كذا في أكثر الأصول، وهو الموافق لما في الطبري و «تهذيب التهذيب». وفي ء، ط: «نافع بن حسن بن معظم» وهو تحريف.

عائشة: فقلت يا رسولَ الله، كيف يُخْسَفُ بأوّلهم وآخرهم وفيهم سِوَاهم ومَنْ ليس منهم؟ قال: «يُخْسَفُ بأوّلهم وآخِرهِم ثم يُبْعَثُون على [قَدْرِ][1] نيّاتهم» - الشعر للأحْوَص، والغِناءُ في هذا اللحن المختار للدّلاَل المخنَّث وهو أحد مَنْ خَصَاه ابن حَزْم بأمر الوليد بن عبد الملك مع المخنَّثين. والخبرُ في ذلك يُذْكَرُ بعدُ. ولحنُه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر في الأوّل والثالث. ولإسحاق فيه ثقيلٌ أوّلُ آخَر. وفيه لمالك لحنٌ من خفيف الرّمل عن يونس والهشاميّ وغيرهما. وفيه رملٌ يُنْسَبُ إلى ابن سُرَيْج، وهو مما يُشَكُّ في نسبته إليه. وقيل: إنّ خفيف الرَّمَل لابن سُرَيْج، والرّمل لمالك. وذكر حَبَشٌ أنّ فيه للدّلاَل خفيفَ ثقيلٍ بالبِنْصَر أيضاً.



(١) الزيادة عن م، س.

/ ذكر الأحوص وأخباره ونسبه [٤/٢٢٤]

اسم الأحوص ولقبه ونسبه:

هو الأحوص. وقيل: إنّ اسمه عبدالله، وإنّه لُقِّبَ الأَحْوَصَ لِحَوَصٍ[1] كان في عينيه. وهو ابن محمد بن عبدالله بن عاصِم بن ثابِت بن أبي الأَقْلَح ـ واسم أبي الأقْلَح قيس ـ بن عُصَيْمَةَ بن النُّعْمان بن أُمَيَّةَ بن ضُبَيْعَةَ بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عَمْرو بن عَوْف بن مالك بن الأَوْس. وكان يقال لبني ضُبَيْعَةَ بْن زيدٍ في الجاهلية: بنو كِسْرِ الذَّهَب. وقال الأحوص حين نُفِي إلى اليمن:

بَدّل الدَّهْرُ من ضُبَيْعةَ عَكّاً[2] جِيرةً وهو يُعْقِبُ الأَبْدالا

سبب تسمية جدّه عاصم حميّ الدبر:

وكان جدّه عاصمٌ يقال له حَمِيّ الدَّبْر؛ وكان رسولُ الله ﷺ بَعَثه بَعْثاً، فقتله المشركون؛ وأرادوا أن يصلُبوه فحمتْه الدَّبْر، وهي النَّحْل، فلم يَقْدِروا عليه، حتى بَعَثَ اللَّهُ عزّ وجلّ الوادِيَ[3] في الليل فاحتمله فذَهَب به. وفي ذلك يقول الأحْوَصُ مفتخراً:

وأنا[4] ابنُ الذي حَمَتْ لحمَه الدَّبْـ ـرُ قتيلِ اللَّحْيانِ[5] يومَ الرَّجيعِ

قصة وفد عضل والقارة وقتل البعث الذي أرسل معهم:

حدّثنا بالخبر في ذلك محمد بن جَرِير الطَّبَرِيّ قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمةُ بن الفَضْل قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن عاصِم بن عُمَر[6] بن قَتادةَ قال:

/ قَدِم على رسول الله / ﷺ بعد أُحُدٍ رَهْطٌ من عَضَل والقَارَة[7]، فقالوا: يا رسولَ الله، إنّ فينا إسلاماً وخَيْراً، [٤/٢٢٥] ٤١/٤

(١) الحوص (بالتحريك وبابه كفرح): ضيق في مؤخر العينين أو في إحداهما.

(٢) عك: قبيلة من قحطان باليمن.

(٣) الوادي: كل مفرج بين الجبال والتلال والآكام، والمراد هنا: السيل الذي يجري فيه.

(٤) صحح العلامة الشنقيطي بقلمه بهامش نسخته من كتاب «معجم ما استعجم» للبكري (المحفوظ بدار الكتب المصرية طبع أوروبا تحت رقم ٢ جغرافيا ص ٤٠١) كلمة «وأنا» بكلمة «وأبي».

(٥) لحيان (بفتح اللام وكسرها): حيّ من هذيل.

(٦) كذا في حـ. وفي باقي الأصول: «عن قتادة». والصواب في حـ؛ لأن الذي في «تهذيب التهذيب» و «الخلاصة» أن عاصم بن عمر لم يرو عن جدّه قتادة بل روى عن أبيه عمر.

(٧) قال القسطلاني في «شرح البخاري» (ج ٦ ص ٣٧٣ طبع بلاق): «عضل: بطن من الهون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، ينسبون إلى عضل بن الديش. والقارة: بطن من الهون ينسبون إلى الديش المذكور. أو القارة: أكمة سوداء، كأنهم نزلوا عندها فسموا بها». وقد ذكر ابن دريد في «الاشتقاق» (ص ١١٠): أن الهون وعضل والقارة إخوة لهذيل وفسر أسماءهم. وسأل الأخفش =

فَٱبْعَثْ معنا نفراً من أصحابك، يُفَقِّهونا[١] في الدِّين، ويُقْرِئونا[١] القُرْآن، ويُعَلِّمونا[١] شرائعَ الإسلام؛ فَبعث رسولُ الله ﷺ معهم نفراً سِتَّةً[٢] من أصحابه: مَرْثَدَ بن أبي مَرْثَدٍ الغَنَوِيّ حليفَ حمزة بن عبد المُطَّلب، وخالدَ بن البُكَيْر حليفَ بني عَدِيّ بن كَعْب، وعاصمَ بن ثابت بن أبي الأَقْلَح أخا بني عَمْرو بن عَوْف، وخُبَيْبَ بن عديّ أخا بني جَحْجَبَى بن كُلْفَةَ بن عمرو بن عَوْف، وزيدَ بن الدَّثِنَّة[٣] أخا بني بَيَاضةَ بن عامر، وعبدَالله بن طارِقٍ حليفاً[٤] لبني ظَفَر من بَلِيّ، وأَمَّر رسولُ الله ﷺ [عليهم][٥] مَرْثَدَ بن أبي مَرْثَدٍ، / فخرجوا مع القوم، حتّى إذا كانوا على الرَّجِيع [٤/٢٢٦] (ماء لهذَيْل[٦] بناحيةٍ من الحجاز من صَدر[٧] الهَدْأة) غدرُوا بهم، واستصرَخُوا عليهم هُذَيْلاً، فلم يَرُع القومُ وهم في رحالهم إلاّ بالرِّجالِ في أيديهم السيوفُ قد غَشُوهم؛ فأخذوا أسيافَهم ليقاتلوا القومَ؛ فقالوا: [إنّا][٨] والله ما نُريد قَتْلَكم، ولكنّا نُريد أن نُصيبَ بكم شيئاً من أهل مكّة، ولكم عهدُ الله وميثاقُه ألاّ نقتلكم. فأمّا مَرْثَدُ بن أبي مَرْثَد، وخالدُ بن البُكَيْر، وعاصمُ بن ثابت بن أبي الأَقْلَح فقالوا: إنّا والله لا نَقْبَلُ من مُشْرِكٍ عهداً ولا عقداً أبداً! فقاتَلُوهم حتّى قتلوهم جميعاً. وأمّا زيد بن الدَّثِنَّة، وخُبَيْبُ بن عَدِيّ، وعبدُالله بن طارِقٍ فلانُوا ورَقُّوا ورَغِبوا في الحياة وأَعْطَوْا بأيديهم[٩]؛ فأَسَرُوهم، ثم خرجوا بهم إلى مكّةَ لِيَبِيعُوهم بها؛ حتّى إذا كانوا بالظَّهْران[١٠] انتزع عبدُ الله بن طارق يدَه من القِرَانِ[١١]، ثم أخذ سيفَه واستأخر عن القوم، فرَمَوْه بالحجارة حتى قتلوه، فَقَبْرُه[١٢] بالظَّهْران. وأمّا خُبَيْبُ بن عَدِيّ وزيد بن الدَّثِنَّة، فقَدِموا بهما مكّة فباعوهما. فابتاع خُبَيْباً حُجَيْرُ بن أبي إهَابٍ التَّمِيميّ حليفُ بني نَوْفَل لعُقْبَةَ بن الحارث بن عامر بن نَوْفَل ـ وكان حُجَيْرٌ أخا الحارث بن عامر بن نَوْفَلٍ لأمّه ـ ليقتلَه بأبيه[١٣]. وأمّا زيدُ بن الدَّثِنَّة فابتاعه صَفْوانُ / بن أُمَيَّةَ ليقتله بأُمَيَّة بن خَلَفٍ أبيه. وقد كانت هُذَيْل حين قُتِل عاصمُ بن ثابت قد أرادوا رأسه [٤/٢٢٧]

= المبرد عنهما فقال: «هذان حيان كانا في نهاية العداوة لرسول الله ﷺ». (راجع «الكامل» ص ٦٣٢ طبع أوروبا).

(١) كذا في حـ بحذف النون مجزوماً في جواب الطلب. وفي سائر الأصول بإثبات نون الرفع، على أن تكون الجملة صفة لنفر.

(٢) وردت هذه الأسماء مضطربة في بعض الأصول. وما أثبتناه عن ط، ب. وهو الموافق لما في الطبري (قسم أول ص ١٤٣٢ طبع أوروبا) و «السيرة» لابن هشام (ص ٦٣٨ طبع أوروبا). وقد ذكرت هذه الأسماء في «نهاية الأرب» (ج ٣ ص ٣٧٥ طبعة أولى) و «شرح القاموس» (مادة رجع) كما هنا بزيادة سابع هو معتب بن عبيد أخو عبدالله بن طارق لأمه. إلا أنه ذكر بدل معتب بن عبيد هذا في «شرح القاموس» «مغيث بن عبيدة» وهو تحريف.

(٣) الدثنة: بفتح الدال المهملة وكسر الثاء المثلثة والنون المفتوحة المشدّدة ثم تاء تأنيث، قال ابن دريد: من قولهم: دثن الطائر إذا طاف حول وكره ولم يسقط عليه. (انظر «الاشتقاق» ص ٢٧٢ و «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» ج ٢ ص ٨٠ طبع بلاق).

(٤) كذا في حـ، م. وهو الموافق لما في الطبري و «السيرة» وفي سائر الأصول: «حلفاء» وهو تحريف.

(٥) زيادة عن م.

(٦) في «معجم ما استعجم» للبكري: «ماء لهذيل لبني لحيان منهم بين مكة وعُسْفان بناحية الحجاز... إلخ».

(٧) كذا في «معجم ما استعجم» للبكري نقلاً عن ابن إسحاق. وضبط البكري «الهدأة» بالعبارة فقال: «بفتح الهاء وإسكان الدال المهملة بعدها همزة مفتوحة». وفي جميع الأصول: «الهدّة» بدون همز. وفي «السيرة» و «تاريخ الطبري»: «صدور الهدأة». وفي س، حـ: «حدود» بالدال المهملة، وهو تحريف. والهدأة: موضع بين عسفان ومكة.

(٨) زيادة عن ء، ط، م.

(٩) أعطوا بأيديهم: انقادوا.

(١٠) الظهران: واد بين مكة وعسفان.

(١١) القران: الحبل.

(١٢) في ط، ء: «فقبروه».

(١٣) كذا في: حـ، م، وهو الموافق لما في «السيرة» والطبري. وفي سائر الأصول: «بابنه» وهو تحريف؛ لأن الذي قتله خبيب يوم بدر هو الحارث بن عامر بن نوفل والد عقبة، كما يجيء بعد في حديث أبي كريب.

ليبيعوه من سُلافَةَ بنت سَعْد بن شُهَيْد[1]، وكانت قد نَذَرتْ حين قَتَل عاصمٌ ابنَها[2] يومَ أُحُدٍ لئن قَدَرتْ على رأس عاصم لَتَشْرَبَنَّ في قِحْفه[3] الخَمْر، فمنعتْه الدَّبْر. فلمّا حالت بينهم وبينه قالوا: دَعُوه حتى يُمْسِيَ، فتذهب عنه فنأخذه. فَبَعث الله عزّ وجلّ الواديَ فاحتمل عاصماً فذهب به. وكان عاصمٌ قد أعطى اللَّهَ عزّ وجلّ عهداً لا يَمَسُّه مشركٌ أبداً ولا يَمَسّ مشركاً أبداً تَنَجُّساً[4] منه. فكان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يقول حين بلَغه أن الدَّبْرَ منعتْه: «عجباً لحفظ الله عزّ وجلّ العبدَ المؤمن! كان عاصم نَذَر ألاّ يَمَسَّه مشركٌ ولا يَمَسَّ مشركاً أبداً في حياته، فمنَعَه الله بعد مماته كما امتنع منه في حياته!».

رواية أخرى عن البعث ومصيره:

قال محمد بن جَرير: وأمّا غير ابن إسحاق، فإنّه قصّ من خبر هذه السَّرِيّة غيرَ الذي قَصّه غيرُه:

من ذلك ما حدّثنا أبو كُرَيْبٌ قال حدّثنا جعفر بن عَوْن العَمْرِيّ قال حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل عن عُمَرَ[5] أو عمرو بن أَسِيدٍ عن أبي هُرَيرة:

/ أنّ رسولَ الله ﷺ بعث عشرةَ رهْطٍ، وأمَّر عليهم عاصمَ بن ثابت بن أبي الأَقْلَح، فخرجوا، حتّى إذا كانوا [٢٢٨/٤] بالهَدْأةِ ذُكِرُوا لِحَيٍّ من هُذَيْل يقال لهم بنو لَحْيان، فبعثوا إليهم مائة رَجُلٍ رامياً، فوجدوا مَأْكلَهم حيث / أكلوا ٤٢/٤ التَّمْر، فقالوا: نَوَى يَثْرِب! ثم اتَّبَعُوا آثارَهم؛ حتّى إذا أَحَسَّ بهم عاصمٌ وأصحابُه التجؤوا إلى جبل، فأحاط بهم الآخَرُون فاستنزلوهم، وأَعْطَوْهُم العهدَ. فقال عاصم: والله لا أنزِلُ على عهدِ كافرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ نَبِيَّك عنّا. ونَزَل إليهم ابن الدَّثِنَة البَياضيّ، وخُبَيْبٌ، ورجلٌ آخَر؛ فأطلق القومُ أوتارَ قِسِيِّهم، ثم أَوْثَقُوهم، فجرحوا رجلاً من الثلاثة، فقال: هذا والله أوّلُ الغَدْر، والله لا أَتْبَعُكم، فضربوه وقتلوه؛ وانطلقوا بخُبَيْبٍ وابن الدَّثِنَة إلى مكّة، فدفعوا خُبَيْباً إلى بني الحارث بن عامر بن نَوفلِ بن عبد منافٍ، وكان خبيبٌ هو الذي قتل الحارثَ بأُحُدٍ. فبينما خُبَيْبٌ عند بناتِ الحارث، استعار من إحدى بنات الحارث مُوسَى لِيَسْتَحِدَّ[6] بها لِلْقَتْل، فما راعَ المرأةَ ولها صَبِيٌّ يدرُج إلاّ خُبَيْبٌ قد أجلس الصبيَّ على فَخِذه والمُوسَى بيده، فصاحتِ المرأة؛ فقال خُبيب: أتَحْسَبِينَ أنّي أقتُله! إنّ الغَدْرَ ليس من

---

(١) كذا في «طبقات ابن سعد» (ق ٢ ج ٣ ص ٣٣ طبع أوروبا) و «تاريخ الطبري» و «سيرة ابن هشام» و «معجم ما استعجم» للبكري. وفي الأصول: «سهيل» وهو خطأ.

(٢) في «معجم ما استعجم»: «ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد أم مسافع والجلاس ابني طلحة، وكان عاصم قتلهما يوم أُحد فنذرت... إلخ». وفي «طبقات ابن سعد» أنها جعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة.

(٣) القحف (بالكسر): العظم الذي فوق الدماغ.

(٤) يقال: فلان يتنجس إذا فعل فعلاً يخرج به عن النجاسة، كما يقال: يتأثم ويتحرج ويتحنث إذا فعل فعلاً يحرج به عن الإثم والحرج والحنث.

(٥) كذا في «تاريخ الطبري» (قسم أوّل ص ١٤٣٤ طبع أوروبا) وقد ذكره صاحب «تهذيب التهذيب» في اسم عمرو بن أبي سفيان بن أسيد وأورد اسمه أيضاً في «عمر» وأحاله على «عمرو»، وهذا يفيد ترجيحه اسم «عمرو»، كما أنه أثبت في ترجمة أبي هريرة رواية عمرو بن أبي سفيان بن أسيد عنه. وفي حـ: «عن عمر أو عمرو بن أسد». وفي سائر الأصول: «عمرو بن عمرو بن أسد» وهما تحريف؛ لأنه لم يوجد في أسماء الرواة من تسمى بهذا الاسم.

(٦) يستحدّ: يحلق شعر عانته. قال في «اللسان» مادة حدد: «وفي حديث خبيب أنه استعار موسى استحدّ بها لأنه كان أسيراً عندهم وأرادوا قتله، فاستحدّ لئلا يظهر شعر عانته عند قتله». ومنه الحديث حين قدم من سفر فأراد الناس أن يطرقوا النساء ليلاً فقال: «أمهلوا كي تمتشط الشَّعِثة وتستحدّ المُغِيبة». قال أبو عبيد: «وهو استفعال من الحديدة يعني الاستحلاق بها، استعمله على طريق الكناية والتورية».

شأننا. قال: فقالت المرأة بعدُ: ما رأيت أسيراً قطُّ خيراً من خُبَيْبٍ، لقد رأيته وما بمكة من ثَمَرةٍ وإنّ في يده لَقِطْفاً من عِنَبٍ يأكله، إنْ كان إلاّ رزقاً رَزَقَه الله خُبَيْباً. وبَعَثَ حيٌّ من قُرَيْشٍ إلى عاصم لِيُؤْتَوْا من لحمه بشيء، وقد كان لعاصمٍ فيهم آثارٌ[1] بأُحُدٍ، فَبَعث الله عليه دَبْراً فحمتْ لحمَه / فلم يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئاً. فلمّا خرجوا [٢٢٩/٤] بخُبَيْبٍ من الحَرَم ليقتلوه، قال: ذَرُونِي أُصَلِّ ركعتين، فتركوه فصلّى ركعتين ـ فجرتْ سُنّةً لمن قُتِل صَبْراً أن يُصَلّي ركعتين ـ ثم قال: لولا أن يقال جَزِعَ لَزِدْتُ، وما أُبالي:

* عَلَــى أيِّ شِــقٍّ كــان لله مَصْــرَعِــي[2] *

ثم قال:

وذلــك فــي ذاتِ[3] الإلَــهِ وإنْ يَشَــأْ ... يُبَــارِكْ علــى أوصــالِ شِلْــوٍ مُمَــزَّعِ

اللّهُمَّ أَحْصِهِم عَدَداً[4]، وخُذْهُمْ بِدَداً. ثم خرج به أبو سَرْوَعَةَ[5] بن الحارث بن عامر بن نَوْفَلِ بن عبد مَنَافٍ فضربه فقتله.

حدّثنا محمد قال حدّثنا أبو كُرَيْبٍ قال حدّثنا جعفر بن عَوْن عن إبراهيم بن إسماعيل، قال وأخبرني جعفر بن عمرو بن أُمَيّةَ عن أبيه عن جَدّه:

[٢٣٠/٤] / أن رسولَ الله ﷺ بعثه وحدَه عيناً إلى قُرَيْش. قال: فجئتُ إلى خَشَبةِ خُبَيْبٍ وأنا أتخوّف العيونَ، فرَقِيتُ فيها، فحللتُ خُبَيْباً فوقَع إلى الأرض، فانتبذتُ[6] غيرَ بعيدٍ، ثم التفتُّ فلم أَرَ لخبيبٍ أثراً، فكأنّما الأرضُ ابتلعتْه، فلم تَظْهَرْ لخبيبٍ رِمّةٌ حتّى الساعة.

قال محمد بن جرير: وأمّا زيدُ بن الدَّثِنَةِ، فإنّ صَفْوانَ بنَ أُمَيّةَ بَعَث [به][7] ـ فيما حدّثنا ابن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمةُ عن ابن إسحاق ـ [مع][7] مولًى له يقال له نِسْطَاس إلى التَّنْعيم، فأخرجه من الحَرَم ليقتله؛ واجتمع [إليه][7] رهطٌ من قريش فيهم أبو سُفْيان بن حَرْب؛ فقال له أبو سفيان حين قُدِّم لِيُقْتَلَ: أَنْشُدُكَ اللّهَ يا زيد، أتُحِبُّ أنّ محمداً عندنا الآن مكانَك فنَضْرِب عُنُقَه وأنّك في أهلك؟ فقال: واللّهِ ما أُحِبُّ أنّ محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصِيبُه

---

(١) كذا في أكثر النسخ. وآثار: جمع ثأر على القلب. وفي حـ: «أوتار» جمع وتر، وهو الجناية التي يجنيها الرجل على غير، من قتل أو نهب أو سبي.

(٢) هذا الشطر من قصيدة نسبها ابن هشام في «السيرة» (ص ٦٤٣ طبع أوروبا) لخبيب هذا، ومطلعها:

لقــد جمــع الأحــزاب حــولــي وألبــوا ... قبــائلهــم واستجمعــوا كــل مجمــع

(٣) في ذات الإلّه: في طاعته وطلب رضاه وثوابه. والأوصال: جمع وِصل وهو العضو. والشلو (بكسر الشين المعجمة وسكون اللام): الجسد. وممزع: مقطع.

(٤) أحصهم: أهلكهم بحيث لا تبقى من عددهم أحداً. وخذهم بدداً: قال ابن الأثير: يروى بكسر الباء، جمع بِدّة وهي الحصة والنصيب، أي اقتلهم حصصاً مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه، ويروى بالفتح من التبديد أي متفرّقين في القتل واحداً بعد واحد.

(٥) أبو سروعة (بكسر السين المهملة وفتحها، كما في شرح القسطلاني على «صحيح البخاري» ج ٦ ص ٣٧٦ طبع بلاق): كنية عقبة بن الحارث النوفلي القرشي الصحابي، وهو الذي قتل خبيب بن عدي. وقال في «القاموس» مادّة سرع: «وأبو سروعة، ولا يكسر وقد تضم الراء، عقبة ابن الحارث الصحابي». قال شارحه: «وفي التكملة: وأصحاب الحديث يقولون: أبو سروعة بكسر السين، وقد ضبطه النووي بالوجهين، ثم قال: وبعضهم يقول: أبو سروعة مثال فَرُوقة وركوبة، والصواب ما عليه أهل اللغة».

(٦) كذا في الطبري (قسم أوّل ص ١٤٣٦ طبع أوروبا). وانتبذ: تنحى. وفي حـ، م: «فاستدرت». وفي سائر الأصول: «فاشتددت».

(٧) الزيادة عن الطبري (قسم أوّل ص ١٤٣٧).

شوكةٌ تُؤْذيه وأنا جالس في أهلي! قال يقول أبو سفيان: ما رأيتُ من الناس أحداً يُحِبُّ أحداً كحُبِّ أصحاب محمدٍ محمداً! ثم قتله نِسْطَاس.

نزول عبدالله وأبي أحمد ٱبني جحش من المهاجرين على عاصم بن ثابت:

أخبرني أحمد بن الجَعْد قال حدّثنا محمد بن إسحاق[1] المُسَيَّبِيّ قال حدّثنا محمد بن فُلَيح عن موسى بن عُقْبَةَ عن ابن شِهَابٍ[2] قال:

/ نزل عبدالله[3] وأبو أحمد ابنا جَحْشٍ، حين قَدِما مُهاجِرَيْنِ، على عاصم بن ثابت، وكنيته أبو سليمان. [٤/٢٣١]

شعر لعاصم بن ثابت وكنيته:

وقال عاصم:

/ أبـو سليمـانَ[4] وريـشُ المُقْعَـدِ ... ومُجْنـأٌ مـن جلـد ثـورٍ أجْـرَدِ ٤٣/٤

وذكر لنا الحَرَميُّ بن أبي العلاء عن الزُّبَير أنّ عاصماً، فيما قيل، كان يُكْنَى أبا سُفْيان. قال: وقال في يوم الرَّجيع:

أنـا أبـو سُفيـانَ[5] مِثْلِـي رَامَـا ... أَضْـرِبُ كَبْـشَ العـارِض[6] القَـدّامَـا

كنية الأحوص واسم أمه وبعض صفاته:

أخبرني الحَرَميُّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا إسماعيل بن[7] عبدالله عن إسماعيل بن إبراهيم بن عُقْبَةَ عن عَمِّه قال:

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «محمد بن القاسم». والذي في «تهذيب التهذيب» أن الذي روى عن محمد بن فليح هو محمد بن إسحاق المسيبي.

(٢) كذا في أكثر الأصول. وفي ط،ء: «أبي شهاب»، وهو تحريف. وفي «تهذيب التهذيب» أن ابن شهاب اسمه محمد بن مسلم بن عُبيد الله بن عبدالله الزهري، وهو الذي يروي عنه موسى بن عقبة.

(٣) هو عبدالله بن جحش بن رياب بن يعمر أبو محمد الأسدي. وأُمه أُميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وهو وأخوه أبو أحمد صحابيان، وأُختهما زينب بنت جحش زوج النبيّ ﷺ. (انظر «أسد الغابة في معرفة الصحابة» ج ٣ ص ١٣١ طبع بلاق).

(٤) كذا في حـ، وهو الموافق لما في «سيرة ابن هشام» (ص ٦٣٨ طبع أوروبا). وفي م:

أبـو سليمـان وصنـع المقعـد ... ومجنـأ مـن جلـد ثـور أجلـد

وفي سائر الأصول: «أبو سليمان وضيع المقعد». والمقعد: فرخ النسر، وريشه أجود الريش، وقيل: المقعد: النسر الذي قُشب له (خلط له السم في اللحم) حتى صيد فأخذ ريشه. وقيل: المقعد: اسم رجل كان يريش السهام والمجنأ: الترس الذي لا حديد به. يريد: أنا أبو سليمان ومعي سهام راشها المقعد، وترس من جلد قوي، فما عذري إذا لم أقاتل.

(٥) في «السيرة»:

أبـو سليمـان ومثلـي رامـا ... وكـان قـومـي معشـراً كـرامـا

ولم يذكر في «السيرة» أن عاصماً تكنّى بأبي سفيان.

(٦) في ب، س: «العارضي» تحريف. والكبش: الرئيس. والعارض: الجيش تشبيهاً له بالسرب العظيم من الجراد في انتشاره، أو بالسحاب. والقدّام (بفتح القاف وضمها مع تشديد الدال) والقدّيم (بكسر القاف): السيد ومن يتقدّم الناس بالشرف.

(٧) كذا في ء، ط، م، وهو الصواب؛ لأن الذي روى عن إسماعيل بن إبراهيم هو إسماعيل بن عبدالله كما في «الطبقات» لابن سعد (ج ٥ ص ٣١٠) «وتهذيب التهذيب» (ج ١ ص ٢٧٢). وفي سائر الأصول: «عن عبدالله» تحريف.

[٤/٢٣٢] / كُنْيَة الأَحْوَصِ أبو محمد. وأُمُّه أُثَيْلَة بنت عُمَيْر بن مَخْشِيّ[١]؛ وكان أحمرَ أَحْوَصَ العينين.

رأي الفرزدق في شعره:

قال الزبير فحدّثني محمد بن يحيى قال:

قَدِم الفَرَزْدَقُ المدينةَ، ثم خرج منها، فسُئل عن شُعَرائها، فقال: رأيتُ بها شاعرَيْن وعَجِبتُ لهما: أحدُهما أَخْضَرُ يسكن خارجاً من بُطْحَانَ[٢] (يُريد ابنَ هَرْمَةَ)؛ والآخر أحمرُ كأنّه وَحَرَةٌ على بُرُودةٍ في شعره (يريد الأَحْوَص). والوَحَرةُ[٣]: يَعْسُوبٌ أحمرُ ينزل الأنبار[٤].

هجاؤه لابنه:

وقال الأحوصُ يهجو نَفْسَه ويذكر حَوَصَه[٥]:

أَقْبِحْ[٦] بـه مـن وَلَـدٍ وأَشْقِـحِ ... مِثْـلِ جُـرَيِّ الكلـب لـم يُفَقِّـحِ[٧]

إنْ يَـرَ سُـوءاً لـم يَقُـمْ فيَنْبَـحِ ... بـالبـابِ عنـد حـاجـةِ المُسْتَفْتِـحِ

قال الزُّبَير: ولم يبقَ للأحوص من وَلَدِه غيرُ رجلين.

[٤/٢٣٣] / طبقته في الشعر عند ابن سلام ورأي أبي الفرج فيه:

قال الزُّبير: وجعل محمدُ بن سَلّام الأحوصَ، وابنَ قَيْس الرُّقَيّات، ونُصَيْباً، وجَميلَ بن مَعْمَرٍ طبقةً سادسةً من شعراء الإسلام، وجعله بعد ابن قَيْسٍ[٨]، وبعد نُصَيْب. [قال أبو الفرج][٩]: والأَحْوَصُ، لولا ما وَضَع به نَفْسَه من

---

(١) كذا في أكثر الأصول. وفي ء، ط: «محشي» بالحاء المهملة.

(٢) بطحان (بضم الأوّل وسكون الثاني أو بفتح الأوّل وكسر الثاني): واد بالمدينة، وهو أحد أوديتها الثلاثة: العقيق وبطحان وقناة. (انظر «القاموس» و «شرحه» مادة بطع) «ومعجم البلدان» (في بطحان).

(٣) كذا في ء، ط. وفي سائر الأصول: «قال: والوحرة يعسوب إلخ». وكلمة «قال» غير محتاج إليها هنا في الكلام.

(٤) كذا في أكثر الأصول. والأنبار، كما في ياقوت: حدّ بابل؛ سميت بذلك لأنه كان يجمع بها أنابير الحنطة والشعير والقت والتبن، وكانت الأكاسرة ترزق أصحابها منها، وكان يقال لها الأهراء. فلما دخلتها العرب عرّبتها فقالت الأنبار. وهذا التفسير الذي ذكره المؤلف للوحرة غريب؛ إذ أجمعت «كتب اللغة» التي بين أيدينا على أن الوحرة (بالتحريك): دويبة تشبه سامّ أبرص، وقال الجوهري: الوحرة بالتحريك: دويبة حمراء تلزق بالأرض. وفي حـ: «يلزم البنار».

(٥) لعل هاهنا سقطاً؛ فإنه يهجو بهذا الشعر ابنه لا نفسه.

(٦) أثبتنا هذين البيتين كما رواهما الجاحظ في كتابه «الحيوان» (ج ١ ص ٢٥٤ طبع الحلبي) وقد قال: إنه هجا بهما ابنه. وقد وردا في ب، س هكذا:

أسمـج بـه مـن ولـد وأقبـح ... مثـل جـرى الكلـب لـم يفقـح

يشـر سـوءاً لـم يقـم فينبـح ... بـالبـاب عنـد حـاجـة المستفتـح

وفي ء، ط: «يسري شوا ما لم يقم فينبح». وفي م: «بشر سوء لم يقصر فينبح».

(٧) يقال: فَقَّح الجرو وفقح (بالتضعيف)، وذلك أوّل ما يفتح عينيه وهو صغير.

(٨) كذا في س، ب، حـ. وفي ط، ء ورد هذان الاسمان بتقديم الثاني على الأوّل. وفي م وردا هكذا: «بعد ابن قيس وقبل نصيب». وقد ورد في «طبقات الشعراء» لمحمد بن سلام المذكور (ص ١٣٧ طبع ليدن) أن شعراء الطبقة السادسة هم: عُبيد الله بن قيس الرقيات، والأحوص، وجميل، ونصيب.

(٩) زيادة عن م.

دَنِيء الأخلاق والأفعال، أشَدُّ تقدُّماً منهم عند جماعة أهل الحجاز وأكثرِ الرُّواة؛ وهو أسْمحُ طبعاً، وأسهلُ كلاماً، وأصَحُّ معنًى منهم؛ ولشِعْرِه رونقٌ ودِيباجةٌ صافية وحلاوةٌ وعُذوبةُ ألفاظٍ ليست لواحدٍ منهم. وكان قليل المُروءة والدِّين، هَجّاءً للناس، مَأبوناً فيما يُرْوَى عنه.

جلد سليمان بن عبد الملك إياه والسبب في ذلك:

أخبرني الحسين بن يحيى عن أبيه قال حدّثني أبو عُبَيدة أنّ جماعةً من أهل المدينة أخبروه:

أنّ السبب في جَلْد سُليمانَ[1] بنِ عبد الملك، أو الوليدِ بن عبد الملك إيّاه ونَفْيِه له، أنّ شهوداً شهِدوا عليه عنده أنه قال: إذا أخذتُ جَرِيري[2] لم أُبَالِ أيّ الثلاثة لَقِيتُ ناكحاً أو منكوحاً أو زانياً. قالوا[3]: وانضاف إلى ذلك أنّ سُكَيْنَةَ / بنت الحسين رضي الله عنهما فَخَرتْ يوماً برسول الله ﷺ؛ ففاخرها بقصيدته التي يقول فيها: [٤/ ٢٣٤]

* ليس جهلٌ أتيْتِه ببديعِ *

فزاده ذلك حَنَقاً عليه وغيظاً حتّى نفاه.

فخرت سكينة بالنبيّ ففاخرها بجدّه وخاله:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة:

أنّ الأحوصَ كان يوماً عند سُكَيْنة، فأذّن المؤذّن، فلمّا قال: أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّهُ، أشْهَدُ أنّ محمداً رسولُ الله، فَخَرتْ سُكَينةُ بما سَمِعتْ؛ فقال الأحوص:

فخَرتْ وانتمتْ فقلتُ ذَرِيني ... ليس جهلٌ أتيتِه ببديعِ
فأنا[4] ابنُ الذي حَمَتْ لَحْمَه الدَّبْـ ... ـرُ قتيلِ اللِّحْيانِ يومَ الرَّجِيعِ
غَسّلتْ خالِيَ الملائكةُ الأبْـ ... ـرارُ مَيْتاً طُوبَى له مِن صَريعِ

قال أبو زيد: وقد لَعَمْري فَخَر بفَخْرٍ لو على غيرِ سُكَيْنَة فَخَر به! وبأبي سُكينة ﷺ / حمتْ أباه[5] الدَّبْرُ وغَسّلتْ خالَه الملائكةُ. [٤٤/٤]

هجاؤه لابن حزم عامل المدينة:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني محمد بن يحيى عن أيُّوب بن عُمَر عن أبيه قال:

---

(١) في م: «في ضرب ابن حزم». وابن حزم هذا هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كان عاملاً لسليمان بن عبد الملك على المدينة.

(٢) الجرير: الزمام، وهذا كناية عن إطلاق سراحه: وفي الحديث أن الصحابة نازعوا جرير بن عبدالله زمامه، فقال رسول الله ﷺ: «خلوا بين جرير والجرير» أي دعوا له زمامه. وفي حـ، م: «صريرتي». وفي سائر الأصول: «صريري»، وهما تحريف.

(٣) في ء، ط: «قال».

(٤) نبهنا فيما تقدّم أن المرحوم الأستاذ الشنقيطي صحح هذه الكلمة بـ «وأبى ابن الذي...».

(٥) كذا في حـ. وفي أكثر الأصول: «لحمه».

لمّا جاء ابن حَزْمٍ عَمَلَه من قِبَل سُليمانَ بن عبد الملك على المدينة والحجّ، جاءه ابنُ أبي جَهْم بن[1] حُذَيفةَ وحُمَيْد بن عبد الرحمن بنِ عَوْف وسُرَاقةُ، فدخلوا عليه / فقالوا له: إيه يا ابنَ حَزْم! ما الذي جاء بك؟ قال: [٢٣٥/٤] استعملني واللّهِ أميرُ المؤمنين على المدينة على رَغْمِ أنْفِ من رَغِمَ أنفُه. فقال له ابنُ أبي جهم: يا ابنَ حزم، فإنّي أوّلُ مَنْ يَرْغَمُ من ذلك أنفُه. قال فقال ابن حزم: صادقٌ، واللّهُ يُحِبّ الصّادقين. فقال الأحوص:

سليمـــــانُ إذْ وَلاّكَ رَبُّـــك حُكْمَنـــا ... وسُلْطـانَنـا فـاحْكُـمْ إذا قلـتَ واعْـدِلِ

يَـؤُمُّ حَجيـجَ المسلميـن ابـنُ فَـرْتَنـي ... فهَـبْ ذاكَ حَجًّـا لـيـس بـالمُتَقَبَّـلِ

فقال ابنُ أبي عَتِيق[2] للأحوص: الحمدُ للّهِ يا أحوص، إذْ لم أَحُجَّ ذلك العامَ بنعمة ربّي وشُكْره. قال: الحمدُ لله الذي صَرَفَ ذلك عنك يا بنَ أبي بكرِ الصِّدِّيق، فلم يُضْلِلْ دِينَك، ولم تُعنِّ[3] نَفْسك، وتَرَ ما يَغِيظُك ويَغِيظ المسلمين معك.

وفد على الوليد وتعرّض للخبازين فأمر عامل المدينة بجلده:

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبدالله عن عمّه موسى بن عبد العزيز قال:

وَفَدَ الأحوص على الوليد بن عبد الملك وامتدَحه، فأنزله منزلاً، وأمر بمَطْبَخه أن يُمَال عليه؛ ونزل على الوليد بن عبد الملك شُعَيْب بن عبدالله بن عمرو بن العاصي، فكان الأحْوَصُ يُرَاوِد وُصَفاءَ للوليد خبّازين عن[4] أنفسهم ويُريدهم أن يفعلوا به. وكان شُعَيْبٌ قد غَضِبَ على مولًى له ونَحاه. فلمّا خاف الأحوصُ أن يَفْتضِح بمُراودته الغلمانَ، اندسَّ لمولَى شُعَيْب ذلك فقال: ادْخُلْ على أمير المؤمنين فاذكُرْ له أنّ شُعَيباً أرادك عن نفسك، ففعل المولى. فالتفت الوليدُ إلى شُعَيب / فقال: ما يقول هذا؟ فقال: لكلامه غَوْرٌ[5] يا أميرَ المؤمنين، فاشْدُدْ به [٢٣٦/٤] يَدَكَ يَصْدُقْك. فشدد عليه، فقال: أَمَرني بذلك الأحْوَصُ. فقال قَيِّم الخبّازين: أصلحك الله! إنَّ الأحوص يُرَاوِد الخبّازين عن أنفسهم. فأرسل به الوليدُ إلى ابن حَزْمٍ بالمدينة، وأَمَره أن يَجْلِدَه مائةً، ويَصُبَّ على رأسه زيتاً، ويُقيمَه على البُلُسِ[6]؛ ففعل ذلك به. فقال وهو على البُلُس أبياتَه التي يقول فيها:

مـا مِـنْ مُصيبـةِ نَكْبَـةٍ أمْنَـى[7] بهـا ... إلاّ تُشَـرِّفُنـي وتَـرْفَـعُ[8] شـأنـي

---

(١) كذا في ط، ء، وهوالموافق لما في «تاريخ الطبري»، وهو أبو بكر بن عبدالله بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي، كما في «تهذيب التهذيب». وفي ب، س، حـ: «ابن أبي جهم حذيفة» بدون ذكر «ابن» وهو خطأ. وفي م: «ابن خذيفة» بالخاء المعجمة، وهو تصحيف.

(٢) أبو عتيق: لقب محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر.

(٣) كذا في حـ، م. وعنّى نفسه وأعناها: أنصبها وكلفها ما يشق عليها. وفي سائر الأصول: «وتغر نفسك».

(٤) في جميع الأصول: «على أنفسهم».

(٥) أي في كلامه معنى خفيّ غير واضح.

(٦) البلس (بضمتين): جمع بلاس كسحاب، وهي غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التين ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه. ومن دعائهم: «أرانيك الله على البلس».

(٧) في ط، ء: «أعيا». وفي «ديوان الحماسة»:

مـا تعتـريـنـي مـن خطـوب ملمـة ... إلا تشـرفنـي وتعظـم شـأنـي

وأوّل الأبيات فيه:

إنـي علـى مـا قـد علمـت محسّـد ... أنمـي علـى البغضـاء والشنـآن

(٨) في ط، ء: «وتعظم».

شعره الذي أنشده حين شهر به:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثني أيُّوب بن عمر قال أخبرني عبدالله بن عمْران بن أبي فَرْوةَ قال:

رأيتُ الأحوص حين وَقَفه ابنُ حَزْمٍ على البُلُس في سوق المدينة وإنّه لَيَصِيح ويقول:

ما مِنْ مُصيبةِ نَكْبَةٍ أُمْنَى بها ... إلاّ تُعَظِّمُني وتَرفَعُ شانِي

وتَزولُ حين تزولُ عن مُتَخَمِّطٍ[1] ... تُخْشَى بَوَادِرُه على الأقْرانِ

إنّي إذا خَفِيَ[2] اللِّئامُ رأيتَني ... كالشمس لا تَخْفَى بكلّ مكان

[٤/٢٣٧]

/ **شعره في هجو ابن حزم:**

قال: وهجا الأحوصُ ابن حَزْمٍ بشعرٍ كثيرٍ، منه:

أقولُ وأبصرت ابنَ حَزْمِ بنِ فَرْتَنَى ... وُقُوفاً له بالمَأزِمَيْنِ[3] القبائلُ

/ تُرَى فَرْتَنَى كانتْ بما بَلَغ ابنُها ... مُصَدِّقةً لو قال ذلك قائلُ

٤٥/٤

ـ أخبرني الحَرَميُّ قال حدّثنا الزُّبَير عن أبي عُبَيدةَ قال: كلُّ أَمَةٍ يقال لها فَرْتَنَى. وأخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلاّم قال: فَرْتَنَى[4]: الأَمَةُ بنت الأمَة ـ قال الزُّبير: فقال ابنُ حَزْمٍ حين سَمع قولَ الأحْوَص فيه «ابن فَرْتَنَى» لرجلٍ من قومه له علمٌ: أنحنُ من ولد فَرْتَنَى؟ أو تَعرفها[5]؟ فقال: لا والله! قال: ولا أنا أعلَمُ والله ذلك! ولقد عَضَهني[6] به، ولو كانت ولدَتْني لم أجْهَلْ ذلك.

قال الزُّبير: وحدّثني عَمِّي مُصْعَبٌ عن عبدالله بن محمد بن عُمَارةَ قال:

فَرْتَنَى: أمٌّ لهم في الجاهليّة من بَلْقَيْنِ[7]، كانوا يُسَبُّون بها، لا أدري ما أمْرُها، قد طرحوها من كِتاب النَّسَب وهي أُمّ خالد [بِنت خالد][8] بن سِنَان بن وَهْب بن لَوْذَانَ السّاعِدِيّة أُمّ بني حَزْم.

---

(١) المتخمط: المتكبر.

(٢) في «طبقات ابن سلام الجمحي»: «إني إذا جُهل... إلخ».

(٣) المأزمان، كما في ياقوت: جبلا مكة. قال أهل اللغة: هما مضيقا جبلين. وقيل: هو اسم موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة، وفيه أقوال غير هذا.

(٤) وفرتني: المرأة الفاجرة والأمة. ذهب ابن جني إلى أن نونه زائدة، وجعله سيبويه رباعياً.

(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «أو نعرفها» بالنون.

(٦) كذا في أكثر الأصول. وعضهني: بهتني أي رماني بالزور والبهتان وقال فيّ ما لم يكن. وفي م: «عضبني» والعضب: الشتم والتناول.

(٧) بلقين بفتح فسكون: حيّ من بني أسد كما قالوا: بلحارث وبلهجيم، وأصلها بنو القين. قال ابن الجوّاني: «العرب تعتمد ذلك فيما ظهر في واحده النطق باللام، مثل الحارث والخزرج والعجلان، ولا يقولون ذلك فيما لم تظهر لامه، فلا يقولون بلنجار في بني النجار؛ لأن اللام لا تظهر في النطق بالنجار فلا تجوّزه العربية ولم يقل في «الأنساب».

(٨) هذه العبارة ساقطة في حـ، وقد وردت في م: «ابن خالد».

[٢٣٨/٤] / أخبرني الحَرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني عبدُ الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجُشُون[١]: أنّ الأَحْوَصَ قال لابن حَزْمٍ:

لَعَمْرِي لقد أجرى ابنُ حَزْمِ بنِ فَرْتَنَى ... إلى غايةٍ فيها السَّمَامُ المُثَمَّلُ[٢]

وقد قلتُ مهلاً آلَ حَزْمِ بنِ فَرْتَنَى ... ففي ظُلْمِنا صابٌ[٣] مُمِرٌّ وحَنْظَلُ

وهي طويلة. وقال أيضاً:

أَهْوَى أُمَيَّةَ إنْ شَطَّتْ وإنْ قَرُبَتْ ... يوماً وأُهْدِي لها نُصْحِي وأَشْعَارِي

ولو وردتُ عليها الفَيْضَ[٤] ما حَفَلَتْ ... ولا شَفَتْ[٥] عَطَشِي من مائه الجاري

لا تَأْوِيَنَّ[٦] لِحَزْمِيٍّ رأيتَ به ... ضُرًّا ولو طُرِحَ[٧] الحَزْمِيُّ في النّارِ

النّاخِسِينَ[٨] بمَرْوانٍ بذِي خُشُبٍ ... والمُقْحِمِينَ على عثمانَ في الدّارِ

[٢٣٩/٤] / دفع عنه بنو زريق فمدحهم:

أخبرنا الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني جماعةٌ من مشايخ الأنصار:

أنّ ابن حَزْمٍ لمّا جلَد الأحوص [و][٩] وَقَفه على البُلُس يضربه، جاءه بنو زُرَيق[١٠] فدفعوا عنه، واحتملوه من أعلى البُلُس. فقال في ذلك ـ قال ابن الزبير: أنشدنيه عبدُ الملك بن الماجِشون عن يوسف بن أبي سَلَمة الماجشون ـ:

إمّا تُصِبْني المَنَايَا وهْيَ لاحِقَةٌ ... وكلُّ جَنْبٍ له قد حُمَّ مُضْطَجَعُ

فقد جَزَيْتُ بني حَزْمٍ بظُلْمِهمُ ... وقد جزيتُ زُرَيْقاً بالّذي صنعوا

---

(١) الماجشون ذكره «القاموس» (في مادّة مجش) بضم الجيم. وقال شارحه: «ويكسر الجيم ويفتح فهو إذاً مثلث». ثم نقل عن حاشية المواهب اللدنية أنه «بكسر الجيم وضم الشين». وقال: «وعلى كسر الجيم وضم الشين اقتصر النووي رحمه الله في «شرح مسلم» والحافظ ابن حجر في «التقريب». واقتصر السمعاني في «الأنساب» أيضاً على كسر الجيم. وهو معرّب ماه كون. ومعناه الورد، أو الأبيض المشرب بحمرة، أولون القمر.

(٢) المثمل: السم المقوّي بالسَّلَع وهو شجر مرّ. وقال ابن سيده: وسم مثمَّل: طال إنقاعه وبقي. وقال الأزهري: ونرى أنه الذي أُنقع فبقي وثبت.

(٣) الصاب: عصارة شجر مرّ، وقيل: هو شجر إذا اعتصر خرج منه كهيئة اللبن، وربما نزت منه نزية (قطرة) فتقع في العين كأنها شهاب نار، وربما أضعف البصر. وممرّ، من أمرّ الشيء فهو ممرّ إذا كان مرّاً.

(٤) الفيض: نهر بالبصرة.

(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «سقت».

(٦) أوى لفلان: رحمه ورق له. والرواية فيما تقدّم (ج ١ ص ٢٦ من هذه الطبعة) «لا ترثين» كما في حـ هنا.

(٧) في ب، س: «ولو أُلقي». وفي الجزء الأوّل: «ولو سقط».

(٨) الناخسين بمروان، يريد الطاردين لمروان والمزعجين له؛ يقال: نخسوا بفلان إذا نخسوا دابته من خلفه وطردوه حتى سيروه في البلاد. وتفسير «ذي خشب» وقصة طرد مروان مذكوران في الجزء الأوّل (ص ٢٣ وما بعدها من هذه الطبعة).

(٩) التكملة عن م.

(١٠) بنو زريق: خلق من الأنصار، وهم بنو زريق بن عامر بن زريق الخزرجيّ، إليه يرجع كل زرقي ما خلا زُرَيق بن ثعلبة طيء. (انظر «القاموس» و «شرحه» مادة زرق).

قومٌ أبى طَبَعٌ[١] الأخلاق أوّلَهم فهُمْ على ذاك من أخلاقهم طُبِعوا
وإنْ أُناسٌ وَنَوْا عن كلّ مَكْرُمَةٍ وضاق باعُهُمُ عن وُسْعِهِمْ وَسِعوا
إنّي رأيتُ غداةَ السُّوق مَحْضَرَهُمْ إذْ نحنُ ننظر ما يُتْلَى ونَسْتَمِعُ

نفاه ابن حزم إلى دهلك وشعره في ذلك:

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عُمَر بن أبي بكر المؤمّلي[٢] قال حدّثني غيرُ واحدٍ من أهل العلم: أنّ أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم جَلَد الأحوصَ في الخُنثِ[٣]، وطاف به وغرّبه إلى دَهْلَكَ[٤] في مَحْمِلٍ[٥] عُرْياناً. فقال الأَحْوَصُ وهو يُطَافُ به:

* ما مِنْ مُصيبةِ نَكْبةٍ أُبْلَى بها *

[٤/٢٤٠]

الأبيات. وزاد فيها:

إنّي على ما قد تَرَوْن محسَّد أَنْمِي على البَغضاءِ والشَّنَآنِ
/ أصبحتُ للأنصارِ فيما نابَهم خَلَفاً وللشُّعَراء من حَسّانِ

٤٦/٤

قال الزُّبَير: ومما ضُرِب[٦] فيه أيضاً قولُه:

شَرُّ الحِزَامِيِّينَ ذو السِّنّ منهمُ وخيرُ الحِزَامِيِّين يَعْدِلُه الكَلْبُ
فإنْ جئتَ شيخاً من حِزَامٍ وجدتَه من النُّوكِ والتقصير ليس له قلبُ
فلو سَبَّني عَوْنٌ إذاً لَسَبَبْتُه بشِعْرِيَ أو بعضُ الأُولَى جَدُّهُمْ كَعْبُ

ـ عَوْن، يعني عَوْنَ بن محمد بن عليّ بن أبي طالِبٍ عليه رضوان الله. وكعب، يعني كَعْبَ بن لُؤَيّ ـ:

أولئك أكفاءٌ لبيتي بُيوتُهُمْ ولا تستوي الأَعْلاثُ[٧] والأَقْدُحُ القُضْبُ

أعانه فتى من بني جحجبى فدعا عليه:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني محمد بن ثابتٍ الأنصاريّ عن محمد بن فَضَالةَ قال:

---

(١) الطبع (بالتحريك): الدنس والعيب، وكل شين في دين أو دنيا فهو طبَع. وأصله من الوسخ والدنس يغشيان السيف، ثم استعير فيما يشبه ذلك من الأوزار والآثام وغيرهما من المقابح.

(٢) في حـ: «الموصليّ» وانظر الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من هذا الجزء.

(٣) كذا في أكثر الأصول. والخنث (بالضم): اسم من التخنث. وفي ب، س: «الخبث» بالباء وهو تصحيف.

(٤) دهلك (بفتح أوّله وسكون ثانيه ولام مفتوحة وآخره كاف)، اسم أعجميّ معرب، وهي جزيرة في بحر القلزم، في طريق المسافرين في بحر عيذاب إلى اليمن، بينها وبين اليمن نحو ثلاثين ميلاً، وهي ضيقة حرجة حارّة، كان بنو أُمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها.

(٥) في ط، ء: «في محمل عري». وكانت تكون هذه الرواية جميلة لو أنها كانت: على فرس عُرْي أو على دابة عري.

(٦) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «ومما صرف فيه».

(٧) الأعلاث من الشجر: القطع المختلفة مما يقدح به من المرخ والبيبس واحدها علث بالكسر. والأقداح: جمع قِدْح وهو السهم قبل =

كان الأحوص بن محمد الأنصاريّ قد أوسع قومه هِجاء فملاهم شرًّا، فلم يبقَ له فيهم صديقٌ، إلاّ فتًى من بني جَحْجَبَى[١]. فلمّا أراد الأحوص الخروجَ إلى يزيد بن عبد الملك، نَهَض الفتى في جَهَاره وقام بحوائجه وشيَّعه؛ [٢٤١/٤] فلمّا كان بِسقَايةِ سليمانَ وَركب الأحوصُ مَحْمِلَه، أقبل على الفتى فقال: لا أَخْلَفَ اللَّهُ عليك بخير! فقال: / مَهْ! غفرَ اللَّهُ لك! قال الأحوص: لا واللّهِ أو أُعَلِّقها حرباً! يعني قُبَاءَ[٢] وبني عمرو بن عَوْف.

هجا معن بن حميد الأنصاريّ فعفا عنه ثم هجا ابن أبي جرير فأهاله وهدّده:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّةَ قال حدّثني محمد بن يحيى قال قال غَسّان بن عبد الحميد:

أقبل الأحوصُ حتّى وقف على مَعْن بن حُمَيْد الأنصاريّ، أحد بني عمرو بن عوف بن جَحْجَبَى، فقال:

رأيتُـك مَـزْهُـوًّا كـأنّ أبـاكُـمُ ... صُهَيْبَـةَ أمسَـى خيـرَ عَـوْفٍ مُـرَكَّبـا

تُقِـرُّ بكـم كُـوثَـى[٣] إذا مـا نُسِبْتُـمُ ... وتُنكـركـم عَمْـرُ بـن عَـوْفِ بـن جَحْجَبَـى

عليـكَ بـأدنـى الخَطْـبِ إنْ أنـت نِلْتَـهُ ... وأقْصِـرْ فـلا يَـذْهَـبْ بـك التِّيـهُ مَـذْهَبَـا

فقام إليه بنوه ومَوَاليه؛ فقال: دَعُوا الكلب، خَلُّوا عنه، لا يَمَسَّه أحدٌ منكم؛ فانصرَف. حتّى إذا كان عند أحجار المِرَاءِ بقُبَاءَ لَقِيه ابن أبي جرير أحد بني العَجلان، وكان شديداً ضابطاً[٤]؛ فقال له الأحوصُ:

إنّ بقـــومٍ سَـــوَّدُوكَ لَحـــاجَـــةً ... إلـى سَيِّـــد لـــو يَظْفَـــرون بسَيِّـــدِ

فألقى ثيابَه وأخذ بحَلق الأحوص، ومع الأحوص راويتُه، وجاء الناسُ [ليخلّصوه][٥]، فحلف لئن خَلَّصه أحدٌ من يديه لَيأخُذَنَّه ولَيَدَعَنَّ الأحوص؛ فخنقه حتى آسترخَى، وتركه حتى أفاق؛ ثم قال له: كلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ، لئن[٦] [٢٤٢/٤] سُمِع أو سَمِعتُ هذا البيت من أحدٍ من الناس لأضربنَّك ضربةً بسيفي أُريد بها نَفْسَك ولو كنتَ / تحت أستار الكعبة. فأقبل الأحوص على راويته فقال: إنّ هذا مجنون، ولم يسمع هذا البيتَ غيرُك؛ فإيّاك أن يسمَعه منك خَلْق.

لقي عباد بن حمزة ومحمد بن مصعب فلم يهشا له ثم تهدّداه إن هجاهما:

أخبرني الحَرَميّ والطُّوسِيّ قالا حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني بعض أصحابنا:

= أن يراش وينصل. والقضب: كل شجر سبطت أغصانه وطالت، وما قطع من الأغصان للسهام أو القسيّ. (انظر «القاموس» و «شرحه» مادتي علث وقضب).

(١) جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس وهو جدّ أحيحة بن الجُلاح اليثربي: حي من الأنصار ثم من الأوس. (انظر «القاموس» و «شرحه» مادة جحجب).

(٢) كذا بالأصول.

(٣) كوثى: محلة بمكة لبني عبد الدار.

(٤) ضابط: شديد البطش والقوّة والجسم.

(٥) زيادة عن م.

(٦) كذا في م. وفي ط: «لئن سمعت هذا البيت...». وفي سائر الأصول: «كل مملوك لي حر إن سمع أو سمعت...».

أنّ الأحوص مرّ بعَبّاد بن حَمْزةَ بن عبدالله بن الزُّبَيْر ومحمد بن مُصْعَب بن الزُّبير بخيمَتَيْ[١] أُمّ مَعْبَد، وهما يُريدان الحجَّ مَرْجِعَه من عند يَزيدَ بن عبد الملك، وهو على نَجيبٍ له فارِهٍ ورَحْل فاخرٍ وبزة مرتفعة، فحدّثهما أنّه قَدِم على يزيد بن عبد الملك، فأجازه وكساه وأَخْدَمه[٢]؛ فلم يَرَهما يَهَشّان لذلك، فجعل يقول: خَيْمَتَيْ أُمّ مَعْبَد، عَبّاد ومحمد، كأنه يَرُوض القوافيَ للشعر يُريد / قولَه. فقال له محمد بن مُصْعَب: إنّ أراك في تهيئة شعر وقَوَافٍ ٤٧/٤ وأراكَ تُريد أن تهجونَا! وكلُّ مملوك[٣] لي حُرٌّ لئن هجوتَنا بشيء إنْ لم أضربْك بالسيف مجتهداً[٤] على نفسك. فقال الأحوصُ: جعلني الله فداك! إنّي أخاف أن تُسْمعَ هذا فيّ عدوًّا فيقول شعراً يهجو كما به فيَنْحَلُنِيه[٥]، وأنا أبرئكما الساعةَ، كلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن هجوتُكما ببيت شعرٍ أبداً.

أراد أن يصحب محمد بن عباد في طريقه إلى مكة فأبى محمد:

أخبرني الحَرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني عَمّي مُصْعَب قال حدّثنا الزبير بن خُبَيْب[٦] عن أبيه خُبَيْب بن ثابت قال:

/ خرجْنا مع محمد بن عَبّاد بن عبدالله بن الزُّبير إلى العُمْرة، فإنّا لَبِقُرْب قُدَيْد[٧] إذ لَحِقَنا الأحوصُ الشاعر [٢٤٣/٤] على جملٍ برَحْل؛ فقال: الحمدُ لله الّذي وفّقكم لي[٨]، ما أُحِبُّ أنكم غيرُكم، وما زِلتُ أُحَرِكُ في آثاركم مذ رُفِعتم لي[٩]؛ فقد ازددت بكم غِبْطةً. فأقبل عليه محمد، وكان صاحبَ جِدٍّ يكره الباطلَ وأهلَه، فقال: لكنّا واللّهِ ما اغتبطْنا بك ولا نُحِبُّ مُسَايرتَك، فتَقدّمْ عنّا أو تأخَّرْ. فقال: واللّهِ ما رأيتُ كاليوم جواباً! قال: هو ذاك. قال: وكان محمد صاحبَ جِدٍّ [يكره الباطلَ وأهلَه][١٠]، فأشفقْنا مما صنَع، ومعه عِدّةٌ من آل الزبير[١١]، فلم يَقْدِرْ أحدٌ منهم أن يَرُدَّ عليه. قال: وتقدّم الأحوصُ، ولم يكن لي شأنٌ غيرَ أن أعتذرَ إليه. فلمّا هَبَطْنا من المُشَلَّل[١٢] على خيمتَيْ أمّ

---

(١) خيمة أم معبد ويقال بئر أم معبد: موضع بين مكة والمدينة نزله رسول الله ﷺ في هجرته. ومعه أبو بكر رضي الله عنه، وقصته مشهورة. قالوا: لما هاجر رسول الله ﷺ لم يزل مساحلاً حتى انتهى إلى قديد فانتهى إلى خيمة منتبذة، وذكروا الحديث، وسمع هاتف ينشد:

جزى الله خيراً والجزاء بكفه ... رفيقين قالا خيمتي أم معبد

(٢) اخدمه: وهب له خادماً.

(٣) في الأصول: «وكل مملوك له».

(٤) الاجتهاد: بذل الوسع والمجهود في طلب الأمر، وهو افتعال من الجهد بمعنى الطاقة. فلعل معنى قوله: «مجتهداً على نفسك»: باذلاً ما في وسعي وطاقتي في القضاء على نفسك.

(٥) نخله القول: نسبه إليه وهو لم يقله.

(٦) كذا في «المشتبه» للذهبي (ص ١٤٧) و «فهرس» الطبري. وفي الأصول: «حبيب» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.

(٧) قال ياقوت في «معجمه»: «قديد بالتصغير: اسم موضع قرب مكة. قال ابن الكلبيّ: لما رجع تُبّع من المدينة بعد حربه لأهلها نزل قديداً فهبت ريح قدّت خيم أصحابه، فسمي قديداً». وقال في «اللسان» مادّة قدد: «قديد: ماء بالحجاز وهو مصغر، وورد ذكره في الحديث؛ قال ابن سيده: وقديد موضع، وبعضهم لا يصرفه ويجعله اسماً للبقعة».

(٨) وفقكم لي: جعلكم تصادفونني وتلاقونني. وفي «اللسان» (مادة وفق): «ويقال: وَفِقْت له ووُفِّقت له ووَفِقْتُه ووَفقَني، وذلك إذا صادفني ولقيني».

(٩) رفع لي الشيء: أبصرته من بعد.

(١٠) زيادة عن ط، م،ء.

(١١) في ط، م،ء: «من ولد الزبير».

(١٢) المشلل (بالضم فالفتح وفتح اللام المشدّدة): جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر. (انظر ياقوت في المشلل).

مَعْبَد سمعتُ الأحوصَ يُهَمْهِمُ[1] بشيء، فتفهَّمْتُه فإذا هو يقول: خيمتَيْ أُم معبد، محمد، كأنّه يُهَيِّىء القوافي؛ فأمسكتُ راحلتي حتّى جاءني محمد، فقلتُ. إنّي سمعتُ هذا يُهَيِّىء لك القوافيَ، فإمّا أذِنْتَ لنا أن نعتذرَ إليه ونُرْضِيَه، وإمّا خَلَّيْتَ[2] بيننا وبينه فنضربه[3]؛ فإنّا لا نُصادفه في أخْلَى من هذا المكان. قال: كلّا! إنّ سعد بن مُصْعَب قد أخذ عليه ألّا يهجوَ زُبَيْريًّا أبداً، فإن فعل رجوتُ أن يُخْزِيَه الله، دَعْه.

[٢٤٤/٤] / هجا سعد بن مصعب فلما أراد ضربه حلف له ألا يهجو زبيرياً فتركه:

قال الزُّبير: وأمّا خبرُه مع سَعْد بن مُصْعَبٍ، فحدّثني به عَمِّي مُصْعَب قال أخبرني يحيى بن الزُّبَير بن عَبّاد أو مُصْعَب بن عثمان ـ شَكَّ: أيُّهما حدّثه ـ قال:

كانت أَمَةُ الملك بنت حَمْزةَ بن عبدالله بن الزُّبَير، تحت سعد بن مُصْعَب بن الزُّبَير، وكان فيهم مأتمٌ، فاتّهمته بامرأةٍ، فغارتْ عليه وفضحته. فقال الأحوص يُمازحه:

وليس بسَعْدِ النّارِ مَنْ تزعُمونه	ولكنّ سَعْدَ النارِ سعدُ بن مُصْعَبِ
ألم تَرَ أنّ القومَ ليلةَ نَوْحِهِمْ	بَغَوْهُ فألفَوْهُ على شَرِّ مَرْكَبِ
فما يَبتغي بالغَيِّ لا دَرَّ دَرُّه	وفي بيته مثلُ الغَزالِ المُرَبَّبِ

ـ قال: وسعدُ النار رجلٌ يقال له سعد حضنة، وهو الذي جدّد لزياد بن عُبَيْد الله[4] الحارثيّ الكتابَ الذي في جدار المسجد، وهو آياتٌ من القرآن أحسبُ أنّ منها ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾. فلمّا فرغ منه قال لزياد: أَعْطِني أجْري. فقال له زياد: انتظِرْ، فإذا رأيْتَنا نعمل بما كتبتَ، فخُذْ أجرك ـ.

قال: فعمِلَ سعدُ بن مُصْعَبٍ سُفْرةً، وقال للأحْوَص: اِذْهَبْ بنا إلى سَدّ عُبَيْد الله بن عمر نَتَغَدَّ عليه، ونشْربْ من مائه، ونَسْتَنْقِعْ فيه؛ فذهب معه. فلمّا صارا إلى الماء، أمر غِلمانَه أن يَرْبِطوه وأراد ضربَه، وقال: ما جَزِعتُ من هجائك إيّايَ، ولكن ما ذكْرُكَ زوجتي؟! فقال له: يا سَعْدُ، إنكَ لَتعلم أنّك إن ضربتَني لم أكْفُفْ عن الهجاء، ولكن خيرٌ لك من ذلك أحلِفُ[5] لك بما / يُرضيك ألّا أهجوَك ولا أحداً من آل الزُّبَير أبداً؛ فأحلَفَه وتركه. ٤٨/٤

[٢٤٥/٤] / هجا مجمع بن يزيد فسبه:

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني مُصْعَبٌ عمّي عن مُصْعَب بن عثمان قال:

قال الأَحْوَص لمُجَمِّع بنِ يزيدَ بنِ جارِيةَ[6]:

---

(١) الهمهمة: الكلام الخفيّ، وقيل: الهمهمة: تردّد الزئير في الصدر من الهمّ والحزن؛ يقال: همهم الأسد، وهمهم الرجل، إذا لم يبين كلامه.

(٢) في الأصول: «وإما أن خليت» بزيادة «أن».

(٣) في ط، م،ء: «فضربناه».

(٤) كذا في م، وهو الموافق لما في الطبري. وفي حـ: «العُبيد الله بن زياد الحارثي». وفي أكثر الأصول: «الزياد بن عبدالله».

(٥) سياق الكلام يقتضي وجود «أن» المصدرية، فهي إذاً محذوفة مقدّرة.

(٦) مجمع، بضم أوّله وفتح الجيم وتشديد الميم المكسورة. وجارية، بالجيم والراء والياء المثناة من تحت كما في «تهذيب التهذيب» في اسم مجمع. وقد ورد هذا الاسم في الأصول: «حارثة» بالحاء والراء والثاء المثلثة، وهو تصحيف.

وجُمِّعْتَ من أشياءَ شتَّى خبيثةٍ فسُمِّيتَ لمّا جئتَ منها مُجَمِّعَا

فقال له مجمّع: إنّي لا أحسن الشعرَ، ثم أخذ كِرْنافةً[1] فغَمَسها في ماءٍ فغاصتْ، ثم رفَع يده عنها فطفتْ، فقال: هكذا والله كانت تصنَع خالاتُك السَّوَاحِرُ.

طلب من أم ليث أن تدخله إلى جارة لها فأبت فعرّضا بها في شعره:

أخبرني الحَرَميّ قال وحدّثنا الزُّبير قال:

كانتِ امرأةٌ يقال لها أمُّ لَيْث امرأةَ صِدْقٍ[2]، فكانت قد فتحتْ بينها وبين جارةٍ لها من الأنصار خَوخة، وكانت الأنصاريّة من أجمل أنصاريّةٍ خُلِقَتْ. فكلّم الأحْوَص أمَّ ليثٍ أن تُدْخِله في بيتها يكلّم الأنصاريّة من الخَوْخة التي فتحتْ بينها وبينها، فأبت؛ فقال: أمَا لأكافئنّك، ثم قال:

هيهاتَ منكَ بنو عَمْرٍ ومَسْكَنُهم إذا تَشَتَّيْتَ قِنَّسْرِينَ[3] أو حَلَبَا

قامتْ تراءَى وقد جَدّ الرحيلُ بنا بين السَّقِيفةِ والبابِ الذي نُقِبَا

إنّي لَمَانِحُها ودّي ومُتَّخِذٌ بأمّ لَيْثٍ إلى معروفِها سَبَبَا

فلمّا بلغتِ الأبياتُ زوجَ المرأة، سَدّ الخوخة؛ فاعتذرت إليه أمّ ليث، فأبى أن يقبَل ويُصَدِّقَها. فكانت أمّ لَيْث تدعو على الأحوص.

/ وعده مخزوميّ أن يعينه عند الوليد ثم أحلف: [٢٤٦/٤]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عُمَر بن شَبّة قال حدّثني أبي قال:

ركِب الأَحْوَصُ إلى الوليد بن عبد الملك قبل ضَرْب ابن حَزْمٍ إيّاه، فلَقِيَه رجلٌ من بني مخزوم يقال له محمد بن عُتْبَةَ، فوَعَده أن يُعِينَه. فلمّا دخل على الوليد قال: وَيْحَك! ما هذا الذي رُمِيتَ به يا أحوص؟ قال: والله يا أمير المؤمنين، لو كان الذي رماني به ابنُ حزمٍ من أمر الدِّين لاحتنبتُه، فكيف وهو من أكبر مَعَاصي الله! فقال ابنُ عُتْبَةَ: يا أمير المؤمنين، إنّ من فضل ابن حزمٍ وعَدْلِه كذا وكذا، وأثنى عليه. فقال الأحوص: هذا والله كما قال الشاعر[4]:

وكنتَ كذئبِ السَّوْءِ لمّا رأى دَماً بصاحبه يوماً[5] أحالَ على الدّمِ

شكاه أهل المدينة فنفى إلى دهلك ثم استعطف عمر بن عبد العزيز فلم يعطف عليه:

فأمّا خبره في بقيّة أيّام سليمانَ بن عبد الملك وعُمَر بن عبد العزيز، فأخبرني به أبو خَلِيفةَ الفَضْلُ بن الحُبَاب

---

(١) الكرنافة: واحدة الكرناف (بكسر الكاف وضمها)، وهو أصول الكرب التي تبقى في جذع النخلة بعد قطع السعف.

(٢) إذا قلت: رجل صدق أو امرأة صدق بالإضافة كسرت الصاد، وإن نعتّ به فتحتها.

(٣) قنسرين (بكسر القاف وفتح النون مشدّدة): كورة بالشام بالقرب من حلب، وهي أحد أجناد الشام. فتحها أبو عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه في سنة سبع عشرة.

(٤) هو الفرزدق.

(٥) أحال على الدم: أقبل عليه. ومثله قول الشاعر:

فتى ليس لابن العمّ كالذئب إن رأى بصاحبه يوماً دماً فهو آكله

[الجُمَحيّ][1] قال حدّثنا عَوْنُ بن محمد بن سَلّام قال حدّثني أبي عمّن حدّثه عن الزُّهْرِيّ، وأخبرني به الطُّوسِيّ والحَرَميّ بن أبي العلاء قالا: حدّثنا الزُّبَيْر بن بكّار قال حدّثني عَمّي مُصْعَبٌ عن مُصْعَب بن عثمان قال:

كان الأَحْوَصُ يَنْسُبُ بنساءِ ذواتِ أخطار من أهل المدينة، ويتغنّى في شعره مَعْبَدٌ ومالك، ويَشِيع ذلك في الناس، فنُهِي فلم يَنْتَهِ؛ فشُكِي إلى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة وسألوه الكتابَ فيه إليه، ففعل ذلك. فكتَب سليمانُ إلى عامله يأمُره أن يضربَه مائةَ سَوْطٍ ويُقِيمَه على البُلُس للناس، ثم يُصَيِّرَه إلى دَهْلَك[2] ففعل ذلك به؛ فثوَى هناك سُلْطانَ[3] سليمانَ بنِ عبد الملك. ثم وَلِي عمر / ابنُ عبد العزيز؛ فكتب إليه يستأذنه في القدوم ويمدَحه؛ فأبى أن يأذَن له. وكتب فيما كتب إليه به: [٢٤٧/٤]

[٤٩/٤]

/ أيـا راكبـاً إمّـا عَـرَضْـتَ فبلِّغَـنْ هُـدِيـتَ أميـرَ المـؤمنيـن رسـائلـي

وقُـلْ لأبـي حَفْـصٍ إذا مـا لَقِيتَـهُ لقـد كنـت نَفّـاعـاً قليـلَ الغـوائـل

وكيـف تـرى للعيـش طِيبـاً ولَـذّةً وخـالُـك أمسَى مُـوثَقـاً فـي الحبـائـل!

ـ هذه الأبيات من رواية الزُّبَيْر وحدَه، ولم يذكرها ابنُ سَلّام ـ قال: فأتى رجالٌ من الأنصار عُمَرَ بن عبد العزيز، فكلَّموه فيه وسألوه أن يُقْدِمَه، وقالوا له: قد عرفتَ نَسَبَه وموضعَه وقديمَه، وقد أُخرِجَ إلى أرض الشِّرْك، فنطلب إليك أن تَرُدَّه إلى حَرَم رسول الله ﷺ ودارِ قومِه. فقال لهم عمر: فَمِن الذي يقول:

فـمـا هُـوَ إلاّ أن أَراهـا فُجَـاءةً فـأُبْهَـتَ حتّـى مـا أكـادُ أُجِيـبُ

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

أَدُورُ ولـــولا أنْ أرى أمَّ جَعْفَـــرٍ بـأبيـاتكـم مـا دُرْتُ حيـث أدورُ[4]

ومـا كنـتُ زَوّاراً ولكِـنّ ذَا الهـوى إذا لـم يـزرْ لا بُـدَّ أنْ سَيَـزُورُ

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

كـأنّ لُبْنَـى صَبِيـرُ غـاديـةٍ[5] أو دُمْيَـةٌ زُيِّنَـتْ بهـا البِيَـعُ

اللّـهُ بينـي وبيـن قَيِّمِهـا يَفِـرُّ منّـي بهـا وأَتَّبِـعُ

/ قالوا: الأحوص. قال: بَلِ اللّهُ بين قَيِّمها وبينه. قال: فمن الذي يقول: [٢٤٨/٤]

ستَبْقَى لها[6] في مُضْمَرِ القلبِ والحَشَا سـريـرةُ حُـبٍّ يـومَ تُبْلَـى السَّـرائـر

---

(١) زيادة عن س، حـ.

(٢) دهلك: جزيرة في بحر اليمن وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة، بلدة ضيقة حرجة حارة، كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها. (راجع ياقوت).

(٣) يريد: مدة سلطانه.

(٤) هذا البيت لعروة بن حزام العذري، كما ذكره المؤلف في ترجمته ضمن شعر له، وكما ذكره ابن قتيبة في كتابه «الشعر والشعراء»، لا للأحوص.

(٥) الصبير: السحاب الأبيض الذي يُصْبَر بعضه فوق بعض درجاً. والغادية: السحابة تنشأ غدوة.

(٦) في «الشعر والشعراء» (ص ٣٣٠ طبع أوروبا): «ستُبْلَى لكم».

قالوا: الأَحْوَص. قال: إنّ الفاسق عنها يومئذ لمشغولٌ، واللّهِ لا أَرُدُّه ما كان لِي سلطان. قال: فمكَث هناك بقيّةَ ولاية عُمَرَ وصَدْراً من ولاية يزيدَ بن عبد الملك.

غنت حبابة يزيد بن عبد الملك بشعر فلما علم أنه للأحوص أطلقه وأجازه:

قال: فبينَا يزيدُ وجاريته حَبَابةُ ذاتَ ليلةٍ على سطح تُغَنِّيه بشعر الأحوص، قال لها: مَنْ يقول هذا الشعر؟ قالت: لا وعينيك ما أدري! ـ قال: وقد كان ذهب من الليل شَطْرُه ـ فقال: ابعثوا إلى ابن شِهَابٍ الزُّهْرِيّ، فعسى أن يكون عنده علمٌ من ذلك. فأُتِيَ الزُّهْرِيُّ فقُرِع عليه بابُه فخرج مُرَوَّعاً إلى يزيد. فلمّا صعِد إليه قال له يزيد: لا تُرَعْ، لم نَدْعُك إلّا لخير، اِجْلِسْ، مَنْ يقول هذا الشعر؟ قال: الأحوص بن محمد يا أمير المؤمنين. قال: ما فَعَل؟ قال: قد طال حَبْسُه بدَهْلَك. قال: قد عَجِبْتُ لعُمَر كيف أغفلَه. ثم أمر بتَخْلِيَةِ سبيله، ووَهَب له أربعمائة دينار. فأقبل الزُّهْرِيّ من ليلته إلى قومه من الأنصار فبَشَّرهم بذلك.

قصيدته التي يعاتب بها عمر بن عبد العزيز على إدنائه زيد بن أسلم وإقصائه له:

أخبرني الحَرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنا محمد بن إسماعيل ومحمد بن زيد الأنصاريّ قالا:

لَمّا وَلِي عُمَرُ بن عبد العزيز الخلافةَ أدْنَى زيدَ بن أَسْلَمَ، وجفا الأَحْوَصَ. فقال له الأحوص:

أَلَستَ أبا حَفْصٍ هُدِيتَ مُخَبِّرِي ... أَفِي الحَقِّ أَنْ أُقْصَى ويُدْنَى ابنُ أَسْلَمَا

فقال عمر: ذلك هو الحق.

/ قال الزُّبَير: وأنشدنيها عبدُ الملك بن الماجِشُون عن يوسف بن الماجِشون: [٢٤٩/٤]

أَلاَ صِلَةُ الأرحامِ أدنَى إلى التُّقَى ... وأظهرُ في أكفائه[1] لو تكرَّمَا

/ فما تركَ الصُّنْعُ الذي قد صنعتَه ... ولا الغيظُ منّي ليس جِلْداً وأَعْظُمَا [٥٠/٤]

وكنّا ذَوِي قُرْبَى لديك فأصبحتْ ... قرابتُنا ثَدْياً أَجَدَّ[2] مُصَرَّمَا

وكنتَ وما أمّلتُ منك كَبارِقٍ ... لَوَى قَطْرَه من بعد ما كان غَيَّمَا

وقد كنتَ أرجَى الناسِ عندي مَوَدّةً ... ليالِيَ كان الظنُّ غَيْباً مُرَجَّمَا

أَعُدُّك حِرْزاً إن جَنيتُ ظُلامةً ... ومالاً ثَرِيًّا حين أحملُ مَغْرَمَا

تَدَارَكْ بعُتْبَى عاتباً ذا قَرابةٍ ... طَوَى الغيظَ لم يَفْتَحْ بسُخْطٍ له فَمَا

قيل إنه دس إلى حبابة الشعر الذي غنت يزيد به فأطلقه وأجازه:

أخبرني الحَرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال: كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم أنّ أبا عُبَيدة حدّثه:

أنّ الأحوص لم يَزَلْ مقيماً بدَهْلَك حتّى مات عمرُ بن عبد العزيز، فدَسّ إلى حَبَابةَ فغنَّتْ يزيدَ بأبيات له ـ قال أبو عُبيدة: أظنُّها قولَه:

---

(١) في ط: «وأطهر في أكفانه».

(٢) كذا في «، ط و«الشعر والشعراء». وثدي أجدّ: يابس لا لبن به. ومصرّم: منقطع اللبن. وفي ب، س: «أحذ» بالحاء والذال المعجمة، وهو تصحيف.

صوت

أَيُّهـذا المُخَبِّـري عـن يـزيـدِ بصَـلاَحٍ فِـدَاكَ أهلـي ومـالـي

مـا أُبـالـي إذا يـزيـدُ بَقِـي لـي مَـنْ تَـوَلَّـتْ بـه صُـروفُ الليـالـي

لم يجنِّسه. كذا جاء في الخبر أنها غنَّته به، ولم يذكر طريقته قال أبو عُبَيدة: أراه عَرّض بعمر بنِ عبد العزيز ولم يَقْدِرْ أن يصرِّح مع بني مَرْوان ـ فقال: مَنْ / يقول هذا؟ قالت: الأحوص، وهَوّنتْ أمرَه، وكلَّمته في أمانه فأمَّنه. فلمَّا أصبح حضَر فاستأذنت له، ثمّ أعطاه مائةَ ألفِ درهم. [٢٥٠/٤]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَديّ عن صالح بن حَسّان:

أنّ الأحوصَ دَسَّ إلى حَبَابة، فغنَّتْ يزيدَ قولَه:

كـريـمُ قُـرَيْـشٍ حيـن يُنْسَـبُ والـذي أقـرَّتْ لـه بـالمُلْـكِ كَهْـلاً وأَمْـرَدَا

وليـس وإن أعطـاك فـي اليـوم مـانِعـاً إذا عُـدْتَ مـن أضعـاف أضعـافِـه[١] غَـدَا

أهـان تِـلادَ المـالِ فـي الحمـد إنَّـه إمـامُ هُـدًى يجـري علـى مـا تَعَـوَّدا

تَشـرَّفَ مجـداً مـن أبيـه وجَـدِّه وقـد وَرِثَـا بُنْيـانَ مجـدٍ تَشَيَّـدا[٢]

فقال يزيد: ويلك يا حَبَابةُ! مَنْ هذا مِن قريش؟ قالت: ومَنْ يكون! أنت هو يا أمير المؤمنين. فقال: ومن قال هذا الشعر؟ قالت: الأحوص يمدَح به أميرَ المؤمنين؛ فأمر به أميرُ المؤمنين أن يُقْدَمَ عليه من دَهْلَك، وأمر له بمالٍ وكُسْوة.

أخبره يزيد بن عبد الملك بأنه معجب بشعر له في مدحهم:

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني بعضُ أهل العلم قال:

دخل الأحوصُ على يزيدَ بن عبد الملك وهو خليفةٌ؛ فقال له يزيد: واللّهِ لو لم تَمُتَّ إلينا بحُرْمة، ولا تَوَسَّلتَ بدالَّة، ولا جَدّدْتَ لنا مَدْحاً[٣]، غيرَ أنك مُقْتَصِرٌ على البيتين اللذين قلتَهما فينا، لكنتَ مُستوجباً لجزيل الصِّلَةِ منِّي حيث تقول:

وإنِّـي لأستحييكُـمُ أنْ يقـودَنـي إلـى غيـركـم مـن سـائـر النـاس مَطْمَـعُ

/ وأنْ أجْتَـدِي للنفـع غيـرَك منهـمُ وأنـت إمـامٌ للـرعيّـة مَقْنَـعُ[٤] [٢٥١/٤]

قال: وهذه قصيدةٌ مدَح بها عمرَ بن عبد العزيز.

(١) كذا في حـ، م. وفي سائر الأصول: «أضعاف إعطائه».

(٢) في م: «مشيداً» وفي ء، ط: «وشيدا».

(٣) كذا في «الأمالي» لأبي عليّ القالي (ج ١ ص ٦٩ طبع دار الكتب المصرية). وفي الأصول: «ولم تضربنا بدالةٍ ولم تجدّد لنا مديحة... إلخ».

(٤) رجل مقنع (بفتح الميم): يقنع به ويرضى برأيه وقضائه.

لما ولي يزيد بعث إليه فأكرمه فمدحه:

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبدالله الزُّهْريّ قال حدّثني عمر بن موسى بن عبد العزيز قال:

لمّا وَلِي يزيدُ بن عبد الملك بعث إلى الأحوص، فأُقْدِمَ عليه، فأكرمه وأجازه بثلاثين ألفَ / درهم. فلمّا قَدِم [٥١/٤] قُبَاء صَبّ المالَ على نِطْع ودعا جماعةً من قومه، وقال: إنّي قد عَمِلتُ لكم طعاماً. فلمّا دخلوا عليه كشَف لهم عن ذلك المال، وقال: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ﴾.

قال الزُّبَير: وقال في يزيدَ بن عبد الملك يمدحه حينئذ بهذه القصيدة:

صَـرَمَـتْ حَبْلَـك الغـداةَ نَـوَارُ ... إنّ صَـرْمـاً لكـلّ حبـلٍ قُصَـارُ[1]

وهي طويلة، يقول فيها:

مَـنْ يَكُـنْ سـائـلاً فـإنّ يـزيـداً ... مَلِـكٌ مِـنْ عَطَـائـه الإكثـارُ

عَـمَّ معـروفُـه فعَـزَّ بـه الـدّيـ ... ـنُ وذَلّـتْ لِمُلْكِـه الكُفّـارُ

وأقـامَ الصِّـراطَ فـابـتـهـجَ[2] الـحَـقُّ مـنـيـراً كمـا أنـار النّهـارُ

ومن هذه القصيدة بيتان يُغَنّى فيهما، وهما:

صوت

بَشَـرٌ لـو يَـدِبُّ ذَرٌّ عليـه ... كـان فيـه مـن مَشْيِـه آثـارُ

إنّ أَرْوَى إذا تـذكّـر أَرْوَى ... قَلْبُـه كـاد قلبُـه يُسْتَطـارُ

/ غنّت فيه عَرِيبُ لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر، وذكر ابنُ المكّي أنه لجدّه يحيى. [٢٥٢/٤]

بعث يزيد إليه وإلى ابن حزم فأراد أن يكيد عنده لابن حزم فلم يقبل منه وأهانه:

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني عَمّي مُصْعَبٌ عن مُصْعَب بن عثمان قال:

حَجّ يزيدُ بن عبد الملك فتزوّج بنتَ عَوْن بن محمد بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأَصْدَقها مالاً كثيراً؛ فكتب الوليدُ بن عبد الملك إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم: إنّه بلغ أميرَ المؤمنين أنّ يزيدَ بن عبد الملك قد تزوّج بنتَ عَوْن بن محمد بن عليّ بن أبي طالب وأَصْدَقها مالاً كثيراً، ولا أُراه فعل ذلك إلاّ وهو يراها خيراً منه، قَبّح الله رأيَه! فإذا جاءك كتابي هذا فادْعُ عوناً فاقْبِضِ المالَ منه؛ فإنْ لم يدفعه إليك فأضرِبْه بالسِّياط حتى تَسْتَوْفِيَه منه ثم افْسَخْ نِكاحَه. فأرسل أبو بكر بن محمد بن عمرو إلى عَوْن بن محمد وطالَبه بالمال. فقال له: ليس عندي شيءٌ وقد فرّقتُه. فقال له أبو بكر: إنّ أمير المؤمنين أمرني إن لم تَدْفَعه إليّ كلَّه أن أضربكَ بالسِّياط ثم لا أرفَعها عنك حتى أَستوفيَه منك. فصاح به يزيد: تعالَ إليّ، فجاءه؛ فقال له فيما بينه وبينه: كأنّك خَشِيتَ أن أُسلِمَك إليه، اِدْفَعْ إليه المالَ ولا تُعَرِّضْ له نفسك؛ فإنّه إنْ دفعه إليّ رددتُه عليك، وإن لم يَرُدَّه عليّ أخلفتُه عليك، ففعل. فلمّا

(١) القصار: الغاية.

(٢) في جـ، م: «فانتهج» بالنون بدل الباء. وعلى هذه الرواية يكون الفعل مبنياً للمفعول.

وَلِي يزيدُ بن عبد الملك، كتب في أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم وفي الأحوص، فحُملا إليه، لِمَا بين أبي بكر والأحوص من العداوة؛ وكان أبو بكر قد ضرَب الأحوص وغرَّبَه إلى دَهْلَك وأبو بكر مع عمر بن عبد العزيز، وعمر إذ ذاك على المدينة. فلمّا صارا بباب يزيدَ أُذِنَ للأحوص، فرفع أبو بكر يديه يدعو، فلم يَخْفِضْهُما حتى خرج الغِلمان بالأحوص مُلَبَّباً[1] مكسور الأنف، وإذا هو لمّا دخل على يزيد / قال له: أصلحك الله! هذا ابنُ حَزْمٍ الذي سفَّه رأيَك وردَّ نِكاحَك. فقال يزيد: كذبتَ! عليك لعنةُ الله وعلى مَنْ يقول ذلك! اكْسِروا أنفه، وأمَر به فأُخرِج مُلَبَّباً. [٢٥٣/٤]

قصته مع عبد الحكم بن عمرو الجمحي:

٥٢/٤ أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبدالله عن عبدالله بن / عمرو[2] الجُمَحِيّ قال:

كان عبدُ الحَكَم[3] بن عمرو بن عبدالله بن صَفْوان الجُمَحِيّ قد اتّخذ بيتاً فجعل فيه شِطْرَنْجاتٍ ونَرْدَاتٍ وقِرْقَاتٍ[4] ودفاترَ فيها من كلّ علم، وجعل في الجِدار أوتاداً، فمَنْ جاء علّق ثيابَه على وَتِدٍ منها، ثم جرّ دَفْتراً فقرأه، أو بعضَ ما يُلْعَب به فلَعِب به مع بعضهم. قال: فإنّ عبد الحكم يوماً لَفِي المسجد الحرام إذا فتًى داخلٌ من باب الحَنَّاطِين، بابِ بني جُمَحَ، عليه ثوبان مُعَصْفَرانِ مَدْلُوكان وعلى أُذنه ضِغْثٌ[5] رَيْحانٍ وعليه رَدْعُ[6] الخَلُوق، فأقبل يَشُقُّ الناسَ حتى جلَس إلى عبد الحَكَم بن عمرو بن عبدالله؛ فجعل مَنْ رآه يقول: ماذا صُبَّ عليه من هذا! ألم يَجِدْ أحداً يجلس إليه غيرَه! ويقول بعضهم: فأيّ شيء يقوله له عبد الحكم وهو أكرمُ مِنْ أن يَجْبَهَ مَنْ يقعُد إليه! فتحدّث إليه ساعةً ثم أهْوَى فشبَّك يدَه في يد عبد الحكم وقام يَشُقُّ المسجدَ حتّى خرج من باب الحَنَّاطين ـ قال عبد الحكم: فقُلت في نفسي: ماذا سَلَّط اللّهُ عليّ منك! رآني معك نِصفُ الناس في المسجد ونِصفُهم في الحَنَّاطين ـ حتى دخلَ مع عبد الحكم بيتَه، فعلَّق رداءَه على وَتِدٍ وحَلَّ أزرارَه واجْتَرَّ الشِّطْرَنْجَ / وقال: مَنْ يلعَب؟ فبينَا هو كذلك إذ دخل الأَبْجَرُ المُغَنّي، فقال له: أي زِنْدِيقُ ما جاء بك إلى هاهنا؟ وجعل يشتُمه ويُمَازِحه. فقال له عبد الحكم: أتشتُم رجلاً في منزلي! فقال: أتعرِفه؟ هذا الأحوص. فاعتنقه عبد الحكم وحيّاه. وقال له: أمّا إذ كنتَ[7] الأحوصَ فقد هان عليّ ما فعلتَ. [٢٥٤/٤]

خطب عبد الملك بن مروان أهل المدينة وتمثل بشعر له:

أخبرني الطُّوسِيّ والحَرَميّ قالا حدّثنا الزُّبَير بن بكار قال حدّثني حُمَيْد بن عبد العزيز عن أبيه قال:

لمّا قَدِم عبدُ الملك بن مَرْوانَ حاجًّا سنة خمس وسبعين، وذلك بعد ما اجتمع الناسُ عليه بعامين، جلس على المنبر فشَتَم أهلَ المدينة ووبَّخهم، ثم قال: إنّي والله يا أهلَ المدينة قد بلوتُكم فوجدتكم تَنْفَسُون القليلَ وتحسُدون

(١) ملبباً: مأخوذاً بتلابيبه، وهو أن يجمع ثيابه عند صدره ونحره ثم يجرّ منها.
(٢) في حـ، م: «عمر».
(٣) في حـ، م: «عبد الحكيم».
(٤) النردات: جمع نرد وهو ما يعرف اليوم «بالطاولة». والقِرقات: جمع قِرْق وهي لعبة للصبيان يخطّون بها أربعة وعشرين خطاً مربعة، كل مربع منها داخل الآخر، ويصفون بين تلك المربعات حصيات صغيرة على طريقة مخصوصة.
(٥) الضغث: كل ما ملأ الكف من النبات.
(٦) الردع: اللطخ بالزعفران. والخلوق: ضرب من الطيب، وقيل: الزعفران.
(٧) كذا في م. وفي سائر النسخ: «فقال إذا كنت. . . إلخ».

على الكثير، وما وجدتُ لكم مثلاً إلاّ ما قال مُخَنَّثكم وأخوكم الأحْوَص:

وكَمْ نزلتْ بي من خُطُوبٍ مُهِمّةٍ ... خَذَلْتُمْ عليها[1] ثمّ لم أَتَخَشَّعِ

فأَدْبَرَ عنّي شَرُّها لم أُبَلْ[2] بها ... ولم أَدْعُكُمْ في كَرْبِها المُتَطَلِّعِ

فقام إليه نَوْفَلُ بن مُساحِق فقال: يا أميرَ المؤمنين، أقْرَرْنا بالذّنب وطلبنا المعْذِرَةَ؛ فعُدْ بحِلْمِك، فذلك ما يُشْبِهُنا منك ويُشْبِهُك منّا؛ فقد قال مَنْ ذكرتَ من بعد بيتيه الأوّلين:

وإنّي لَمُسْتَأْنٍ ومُنْتَظِرٌ بكم ... وإنْ لم تقولوا في المُلِمّاتِ دَعْ دَعِ[3]

أُؤَمِّلُ منكم أنْ تَرَوْا غيرَ رأيكم ... وشيكاً وكيما تَنْزِعُوا خيرَ مَنْزَعِ

/ أثر أهل دهلك عنه الشعر وعن عراك بن مالك الفقه: [٢٥٥/٤]

أخبرني الحَرَمي والطُّوسِيّ قالا حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني محمد بن الضحّاك عن المُنْذر بن عبدالله الحِزاميّ:

أنّ عِرَاكَ[4] بن مالك كان من أشدّ أصحابِ عمر بن عبد العزيز على بني مَرْوانَ في انتزاع ما حازوا من الفَيْء والمَظالم من أيديهم. فلمّا وَلِي يزيدُ بن عبد الملك وَلَّى عبدَ الواحد بن عبدالله النَّصْري[5] المدينةَ، فقرّبَ عِرَاكَ بن مالك وقال: صاحبُ الرجل الصالح، وكان لا يقطَع أمراً دونه، وكان يجلِس معه على سَريره. فبينا هو معه إذ أتاه كتابُ يزيدَ بن عبد الملك: أنِ ابْعَثْ مع عِراكِ بن مالك حَرَسِيّاً حتى يُنْزِلَه أرض دَهْلَكَ وخُذْ من عِراكٍ / حَمُولَتَه. ٥٣/٤ فقال لحَرَسِيّ بين يديه وعِراكٌ معه على السرير: خُذْ بيد عِراكٍ فابْتَعْ من ماله راحلةً ثم تَوَجَّهْ به نحو دَهْلَكَ حتى تُقِرَّه فيها؛ ففعل ذلك الحرسِيّ. قال: وأَقْدَمَ الأحوصَ؛ فمدحه الأحوصُ؛ فأكرمه وأعطاه. قال: فأهلُ دَهْلَكَ يأثُرُون الشعرَ عن الأحوص، والفِقْهَ عن عرَاك ابن مالك.

كاد له الجراح الحكمي بأذربيجان لهجائه يزيد بن المهلب وأهانه:

أخبرني أبو خليفةَ الفَضْلُ بن الحُباب عن محمد بن سَلّام عن أبي الغَرّاف[6] عمن يَثِق به قال:

بَعث يزيدُ بن عبد الملك حين قُتِل يزيدُ بن المُهَلَّب في الشعراء، فأمر بهجاء يزيد بنِ المُهَلَّب، منهم الفرزدقُ وكُثَيِّرٌ والأَحْوَصُ. فقال الفرزدق: لقدِ امتدحتُ بني / المهلَّب بمدائح ما امتدحتُ بمثلها أحداً، وإنه لقبيحٌ بمثلي أن [٢٥٦/٤]

---

(١) في م:

«... خطوب ملمة ... صبرت عليها...»

(٢) أُبَل: أصله أبالي، فحذف آخره للجازم، ثم حذفت حركة اللام تخفيفاً كما تحذف نون يكون بعد الجازم، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين.

(٣) هذه كلمة تقال للعاثر، ومعناها: دع العثار وقم وانتعش واسلم، وقد تجعل اسماً كالكلمة وتعرب؛ قال الشاعر:

لحى الله قوماً لم يقولوا لعاثر ... ولا لابن عم نالـه العَثْرُ دَعْدَعَا

(٤) هو عراك بن مالك الغفاري التابعي، مات في ولاية يزيد بن عبد الملك. وقد ورد هذا الاسم محرّفاً في أكثر الأصول.

(٥) كذا في حـ، م. وهو الموافق لما في «الخلاصة» (ص ٢٤٧) و «تهذيب التهذيب» (ج ٢ ص ٤٣٦) و«الأنساب» للسمعاني. وينتسب كما هو مذكور في الأخيرين إلى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن مالك بن عوف. وقد أصلح المرحوم الأستاذ الشنقيطي نسخته بما صوبناه. وفي ب، س: «البصري» وهو تصحيف.

(٦) كذا في حـ. وفي سائر النسخ: «أبو العوّام» وهو تحريف. وأبو الغراف هذا من شيوخ ابن سلام.

يُكَذِّب نفسه على كِبَر السِّنّ، فَلْيُعفِني أميرُ المؤمنين؛ قال: فأعفاه. وقال كُثَيِّرٌ: إنّي أكرَه أن أُعَرِّضَ نفسي لشعراء أهلِ العراق إن هجوتُ بني المهلَّب. وأمّا الأحوص فإنّه هجاهم. ثم بَعث به يزيدُ بن عبد الملك إلى الجرّاح بن عبدالله الحَكَميّ وهو بأذْرَبيجانَ، وقد كان بلغ الجرّاحَ هجاءُ الأحْوَصِ بني المُهَلَّب، فبعث إليه بزِقٍّ من خَمْرٍ فأُدخِلَ منزلَ الأحوص، ثم بعث إليه خيلاً فدخلتْ منزلَه فصَبُّوا الخمر على رأسه ثم أخرجوه على رُؤوس الناس فأتَوْا به الجرّاحَ، فأمَر بحَلْقِ رأسِه ولِحيته، وضربه الحَدَّ بين أوجُه الرجال، وهو يقول: ليس هكذا تُضْرَبُ الحدود؛ فجعل الجرّاح يقول: أجَلْ! ولكن لِمَا تعلَم. ثم كتب إلى يزيدَ بن عبد الملك يَعْتَذِر فأغْضَى له عليها.

رأي أبي الفرج فيه واستدلاله على هذا الرأي:

قال أبو الفرج الأصبهانيّ: وليس ما جرى من ذكر الأحوص إرادةً للغَضِّ منه في شعْره، ولكنّا ذكرنا من كلِّ مَا يُؤْثَرُ عنه ما تَعرَفُ به حالُه من تَقَدُّمٍ وتأخُّرٍ، وفضيلةٍ ونَقْصٍ؛ فأمّا تفضيلُه وتقدُّمه في الشعر فمُتَعَالَم مشهور، وشِعْرُه يُنْبِيء عن نفسه ويَدُلّ على فضله فيه وتَقَدُّمِه وحُسْنِ رَوْنَقه وتَهَذُّبِه وصَفائه.

رأي الفرزدق وجرير في نسيبه:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء والطُّوسِيّ قالا حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز[(١)] قال حدّثني عبدالله بن مُسْلِم بن جُنْدُب الهُذَليّ قال حدّثنا شيخٌ لنا من هُذَيْل كان خالاً للفرزدق من بعض أطرافه قال:

سمعتُ بالفرزدق وجَرِير على باب الحَجّاج، فقلتُ: لو تَعَرّضتُ ابنَ أُختِنا! فامتطيتُ إليه بعيراً، حتى وجدتُهما قبل أن يَخلُصا[(٢)]، ولكلٍّ واحدٍ منهما شيعةٌ؛ فكنتُ / في شيعة الفرزدق؛ فقام الآذِن يوماً فقال: أين جرير؟ فقال جرير: هذا أبو فِرَاس؛ فأظهرتْ شيعتُه لَوْمَه وأسَرَتْه. فقال الآذِن: أين الفرزدق؟ فقام فدخل. فقالوا لجرير: أتُنَاوِئه وتُهاجِيه وتُشاخِصُه، ثم تُبَدّى عليه فتأبَى وتُبَدِّيه؟! قضيتَ له على نفسك! فقال لهم: إنّه نَزْرُ القول، ولم يَنْشَبْ[(٣)] أن يَنْفَدَ ما عنده وما قال فيه فيُفاخِرَه ويرفَع نفسَه عليه؛ فما جئتُ به بعدُ حُمِدْتُ عليه واسْتُحْسِن. فقال قائلُهم: لقد نظرت نَظَراً بعيداً. قال: فما نَشِبُوا أنْ خرَجَ الآذِنُ فصاح: أين جرير؟ فقام جرير فدخل. قال: فدخلتُ، فإذا ما مدَحه به الفرزدق قد نفِد، وإذا هو يقول: [٤/٢٥٧]

أيـنَ الـذيـن بِهِـمْ تُسَـامِـي دَارِمـاً[(٤)] أمْ مَـنْ إلـى سَلَفَـيْ[(٥)] طُهَيَّـةَ تجعـلُ

قال: وعِمامتُه على رأسه مثل المِنْسَف[(٦)]، فصِحتُ من ورائه:

---

(١) كذا في ء، ط، م، وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون. وفي سائر الأصول: «قال حدّثنا عبد العزيز» وفيه حذف؛ لأن الزبير بن بكار روى عن عبد الملك ولم يرو عن أبيه.

(٢) يخلصا: يصلا؛ يقال: خلص فلان إلى كذا إذا وصل إليه.

(٣) لم ينشب: لم يلبث. وهذا اللفظ عند العرب عبارة عن السرعة. وأصله من نشب العظم في الخلق والصيد في الحبالة. أي لم يعلق به شيء يمنعه من ذلك.

(٤) دارم: اسم قبيلة.

(٥) في ب، س: «سفلى طهية» وهو تحريف. والتصويب عن بقية الأصول والنقائض (ص ١٨٣). وطهية: بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم، كانت عند مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد، فولدت له أبا سود وعوفاً وجشيشاً، فغلبت على بنيها فنسبوا إليها.

(٦) المنسف: الغربال الكبير.

هـذا ابـنُ يُـوسُـفَ فـاعْلَمُـوا وتَفَهَّمُـوا ... بَـرِحَ الخَفَـاءُ فليس حيـن تَنَـاجِـي

/ مَـنْ سَـدَّ مُطَّلَـعَ[1] النِّفَـاقِ عليكُـمُ ... أمْ مَـنْ يَصُـولُ كصَـوْلَـةِ الحَجَّـاجِ

٥٤/٤

أم مَـنْ يَغَـارُ علـى النِّسـاء حفيظـةً ... إذ لا يَثِقْـنَ بغَيْـرةِ الأزواج

قُـلْ لِلْجَبَـانِ إذا تـأخَّـر سَـرْجُـهُ ... هـل أنـتَ مـن شَـرَكِ المَنِيَّـةِ نـاجـي

قال: وما تشبيبها؟ وطرب: فقال جرير:

/ لَـجَّ الهَـوَى بفُـؤادِكَ المِلْجَـاجِ[2] ... فـاحْبِـسْ بتَـوْضِـحَ بـاكِـرَ الأحْـدَاجِ

[٢٥٨/٤]

وأمرَّها، أو قال: أمضاها. فقال: أَعْطُوه كذا وكذا؛ فاستقللت ذلك. فقال الهُذَليّ: وكان جريرٌ عربيًّا قَرَوِيًّا، فقال للحجّاج: قد أمر لي الأمير بما لم يُفْهَمْ عنه، فلو دعا كاتباً وكتب بما أمرَ به الأمير! فدعا كاتباً واحتاط فيه بأكثر من ضِعْفه، وأعطى الفرزدقَ أيضاً. قال الهُذَليّ: فجئتُ الفرزدقَ فأمر لي بستِّين ديناراً وعبدٍ، ودخلتُ على رُوَاته فوجدتُهم يُعَدِّلون ما انحرف من شِعْره، فأخذتُ من شعره ما أردتُ. ثم قلتُ له: يا أبا فِراس، مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: أشعرُ الناس بعدي ابنُ المَرَاغة. قلت: فمَنْ أنْسَبُ الناس؟ قال الذي يقول:

لِـي ليلتـانِ فليلـةٌ مَعْسُـولـةٌ ... أَلْقَـى الحبيـبَ بهـا بِنَجْـمِ الأسْعُـدِ

ومُـرِيحـةٌ[3] هَمِّـي علـيَّ كـأنَّنـي ... حتّـى الصَّبـاحِ مُعَلَّـقٌ بـالفَـرْقَـدِ

قلتُ: ذاك الأحوص. قال: ذاك هو. قال الهذليّ: ثم أتيتُ جريراً فجعلتُ أستقلّ عنده ما أعطاني صاحبي أسْتَخْرِجُ به منه؛ فقال: كم أعطاك ابنُ أُخْتِك؟ فأخبرته. فقال: ولك مثله؛ فأعطاني ستين ديناراً وعبداً. قال: وجئتُ رُوَاتَه وهم يُقَوِّمون ما انحرف من شعره وما فيه من السِّنَاد[4]، فأخذتُ منه ما أردت، ثم قلتُ: يا أبا حَزْرَة، مَنْ أنْسَبُ الناس؟ قال الذي يقول:

/ يـا ليـتَ شِعْـرِي عَمَّـنْ كَلِفْـتُ بـه ... مـن خَثْعَـمٍ إذ نَـأَيْـتُ مـا صَنَعُـوا

[٢٥٩/٤]

قـومٌ يَحُلُّـون بـالسَّـدِيـر[5] وبـالْـ ... ـحِيـرَةِ منهـمْ مَـرْأًى ومُسْتَمَـعُ

أَنْ شَطَّـتِ الـدارُ عـن دِيـارِهِـمُ ... أأمسكـوا بـالـوِصـال أم قَطَعُـوا

بـل هُـمْ علـى خَيْـرِ مـا عَهِـدْتُ ومـا ... ذلِـكَ إلاّ التـأمِيـلُ والطَّمَـعُ

قلت: ومَنْ هو؟ قال: الأحوص. فاجتمعا على أن الأحوص أنسبُ الناس.

---

(١) المطلع: المأتي؛ تقول: من أين مُطَّلَع هذا الأمر، أي من أين مأتاه.

(٢) الملجاج: اللجوج. وقد ورد هذا البيت في «الأمالي» (ج ٣ ص ٤٣ طبع دار الكتب المصرية) و«ديوانه» المطبوع والمخطوط هكذا:

هـاج الهـوى لفـؤادك المهتـاج ... فـانظـر بتـوضـح بـاكـر الأحداج

وتوضح: موضع معروف في بلاد بني يربوع. والأحداج: جمع حِدْج وهو مركب من مراكب النساء نحو الهودج والمحفة. يريد، على هذه الرواية، هاج باكر الأحداج الهوى لفؤادك، فارم بطرفك نحو توضح.

(٣) مريحة: من أراح الإبل إذا ردّها إلى المراح من العشيّ، والمراد أنها تسوق إليه همه.

(٤) السناد: كل عيب يوجد في القافية قبل الرويّ، وفسره ابن سيده بأنه المخالفة بين الحركات التي تلي الأرداف في الرويّ. (انظر الحاشية رقم ١ ص ١٤٣ من الجزء الأوّل والحاشية رقم ١ ص ٣٤٨ من الجزء الثاني من هذه الطبعة).

(٥) السدير: نهر بالحيرة، وقيل: السدير: قصر في الحيرة من منازل آل المنذر. (انظر الحاشية رقم ٢ ص ١٣٧ ج ٢ من هذه الطبعة).

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء:

منها الأبيات التي يقول فيها الأحوص:

* لـي ليـلتان فـليلـةٌ معسـولـةٌ *

وأوّل ما يُغَنَّى به فيها:

صوت

يـا لَلـرِّجـالِ لِـوَجْـدِكَ المُتَجَـدِّدِ	ولِمَـا تُـؤَمِّـلُ مـن عَقيلـةَ فـي غَـدِ
تـرجـو مَـوَاعِـدَ بَعْـثُ آدمَ دونهـا	كـانـتْ خَبـالاً للفـؤاد المُقْصَـدِ
هـل تـذكُـريـن عَقيـلُ أو أنْسـاكِـهِ	بَعْـدِي تَقَلُّـبُ ذا الـزَّمـانِ المُفْسِـدِ
يـومـي ويَـوْمَـكِ بـالعَقيـق إذ الهَـوَى	منّـا جَميـعُ الشَّمْـلِ لـم يَتَبَـدَّدِ
لـي ليلتـانِ فليلـةٌ معسـولـةٌ	ألقَـى الحبيـبَ بهـا بنَجْـمِ الأسْعُـدِ
ومُـريحـةٌ هَمِّـي علـيّ كـأنّنـي	حتّـى الصباحِ مُعَلَّـقٌ بـالفَـرْقَـدِ

[٤/٢٦٠] / ـ عروضه من الكامل. يقال: يا لِلرّجال ويا لَلرِّجال بالكسر والفتح[1] وفي الحديث أنّ عمر رضي الله عنه صاح لَمّا طُعِن: يا للّهِ يا لِلمسلمين. وقوله: / «في غد»، يريد فيما بعد وفي باقي الدهر؛ قال الله سبحانه: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ﴾. والخَبل والخَبالُ: النُّقصان من الشيء. والمُخَبَّل، أصلُه مأخوذ من النقص لأنه ناقص العقل. والمعسولة: الحُلوة المشتهاة ـ. ٥٥/٤

الشعر للأحوص. والغناء في البيت الأوّل والثاني لمالك خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر عن الهشامي وحَبَش. وفي الثالث والرابع لسليمان[2] أخي بَابَوَيْهِ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو. وفيهما وفي الخامس والسادس لحنٌ لابن سُرَيج ذكره يونس ولم يجنّسه. وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ لمَعْبَدٍ في الأبيات كلها لحناً وأنه من صحيح غنائه، ولم يُجَنِّسه.

سألت امرأة ابنا للأحوص عن شعر له:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه. عن أيّوب بن عَبَايَةَ قال:

بلغني أنّ ابناً للأحوص بن محمد الشاعر دخل على امرأةٍ شريفةٍ، وأخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثني إبراهيم بن زيد عن عَنْبَسَةَ[3] بن سعيد بن العاصي قال أخبرني أَشْعَبُ[4] بن جُبَيْر قال:

حضرتِ امرأةٌ شريفةٌ ودخل عليها ابن الأحوص بن محمد الشاعر؛ فقالت له: أتروي قولَ أبيك:

(١) لام الاستغاثة تفتح مع المستغاث وتكسر مع المستغاث لأجله. فإذا دخلت على ضمير، مثل يالك، فتحت دائماً، وكسرت مع ياء المتكلم، واحتمل الكلام حينئذ الأمرين.

(٢) في م: «لسليم».

(٣) كذا في ن، ط، م. وفي سائر النسخ: «إبراهيم بن زيد بن عنبسة»، وهو تحريف.

(٤) كذا في ب، حـ، م. وفي سائر النسخ: «أشعث» وهو تصحيف.

لـي ليلتـانِ فليلـةٌ معسولـةٌ ألقـى الحبيبَ بهـا بنجـم الأسْعُـدِ
ومُـريحـةٌ هَمِّـي علـيّ كـأنّنـي حتّـى الصبـاحِ معلّـق بـالفَـرْقَـدِ

/ قال نعم. قالت: أتدري أيّ الليلتين التي يبيت فيها معلّقاً بالفَرْقَد؟ قال: لا والله. قالت: هي ليلةُ أُمّك التي [٢٦١/٤] يبيت معها فيها. قال إبراهيم في خبره: فقلتُ لأشعب: يا أبا العلاء، فأيُّ ليلتيه المعسولة؟ فقال:

سَتُبْدِي لـك الأيـامُ مـا كنتَ جـاهـلاً ويـأتِيـكَ بـالأخبـار مَـنْ لـم تُـزَوِّدِ

هي ليلة الإسراف[١]، ولا تسأل عمّا بعدها.

ما قاله ابن جندب حين أنشد شعر الأحوص:

أخبرني عبد العزيز ابن بنت الماجِشون قال:

أُنشِدَ ابن جُنْدَبٍ قولَ الأحوص:

لـي ليلتـانِ فليلـةٌ معسولـةٌ ألقـى الحبيبَ بهـا بنجـم الأسْعُـدِ
ومُـريحـةٌ هَمِّـي علـيّ كـأنّنـي حتّـى الصبـاحِ معلّـق بـالفَـرْقَـدِ

فقال: أمَا إنّ الله يعلم أنّ الليلةَ المُرِيحةَ هَمِّي لألذُّ الليلتين عندي. قال الحَرَميّ بن أبي العلاء: وذلك لِكَلَفِه بالغَزَل والشَّوْق والحنين وتَمَنِّي اللقاء.

من هي عقيلة التي شغف بها الأحوص:

وللأحوص مع عَقِيلةَ هذه أخبارٌ قد ذُكِرتْ في مواضعَ أُخَرَ. وعقيلة امرأةٌ من وَلَد عَقِيلِ بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد ذكر الزُّبَير عن ابن بنت الماجِشون عن خاله أنّ عَقِيلة هذه هي سُكَيْنَةُ بنت الحُسَين عليهما السلام، كَنَى عنها بعقيلة.

أعجب أبو عبيدة بن محمد بن عمار ببيت له وحلف لا يسمعه إلا جرّ رسنه:

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المُؤَمّلي:

أنّ إنساناً أنشد عند إبراهيم بنِ هِشَامٍ وهو والي المدينة قولَ الأَحْوَص:

إذْ أنـتِ فينـا لِمَـنْ يَنْهَـاكِ[٢] عـاصيـةٌ وإذْ أَجُـرُّ إليكـم سـادراً رَسَنِـي

/ فوثب أبو عُبَيدةَ بن عَمَّار بن ياسرٍ[٣] قائماً ثم أرْخَى رِداءه ومضى يمشي على تلك الحال ويَجُرّه / حتى بلغ [٢٦٢/٤] ٥٦/٤ العِرْضَ[٤] ثم رجع. فقال له إبراهيم بن هشام حين جلس: ما شأنُك؟ فقال: أيّها الأمير، إني سمِعتُ هذا البيتَ مَرّةً فأعجبني، فحلفتُ لا أسمعَهُ إلاّ جَرَرْتُ رَسَنِي.

---

(١) كذا في ط. وفي سائر الأصول: «ليلة الأشراف» بالشين المعجمة.
(٢) كذا في حـ، م، وقد اتفقت عليها الأصول فيما بعد. وفي سائر النسخ هنا: «يهواك».
(٣) نسبه إلى جده لشهرته؛ فإن أبا أبي عبيدة محمد بن عمار بن ياسر.
(٤) العرض (بالكسر): الوادي فيه زروع ونخل؛ يقال: أخصبت أعراض المدينة؛ وهي قراها التي في أوديتها. ويراد به هنا مكان بعينه.

نسبة هذا البيت وما غنّي فيه من الشعر

صـوت

سَقْياً لِـرَبْعِـكِ مـن رَبْـعٍ بـذِي سَلَـمٍ ... ولِلـزَّمـانِ بـه إذ ذاكَ مـن زَمَـنِ

إذْ أنـتِ فينـا لمـن يَنْهـاكِ عـاصيـةٌ ... وإذ أجُـرُّ إليكـم سـادِراً رَسَنِـي

عروضه من البسيط. غنّى ابن سُرَيْج في هذين البيتين لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى[١] عن عمرو. وذكر إسحاق فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى ولم ينسبه إلى أحد، وذكر حَبَشٌ[٢] أنه للغَرِيض.

كان حماد الراوية يفضله على الشعراء في النسيب:

أخبرني أبو خَلِيفةَ عن محمد بن سَلّام عن سالم بن أبي السَّحْماء وكان صاحب حَمّادِ الراوية:

أنّ حمّاداً كان يُقدِّم الأَحْوَصَ في النَّسِيب.

هجا رجلاً فاستعدى عليه الفرزدق وجريراً فلم ينصراه فعاد فصالحه:

أخبرني الحَرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنا عمر بن أبي سليمان عن يوسف بن أبي سليمان بن عُنَيْزَةَ[٣] قال:

[٤/٢٦٣] / هجا الأحوصُ رجلاً من الأنصار من بني حَرام يقال له ابن بِشير، وكان كثيرَ المال؛ فغَضِب من ذلك، فخرَج حتّى قَدِم على الفرزدق بالبَصْرة وأهدى إليه وألطفه[٤]، فقبِل منه، ثم جلسا يتحدّثان؛ فقال الفرزدق: ممن أنت؟ قال: من الأنصار. قال: ما أَقْدَمَك؟ قال: جئتُ مستجيراً بالله عزّ وجلّ ثم بك من رجلٍ هجاني. قال: قد أجارك الله منه وكفاكَ مُؤنته، فأين أنت عن الأحوص؟ قال: هو الذي هجاني. فأطرق ساعةً ثم قال: أليس هو الذي يقول:

ألاَ قِفْ بِرَسْـمِ الـدَّارِ فـاسْتَنْطِقِ الـرَّسْمَـا ... فقَـدْ هـاجَ أحـزانـي وذَكَّـرَنـي نُعْمَـا[٥]

قال بلى. قال: فلا والله لا أهجو رجلاً هذا شِعْره. فخرج ابن بشير فاشترى أفْضَلَ من الشِّراء الأوّل من الهدايا، فقَدِم بها على جرير؛ فأخذها وقال له: ما أَقْدَمَك؟ قال: جئتُ مستجيراً بالله وبك من رجلٍ هجاني. فقال: قد أجارك الله عزّ وجلّ منه وكفاكَ، أين أنت عن ابن عَمِّك الأَحْوَص بن محمد؟ قال: هو الذي هجاني. قال: فأطرق ساعةً ثم قال: أليس هو الذي يقول:

تَمَشَّى بشَتْمِـي فـي أكـارِيـسَ[٦] مـالـكٍ ... تُشِيـدُ بـه كـالكَلْـبِ إذ يَنْبَـحُ النَّجْمَـا

فمـا أنـا بـالمَخْسُوسِ فـي جِذْمِ[٧] مـالـكٍ ... ولا بـالمُسَمَّـى ثـم يَلْتَـزِمُ الإسْمَـا

---

(١) في حـ: «بالسبابة في مجرى الوسطى».

(٢) في ط،و: «يونس».

(٣) في حـ: «عنترة».

(٤) ألطفه: أكرمه وبره بطرف التحف، والاسم «اللطف» بالتحريك.

(٥) ورد في بعض الأصول: «نعمي» بالياء في آخره؛ وقد سموا «بنعم» «ونعمى».

(٦) أكاريس: جمع الجمع لكرس وهو هنا الجماعة من الناس.

(٧) الجذم: الأصل.

ولكـنّ بيتـي إنْ سـألـتَ وجـدتَـه ... تَـوَسَّـطَ منهـا العِـزَّ والحَسَـبَ الضَّخْمَـا

قال: بلى والله. قال: فلا والله لا أهجو شاعراً هذا شعره. قال: فاشتري أفضل من تلك الهدايا وقَدِم على الأحوص فأهداها إليه وصالَحه.

[٤/ ٢٦٤]

/ نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

الاَ قِفْ بِرَسْمِ الدَّارِ فاسْتَنْطِقِ الرّسْمَا ... فقـد هـاجَ أحـزانـي وذكَّـرنـي نُعْمَـى

فبِـتُّ كـأنّـي شـاربٌ مـن مُـدَامـةٍ ... إذا أذهبـتْ هَمّـاً أتـاحـتْ لـه هَمّـا

غنّاه إبراهيم المَوْصليّ خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى عن الهِشَامِيّ. وذكر عبدالله بن العبَّاس / الرَّبِيعي أنّه له. [٥٧/٤]

أنشد أبو السائب المخزومي شعراً له فطرب ومدحه:

أخبرني الحَرَمِيّ قال حدّثني الزُّبَير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال:

قال لي أبو السائب المخزومِيّ: أَنشِدْني للأحوص؛ فأنشدتُه قوله:

قـالـتْ وقلتُ تَحَرَّجـي وصِلـي ... حَبْـلَ ٱمْـرِىءٍ بـوصـالكـم صَـبِّ

وَاصِـلْ إذاً بَعْلِـي فقُلْـتُ لهـا ... الغَـدْرُ شـيءٌ ليس مـن ضَـرْبِـي[1]

صوت

ثِنْتَـانِ لا أدنـو لِـوَصْلِهمـا[2] ... عِـرْسُ الخليـلِ وجـارةُ الجَنْـبِ[3]

أمّـا الخليـلُ فلسـتُ فـاجعَـه ... والجـارُ أوصـانـي بـه رَبِّـي

عُـوجُـوا كـذا نَـذْكُـرْ لغـانِيـةٍ ... بعـضَ الحـديـثِ مطِيَّكـم صَحْبِـي

ونَقُـلْ لهـا فِيـمَ الصُّـدودُ ولَـمْ ... نُـذْنِـبْ بَـلَ ٱنـتِ بَـدَأْتِ بـالـذَّنـبِ

إنْ تُقْبِلـي نُقْبِـلْ ونُنْـزِلكـم ... مِنّـا بـدار السَّهْـلِ والـرُّحْـبِ

أو تُـدْبِـرِي تكـدُرْ مَعِيشَتُنـا ... وتُصَـدِّعِـي مُتَـلائـمَ الشَّعْـبِ

/ ـ غنّى في «ثِنتان لا أدنو» والذي بعده ابنُ جامع ثقيلاً أوّلَ بالوسطى. وغنّى في «عُوجُوا كذا نذكر لغانية» [٤/ ٦٥] والأبياتِ التي بعده ابنُ مُحْرِزٍ لحناً من القَدْر الأوسطِ من الثقيل الأوّل مطلقاً في مجرى البِنْصَر ـ قال: فأقبل عليّ أبو السائب فقال: يٱبنَ أخي، هذا والله المُحِبُّ عَيْناً لا الذي يقول:

وكنـتُ إذا خليـلٌ رامَ صُـرْمِـي ... وجـدتُ وراي مُنْفَسَحـاً عَـرِيضـاً

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر النسخ: «شعبي».

(٢) في ب، س: «بوصلهما» تحريف.

(٣) جار الجنب بالفتح: اللازق بك إلى جنبك.

اذْهَبْ فلا صَحِبك اللّهُ ولا ومَتّع عليك (يعني قائلَ هذا البيت).

سأل المهدي عن أنسب بيت قاله العرب فأجاب رجل من شعره فأجازه:

أخبرني الحَرَمِيّ قال حدّثني الزُّبَير قال حدّثنا خالد بن وَضّاح قال حدّثني عبد الأعْلَى بن عبدالله بن محمد بن صَفْوان الجُمَحيّ قال:

حملتُ دَيْنًا بعَسْكَر المَهْدِيّ، فركب المهديّ بين أبي عُبَيْد الله وعُمَرَ بن بَزِيع، وأنا وراءه في مَوْكِبه على بِرذَوْنٍ قَطُوف[1]؛ فقال: ما أنسَبُ بيتٍ قالته العرب؟ فقال له أبو عُبَيد الله: قولُ امرىء القيس:

وما ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلا لِتَضْرِبي ... بسَهْمَيْكِ في أعشارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

فقال: هذا أعرابيٌّ قُحٌّ. فقال عمر بن بَزِيع: قولُ كُثَيِّر يا أمير المؤمنين:

أُرِيدُ لأنسَى ذِكْرَها فكأنّما ... تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بكلّ سَبِيلِ

فقال: ما هذا بشيءٍ وماله يُريد أن يَنْسَى ذِكْرَها حتى تَمَثَّلَ له! فقلتُ: عندي حاجتُك يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك! قال: الحَقْ بي. قلتُ: لا لَحاقَ بي، ليس ذلك في دَابّتي. قال: احْمِلُوه على دابّة. قلتُ: هذا أوّلُ الفَتْح؛ فحُمِلْتُ على دابّة، فلَحِقْتُ. فقال: ما عندك؟ فقلتُ: قولُ الأحْوَص:

[٢٦٦/٤] / إذا قلتُ إنّي مُشْتَفٍ بِلِقائها ... فحُمّ التلاقِي بيننا زادَني سُقْمَا

فقال: أحسنَ والله! اقضُوا عنه دَيْنَه؛ فقُضِي عنّي دَيْني.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

٥٨/٤ / منها الشعر الذي[2] هو:

أريد لأنسَى ذِكْرَها فكأنّما ... تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بكلّ سبيلِ

صوت

ألا حَيِّيا ليلَى أجَدّ رَحِيلي ... وآذَنَ أصحابي غَداً بقُفُولِ

ولم أرَ من لَيْلَى نَوَالاً أَعُدُّهُ ... ألا رُبّما طالبتُ غيرَ مُنِيلِ

أُريد لأنْسَى ذِكْرَها فكأنّما ... تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بكلّ سبيلِ

وليس خَلِيلي بالمَلُولِ ولا الذي ... إذا غِبْتُ عنه باعَني بخليلِ

ولكنْ خَليلي مَنْ يَدُومُ وِصالُهُ ... ويَحْفَظُ سِرّي عند كلّ دَخِيلِ

عروضه من الطويل. الشعر لكُثَيِّر. والغناء في ثلاثة الأبيات الأوَلِ لإبراهيم، ولحنُه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوَتَر في مجرى البِنْصَر. ولابنه إسحاق في:

* وليس خليلي بالمَلُول ولا الّذي *

(١) القطوف: الدابة التي تبطىء في سيرها.

(٢) كذا في ب. وفي س: «الذي هو أوّله». وفي سائر النسخ: «الذي أوله».

ثقيلٌ آخَرُ بالوسطى.

حديث ابن سلام عن كثير وجميل:

أخبرني أبو خَليفةَ قال حدّثنا محمد بن سَلّام، وأخبرني الحَرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبَير عن محمد بن سَلّام قال:

كان لِكُثَيِّرٍ في النَّسِيب حظٌّ وافر، وجميلٌ مُقَدَّمٌ عليه وعلى أصحاب النسيب جميعاً، ولِكُثَيِّرٍ من فنون الشِّعر ما ليس لجميل. وكان كُثَيِّر راويةَ جميل، وكان جميلٌ / صادقَ الصَّبَابة والعِشْق، ولم يكن كُثَيِّر بعاشق، وكان يتقوّل. [٢٦٧/٤]

قال: وكان الناس يستحسنون بيت كُثَيِّرٍ في النَّسيب:

أُريـــد لأنْسَـــى ذِكْـرَهـــا فكـــأنّمـــا ... تَمَثَّـــلُ لـــي ليلَـــى بكـــلِّ سبيـــلِ

قال: وقد رأيتُ مَنْ يُفَضِّل عليه بيتَ جميلٍ:

خليلَـــيّ فيمـــا عِشْتُمـــا هـــل رأيتُمـــا ... قَتِيـــلاً بَكَـــى مـــن حُـــبِّ قـــاتِلِـه قَبلِـــي

حديث ابن مصعب الزبيري عن كثير:

قرأت في كتابٍ منسوبٍ إلى أحمد بن يحيى البَلاذُرِيّ: وذكر إسحاقُ بن إبراهيم المَوْصليّ أنّ عبدالله بن مُصْعَب الزُّبَيريّ كان يوماً يذكُر شعرَ كُثَيِّرٍ ويَصِفُ تفضيلَ أهل الحجاز إيّاه، إلى أن انتهى إلى هذا البيت. قال إسحاق: فقلتُ له: إنّ الناس يَعِيبُون عليه هذا المعنى ويقولون: ما لَه يُريد أن ينسَاها! فتبسّم ابنُ مُصْعَبٍ ثم قال: إنّكم يا أهلَ العراق لَتَقُولون ذلك.

سئل كثير عن أنسب بيت قاله فأجاب:

أخبرني أحمد بن عبدِ العزيز الجَوْهَرِيّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبةَ قال حدّثني أبو يحيى الزُّهْرِيّ[1] قال حدّثني الهِزَبْرِيّ[2] قال:

قيل لكُثَيِّر: ما أنسبُ بيتٍ قلتَه؟ قال: الناس يقولون:

أُريـــد لأنْسَـــى ذِكْـرَهـــا فكـــأنّمـــا ... تَمَثَّـــلُ لـــي ليلَـــى بكـــلِّ سبيـــلِ

وأنسبُ عندي منه قولي:

وقُـــلْ أُمُّ عَمْـــرٍ داؤه وشفـــاؤه ... لـــديهـــا وريّـــاهـــا الشِّفـاءُ مِـــنَ الخَبْـــلِ[3]

وقد قيل: إنّ بعض هذه الأبيات للمتوكِّل اللَّيْثيّ.

---

(١) في م: «الزبيري».

(٢) في ط،ء، م: «الهديري».

(٣) كذا في ط،ء، م. ولعله من القصيدة التي منها:

خليـــليّ فيمـــا عشتمـــا هـــل رأيتمـــا ... قتيـــلاً بكـــى مـــن حـــب قـــاتلـــه قبلـــي

وفي سائر الأصول:

* لديها ورياها إليه طبيب *

[٤/٢٦٨] / **قال محرز بن جعفر إن الشعر في الأنصار واستشهد بشعر صاحبهم الأحوص:**

أخبرني الحَرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني عثمان ـ قال الحَرَميّ: أحْسِبَهُ ابنَ عبد الرحمن المخزوميّ ـ قال حدّثنا إبراهيم بن أبي عبدالله قال:

قيل لمُحْرِزِ بن جعفر: أنتَ صاحبُ شِعْرٍ، ونَراك تَلْزَم الأنصار، وليس هناك منه شيء؛ قال: بلى والله، إنّ هناك لَلشِّعْرَ عَيْنَ الشِّعْرِ، وكيف لا يكون الشعر هناك وصاحبُهم / الأحوص الذي يقول: ٥٩/٤

يقولون لو ماتت لقد غاض حُبُّهُ ... وذلك حِينُ الفاجعاتِ وحِيني

لَعَمْرُك إنّي إنْ تُحَمَّ وفاتُها ... بصُحْبةِ مَنْ يَبْقَى لَغَيْرُ ضَنِينِ

وهو الذي يقول:

وإنّي لِمِكْرَامٌ لسادات مالكٍ ... وإنّي لِنَوْكَى مالكٍ لَسَبُوبُ

وإنّي على الحِلْمِ الذي من سَجِيَّتي ... لحَمَّالُ أضْغانٍ لَهُنَّ طَلُوبُ

ما قاله الأحوص من الشعر في مرض موته:

أخبرني الحَرَمِيّ قال حدّثني الزُّبَير قال حدّثني عَمِّي مُصْعَبٌ قال حدّثني يحيى بن الزُّبَير بن عَبَّاد بن حَمْزةَ بن عبدالله بن الزُّبَير، قال الزُّبَير وحدّثني عليُّ بن صالح عن عامر بن صالح:

أنّ الأحوص قال في مَرَضه الذي مات فيه ـ وقال عامر بن صالح: حين هرَب من عبد الواحد النَّصْريّ إلى البَصْرة ـ:

يا بِشْرُ يا رُبَّ مَحْزونٍ بمَصْرَعنا ... وشامِتٍ جَذِلٍ ما مَسَّهُ الحَزَنُ

وما شَمَاتُ امْرِىءٍ إن[1] ماتَ صاحبُه ... وقد يَرَى أنّه بالموت مُرْتَهَنُ

يا بشْرُ هُبِّي فإنّ النَّوْمَ أرّقَهُ ... نأيٌ مُشِتٌّ وأرضٌ غيرُها الوَطَنُ

(١) في ط، م: «قد مات».

/ ذكر الدَّلَال وقصته حين خُصِيَ ومَنْ خُصِيَ معه والسبب في ذلك وسائر أخباره [٤/٢٦٩]

اسمه وكنيته وولاؤه:

الدَّلَالُ اسمه ناقِد[١]، وكُنيته أبو زَيْد[٢]. وهو مَدَنِيٌّ مولَى بني فَهْم.

وأخبرني عليُّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْدَاذْبَهْ قال:

قال إسحاق: لم يكنْ في المُخَنَّثين أحسنُ وجهاً ولا أنظفُ ثوباً ولا أظرفُ من الدَّلَال. قال: وهو أحدُ مَنْ خَصَاه ابنُ حَزْم. فلمّا فُعِل ذلك به قال: الآن تَمَّ الخُنْث.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبدالله مصعب الزُّبَيْريّ قال:

الدَّلَالُ مولَى عائشةَ بنت سعيد بن العاص.

كان ظريفاً صاحب نوادر وكان يغني غناء كثير العمل:

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبدالله مصعَب الزُّبَيْري قال:

كان الدَّلَالُ من أهل المدينة، ولم يكن أهلُها يَعُدُّون في الظُّرَفاء وأصحابِ النوادر من المخنَّثين بها إلّا ثلاثةً: طُوَيْسٌ، والدَّلَال، وهِنبٌ[٣]؛ فكان هِنبٌ أقدمَهم، والدلالُ أصغرَهم. ولم يكن بعد طُوَيْسٍ أظرفُ من الدَّلَال ولا أكثرُ مُلَحاً.

/ قال إسحاق: وحدّثني هِشام بن المُرِّيّة عن جَرِير، وكانا نديمين مدنيَّين، قال: ما ذكرتُ الدَّلَالَ قطُّ إلّا ضَحِكتُ لكثرة نوادره. قال: وكان نَزْرَ الحديث، فإذا تكلّم أضحك الثَّكْلَى، وكان ضاحكَ السنّ، وصَنْعَتُه نَزْرةٌ جيّدة، ولم يكن يُغَنِّي إلّا غناءً مُضْعَفاً، يعني كثيرَ العمل. [٤/٢٧٠]

كان أهل المدينة يفخرون به:

قال إسحاق: وحدّثني أيُّوب بن عَبَايةَ قال:

شَهِدتُ أهلَ المدينة إذا ذكروا الدَّلَالَ وأحاديثَه، طوّلوا رقابَهم وفَخَروا به؛ فعلمتُ أنّ ذلك لفضيلةٍ كانت فيه.

---

(١) كذا في «شرح القاموس» (مادة دلل) «ونهاية الأرب» (ج ٤ ص ٣١٥). وفي س، م: «نافد» بالفاء والدال المهملة. وفي باقي الأصول: «نافذ» بالفاء والذال المعجمة.

(٢) كذا في «شرح القاموس» «ونهاية الأرب». وفي جميع الأصول: «أبو يزيد».

(٣) كذا في ب، س. وفي «شرح القاموس» (مادة هنب) أن النبيّ ﷺ نفى مخنثين أحدهما «هيت» والآخر «ماتع». قال إنما هو «هنب» فصحفه أصحاب الحديث. وقال الأزهري: رواه الشافعي وغيره «هيت»، وأظنه صواباً. وقد ورد في «المشتبه»: «هيت». وقد ورد هذا الاسم في باقي الأصول مضطرباً.

كان يلازم النساء:

قال وحدّثني ابن جامع عن يونسَ قال:

كان الدّلاّل مُبْتَلًى بالنّساء والكَوْن معهنّ، وكان يُطْلَبُ فلا يُقْدَرُ عليه، وكان بديعَ الغِناء صحيحَه حَسَنَ الجِرْم[١].

سبب لقبه، وتوسطه بين الرجال والنساء:

قال إسحاق وحدّثني الزُّبَيري قال:

إنّما لُقِّبَ بالدّلال لِشَكْلِه[٢] وحُسْنِ دَلّه وظَرْفه وحَلاوة مَنْطِقه وحُسْنِ وجهه وإشارته. وكان مشغوفاً[٣] بمخالطة النّساء ووَصْفِهنّ للرجال. وكان مَنْ أراد خِطْبَةَ امرأةٍ سأله عنها وعن غيرها، فلا يزال يَصِف له النساءَ واحدةً / فواحدةً حتّى ينتهيَ إلى وصف ما يُعْجِبه؛ ثم يتوسَّط بينه وبين من يُعْجِبه منهنّ حتّى يتزوّجها؛ فكان يُشاغِل كلَّ مَنْ جالسه عن الغِناء بتلك الأحاديث كراهةً منه للغناء. ٦٠/٤

[٢٧١/٤] / قال إسحاق[٤] وحدّثني مُصْعَب الزُّبَيري قال:

أنا أعلمُ خَلْقِ اللّه بالسبب الذي من أجله خُصِي الدّلاّل؛ وذلك أنه كان القادم يَقْدَمُ المدينةَ، فيسأل عن المرأة يتزوّجها فيُدَلُّ على الدّلاّل؛ فإذا جاءه قال له: صِفْ لي مَنْ تعرف من النساء للتزويج؛ فلا يزال يَصِفُ له واحدةً بعد واحدة حتّى ينتهيَ إلى ما يُوافق هواه؛ فيقول: كيف لي بهذه؟ فيقول: مَهْرُها كذا وكذا؛ فإذا رَضِي بذلك أتاها الدّلاّل، فقال لها: إنّي قد أصبتُ لكِ رجلاً من حاله وقِصّته وهَيْئته ويَسَاره ولا عهدَ له بالنساء، وإنما قَدِم بَلَدنا آنِفاً؛ فلا يزال بذلك يُشَوِّقها ويُحرّكها حتّى تُطيعَه؛ فيأتي الرجلَ فيُعْلِمه أنه قد أحكم له ما أراد. فإذا سُوِّيَ الأمرُ وتزوّجته المرأة، قال لها: قد آن لهذا الرجل أن يدخلَ بك، والليلة موعدُه، وأنت مُغْتَلِمةٌ شَبِقة جامّة[٥]؛ فساعةَ يدخل عليك قد دَفَقْت عليه مثلَ سَيْلِ العَرِم، فيَقْذَرُكِ ولا يُعَاوِدُك، وتكونين من أشأم النّساء على نفسك وغيرك. فتقول: فكيف أصنَعُ؟ فيقول: أنتِ أعْلَمُ بدواء حِرِكِ ودائه وما يُسَكِّن غُلْمَتَك. فتقول: أنت أعْرَفُ. فيقول: ما أجِدُ له شيئاً أشْفَى من النَّيْك. فيقول لها: إن لم تَخَافِي الفضيحةَ فابعثي إلى بعض الزُّنوج حتّى يقضيَ بعضَ وَطَرِك ويَكُفَّ عادِيةَ حِرِك؛ فتقول له: ويلَك! ولا كلَّ هذا! فلا تزال المُحاورة بينهما حتّى يقولَ لها: فكما جاء[٦] عليَّ أقوم، فأُخَفِّفك وأنا واللهِ إلى التخفيف أحوجُ. فتفرَح المرأة فتقول: هذا أمرٌ مستور، فيَنِيكها؛ حتّى إذا قضى لَذّتَه منها، قال لها: أمّا أنتِ فقد استرحتِ وأمِنْتِ العيبَ، وبَقِيتُ أنا. ثم يجيء إلى الزوج فيقول له: قد واعدتُها / أن تدخل عليك الليلة، وأنت [٢٧٢/٤]

---

(١) كذا في أكثر الأصول. والجرم بالكسر هنا: الصوت أو جهارته. وفي م «ونهاية الأرب» (حـ ٤ ص ٢١٦): «الجزم» والجزم: وضع الحروف مواضعها في بيان ومهل.

(٢) الشكل (بالكسر): الدل. والشكل (بالفتح): الهيئة والمذهب.

(٣) في ء، حـ، م: «مشعوفاً» بالعين المهملة، وكلاهما بمعنى واحد. وقد قرىء بهما في قوله تعالى: ﴿قد شغفها حباً﴾.

(٤) اشتمل هذا الخبر على ألفاظ صريحة في الفحش، وقد آثرنا إبقاءه كما هو احتفاظاً بكيان «الأغاني» الذي يعدّ من أجل مصادر التاريخ والأدب العربي.

(٥) يقال: جم الفرس وغيره، إذا ترك الضراب فتجمع ماؤه.

(٦) في م: «فكما حكم عليَّ أقوم».

رجلٌ عَزَبٌ[١]، ونساءُ المدينة خاصّةً يُرِدْنَ المُطاولةَ في الجِماع، وكأنّي بك كما تُدخله عليها تُفرِغ وتقوم، فتُبْغِضُك وتَمْقُتُك ولا تُعاودك بعدها ولو أعطيتَها الدنيا، ولا تنظر في وجهك بعدها. فلا يزال في مثل هذا القول حتّى يعلم أنه قد هاجتْ شَهْوته؛ فيقول له: كيف أعمَل؟ قال: تطلُب زِنْجيّةً فتَنِيكها مرّتين أو ثلاثاً حتى تَسْكُنَ غُلْمتُك؛ فإذا دخلتَ الليلةَ إلى أهلك لم تجد أمرَك إلاّ جميلاً. فيقول له ذاك: أعوذُ بالله من هذه الحال، أزِناً وزنجيّة! لا والله لا أفعل! فإذا أكثر محاورتَه قال له: فكما جاء عليّ قُمْ فنِكْني أنا حتّى تَسْكُنَ غُلْمتُك وشَبَقُك؛ فيفرَح فينِيكه مَرّةً أو مرّتين. فيقول له: قد اسْتَوَى أمرُك الآن وطابت نفسك، وتدخل على زوجتك فتَنِيكها نَيْكاً يملؤها سروراً ولَذّة. فيَنِيكُ المرأةَ قبل زوجها، ويَنِيكُه الرجلُ قبل امرأته. فكان ذلك دأبَه، إلى أن بلغ خبره سليمانَ بن عبد الملك، وكان غَيُوراً شديد الغَيْرة، فكَتَب بأن يُخصَى هو وسائرُ المخنّثين [بالمدينة ومكة][٢]، وقال: إنّ هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويُفْسِدونهنّ. فورد الكتابُ على ابن حَزْمٍ فخصاهم. هذه رواية إسحاق عن الزُّبَيري. والسبب في هذا أيضاً مختلفٌ فيه، وليس كلُّ الرواة يَرْوُون ذلك كما رواه مُصْعَب.

رواية أخرى في السبب الذي خصِي من أجله الدلال وسائر المخنثين بالمدينة:

فممّا رُوِي من أمرهم ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرِيّ ـ وهذا الخبر أصحُّ ما رُوِي في ذلك إسناداً ـ قال أخبرنا أبو زيد عمر بن شَبّةَ عن مَعْن / بن عيسى، هكذا رواه الجوهريّ، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني أبو غَسّان قال: قال ابن جَنَاح حدّثني مَعْنُ بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي الزِّنَاد عن أبيه وعن[٣] محمد بن مَعْنٍ الغِفَارِيّ قالا: ٦١/٤

/ كان سبب ما خُصِي له المخنّثون بالمدينة أنّ سليمان بن عبد الملك كان في نادية[٤] له يَسْمُر ليلةً على ظهر سَطْح، فتفرّق عنه جلساؤه، فدعا بوَضُوء فجاءت به جاريةٌ له. فبينا هي تَصُبّ عليه إذ أومأ بيده وأشار بها مرّتين أو ثلاثاً، فلم تَصُبّ عليه؛ فأنكر ذلك فرفع رأسه، فإذا هي مُصْغِية بسمعها إلى ناحية العَسْكَر، وإذا صوتُ رجل يغنّي، فأنصتَ له حتى سمع جميعَ ما تَغَنّى به. فلمّا أصبح أذِن للناس، ثم أجرى ذِكْرَ الغِناء فلَيّن فيه حتى ظنّ القومُ أنه يَشتهيه ويريده، فأفاضُوا فيه بالتّسهيل وذِكْرِ مَنْ كان يسمَعه. فقال سليمان: فهل بقي أحد يُسمَع منه الغناء؟ فقال رجل من القوم: عندي يا أمير المؤمنين رجلانِ من أهل أَيْلَةَ مُجيدان مُحْكِمان. قال: وأين منزلُك؟ فأومأ إلى الناحية التي كان الغناء منها. قال: فابعَثْ إليهما، ففعل. فوجد الرسولُ أحدَهما، فأدخله على سليمان؛ فقال: ما اسمُك؟ قال: سُمَير، فسأله عن الغِناء، فاعترف به. فقال: متى عهدُك به؟ قال: الليلَةَ الماضية. قال: وأين كنتَ؟ فأشار إلى الناحية التي سَمِع سليمانُ منها الغناء. قال: فما غنَّيت به؟ فأخبره الشعرَ الذي سمعه سليمانُ. فأقبل على القوم فقال: هَدَر الجملُ فضَبِعَتِ[٥] الناقةُ، ونَبّ التَّيْسُ فشَكِرَتِ الشاةُ، وهدَر[٦] الحمامُ فزافتِ[٧] الحمامةُ، وغنّى [٢٧٣/٤]

(١) في م: «غريب عزب».
(٢) زيادة عن م.
(٣) في ء، ط: «عن أبيه محمد بن معن الغفاري» وهو تحريف؛ إذ أن أبا عبد الرحمن هذا هو عبدالله بن ذكوان المعروف بأبي الزناد.
(٤) كذا في م. والنادية: مؤنث النادي وهو مجلس القوم ومتحدثهم. وفي سائر النسخ: «بادية» بالباء الموحدة.
(٥) ضبعت الناقة: اشتهت الفحل. ونبّ التيس: صاح عند الهياج. وشكرت الشاة: امتلأ ضرعها، ويكنى بذلك عن حنينها.
(٦) في م: «هدل»، والهديل: كالهدير، وقيل هو صوت الذكر خاصة.
(٧) زافت الحمامة: تبخترت في مشيتها بين يدي الذكر وأقبلت عليه ناشرة جناحيها وذُنابَاها.

الرجلُ فطَرِبتِ المرأةُ، ثم أمر به فخُصِي. وسأل عن الغناء أين أصلُه؟ فقيل: بالمدينة في المخنَّثين، وهم أئمّتُه والحُذّاقُ فيه. فكتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاريّ، وكان عامِلَه عليها، أن أَخْصِ[1] مَن قِبَلَك من المخنَّثين المغنّين ـ فزعَم موسى بن جعفر بن / أبي كَثِير قال أخبرني بعض الكُتّاب قال: قرأت كتابَ سليمان في الديوان، فرأيتُ على الخاءِ نقطةً كتمرة العَجْوة. قال: ومَنْ لا يعلَم يقول: إنّه صَحَّف القارىءُ، وكانت أَحْصِ ـ قال: فتتبَّعهم ابنُ حزم فخَصَى منهم تسعةً؛ فمنهم الدَّلالُ، وطَرِيفٌ[2]، وحَبِيبُ نَومةُ الضُّحَى. وقال بعضهم حين خُصِي: سَلِم الخاتن والمختون. وهذا كلام يقوله الصبيّ إذا خُتِن. [٤/٢٧٤]

قال: فزعم ابن أبي ثابت الأعرج قال أخبرني حماد بن نَشِيط الحَسَنيّ قال: أقبلْنا من مكة ومعنا بَدَراقُس[3] وهو الذي خَتَنَهم، وكان غلامُه قد أعانه على خِصائهم، فنزلنا على حبيبِ نَوْمةِ الضُّحَى، فاحتفل لنا وأكرمنا. فقال له ثابت[4]: مَنْ أنت؟ قال: يا ابنَ أخي أتجهَلُني وأنت وليتَ خِتاني! أو قال: وأنت ختنتَني. قال: واسوأتاه! وأيُّهم أنت؟ قال أنا حَبيب. [قال ثابت:][5] فاجتنبتُ طعامَه وخِفتُ أن يسمني. قال: وجعلتْ لِحيةُ الدَّلال بعد سنة أو سنتين تتناثر. وأمّا ابن الكلبيّ فإنه ذكر عن أبي مِسْكِين ولَقِيطٍ أن أيمنَ كتب بإحصاء مَنْ في المدينة من المخنَّثين ليعرفهم، فيُوفِد عليه مَنْ يختاره للوِفَادة؛ فظَنّ [الوالي][5] أنه يُريد الخصاء، فخصاهم.

أخبرني وَكيع قال حدّثني أبو أيُّوب المدِينيّ قال حدّثني محمد بن سلّام قال حدّثني ابن جُعْدُبة، ونسختُ أنا من كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز عن المَدِينيّ عن ابن جُعْدُبة واللفظُ له:

٦٢/٤ أنّ الذي هاج سليمانَ بن عبد الملك على ما صَنعه بمن كان بالمدينة من / المخنَّثين، أنّه كان مستلقِياً على فراشه في الليل، وجاريةٌ له إلى جنبه، وعليها غِلالةٌ ورِداءٌ / مُعَصْفَران، وعليها وِشَاحان من ذهب، وفي عُنُقها فصلانِ من لؤلؤ وزَبَرْجَد وياقوت، وكان سليمان بها مشغوفاً[6]، وفي عسكره رجلٌ يقال له سُمَير الأَيْليّ يغنّي، فلم يفكّر سليمان في غِنائه شُغُلاً بها وإقبالاً عليها، وهي لاهيةٌ عنه لا تُجيبه مُصْغِيةٌ إلى الرجل، حتى طال ذلك عليه، فحوّل وجهه عنها مُغْضَباً، ثم عاد إلى ما كان مشغولاً عن فهمه بها، فسمع سُمَيْراً يغنّي بأحسن صوت وأطيب نغمة: [٤/٢٧٥]

صوت

محجوبةٌ سَمِعتْ صوتي فأَرَّقَها ... من آخر اللَّيل حتّى شَفَّها[7] السَّهَرُ

تُدْنِي على جِيدِها ثِنْتَيْ[8] مُعَصْفَرةٍ ... والحَلْيُ منها على لَبّاتِها خَصِرُ

---

(١) ذكر الجاحظ في كتاب «الحيوان» (ج ١ ص ٥٥ طبع مصر): أن الذي أمر بخصاء المخنثين هو هشام بن عبد الملك، وأن الذي تولى ذلك هو عثمان بن حيّان والي المدينة. ثم ساق بعد ذلك طرفاً من القصة.

(٢) في ط، م: «طريفة».

(٣) كذا ورد هذا الاسم مضبوطاً في ط.

(٤) لم يتقدّم لثابت هذا ذكر في الكلام. ولعله اسم آخر لبدراقس أو اسم غلامه الذي كان يعينه.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) في م: «مشعوفاً» بالعين المهملة، وكلاهما بمعنى واحد.

(٧) في ط: «حتى ظلها السحر». وفي «المحاسن والأضداد» ص ٢٩٣: «لما بلها السحر».

(٨) كذا في ء، ط، م. وفي حـ: «ثنى». وفي سائر النسخ: «ثنتي» وكلاهما تصحيف.

فـي ليلـة النصـف مـا يـدري مُضَاجِعُهـا أوجهُهــا عنــده أبهَــى أمِ القمــرُ

ـ ويروى:

* أوجهُهــا مــا يَــرَى أم وجهُهــا القمــرُ *

لَـوْ خُلِّيَـتْ لَمَشـتْ نَحْـوِي علـى قَـدَمٍ تكــاد مــن رِقَّــةٍ للمشــي تَنْفَطِــرُ

ـ الغناء لسُمَيْر الأَيْليّ رملٌ مطلق بالبنصر عن حَبَش. وأخبرني ذُكَاء وجه الرُّزة أنّه سمع فيه لحناً للدّلاَل من الثقيل الأوّل ـ فلم يَشكُكْ سليمان أنّ الذي بها مما سمعتْ، وأنّها تهوَى سُمَيراً؛ فوجّه مِنْ وقته مَنْ أحضره وحبسه، ودعا لها بسيف ونِطْع، وقال: واللَّهِ لَتَصْدُقِنّي أو لأضرِبَنّ عنقِك! قالت: سَلْني عمّا تريد. قال: أخبريني عمّا بينك وبين هذا الرجل. قالت: والله ما أعرِفه ولا رأيته قطُّ، وأنا جاريةٌ مَنْشَئي الحجازُ، ومن هناك حُمِلْتُ إليك، واللَّهِ / ما أعرف بهذه البلادِ أحداً سواك. فرقّ لها، وأحضر الرجلَ فسأله، وتلطّف له في المسألة، فلم يجد بينه وبينها [٤/٢٧٦] سبيلاً، ولم تَطِبْ نفسه بتخليته سَوِيّاً[1] فخصاه؛ وكتب في المخنّثين بمثل ذلك. هذه الرواية الصحيحة.

أسف ابن أبي عتيق لخصاء الدلال:

وقد أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال:

قيل للوليد بن عبد الملك: إنّ نساء قريش يدخل عليهنّ المخنّثون بالمدينة، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل عليكنّ هؤلاء». فكتب إلى ابن حَزْم الأنصاريّ أنِ اخْصِهم، فخصاهم. فمرّ ابن أبي عَتِيق فقال: أخَصَيتم الدَّلاَل! أمَا والله لقد كان يُحْسِن:

لِمَــنْ رَبْــعٌ بِــذات الجَيْـ ـــشِ أمسَــى دارســاً خَلَقَــا

تَــأبّــد[2] بعــد ســاكنــه فــأصبــح أهلُــه فِــرَقَــا

وقفــتُ بــه أُســائلُــه ومَــرّتْ عِيسُهــم حِــزَقَــا[3]

ثم ذهب ثم رجع، فقال: إنما أعني خَفيفَه، لستُ أعني ثَقيلَه.

أسف الماجشون لذلك:

أخبرني الحسين بـن يـحيـى عن حمّاد عن أبيه عن الوَاقِديّ عن ابن الماجُشُون:

أنّ خليفةَ صاحبَ الشُّرْطة لمّا خُصِي المخنّثون مرّ بأبيه[4] الماجشون وهو في حَلْقته؛ فصاح به: تعالَ، فجاءه؛ فقال: أخَصَيتم الدَّلاَل؟ قال نعم. قال: أمَا إنّه كان يُجيد:

لِمَــنْ ربــعٌ بِــذات الجيـ ـــش أمســى دارســاً خَلَقَــا

ثم مضى غيرَ بعيد فردّه، ثم قال: أستغفر الله! إنما أعني هزجَه لا ثقيلَه.

---

(١) سوياً: كاملاً. (٢) تأبد: توحش. (٣) حزقاً: جماعات.

(٤) في الأصول: «مرّ بابن الماجشون» وهو تحريف؛ إذ الذي كان يعجبه الدلال ويستحسن غناءه ويدنيه ويقرّ به هو الماجشون لا ابنه. وأبن الماجشون هذا لم ير الدلال، وإنما تحدّث إليه عنه أبوه. (انظر ص ٢٨٠ من هذا الجزء).

[٢٧٧/٤] / **أضحك الناس في الصلاة:**

٦٣/٤ أخبرني الحسين بن / يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال حدّثني حَمْزة النَّوْفَليّ قال:

صلّى الدَّلاَل المخنَّث إلى جانبي في المسجد، فَضَرِطَ ضرطةً هائلةً سمعها مَنْ في المسجد، فرفعْنا رؤوسَنا وهو ساجد، وهو يقول في سجوده رافعاً بذلك صوتَه: سَبَّح لك أعلايَ وأسفلي؛ فلم يبقَ في المسجد أحدٌ إلاّ فُتِن وقطع صلاتَه بالضحك.

طرب شيخ في مجلس ابن جعفر للغناء وكان يكرهه:

أخبرني الحسين عن حَمّاد عن أبيه عن المَدائنيّ عن أشياخه:

أنّ عبدالله بن جعفر قال لصديق له: لو غَنَّتْك جاريتي فلانة:

لِمَـــنْ رَبْـــعٌ بـــذات الجيـــــش أمســـى دارســـاً خَلَقَـــا

لَمَا أدركتَ دُكَّانَك[1]. فقال: جُعِلتُ فِدَاك، قد وجبتْ جُنُوبُها ﴿فَكُلُوا مِنها وأَطْعِمُوا البائِسَ الفَقِير﴾. فقال عبدالله: يا غلام، مُرْ فلانةَ أن تخرج؛ فخرجتْ معها عُودُها. فقال عبدالله: إن هذا الشيخ يكره السماعَ. فقال: وَيْحَه! لو كَرِهَ الطعامَ والشرابَ كان أقرب له إلى الصواب! فقال الشيخ: فكيف ذاك وبهما الحياة؟ فقالت: إنّهما رُبّما قتلا وهذا لا يقتُل. فقال عبدالله غنّي:

لِمَـــنْ ربـــعٌ بـــذات الجيـــش أمســـى دارســـاً خَلَقَـــا

فغنَّت؛ فجعل الشيخ يصفِّق ويرقُص ويقول:

* هـــذا أوانُ الشَّـــدِّ فـــاشْتَـــدِّي زِيَـــمْ *

ويحرِّك رأسه ويدور حتى وقع مَغْشِيّا عليه، وعبدُالله بن جعفر يضحَك منه.

غنى الدلال الغمر بن يزيد فطرب:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال حدّثني أبو غَسّان قال:

مرّ الغَمْر بن يَزِيد بن عبد الملك حاجّا، فغنّاه الدَّلاَل:

[٢٧٨/٤] / بـانَتْ سُعادُ وأمسى حَبْلُها انصَرَمَا واحتَلَّت الغَمْرَ[2] فالأجراعَ[3] من إضَما[4]

---

(١) الدكان: بناء يسطح أعلاه ويجلس عليه كالمصطبة في مصر. أي لأصابك من غنائها ما يعوقك عن أن تصل إلى المكان الذي تجلس فيه. وفي حـ، م: «ذكاتك».

(٢) تقدّم في الجزء الأوّل (ص ٤٩ من هذه الطبعة): «الغور». والغمر: الماء الكثير، أو بئر قديمة بمكة، أو موضع بينه وبينها يومان.

(٣) كذا في أكثر الأصول. وفي حـ، م: «فالأجزاع» بالزاي المعجمة. والأجراع: جمع جرع وهو مفرد أو جمع جرعة وهي الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها.

(٤) اضم (بكسر ففتح): واد بجبل تهامة، وهو الوادي الذي فيه المدينة. وقد ورد هذا البيت في «ديوان» النابغة الذبياني هكذا:

بـــانـــت سعـــادِ وأمســـى حبلهـــا انجـــذمـــا واحتلـــت الشـــرع فـــالأجـــزاع مـــن إضمـــا

وشَرْع: قرية على شرقيّ ذَرَة فيها مزارع ونخيل على عيون، وواديها يقال له رخيم. والأجزاع: جمع جزع بالكسر ـ وقال أبو عبيدة: اللائق به أن يكون مفتوحاً ـ: منعطف الوادي. وفي «تاج العروس» (أضم):

* واحتلت الشرع فالخبتين من إضما *

والخبت: المتسع من بطون الأرض. (انظر «القاموس» و «شرحه» وياقوت في هذه المواد).

فقال له الغَمْر: أحسنتَ والله، وغلبتَ فيه ابنَ سُرَيج! فقال له الدَّلاَل: نعمةُ الله عليّ فيه أعظمُ من ذلك. قال: وما هي؟ قال: السُّمْعة، لا يسمَعه أحدٌ إلاّ عَلِم أنه غناء مُخَنَّثٍ حقًّا.

نسبة هذا الصوت:

صوت

بـانـتْ سعـادُ وأمسـى حبلُهـا انصـرمـا ... واحتلّـتِ الغَمْـرَ فـالأجـراعَ مـن إضَمَـا

إحْـدَى[1] بَلِـي ومـا هـامَ الفـؤادُ بهـا ... إلاّ السَّفَـاهَ وإلاّ ذُكْـرةً حُلُمَـا

هَـلاَّ سـألـتِ بنـي ذُبيـانَ مـا حَسَبـي ... إذا الـدُّخَـانُ تَغَشَّـى[2] الأشمـط البَـرَمَـا

الشعر للنابغة الذُّبيانِيّ. والغناء للدَّلال خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى عن الهِشامي. وفيه خفيفُ ثقيلٍ[3] بالبِنصر لمَعْبَد عن عمرو بن بانةَ. وفيه لابن سُرَيْج ثقيلٌ أوّل / بالبنصر عن حَبَش. وفيه لنَشيطٍ ثاني ثقيلٍ بالبنصر عنه. وذكر الهِشَاميّ أنّ لحن مَعْبَدٍ ثقيلٌ أوّل، وذكر حمّاد أنه للغَرِيض. وفيه لَجميلةَ ودَحْمان لحنانِ، ويقال: إنهما جميعاً من الثقيل الأوّل. [٢٧٩/٤]

احتكم إليه شيعي ومرجىء:

أخبرني الحُسَين بن يحيى قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق إجازةً عن أبيه عن المَدَائنيّ قال:

اختصم شِيعيٌّ ومُرْجِىء[4]، فجعلا بينهما أوّلَ مَنْ يَطْلُع، فطلَع الدَّلاَل. فقالا له: أبا زَيْد، أيُّهما خيرٌ: الشِّيعيّ أمِ المُرْجىء؟ فقال: لا أدري إلاّ أنّ أعلايَ شِيعيّ وأسفلي مرْجِىء!

هرب من المدينة إلى مكة:

قال إسحاق قال المَدَائنيّ وأخبرني أبو مِسْكِينٍ عن فُلَيْح بن سليمان قال:

كان الدَّلاَل ملازماً لأُمّ سَعيد الأسلميّة / وبنتٍ ليحيى بن الحَكَم بن أبي العاصي، وكانتا من أمْجَنِ النِّساء، كانتا تخرُجان فتركَبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى تبدوَ خَلاَ خيلُهما. فقال مُعاوية لمَرْوان بنِ الحَكَم: اِكْفِني بنتَ أخيك؛ فقال: أفعل. فاستزارها، وأمر ببئر فحُفِرتْ في طريقها، وغُطِّيتْ بحَصِيرٍ، فلمّا مشتْ عليه سقطتْ في البئر فكانت قبرَها. وطُلِب الدَّلاَل فهرَب إلى مكة. فقال له نساء أهلِ مكة: قتلتَ نساء أهل المدينة وجئتَ لتقتلنا! فقال: والله ما قَتَلهنّ[5] إلا الحُكَاك. فقلن: اعزُبْ أخزاك الله، ولا أدنى بك [دارًا[6]، ولا آذانا بك]! قال: فمَنْ لَكُنّ [٦٤/٤]

---

(١) بليّ كغنيّ: قبيلة من قضاعة. والسفاه: الطيش وخفة الحلم. والذكرة (بالكسر والضم): نقيض النسيان.

(٢) تغشّى: تلبّس. والأشمط: الذي خالطه الشيب. وخص الأشمط لأنه أجزع للبرد من الشاب فهو يتغشى النار قبله. والبرم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر لبخله.

(٣) في م: «ثقيل أوّل بالبنصر».

(٤) المرجئة: جماعة كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد، وكانوا يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم فرق أربع: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة. (انظر «الملل والنحل» للشهرستاني ص ١٠٣ طبع أوروبا).

(٥) كذا في ء، ط، م. وفي سائر النسخ: «ما قتلهنّ أحد إلا الحكاك».

(٦) زيادة عن س، م.

[٤/٢٨٠] / بعدي يدلّ على دائكنّ ويعلّم موضع شِفائكنّ؟ والله ما زنيتُ قطُّ ولا زُني بي، وإنّي لأشتهي ما تشتهي نساؤكم ورجالكم.

كان الماجشون يقرّب الدلال ويستحسن غناءه:

قال إسحاق وحدّثني الواقديّ عن ابن الماجِشُون قال:

كان أبي يُعْجِبه الدَّلاَل ويستحسن غناءَه ويُدْنِيه ويقرّبه، ولم أرَه أنا، فسمعتُ أبي يقول: غنّاني الدَّلاَل يوماً بشعر مجنون بني عامر، فلقد خفتُ الفتنة على نفسي. فقلت: يا أبتِ، وأيّ شعر تَغنّى؟ قال قولَه.

صوت

عَسَى اللَّـهُ أنْ يُجْـرِي المَـوَدّةَ بيننـا ... ويُـوصِـلَ حبـلاً منكُـم بحِبـالِيَـا

فكَـمْ مـن خَلِيلَـيْنِ جَفْـوةٍ قـد تَقَـاطَعَـا ... علـى الـدَّهْـرِ لمّـا أنْ أطـالاَ التَّـلاَقِيَـا

وإنّـي لفـي كَـرْبٍ وأنـتِ خَلِيّـةٌ ... لقد فارقتْ في الوصف حالُكِ حاليا

عتبـتُ فمـا أعتبتِنـي بمـودّةٍ ... ورُمْـتُ فمـا أسعفتِنـي بسـؤاليـا

الغناء في هذا الشعر للغَرِيض ثقيلٌ أوّل بالوسطى، ولا أعرف فيه لحناً غيره. وذكر حماد في أخبار الدَّلاَل أنّه للدّلال، ولم يجنّسه.

غرر بمخة المخنث فغابت خثيم بن عراك صاحب الشرطة:

قال إسحاق وحدّثني الوَاقديّ عن عثمان بن إبراهيم الحاطِبيّ قال:

قَدِم مخنّث من مكةَ يقال له مُخّة، فجاء إلى الدَّلاَل فقال: يا أبا زيد، دُلّني على بعض مُخَنّثي أهلِ المدينة أُكَايِدْه وأُمَازِحْه ثم أُجاذِبْه. قال: قد وجدته لك ـ وكان خُثَيْم[١] بن عِرَاك بن مالِكٍ صاحبِ شُرْطة زِيَاد بن عُبَيد الله[٢] الحارِثيّ جارَه، وقد خرج في ذلك الوقت ليصلّي في المسجد ـ فأومأ إلى خُثَيْم فقال: الْحَقْه في المسجد؛ فإنّه [٤/٢٨١] / يقوم فيه فيصلّي لِيُرائِيَ الناسَ، فإنّك ستظفر بما تُريد منه. فدخل[٣] المسجدَ وجلس إلى جنب ابن عِرَاك، فقال: عَجِّلِي بصلاتك لا صَلَّى اللَّهُ عليكِ! فقال خُثَيْم: سبحانَ الله! فقال المخنّث: سَبِّحتِ في جامعةٍ[٤] قرّاصةٍ، انصرفي حتّى أتحدّث معكِ. فانصرف خُثَيْمٌ من صلاته، ودعا بالشُّرَط والسِّياطِ فقال: خُذُوه فأخذوه[٥]، فضربه مائةً وحبسه.

(١) كذا في حـ، وهو الموافق لما في «تهذيب التهذيب» «وطبقات ابن سعد» (ج ٥ ص ١٨٧) «وتقريب التهذيب» «وشرح القاموس». وفي ب، س: «خيثم». وورد في ء، ط مضطرباً غير واضح.

(٢) كذا في ء، ط، م وهو الموافق لما في الطبري (قسم ٢ ص ١٤٦٨ طبع أوروبا) اوابن الأثير (ج ٥ ص ٣٤٥ طبع أوروبا). وفي سائر الأصول: «زياد بن عبدالله» وهو تحريف.

(٣) كذا في ء، ط، م. وفي سائر النسخ: «فجلس في المسجد وجلس إلخ». ولعلها «فجاس في المسجد».

(٤) الجامعة: الغل لأنها تجمع اليدين إلى العنق.

(٥) كذا في ء، ط، م. وفي سائر النسخ: «فأخذه».

أضحك الناس في الصلاة فتهدّده الوالي:

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال:

صلّى الدَّلَالُ يوماً خلفَ الإمام بمكة، فقرأ: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؛ فقال الدَّلَالَ: لا أدري والله! فضَحِك أكثرُ الناس وقطعوا الصلاة. فلمّا قضى الوالي صلاتَه دعا به وقال له: ويلَك! ألَا تَدَعُ هذا المجونَ والسَّفَهَ! فقال له: قد كان عِندي أنّك تعبد الله، فلمّا سَمِعتُك تستفهم، ظننتُ أنك قد تشكّكت في ربِّك فثبَّتُّك. فقال له: أنا شككت[1] في ربِّي وأنت تُثَبِّتني! اِذهَبْ لعنك الله! ولا تُعاوِدْ[2] فأُبالغَ والله في عُقوبتك!

قصته مع رجل زوّجه امرأة لم يدخل بها:

قال إسحاق وحدّثني الوَاقِديّ عن عثمان بن إبراهيم قال:

سأل رجلٌ الدَّلَالَ أنْ يزوّجه امرأةً فزوّجه. فلمّا أعطاها صَدَاقَها وجاء بها إليه فدخلتْ عليه، قام إليها فَواقَعها، فضَرَطتْ قبل أن يطأها، فكَسِل عنها الرجل ومَقَتها وأَمَر / بها فأُخرجتْ؛ وبعث إلى الدّلال، فعرّفه ما جرى عليه. فقال له الدَّلَال: / فديتُك! هذا كلُّه من عِزّة نفسها. قال: دَعْني منك؛ فإنّي قد أبغضتها، فارْدُدْ عليّ دَراهمي، فَرَدَّ بعضها. فقال له: لم رددتَ بعضَها وقد خرجتْ كما دخلتْ؟ قال: للرَّوْعة التي أدخلَتها على اسْتِها. فضحِك وقال له: اذهَبْ فأنت أقضَى الناسِ وأفقهُهم.

٦٥/٤ [٢٨٢/٤]

مكر مع فتية من قريش وسيق إلى الأمير فأراد أن يحدّه ثم عفا عنه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أبو أيُّوب المَدِينيّ قال حدّثني محمد بن سلّام عن أبيه قال، [و] أخبرني به الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلّام عن أبيه [قال]:

أنّ الدّلال خرج يوماً مع فِتْيةٍ من قريش في نزهةٍ لهم، وكان معهم غلامٌ جميلُ الوجه، فأعجبه؛ وعلِم القوم بذلك، فقالوا: قد ظَفِرْنا به بقية يومنا، وكان لا يصبِر في مجلس حتّى ينقضي، وينصرف عنه استثقالاً لمحادثة الرجال ومحبةً في محادثة النساء. فغمَزوا الغلامَ عليه؛ وفَطِن لذلك فغضِب، وقام لينصرف؛ فأقسم الغلام عليه والقومُ جميعاً فجلس. وكان معهم شرابٌ فشربوا، وسَقَوْه وحَمَلوا عليه لئلّا يبرَح، ثم سألوه أن يُغَنِّيهم فغنّاهم:

صـوت

زُبَيْـرِيَّـةٌ بـالعَـرْجِ منهـا منـازلٌ ... وبـالخَيْـفِ مـن أدنى مَنازِلها رَسْمُ[3]

أُسـائـلُ عنهـا كـلَّ رَكْـبٍ لَقِيتُـه ... ومـالـي بهـا مـن بعـد مَكّتِنـا عِلْـمُ

أيـا صـاحـب الخَيْمـاتِ مـن بَطْنِ أَرْثَدٍ[4] ... إلَـى النخـل مـن وَدّانَ مـا فعلـتْ نُعْـمُ

---

(١) كذا في حـ. وفي ء، ط: «أنا أشك في ربي وأنت تثبتني». وفي سائر النسخ: «أنا أثبك في ربي وأنت تثبتني».

(٢) كذا في ء، ط، م. وفي سائر النسخ: «ولا تعاوده».

(٣) ورد في س، م بعد هذا البيت: «ورواه آخرون: وبالخيف من أعلى منازلها رسم».

(٤) كذا في حـ وياقوت. وأرثد: اسم واد بين مكة والمدينة في وادي الأبواء. وودّان: قرية جامعة من نواحي الفرع، بينها وبين هَرْشَى =

فـإنْ تَـكُ حَـرْبٌ بيـن قـومـي وقـومِهـا فـإنّـي لهـا فـي كـلّ نـائـرةٍ[1] سَلْـمُ

[٤/٢٨٣] / ـ ذكر يحيى[2] المكّيّ وعمرو بن بانة أنّ الغِناء في هذا الشعر لمَعْبَد ثاني ثقيل بالوسطى، وذكر غيرهما أنه للدّلال. وفيه لمُخَارق رملٌ. وذكر إسحاق هذا اللحن في طريقة الثقيل الثاني ولم ينسبه إلى أحد ـ قال: فاستُطِير القومُ فرحاً وسروراً وعلا نَعِيرُهم؛ فَنَذِر[3] بهم السُّلْطان، وتَعَادتِ[4] الأشراطُ، فأحسُّوا بالطَّلَب فهربوا؛ وبقي الغلام والدَّلَال ما يُطِيقان بَرَاحاً من السُّكْر؛ فأُخِذَا فأُتِي بهما أمير المدينة. فقال للدَّلَال: يا فاسق! فقال له: مِنْ فمِك إلى السماء. قال: جَئُوا[5] فَكَّه؛ قال: وعُنُقَه أيضاً. قال: يا عدوّ الله! أمَا وَسِعَك بيتُك حتّى خرجتَ بهذا الغلام إلى الصحراء تفسُق به! فقال: لو علمتُ أنّك تَغَارُ علينا وتشتهي أن نفسُق[6] سِرًّا ما خرجتُ من بيتي. قال: جَرِّدُوه واضرِبوه حدًّا. قال: وما ينفعك من ذلك! وأنا والله أُضْرَبُ في كلّ يوم حدوداً. قال: ومَنْ يتولّى ذلك منك؟ قال: أُيُورُ المسلمين. قال: ابطَحُوه على وجهه واجلسوا على ظهره. قال: أحسَب أنّ الأمير قد اشتهى أن يرى كيف أُنَاك. قال: أقيموه لعنه الله واشهَروه في المدينةِ مع الغلام. فأُخرِجا يُدَار بهما في السِّكَك. فقيل له: ما هذا يا دَلَالُ؟ قال: اِشتهى الأميرُ أن يجمع بين الرأسين، فجمع بيني وبين هذا الغلام ونادى علينا، ولو قيل له الآن: إنّك قوّاد غضِب! فبلغ قولُه الوالي فقال: خَلُّوا سبيلَهما، لعنة الله عليهما!

شهادة معبد في غناء الدلال:

قال إسحاق في خبره خاصّةً ـ ولم يذكره أبو أيُّوب ـ فحدّثني أبي عن ابن جَامع عن سِيَاطٍ قال:

[٤/٢٨٤] / سمعت يونسَ يقول قال لي مَعْبَدٌ: ما ذكرت غناءَ الدَّلَال في هذا الشعر:

* زُبَيْـــرِيَّـــةٌ بـــالعَـــرْجِ منهـــا منـــازِلٌ *

إلّا جدّد لي سروراً، ولَوددتُ أنّي كنت سبقتُه إليه لحُسْنه عندي. قال يونس: فقلت له: ما بلَغ من حُسْنه عندك؟ قال: يكفيك أني لم أسمَعْ أحسنَ منه قطُّ. / ٦٦/٤

ما كان بينه مع بعض المخنثين وبين عبد الرحمن بن حسان:

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عَدِيّ عن صالح بن حَسّان قال:

كان بالمدينة عُرْس، فاتّفق فيه الدَّلَال وطُوَيْس والوليد المخنّث، فدخل عبد الرحمن بن حَسَّان، فلمّا رآهم قال: ما كنتُ لأجلسَ في مجلس فيه هؤلاء. فقال له طُوَيس: قد علمتَ يا عبد الرحمن نِكايتي فيك وأنّ جَرْحي

= ستة أميال، وبينها وبين الأبواء نحو ثمانية أميال. وفي سائر الأصول: «أربد» بالباء الموحدة. وأربد: قرية بالأرن قرب طبرية عن يمين طريق المغرب. وقد رجحنا رواية حـ وياقوت لأنها الأشبه بشعر الأحوص وليكون بين الموضعين تناسب مكاني.

(١) النائرة: العداوة والشحناء، مشتقة من النار.

(٢) كذا في ط، وقد تقدّم كذلك مراراً. وفي سائر النسخ: «يحيى بن المكي» وهو تحريف وله ترجمة في الجزء السادس من «الأغاني» طبع بولاق.

(٣) نذر: علم.

(٤) تعادت: من العدو وهو سرعة الجري.

(٥) جئوا: اضربوا؛ يقال: وجأ عنقه يجؤه مثل وضع يضع.

(٦) في جميع الأصول: «تفسق» بالتاء.

إيّاك لم يندمل - يعني خَبره معه بحضرة عبدالله بن جعفر، وذِكْرَه لعَمّته الفارِعة - فاربَحْ نفسَك وأقْبِلْ على شأنك؛ فإنّه لا قيامَ لك بمن يَفْهَمك فَهْمي. وقال له الدَّلال: يا أخا الأنصار! إنّ أبا عبد النَّعِيم أعلَمُ بك منّي، وسأُعْلِمُك بعضَ ما أعلم به. ثم اندفع ونَقَر بالدُّفّ، وكلُّهم ينقُر بدُفّه معه، فتغنّى:

صوت

أتهجُر يا إنسانُ مَنْ أنت عاشقُهْ ... ومَنْ أنت مشتاقٌ إليه وشائقُهْ[1]

وريمٍ أحَمِّ المقلتين مُوَشَّحٍ ... زَرَابِيُّه[2] مبثوثةٌ ونَمَارِقُهْ

ترى الرَّقْمَ[3] والدِّيباجَ في بيته معاً ... كما زيَّن الروضَ الأنيقَ[4] حدائقُهْ

/ وسِرب ظباء تَرْتَعِي جانبَ الحِمَى ... إلى الجوّ[5] فالْخَبْتَيْنِ بِيضٌ عَقَائقُهْ[6] [٤/ ٢٨٥]

وما مِنْ حِمًى في الناسِ إلاّ لنا حِمًى ... وإلاّ لنا غَرْبِيُّهُ ومَشَارِقُهْ

فاستضحك عبدُ الرحمٰن وقال: اللّهُمّ غُفْراً، وجلس.

لحن الدَّلاَل في هذه الأبيات هَزَجٌ بالبِنْصَر عن يحيى المكيّ وحمّاد.

استدعاه سليمان بن عبد الملك سراً فغناه فطرب وأعاده إلى الحجاز مكرماً:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبدالله الجُمَحِيّ عن محمد بن عثمان عن عبد الرحمان بن الحارث بن هِشَام قال: سمعتُ عَمّي عُتْبَة يقول حدّثني مولًى للوليد بن عبد الملك قال:

كان الدَّلاَلُ ظريفاً جميلاً حسنَ البيان، مِنْ أحْضَرِ الناس جواباً وأحَجِّهم؛ وكان سليمان بن عبد الملك قد رقّ له حين خُصِيَ غَلَطاً، فوجَّه إليه مولًى له وقال له: جئني به سِرًّا، وكانت تبلُغه نوادرُه وطِيبُه، وحذّر رسولَه أن يعلمَ بذلك أحدٌ. فنَفَذ المولى إليه وأعلمه ما أمَره به، وأمَره بالكتمان وحَذَّره أن يَقِفَ على مقصده أحد، ففعل. وخرج به إلى الشام، فلمّا قَدِم أنزله المولى منزلَه المولى منزلَه وأعلم سليمانَ بمكانه؛ فدعا به ليلاً فقال: وَيْلَكَ ما خَبَرُك؟ فقال: جُبِبْتُ من القُبُل مَرّةً أُخرى يا أمير المؤمنين، فهل تريد أن تَجُبَّني المرّة من الدُّبُر؟! فضحك وقال: اعْزُبْ أخزاك الله! ثم قال له: غَنِّ. فقال: لا أُحسِن إلاّ بالدُّفّ. فأمر فأُتِي له بدُفّ؛ فغنّى في شعر العَرْجِيّ:

أفي رسمِ دارٍ دَمْعُكَ المُتَحَدِّرُ ... سَفَاهاً وما استنطاقُ ما ليس يُخْبِرُ

تغيَّر ذاك الربعُ من بعد جِدَّةٍ ... وكلُّ جديدٍ مَرّةً متغيِّرُ

---

(١) في ء، ط، ب: «ووامقه».

(٢) الزرابيّ: البسط. وقيل: كل ما بسط واتكيء عليه. والنمارق: الوسائد.

(٣) الرقم: ضرب مخطط من الوشي أو الخز أو البرود.

(٤) في حـ: «الروض الأثيث». والأثيث: الكثير العظيم.

(٥) الجوّ والخبتان: كلاهما موضع.

(٦) الأقرب أن يكون «بيض عقائقه» مرتبطاً بالموضع الذي قبله، وأن يكون المراد بالعقائق: النهاء (جمع نهي بكسر أوّله وفتحه) الغدران في الأخاديد المنعقة (العميقة).

لأسمـــاءَ إذ قلبـــي بـــأسمـــاءَ مُغْـرَمٌ ومـــا ذِكْــرُ أسمــاءَ الجميلــةِ مُهْجَـرُ

[٤/٢٨٦] / ومَمْشَـى ثَـلاثٍ بعـد هَـدْءٍ[1] كَـوَاعِـبٍ كمثـل الـدُّمَـى بـل هُـنّ مـن ذاك أنضـرُ

فسَلَّمْــنَ تسليمــاً خفيًّــا وسَقَّطَــتْ مَصَــاعِبَــةٌ[2] ظُلَّــعٌ مِــنَ السيـر حُسَّـرُ

لهــا أَرَجٌ مـــن زاهــر البَقْــلِ والثَّـرَى وبُــرْدٌ إذا مـا بـاشـر الجِلْـدَ يَخْصَـرُ[3]

فقـــالـــتْ لِتِـــرْبَيْهـــا الغـــداةَ تَبَقَّيَـــا[4] بعيـــنٍ ولا تَسْتبعِـــدَا حيـــن أُبْصِـــرُ

٦٧/٤ / ولا تُظْهِـــرَا بُـــرْدَيكمـــا وعليكمـــا كِســاءانِ مـــن خَــزٍّ بنَقْــشٍ[5] وأخضــرُ

فعَــدِّي فمـــا هـــذا العتـــابُ بنـــافـــعٍ هـــوايَ ولا مُـرْجِـي الهـوى حيـن يُقْصِـر

فقال له سليمان: حُقَّ لك يا دَلاَلُ أن يقال لك الدَّلال! أحسنتَ وأجملتَ! فوالله ما أدري أيّ أمرَيْك أعجب: أسُرْعةُ جوابك وجودةُ فهمك أم حُسْنُ غِنائك، بل جميعاً عَجَب! وأمر له بصلة سنيّة. فأقام عنده شهراً يشرب على غنائه، ثم سرَّحه إلى الحجاز [مُكرماً][6].

قصته مع شامي من قوّاد هشام أراد أن يتزوّج من المدينة:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعيّ قال:

حَجَّ هِشامُ بن عبد الملك، فلمّا قَدِم المدينةَ نزل رجلٌ من أشراف أهل الشأم وقوّادهم بجنب[7] دار الدَّلاَل، فكان الشاميّ يسمَع غِناء الدَّلاَل ويُصْغِي إليه ويصعَد فوق السطح ليقرُبَ من الصوت؛ ثم بعث إلى الدَّلال: إمّا أن تزورنا وإمّا / أن نزورك؛ فبعث إليه الدَّلال: بل تزورنا. فتهيأ الشاميّ[8] ومضى إليه، وكان للشاميّ غِلْمانٌ رُوقَةٌ[9]، فمضى معه بغلامين منهم كأنّهما دُرّتان. فغنّاه الدّلال: [٤/٢٨٧]

قــد كنــتُ آمُــلُ فيكُــم أمَــلاَ والمــرءُ ليــس بمُــدْرِكٍ أمَلَــهْ

حتّــى بــدا لــي منكــم خُلُــفٌ فــزجـرتُ قلبـي عـن هـوًى جَهِلَهْ[10]

ليــس الفتــى بمُخَلَّــدٍ أبــداً حَقًّــا وليــس بفــائــتٍ أجَلَــهْ

(١) الهدء: الهزيع من الليل، وقيل: من أوّله إلى ثلثه وذلك ابتداء سكونه.
(٢) مصاعبة: جمع مُصْعَب وهو الفحل الذي تركته فلم تركبه ولم يمسه حبل حتى صار صعباً.
(٣) يخصر: يبرد.
(٤) كذا في م. وتبقيا بعين أي انتظرا بمرأى مني؛ يقال: بقّاه وبقّاه وأبقاه وتبقّاه، كله بمعنى انتظره. في ء، ط: «فقالت لتربيها فديت تنقباً * بعين...». وفي سائر النسخ: «فقالت لتربيها الغداة تنقباً * لعين...».
(٥) في حـ، ء، ط: «بنفس».
(٦) زيادة عن ء، ط، م.
(٧) كذا في م. وفي سائر النسخ: «تحت».
(٨) في م: «فبعث الشامي بما يصلح ومضى إلخ».
(٩) الروقة: الحسان؛ يقال: غلمان روقة وجارية روقة.
(١٠) في حـ، م:

* فزجرت قلبي فارعوى جهله *

حَـيِّ العَمُـودَ ومَـنْ بِعَقْـوتِـه(١) وقِفَـا العَمُـودِ وإن جَـلاَ أهلُـهْ(٢)

قال: فاستحسن الشاميّ غِناءه، وقال له: زِدْني؛ فقال: أو مَا يكفيك ما سمعتَ؟ قال: لا واللّهِ ما يكفيني. قال: فإنّ لي إليك حاجةً. قال: وما هي؟ قال: تبيعني أحد هذين الغلامين أو كليهما. قال: اخترْ أيُّهما شئت؛ فاختار أحدهما. فقال الشاميّ: هو لك؛ فقبِله الدّلال، ثم غنّاه:

دَعَتْنِـي دَوَاعٍ مِـن أُرَيَّـا فهيَّجَـتْ هـوًى كـان قِـدْمـاً مـن فـؤادٍ طَـرُوبِ

لعـلَّ زمـانـاً قـد مضـى أن يعـودَ لـي فتَغْفِـرَ أَرْوَى عنـد ذاك ذُنـوبـي

سَبَتْنِـي أُرَيَّـا يـوم نَعْـف مُحَسِّـرٍ(٣) بـوجـهٍ جميـلٍ للقلـوبِ سَلُـوبِ

فقال له الشاميّ: أحسنتَ! ثم قال له: أيها الرجل الجميل، إن لي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قال: أريد وصيفةً وُلِدتْ في حِجْرٍ صالح، ونشأت في خير، جميلةَ الوجه مجدولة، وَضِيئةً، جَعْدَةً(٤)، في بياض مُشْرَبة حمرةً، حسنةَ القامة، سَبْطَةً(٥)، أَسِيلةَ الخدّ، / عَذْبةَ اللسان، لها شِكْلٌ ودَلٌّ، تملأ العين والنفس. فقال له الدّلال: [٤/٢٨٨] قد أصبتُها لك، فما لي عليك إن دَلَلْتُك؟ قال: غلامي هذا. قال: إذا رأيتَها وقَبِلْتَها(٦) فالغلامُ لي؟ قال نعم. فأتى امرأةً كَنَى عن اسمها، فقال لها: جُعِلتُ فِداكِ! إنّه نزل بقُرْبي رجلٌ من أهل الشأم من قوّاد هشام له ظَرْفٌ وسخاء، وجاءني زائراً فأكرمتُه، ورأيت معه غلامين كأنّهما الشمس الطالعة والقمر المنير والكواكب الزاهرة، ما وقعتْ عيني على مثلهما ولا ينطلق لساني بوصفهما، فوَهَب لي أحدَهما والآخرُ عنده؛ وإن لم يَصِلْ إليّ فنفسي خارجة. قالت: فتُريد ماذا؟ قال: طَلَب منّي وصيفةً يشتريها على صِفَةٍ لا أعلمُها في أحدٍ إلّا في فلانة بِنْتِك، فهل لكِ أن تُرِيَها له؟ قالت: وكيف لك بأن يدفَع الغلامَ إليك إذا رآها؟ قال: فإنّي قد شرطتُ عليه ذلك عند النظر لا عند البيع. قالت: فشأنَك ولا يعلَمْ / أحدٌ بذلك. فمضى الدلاّل فجاء الشاميّ معه. فلمّا صار إلى المرأة أدخلتْه، فإذا هو بحَجَلةٍ(٧) [٦٨/٤] وفيها امرأةٌ على سرير مُشْرِفٍ بَرْزَةٌ جميلةٌ، فوُضِع له كرسيٌّ فجلس. فقالت له: أمِنَ العرب أنت؟ قال نعم. قالت: من أيِّهم؟ قال: من خُزَاعةَ. قالت: مرحباً بك وأهلاً، أيَّ شيء طلبتَ؟ فوَصَف الصفة؛ فقالت: أصبتَها، وأصغتْ(٨) إلى جاريةٍ لها فدخلت فمكثتْ هنيهةً ثم خرجتْ؛ فنظرتْ إليها المرأة فقالت لها: أيْ حبيبتي، اخرُجي؛ فخرجتْ وصيفةٌ ما رأى الرّاءون مثلَها. فقالت لها: أَقْبِلي فأقبلتْ، ثم قالت لها: أَدْبِري، فأدبرتْ تملأ العين والنفس؛ فما بقي منها شيء إلّا وضع يدَه عليه. فقالت: أتُحبُّ أن نُؤَزِّرها لك؟ قال نعم. قالت: أيْ حبيبتي ائْتَزِري، فضَمَّها الإزارُ وظهرت محاسنُها الخَفِيّة، وضَرَب بيده على عَجِيزتها وصَدْرها. ثم قالت: أتُحِبّ أن

---

(١) العقوة: الساحة.

(٢) كذا في جميع الأصول. وفيه إقواء.

(٣) النعف: المرتفع من الأرض في اعتراض. وقيل: ما انحدر عن السفح وغلظ وكان فيه صعود وهبوط. (ومحسر بالضم فالفتح وكسر السين المشدّدة): موضع بين مكة وعرفة، وقيل: بين منى وعرفة، وقيل: بين منى والمزدلفة.

(٤) الجعدة: التي في شعرها جعودة.

(٥) كذا في أكثر الأصول؛ يقال: غلام سبط الجسم أي حسن القدّ لطيفه. وفي ء، ط: «شاطّة» أي حسنة القوام في اعتدال.

(٦) كذا في: حـ. وفي سائر الأصول: «قلبتها».

(٧) الحجلة: بيت يزين بالثياب والأسرّة والستور.

(٨) أي مالت إليها برأسها.

[٢٨٩/٤] / نُجَرِّدَها لك؟ قال نعم. قالت: أيْ حبيبتي وَضِّحي؛ فألقت إزارَها فإذا أحسنُ خَلْقِ الله كأنّها سبيكة. فقالت: يا أخا أهلِ الشأم كيف رأيتَ؟ قال: مُنْية[1] المتمنِّي. قال: بكَمْ تقولين؟ قالت: ليس يومُ النظر يومَ البيع، ولكن تعود غداً حتى نُبايعك ولا تنصرف إلاّ على الرِّضا، فانصرف من عندها. فقال له الدّلاّل: أرَضِيتَ؟ قال: نعم، ما كنت أحسب أنّ مثل هذه في الدنيا؛ فإن الصفة لَتَقْصُر دونها. ثم دفع إليه الغلام الثاني. فلمّا كان من الغدِ قال له الشاميّ: امْضِ بنا، فَمضَيَا حتى قَرَعا البابَ؛ فأُذن لهما، فدخلا وسلما، ورحَّبت المرأة بهما، ثم قالت للشاميّ: أَعْطِنا ما تبذُل؛ قال: مالها عندي ثمنٌ إلاّ وهي أكبرُ منه، فقُولي يا أَمَةَ الله. قالت: بل قُلْ؛ فإنّا لم نُوطِئك أعقابنا ونحن نُريد خِلافَك وأنت لها رِضاً. قال: ثلاثة آلاف دينار. فقالت: واللّهِ لَقُبْلةٌ من هذه خيرٌ من ثلاثة آلاف دينار. قال: بأربعة آلاف دينار. قالت: غَفَر الله لك! أعْطِنَا أيُّها الرجل. قال: واللّهِ ما معي غيرها ـ ولو كان لزدتُكِ ـ إلاّ رَقيقٌ ودوابُّ وخُرْثيٌّ[2] أحمله إليك. قالت: ما أراك إلاّ صادقاً، أتدري مَنْ هذه؟ قال: تُخبريني. قالت: هذه ابنتي فلانةُ بنت فلان، وأنا فلانة بنت فلان، وقد كنتُ أردتُ أن أَعْرِض عليك وصيفةً عندي، فأحببتُ إذا رأيتَ غداً غلَظَ أهلِ الشأم وجفاءَهم، ذكرتَ ابنتي فعلمت أنكم في غير شيء، قُمْ راشداً. فقال للدّلاّل: خدعتَني! قال: أوَ لا ترْضَى أن ترى ما رأيتَ من مثلها وتَهَبَ مائةَ غلامٍ مثل غلامك؟ قال: أمّا هذا فنعم. وخرجا من عندها.

[٢٩٠/٤] / نسبة ما عُرفتْ نسبته من الغناء المذكور في هذا الخبر



صوت

قـد كنـتُ آمُـلُ فيكُـم أَمَـلاً   والمـرءُ ليـس بمُـدْرِكٍ أَمَلَـهْ
حتّـى بـدا لـي منكُـم خُلُـقٌ   فـزجـرتُ قلبـي عـن هَـوَى جَهِلَـهْ

الشعر للمُغِيرة بن عمرو بن عثمان. والغناء للدّلاّل، ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبِنصر في مجْراها؛ وجدتُه في بعض كتب إسحاق بخطّ يده هكذا. وذكر عليّ بن يحيى المنجِّم أنّ هذا اللحن في هذه الطريقة لابن سُرَيج، وأنّ لحن الدّلاّل خفيفُ[3] ثقيلٍ نَشِيد. وذكر أحمد بن المَكّيّ أنّ لحن الدّلاّل ثاني ثقيلٍ بالوسطى، ولحنَ ابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل. وفيه / لمُتَيَّم وعَرِيبَ خفيفاً[4] ثقيلٍ، المُطْلَقُ المُسْجَحُ منهما لعَرِيبَ. (٦٩/٤)

ومنها:

صوت

دعتْنـي دَوَاعٍ مـن أُرَيّـا فهيَّجـتْ   هـوًى كـان قِـدْمـاً مـن فُـؤادِ طَـرُوبِ
سبتْنـي أُرَيّـا يـومَ نَعْـفِ مُحَسِّـرٍ   بـوجـهٍ صبيـحٍ للقلـوب سَلُـوبِ
لعـلّ زمـانـاً قـد مضـى أن يعـودَ لـي   وتَغْفِـرَ أَرْوَى عنـد ذاك ذُنـوبـي

(١) كذا في، ط، م. وفي سائر النسخ: «منتهى المتمني».
(٢) الخرثي: متاع البيت وأثاثه، وهو أيضاً أردأ المتاع.
(٣) في حـ: «ثاني ثقيل».
(٤) في حـ: «خفيف ثقيل».

الغناء للدَّلَالِ خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى في مجراها من رواية حمّاد عن أبيه، وذكر يحيى المكيّ أنه لابن سُرَيج.

غنى نائلة بنت عمار الكلبي فأجازته:

أخبرني الحسين[1] بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي قَبِيصةَ قال:

/ جاء الدَّلَال يوماً إلى منزل نائلةَ بنت عمّار الكَلْبِيّ، وكانتْ عند معاويةَ فطلَّقها، فقَرَع البابَ فلم يُفْتَحْ له؛ [٤/٢٩١] فغنَّى في شعر مجنون بني عامرٍ ونَقَر[2] بدُفِّه:

خَلِيلَيَّ لا واللَّهِ ما أَمْلِكُ البُكَا ... إذا عَلَمٌ من أرض ليلَى بَدَا لِيَا

خليلَيَّ إنْ بانُوا بليلَى فهَيِّئَا ... لِيَ النَّعْشَ والأكفانَ واسْتَغْفِرَا لِيَا

فخرج حَشَمُها فزجروه وقالوا: تَنَحَّ عن الباب. وسَمِعَتِ الجَلَبَةَ فقالت: ما هذه الضَّجَّةُ بالباب؟ فقالوا: الدَّلَال. فقالت: ائذَنُوا له. فلمّا دخل عليها شقَّ ثيابَه وطرَح الترابَ على رأسه وصاح بوَيْلِه وحَرَبِه؛ فقالت له: الوَيْلُ وَيْلُك! ما دَهَاك؟ وما أَمْرُك؟ قال: ضربني حَشَمُك. قالت: ولِمَ؟ قال: غَنَّيْتُ صوتاً أريد أن أُسْمِعَكِ إيّاه لأدخل إليكِ؛ فقالت: أُفٍّ لهم وتُفٍّ! نحن نبلُغ لك ما تُحِبُّ ونُحسن تأديبَهم. يا جارية هاتي ثياباً مقطوعة. فلمّا طُرِحتْ عليه جلَس. فقالت: ما حاجتُك؟ قال: لا أسألُكِ حاجةً حتَّى أُغنِّيَكِ. قالت: فذاك إليك؛ فاندفع يُغَنِّي شعرَ جميل:

اِرْحَمِينِي فقد بَلِيتُ فحَسْبِي ... بعضُ ذا الدَّاءِ يا بُثَيْنةُ حَسْبِي

لامَنِي فيكِ يا بثينةُ صَحْبِي ... لا تَلُومُوا قد أقرح الحُبُّ قلبي

زَعَمَ الناسُ أنّ دائيَ طِبِّي ... أنتِ واللَّهِ يا بثينةُ طِبِّي[3]

ثم جلس فقال: هل من طعام؟ قالت: عليَّ بالمائدة؛ فأُتِيَ بها كأنها كانت مهيّأة عليها أنواع الأطعمة، فأكل، ثم قال: هل من شرابٍ؟ قالت: أمّا نبيذٌ فلا، ولكن غيره. فأُتِيَ بأنواع الأشربة، فشَرِب من جميعها. ثم قال: هلْ من فاكهة؟ فأُتِيَ بأنواع الفَوَاكِه فتفكَّه، ثم قال: حاجتي خمسةُ آلاف درهمٍ، وخمسُ / حُلَلٍ من حلل مُعاويةَ، [٤/٢٩٢] وخمسُ حلل من حلل حبيب بن مَسْلَمَةَ، وخمسُ حلل من حلل النُّعمان بن بَشِير. فقالت: وما أردتَ بهذا؟ قال: هو ذاك، واللهِ ما أرضَى ببعضٍ دون بعضٍ، فإمّا الحاجة وإما الردّ. فدعتْ له بما سأل، فقبضه وقام. فلمّا توسَّط الدارَ غنَّى ونقَر بدُفِّه:

ليتَ شِعْرِي أَجَفْوةٌ أم دَلَالٌ ... أم عَدُوٌّ أتَى بُثَيْنةَ بعدِي

فمُرِينِي أُطِعْكِ في كلِّ أمرٍ ... أنتِ واللَّهِ أوجهُ الناسِ عندي

---

(١) في حـ، س، ب: «محمد بن الحسين عن حماد».

(٢) كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «ونقر بدفه عليه».

(٣) كذا في س، م. وفي سائر الأصول:

* أنت والله يا حميتك طبي *

وكانت نائلةُ عند معاوية، فقال لفاختةَ بنتِ قَرَظَةَ[1]: اذهبي فانْظُري إليها، فذهبتْ فنظرتْ إليها، فقالت له: ما رأيتُ مثلَها، ولكنّي رأيتُ تحت سُرَّتها خالاً لَيُوضَعَنّ منه رأسُ زوجها / في حجْرها. فطلّقها معاوية؛ فتزوّجها بعده رجلان: أحدهما حبيبُ بن مَسْلَمة، والآخر النُّعمان بن بَشِير؛ فقُتِل أحدُهما فوُضِع رأسُه في حجرها. ٧١/٤

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

خليلَيَّ لا والله ما أَمْلِكُ البُكا ... إذا عَلَمٌ من أرض ليلَى بَدَا لِيا

خليلَيَّ إنْ بانوا بليلَى فَهيِّئا ... لِيَ النَّعْشَ والأكفانَ واستغفِرا لِيا

أمضروبةٌ ليلَى علَى أنْ أزورها ... ومتَّخَذٌ ذنباً لها أنْ تَرانِيا

خليليَّ لا والله ما أملِكُ الذي ... قضَى الله في ليلى ولا ما قضَى لِيا

قَضَاها لغيري وابتلاني بحُبِّها ... فهَلاًّ بشيءٍ غيرِ ليلى ابتلانيا

الشعر للمجنون. والغناء لابن مُحْرِز ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر الهِشَاميّ أنّ فيه لحناً لمعبد ثقيلاً أوّل لا يشك فيه. قال: وقد قال / قوم: إنه منحول يحيى المكيّ. وفيه لإبراهيم خفيف ثقيلٍ عن الهِشَاميّ أيضاً. وفيه ليحيى المكيّ رَمَلٌ من رواية ابنه أحمد. وفيه خفيفُ رَمَلٍ عن أحمد بن عُبَيد لا يُعْرَف صانعه. [٢٩٣/٤]

ومنها:

صوت

ليتَ شِعْرِي أَجَفْوةٌ أم دَلالٌ ... أم عَدُوٌّ أتَى بثينةَ بعدي

فمُرِيني أُطِعْكِ في كلِّ أمرٍ ... أنتِ والله أوجُهُ الناسِ عندي

الشعر لجميل. والغناء لابن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ بالسبّابة في مَجْرى البِنصر عن إسحاق. وفيه لعَلُّوَيْهَ خفيفُ ثقيلٍ آخر. وذكر عمرو بن بانةَ أنّ فيه خفيفَ ثقيل بالوسطى لمَعْبَد. وذكر إسحاق أن فيه رَمَلاً بالبِنصر في مجراها ولم ينْسبه إلى أحد، وذكر الهِشَاميّ أنّه لمالك. وفيه لمُتَيَّمَ خفيفُ رَمَلٍ. وفيه لعَريبَ ثقيلٌ أوّل [بالبنصر][2]. وذكر حبش أنّ فيه للغَرِيض ثقيلاً أوّل بالبنصر. ولمعبد فيه ثقيل أوّل بالوسطى. وذكر ابن المكيّ أنّ فيه خفيفَ ثقيلٍ لمالك وعَلُّويَه.

غنى في زفاف ابنة عبدالله بن جعفر:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائنيّ عن عَوَانةَ بن الحَكَم قال:

---

(١) كذا في أكثر الأصول، وهو الموافق لما في الطبري (قسم أول ص ٢٨٨٩ طبع أوروبا) وفي حـا: «فرضة» بالضاد المعجمة.

(٢) زيادة في ء، ط، م.

لمّا أراد عبدُالله بن جعفر إهداءَ[1] بنته إلى الحَجّاج، كان ابن أبي عَتِيقٍ عنده، فجاءه الدَّلاَل متعرِّضاً فاستأذن. فقال له ابن جعفر: لقد جئتنا يا دَلاَل في وقت حاجتنا إليك. قال: ذلك قصدتُ. فقال له ابن أبي عَتِيق: غَنِّنا؛ فقال ابن جعفر: ليس وقت ذلك، نحن في شغل عن هذا. فقال ابن أبي عتيق: ورَبِّ / الكعبة لَيُغَنِّيَنَّ. فقال له ابن [٤/٢٩٤] جعفر: هات. فغَنَّى ونَقَر بالدُّفِّ ـ والهوادجُ والرَّواحل قد هُيِّئت، وصُيِّرتْ بنت ابنِ جعفر فيها مع جَوَاريها والمشيِّعين لها ـ:

يـا صـاح لـو كنـتَ عـالمـاً خَبِـراً ... بمـا يُـلاَقِـي المُحِـبُ لـم تَلُمُـهْ[2]

لا ذنـبَ لـي فـي مُقَـرَّطٍ[3] حَسَـنٍ ... أعجبنـي دَلُّـهُ ومُبْتَسَمُـهْ

شيمتُـه البُخْـلُ والبِعـادُ لنـا ... يـا حَبَّـذَا هُـوَ وحَبَّـذَا شِيَمُـهْ

مُضَمَّـخٌ بـالعَبِيـرِ عـارضُـه ... طُـوبَـى لِمنْ شَمَّـه ومَـنْ لَثَمُـهْ[4]

/ ـ قال: ولابن مُحْرِز في هذا الشعر لحنٌ أجودُ من لحن الدَّلاَل ـ فطَرِب ابن جعفر وابنُ أبي عتِيق. وقال له [٧١/٤] ابن جعفر: زِدْنِي وطرِب. فأعاد اللحنَ ثلاثاً ثم غنّى:

بَكَـرَ العـواذِلُ فـي الصَّبـا ... حِ يَلُمْنَنِـي وأَلُـومُهُنَّـهْ

ويَقُلْـنَ شيـبٌ قـد عَـلاَ ... كَ وقـد كَبِـرْتَ فقُلْـتُ إنَّـهْ

ومضتْ بنتُ ابن جعفر، فاتَّبعها يُغَنِّيها بهذا الشعر ـ ولعبد آل الهذليّ فيه لحن وهو أحسنها ـ:

إنّ الخَلِيـطَ أَجَـدَّ فـاحتمـلاَ ... وأراد غَيْظَـكَ بـالـذي فَعَـلاَ

فـوقفـتُ أنظـر بعـضَ شـأنهـمُ ... والنَّفـسُ ممـا تـأمُـلُ الأَمَـلاَ

وإذا البِغـالُ تُشَـدُّ صـافِنـةً[5] ... وإذا الحُـداةُ قَـدَ أزْمَعُـوا الـرَّحَـلاَ

فهنـاكَ كـادَ الشَّـوْقُ يقتُلنـي ... لَـوْ أنَّ شـوقـاً قبلَـه قَتَـلا

/ فدَمَعتْ عينًا عبدِالله بن جعفر، وقال للدَّلاَل: حَسْبُكَ! فقد أوجعت قلبي! وقال لهم: امْضُوا في حفظ الله [٤/٢٩٥] على خير طائر وأيْمَنِ نَقِيبة.

---

(١) الإهداء: الزفاف.

(٢) لم تلمه، أصل ميمه الإسكان فنقلت إليه ضمة الهاء؛ كقوله:

عجِبْـتُ والـدهـرُ كثيـرٌ عجبـه ... مِـن عنـزيّ سبنـي لـم أضـربُـهْ

نقل ضمة الهاء إلى الباء.

(٣) كذا في ء، ط. والمقرط: المتحلي بالقرط. وفي سائر الأصول: «مقرطق». والمقرطق: لابس القرطق، وهو قباء ذو طاق واحد.

(٤) لثمه، أصل ميمه الفتح، فنقلت إليه ضمة الهاء بعده على لغة لخم؛ لأنهم يجيزون في الوقف نقل حركة الحرف الأخير إلى المتحرك قبله؛ كقوله: «من يأتمر بالخير فيما قصدُهْ».

(٥) تشدّ: تهيأ عليها الرحال. والصافن من الخيل ونحوه: القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

بَكَـر العــواذلُ فــي الصَّبــا ح يَلُمْنَنِــي وأَلُــومُهُنَّــهْ
ويقلــنَ شيــبٌ قــد عــلا كَ وقــد كَبِــرْتَ فقلــتُ إنَّــهْ
لا بُــدَّ مــن شيــبٍ فــدَعْـ ــنَ ولا تُطِلْــنَ مَــلاَمَكُنَّــهْ
يَمْشِيــنَ كــالبَقَــرِ الثِّقــا لِ عَمَــدْنَ نحــو مُــرَاحِهِنَّــهْ[1]
يَخْفَيْــنَ فــي المَمْشَــى القَــريـ ــبِ إذا يُــرِدْنَ صَــدِيقَهُنَّــهْ

الشعر لابن قيس الرقيّات. والغِناء لابن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالسبّابة في مجرى البِنصر عن إسحاق. وفيه ثقيلٌ أوّلُ للغَرِيضِ عنِ الهِشَاميّ. وفيه خفيفُ ثقيلٍ آخرَ بالوسطى ليعقوب بن هَبَّار عن الهِشاميّ وَدَنانِيرَ، وذكر حَبَشٌ أنّه ليعقوب.

ومنها:

صوت

إنّ الخليــطَ أجــدّ فــاحتمــلاَ وأراد غيظَــك بــالــذي فعــلا

الأبيات الأربعة.

الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة. والغناء للغَرِيض ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة عن يحيى المكيّ. وفيه ليحيى أيضاً ثقيلٌ أوّل بالوسطى من رواية أحمد ابنه، وذكر حَبَشٌ أنّ هذا اللحن لبَسْبَاسةَ بنتِ مَعْبَدٍ.

[٢٩٦/٤] / **سأله ابن أبي ربيعة الغناء في شعر له فغناه فأجازه:**

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْصٍ الثَّقَفيّ قال:

كان للدَّلاَل صوتٌ يُغَنِّي به ويُجيده، وكان عُمَر بن أبي ربيعةَ سأله الغناءَ فيه وأعطاه مائةَ دينار ففعل، وهو قولُ عمر:

صوت

ألــم تَسْــأَلِ الأطــلالَ والمُتَــرَبَّعَــا ببطــنِ حُلَيَّــاتٍ دَوَارِسَ بَلْقَعَــا[2]
إلــى السَّــرْحِ مــن وادي المُغَمَّــسِ بُــدِّلــتْ مَعَــالِمُــه وَبْــلاً ونَكْبــاءَ زَعْــزَعَــا
وقَــرَّبْــنَ أسبــابَ الهَــوَى لِمُتَيَّــمٍ يقِيــس ذِرَاعــاً كُلَّمــا قِسْــنَ إصْبَعَــا
/ فقلــتُ لِمُطْــرِيهِــنّ فــي الحُسْــنِ إنّمــا ضَــرَرْتَ فهــل تَسْطِيــعُ نَفعــاً فتَنْفَعَــا

٧٢/٤

(١) المراح (بالضم): مأوى الإبل والبقر والغنم.
(٢) تقدّم هذا الشعر والتعليق عليه في صفحتي ١٣١، ١٧٦ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة.

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغِناء للغَرِيض فيه لحنان: أحدهما في الأوّل والثاني من الأبيات ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو، والآخَرُ في الثالث والرابع ثاني ثقيلٍ بالبنصر. وفي هذين البيتين الآخَرَيْن لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى البِنصر عن إسحاق. وفي الأوّل والثاني للهُذليّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو. وفيهما لابن جامع رَمَلٌ بالوسطى عنه أيضاً. وقال يونس: لمالكٍ فيه لحنان، ولمَعْبَدٍ لحنٌ واحد.

روى هشام بن المرّية عن جرير صوتين له:

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني هِشَام بن المَرِّيَّة قال:

كنّا نعرف للدّلاَل صوتين عجيبين، وكان جريرٌ يُغَنّي بهما فأُعْجَبُ من حُسْنهما. فأخذتُهما عنه وأنا أُغَنّي بهما. فأمّا أحُدهما فإنّه يُفْرح القلبَ. والآخر يُرْقص كلَّ مَنْ سَمِعه. فأمّا الذي يُفرِح القلب فلابن سُرَيج فيه أيضاً لحنٌ حسنٌ وهو:

/ ولقد جرى لك يومَ سَرْحةِ[1] مالكٍ ... مما تَعَيَّفُ سانحٌ وبَريحُ [٤/٢٩٧]

أَحْوَى القَوَادِمِ بالبياض مُلَمَّعٌ ... قَلِقُ المَواقِعِ بالفِراق يَصِيحُ

الحُبُّ أبغضُه إليَّ أقلُّه ... صَرِّحْ بذاك فراحَتي التَّصْريحُ

بانتْ عُوَيْمَةُ[2] فالفؤادُ قَريحُ ... ودموعُ عينِك في الرِّداء سُفُوحُ

والآخر:

كلّما أبصرتُ وجهاً ... حَسَناً قلتُ خَليلي

فإذا ما لم يَكُنْهُ ... صِحْتُ وَيْلي وعَويلي

فصِلي حبلَ مُحِبٍّ ... لكُمُ جِدُّ وَصُولِ

وانْظُري لا تَخْذُلِيهِ ... إنّه غيرُ خَذُولِ

نسبة هذين الصوتين

للدّلاَل في الشعر الأوّل الذي أوّله:

* ولقد جرى لك يوم سرحةِ مالكٍ *

خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى. وفيه لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ عن الهِشَاميّ. وقال حَبَشٌ: إنّ للدّلاَل فيه لحنين: خفيفَ ثقيل أوّل[3] وخفيفَ رَمَلٍ. وأوّلُ خفيفِ الرَّمَل:

* بانتْ عويمةُ فالفؤادُ قريحُ *

وذكر أنّ لحن ابن سرَيج ثاني ثقيلٍ، وأنّ لابن مِسْجَح فيه أيضاً خفيفَ ثقيلٍ.

(١) في ء، ط، م: «سرحة رائع».

(٢) في ء، ط: «عوينة».

(٣) كلمة «أوّل» ساقطة في ط، ء.

والصوت الثاني الذي أوّلُه:

كلّمـــا أبصـــرتُ وجهـــاً حَسَنـــاً قلـــتُ خليلـــي

[٤/٢٩٨] / الغناء فيه لعَطَرّد خفيفٌ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش، ويقال إنّه للدَّلَال. وفيه ليونس خفيفُ رَمَلٍ. وفيه لإبراهيم المَوْصِليّ خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر عن عمرو.

شرب النبيذ وكان لا يشربه فسكر حتى خلع ثيابه:

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن مُصْعَب بن عبدالله الزُّبَيريّ قال:

كان الدَّلَالُ لا يشرَب النبيذ، فخرج مع قوم إلى مُتَنَزَّهٍ لهم ومعهم نبيذٌ، فشربوا ولم يشرَب منه، وسَقَوْه عَسَلاً مجدوحاً[1]، وكان كلّما تغافلَ صيَّروا في شرابه النبيذَ فلا يُنكره، وكثُر ذلك حتّى سَكِر وطَرِب، وقال: اسْقُوني من شرابكم، فسقَوْه حتى ثَمل، وغنّاهم في شعر الأَحْوَص:

طـاف الخيـالُ وطـاف الهَـمُّ فـاعتكَـرَا عنـد الفِـرَاشِ فبـات الهَـمُّ مُحْتَضِـرَا[2]

أُرَاقِـبُ النَّجْـمَ كـالحَيْـرانِ مُـرْتَقِبـاً وقَلَّـصَ النـومُ عـن عينـيّ فـانْشَمَـرا

/ مـن لـوعـةٍ أورثـتْ قَـرْحـاً علـى كَبِـدي يـومـاً فـأصبَـح منهـا القلـبُ مُنْفطِـرا [٤/٧٣]

ومَـنْ يَبِـتْ مُضْمِـراً هَمًّـا كمـا ضَمِنَـتْ مِنّـي الضُّلُـوعُ يَبِـتْ مُسْتَبْطِنـاً غِيَـرا

فاستحسنه القومُ وطَربوا وشَرِبوا. ثم غنّاهم:

طَـرِبْـتَ وهـاجَـك مَـنْ تَـذْكُـرْ ومَـنْ لسـتَ مـن حُبِّـه تَعْتَـذِرْ

فـإنْ نِلْـتُ منهـا الـذي أرتجـي فـذاك لَعَمْـرِي الـذي أَنْتَظِـرْ

وإلّا صبـرتُ فـلا مُفْحِشـاً عليهـا بِسُـوءٍ ولا مُبْتَهِـرْ[3]

ـ لحن الدلال في هذا الشعر خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن حبش. قال: وذكر قوم أنّه للغريض ـ.

[٤/٢٩٩] / قال: وسَكِر حتّى خلَع ثيابَه ونام عُرْياناً، فغطّاه القوم بثيابهم وحمَلوه إلى منزله ليلاً فنوّموه وانصرفوا عنه. فأصبح وقد تقيّأ ولوّث ثيابَه بقَيْئِه، فأنكر نفسه، وحلف ألاّ يُغَنِّيَ أبداً ولا يُعاشِرَ مَنْ يشرب النبيذ؛ فوفَى بذلك إلى أن مات. وكان يُجَالِس المَشْيَخةَ والأشرافَ فيُفِيض معهم في أخبار الناس وأيّامِهم حتى قضَى نَحْبَه.

[انقضت[4] أخبار الدلال].

---

(١) المجدوح: المخلوط.

(٢) في و، ط:

طـاف الخيـال وطـال الليـل فـاعتكـرا عنـد الفـراش فـآب الهـم محتضـرا

واعتكر الليل: اشتدّ سواده. واعتكر أيضاً: اختلط. ومحتضراً: حاضراً؛ يقال: حضر الهمّ واحتضر.

(٣) الابتهار: قول الكذب والحلف عليه. وفي جميع الأصول: «منتهر» بالنون.

(٤) زيادة عن م.

ومما في شعر الأحوص من المائة المختارة

صوت

من المائة المختارة

يا دِينَ[١] قَلْبِك منها لستَ ذاكِرَها ... إلا تَرَقْرَقَ ماءُ العينِ أو دَمَعَا
أدعو إلى هَجْرِها قلبي فيَتْبَعُني ... حتّى إذا قلتُ هذا صادقٌ نَزَعَا
لا أستطيعُ نُزوعاً عن مَحَبَّتِها ... أو يَصْنَعَ الحُبُّ بي فوق الذي صنَعا
كَمْ مِنْ دَنِيٍّ[٢] لها قد صرتُ أتْبَعُه ... ولو سلا القلبُ عنها صار لي تَبَعَا
وزادَني كَلَفاً في الحُبِّ أنْ منعتْ[٣] ... وحَبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعَا[٤]

/ الشعر للأحوص. والغناء ليحيى بن واصِلٍ المكيّ، وهو رجلٌ قليل الصَّنْعة غير مشهور، ولا وجدتُ له [٣٠٠/٤] خبراً فأذكره. ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى في مَجْراها عن إسحاق. وذكر يونس أنّ فيه لحناً لمَعْبَد ولم يجنّسه.

محبوبة الأحوص في كبرها:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنا مُطَرّف بن عبدالله المدنيّ[٥] [قال] حدّثني أبي عن جَدّي قال:

بينَا أطوفُ بالبيت ومعي أبي، إذا بعجوزٍ كبيرة يضرب أحد لَحْيَيْها الآخر. فقال لي أبي: أتعرف هذه؟ قلت: لا، ومَنْ هي؟ قال: هذه التي يقول فيها الأحوص:

يا سَلْمَ ليت لساناً تَنْطِقين به ... قبلَ الذي نالني من حُبّكم قُطِعَا
يلومني فيكِ أقوامٌ أُجالسهم ... فما أُبالي أطارَ اللومُ أم وَقَعا

---

(١) المراد بالدين هنا الداء؛ قال الشاعر:

* يا دين قلبك من سلمى وقد دينا *

قال المفضل: معناه يا داء قلبك القديم. وقال اللحياني: المعنى يا عادة قلبك. (انظر «اللسان» «وشرح القاموس» مادة دين).

(٢) الدني (بالهمز وبتشديد الياء بدون همز): الخسيس الحقير.

(٣) يحتمل أن يكون «منعت» مبنياً للفاعل أو للمفعول.

(٤) أورد النحويون هذا البيت شاهداً على أن «حب» أفعل تفضيل حذفت همزته مثل خير وشر، إلا أن الحذف فيهما هو الكثير والحذف في أحب قليل. وفي «اللسان» (مادة حبب): «وأنشد الفراء:

وزاده كلفاً في الحب أن منعت ... وحب شيئاً إلى الإنسان ما منعا

قال: وموضع «ما» رفع، أراد حبب فأدغم».

(٥) في جميع الأصول: «الهذلي» وهو تحريف (انظر الحاشية رقم ٢ صفحة ٢٩ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة).

أدعــو إلــى هَجْــرِهــا قلبــي فيَتْبَعُنــي حتَّــى إذا قلــتُ هــذا صــادقٌ نَــزَعَــا

قال: فقلت له: يا أبتِ، ما أرى أنّه كان في هذه خيرٌ قطٌّ. فضحِك ثم قال: يا بُنيّ هكذا يصنَع الدهرُ بأهله.

حدّثنا به وَكيع قال حدّثنا ابن أبي سَعْد قال حدّثنا إبراهيم بن المُنْذِر قال حدّثنا أبو خُوَيْلِد[1] مطرّف بن عبدالله المدنيّ[2] عن أبيه، ولم يقل عن جدّه، وذكر الخبر مثل الذي قبله.

[٣٠١/٤]
٧٤/٤

/ صـوت

من المائة المختارة

كـالبَيْـضِ بـالأُدْحِيّ يلمَـع فـي الضُّحى فـالحُسْـنُ حسـنٌ والنَّعيـمُ نعيـمُ

حُلِّيــنَ مــن[3] دُرّ البُحــورِ كــأنّــه فــوق النُّحــورِ إذا يلــوح نُجــومُ

الأُدْحِيّ: المواضع التي يبيض فيها النَّعام، واحدتها أُدْحيّة[4]. وذكر أبو عمرو[5] الشَّيْبانيّ أنّ الأدحيّ البَيْضُ نفسه. ويقال فيه أُدْحِيٌّ وأَدَاحٍ[6] أيضاً.

الشعر لطُرَيْح بن إسماعيل الثَّقَفيّ. والغناء لأبي سَعيد مولى فائد، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه للهُذَليّ خفيفُ ثقيلٍ من رواية الهشاميّ. وقد سمعنا مَنْ يغنّي فيه لحناً من خفيف الرَّمَل، ولستُ أعرف لمن هو.

(١) كذا في أكثر النسخ. وفي م: حدّثنا أبو خويلد عن مطرف... (الخ) وليس في ترجمة مطرف بن عبدالله أنه يكنى أبا خويلد بل كنيته أبو مصعب. وليس هناك من الرواة من يسمى أبا خويلد يروي عنه إبراهيم بن المنذر ويروى هو عن مطرف، حتى نرجح ما في م.

(٢) في جميع الأصول: «الهذلي» وهو تحريف (انظر الحاشية رقم ٢ صفحة ٢٩ من الجزء الأول من هذه الطبعة).

(٣) في ء، ط: «حلين مرجان البحور».

(٤) ظاهر كلام المؤلف في تفسير الأدحيّ أنه جمع. والذي في «لسان العرب» «والقاموس وشرحه»: أن الأدحيّ. والأدحية (بضم الهمزة فيهما وكسرها) والأدحوّة: مبيض النعام في الرمل، وجمع الكلّ: الأداحيّ ومثلها مدحي (وزان مسعى).

(٥) في ب، س: «أبو عمر» وهو تحريف.

(٦) لعله على حذف الياء من «أفاعيل» وإلا فحقه «أداحيّ».

/ ذكر طريح وأخباره ونسبه

[٣٠٢/٤]

نسبـــه:

هو ـ فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دُرَيد عن عمّه عن ابن الكَلْبيّ في كتاب النسبِ إجازةً، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبي أيُّوب المَدِينيّ عن ابن عائشة ومحمد بن سَلّام ومُصْعَب الزُّبَيريّ، قال: ـ طُرَيْح بن إسماعيل بن عُبَيد بن أَسِيد بن عِلاج بن أبي سَلَمةَ بن عبد العُزّى بن عَنَزة بن عَوْف بن قَسِيّ ـ وهو ثَقِيف ـ بن مُنَبِّه بن بَكْر بن هَوَازِن بن منصور بن عِكْرِمةَ بن خَصَفةَ بن قَيس بن عَيْلان بن مُضَر.

ثقيف والخلاف في نسبه:

قال ابن الكَلْبيّ: ومِن النسّابين مَنْ يذكُر أنّ ثَقِيفاً هو قَسِيّ بن مُنَبِّه بن النَّبِيت بن منصور بن يَقْدُمَ بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن إيَادِ بن نِزَار. ويقال: إنّ ثقِيفاً كان عبداً لأبي رِغَال، وكان أصلُه من قوم نَجَوْا من ثَمُودَ، فانتمى بعد ذلك إلى قَيْس. ورُوِي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكـرّم وجهَه: أنّه مرّ بثَقِيف، فتغامزوا به؛ فرجَع إليهم فقال لهم: يا عَبيد أبي رِغَال، إنما كان أبوكم عبداً له فهرَب منه، فثقِفَه[١] بعد ذلك، ثم انتمى إلى قَيْس.

وقال الحَجّاج في خُطْبة خطَبها بالكوفة: بَلَغني أنّكم تقولون إنّ ثقيفاً من بقيّة ثمود، وَيْلَكم! وهل نجا[٢] من ثَمُود إلّا خِيارُهم ومَنْ آمن بصالح فبَقِيَ معه عليه السلام! ثم قال: قال الله تعالى: ﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾. فبلغ ذلك الحسنَ البصريّ: فتضاحكَ ثم قال: حَكَم لُكَعُ لنفسه، إنما قال عزّ وجلّ: ﴿فما أبْقى﴾ أي لم يُبْقِهم بل أهلكهم. فرُفِع ذلك إلى الحَجّاج فطلَبه، فتوارَى عنه حتى هلَك الحجّاج. وهذا كان سببَ تَوَارِيه منه. ذكر ابن الكلْبيُّ أنّه بلغه عن الحسن.

[٣٠٣/٤] / وكان حمّادٌ الراوية يذكر أنّ أبا رِغَالٍ أبو ثَقِيف كلِّها، وأنّه من بقيّة ثمود، وأنّه كان مَلِكاً بالطائف، فكان يَظْلِم رعيّته. فمرّ بامرأةٍ تُرضع صبيًّا يتيماً بلَبَنِ عَنْزٍ لها، فأخذها منها، وكانت سَنَةً مُجْدِبة؛ فَبقي الصبيُّ بلا مُرْضِعة[٣] فمات، فرماه الله بقارِعةٍ فأهلكه، فرجمتِ العربُ قبرَه، وهو بين مكة والطائف. وقيل: بل كان قائدَ الفيل ودليلَ الحَبَشة لمّا غَزَوُا الكعبةَ، فهلَك فيمن هلَك منهم، فدُفِن بين مكة والطائف؛ فمرّ النبيّ ﷺ بقبره، فأَمَر برَجْمه فرُجِم؛ فكان ذلك سُنّةً.

---

(١) ثقفه: أدركه وظفر به.

(٢) في ب، ط: «وهل بقي».

(٣) المرضع: المرأة لها ولد ترضعه، ولا تلحقها التاء اكتفاء بتأنيثها في المعنى؛ لأنها خاصة بالإناث كما في طالق. فإذا ألقمت الصبيّ ثديها فهي مرضعة (بالهاء). قال أبو زيد في قوله تعالى: ﴿تذهل كل مرضعة عما أرضعت﴾ هي التي ترضع وثديها في في ولدها.

قال ابن الكَلْبيّ وأخبرني أبي عن أبي صالح[١] عن ابن عبّاس قال:

[٧٥/٤] كان ثَقِيفٌ والنَّخَع من إيَاد؛ فثقيفٌ قَسِيّ بن مُنَبِّه بن النَّبِيت بن / يَقْدُمَ بن أَفْصَى بن دعْمِيّ بن إيَاد. والنَّخَع[٢] ابنُ عمرو بن الطمْثان بن عبد مَنَاةَ بن يَقْدُمَ بن أَفْصَى، فخرجا ومعهما عَنْزٌ لهما لَبُونٌ يشرَبان لبنَها، فعرَض لهما مُصَدِّقٌ[٣] لملك اليمن فأراد أخْذَها؛ فقالا له: إنّما نعيش بدَرِّها؛ فأبى أن يدَعَها؛ فرماه أحدُهما فقتله. ثم قال لصاحبه: إنّه لا يحملني وإيّاك أرض فأمّا النَّخَعُ فمضى إلى بِيشَةَ[٤] فأقام بها / ونزل القَسِيُّ موضعاً قريباً من [٣٠٤/٤] الطائف؛ فرأى جاريةً ترعَى غنماً لعامر بن الظَّرب العَدْوانيّ، فطَمِع فيها، وقال: أقتل الجارية ثم أَحْوِي الغنم. فأنكرتِ الجارية مَنْظَره، فقالت له: إني أراك تُريد قتلي وأَخْذَ الغنم، وهذا شيءٌ إن فعلتَه قتِلتَ وأُخِذَتِ الغنمُ منك، وأظنّك غريباً جائعاً؛ فدلَّته على مولاها. فأتاه واستجار به فزوّجه بنته، وأقام بالطائف. فقيل: لِلَّهِ دَرُّه ما أَثْقَفَه حين ثَقِف عامراً فأجاره. وكان قد مرّ بيهوديّة بوادي[٥] القُرَى حين قُتل المصدّق، فأعطته قُضْبانَ كَرْمٍ فغَرَسها بالطائف فأطعمتْه ونفعته.

قال ابن الكَلْبيّ في خبرٍ طويلٍ ذكَره: كان قَسِيٌّ مقيماً باليمن، فضاق عليه موضعه ونبا به، فأتى الطائف ـ وهو يومئذ منازلُ فَهْمٍ وعَدْوان ابني عمرو بن قَيْس بن عَيْلان ـ فانتهى إلى الظَّرِب العَدْوانيّ، وهو أبو عامر بن الظَّرِب، فوجده نائماً تحت شجرة، فأيقظه وقال: مَنْ أنت؟ قال: أنا الظَّرِب. قال: عليَّ أَلِيَّةٌ إن لم أقتُلْك أو تُحالِفْني[٦] وتُزَوِّجني ابنتك، ففعل. وانصرف الظَّرِب وقَسِيٌّ معه، فلقِيَه ابنه عامر بن الظَّرِب فقال: مَنْ هذا معك يا أبتِ؟ فقصَّ قِصَّته. قال عامرٌ: لِلَّهِ أبوه! لقد ثَقِفَ أمرَه؛ فسُمِّي يومئذٍ ثَقِيفاً. قال: وعُيِّرَ الظَّرِبُ تزويجَه[٧] قَسِيًّا، وقيل: زوّجت [٣٠٥/٤] عبداً. فسار إلى الكُهَّان يسألهم، فانتهى إلى شِقّ / ابن صَعْب[٨] البَجَليّ وكان أقربَهم منه. فلمّا انتهى إليه قال: إنّا قد جئناك في أمر فما هو؟ قال: جئتم في قَسِيّ، وقَسِيٌّ عبد إيَاد، أَبَقَ ليلةَ الواد[٩]، في وَجّ[١٠] ذاتِ الأنداد، فوَالَى سَعْداً لِيُفَاد[١١]، ثم لَوَى بغير مَعَاد. (يعني سَعْدَ بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر). قال: ثم توجّه إلى سَطِيح الذِّئْبيّ (حَيٌّ

---

(١) هو أبو صالح مولى أم هانىء بنت أبي طالب ويقال له باذان أو باذام، وهو الذي يروي عنه ابن الكلبي ويروي هو عن ابن عباس. (راجع «تهذيب التهذيب»).

(٢) في «صبح الأعشى» (ج ١ ص ٣٢٧) «وأنساب السمعاني» في الكلام على النخع: «النخع واسمه جَسْر بن عمرو بن عُلَةَ بن جَلْد بن مذحج». وفي كتاب «الاشتقاق» لابن دريد: «فمن بني عُلة النخع قبيلة وأخوه جسر». وفي كتاب «المعارف» لابن قتيبة: «فولد علة عمراً، فولد عمرو جسراً وكعباً. فأما جسر فهو أبو النخع بن جسر بن عمرو».

(٣) المصدق: عامل الزكاة الذي يأخذها من أربابها.

(٤) بيشة: قرية باليمن.

(٥) وادي القرى: واد بين المدينة والشام كثير القرى، فتحه النبيّ ﷺ عنوة سنة سبع من الهجرة، ثم صالح أهله على الجزية.

(٦) كذا في م. وفي ء، ط: «أو تحالفني لتزوّجني». وفي سائر النسخ: «أو تحلف لي لتزوّجني».

(٧) كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «بتزويجه». قال في «المصباح»: «وعيرته كذا وعيرته به: قبحته عليه ونسبته إليه، يتعدّى بنفسه وبالباء؛ قال المرزوقي في «شرح الحماسة»: «والمختار أن يتعدّى بنفسه؛ قال الشاعر:

أعيّرتنا ألبانها ولحومها ... وذلك عار يابن ريطة ظاهر»

(٨) كذا في ء، ط، وهو الموافق لما في الطبري (قسم ١ ص ٩١١ ـ ٩١٤). وفي سائر الأصول: «مصعب» وهو تحريف.

(٩) في جميع الأصول: «الوادي» والوادي يكون في الوقف بالياء وبدونها؛ وقد حذفنا هاهنا للسجع؛ لأن السجع وقف. على أنه قد يكتفي في «الوادي» بالكسرة عن الياء. (راجع الحاشية رقم ٧ ص ٢١٥ من هذا الجزء).

(١٠) وجّ: اسم واد بالطائف.

(١١) ليفاد: ليطلق. وأصله ليفادي من المفاداة، حذف منه الحرف الأخير لالتزام السجع.

من غَسّان، ويقال: إنّهم حَيٌّ من قُضَاعةَ نُزولٌ في غَسّان)، فقال: إنّا جئناك في أمر فما هو؟ قال: جئتم في قَسِيٍّ، وقَسِيٌّ من وَلَد ثَمُودَ القديم، ولدتْه أُمُّه بصَحْراءِ بَرِيم[1]، فالتقطه إيَادٌ وهو عديم، فاستعبده وهو مليم[2]. فرجع الظَّرِب وهو لا يدري ما يصنع في أمره، وقد وَكَّد عليه في الحِلْف والتزويج؛ وكانوا على كُفْرهم يُوفُون بالقول. فلهذا يقول منْ قال: إنّ ثَقِيفاً من ثَمُودَ؛ لأن إياداً من ثَمُود.

قال: وقد قيل: إنّ حرباً كانت بين إيَادٍ وبين قَيْس، وكان رئيسُهم عامرُ بن الظَّرِب، فظَفِرتْ بهم قيس، فنفتهم إلى ثمود وأنكروا أن يكونوا من نِزَار.

قال: وقال عامر بن الظَّرِب في ذلك:

قــالــتْ إيَــادٌ قــد رأينــا نَسَبَــا ... فــي ابْنَــيْ نِــزَارٍ ورأينــا غلَبَــا

سيــرِي إيَــادُ قــد رأينــا عَجَبَــا ... لا أصلُكــم منّــا فسَــامِــي الطَّلَبَــا

* دارَ ثَمُــــودٍ إذْ رأيــــتِ السَّبَبَــــا *

/ قال: وقد رُوِي عن الأعمش أنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال[3] على المنبر بالكوفة وذكر ثقيفاً: لقد هممتُ أن أضعَ على ثَقِيفِ الجِزْيَةَ؛ لأنّ ثقيفاً كان عبداً لصالح / نبيّ الله عليه السلام، وإنّه سرّحه إلى عاملٍ له على الصدقة، فبعَث العاملُ معه بها، فهَرب واستوطن الحَرَمَ، وإنّ أَوْلَى الناسِ بصالح محمد صلّى الله عليهما وسلّم، وإنّي أُشهِدُكم أنّي قد رددتهم إلى الرِّقّ. [٣٠٦/٤] [٧٦/٤]

قال: وبلَغنا أنّ ابن عبّاس قال، وذُكِر عنده ثَقِيف، فقال: هو قَسِيّ بن مُنَبِّه، وكان عبداً لامرأةِ صالح نبيّ الله ﷺ، وهي الهَيْجُمانة بنت سَعْد، فوَهَبتْه لصالح، وإنّه سرّحه إلى عاملٍ له على الصَّدَقة؛ ثم ذكر باقيَ خبره مثلَ ما قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. وقال فيه: إنّه مرّ برجل معه غنمٌ ومعه ابن له صغير ماتت أُمّه فهو يرضع من شاةٍ ليست في الغنم لَبُونٌ غيرُها، فأخذ الشاة؛ فناشده اللَّهَ، وأعطاه عَشْراً فأَبَى، فأعطاه جميعَ الغنم فأبى. فلمّا رأى ذلك تَنحّى، ثم نَثَل[4] كِنانتَه فرماه ففَلَق قلبَه؛ فقيل له: قتلتَ رسولَ رسولِ الله صالح. فأتى صالحاً فقصّ عليه قِصّته؛ فقال: أبعده الله! فقد كنتُ أنتظر هذا منه؛ فرُجِم قبرُه، فإلى[5] اليوم والليلة يُرْجَم، وهو أبو رِغَال.

قال: وبلغنا عن عبدالله بن عبّاس أنّ رسول الله ﷺ حين انصرف من الطائف مر بقبر أبي رِغَال فقال: «هذا قبر أبي رِغَال وهو أبو ثقيف كان في الحَرَم فمنعه الله عزّ وجلّ، فلمّا خرج منه رماه الله وفيه عمودٌ من ذهب»؛ فابتدره المسلمون فأخرجوه.

/ قال: ورَوَى عمرو بن عُبَيد عن الحسن أنّه سُئل عن جُرْهُم: هل بقِي منهم أحد؟ قال: ما أدري، غير أنّه لم يبقَ من ثمودَ إلاّ ثَقيف في قَيْس عَيْلان، وبنو لَجَـا في طَيِّـىء، والطُّفَاوة في بني أَعْصُر. [٣٠٧/٤]

---

(١) كذا في م، حـ. وبريم: موضع بنجد وواد بالحجاز قرب مكة. وفي سائر الأصول: «تريم» بالتاء المثناة من فوق. وتريم: إحدى مدينتي حضرموت والمدينة الأخرى شبام.

(٢) ألام الرجل: فعل ما يلام عليه.

(٣) في حـ: «قام».

(٤) نثل الكنانة: استخرج ما فيها من النبل.

(٥) كذا في م. وفي سائر النسخ: «فرجم قبره إلى اليوم والليلة وهو أبو رغال».

قال عمرو بن عُبَيد وقال الحسن: ذُكرتِ القبائلُ عند النبيّ ﷺ، فقال: «قبائلُ تنتمي إلى العرب وليسوا من العرب حِمْيَرَ من تُبَّع وجُرْهُمُ من عاد وثقيفٌ من ثمود».

قال: ورُوِي عن قَتَادةَ أنّ رجلين جاءا إلى عمْران بن حُصَين. فقال لهما: ممن أنتما؟ قالا: من ثقيف. فقال لهما: أتزعُمان أنّ ثقيفاً من إياد؟ قالا نعم. قال: فإن إياداً من ثمود؛ فشقّ ذلك عليهما. فقال لهما: أساءكما قولي؟ قالا: نعم والله. قال: فإنّ الله أنجى من ثمود صالحاً والذين آمنوا معه؛ فأنتم إنْ شاء الله من ذُرِّيَّة مَنْ آمن، وإنْ كان أبو رغَالٍ قد أتَى ما بَلغَكما. قالا له: فما اسمُ أبي رِغَال؛ فإن الناس قد اختلفوا علينا في اسمه؟ قال: قَسِيّ بن مُنَبِّه.

قال: ورَوَى الزُّهْرِيّ أنّ النبيّ ﷺ قال: «مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخِر فلا يُحِبّ ثَقِيفاً، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُبْغِض الأنصار».

قال: وبلغنا عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «بنو هاشم والأنصار حِلْفان وبنو أُمَيَّةَ وثَقِيفٌ حلْفان».

قال: وفي ثَقيف يقول حَسّان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

إذا الثَّقَفِيّ فاخركم فقولوا ... هَلُمَّ نَعُدّ شأنَ أبي رِغَالِ

[٣٠٨/٤] / أبوكم أخبثُ الآباء قِدْماً ... وأنتم مُشْبِهوه على مثالِ[1]

عَبيد الفِزر أورثهم بَنيه[2] ... وولّى عنهمُ أُخرَى الليالي

أم طريح ونسبها:

وأُمُّ طُرَيْح بنت عبدالله بن سِبَاع بن عبد العُزَّى بن نَضْلة بن غُبْشان[3] من خُزَاعةَ، وهم حُلفاء بني زُهْرةَ بن كِلَاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤيّ. وسِبَاع بن عبد العُزَّى هو الذي قتله حَمْزةُ بن عبد المطلب يوم أُحد. ولمّا بَرَز إليه سِبَاع قال له حمزة: هَلُمّ إليّ يابنَ مُقَطِّعة البُظُور / ـ وكانت أُمّه تَفْعَل ذلك وتَقْبَلُ[4] نساءَ قريش بمكة ـ فحَمِيَ وَحْشِيٌّ[5] لقوله وغَضِب لِسباع، فرَمى حمزةَ بحربته فقتله ـ رحمةُ الله عليه ـ وقد كُتب ذلك في خبر غَزَاة أُحُدٍ في بعض هذا الكتاب. [٧٧/٤]

---

(١) ورد هذا الشطر في «ديوان حسان» (ص ٣٦ طبع ليدن):

* وأولاد الخبيث على مثال *

(٢) كذا في «ديوان حسان». وفي جميع الأصول: «أورثه». وورد البيت في «ديوان حسان» ضمن بيتين هما:

عبيد الفزر أورثهم بنيه ... وآلى لا يبيعهم بمال

وما لكرامة حبسوا ولكن ... أراد هوانهم أخرى الليالي

والفزر: أبو قبيلة من تميم، وهو سعد بن زيد مناة بن تميم.

(٣) كذا في ء، ط، م، وهو الموافق لما في «السيرة» (ص ٦١١ طبع أوروبا). وفي سائر الأصول: «غبشان بن خزاعة» وهو تحريف؛ لأن غبشان هو ابن سليم بن مَلْكان بن أفصى بن خزاعة، كما في «السيرة».

(٤) تقبل نساء قريش (كتفرح): تتلقى أولادهنّ عند الولادة، وهي القابلة.

(٥) يدل ما في «صحيح البخاري» على أن قتل وحشيّ لحمزة إنما كان بتحريض مولاه جبير بن مطعم؛ وذلك أن حمزة ـ رضي الله تعالى عنه ـ كان قتل ببدر طعيمة بن عديّ بن الخِيَار عم جبير. فقال جبير لوحشيّ: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حرّ. فلما بارز حمزة سباعاً وقتله كان وحشي متربصاً له تحت صخره، فلما دنا منه رماه بحربته فأرداه. (والخبر مذكور في «صحيح البخاري» بتفصيل، فانظر في كتاب «المغازي» ـ باب قتل حمزة رضي الله عنه).

كنيته:

ويُكنَى طُرَيْحٌ أبا الصَّلْت؛ كُنِي بذلك لابنٍ كان له اسمه صَلْتٌ. وله يقول:

[٤/٣٠٩]

/ يا صَلْتُ إنّ أباك رَهْنُ مَنِيَّةٍ ... مكتوبةٍ لا بُدّ أنْ يلقاها

سَلَفَتْ سَوالِفُها[1] بأنْفُسِ مَنْ مَضَى ... وكذاك يَتْبَعُ باقياً أُخْرَاها

والدّهرُ يُوشِك أن يُفَرِّقَ بَيْنَه[2] ... بالموت أو رِحَلٍ تَشِتُّ[3] نَوَاها

لا بُدَّ بينكما[4] فتُسْمِع دَعْوةً ... أو تَستجيب لدعوةٍ تُدْعاها

طرح ابنه الصلت إلى أخواله بعد موت أمه:

وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال أخبرني أبو الحسن الكاتب: أنّ أُمّ الصَّلْت بن طُرَيح ماتت وهو صغير، فطَرَحه طريح إلى أخواله بعد موت أُمّه. وفيه يقول:

بات الخيالُ من الصُّلَيْتِ مُؤَرِّقي ... يَفْري[5] السُّراةَ مع الرَّبَابِ المُلْثِقِ[6]

ما راعني إلاّ بياضُ وُجَيْهِهِ ... تحت الدُّجُنّة[7] كالسِّراج المُشْرِقِ

نشأ في دولة بني أمية وأدرك دولة بني العباس وكان مدّاحاً للوليد بنِ يزيد وغضب عليه ثم رضي عنه:

ونشأ طُرَيح في دولة بني أُمَيّةَ، واستفرغ شعرَه في الوليد بن يزيد، وأدرك دولة بني العباس، ومات في أيام المهديّ[8]؛ وكان الوليد له مُكرِماً مُقَدِّماً؛ لانقطاعه إليه ولخؤولته في[9] ثَقيف.

فأخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني أحمد بن حمّاد[10] بن الجَميل عن العُتْبيّ عن سَهْم بن عبد الحميد قال أخبرني طُرَيح بن إسماعيل الثَّقَفيّ قال:

[٤/٣١٠]

/ خُصِصْتُ بالوليد بن يزيد حتى صِرْتُ أخلو معه. فقلت له ذاتَ يوم وأنا معه في مَشْرَبَةٍ[11]: يا أمير المؤمنين، خالُك يُحِبُّ أن تعلَم شيئاً من خُلُقه. قال: وما هو؟ قلتُ: لم أشرَبْ شراباً قطُّ ممزوجاً إلاّ من لبن أو عَسَل. قال: قد عرفتُ ذاك ولم يُبَاعِدْك من قلبي. قال: ودخلتُ يوماً إليه وعنده الأُمَويّون، فقال لي: إليّ يا خالي، وأقعدني إلى جانبه، ثم أُتِي بشراب فشَرِب، ثم ناولني القَدَحَ؛ فقلت: يا أمير المؤمنين قد أعلمتُك رأيي

---

(١) في ء، ط: «سوابقها».

(٢) في م: «يفرق بينهم».

(٣) كذا في ء، ط، م. وفي سائر النسخ: «تشب» بالباء الموحدة، وهو تصحيف.

(٤) كذا في الأصول!

(٥) كذا في م. وفي سائر النسخ: «يقري» بالقاف.

(٦) الملثق: البالّ؛ يقال: لثق الطائر إذا ابتلّ ريشه، وألثقه غيره إذا بلّه.

(٧) الدجنة: الظلام.

(٨) في ء، ط، م: «في أيام الهادي».

(٩) في ب، س: «من».

(١٠) في ط: «أحمد بن محمد بن الجميل». وفي ء: «أحمد بن محمد الجميل» وفي م: «أحمد بن حماد بن عبد الحميد».

(١١) المشربة (بضم الراء وفتحها): الغرفة. وفي ء، ط: «ونحن في مشرقة» والمشرقة (مثلثة الراء): موضع القعود في الشمس بالشتاء.

في الشراب. قال: ليس لذلك أعطيتك، إنّما دفعته إليك لِتُناوِله الغلام، وغضِب. فرفع القوم أيديهم كأنّ صاعقةً نزلتْ[١] على الخِوَان؛ فذهبتُ أقوم، فقال: اقعُدْ. فلمّا خلا البيت افترى عليّ، ثم قال: يا عاضّ كذا وكذا! أردتَ أن تفضَحني، ولولا أنك خالي لضربتُك ألفَ سَوْط! ثم نهى الحاجب عن إدخالي، وقَطَع عني أرزاقي. فمكثتُ ما شاء الله. ثم دخلتُ عليه يوماً متنكراً، فلم يشعُرْ إلّا وأنا بين يديه وأنا أقول:

يـاَبـنَ الخـلائـف مـا لـي بعـدَ تَقـربـةٍ … إليـك أُقصَـى وفـي حـالَيْـك لـي عجـبُ

مـا لـي أُذادُ[٢] وأُقصَـى[٣] حيـن أَقصِـدُكـم … كمـا تُـوَقَّـيَ مـن ذي العُـرّة[٤] الجـرَبُ

كـأنّنـي لـم يكـن بينـي وبينكـم … إلٌّ[٥] ولا خُلّـةٌ تُـرْعَـى ولا نَسـبُ

لـو كـان بـالـوُدّ يُـدْنَـى منـك أزلَفَنِـي … بِقُـربـك الـود والإشفـاقُ والحَـدَبُ

وكنـتُ دون رجـالٍ قـد جعلتُهـم … دونـي إذ مـا رَأَوْنـي مُقبِـلاً قَطَبُـوا[٦]

إنْ يَسْمَعُـوا الخيـر يُخْفُـوهُ وإنْ سَمِعـوا … شَـرًّا أذاعُـوا وإن لـم يسمَعـوا كَـذَبُـوا

رأَوْا صُـدودَك عنّـي فـي اللّقـاء فقـد … تحـدَّثـوا أنّ حبلـي منـكَ مُنقَضِـبُ

فـذو الشّمـاتـةِ مسـرورٌ بهَيْضَتِنـا … وذو النّصيحـةِ والإشفـاقِ مكتئـبُ

[٤/٣١١] [٧٨/٤]

قال: فتبسّم وأمرني بالجلوس فجلست. ورجع إليّ وقال: إيّاك أن تُعاوِد. وتمام هذه القصيدة:

أيـن الـذِّمـامـةُ والحَـقُّ الـذي نـزلـتْ … بحِفْظـه وبتعظيـمٍ لـه الكُتُـبُ

وحَـوْكِـيَ الشِّعْـرَ أُصْفِيـه وأَنْظِمُـه … نظْـمَ القـلائـدِ فيهـا الـدُّرُّ والـذهـبُ

وإنّ سُخْطَـكَ شـيءٌ لـم أُنَسـاجْ بـه … نفسـي ولـم يـك ممـا كنـتُ أكتسِـبُ

لكـن أتـاك بقَـوْلٍ كـاذبٍ أَثِـمٍ … قـومٌ بَغَـوْنـي فنـالـوا فـيّ مـا طلبـوا

ومـا عَهِـدْتُـك فيمـا زَلّ تَقطَـعُ ذا … قُـرْبَـى ولا تـدفَـع الحـقّ الـذي يجـب

ولا تَـوَجَّـعُ مـن حَـقٍّ تَحَمَّلُـه … ولا تَتَبَّـعُ بـالتكـديـر مـا تَهَـبُ

فقـد تقـرَّبـتُ جهـداً مـن رِضـاك بمـا … كـانـت تُنـالُ بـه مـن مثلـك القُـرَبُ

فغيـرَ دَفْعِـكَ حَقّـي وارتفـاضِـكَ لـي … وطَيِّـكَ الكَشْـحَ عنّـي كنـت أحتسـبُ

أَمْشِمـتٌ بِـيَ أقـوامـاً صُـدورُهُـمُ … علـيّ فيـك إلـى الأذقـانِ تَلْتَهِـبُ

قـد كنـت أحسَـب أنّـي قـد لجـأتُ إلـى … حِـرْزٍ وألّا يَضُـرُّونـي وإنْ أَلَبُـوا[٧]

---

(١) في ء، ط، م: «كأن صاعقة وقعت عليهم».

(٢) أذاذ: أمنع وأدفع.

(٣) كذا في م. وفي ء، ط: «وأرمي». وفي سائر النسخ: وأنهي.

(٤) العرّة: الجرب.

(٥) إلّ: عهد. وخلة: الصداقة.

(٦) قطبوا: عبسوا وغضبوا.

(٧) ألبوا: تجمعوا.

إنّ التـي صُنْتُهـا عـن مَعْشَـرٍ طلَبـوا مِنّـي إلـيّ الـذي لـم يُنْجِـح الطَّلَـبُ
أخلصتُهـا لـك إخـلاصَ امـرئٍ علـمِ الأقـوامُ أنْ ليـس إلاّ فيـك يَـرْتَغِـبُ
أصبحـتَ تـدفعهـا منّـي[1] وأعطِفُهـا عليـكَ وَهْـيَ لمـن يُخْبَـى بهـا رَغَـبُ
فـإنْ وصلـتَ فـأهـلُ العُـرْفِ أنـت وإنْ تَـدْفَـعْ يَـدَيَّ فلـي بُقْيَـا ومُنْقَلَـبُ
/ إنّـي كـريـمُ كِـرامٍ عشـتُ فـي أدبٍ نَقَـى العيـوبَ ومَلْـكُ[2] الشِّيمـةِ الأدَبُ [٤/٣١٢]
قـد يعلمـون بـأنّ العُسْـرَ منقطـعٌ يـومـاً وأنّ الغنَـى لا بـدّ منقلـبُ
فمـالُهُـمْ حُبُـسٌ[3] فـي الحـقّ مُـرْتَهَـنٌ مثـلَ الغنـائـم تُحْـوَى ثـم تُنْتَهَـبُ
ومـا علـى جـارِهـمْ ألاّ يكـونَ لـه إذا تكَنَّفَـه أبيـاتُهـم نَشَـبُ
لا يفـرَحـون إذا مـا الـدَّهْـرُ طـاوعَهـم يـومـاً بيُسْـرٍ ولا يَشْكُـون إنْ نُكِبُـوا
فـارقـتُ قـومـي فلم أعتَضْ بهم عِـوَضـاً والـدَّهـرُ يُحْـدِثُ أحـداثـاً لهـا نُـوَبُ

رواية المدائني في ذلك:

وأمّا المدائنيّ فقال: كان الوليد بن يزيد يُكرم طُرَيحاً، وكانت له منه منزلةٌ قريبةٌ ومكانة، وكان يُدْنِي مجلسه، وجعله أوّلَ داخلٍ وآخِرَ خارج، ولم يكن يَصْدُر إلاّ عن رأيه. فاستفرغ مديحَه كلَّه وعامّة شعره فيه؛ فحسده ناسٌ من أهل بيت الوليد. وقَدِم حمّاد الراوية على التَّفِئة[4] الشامَ، فشكَوْا ذلك إليه وقالوا: واللّهِ لقد ذهب طُرَيح بالأمير[5]، فما نالنا منه ليلٌ ولا نهار. فقال حمّاد: ابغُوني مَنْ يُنْشِد الأمير بيتين من شعر، فأُسقِط منزلتَه. فطلبوا إلى الخَصِيّ الذي كان يقوم على رأس الوليد، وجعلوا له عشرة آلاف درهم على أن يُنْشِدَهما الأمير في خَلْوة، فإذا سأله مِنْ قولِ مَنْ ذا؟ قال: مِن قولِ طُرَيح؛ فأجابهم الخَصِيّ إلى ذلك، وعلّموه البيتين. فلمّا كان ذاتَ يوم دخل طُرَيح على الوليد وفُتح البابُ وأُذِن للناس فجلسوا طويلاً ثم نَهضوا، وبَقِي طُرَيح مع الوليد وهو وليّ عهد؛ ثم دعا / بغدائه [٧٩/٤] فتَغدّيا جميعاً. ثم إنّ طُرَيحاً خرج وركب إلى منزله، وترك الوليدَ في مجلسه ليس معه أحدٌ، فاستلقَى على فراشه. واغتنم الخَصِيّ خَلْوتَه فاندفع يُنْشِد:

/ سيـرِي رِكـابـي إلـى مَـنْ تَسْعَـدِيـن بـه فقـد أقمـتِ بـدار الهُـونِ مـا صَلَحـا [٤/٣١٣]
سِيـرِي إلـى سَيّـدٍ سَمْـحٍ خـلائقُـه ضخـمِ الـدَّسِيعـةِ[6] قَـرْمٍ يحمِـل المِـدَحـا

فأصغى الوليدُ إلى الخصيّ بسَمْعه وأعاد الخَصِيّ غيرَ مرّة؛ ثم قال الوليد: وَيْحَك يا غلام! مِنْ قول مَنْ هذا؟ قال: من قول طُرَيح. فغضِب الوليد حتى امتلأ غيظاً؛ ثم قال: وَالَهْفَا على أمّ لم تَلِدْني! قد جعلتُه أوّل داخلٍ وآخرَ

(١) في حـ، م: «عني».
(٢) ملك الشيمة: قوامها ومعظمها.
(٣) حبس (بضمتين): محبوس.
(٤) التفئة: الحين والزمان.
(٥) كذا في د، م، ط، وهو الصواب؛ إذ كان الوليد في ذلك الوقت وليّ عهد.
(٦) الدسيعة: العطية الجزيلة، والجفنة الواسعة، والمائدة الكريمة.

خارجٍ، ثم يزعُم أنّ هشاماً يحمل المِدَحَ ولا أحمِلها! ثم قال: عليّ بالحاجب، فأتاه. فقال: لا أعلم ما أَذِنتُ لطُرَيح ولا رأيتُه على وجه الأرض؛ فإن حاوَلَك فاخْطَفْه بالسيف. فلمّا كان العَشِيُّ وصُلِّيتِ العصرُ، جاء طُرَيح للساعة التي كان يُؤْذَنُ له فيها، فدنا من الباب ليدخل. فقال له الحاجبُ: وراءَكَ! فقال: مالَكَ! هل دخل علي وليّ العهد أحدٌ بعدي؟ قال: لا! ولكن ساعةَ ولَّيتَ من عنده دعاني فأمَرني ألاّ آذَنَ لك، وإنْ حاوَلتني في ذلك خَطِفْتُك بالسيف. فقال: لك عشرةُ آلاف [درهم][1] وأْذَنْ لي في الدخول عليه. فقال له الحاجب: والله لو أعطيتَني خَراجَ العِراق ما أذِنتُ لك في ذلك، وليس لك من خير في الدخول عليه فارجِعْ. قال: وَيْحَكَ! هل تعلم مَنْ دَهَاني عنده؟ قال الحاجب: لا والله! لقد دخلتُ عليه وما عنده أحدٌ، ولكنّ الله يُحْدِث ما يشاء في اللّيل والنهار. قال: فرجع طُرَيح وأقام بباب الوليد سنةً لا يخلُص إليه ولا يقدِر على الدخول عليه. وأراد الرجوع إلى بلده وقومه فقال: والله إنّ هذا لعجزٌ بي أن أرجعَ من غير أن ألقَى وليَّ العهد فأعلَمَ مَنْ دهاني عنده. ورأى أُناساً كانوا له أعداءً قد فرِحوا بما كان من أمره، فكانوا يدخلون على الوليد / ويحدِّثونه ويصْدُرُ عن رأيهم. فلم يَزَلْ يَلْطُف بالحاجب[2] ويُمَنِّيه؛ حتّى قال له الحاجب: أمّا إذْ أطلتَ المُقامَ فإنّي أكره أن تنصرف على حالك هذه، ولكنّ الأمير إذا كان يومُ كذا وكذا دخل الحَمّامَ، ثم أمَر بسريره فأُبرِز، وليس عليه يومئذ حِجَابٌ؛ فإذا كان ذلك اليومُ أعلمتُك فتكون قد دخلتَ عليه وظفِرتَ بحاجتك وأكونُ أنا على حالِ عُذْرٍ. فلمّا كان ذلك اليومُ، دخل الحَمّام وأمَر بسريره فأُبرِز وجلَس عليه، وأَذِن للناس فدخلوا عليه، والوليدُ ينظر إلى مَنْ أقبل. وبعث الحاجبُ إلى طُرَيح، فأقبلَ وقد تَتَامَّ الناسُ. فلما نظر الوليد إليه من بعيدٍ صرَف عنه وجهَه، واستحيا أن يردَّه من بين الناس؛ فدنا فسلَّم فلم يَرُدَّ عليه السلامَ. فقال طُرَيح يستعطفه ويتضرَّع إليه:

[٤/٣١٤]

نامَ الخَلِيُّ من الهُمومِ وباتَ لي ... ليلٌ أُكابِدُه وهَمٌّ مُضْلِعُ

وسَهِرْتُ لا أسْرِي ولا في لَذّةٍ ... أرَقي وأَغْفَلَ ما لَقِيتُ الهُجَّعُ

أَبغِي وجوهَ مَخارجي من تُهمةٍ ... أَزَمَتْ عليّ وسُدَّ منها المَطْلَعُ

جَزَعاً لمَعْتَبةِ الوَليدِ ولم أكُنْ ... من قبلِ ذاك من الحوادث أَجْزَعُ

يابنَ الخلائفِ إنّ سُخْطَك لامرِىءٍ ... أمسيتَ عِصمَتَه بلاءٌ مُفْظِعُ

فَلأنْزِعَنَّ عن الذي لم تَهْوَه ... إنْ كان لي ورأيتُ ذلك مَنْزِعُ

/ فاعْطِفْ فِداكَ أبي عليّ تَوَسُّعاً ... وفضيلةً فعلى الفضيلة تتبعُ

فلقد كفاكَ وزادَ ما قد نالني ... إن كنتَ لي ببلاءِ ضُرٍّ تَقْنَعُ

سِمَةٌ لذاكَ عليّ جِسْمٌ شاحبٌ ... بادٍ تَحَسُّرُه ولونٌ أسْفَعُ[3]

/ إنْ كنتَ في ذنبٍ عتبتَ فإنّني ... عمّا كَرِهتَ لنازعٌ متصرِّعُ

[٨٠/٤] [٤/٣١٥]

---

(١) زيادة في و.

(٢) في ط، ء: «يلطف للحاجب». وفي أساس البلاغة: «وأنا ألطف بفلان إذا أريته مودّة ورفقاً في المعاملة». وفي «اللسان»: «يقال: لطف به وله بالفتح يلطف لطفاً إذا رفق به...».

(٣) أسفع: شاحب متغير من مقاساة المشاق.

ويئستُ منك فكلُّ عُسْرٍ باسطٌ — كفًّا إليَّ وكلُّ يُسْرٍ أقطعُ[١]
من بعد أخذي من حبالك بالذي — قد كنتُ أحسَبُ أنّه لا يُقْطَعُ
فاربُبْ[٢] صنيعَك بي فإنّ بأعين — للكاشحين وسَمْعِهم[٣] ما تصنَعُ
أدفعتَني حتى انقطعتُ وسُدِّدتْ — عني الوجوهُ ولم يكن لي مَدْفَعُ
ورُجيتُ واتُّقِيَتْ يداي وقيل قد — أمسى يَضُرُّ إذا أحبَّ وينفَعُ
ودخلتُ في حَرَم الذِّمام وحاطَني — خَفَرٌ أخذت به وعهدٌ مُولِعُ
أفهادِمٌ ما قد بنيتَ وخافضٌ — شرَفي وأنت لغير ذلك أوسعُ
أفلا خَشِيتَ شَمَاتَ قومٍ فتُّهم — سَبْقاً وأنفسُهم عليك تَقَطَّعُ
وفَضَلتَ في الحَسَبِ الأشَمّ عليهمُ — وصنعتَ في الأقوامِ ما لم يصنعوا[٤]
فكأنّ آنُفَهم بكلِّ صنيعةٍ — أسديتها وجميل فِعلٍ[٥] تُجدَعُ
وَدُّوا لَوَ انَّهمُ ينال أكُفَّهم — شَلَلٌ وأنكَ عن صَنيعِك تَنْزِعُ
أو تستليمُ[٦] فيجعلونك أُسْوةً — وأبى المَلامَ لك النَّدَى والمَوْضِعُ

قال: فقرّبه وأدناه، وضحك إليه، وعاد له إلى ما كان عليه.

عاتبه المنصور في شعر مدح به الوليد فأحسن الاعتذار:

أخبرني حبيب بن نَصْر المُهَلَّبيّ قال حدّثنا عبدالله بن شَبيب قال حدّثنا محمد بن عبدالله بن حمزة بن عُتْبة اللِّهبيّ عن أبيه:

أنّ طُرَيحاً دخل على أبي جعفر المنصور وهو في الشُّعراء؛ فقال له: لا حَيّاك الله ولا بيّاك! أمَا اتّقيت الله ـ ويلَك! ـ حيث تقول للوليد بن يزيد:

[٤/٣١٦]

/ لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك والـ — ـموج عليه كالهَضْبِ يَعْتَلِجُ
لساخَ وارتدّ[٧] أو لكان له — في سائر الأرض عنك مُنْعَرَجُ

فقال له طُرَيح: قد علِم الله عزّ وجلّ أنّي قلتُ ذاك ويد ممدودة إليه عزّ وجلّ، وإيّاه تبارك وتعالى عَنَيْتُ. فقال المنصور: يا ربيع، أمَا ترى هذا التخلُّص!

---

(١) أقطع: مقطوع اليد.
(٢) اربب صنيعك: زده.
(٣) كذا في م. وفي سائر النسخ: «وسمعها».
(٤) في م: «ما لا يصنع».
(٥) كذا في حـ. وفي سائر النسخ: «وجميل فعلك».
(٦) تستليم: تفعل ما تستحق عليه اللوم؛ فكأنك تطلب إلى الناس أن يلوموك.
(٧) في هامش ط كتبت هذه العبارة: «الصحيح: لارتد أوساخ أو لكان له». وهي أيضاً رواية «اللسان» (مادة ولج).

أدخل على الوليد فمدحه فطرب وأجازه:

نسخت من كتاب أحمد بن الحارث مما أجاز لي أبو أحمد الجريري[١] روايته عنه: حدّثنا المَدَائنيّ:

أنّ الوليد جلَس يوماً في مجلس له عامٍّ، ودخل إليه أهلُ بيته ومَوَاليه والشعراء وأصحابُ الحوائج فقضاها، وكان أشرفَ يومٍ رُئي له؛ فقام بعضُ الشعراء فأنشد، ثم وثب طرَيح، وهو عن يسار الوليد، وكان أهلُ بيته عن يمينه، وأخوالُه عن شِماله وهو فيهم، فأنشده:

صوت

أنت ابنُ[٢] مُسْلَنْطِحِ البِطَاحِ ولم ... تُطْرقْ[٣] عليك الحُنِيُّ والوُلُجُ

طُوبَى لفَرْعَيْكَ[٤] من هنا وهنا ... طُوبَى لأعراقك التي تَشِجُ[٥]

/ لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك والـ ... ـموجُ عليه كالهَضْبِ يعتلِجُ[٦]

لساخَ وارتدّ أو لكانَ له ... في سائر الأرض عنك مُنْعَرَجُ

فطرِب الوليد بن يزيد حتّى رُئي الارتياح فيه، وأمر له بخمسين ألف درهم، وقال: ما أرى أحداً منكم يجيئني اليوم بمثل ما قال خالي، فلا يُنْشِدْني أحدٌ بعده شيئاً؛ وأمر لسائر الشعراء بصلات وآنصرفوا، وأحتبس طُرَيحاً عنده، وأمر ابنَ عائشة فغنّى في هذا الشعر.

نسبة هذا الصوت

أنت ابنُ مُسْلَنْطِح البِطاح ولم ... تُطْرِقْ عليك الحُنِيُّ والوُلُجُ

الأبيات الأربعة. عروضه عن المُنْسَرِح. غنّاه ابن عائشة، ولحنُه رَمَلٌ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق.

طلب إليه المهدي أن يغنيه صوتاً له فغناه غيره واعتذر عنه:

/ ولاؤه، وكان مغنياً وشاعراً:

المسلنطح من البطاح: ما اتّسع واستوى سطحُه منها. وتُطْرِق عليك: تُطْبِق عليك وتغطّيك وتضيّق مكانك؛

(١) كذا في حـ، وهو الموافق لما في «الأنساب» للسمعاني (ص ١٢٩). وفي سائر الأصول: «الحريري» بالحاء المهملة.

(٢) سيشرح أبو الفرج بعد قليل هذا الشعر.

(٣) في كتاب «الشعر والشعراء» «واللسان» (مادتي ولج وسلطح): «تعطف» وقال في «اللسان» (مادة طرق): «وأطرق جناح الطائر: لبس الريش الأعلى الريش الأسفل، وأطرق عليه الليل ركب بعضه بعضاً. وقوله:

* ولم تطرق عليك الحنيّ والولج *

أي لم يوضع بعضه على بعض فتراكب». وتفسير صاحب «اللسان» هذا هو الذي يتفق مع معنى كلمات البيت. ومنه يعلم ما في تفسير أبي الفرج لهذه الكلمة من بعد.

(٤) في ء، ط: «طيباً لفرعيك... : طيباً لأعراقك».

(٥) تشج: تشتبك وتلتف.

(٦) يعتلج: يلتطم.

يقال: طرقتِ الحادثةُ بكذا وكذا إذا أتتْ بأمر ضيّق مُعْضِل. والوشيج: أصول النبت؛ يقال: أعراقك واشجةٌ في الكرم، أي نابتة فيه. قال الشاعر[١]:

وهــل يُنْبِــتُ الخَطِّــيَّ إلّا وَشيجُــه ... وتَنْبُــت إلّا فــي مَغَــارسها النَّخْــلُ[٢]

يعني أنّه كريم الأبوين من قريش وثَقيف. وقد ردّد طُرَيح هذا المعنى في الوليد، فقال في كلمة له:

واعتــامَ[٣] كَهْلُــكَ[٤] مــن ثَقيــفٍ كُفْــأَه ... فتنــازعــاكَ فــأنــت جَــوْهَــرُ جــوهــرِ

فنَمَــتْ فــروعُ القَــرْيَتَيْــن قُصَيُّهــا[٥] ... وقَسِيُّهــا بــك فــي الأشَــمّ الأكبــرِ

/ والحُنِيّ: ما انخفض من الأرض، والواحدةُ[٦] حَناً، والجمع حُنِيّ مثل عَصاً وعُصِيّ. والوُلُج: كلّ متّسع [٣١٨/٤] في الوادي، الواحدةُ وَلَجةٌ[٧]. ويقال: الوَلَجات بين الجبال مثل الرِّحاب. أي لم تكن بين الحُنِيّ ولا الوُلُج فيخفَى مكانُك، أي لستَ في موضع خفيٍّ من الحسب. وقال أبو عُبيدة: سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول لآخر يفخر عليه: أنا ابن مُسْلَنْطِح البِطَاح، وابن كذا وكذا؛ فقال له عمر: إنْ كان لك عقلٌ فلك أصلٌ، وإن كان لك خُلُقٌ فلك شرَفٌ، وإن كان لك تقوى فلك كَرَمٌ، وإلّا فذاك الحِمار خيرٌ منك. أحَبُّكم إلينا قبل أن نراكم أحْسَنُكم سَمْتاً، فإذا تكلّمتم فأبيَنُكم مَنْطِقاً، فإذا اختبرناكم فأحسنُكم فعلاً.

قوله: «لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك»، يقول: أنت ملكُ هذا الأبْطَح والمُطاع فيه، فكلُّ مَنْ تأمرُه يُطيعك فيه، حتى لو أمرتَ السَّيْلَ بالانصراف عنه لفعل لنفوذ أمرك. وإنما ضَرب هذا مثلاً وجعله مبالغةً؛ لأنّه لا شيءَ أشدّ تعذُّراً من هذا وشبهه، فإذا صَرفه كان على كل شيء سواه أقدر. وقوله: «الساخ» أي لغاض في الأرض. «وارتد» أي عدل عن طريقه، وإن لم يجدْ إلى ذلك سبيلاً كان له منعرجٌ عنك إلى سائر الأرض.

غضب الوليد على ابن عائشة فلما غناه في شعره طرب ورضي عنه:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّادٍ عن أبيه[٨] قال إسحاق وحدّثني به الوَاقِديّ عن أبي الزِّناد عن إبراهيم بن عطيّة:

/ أنّ الوليد بن يزيد لمّا وَلِي الخلافةَ بعث إلى المغنِّين بالمدينة ومكة فأشخصهم إليه، وأمَرهم أن يتفرّقوا ولا [٣١٩/٤]

(١) هو زهير بن أبي سلمى.

(٢) في ء، ط، م:

* وتغرس إلا في منابتها النخل *

(٣) اعتام: اختار.

(٤) كذا في ء، ط، م. وفي سائر النسخ: «أهلك» تحريف.

(٥) قصيّ: أبو عدّة بطون من قريش. وقسيّ (بفتح فكسر وتشديد آخره): هو ثقيف، وقد تقدّم في أوّل ترجمة طريح.

(٦) لم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا («كاللسان» «والقاموس وشرحه» «والصحاح») ما يؤيد التفسير الذي ذكره أبو الفرج لمعنى هذه الكلمة ولا لمفردها. وعبارة «اللسان» (في مادة حنا): «... والحنو: كل شيء فيه اعوجاج أو شبه الاعوجاج كعظم الحجاج والحي والضلع والقفّ والحقف ومنعرج الوادي، والجمع أحناء وحنيّ وحنيّ...».

(٧) في «اللسان» (مادة ولج): «... ابن الأعرابي: وِلاج الوادي: معاطفه، واحدتها ولَجة، والجمع الوُلُج». ومنه يعلم أن الوُلُج جمع الجمع لولجة.

(٨) كذا في ء، ط، م. وفي سائر النسخ: «عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال إسحاق إلخ». ولم نثبت هذه الزيادة لأننا لم نجد في كتب التراجم أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي روى عن محمد بن السائب الكلبيّ.

٨٢/٤ يدخلوا نهاراً لئلا يُعْرَفُوا، وكان إذ ذاك / يتستَّر في أمره ولا يُظهره. فسبقهم ابنُ عائشة فدخل نهاراً وشُهِر أَمْرُه، فحبسه الوليد وأمَر به فقيِّد، وأَذِن للمغنِّين وفيهم مَعْبَدٌ، فدخلوا عليه دَخَلات. ثم إنّه جمعهم ليلةً فغنَّوا له حتى طَرِب وطابت نفسه. فلمّا رأى ذلك منه مَعْبَدٌ قال لهم: أخوكم ابن عائشة فيما قد علِمتم، فاطلُبوا فيه. ثم قال: يا أمير المؤمنين، كيف ترى مَجْلِسَنا هذا؟ قال: حَسَناً لذيذاً. قال: فكيف لو رأيتَ ابنَ عائشة وسَمِعتَ ما عنده! قال: فعليَّ به. فطلع ابنُ عائشة يرسُف في قَيْده. فلمّا نظر إليه الوليد، اندفع ابن عائشة فغنّاه في شعر طُرَيح، والصنعةُ فيه له:

أنتَ ابنُ مُسْلَنْطِح البِطَاح ولم ... تُطْرِقْ عليك الحُنِيُّ والوُلُجُ

فصاح الوليد[1]: اكسِرُوا قَيْدَه وفُكُّوا عنه؛ فلم يَزَلْ عنده أثيراً مكرماً.

غنى مسلمة بن محمد بن هشام من شعره فتذكر قومه:

أخبرني الحسن بن عليّ[2] قال حدّثنا ابن أبي سَعْد عن الحِزَاميّ عن عثمان بن حَفْص عن إبراهيم بن عبد السّلام بن أبي الحارث الذي يقول له عُمَر بن أبي ربيعة:

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ ... فأْتَمِرْ[3] أمرَ رَشيدٍ مُؤْتَمَنْ

قال: واللّهِ إنّي لقاعدٌ مع مَسْلَمَةَ بن محمد بن هشام إذ مرّ به ابن جُوَان بن عُمَر بن أبي ربيعة، وكان يغنّي؛ فقال له: اجْلِسْ يابْنَ أخي غَنِّنا. فجلس فغنّى:

أنتَ ابنُ مُسْلَنْطِح البِطَاح ولم ... تُطْرِقْ عليك الحُنِيُّ والوُلُجُ

[٣٢٠/٤] / فقال له: يابْنَ أخي، ما أنت وهذا حين تغنّاه، ولا حَظَّ لك فيه! هذا قاله طُرَيح فينا:

* إذِ النَّاسُ ناسٌ والزَّمانُ زمانُ *

ومما في المائة الصوت المختارة من الأغاني من أشعار طُرَيح بن إسماعيل التي مدح بها الوليد بن يزيد:

صوت

من المائة المختارة

وَيْحي غداً إنْ غَدَا عليَّ بما ... أحْذَرُ من لَوْعةِ الفِراقِ غَدُ

وكيف صَبْري وقد تجاوبَ بالـ ... ـفُرْقَةِ منها الغُرابُ والصُّرَدُ[4]

الشعر لطُرَيح بن إسماعيل. والغناء لابن مِشْعَب الطائفيّ، ولحنُه المختار من الرَّمَل بالوسطى.

---

(١) كذا في ء، م، ط. وفي سائر النسخ: «فصاح به الوليد».

(٢) كذا في ط، م،ء. وفي سائر النسخ: «الحسين بن يحيى». والمعروف أن الحسن بن عليّ يروي عن عبدالله بن أبي سعد (انظر ص ٦٨ ج ٢ من هذا الكتاب).

(٣) كذا في ط، م،ء وفيما تقدم في الجزء الأوّل (ص ١١٤ من هذه الطبعة). وفي سائر الأصول هنا: «فاستمع».

(٤) الصرد (بضم ففتح): طائر أبقع أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار له مخلب يصطاد العصافير وصغار الطير، جمعه صِردان، ويكنى بأبي كثير، ويسمى الأخطب لخضرة ظهره، والأخيل لاختلاف لونه. وهو مما يتشاءم به من الطير؛ قال الشاعر:

* فما طائري يوماً عليك بأخيلا *

/ ذكر ابن مشعب[1] وأخباره [٤/٣٢١]

ابن مشعب وأصله:

هو رجلٌ من أهل الطائف مولًى لثَقِيف، وقيل: إنّه من أنفُسهم، وانتقل إلى مكة فكان بها. وإيّاه يعني العَرْجي بقوله:

بِفِنَـاءِ بيتِـك وابـنُ مِشْعَـبَ حـاضـرٌ ... فـي سَـامـرٍ عَطِـرٍ وليـلٍ مُقْمِـرِ

فتَـلاَزَمَـا عنـد الفِـراق صبـابـةً ... أخْـذَ الغَـريـمِ بفضـل ثـوب المُعْسِـرِ

كان عامة الغناء الذي ينسب إلى أهل مكة له:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال:

ابن مِشْعَب مُغَنٍّ من أهل الطائف، وكان من أحسن الناس غِناءً، وكان في زمن ابن سُرَيج والأعْرَج؛ وعامّةُ الغِناء الذي يُنْسَب إلى أهل مكة له، وقد تفرّق غِناؤه، فنُسب بعضه إلى ابن سُرَيج، وبعضُه إلى الهُذَليّين، / وبعضه ٨٣/٤ إلى ابن مُحْرِز. قال: ومِنْ غنائه الذي يُنْسَب إلى ابن مُحْرِز:

* يـا دارَ عـاتِـكـةَ الّتـي بـالأزْهَـرِ *

ومنه أيضاً:

أقفــرَ ممــن يَحُلُّــه السَّنَــدُ[2] ... فـالمُنْحَنَـى[3] فـالعَقِيـقُ فـالجُمُـدُ[4]

انتهى مريض أن يغني في شعر العرجي الذي ورد فيه اسمه:

أخبرني الحسين قال قال حمّاد وحدّثني أبي قال:

مَرض رجلٌ من أهل المدينة بالشأم، فعاده جِيرانُه وقالوا له: ما تشتهي؟ قال: أشتهي إنساناً يَضع فمه على أُذني ويُغَنِّيني في بَيْتَي العَرْجيّ:

/ بِفِنَـاءِ بَيْتِـك وابـنُ مِشْعَـبَ حـاضـرٌ ... فـي سـامـرٍ عَطِـرٍ وليـلٍ مُقْمِـرِ [٤/٣٢٢]

---

(١) نلاحظ أن صاحب «الأغاني» أقحم ترجمة ابن مشعب هذا في وسط ترجمة طريح. ولما يتحدث عنه إلا قليلاً، ثم عاد إلى حديثه عن طريح.

(٢) في «معجم ما استعجم» للبكري: سند: ماء تهامة معروف. وقال أبو بكر: سند (بفتحتين): ماء معروف لبني سعد.

(٣) المنحنى: موضع قرب مكة، كما في شرح «القاموس».

(٤) الجمد (بضمتين): جبل لبني نصر بنجد، كما في «معجم ياقوت».

فتَلازَمَا عند الفِراقِ صبابةً أخْذَ الغريمِ بفضلِ ثوبِ المُعْسِرِ

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

يا دارَ عاتِكةَ الّتي بالأزْهَرِ أو فوقَه بقَفَا الكَثِيبِ الأحمرِ

بفِناء بيتِك وابنُ مِشْعَبَ حاضرٌ في سامرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ

فتلازمَا عند الفراق صبابةً أخْذَ الغريمِ بفضلِ ثوب المُعْسِرِ

الشعر للعرجيّ. والغناء لابن مُحْرِزٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر، وذكر إسحاق أنّه لابن مِشْعَب. وذكر حَبَشٌ أنّ فيه لابن المكيّ هَزَجاً خفيفاً بالبنصر.

وأمّا الصوت الآخَر الذي أوّلُه:

* أقفرَ ممن يَحُلُّه السَّنَدُ *

فإنّه الصوت الذي ذكرناه الذي فيه اللحن المختار، وهو أوّلُ قصيدة طُرَيح التي منها:

وَيْحِي غداً إنْ غَدَا عليّ بما أكره من لَوْعةِ الفِراقِ غدُ

وليس يُغَنَّى فيه في زماننا هذا. وهذه القصيدة طويلة يمدح فيها طُرَيح الوليد بن يزيد، يقول فيها:

لم يَبْقَ فيها من المَعارِفِ بعـ ـدَ الحَيّ إلاّ الرَّمَادُ والوَتِدُ

وعَرْصةٌ نَكَّرتْ مَعَالِمَها الرِّيـ ـحُ بها مَسْجِدٌ ومُنْتَضَدُ[1]

أنشد المنصور قصيدة طريح الدالية فمدحها:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني محمد بن خَلَفٍ القارىء قال أخبرنا هارون بن محمد، وأخبرنا به وكيع ـ وأظنه هو الذي كَنَى عنه يحيى بن عليّ، فقال: / محمد بن خَلَفٍ القارىء ـ [قال][2] حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني عليّ بن عبدالله اللِّهبيّ قال حدّثنا أبي عن أبيه قال: [٤/٣٢٣]

أُنْشِدَ المنصورُ هذه القصيدةَ، فقال للربيع: أسمعت أحداً من الشعراء ذكر في باقي مَعالم الحَيّ المسجدَ غيرَ طُرَيح!. وهذه القصيدة من جيّد قصائد طُرَيح، يقول فيها:

لم أَنْسَ سلمى ولا لَيَالِيَنَا بالحَزْنِ إذْ عيشُنا بها رَغَدُ[3]

إذْ نحن في مَيْعةِ الشَّبابِ وإذْ أيّامُنا تلك غَضّةٌ جُدُدُ

في عِيشةٍ كالفِرِنْدِ عازِبةِ[4] الشِّقْوةِ خَضْراءَ غُصْنُها خَضَدُ[5]

(١) منتضد: مجتمع ومقام؛ يقال: انتضد القوم بمكان كذا إذا أقاموا به.

(٢) زيادة عن حـ، م.

(٣) عيش رغد (بفتح الغين وكسرها): مخصب رفيه غزير، ومثلهما رغد (بسكون الغين) ورغيد وراغد وأرغد.

(٤) عازبة الشقوة: بعيدتها.

(٥) خضد (بالتحريك): رطب.

نُحْسَــدُ فيهــا علــى النَّعيــم ومــا يُــولَــعُ إلاّ بــالنِّعْمــةِ الحَسَــدُ
أيّــامَ سَلْمَــى غَــرِيــرةٌ[١] أُنُــفٌ كــأنَّهــا خُــوطُ بــانــةٍ رُؤُدُ[٢]
وَيْحِــي غَــداً إنْ غَــدَا علــيّ بمــا أكــره مــن لَــوْعــةِ الفِــراق غَــدُ
قــد كنــتُ أبكــي مــن الفــراق وحَيَّــانــا جميــعٌ ودارُنــا صَــدَدُ[٣]
فكيــف صَبْــرِي وقــد تَجــاوَبَ بــالــفُــرقــةِ منهــا الغُــرابُ والصُّــرَدُ
/ دَعْ عنــك سَلْمَــى لغيــر مَقْلِيَــةٍ وعُــدْ مَــدْحــاً بُيُــوتُــه شُــرُدُ
لــلأفضــل الأفضَــل الخليفــةِ عبــدِالله مــن دون شَــأْوِه صُعُــدُ
فــي وجهــه النُّــورُ يُسْتبــانُ كمــا لاح سِــراجُ النَّهــار إذ يَقِــدُ
/ يمضــي علــى خيــر مــا يقــول ولا يُخلــف ميعــادَه إذا يَعِــدُ
مــن مَعْشَــرٍ لا يَشَــمُّ مَــنْ خَــذَلُــوا عِــزًّا ولا يُسْتَــذَلُّ مَــنْ رَفَــدُوا
بِيــضٌ عظــامُ الحلــومِ حَــدُّهُــمُ مــاضٍ حُسَــامٌ وخيــرُهــم عَتَــدُ[٤]
أنــت إمــامُ الهــدى الــذي أصلَــح الــلَّــه بــه النــاسَ بعــد مــا فَسَــدُوا
لمّــا أتــى النــاسَ أنّ مُلْكَهُــمُ إليــكَ قــد صــار أمــره سجَــدوا
واستبشــروا بــالــرضــا تَبَــاشُــرَهــم بــالخُلْــدِ لــو قيــل إنكــم خُلُــدُ
وعَــجَّ بــالحمــد أهــلُ أرضِــك حتّــى كــاد يَهْتَــزّ فــرحــةً أُحُــدُ
واستقبــل النــاسُ عِيشــةً أُنُفــاً إنْ تبــقَ فيهــا لهــم فقــد سَعِــدوا
رُزِقْــتَ مــن وُدّهــم وطــاعتهــم مــا لــم يَجِــدْه لِــوالــدٍ وَلَــدُ
أثْلَجهــمْ منــك أنّهــم عَلِمــوا أنّــك فيمــا وَلِيــتَ مُجتهِــدُ
وأنّ مــا قــد صنعــتَ مــن حَسَــنٍ مِصْــداقُ مــا كنــتَ مَــرّةً تَعِــدُ
أَلَّفْــتَ أهــواءَهــمْ فــأصبحــتِ الأضــغــانُ سِلْمــاً ومــاتــتِ الحِقَــدُ
كنــتُ أرى أنّ مــا وجــدتُ مــن الــفَــرْحــةِ لــم يلــقَ مثلَــه أحَــدُ
حتّــى رأيــت العبــادَ كلَّهــمُ قــد وجــدوا مــن هــواك مــا أجِــدُ

٨٤/٤ [٤/٣٢٤]

---

(١) غريرة: بلهاء لصغر سنها وقلة تجاربها. وأنف: عذراء.

(٢) الخوط: الغصن. والرُّؤد: الغصن أرطب ما يكون وأرخصه؛ وذلك حين يكون في السنة التي نبت فيها. تشبه به الجارية الحسنة الشباب من النعمة.

(٣) يقال: دار فلان صدد دار فلان وبصددها أي قبالتها.

(٤) عتد: حاضر معدّ.

صوت

قد طلب الناسُ ما بلغتَ فما نالوا ولا قاربوا وقد جَهَدوا
يرفَعُك اللّهُ بالتَّكرُّمِ والتقوى فتعلو وأنت مُقْتَصِدُ
حَسْبُ امرىءٍ من غِنًى تَقَرُّبُهُ منك وإن لم يكن له سَبَدُ[1]
فأنت أمْنٌ لمن يَخاف وللمَخْذولِ أودى نصيرهُ عَضُدُ

[٤/٣٢٥] / ـ غنّى في هذه الأبيات الأربعة إبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر ـ.

كلُّ امرىءٍ ذي[2] يدٍ تُعَدّ عليه منك معلومة يَدٌ ويدُ
فهم ملوكٌ ما لم يَزُرْكَ فإنْ دَاناهُمُ منكَ منزلٌ خَمَدوا
تعروهم رِعْدةٌ لديكَ كما قَفْقَفَ[3] تحت الدُّجُنَّةِ الصَّرِدُ
لا خوفَ ظُلْمٍ ولا قِلَى خُلُقٍ إلاّ جَلالاً كَساكَهُ الصَّمَدُ
وأنت غَمْرُ النَّدى إذا هَبَط الزُّوّارُ أرضاً تَحُلُّها حَمِدُوا
فهم رِفاقٌ فرُفْقةٌ صَدَرتْ عنكَ بغُنْمٍ ورُفْقةٌ تَرِدُ
إنْ حالَ دهرٌ بهم[4] فإنّك لا تَنْفَكُّ عن حالِك الّتي عَهِدوا
قد صدّق اللّهُ مادِحيك فما في قولهم فِرْيةٌ ولا فَنَدُ

ذكاء جعفر بن يحيى وعلمه بالأشعار والألحان:

$\frac{85}{4}$ / أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال:

سمعتُ إسحاق بن إبراهيم الموصليّ يحلف بالله الذي لا إلَهَ إلاّ هو إنه ما رأى أذكى من جعفر بن يحيى قطُّ، ولا أفطنَ، ولا أعلمَ بكلِّ شيء، ولا أفصحَ لساناً، ولا أبلغَ في مكاتبةٍ. قال: ولقد كنّا يوماً عند الرشيد، فغنّى أبي لحناً في شعر طُرَيح بن إسماعيل، وهو:

قد طلب الناسُ ما بلغتَ فما نالوا ولا قاربوا وقد جَهَدُوا

فاستحسن الرشيدُ اللحنَ والشعرَ واستعاده ووصَل أبي عليه. وكان اللحن[5] في طريقة خَفيفِ الثقيلِ الأوّل. فقال جعفر بن يحيى: قد واللّهِ يا سيّدي أحسنَ، ولكنّ اللحنَ مأخوذٌ من لحن الدّلاَل الذي غنّاه في شعر أبي زُبَيد:

(١) كذا في حـ، م. والسبد: الشَّعر، ويكنى به عن المال. ويقال: ماله سبد ولا لبد أي ماله شيء. وفي سائر الأصول: «سند».
(٢) في حـ: «ذي ندى».
(٣) قفقف: ارتعد من البرد. والصرد: المقرور.
(٤) في حـ: «الهم».
(٥) كذا في ء، ط، م. وفي سائر النسخ: «وكان اللحن الذي في طريقة خفيف الثقيل إلخ».

/ مَنْ يَرَ العِيرَ لابن أَرْوى على ظَهـ ـرِ المَرْوَرِي[1] حُدَاتُهُنَّ عِجَالُ [٣٢٦/٤]

وأمّا الشعر فنقله طُرَيح من قول زُهَير:

سعَى بعدَهم قومٌ لكي يُدركوهُمُ فلم يَبْلُغُوا[2] ولم يُلاَمُوا[2] ولم يألُوا

قال إسحاق: فعجبتُ والله من عِلْمه بالألحان والأشعار، وإذا اللحن يُشْبِه لحنَ الدَّلاَل، قال: وكذلك الشعر؛ فاغتممت أنّي لم أكن فَهِمتُ اللحن، وكان ذلك أشدّ عليّ من ذَهاب أمر الشعر عليّ، وأنا واللّهِ مع ذلك أُغَنّي الصوتين وأحفَظ الشعرين. قال الحسين: ولحنُ الدَّلاَل في شعر أبي زُبَيْد هذا من خَفيف الثقيل أيضاً.

صادف طريح أبا ورقاء في سفر فأنس به وذكر له قصته مع أعرابي عاشق:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال حدّثني أبو الحسن البَلاَذُرِيّ أحمد بن يحيى وأبو أَيُّوب المَدِينيّ، قال البَلاَذُرِيّ وحدّثني الحِرْمازِيّ، وقال أبو أيّوب[3] وحدّثونا عن الحِرْمازِيّ قال حدّثني أبو القَعقاع سَهْل[4] بن عبد الحميد عن أبي وَرْقاء الحَنَفيّ قال:

/ خرجتُ من الكوفة أُريد بغداد، فلمّا صِرْتُ إلى أوّل خانٍ نزلتُه، بَسط غِلماننا وهيّئوا غَداءهم، ولم يجئ أحدٌ بعدُ، إذ رمانا البابُ برجلٍ فارِهِ البِرْذَوْنَ[5] حَسَنِ الهيئة، فصِحْتُ بالغلمان، فأخذوا دابته فدفَعها إليهم، ودعوتُ بالغَداء، فبسط يدَه غير محتشم، وجعلتُ لا أُكرمه بشيء إلا قَبِلَه. ثم جاء غلمانُه بعد ساعة في ثَقَلٍ[6] سَرِيّ وهيئة حسنة. فتناسَبْنا[7] فإذا الرجلُ طُرَيْح بن إسماعيل الثَّقَفِيّ. فلمّا ارتحلنا ارتحلنا في قافلة غَنّاء لا يُدْرَكُ طَرَفاها. قال: فقال لي: ما حاجتُنا إلى زِحَام الناس وليستْ بنا إليهم وَحْشَةٌ ولا علينا خوف! نتقدّمهم بيوم فيخلو لنا الطريق ونُصادف الخاناتِ فارغةً ونُودِعُ أنفسَنا إلى أن يُوَافُوا. قلتُ: ذلك إليك. قال: فأصبحنا الغَدَ فنزلنا الخانَ فتغدّينا وإلى جانبنا نهرٌ ظَليل؛ فقال: هلْ لك أن نستنقع[8] فيه؟ فقلتُ له: شأنَك. فلمّا سَرَا[9] ثيابَه إذا [ما] بين عُصْعُصِه إلى[10] عُنُقه ذاهبٌ، وفي جنبيه أمثالُ الجِرْذَان، فوقَع في نفسي منه شيء[11]. فنظر إليّ فَفَطِنَ وتبسّم، ثم قال: قد

---

(١) كذا في أكثر الأصول. والمروري على وزن فعلعل: جمع مروراة وهي الفلاة البعيدة المستوية. («معجم ما استعجم» ص ٥٢٠). وفي حـ «والشعر والشعراء» (ص ١٦٧): «المروي». والمروّي (بضم أوّله وفتح ثانيه بعده واو مشدّدة مفتوحة): موضع. («معجم ما استعجم» ص ٥٢٦).

(٢) في «ديوان زهير» (طبعة دار الكتب ص ١١٤): «فلم يفعلوا». وفي س: «فلم يفعلوا ولم يليموا». أي لم يأتوا ما يلامون عليه، أو لم يلاموا، حين لم يبلغوا منزلة هؤلاء القوم لأنها أعلى من أن تبلغ؛ فهم معذورون في التقصير عنها والتوقف دونها، وهم مع ذلك لم يألوا أي لم يقصروا في السعي بجميل الفعل.

(٣) كذا في ء، ط، م. وفي سائر الأصول: «وقال أبو أيوب وحدثني الحرمازي... إلخ».

(٤) في ء، ط: «سهيل بن عبد الحميد».

(٥) البرذون الفاره: النشيط السريع السير.

(٦) الثقل: متاع المسافر وحشمه.

(٧) تناسبنا: ذكر كل منا نسبه.

(٨) كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «تستنقع» بالتاء في أوّله.

(٩) سرا ثيابه سرواً: ألقاها عنه مثل سرى سرياً وأسرى، والواو أغلى. (انظر «اللسان» مادة سرا).

(١٠) في ء، ط، م: «كرده». والكرد (بالفتح). العنق، وقيل أصله.

(١١) في ء: ط، م: «شر».

رأيتُ ذُعْرَك مما رأيتَ؛ وحديثُ هذا إذا سِرْنا العَشِيّةَ إن شاء الله تعالى أُحدّثك به. قال: فلمّا ركبنا قلت: الحديثَ! قال: نعم! قَدِمتُ من عند الوليد بن يزيد بالدُّنيا، وكتب إلى يوسف بن عُمر مع فَرّاش فملأ يدَيْ أصحابي[١]، فخرجتُ أُبادر الطائف. فلمّا امتدّ لي الطريقُ وليس يصحَبني فيه خَلْقٌ، عَنّ لي[٢] أعرابيٌّ على بعير له، فحدّثني، فإذا هو حسنُ الحديث، وروَى لي الشِّعْرَ فإذا هو / راوية، وأنشدني لنفسه فإذا هو / شاعر. فقلت له: من أين أقبلتَ؟ قال: لا أدري. قلت: فأين تُريدُ؟ فذكر قِصّةً يُخْبِر فيها أنّه عاشق لمُرَيّةَ قد أفسدتْ عليه عقلَه، وستَرها عنه[٣] أهلُها وجفاه[٤] أهلُه، فإنّما يستريح إلى الطريق ينحدر مع مُنْحَدِريه ويُصْعِد مع مُصْعِديه. قلت: فأين هي؟ قال: غداً ننزل بإزائها. فلمّا نزلنا أراني ظَرِباً[٥] على يسار الطريق، فقال لي: أترى ذلك الظَّرِبَ؟ قلت: أراه. قال: فإنّها في مَسْقطه. قال: فأدركتني أريحيّةُ الشباب، فقلتُ: أنا والله آتيها برسالتك. قال: فخرجت وأتيت الظَّرِبَ، وإذا بيتٌ حَرِيدٌ[٦]، وإذا فيه امرأةٌ جميلةٌ ظريفةٌ، فذكرتُه لها، فزَفَرتْ زفرةً كادت أضلاعُها تَسَّاقَطُ. ثم قالت: أَوَحَيٌّ هو؟ قلت: نعم، تركتُه في رَحْلِي وراء هذا الظَّرِب، ونحن بائتون ومُصْبِحون. فقالت: يا أَبِي أرَى لك وجهاً يدلُّ على خير، فهل لك في الأجر؟ فقلت: فقيرٌ والله إليه. قالت: فالبَسْ ثيابي وكُنْ مكاني ودَعْني حتّى آتيَه، وذلك مُغَيْرِبانَ الشمس. قلت: أفعلُ[٧]. قالت: إنّك إذا أظلمتَ أتاك زوجي في هَجْمةٍ[٨] من إبله، فإذا بركتْ أتاك وقال: يا فاجرة يا هَنْتَاه[٩]، فيُوسِعُكَ شتماً فأَوْسِعْه صمتاً، ثم يقول: اقْمَعِي[١٠] سِقاءَك، فضَعِ القِمَعَ في هذا السِّقاء حتى يُحْقَنَ[١١] فيه، وإيّاكَ / وهذا الآخَرَ فإنّه واهي الأسفل. قال: فجاء ففعلتُ ما أمرتْني به، ثم قال: اقْمَعي سِقاءَك، فحيَّنني[١٢] اللّهُ، فتركتُ الصحيحَ وقَمَعتُ الواهيَ، فما شعرَ إلّا باللبن بين رجليه، فعَمَد إلى رِشَاءٍ[١٣] من قِدٍّ مَرْبوع، فثناه باثنين فصار على ثَمانِ قُوًى، ثم جعَل لا يتَّقِي منّي رأساً ولا رِجْلاً ولا جَنْباً، فخَشِيتُ أنْ يبدوَ له وجهي، فتكون الأُخْرَى، فألزمتُ وجهي الأرض، فعمِل بظَهْري ما ترى.

[٤/٣٢٨]
٨٦/٤
[٤/٣٢٩]

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر النسخ: «أصحابه».
(٢) عنّ لي: عرض لي.
(٣) في حـ: «وحدّ عليها أهلها». وحدّ عليه: غضب عليه.
(٤) في ء، ط: «وخلعه»؛ يقال: خلع فلان ابنه إذا تبرأ منه. وكان في الجاهلية إذا قال قائل: هذا ابني قد خلعته، لا يؤخذ بعد بجريرته.
(٥) كذا في ب، س. والظرب: الرابية الصغيرة. وفي سائر الأصول: «ظريباً» بالتصغير.
(٦) كذا في ء، ط. والحريد: المعتزل المتنحى. وفي حديث صعصعة «فرفع لي بيت حريد» أي منتبذ متنح عن الناس. وفي م: «بيت جريد» بالجيم المعجمة. وفي سائر النسخ: «جديد» وكلاهما تحريف.
(٧) كذا في ء، ط. وفي سائر الأصول: «فقلت افعلي».
(٨) الهجمة من الإبل: أوّلها أربعون إلى ما زادت، أو ما بين السبعين إلى المائة، فإذا بلغت المائة فهي هنيدة.
(٩) يا هنتاه: أي يا هذه، وقيل: يا بلهاء. وتفتح النون وتسكن، وتضم الهاء الأخيرة وتسكن. (انظر «اللسان» مادة هنو).
(١٠) قمع الإناء: وضع القمع في فمه ليصب فيه الدهن وغيره.
(١١) حقن اللبن (من باب نصر): جمعه.
(١٢) حينه الله: لم يوفقه للرشاد.
(١٣) الرشاء: الحبل. والقدّ: السير المقدود من الجلد. ومربوع: ذو أربع قوى.

[٤/٣٣٠]

/ ذكر أخبار أبي سعيد مولى فائد ونسبه

ولاؤه، وكان مغنياً وشاعراً:

أبو سَعيد مولى فائد. وفائدٌ مولَى عَمْرو بن عثمان بن عَفّان رضي الله تعالى عنه. وذكر ابن خُرْدَاذْبَه أنّ اسم أبي سعيد إبراهيم. وهو يُعْرَف في الشعراء بابن أبي سِنّة[1] مولَى بني أُمَيّة، وفي المغنِّين بأبي سعيد مولى فائد. وكان شاعراً مُجيداً ومُغَنِّياً، وناسكاً بعد ذلك، فاضلاً مقبولَ الشهادة بالمدينة مُعَدَّلاً. وعُمِّر إلى خلافة الرشيد، ولقِيه إبراهيم بن المَهْديّ وإسحاقُ الموصليّ وذووهما. وله قصائدُ جِيّاد في مَرَاثِي بني أُميّة الذين قتلهم عبدُالله وداودُ ابنا عليّ بن عبدالله بن العبّاس، يُذْكَر هاهنا في موضعه منها ما تسوق[2] الأحاديثُ ذِكْرَه.

طلب إليه المهدي أن يغنيه صوتاً له فغناه غيره واعتذر عنه:

أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن عُبيد الله[3] بن عبدالله عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن ابن أبي الأزهَر عن حَمّاد عن أبيه، وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أخيه أحمد بن عليّ عن عافيةَ بن شَبيب عن أبي جعفر الأَسَدِيّ عن إسحاق، قال يحيى خاصّةً في خبره:

قال إسحاق: حَجَجْتُ مع الرشيد، فلمّا قَرُبْتُ من مكة استأذنتُه في التقدُّم فأذنَ لي، فدخلتُ مكة، فسألتُ عن أبي سعيد مولى فائد، فقيل لي: هو في المسجد الحَرَام. فأتيتُ المسجد فسألتُ عنه، فدُلِلْتُ عليه، فإذا هو قائمٌ يصلّي، فجئتُ فجلستُ قريباً منه. فلمّا فَرَغ قال لي: يا فَتى، ألَكَ حاجةٌ؟ قلتُ: نعم، تُغَنِّيني: «لقد طفتُ سبعاً». هذه رواية يحيى بن عليّ. وأمّا الباقون فإنّهم ذكروا عن إسحاق أنّ المَهْديّ قال [هذا][4] لأبي سعيد وأمَرَه أن يُغَنِّيَ له:

/ لقد طُفْتُ سبعاً قلتُ لمّا قَضَيْتُها ... ألاَ ليتَ هذا لا عَلَيَّ ولا لِيَا

٨٧/٤

[٤/٣٣١]

/ ورفَق به وأدنى مجلسَه، وقد كان نَسَك؛ فقال: أوَ أُغَنِّيك يا أمير المؤمنين أحسنَ منه؟ قال: أنتَ وذاك. فغنّى[5]:

إنّ هذا الطويلَ من آلِ حَفْصٍ ... نَشَرَ المَجْدَ بعد ما كان ماتَا

وبَنَاهُ على أَسَاسٍ وَثِيقٍ ... وعِمَادٍ قد أُثْبِتَتْ إثباتَا

(١) في م: «بابن أبي شبة».

(٢) كذا في حـ، م. وفي سائر الأصول: «يسوق» بالياء المثناة من تحت.

(٣) في م: «عُبيد الله بن عباس».

(٤) التكملة عن ء، ط.

(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فقال».

مثلَ ما قد بنى له أوّلوه ... وكذا يُشْبِهُ البُناةُ[1] البُنانا

ـ الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد ـ فأحسن. فقال له المهديّ: أحسنتَ يا أبا سعيد! فغَنِّني «لقد طفتُ سبعاً». قال: أوَ أغنّيك أحسنَ منه؟ قال: أنت وذاك. فغنّاه:

قَدِم الطويلُ فأشرقتْ واستبشرتْ ... أرضُ الحجازِ وبانَ في الأشجارِ

إنّ الطويلَ مِنَ آل حَفْصٍ فاعلموا ... سادَ الحضورَ وساد في الأسفارِ

فأحسنَ فيه. فقال: غَنِّني «لقد طفتُ سبعاً». قال: أوَ أغنّيك أحسنَ منه؟ قال: فغنِّني. فغنّاه:

أيُّها السائلُ الذي يَخْبِطُ الأر ... ض دعِ الناسَ أجمعين وراكا

وأتِ هذا الطويلَ مِنْ آل حَفْصٍ ... إنْ تخوّفتَ عَيْلةً[2] أو هلاكا

فأحسن فيه. فقال له: غَنِّني «لقد طفت سبعاً»، فقد أحسنت فيما غَنَّيت، ولكنا نُحِبّ أن تُغَنِّيَ ما دعوناك إليه. فقال: لا سبيلَ إلى ذلك يا أمير المؤمنين؛ لأنّي رأيت رسولَ الله ﷺ في مَنامي وفي يده شيءٌ لا أدري ما هو، / وقد رفعه ليضربَني به وهو يقول: يا أبا سعيد، لقد طفتُ سبعاً، لقد طفتُ سبعاً سبعاً طُفْتُ! ما صنعت بأُمّتي في هذا الصوت! فقلت له: بأبي أنت وأمي اغفِرْ لي، فوالّذي بَعَثك بالحقّ واصطفاك بالنبوّة لا غَنَّيتُ هذا الصوت أبداً؛ فردّ يدَه ثم قال: عفا الله عنك إذاً! ثم انتبهتُ. وما كنتُ لأُعْطِيَ رسولَ الله ﷺ شيئاً في منامي فأرجعَ عنه في يَقَظَتي. فبكى المهديّ وقال: أحسنتَ يا أبا سعيدٍ أحسن الله إليك! لا تَعُدْ في غنائه، وحَباه وكساه وأمَر بردّه إلى الحجاز. فقال له أبو سعيد: ولكن اسمَعْه يا أمير المؤمنين من مَنَّةَ جاريةِ البرامكة. وأظُنّ حكاية مَنْ حكى ذلك عن المهديّ غلطاً؛ لأن مَنَّةَ جاريةَ البرامكة لم تكن في أيّام المهديّ، وإنما نشأتْ وعُرِفتْ في أيّام الرشيد. [٤/٢٣٢]

وقد حدّثني أحمد بن جعفر جَحْظةُ قال حدّثني هِبَةُ الله بن إبراهيم بنِ المهديّ عن أبيه أنّه هو الذي لَقِي أبا سَعِيدٍ مولًى فائد وجاراه هذه القِصّة. وذكر ذلك أيضاً حَمّاد بنُ إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ. وقد يجوز أن يكون إبراهيم بن المهديّ وإسحاق سألاه عن هذا الصوت فأجابهما فيه بمثل ما أجاب المهديّ. وأمّا خبرُ إبراهيم بن المهديّ خاصّةً فله مَعَانٍ غيرُ هذه، والصوت الذي سأله عنه غيرُ هذا؛ وسيُذْكَر بعد انقضاء هذه الأخبار لئلاّ تنقطع.

أراده إبراهيم بن المهدي على الذهاب إلى بغداد فأبى:

وأخبرني إسماعيل[3] بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبّةَ:

أنّ إبراهيم بنَ المهديّ لَقِي أبا سَعيد مولَى فائد؛ وذكر الخبرَ بمثل الذي قبله، وزاد فيه: فقال له: اشْخَصْ معي إلى بغداد، فلم يفعل. فقال: ما كنت لآخذُكَ بما لا تُحِبّ، ولو كان غيرُك لأكرهتُه على ما أُحِبُّ، ولكن دُلَّني / على مَنْ ينوب / عنك. فدَلّه على ابن جامع، وقال له: عليكَ بغلامٍ من بني سَهْمٍ قد أخذ عنّي وعن نُظرائي [٤/٢٣٣] $\frac{88}{4}$

(١) في ء، ط، م هنا وفيما يأتي:

* وكذا يشبه النبات النباتا *

(٢) في م: «غيلة». وفي ء، ط: «عولة».

(٣) في ب، س: «إسحاق»، وهو تحريف.

وتخرّج، وهو كما تُحِبّ. فأخذه إبراهيم معه فأقدمه بغدادَ؛ فهو الذي كان سببَ وروده إيّاها.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

من المائة المختارة

لقد طُفْتُ سبعاً قلتُ لمّا قَضَيْتُها ... ألا ليت هذا لا عَلَيَّ ولا لِيَا

يُسَائلني صَحْبِي فما أعقِلُ الّذي ... يقولون من ذِكْرٍ لليلَى اعترانيا

عروضه من الطويل. ذكر يحيى بن عليّ أنّ الشعر والغِناء لأبي سعيد مولى فائد، وذكر غيرُه أنّ الشعر للمجنون. ولحنُه خفيف رَمَلٍ بالبنصر وهو المختار. وذكر حبشٌ أنّ فيه لإبراهيم خفيفَ رَمَلٍ آخر. والذي ذكر يحيى بن عليّ من أنّ الشعر لأبي سعيد مولى فائد هو الصحيح.

أخبرني عمّي عن الكُرّانيّ عن عيسى بن إسماعيل عن القَحْذَميّ أنّه أنشده لأبي سعيدٍ مولى فائد. قال عمّي: وأنشدني هذا الشعر أيضاً أحمد بن أبي طاهر عن أبي دِعَامةَ لأبي سعيد. وبعد هذين البيتين اللّذين مَضَيا هذه الأبياتُ:

إذا جئتَ بابَ الشِّعْبِ شِعْبِ ابن[1] عامرٍ ... فأقْرِىء غزالَ الشِّعْبِ مِنّي سَلاميَا

وقُلْ لغزالِ الشِّعْب هل أنتَ نازلٌ ... بشِعْبِكَ أم هل يُصْبِحُ[2] القلبُ ثاويا

لقد زادني الحُجّاجُ شوقاً إليكمُ ... وقد كنتُ قبل اليومِ لِلْحَجِّ قاليا

وما نظرتْ عيني إلى وجهِ قادمٍ ... من الحَجِّ إلاّ بَلَّ دَمْعِي ردائيا

/ في البيت الأوّل من هذه الأبيات، وهو: [٤/ ٣٤]

* إذا جئت باب الشعب شعب ابن عامر *

[لحن] لابن جامع خفيفُ رَمَلٍ عن الهشاميّ.

ومنها:

صوت

إنّ هذا الطويلَ مِنْ آل حَفْصٍ ... نَشَر المجد بعد ما كان ماتا

وبناه على أساسٍ وَثِيقٍ ... وعِمَادٍ قد أُثْبِتَتْ إثباتا

مثلَ ما قد بَنَى له أوّلُوه ... وكذا يُشْبِه البُنَاةُ البُنَاتَا

---

(١) شعب بني عامر: ماء أوّله الأُبُلّة، كما في «معجم ياقوت».

(٢) لعل الأوجه: «أم هل تصبح» بالخطاب.

عروضُه من الخفيف. الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد. ولحنُه رَمَلٌ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

ومنها:

صوت

قَـدِم الطـويـلُ فـأشـرقـتْ لقـدومـه ... أرضُ الحجـاز وبـان فـي الأشجـارِ

إنّ الطـويـلَ مـن آل حفْـصٍ فـاعلمـوا ... سـاد الحُضُـورَ وسـاد فـي الأسفـار

الشعر والغناء لأبي سعيد.

ومنها:

صوت

أيّهـا الطـالـب الـذي يَخْبِـطُ الأرْ ... ضَ دَعِ النـاسَ أجمعيـن وراكـا

/ وأتِ هذا الطـويـلَ مـن آل حَفْـصٍ ... إن تخـوّفـتَ عَيْلـةً أو هـلاكـا

89/4

/ عروضُه من الخفيف. الشعر لأبي سَعيدٍ مولى فائد، وقيل: إنّه للدّارِميّ. والغناء لأبي سعيد خفيفُ ثقيلٍ. [٤/٣٣٥]

وفيه للدّارِميّ ثاني ثقيل.

الطويلُ من آل حفص الذي عناه الشعراءُ في هذه الأشعار، هو عبدالله بن عبد الحميد بن حَفْص، وقيل: ابنُ أبي حفص بن المُغِيرةِ المَخْزوميّ؛ وكان مُمَدَّحاً.

مدحه لعبدالله بن عبد الحميد المخزومي:

فأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً عن أبي أيّوب المَدِينيّ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه:

أنّ عبدالله بن عبد الحميد المخزوميّ، كان يعطي الشعراءَ فيُجْزِل، وكان مُوسِراً، وكان سبب يَساره ما صار إليه من أُمّ سَلَمَةَ المخزوميّة امرأةِ أبي العبّاس السفّاح؛ فإنّه تزوّجها بعده، فصار إليه منها مالٌ عظيم، فكان يتسمّح به ويَتَفَتّى[1] ويتّسع في العطايا. وكانت أُمّ سلمة مائلةً إليه، فأعطته ما لا يُدْرَى ما هو، ثم إنّها اتّهمته بجاريةٍ لها فاحتجبتْ عنه، فلم تَعُدْ إليه حتّى مات. وكان جميل الوجه طويلاً. وفيه يقول أبو سعيدٍ مولى فائد:

إنّ هـذا الطـويـلَ مـن آل حفـصٍ ... نشـرَ المجـدَ بعـد مـا كـان مـاتـا

وفيه يقول الدّارِميّ:

أيُّهـا السـائـل الـذي يَخْبِـط الأر ... ض دَعِ النـاسَ أجمعيـن وراكـا

وأْتِ هـذا الطـويـلَ مـن آل حَفْـصٍ ... إنّ تخـوّفـتَ عَيّلـةً أو هـلاكـا

وفيه يقول الدّارميّ أيضاً:

(١) يتفتى: يتسخى.

صوت

إنّ الطـويـلَ إذا حَلَلْـتَ بـه ... يـومـاً كفـاك مَـؤونـة الثِّقَـلِ

[٤/ ٣٣٦] / ـ ويروى:

* ابـن الطـويـل إذا حللـت بـه *

وحللـتَ فـي دَعَـةٍ وفـي كَنَـفٍ ... رَحْـبِ الفِنـاء ومنـزلٍ سَهِـلِ

غنّاه ابنُ عبّاد الكاتب، ولحنهُ من الثقيل الأوّل بالبنصر عن ابن المكيّ.

غنى إبراهيم بن المهدي في المسجد:

فأمّا خبرُ إبراهيم بنِ المهديّ مع أبي سَعيدٍ مولى فائد الذي قلنا إنّه يُذْكَر هاهنا، فأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني القَطِرانِيّ المغنّي قال حدّثني ابن جَبْر قال:

سمعتُ إبراهيمَ بن المهديّ يقول: كنت بمكةَ في المسجد الحرام، فإذا شيخٌ قد طلَع وقد قَلَب إحدى نعليه على الأُخرى وقام يصلّي؛ فسألتُ عنه فقيل لي: هذا أبو سعيد مولى فائد. فقلتُ لبعض الغِلْمان: احْصِبْه فحَصَبه؛ فأقبل عليه وقال: ما يظنّ أحدُكم إذا دخل المسجدَ إلاّ أنّه له. فقلت للغلام: قُلْ له: يقول لك مولاي: ابْلُغْني؛ فقال ذلك له. فقال له أبو سعيد: مَنْ مولاك حفظه الله؟ قال: مولاي إبراهيم بن المهديّ، فمن أنت؟ قال: أنا أبو سعيد مولى فائد؛ وقام فجلس بين يديّ، وقال: لا والله ـ بأبي أنت وأمّي ـ ما عرفتُك! فقلت: لا عليك! أَخبِرْني عن هذا الصوت:

أفـاضَ المـدامـعَ قَتْلَـى كُـدًى[1] ... وقَتْلَـى بكُثْـوةَ[2] لـم تُـرْمَـسِ

[٤/ ٣٣٧] / قال: هو لي. قلت: وربّ هذه البَنِيّةِ لا تَبْرَحُ حتى تُغنّيَه. قال: ورَبِّ هذه البنيّة لا تبرح حتّى تسمَعَه. قال: ثم قَلَب إحدى نعليه وأخذ بعَقِب الأُخرى، وجعل يقرَع بحرفها على / الأُخرى ويُغنّيه حتّى أتى عليه، فأخذتُه منه. قال ابن جَبْر: وأخذتُه أنا من إبراهيم بن المهديّ. [٩٠/٤]

ردّ محمد بن عمران القاضي شهادته ثم قبلها وصار يذهب إليه لسماعها:

أخبرني رِضْوان بن أحمد الصَّيْدَلانِيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني دنية[3] المَدَنيّ صاحب العبّاسة بنتِ المهديّ، وكان آدبَ مَنْ قَدِم علينا من أهل الحجاز:

أنّ أبا سَعيدٍ مولى فائد حضَر مجلسَ محمد بن عِمْران التَّيْميّ قاضي المدينة لأبي جعفر، وكان مقدِّماً لأبي سعيد. فقال له ابنُ عمران التيميّ: يا أبا سعيد أنت القائل:

---

(١) كذا في أكثر الأصول. وكدى (بالضم والقصر): موضع بأسفل مكة عند ذي طوى بقرب شعب الشافعيين، وكدي (منقوصة كفتى): ثنية بالطائف. وفي حـ كداء (كسماء): اسم لعرفات أو جبل بأعلى مكة. والشاعر يريد موضعاً بعينه من هذه المواضع كانت به وقعة وقتلى، وكل منها يحتمله وزن الشعر.

(٢) كثوة (بالضم) بموضع.

(٣) كذا في ب، س. وفي حـ: «دينه المدني» بتقديم الياء المثناة على النون. وقد ورد في ء، ط هكذا: «دينه المديني» بدون نقط.

لقـد طفـتُ سبعـاً قلـتُ لمّـا قضيتُهـا ألا ليـت هـذا لا عَلَـيَّ ولا لِيَـا

فقال: إي لَعَمْرُ أبيك، وإني لأُدْمِجه إدماجاً من لؤلؤ. فردّ محمد بن عمران شهادته في ذلك المجلس. وقام أبو سعيد من مجلسه مُغْضَباً وحلَف ألاّ يشهَدَ عنده أبداً. فأنكر أهل المدينة على ابن عِمْران رَدَّه شهادتَه، وقالوا: عَرَّضتَ حقوقَنا للتَّوَى[1] وأموالَنا للتلف؛ لأنا كنّا نُشْهِد هذا الرجلَ لعِلْمنا بما كنت عليه والقضاةُ قبلك من الثقة به وتقديمه وتعديله. فندم ابنُ عمْران بعد ذلك على ردّ شهادته، ووَجّه إليه يسألُه حضور[2] مجلسه والشهادةَ عنده ليقضي بشهادته؛ فامتنع، وذكر أنه لا يقدر على / حضور مجلسه ليمينٍ لزمتْه إن حضَره حنِث. قال: فكان ابنُ [٣٣٨/٤] عمران بعد ذلك، إذا ادّعى أحدٌ عنده شهادةَ أبي سعيدٍ، صار إليه إلى منزله أو مكانه من المسجد حتّى يسمعَ منه ويسأله عما يشهَد به فيُخبره. وكان محمد بن عمران كثير اللَّحْم، عظيمَ البطن. كبيرَ العَجيزة، صغير القَدَمين، دقيق الساقين، يشتدّ عليه المشي، فكان كثيراً ما يقول: لقد أتعبني هذا الصوت «لقد طفتُ سبعاً» وأضرَّ بي ضرراً طويلاً شديداً. وأنا رجلٌ ثَقَالٌ، بتردّدي إلى أبي سعيد لأسمعَ شهادتَه.

ردّ المطلب بن حنطب شهادته فقال له شعراً فقلها:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرَانيّ قال حدّثنا النَّضْر بن عمرو عن الهَيْثَم بن عَديّ قال:

كان المُطَّلِبُ بن عبدالله بن حَنْطَبٍ قاضياً على مكةَ، فشَهِد عنده أبو سعيد مولى فائد بشهادة؛ فقال له المطَّلب: [وَيْحَك!][3] ألستَ الذي يقول:

لقـد طفـتُ سبعـاً قلـتُ لمّـا قضيتُهـا ألاَ ليـت هـذا لا علـيَّ ولا ليـا

لا قَبِلتُ لك شهادةً أبداً. فقال له أبو سعيد: أنا واللهِ الذي أقول:

كـأنّ وُجـوهَ الحَنْطَبِيِّـين[4] فـي الـدُّجَـى قنـاديـلُ تَسْقِيهـا السَّلِيـطَ[5] الهيـاكـلُ

فقال الحنطبيّ: إنّك ما عَلمتُك إلاّ دَبّاباً حول البيت في الظُّلَم، مُدْمناً للطَّواف به في الليل والنهار؛ وقَبِل شهادته.

[٣٣٩/٤] / نسبة الصوت المذكور قبل هذا، الذي في حديث إبراهيم بن المهديّ وخبره

صوت

أفـاضَ المـدامـعَ قَتْلَـى كُـدَى وقَتْلَـى بكُثْـوةَ لـم تُـرْمَـسِ

---

(١) كذا في ب، حـ، س. والتوى (وزان الحصى، وقد يمدّ كما في «المصباح»): الهلاك. وفي سائر الأصول: «الثوى» بالثاء المثلثة، وهو تصحيف.

(٢) كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «يسأله حضور الشهادة في مجلسه ليقضي بشهادته إلخ».

(٣) زيادة عن م.

(٤) الحنطبيون: بطن من مخزوم، ينسبون إلى حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم القرشي الصحابي.

(٥) السليط: الزيت وكل دهن عصر من حب.

وقَتْلَـــي بِـــوَجٍّ[1] وبـــالــلاَّبَتَيْـ — ـــن مــن[2] يَـثْــرِبٍ خيــرُ مــا أنْفُــس
وبـــالــزَّابِيَيْــنِ نفــوسٌ[3] ثَــوَتْ — وأُخْــرَى بنهــر أبـــي فُطْــرُسِ[4]
أولئــك قــومــي أنــاخــتْ بهــم — نـــوائـــبُ مـــن زَمَـــنٍ مُتْعِـــس
إذا رَكِبُـــوا زيَّنُـــوا المَـــوْكِبَيْـــنِ — وإن جَلَســـوا الـــزَّيْـــنُ فـــي المجلـــس
/ هـــمُ أضـــرعـــونـــي لـــريـــب الـــزَّمـــانِ — وهُـــمْ ألْصَقُـــوا الـــرَّغْـــمَ[5] بـالمَـعْطَـــسِ ٩١/٤

عروضه من المتقارب. الشعر للعَبْلِيّ، واسمه عبدالله بن عُمَر[6]، ويُكَنَّى أبا عَدِيّ، وله أخبار تُذْكَر مفردةً في موضعها إن شاء الله. والغِناء لأبي سَعيدٍ مولى فائد، ولحنُه من الثقيل الثاني بالسبّابة في مجرى البِنْصر. وقصيدةُ العَبْلِيّ أوّلُها:

/ تقـــول أُمـــامـــةُ لمّـــا رأتْ — نُشُـــوزي عـــن المَضْجَـــعِ الأنْفَـــس [٣٤٠/٤]

أنشد عبدالله بن عمر العبلي عبدالله بن حسن شعره في رثاء قومه فبكى:

نسخت من كتاب الحَرَمِيّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار، وأخبرني الأخفش عن المُبَرِّد عن المُغِيرة بن محمد المُهَلَّبيّ عن الزُّبَير عن سليمانَ بن عَيّاش[7] السَّعْدِيّ قال:

جاء عبدالله بن عُمَرَ العَبْلِيّ إلى سُوَيْقة[8] وهو طريدُ بني العبّاس؛ وذلك بعَقِب[9] أيّام بني أُميّة وابتداء خروج مُلْكهم إلى بني العبّاس، فقصَد عبدَالله وحسناً ابنَي الحسن بن حَسَنٍ بسُوَيْقَةَ؛ فاستنشده عبدُالله بن حسنٍ شيئاً من شعره فأنشده؛ فقال له: أريد أن تُنْشِدَني شيئاً مما رثَيت به قومَك[10]؛ فأنشده قولَه:

تقـــول أمـــامـــةُ لمّـــا رأتْ — نُشُـــوزِي عـــن المَضْجَـــعِ الأنْفَـــسِ
وقِلَّـــةَ نَـــوْمـــي علـــى مضجعـــي — لـــدى هَجْعـــةِ الأعْيُـــنِ النُّعَّـــس

---

(١) وج: اسم واد بالطائف.
(٢) اللابتان: تثنية لابة وهي الحرّة، وهما حرتان تكتنفان المدينة. وفي الحديث: أن النبيّ ﷺ حرّم ما بين لابتيها، يعني المدينة. والحرّة: أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أُحرقت بالنار.
(٣) الزابيان: تثنية زاب، وربما قيل فيه: «زابي» (بياء في آخره) فيثني على «زابيين». وهو اسم لروافد كثيرة. ولعل الشاعر يريد الزاب الأعلى الذي بين الموصل وإربل. وفيه كانت وقعة بين مروان الحمار بن محمد وبني العباس؛ أو الزاب الأسفل وبينه وبين الزاب الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة، وعليه كان مقتل عُبيد الله بن زياد وهو من بني أمية. (انظر «معجم ياقوت»).
(٤) كذا في حـ، م. ونهر أبي فطرس: نهر قرب الرملة من أرض فلسطين على اثني عشر ميلاً من الرملة، ومخرجه من أعين في الجبل المتصل بنابلس، ويصب في البحر الملح بين يدي مدينتي أرسوف ويافا؛ وبه كانت الوقعة التي بين عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس وبين بني أمية، فقتلهم في سنة ١٣٢ هـ. وفي سائر الأصول: «نهر أبي بطرس» بالباء الموحدة، وهو تحريف.
(٥) الرغم (مثلث الراء): التراب. والمعطس (كمجلس ومقعد): الأنف.
(٦) في ء، ط، م: «عمرو». وهو تحريف.
(٧) كذا في س، م. وفي سائر الأصول: «عباس».
(٨) سويقة: موضع قرب المدينة يسكنه آل عليّ بن أبي طالب.
(٩) كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «بعقب آخر أيام بني أمية إلخ».
(١٠) في ء، ط، م: «بني أمية».

أبــي مــا عَــرَاكَ؟ فقلــتُ الهُمــوم عَــرَوْنَ[1] أبــاكِ فــلا تَبْلِسـي[2]
عَــرَوْنَ أبــاكِ فحبَّسْنَــه مــن الــذُّلّ فــي شــرّ مــا مَحْبِـس
لِفَقْــدِ الأحِبَّــةِ إذ نــالهــا سهــامٌ مــن الحَــدَث المُبْئِـس[3]
رمتهــا المَنُــونُ بــلا نُكّــلٍ ولا طــائشــاتٍ ولا نُكّــسِ
بــأسْهُمِهــا المُتْلِفــاتِ النفــوسِ متــى مــا تُصِــبْ مُهجــةً تَخْلِـس
فصَــرَّعْنَهــمْ فــي نَــواحــي البــلادِ مُلَقًّــى بــأرْضٍ ولــم يُــرْمَــس[4]
/ تَقِــيّ[5] أصِيــبَ وأثــوابُــه مــن العَيْــبِ والعــارِ لــم تَــدْنَــس
وآخَــرُ قــد دُسَّ فــي حُفْــرةٍ وآخــر قــد طــار لــم يُحْبَــس
إذا عــنّ ذِكْــرُهُــمُ لــم يَنَــمْ أبــوكِ وأوْحَــشَ فــي المَجْلِــس
فــذاك الــذي غــالنــي[6] فــاعلمــي ولا تســألــي بــامــرىءٍ مُتْعَــس
أذَلُّــوا قَنــاتِــي لمــن رامَهــا وقــد ألْصَقُــوا الــرَّغْــمَ بــالمَعْطَس

[٣٤١/٤]

قال: فرأيتُ عبدالله بن حسنٍ وإنّ دموعه لتجري على خَدّه.

غنى الرشيدَ وكان مغضباً فسكن غضبه:

وقد أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز[7] عن المدائنيّ عن إبراهيم بن رَبَاح قال: عُمِّر أبو سعيد بن أبي سِنَةَ مولى بني أُمَيَّةَ وهو مولى فائد مولى عمرو بن عثمان إلى أيّام الرشيد؛ فلمّا حجّ أحضَره فقال: أنْشِدْني قصيدتَك:

* تــقــول أُمــامــةُ لَمّــا رأتْ *

فاندفع فغنّاه قبل أن يُنْشِده الشعرَ لَحْنَه في أبياتٍ منها، أوّلُها:

* أفــاضَ المــدامــعَ قَتْلَــى كُــدّى *

وكان الرشيدُ مُغْضَباً فسكَن غَضَبُه وطَرِب، فقال: أنْشِدْني القصيدة. فقال: يا أمير المؤمنين، كان القومُ مَوَالِيّ

---

(١) في ء، ط، م: «عرين» وعراه يعريه ويعروه (من بابي ضرب ونصر): غشيه.

(٢) لا تبلسي: لا تحزني.

(٣) في حـ: «الحدث الموئس».

(٤) في م: «ترمس» وصوابه: «يرمس» بالياء. والرمس والرس: الدفن. وفي الحادي عشر (ص ٢٩٨ من هذه الطبعة):

فصــرعــاهــم فــي نــواحــي البــلا د تلقــى بــأرض ولــم تــرمــس

(٥) في م: «نقيّ».

(٦) في حـ: «عالني».

(٧) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٢٧٧ من الجزء الثالث من هذا الكتاب.

وأنعموا عليّ، فرثيتُهم[1] ولم أَهْجُ أحداً؛ فتركه.

[٣٤٢/٤] / **كان ابن الأعرابي ينشد شعر العبلي فصحّفه فردّه أبو هفان:**

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا الحَزَنْبَل قال:

كنّا عند ابن / الأعرابيّ وحضَر معنا أبو هِفّان[2]، فأنشدَنا ابنُ الأعرابيّ عمن أنشده قال: قال ابنُ أبي سبة العَبَليّ[3]: $\frac{92}{4}$

أفـاضَ المـدامـعَ قَتْلَـى كـذا   وقَتْلَـى بكبـوة لـم تُـرْمَـس

فغَمَز أبو هِفّان رجلاً وقال له: قُلْ له: ما معنى «كذا»؟ قال: يريد كثرتهم. فلمّا قُمْنا قال لي أبو هِفّان: أسَمعتَ إلى هذا المُعْجَب الرَّقيع! صَحّفَ اسمَ الرجل، هو ابن أبي سنّة، فقال: ابن أبي سبّة؛ وصحَّف في بيت واحدٍ موضعين، فقال: «قَتْلَى كذا» وهو كُدًى، و «قتلى بكبوة» وهو بكُثْوةَ. وأغلظُ عليّ من هذا أنه يفسِّر تصحيفَه بوجهٍ وَقَاحٍ. وهذا الشعر الذي غنّاه أبو سعيد يقوله أبو عَديّ عبدالله بن عُمَر العَبَليّ فيمن قَتَله عبدُالله بن عليّ بنهر أبي فُطْرُس أبو العبّاس السفّاح أميرُ المؤمنين بعدهم من بني أُمَيّةَ. وخبرُهم والوقائع التي كانت بينهم مشهورةٌ يطول ذكرُها جدًّا. ونذكر هاهنا ما يُسْتَحْسَنُ منها.



(١) يلاحظ هنا أن أبا الفرج قد نسب قصيدة:

* تقول أمامة لما رأت *

لأبي سعيد بن أبي سنة، مع أنه في الخبر الذي تقدّمه نسبها لعبدالله بن عمر العبليّ، وسينسبها إليه بعد أسطر، كما نسبها إليه أيضاً في ترجمته الخاصة به في (ج ١١ ص ٢٩٣ ـ ٣٠٩ من هذه الطبعة).

(٢) أبو هفان: كنية عبدالله بن أحمد الهـزمي، كما في «معجم ياقوت» في كلامه على «كثوة».

(٣) كذا في جميع الأصول. ويلاحظ أن «العبليّ» ليس نسبة لأبي سنة، وإنما هو نسبة لأبي عديّ عبدالله بن عمر صاحب هذا الشعر، كما سيذكره المؤلف في هذا الخبر بعد قليل.

[٣٤٣/٤] # / [ذكر[١] مَنْ قتل أبو العبّاس السفّاح من بني أميّة]

مقتل مروان بن محمد وظفر عبد الصمد بن علي برأسه:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني مُسَبِّح بن حاتِم العُكْلِيّ[٢] قال حدّثني الجَهْم بن السَّبّاق عن صالح بن ميمون مولى عبد الصمد بن عليّ، قال:

لمّا استمرّتِ الهزيمةُ بمَرْوان، أقام عبدُالله بن عليّ بالرَّقّة، وأنفذ أخاه عبدَ الصمد في طلبه فصار إلى دِمَشْقَ، وأتبعه جيشاً عليهم أبو إسماعيل عامرٌ الطويل من قُوّاد خُراسانَ، فلحِقه وقد جاز مصرَ في قرية تُدْعَى بُوصِيرَ[٣]، فقتله، وذلك يومَ الأحد ثلاثٍ بَقِين من ذي الحِجّة، ووجّه برأسه إلى عبدالله بن عليّ، فأنفذه عبدُالله بن عليّ إلى أبي العباس. فلمّا وُضِع بين يديه خرّ لله ساجداً، ثم رفع رأسَه وقال: الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرن بك ولم يُبْقِ ثأري قِبَلَك وقِبَلَ رَهْطِك أعداءِ الدِّين؛ ثم تمثّل قولَ ذي الإِصْبَع العَدْوانيّ:

لو[٤] يشرَبون دَمِي لم يُرْوِ شاربَهم ... ولا دِماؤهُم للغَيْظِ تُرْوِيني

أتى عبدالله بن علي ابن مسلمة بن عبد الملك فأبى وقاتل حتى قتل:

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكِيعٌ قال حدّثني محمد بن يزيد قال:

نظر عبدُالله بن عليّ إلى فتًى عليه أُبّهةُ الشَّرَف وهو يُقاتل مُسْتَنْتِلاً[٥]، فناداه: يا فتى، لك الأمانُ ولو كنتَ مَرْوان بن محمد. فقال: إلاّ أكُنْه فلستُ بدونه. قال: فلك الأمانُ مَنْ كنتَ. فأطرقَ ثم قال:

[٣٤٤/٤] / أَذُلَّ الحياةِ وكُرْهَ المَماتِ ... وكُلاًّ أرى لكَ شَرًّا وَبِيلاَ

- ويروى:

* وكُلاًّ أراه طعاماً وَبِيلا *

---

(١) زيادة عن ب، س.

(٢) في م: «مسبح بن حاتم العتكي».

(٣) هي بوصير قوريدس من أعمال الفيوم التي قتل بها مروان المذكور، كما في «تقويم البلدان» لأبي الفدا إسماعيل (ص ١٠٧ طبع أوروبا و «معجم البلدان» لياقوت في كلامه على «بوصير». وفي كتاب «ولاة مصر وقضاتها» للكندي (ص ٩٦ طبع بيروت) أنه «قتل ببوصير من كورة الأشمونين يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة». وكورة الأشمونين من كور الصعيد الأدنى غربي النيل كما في «معجم ياقوت». وفي «النجوم الزاهرة» (ج ١ ص ٣١٧ طبع دار الكتب المصرية) أنه قتل ببوصير بالجيزة.

(٤) ورد هذا البيت في «الأمالي» (ج ١ ص ٢٥٦ طبع دار الكتب المصرية). في قصيدة ذي الإصبع العدوانيّ هكذا:

لو تشربون دمي لم يرو شاربكم ... ولا دماؤكم جمعاً تروّيني

(٥) كذا في س. والمستنتل: الخارج من الصف المتقدم على أصحابه. وفي سائر الأصول: «مستقتلاً».

فـإنْ لـم يكـن غيـرُ إحـداهمـا ... فسَيْـراً إلـى المـوت سَيْـراً جَميـلا

ثم قاتل حتى قُتِل. قال: فإذا هو ابنُ مَسْلَمةَ[١] بن عبد الملك بن مَرْوان.

اجتمع عند السفاح جماعة من بني أمية فأنشده سديف شعراً يغريه بهم فقتلهم وكتب إلى عماله بقتلهم:

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن سَعْد الكُرَانيّ قال حدّثني النَّضْر بن عمرو عن المُعَيْطيّ، وأخبرنا محمد بن خَلَفٍ وَكِيعٌ قال قال أبو السائب سَلْم بن جُنَادَةَ السُّوَائيّ[٢] سمعتُ أبا نُعَيم الفضلَ بن دُكَيْن يقول:

دخل سُدَيْفٌ ـ وهو مولًى لآل أبي لَهَبٍ ـ على أبي العبّاس بالحِيرة. هكذا قال وَكِيع. وقال الكُرَانيّ في خبره واللفظُ له: كان أبو العبّاس جالساً في مجلسه على سريره وبنو هاشم دونَه / على الكَراسيّ، وبنو أُمَيّة على الوسائد [٩٣/٤] قد ثُنِيتْ لهم، وكانوا في أيّام دَوْلتهم يجلِسون هم والخلفاءُ منهم على السرير، ويجلس بنو هاشم على الكَراسيّ؛ فدخل الحاجبُ فقال: يا أمير المؤمنين، بالباب رجلٌ حِجازيّ أسود راكبٌ على نَجِيبٍ متلثِّمٌ يستأذن ولا يُخْبِر باسمه، ويحلف ألاّ يَحْسِرَ اللِّثام عن وجهه حتّى يراك. قال: هذا مولاي سُدَيْف، يدخل، فدخل. فلمّا نظر إلى أبي العبّاس وبنو أُمَيّة حولَه، حَدَر اللِّثام عن وجهه وأنشأ يقول[٣]:

/ أصبح المُلْـكُ ثـابـتَ الآسـاسِ ... بـالبَهـاليـل[٤] مـن بنـي العبّـاسِ [٣٤٥/٤]

بـالصـدورِ المُقَـدَّميـن قـديمـاً ... والـرُّؤوس القَمَـاقِـم الرُّؤّاسِ[٥]

يـا أميـرَ المُطَهَّـريـنَ مِـنَ الـذّمِّ ... ويـا رأسَ منتهـى كـلِّ راسِ

أنـت مَهـديُّ هـاشـمٍ وهُـداهـا ... كـم أُنـاسٍ رَجَـوْكَ بعـد إيـاسِ[٦]

لا تُقِيلَـنَّ بعـدَ شَمْـسٍ عِثـاراً ... واقْطَعَـنْ كـلَّ رَقْلـةٍ[٧] وغِـرَاسِ

أنْـزِلُـوهـا بحيـث أنـزلَـهـا الـلّـهُ ... بـدار الهَـوَانِ والإتعـاسِ

---

(١) في «النجوم الزاهرة» (ج ١ ص ٢٥٨ طبع دار الكتب المصرية) بعد ذكر هذين البيتين: «فإذا هو ابن عبد الملك، وقيل: ابن لمسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم».

(٢) السوائيّ (بالضم والتخفيف والهمز): نسبة إلى سُوَاءة بن عامر بن صعصعة.

(٣) اتفق «الكامل» للمبرد (ص ٧٠٧ طبع أوروبا) «والعقد الفريد» (ج ٢ ص ٣٥٦ طبع مصر) على أن قائل هذا الشعر هو شبل بن عبدالله مولى بني هاشم. ويؤكد هذا الشعر نفسه؛ إذ يقول فيه، على رواية،:

نِعْـمَ شبـلُ الهـراشِ مـولاك شبـلٌ ... لـو نجـا مـن حبـائـل الإفـلاس

واتفقا أيضاً على أن شعر سديف هو:

لا يغـرّنـك مـا تـرى مـن أُنـاس ... إن تحـت الضلـوع داء دويّـا

فضـع السيـف وارفـع السـوط حتـى ... لا تـرى فـوق ظهـرهـا أمـويـا

واختلفا فيمن أنشد بين يديه هذا الشعر؛ ففي «العقد الفريد» أنه أبو العباس السفاح، وفي «الكامل» أنه عبد الله بن عليّ.

(٤) البهاليل: جمع بهلول وهو العزيز الجامع لكل خير، أو هو الحيّ الكريم.

(٥) الرؤاس: الولاة والحكام.

(٦) في ء، ط:

* كم أناس رجوك بعد أناس *

(٧) الرقلة: النخلة الطويلة التي تفوت اليد.

خَــوْفُهــم أظهــرَ التّـــوَدُّدَ منهـــمْ	وبهـــم منكُـــم كَحَـــزِّ المَـــوَاسِـــي
أقْصِهـــم أيُّهـــا الخليفـــةُ واحْسِـــمْ	عنـك بـالسَّيـف شَـأْفَـةَ الأرْجَـاس
واذْكُــرَنْ[1] مَصْــرَعَ الحُسَيْــنِ وزَيْــدٍ[2]	وقَتِيــلٍ[3] بجــانــبِ المِهْــراسِ[4]
والإمــامِ[5] الــذي بَحــرّانَ أَمْسَــى	رَهْــنَ قبــرٍ فــي غُــرْبــةٍ وتَنَــاسِــي
فلقــد ســاءنــي وســاء سَــوَائــي	قُــرْبُهــمْ مــن نَمَــارِقٍ وكَــرَاسِــي
نِعْــمَ كَلْــبُ[6] الهِــرَاشِ مــولاك لــولا	أَوَدٌ[7] مــن حبــائــلِ الإفــلاس

[٤/٣٤٦] / فتغيّر لونُ أبي العبّاس وأخذه زَمَعٌ[8] ورِعْدة؛ فالتفتَ بعضُ وَلَد سليمانَ بن عبد الملك إلى رجلٍ منهم، وكان إلى جَنْبه، فقال: قَتَلَنا والله العبدُ. ثم أقبل أبو العبّاس عليهم فقال: يا بَني الفَوَاعل، أرَى قَتْلاكم من أهلي قد سَلَفُوا وأنتم أحياءٌ تتلذّذون في الدنيا! خُذُوهم! فأخذتْهم الخُرَاسانيّة بالكافر[9] كوبات، فأُهْمِدُوا، إلاّ ما كان من عبد العزيز بن عُمَر بن عبد العزيز فإنّه استجار بداوُد بن عليّ وقال له: إنّ أبي لم يكن كآبائهم وقد علمتَ صنيعتَه إليكم؛ فأجارَه واستوهبه من السفّاح، وقال له: قد علمتَ يا أمير المؤمنين صنيع أبيه إلينا. فوَهَبه له وقال له: لا تُرِيني وجهَه، وليكن بحيث تأمَنُه؛ وكتب إلى عُمّاله في النواحي بقَتْل بني أُميّة.

سبب قتل السفاح لبني أمية وتشفيه فيهم:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن سعيد الدِّمَشْقيّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار عن عمّه:

أنّ سببَ قَتْل بني أُمَيّة: أنّ السفاح أُنْشِدَ قصيدةً مُدِح بها، فأقبل على بعضهم فقال: أين هذا مما مُدِحْتم به! فقال: هيهاتَ! لا يقول واللّهِ أحدٌ فيكم مثل قول ابن قَيْس الرُّقَيّات فينا:

مــا نَقَمُــوا مــن بنــي أُمَيَّــة إلاّ	أنّــهــمْ يَحْلُمــون إنْ غَضِبــوا
وأنّهــمْ مَعْــدِنُ المُلــوكِ ولا	تَصْلُــحُ إلاّ عليهـــمُ العَـــرَبُ

فقال له: يا ماصَّ كذا من أمّه! أوَ إنّ الخلافةَ لَفِي نفسِك بعدُ! خُذُوهم! فأُخِذُوا فقُتِلوا.

---

(١) في «الكامل»: «واذكروا».

(٢) هو زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، قتل في أيام هشام بن عبد الملك.

(٣) كذا في ء، ط، م. وفي سائر النسخ: «وقتيلا». ويعني به حمزة بن عبد المطلب، قتله يوم أُحد وحشيّ غلام جبير بن مطعم.

(٤) المهراس فيما ذكر المبرد: ماء بأحد؛ روي أن النبيّ ﷺ عطش يوم أُحد فجاءه عليّ في درقة بماء من المهراس، فعافه وغسل به الدم عن وجهه. قال المبرد في «الكامل»: وإنما نسب شبل قتل حمزة إلى بني أمية لأن أبا سفيان بن حرب كان قائد الناس يوم أُحد.

(٥) الإمام الذي بحرّان: هو إبراهيم الإمام رأس الدعوة العباسية، وقد قتله مروان بن محمد آخر خلفاء بني أُمية صبراً.

(٦) في «الكامل» «والعقد الفريد»:

نعــم شبــل الهــراش مــولاك شبــل	لــو نجــا مــن حبــائــل الإفــلاس

(٧) الأود هنا: الكد والتعب والجهد.

(٨) الزمع: شبه الرعدة تأخذ الإنسان.

(٩) في حـ: «بالكفر كوبات». ولعله اسم أعجميّ لآلات يضرب بها كالعمد وغيرها.

بسط السفاح على قتلاهم بساطاً تغدى عليه وهم يضطربون تحته:

أخبرني عمّي عن الكُرَانيّ عن النَّضْر بن عمرو عن المُعَيْطِيّ:

[٣٤٧/٤] / أنّ أبا العباس دعا بالغَدَاء / حين قُتِلوا، وأمَر بِبِسَاطٍ فبُسِط عليهم، وجلَس فوقَه يأكل وهم يضطربون تحته. ٩٤/٤ فلمّا فرَغ من الأكل قال: ما أعلَمُني أكلتُ أكلةً قطُّ أهْنَأَ ولا أطْيَبَ لنفسي منها. فلمّا فرَغ قال: جُرُّوا بأرْجُلِهم؛ فألْقُوا في الطريق يَلْعَنُهم الناسُ أمواتاً كما لعنوهم أحياء. قال: فرأيتُ الكِلابَ تجرّ بأرْجُلِهم وعليهم سَرَاوِيلاتُ الوَشْي حتى أنْتَنُوا؛ ثم حُفِرتْ لهم بئرٌ فألْقُوا فيها.

أنشد ابن هرمة داود بن علي شعراً فأوغر صدره على بعض أمويين في مجلسه:

أخبرني عُمَر بن عبدالله بن جَميل العَتَكيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني محمد بن مَعْنٍ الغِفَاريّ عن أبيه قال:

لمّا أقبلَ دَاوُدُ بن عليّ من مكةَ أقبل معه بنو حسنٍ جميعاً وحسينُ بن عليّ بن حسين وعليُّ بن عُمَر[1] بن عليّ بن حسين وجعفرُ بن محمد والأرْقَطُ محمد بن عبدالله وحسينُ بن زَيْد ومُحمدُ بن عبدالله بن عمرو بن عثمان وعبدُالله بن عَنْبسةَ بن سعيد بن العاصي وعُرْوةُ وسعيدُ ابنا خالد بن سعيد بن عمرو بن عثمان، فعُمِل لداوُدَ مجلسٌ بالرُّوَيْثَةِ[2]؛ فجلَس عليه هو والهاشميّون، وجلَس الأمَوِيُّون تحتهم؛ فأنشده إبراهيم بن هَرْمةَ قصيدةً يقول فيها.

فــلا عَفَــا اللّــهُ عــن مَــرْوانَ مَظْلِمــةً ... ولا أُمَيّــةَ بئــس المجلــسُ النّــادي[3]

كــانــوا كعــادٍ فــأمسَــى اللّــهُ أهلكهــم ... بمثــلِ مــا أهلــك الغَــاوِيــن مــن عــادِ

فلــن يُكَــذِّبَنــي مــن هــاشــمٍ أحــدٌ ... فيمــا أقــول ولــو أكثــرتُ تَعْــدَادي

[٣٤٨/٤] / قال: فنَبَذ دَاوُد نحوَ ابن عَنْبَسةَ ضَحْكةً كالكِشْرة. فلمّا قام قال عبدالله [ابن حسن][4] لأخيه حسن: أمَا رأيتَ ضَحْكتَه إلى ابن عَنْبسةَ! الحمدُ لله الذي صَرَفها عن أخي[5] (يعني العثمانيّ)، قال: فما هو إلاّ أنْ قَدِم[6] المدينةَ حتّى قتل ابنَ عَنْبسةَ.

استحلف عبدالله بن حسن داود بن علي ألا يقتل أخويه محمداً والقاسم:

قال محمد بن مَعْنٍ حدّثني محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان قال:

استحلف أخي عبدُالله بن حسنٍ دَاوُدَ بن عليّ، وقد حجّ معه سنة اثنتين وثلاثين ومائة، بطلاق امرأتِه مُلَيكةَ بنتِ دَاوُد بن حسن ألاّ يقتل أخَوَيْه محمداً والقاسم ابنَيْ عبدالله. قال: فكنتُ أختلف إليه آمناً وهو يقتل بني أمَيّة،

---

(١) كذا في ط، م، وهو الموافق لما في الطبري (قسم ٣ ص ١٩١ طبع أوروبا). وفي ء: «على بن عمرو بن علي بن حسين». وفي سائر الأصول: «علي بن محمد بن علي بن حسين»، وهما تحريف.

(٢) الرويثة: موضع على ليلة من المدينة.

(٣) في ب، س، م: «البادي» بالباء الموحدة.

(٤) زيادة عن حـ.

(٥) هو أخوه لأمّه، كما ذكر ذلك في كتب التاريخ.

(٦) في ب، س: «فما هو إلا أنه ما قدم المدينة إلخ».

وكان يكره أن يراني أهلُ خُرَاسَان ولا يستطيع إليّ سبيلاً ليمينه. فاستدناني يوماً فدنوتُ منه، فقال: ما أكثرَ الغَفْلَة وأقلَّ الحَزْمَة! فأخبرتُ بها عبدَالله بن حسن؛ فقال: يا بنَ أمّ، تَغَيَّبْ عن الرجل؛ فتغيَّبت عنه حتّى مات.

أنشد سديف السفاح شعراً وعنده رجال من بني أمية فأمر بقتلهم:

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى قالا حدّثنا الحارث بن أبي أُسَامَةَ قال حدّثني إسماعيل بن إبراهيم عن الْهَيْثَم بن بِشْر مولَى محمد بن عليّ قال:

أَنْشَدَ سُدَيْفٌ أبا العبّاس، وعنده رجالٌ من بني أمَيّةَ، قولَه:

يـا بـنَ عَـمّ النبـيّ أنـت ضِيَـاءٌ ... اِسْتَبَنَّـا بـك اليقيـنَ الجَلِيّـا

فلمّا بلغ قولَه:

جَـرِّدِ السَّيْـف وارْفَـعِ العَفْـوَ حتّـى ... لا تـرى فـوق ظهـرهـا أُمَـوِيّـا

لاَ يَغُـرَّنْـكَ مـا تـرى مـن رجـالٍ ... إنّ تحـت الضُّلـوع داءً دَوِيّـاً

بَطَـنَ البُغْـضُ فـي القـديـم فـأضحَـى ... ثـاويـاً فـي قلـوبهـم مَطْـوِيّـاً

[٣٤٩/٤] / وهي طويلة، قال[1]: يا سُدَيف، خُلِق الإنسان من عَجَلٍ، ثم قال:

أحيـا الضغـائـنَ آبـاءٌ لنـا سَلَفُـوا ... فلـنْ تَبِيـدَ ولـلآبـاءِ أبنـاءُ

٩٥/٤ / ثم أمر بمن عنده منهم فقُتِلوا.

حضر سليمان بن علي جماعة من بني أمية فأمر بقتلهم:

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثني عليّ بن محمد بن سليمانَ النَّوْفَلِيّ عن أبيه عن عمومته:

أنّهم حضروا سليمانَ بن عليّ بالبَصْرة، وقد حضره جماعةٌ من بني أُمَيّةَ عليهم الثّياب المَوْشِيّة المرتفعة، فكأنّي أنظر إلى أحدهم وقد اسودّ شيبٌ في عارضَيْه من الغَالِية[2]، فأمَر بهم فقُتِلوا وجُرُّوا بأرْجُلِهم، فأُلْقُوا على الطريق، وإنّ عليهم لَسَراوِيلاتِ الوَشْي والكِلابُ تجرّ بأرجلِهم.

وفد عمرو بن معاوية على سليمان بن علي يسأله الأمان فأجابه «إليه»:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني محمد بن عبدالله بن عمرو[3] قال أخبرني طَارِقُ بن المُبَارَك عن أبيه قال:

جاءني رسولُ عمرو بن معاوية بن عمرو بن عُتْبَةَ، فقال لي: يقول لك عمرو: قد جاءتْ هذه الدولةُ وأنا حديث السنّ كثيرُ العِيال منتشِرُ المال، فما أكون في قبيلة إلاّ شُهِرَ أمْري وعُرِفتُ، وقد اعتزمتُ على أن أَفْدِيَ حُرَمِي بنفسي؛ وأنا صائرٌ إلى باب الأمير سليمانَ بن عليّ، فصِرْ إليّ. فوافيتُه فإذا عليه طَيْلَسَانٌ مُطْبَقٌ أبيض وسَرَاويلُ وَشْيٍ

(١) في الأصول: «فقال».
(٢) الغالية: ضرب من الطيب.
(٣) في حـ، م: «محمد بن عبدالله بن عمر».

مسدول، فقلتُ: يا سبحانَ الله! ما تصنَعُ الحداثةُ بأهلها! أبهذا اللباس تلقَى هؤلاء القومَ لِمَا تُريد لقاءَهم فيه! فقال: لا واللّهِ، ولكنّه ليس عندي ثوبٌ إلاّ أشْهَر مما[1] ترى. فأعطيتُه طَيْلَساني وأخذتُ طيلسانَه ولَوَيْتُ سَرَاويلَه إلى / رُكْبتيه؛ فدخل ثم خرج مسروراً. فقلت له: حَدِّثْني ما جرى بينك وبين الأمير. قال: دخلتُ عليه ولم نَتَراءَ قطُّ، [٣٥٠/٤] فقلتُ: أصلح الله الأميرَ! لفظتْني البلادُ إليك، ودَلَّني فضلُك عليك؛ فإمّا قتلتني غانماً، وإمّا رَدَدْتَني سالِماً. فقال: ومَنْ أنت؟ ما أعرِفك؛ فانتسبتُ له. فقال: مرحباً بك، أُقْعُدْ فتكلَّمْ آمناً غانماً؛ ثم أقبل عليّ فقال: ما حاجتك يابن أخي؟ فقلت: إنّ الحُرَمَ اللواتي أنت أقربُ الناس إليهنّ معنا وأولَى الناس بهنّ بعدَنا، قد خِفْنَ لخوفنا، ومَنْ خاف خِيفَ عليه. فوالله ما أجابني إلاّ بدموعه على خَدَّيْه؛ ثم قال: يابن أخي، يَحْقِن اللّهُ دَمَك، ويحفظك في حُرَمك، ويُوَفِّر عليك مالَك. وواللّهِ لو أمكنني ذلك في جميع قومك لفعلتُ، فكُنْ مُتَوارياً كظاهر، وآمِناً كخائف، ولْتَأْتِني رِقاعُك. قال: فكنتُ واللّهِ أكتب إليه كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمّه. قال: فلمّا فَرَغ من الحديث رددتُ عليه طيلسانَه؛ فقال: مَهْلاً[2]، فإنّ ثيابنا إذا فارقتْنا لن ترجع إلينا.

شعر لسديف في تحريض السفاح على بني أمية:

أخبرني [أحمد بن عبدالله قال حدّثنا][3] أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شَبّةَ قال:

قال سُدَيْفٌ لأبي العبّاس يَحُضُّه على بني أُميّة ويذكر مَنْ قَتَل مروانُ وبنو أُمَيّة من قومه:

كيف بالعفو عنهمُ وقَديماً ... قتلوكم وهَتَّكُوا الحُرُماتِ
أين زيدٌ وأين يحيى بنُ زيدٍ ... يا لَهَا من مُصيبةٍ وتِرَاتِ
والإمامُ الذي أُصِيبَ بحَرّا ... نَ إمامُ الهُدَى ورأسُ الثُّقاتِ
قتلوا[4] آلَ أحمدٍ لا عفا الذَّنْـ ... ـبَ لمروانَ غافرُ السَّيِّئاتِ

[٣٥١/٤]

/ **شعر لرجل من شيعة بني العباس في التحريض على بني أمية:**

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال:

أنشدني محمد بن يزيد لرجلٍ من شِيعة بني العبّاس يُحرِّضهم على بني أُمَيّةَ:

إيّاكم أنْ تَلِينوا[5] لاِعتذارهمُ ... فليس ذلك إلاّ الخَوْفُ والطَّمَعُ
/ لو أنّهم أمِنُوا أبْدَوْا عداوتَهمْ ... لكنّهم قُمِعُوا بالذلّ فانقَمَعُوا
أليس في ألفِ شهرٍ قد مضتْ لهُمْ ... سقَوْكُمُ جُرَعاً من بعدها جُرَعُ

٩٦/٤

(١) كذا في ء، ط، م. وفي سائر النسخ: «إلا أشهر من هذه».
(٢) كذا في ء، ط، م. وفي سائر النسخ: «مه».
(٣) زيادة عن س، م.
(٤) في حـ:

قتلوا آل أحمد لا عفا اللّـ ... ـه لمروان سافر السيئات

(٥) في حـ. «تنيبوا». وفي م:

* إياكم أن يليتوا الاعتذار لكم *

حتّى إذا ما انقضتْ أيّامُ مُدّتهمْ ... مَتّوا إليكم بالأرحامِ التي قَطَعوا

هيهاتَ لا بُدّ أن يُسْقَوْا بكأسهمُ ... رَيّاً وأن يَحْصُدوا الزَّرْعَ الذي زرعوا

إنّا وإخواننا الأنصارَ شيعتكُم ... إذا تفرّقت الأهواءُ والشِّيَعُ

إيّاكُمُ أن يقولَ الناسُ إنّهُم ... قد مُلِّكُوا ثم ما ضَرُّوا ولا نفعُوا

رواية أخرى في تحريض سديف للسفاح:

وذكر ابن المعتز: أنّ جعفر بن إبراهيم حدّثه عن إسحاق بن منصور عن أبي الخَصيب في قصّة سُدَيْفٍ بمثل ما ذكره الكُرانيّ عن النضر بن عمرو عن المُعَيْطيّ، إلاّ أنّه قال فيها:

فلمّا أنشده ذلك التفتَ إليه أبو الغَمْر سليمانُ بن هشام فقال: يا ماصّ بَظْر أُمّه! أتَجبَهُنا بهذا ونحن سَرَواتُ الناس! فغَضِب أبو العبّاس؛ وكان سليمانُ بن هشام صديقَه قديماً وحديثاً يقضي حوائجَه في أيّامهم ويَبَرُّه؛ فلم يلتفتْ إلى ذلك، وصاح بالخُراسانيّة: خُذُوهم؛ فقُتِلوا جميعاً إلاّ سليمانَ بن هشام، فأقبل عليه السفّاح فقال: يا أبا الغَمْر، ما أرى لك في الحياة بعد هؤلاء خيراً. قال: لا والله. فقال: اقتُلوه، وكان إلى جَنْبه، فقُتِل؛ وصُلِبوا في بُستانه، حتى تأذّى جلساؤه بروائحهم، فكلّموه في ذلك، فقال: والله لَهَذا ألَذُّ عندي من شَمّ المسك والعَنْبَر، غيظاً عليهم وحَنَقاً.

[٣٥٢/٤]

/ نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

أصبح الدِّينُ[1] ثابتَ الآساسِ ... بالبَهاليلِ من بني العبّاسِ

بالصُّدورِ المُقَدَّمين قديماً ... والرُّؤوس القَماقِمِ الرُّؤّاسِ

عروضه من الخفيف، الشعر لسُدَيْف. والغناء لعَطَرّد رَمَلٌ بالبنصر عن حَبَشٍ. قال: وفيه لَحكمٍ الواديّ ثاني ثقيلٌ. وفيه ثقيلٌ أوّل مجهول.

ومما قاله أبو سعيد مولى فائد في قَتْلَى بني أُمَيّة وغَنَّى فيه:

صوت

بكيتُ وماذا يَرُدّ البُكاءُ ... وقَلّ البُكاءُ لقَتْلَى كُداءْ[2]

أُصِيبوا معاً فتَوَلَّوْا معاً ... كذلك كانوا معاً في رَخاءْ

بكتْ لهمُ الأرضُ من بعدهم ... وناحتْ عليهم نجومُ السماءْ

وكانوا الضياءَ فلمّا انقضى الزْ ... زَمانُ بقومي تولّى الضياءْ

(١) في م: «أصبح الملك»، وهي الرواية التي وردت فيما مرّ.

(٢) وردت القافية في هذا الشعر، في «معجم ياقوت» في الكلام على كذا، بالقصر.

عروضه من المتقارب. الشعر والغناء لأبي سعيدٍ مولى فائد، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة وإسحاق وغيرهما.

ومما قاله فيهم وغَنَّى فيه على أنّه قد نُسِب إلى غيره:

صوت

أثّر الدهر في رجالي فقلّوا بعد جَمْعٍ فراحَ عَظْمِي مَهِيضَا

/ ما تذكّرتُهم فتمْلِكُ عَيْني فَيْضَ غَرْبٍ وحُقَّ لي أن تَفِيضَا ٩٧/٤

/ الشعر والغناء لأبي سَعيد خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكيّ والهشاميّ. وروى الشِّيعيّ عن عمر بن شبّة [٣٥٣/٤] عن إسحاق أنّ الشعر لسُدَيف والغناءَ للغَرِيض. ولعلّه وَهَمٌ.

ومنها:

صوت

أولئك قَوْمي بعد عِزٍّ ومَنْعةٍ تَفَانَوْا فإلاَّ تَذْرِفِ العينُ أكْمَدِ

كأنّهمُ لا ناسَ للموت غيرُهم وإن كان فيهم مُنْصِفاً غيرَ مُعْتَدِي

الشعر والغناء لأبي سعيد. وفيه لحنٌ لمُتَيَّم.

ركب المأمون إلى جبل الثلج فغناه علوية بشعر ندب فيه بني أمية فسبه ثم كلم فيه فرضي:

أخبرني عبدالله بن الرَّبيع قال حدّثنا أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثني عمّي طَيّاب بن إبراهيم قال:

رَكِب المأمون بِدمَشْقَ يتصيَّد حتَّى بلغ جبل الثَّلْج، فوقف في بعض الطريق على بِركَة عظيمة في جوانبها أربعُ سَرَواتٍ[١] لم يُرَ أحسنُ منها ولا أعْظم، فنزل المأمونُ وجعل ينظر إلى آثار بني أُمَيَّةَ ويَعْجَب منها ويذكُرهم، ثم دعا بطَبَقٍ عليه بَزْمَاوَرْد[٢] ورِطْل نبيذ؛ فقام عَلُّويَه فغنَّى:

أولئك قَوْمي بعد عِزٍّ ومَنْعةٍ تَفَانَوْا فإلاَّ تَذْرِفِ العينُ أكْمَدِ

/ قال: فغَضِب المأمونُ وأَمَر برفع الطبق، وقال: يا ابنَ الزانية! ألم يكن لك وقتٌ تبكي فيه على قومك إلاّ [٣٥٤/٤] هذا الوقتَ! قال: نعم أبكي عليهم! مولاكم زِرْيَاب[٣] يركَب معهم في مائة غُلامٍ، وأنا مولاهم معكم أموت جوعاً!

---

(١) السرو: شجر حسن الهيئة قويم الساق، واحده سروة.

(٢) البزماورد: طعام يسمى لقمة القاضي، وفخذ الست، ولقمة الخليفة، وهو مصنوع من اللحم المقلي بالزبد والبيض. وفي «شفاء الغليل»: «زماورد» والعامة تقول: «بزماورد»: كلمة فارسية استعملتها العرب للرقاق الملفوف باللحم.

(٣) زرياب: هو علي بن نافع المغني مولى المهدي ومعلم إبراهيم الموصلي، صار إلى الشأم ثم صار إلى المغرب إلى بني أمية، فقدم الأندلس على عبد الرحمن الأوسط سنة ١٣٦ هـ فركب بنفسه لتلقيه، كما حكاه ابن خلدون. وزرياب لقب غلب عليه ببلده، لسواد لونه مع فصاحة لسانه، شبه بطائر أسود غرّاد. وكان شاعراً مطبوعاً وأستاذاً في الموسيقى. (انظر «شرح القاموس» مادة زرب، «وتاريخ بغداد» لابن طيفور ج ٦ ص ٢٨٤ طبع أوروبا).

فقام المأمون فركِب وانصرف الناسُ، وغَضِب على عَلُّويَه عشرين يوماً؛ فكلَّمه فيه عبّاس أخو بَحْرٍ؛ فرَضِي عنه، ووَصَله بعشرين ألفَ درهم.

صوت

من المائة المختارة

مَهَاةٌ لَوَ ٱنّ الذَّرّ تَمْشِي ضِعَافُه ... على مَتْنِها بَضَّتْ مَدَارِجُه دَمَا[1]

فقُلْنَ لها قُومِي فدَيْنَاكِ فارْكَبِي ... فأومَتْ بلالاَ غيرَ أنْ تَتكَلَّمَا[2]

عروضه من الطويل. بَضَّتْ: سالتْ. يقول: لو مَشَى الذرُّ على جِلْدها لجرى منه الدّم من رِقَّته. وروى الأصمعيُّ:

مُنَعَّمَةٌ لو يُصْبِحُ الذَّرُّ سارياً ... على مَتْنِها بَضَّتْ مَدَارِجُه دَمَا

الشعر لحُمَيْد بن ثَوْرٍ الهِلاليّ. والغناء في اللحن المختار لفُلَيْح بن أبي العَوْراء، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالوسطى. وذكر عمرو بن بانَةَ أنّ لحن فُلَيْح من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى، وأنّ الثقيل الأوّل للهُذَليّ.

[٤/٣٥٥] / ومما يُغَنَّى فيه من هذه القصيدة:

صوت

إذا شئتُ غَنَّتْنِي بأجزاعِ[3] بِيشَةٍ ... أوِ النَّخْلِ من تَثْلِيثَ[4] أو مِنْ يَلَمْلَمَا[5]

---

(١) رواية «عيون الأخبار» (ج ٤ ص ١٤٣ طبع دار الكتب المصرية):

* على جلدها نضّت مدارجه دما *

ونضّت بالنون أيضاً: سالت.

(٢) روارية «عيون الأخبار»:

* فأومت بلالاً غير ما أن تكلما *

(٣) كذا في ح، م. وفي سائر الأصول: «بأجراع» بالراء المهملة. وقد تقدّم تفسيرهما في الحاشية رقم ٢ ص ٢٧٨ من هذا الجزء. وبيشة: اسم قرية غنّاء في واد كثير الأهل من بلاد اليمن.

(٤) تثليث (بكسر اللام وياء ساكنة وثاء أخرى مثلثة): موضع بالحجاز قرب مكة.

(٥) كذا بالأصول. ويلملم ويقال فيه: ألملم ويرمرم: ميقات أهل اليمن، وهو جبل على مرحلتين من مكة، وفيه مسجد معاذ بن جبل. وورد هذا البيت في «معجم البلدان» لياقوت (ج ١ ص ٤٨٧) هكذا:

إن شئت غنتني بأجزاع بيشة ... وبالرزن من تثليث أو من بمبيما

وقال: بمبيم بفتحتين بوزن غشمشم: موضع أو جبل. ولم تجتمع الباء والميم في كلمة اجتماعهما في هذه الكلمة. ورواه بعضهم يمبم. وفي «معجم ما استعجم» (ص ٨٥٠):

«إذا شئت .... ينبما»

وينبم (بفتح أوّله وثانيه بعده نون وباء أخرى): واد شجير قبل تثليث.

وقد ورد هذا البيت في «الكامل» للمبرد (ص ٥٠٣ طبع أوروبا) كما هنا، وأشير في هامشه إلى عدّة روايات في هذا الاسم تقرب في الرسم من هذه الروايات التي ذكرناها.

مُطَوَّقَةٌ طَوْقاً وليس بحِلْيَةٍ ... ولا ضَرْبِ صَوَّاغٍ بكَفَّيْهِ دِرْهَما

تُبَكِّي[(١)] على فَرْخٍ لها ثم تَغْتَدي ... مُوَلَّهةً تبغي لها الدَّهْرَ مَطْعَمَا

تُؤَمِّل منه مُؤْنِساً لانفرادها ... وتَبْكي عليه إنْ زَقَا أو تَرَنَّما

٩٨/٤

/ وغنّاه محمد الرَّفّ[(٢)] خفيفَ رملٍ بالوسطى.



(١) رواية «الكامل» للمبرد:

مطوّقة خطباء تسجع كلما ... دنا الصيف وانجال الربيع فأنجما

محلّاة طوق لم يكن من تميمة ... ولا ضرب صوّاغ بكفيه درهما

وأنجم: أقلع مثل انجال.

(٢) في حـ: «محمد الزف» بالزاي المعجمة. (انظر ما كتبناه عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٦ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة).

[٤/٣٥٦]

/ ذكر حُمَيد بن ثور ونسبه وأخباره

نسبه وطبقته في الشعراء:

هو حُمَيْد بن ثَوْر بن عبدالله بن عامر بن أبي ربيعة بن نَهِيك بن هِلَال بن عامِر بن صَعْصَعَةَ بن مُعَاوية بن بَكْر بن هَوَازِن بن منصور بن عِكْرِمَةَ بن خَصَفَةَ بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزَار. وهو من شعراء الإسلام. وقَرَنَه ابن سَلَّام بِنَهْشَل بن حَرِّيّ وأَوْسِ[١] بن مَغْرَاء.

هو مخضرم أدرك عمر بن الخطاب:

وقد أدرك حُمَيْد بن ثَوْر عُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه، وقال الشعر في أيّامه. وقد أدرك الجاهليّة أيضاً.

نهى عمر الشعراء عن التشبيب فقال شعراً:

أخبرنا وَكِيعٌ قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد وعبدالله بن شَبِيب قالا حدّثنا إبراهيم بن المُنْذِر الحِزَاميّ قال حدّثني محمد بن فَضَالَةَ النحويّ قال:

تقدّم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشعراء ألاّ يُشَبِّب أحدٌ بامرأة إلاّ جَلَده. فقال حُمَيد[٢] بن ثور:

أَبَى اللَّـهُ إلاّ أنَّ سَـرْحَـةَ[٣] مَـالِـكٍ ... علـى كُـلِّ أفنـانِ العِضَـاهِ[٤] تَـرُوقُ[٥]

فقـد ذهبـتْ عَـرْضـاً ومـا فـوق طُـولِهـا ... مـن السَّـرْحِ إلاّ عَشَّـةٌ وسَحُـوقُ

ـ العَشَّة: القليلة الأغصان والورق. والسَّحوق: الطويلة المفرطة ـ.

[٤/٣٥٧] / فلا الظِّلُّ[٦] مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تستَطِيعُه[٧] ... ولا الفَـيْءَ مِـن بَـرْدِ العَشِـيِّ تَـذُوقُ

---

(١) عدّه ابن سلام في الطبقة الثالثة من الشعراء الإسلاميين. أما حميد بن ثور ونهشل بن حَرِيّ فقد عدّهما في الطبقة الرابعة من الشعراء الإسلاميين. (راجع «طبقات الشعراء» لمحمد بن سلام الجمحي ص ١٢٩، ١٣٠ طبع أوروبا).

(٢) في م: «فقال حميد بن ثور وكانت له صحبة فذكر شعراً فيه».

(٣) السرحة: الشجرة الطويلة، ويكنى الشعراء بها عن المرأة.

(٤) العضاهة بالكسر: أعظم الشجر أو كل ذات شوك أو ما عظم منها وطال، كالعِضَه كعنب والعِضَهة كعنبسة، والجمع: عضاه وعضون وعضوات.

(٥) أي تزيد عليها بحسنها وبهائها؛ من قولهم: راق فلان على فلان إذا زاد عليه فضلاً.

(٦) الظل: ما كان أوّل النهار إلى الزوال. والفيء: ما كان بعد الزوال إلى الليل. فالظل غربيّ تنسخه الشمس، والفيء شرقيّ ينسخ الشمس. والبرد: من معانيه الظل والفيء. يقال: البردان والأبردان للظل والفيء، وأيضاً للغداة والعشيّ. وظاهر الكلام يقتضي أن يكون المراد من «البرد» في الموضعين هنا: الظل والفيء، على أن تكون «من» بيانية.

(٧) في «معجم البلدان» لياقوت في الكلام على سرحة: «تستظله».

فهَلْ أنا إنْ عَلَّلْتُ نَفْسي بسَرْحةٍ ... مِنَ السَّرْحِ موجودٌ[1] عليَّ طريقٌ

وهي قصيدة طويلة أوّلها:

نأتْ أمُّ عَمْرٍ فالفُؤادُ مَشُوقُ ... يَحِنُّ إليها والهاً ويَتُوقُ

صوت

وفيها مما يُغَنَّى فيه:

سَقَى السَّرْحَةَ المحْلَالَ[2] والأبرقَ[3] الذي ... به السَّرْحُ غيثٌ دائمٌ وبُروقُ

وهلْ أنا إنْ عَلَّلْتُ نَفْسي بِسَرْحةٍ ... مِنَ السَّرْح موجودٌ عليّ طريقٌ

غنّاه إسحاق، ولحنُه ثاني ثقيلٍ [بالوسطى][4].

وفد على بعض خلفاء بني أمية بشعر فوصله:

أخبرنا الحَرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبَير عن عَمّه قال:

وَفَد حُمَيْد بن ثَوْر على بعض خُلَفاء بني أمَيّة؛ فقال له: ما جاء بك؟ فقال:

أتاكَ بِيَ اللهُ الذي فوق مَنْ تَرَى ... وخيرٌ ومعروفٌ عليك دليلُ

/ ومَطْوِيَّةُ الأقْرابِ[5] أمّا نهارُها ... فنَصٌّ[6] وأمّا ليلُها فذَميلُ [٤/٢٥٨]

ويَطْوِي عليَّ اللَّيلُ حِضْنَيْه إنّني ... لذاكَ إذا هابَ الرجالُ فَعُولُ

فوصله وصرفه شاكراً.

(١) في «الاقتضاب» للبطليوسي (ص ٤٥٩): «مأخوذ عليّ». وفي «كنايات الجوجاني» (ص ٧): «مسدود عليّ». وكل مستقيم المعنى.

(٢) المحلال: التي يكثر الناس الحلول بها. قال ابن سيده: وعندي أنها تحل الناس كثيراً؛ لأن مفعالاً إنما هي في معنى فاعل لا في معنى مفعول.

(٣) الأبرق: أرض غليظة واسعة مختلطة بحجارة ورمل. والمراد به هنا موضع بعينه.

(٤) زيادة عن س، م.

(٥) الأقراب: جمع قرب (بالضم وبضمتين) وهو الخاصرة، وقيل: القرب من لدن الشاكلة إلى مراقّ البطن. وفي «التهذيب»: فرس لاحق الأقراب، يجمعون وإنما له قربان لسعته؛ كما يقال: شاة ضخمة الخواصر، وإنما لها خاصرتان. (انظر «اللسان» مادة قرب).

(٦) كذا في أكثر الأصول. والنص: أقصى السير. والذميل: السير اللين. وفي ء، ط: «فسَبْتٌ». والسبت: ضرب من سير للإبل.

[٣٥٩/٤]

/ أخبار فُلَيح بن أبي العَوْراء

هو مولى بني مخزوم وأحد مغني الدولة العباسية:

فُلَيْحٌ رجل من أهل مكة، مولًى لبني مخزوم، ولم يقع إلينا اسمُ أبيه. وهو أحد مغنّي الدولة العبّاسيّة، له محلٌّ كبير من صناعته، وموضعٌ جليل. وكان إسحاق إذا عدّ مَنْ سَمع من المُحْسنين ذكَره فيهم وبدأ به. وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المائةَ الصوتِ للرشيد.

مدح إسحاق الموصلي غناءه:

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظةُ قال حدّثني ابن المَكّيّ عن أبيه عن إسحاق قال:

ما سمعتُ أحسنَ غناءً من فُلَيح بن أبي العَوْراء وابنِ جامع: فقلتُ له: فأبو إسحاق؟ (يعني أباه)، فقال: كان هذان لا يُحْسِنان / غيرَ الغناء، وكان أبو إسحاق فيه مثلَهما، ويزيد عليهما فنوناً من الأدب والرواية لا يُدَاخِلانه فيها.

$\frac{99}{4}$

كان يحكي الأوائل فيصيب ويحسن:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد[١] المُهَلَّبيّ قال:

قال لي إسحاق: أحسنُ مَنْ سَمعتُ غناءً عَطَرَّد وفُلَيْح.

وكان[٢] فليح أحد الموصوفين بحسن الغناء المسموع في أيّامه، وهو أحدُ مَنْ كان يَحكي الأوائلَ فيُصِيب ويُحْسِن.

أمره الرشيد بتعليم ابن صدقة صوتاً له:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني محمد بن محمد العَنْبَسيّ قال حدّثني محمد بن الوَليد الزُّبَيريّ قال:

[٣٦٠/٤] / سمعتُ كَثِيرَ بن المُحَوَّل يقول: كان مُغَنِّيان بالمدينة يقال لأحدهما فُلَيح بن أبي العَوْراء، والآخر سُلَيمان بن

(١) كذا في «، ط، م. وفي سائر النسخ: «محمد بن يزيد المهلبي» وهو خطأ.

(٢) في س، م، حـ، زيادة قبل هذا الخبر هي: «وقال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: كان فليح أحد الموصوفين. . . إلخ».

سُلَيم؛ فخرج إليهما رسولُ الرشيد يقول لفُلَيح غِناؤك من حَلْق أبي صَدَقة[1] أحسنُ منه من حَلْقك، فعَلِّمْه إيّاه ـ قال: وكان يغنّي صوتاً يُجيده، وهو:

* خيـرُ مـا نَشْـرَبُهـا[2] بـالبُكَـرْ *

ـ قال: فقال فُلَيح للرسول: قُلْ له: حَسْبُك. قال: فسمعنا ضَحِكَه من وراء السِّتارة.

كانت ترفع الستارة بينه وبين المهدي دون سائر المغنين:

أخبرني رِضْوان بن أحمد الصَّيْدَلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثنا الفَضْلُ بن الربيع:

أنّ المهديّ كان يسمَع المغنِّين جميعاً، ويحضُرون مجلسَه، فيُغَنُّونه من وراء السِّتارة لا يرون له وجهاً إلّا فُلَيْحَ بن أبي العَوْراء؛ فإنّ عبدالله بن مُصْعَب الزُّبَيريّ كان يرَوِّيه شعرَه ويغنِّي فيه في مدائحه للمهديّ؛ فدسَّ في أضعافها بيتين يسألُه فيهما أن ينادمه، وسأل فليحاً أن يغنّيهما في أضعاف أغانيه، وهما:

صوت[3]

يـا أمينَ الإلـه فـي الشَّـرْقِ والغَـرْ ... بِ علـى الخَلْـقِ وابـنَ عَـمِّ الـرَّسُـولِ

مجلسـاً بـالعَشِـيِّ عنـدك فـي المَيْـ ... ـدَانِ أبغـي والإذنَ لـي فـي الـوُصُـولِ

/ فغنّاه فُلَيح إيّاهما. فقال المهديّ: يا فضلُ، أَجِبْ عبدَالله إلى ما سأل، واحْضِرْه مجلسي إذا حَضَره أهلي ومَوَاليّ [٤/٣٦١] وجلستُ لهم، وزِدْه على ذلك أن ترفَع بيني وبين راويتِه فُلَيح السِّتارة؛ فكان فُلَيح أوّلَ مُغنٍّ عاين وجهَه في مجلسهم.

دعاه محمد بن سليمان بن علي أوّل دخوله بغداد ووصله:

أخبرني رِضْوان قال حدّثني يوسف بن إبراهيم قال حدّثني بعد قُدومي فُسْطاطَ مِصْرَ زيادُ بن أبي الخَطّاب كاتبُ مَسْرُورٍ خادمِ الرشيد، قال: سمعتُ محبوبَ بن الهَفْتِيّ يحدّث أبي، قال:

دعاني محمد بن سليمان بن عليّ، فقال لي: قد قَدِم فُلَيْحٌ من الحجاز ونزل عند مسجد ابن رَغْبان[4]، فصِرْ إليه، فأَعْلِمْه أنّه إن جاءني قبلَ أن يدخلَ إلى الرشيد، خلعتُ عليه خِلْعةً سَرِيّةً من ثيابي ووهبتُ له خمسةَ آلاف درهم. فمضيتُ إليه فخبَّرته بذلك؛ فأجابني إليه إجابةَ مسرورٍ به نشيطٍ له. وخرج معي، فعَدَل إلى حَمّامٍ كان بقُرْبه، فدعا القَيِّمَ فأعطاه درهمين وسأله أن يجيئه بشيء يأكله ونبيذٍ يشربه؛ فجاءه برأسٍ كأنه رأسُ عِجْلٍ ونبيذٍ

(١) هو أبو صدقة مسكين بن صدقة أحد مغني عصر الرشيد. ذكر له أبو الفرج ترجمة في (ج ٢١ طبع أوروبا).

(٢) في ء، ط، م: «ما تشربها».

(٣) هذه الكلمة ساقطة في ء، ط، م. ومما يرجح سقوطها أن أبا الفرج لم يذكر طريقة الغناء في هذا الشعر.

(٤) في حـ: «ابن زغبان» بالزاي قبل الغين. وفي سائر الأصول: «ابن عتاب» وكلاهما محرّف عن «ابن رغبان». ويقع مسجد ابن رغبان هذا في غربي بغداد وكان مزبلة. قال بعض الدهاقين: مر بي رجل وأنا واقف عند المزبلة التي صارت مسجد ابن رغبان قبل أن تبنى بغداد، فوقف عليها وقال: ليأتين على الناس زمان من طرح في هذا الموضع شيئاً فأحسنُ أحواله أن يحمل ذلك في ثوبه؛ فضحكت تعجباً. فما مرت إلا أيام حتى رأيت مصداق ما قال. (انظر «معجم البلدان» لياقوت ج ٤ ص ٥٢٤ طبع أوروبا).

[٣٦٢/٤] دُوشابيّ[1] غليظ مسحوريّ[2] رديء. فقلت / له: لا تفعلْ، وجَهَدْتُ به ألاّ يأكل ولا يشرب إلاّ عند محمد بن سليمان؛ فلم يلتفتْ إليّ، وأكل ذلك الرأسَ وشرب من ذلك النبيذِ الغليظ حتّى طابت نفسه، وغنّى وغنّى القَيِّم معه مَلِيًّا؛ ثم خاطب القَيِّمَ بما أغضبه، وتَلاَحَيَا وتَوَاثَبا؛ فأخذ القَيِّم شيئاً فضربه به على رأسه فشجّه حتّى جرى دمُه. فلمّا رأى الدمَ / على وجهه اضطرب وجَزِع وقام يغسل جُرْحه، ودعا بصوفة مُحْرَقَة وزيت، وعَصَبه وتعمَّم وقام معي. فلمّا دخلْنا دارَ محمد بن سليمان. ورأى الفرشَ والآلةَ وحضر الطعامُ فرأى سَرْوَه[3] وطِيبَه، وحضر النبيذُ وآلته، ومدّتِ الستائرُ وغنّى الجواري، أقبل عليّ وقال: يا مجنون! سألتك بالله أيّما أحقُّ بالعَرْبَدة وأوْلَى: مَجْلِسُ القَيِّم أم مجلِس الأمير؟ فقلت: وكأنه لا بُدَّ من عربدة! قال: لا! والله مالي منها بُدٌّ، فأخرجتُها من رأسي هناك. فقلت: أمّا على هذا الشرط فالذي فعلتَ أجودُ. فسألني محمد عما كنّا فيه فأخبرته؛ فَضَحِك ضحكاً كثيراً، وقال: هذا الحديث والله أظرفُ وأطيب من كلّ غِناء؛ وخلَع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم.

١٠١/٤

اتفق مع حكم الوادي على إسقاط ابن جامع عند يحيى بن خالد:

قال هارون بن محمد وحدّثني حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبو إسحاق القِرْمِطِيّ قال حدّثنا مُدرِكةُ بن يَزِيد قال:

قال لي فُلَيح بن أبي العوراء: بعث يحيى بن خالد إليّ وإلى حَكَمٍ الواديّ وإلى ابن جامع، فأتيناه. فقلت لحكمَ: إنْ قَعَد ابنُ جامع معنا فَعاوِنِّي عليه لنكسره. فلمّا صِرْنا إلى الغِناء غنَّى حكمٌ؛ فصِحْتُ وقلت: هكذا والله يكون الغناء! ثم غَنّيت، ففعل لي حكمٌ مثلَ ذلك. وغنّى ابنُ جامع فما كنّا معه في شيء. فلمّا كان / العَشِيُّ أرسل [٣٦٣/٤] إلى جاريته دنانير: إنّ أصحابك عندنا، فهل لك أن تخرُجي إلينا؟ فخرجتْ وخرج معها وصائف؛ فأقبل عليها يقول لها من حيث يَظُنّ أنّا لا نسمَع: ليس في القوم أَنْزَهُ نفساً من فُلَيح. ثم أشار إلى غلام له: أنِ ائْتِ كلَّ إنسان بألفَيْ درهم، فجاء بها؛ فدفع إلى ابن جامع ألفَيْ درهم فأخذها فطرحها في كُمِّه، وفعل بحكمِ الوادِيّ مثلَ ذلك فطرحها في كُمّه، ودفع إليّ ألفين. فقلت لدنانير: قد بلغ منّي النبيذُ، فاحبِسيها لي عندك حتى تَبْعَثي بها إليّ؛ فأخذتِ الدراهم منّي وبعثتْ بها إليّ من الغد، وقد زادت عليها؛ وأرسلت إليّ: قد بعثتُ إليك بوديعتك وبشيء أحببتُ أن تفرّقه على أَخَواتي (تعني جَوَارِيّ).

طلبه الفضل بن الربيع فجيء به مريضاً فغنى ورجع ثم مات في علته:

قال هارون بن محمد وحدّثني حمّاد قال حدّثني أبي قال:

كنّا عند الفضل بن الربيع، فقال: هَل لك في فُلَيح بن أبي العوراء؟ قلت نعم. فأرسل إليه، فجاء الرسولُ

---

(١) الدوشابي: نسبة إلى الدوشاب وهو نبيذ التمر معرّب؛ قال ابن المعتز:

لا تخلــط الـدوشــاب فــي قــدح ... بصفــاء مــاء طيــب البــرد

وقال ابن الرومي:

علّمنــي أحمــدُ مــن الـدوشــاب ... شـربــة بغّضـت قنـاع الشبـاب

(٢) مسحوري: فاسد.

(٣) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «ورأى سروره به وطيبه»: وهو تحريف. والسرو: الشرف والسخاء. ولعل المراد بسرو الطعام جودته وكثرته.

فقال: هو عليلٌ؛ فعاد إليه فقال الرسول: لا بدّ من أن تجيء؛ فجاء به محمولاً في مِحَفّة؛ فحدّثنا ساعة ثم غنّى. فكان فيما غنّى:

تقـول عِـرْسِـي إذ نبـا المَضْجَـعُ ... مـا بـالُـك الليلـةَ لا تَهْجَـعُ

فاستحسنّاه منه واستعَدْناه منه مراراً؛ ثم انصرف ومات في عِلّته تلك؛ وكان آخر العهد به ذلك المجلس.

روى قصة فتى عاشق غناه هو وعشيقته فبعثت إليه مهرها ليخطبها إلى أبيها:

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكّيّ قال حدّثني أبي عن فُلَيح بن أبي العوراء قال:

كان بالمدينة فتًى يعشَق ابنةَ عمّ له، فوعدتْه أن تزوره. وشكا إليّ أنّها تأتيه ولا شيء عنده، فأعطيته ديناراً للنفقة. فلمّا زارته قالت له: مَنْ يُلَهِّينا؟ قال: صديق لي، ووصفني لها، ودعاني فأتيته؛ فكان أوّل ما غنّيته:

/ مِـنَ الخَفِـراتِ لـم تَفْضَـحْ أخـاهـا ... ولـم تَـرْفَـعْ لِـوالـدهـا شَنَـارًا[1] [٣٦٤/٤]

فقامت إلى ثوبها فلبِسته لتنصرف؛ فعَلِق بها وجهد بها كلَّ الجَهْد في أن تَقيم، فلم تُقِمْ وانصرفتْ. فأقبل عليّ يلومني في أن غَنّيتها ذلك الصوت. فقلت: والله ما هو شيءٌ اعتمدتُ به مَساءتَك، ولكنه شيء اتّفق. قال: فلم نبرَح حتى عاد رسولُها بعدها ومعه صُرّة فيها ألفُ / دينار ودفَعها إلى الفتى وقال له: تقولُ لك ابنةُ عمِّك: هذا مَهْري ١٠١/٤ ادْفَعْه إلى أبي، واخطُبني؛ ففعل فتزوّجها.

نسبة هذا الصوت

صوت

مِـنَ الخَفِـراتِ لـم تَفْضَـحْ أخـاهـا ... ولـم تـرفَـعْ لـوالـدهـا شَنَـارَا

كـأنَّ مَجـامِـعَ الأردافِ منهـا ... نَقـاً[2] درجـتْ عليـه الـريـحُ هـارا

يعـافُ وِصـالَ ذاتِ البَـذْلِ قلبـي ... وأتْبَـعُ المُمَنَّعـةَ النَّـوَارا[3]

والشعر لسُلَيك بن السُّلَكة السَّعْديّ. والغناء لابن سُرَيج رملٌ بالسبّابة في مجرى الوسطى. وفيه لابن الهِرْبِذ لحنٌ من رواية بَذْل، أوّلُه:

* يعـاف وِصـالَ ذاتِ الـبـذل قـلبـي *

وبعده:

غَـذاهـا قـارِصٌ[4] يغـدو عليهـا ... ومَحْـضٌ حيـن تنتظـر العِشَـارَا

---

(١) الخفرة: الشديدة الحياء. والشنار: العيب والعار.

(٢) النقا (مقصور): الكثيب من الرمل. وهار: سقط وتهدّم.

(٣) النوار: المرأة النفور من الريبة والجمع نُور.

(٤) القارص: لبن يحذى اللسان أو حامض يحلب عليه حليب كثير حتى تذهب الحموضة. والمحض: اللبن الخالص. والعشار: جمع =

[٣٦٥/٤] / ورد دمشق على إبراهيم بن المهدي فأخذ عنه جواريه غناء وانتشرت أغانيه بها:

أخبرني رِضْوان بن أحمد قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال:

كتب إليّ جعفرُ بن يحيى وأنا عاملٌ للرشيد على جُنْد دِمَشْق: قد قَدِم علينا فُلَيح بن أبي العَوْراء، فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كلَّ غناء سمِعناه قبله. وأنا محتالٌ لك في تخليصه إليك، لتستمتع به كما استمتعنا. فلم ألبَثْ أنْ ورد عليّ فُلَيح بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثةِ آلافِ دينار. فورد عليّ رجلٌ أذكَرني لقاؤه الناسَ، وأخبرني أنه قد ناهز المائة، فأقام عندي ثلاثَ سنين، فأخذ عنه جَوارِيَ كلَّ ما كان معه [من الغناء][1]، وانتشرت أغانيه بدِمَشْق.

غنى موفق ألحان فليح بفسطاط مصر عند مقدم عنبسة بن إسحاق:

قال يوسف: ثم قَدِم علينا شابٌّ من المغنِّين مع عليّ بن زيد بن الفَرَج الحَرّانيّ، عند مَقْدَم عَنْبَسةَ بن إسحاق فُسْطاطَ مصر، يقال له مُوَفَّق؛ فغنّاني من غناء فُلَيْح:

[صوت[2]]

يـا قُـرّةَ العيـن اقبَلـي عُـذْرِي ... ضـاق بهجـرانكـم صـدري

لـو هَلَـكَ الهجـرُ استـراح الهـوى ... مـا لَقِـيَ الـوصـلُ مـن الهجـر

ـ ولحنه خفيفُ رمل ـ فلم أرَ بين ما غنّاه وبين ما سمعته في دار أبي إسحاق فرقاً؛ فسألته من أين أخذه؟ فقال: أخذتُه بدمشق؛ فعلمتُ أنّه مما أخذه أهلُ دمشق عن فُلَيح.

/ صوت

من المائة المختارة

أفـاطـمَ إنّ النـأيَ يسلِـي ذوي الهـوَى ... ونـأيُـكِ عنّـي زاد قلبـي بكـم وَجْـدَا

أرى حَـرَجـاً مـا نِلْـتُ مـن وُدّ غيـركـم ... ونـافلـةً مـا نلـتُ مـن ودّكـم رُشْـدَا

ومـا نلتقـي مـن بعـدِ نـأيٍ وفُـرْقـةٍ ... وشَحْـطِ نَـوًى إلاّ وجـدتُ لـه بَـرْدا

= عُشَراء وهي الناقة مضى لحملها عشرة أشهر قال الأزهري: والعرب يسمونها عشاراً بعد ما تضع ما في بطونها، للزوم الاسم بعد الوضع، كما يسمونها لقاحاً.

(١) زيادة عن ء، ط، م.

(٢) زيادة عن ء، ط.

علــى كَبِــدٍ قــد كــاد يُبْــدي بهــا الهــوى نُــدوبــاً وبعــضُ القــوم يحسَبُنــي جَلْــدا

عروضه من الطويل. النأي: البُعْد، ومثله الشَّحْط. والحَرَج: الضِّيق؛ قال الله تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾. والنُّدوب: آثار الجِراح، واحدها نَدَبٌ.

الشعر لإبراهيم بن هَرْمَةَ. والغِناء في اللحن المختار، على ما ذكره إسحاق، ليونس الكاتبِ، وهو من الثقيل الأوّل / بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه مثل ذلك. وذكر حبش بن موسى ١٠٢/٤ أنّ الغِناء لمرزوق الصرّاف أو ليحيى بنِ وَاصِل. وفي هذه الأبيات للهُذَليّ لحنٌ من خفيفِ الثقيلِ الأوّل بالوسطى على مذهبِ إسحاق من رواية عمرو بنِ بانة، ومن الناس من ينسُب اللحنين جميعاً إليه.



[٣٦٧/٤]

/ ذكر ابن هَرْمة وأخباره ونسبه

نسبـه:

هو إبراهيم بن عليّ بن سَلَمَةَ بن هَرْمة بن هُذَيل، هكذا ذكر يعقوب بن السِّكِّيت. وأخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بكّار عن عمّه مُصْعَب، وذكر ذلك العبّاس بن هِشَام الكلبيّ عن أبيه هِشام بنِ محمد بنِ السائب، قالوا جميعاً: هو إبراهيم بن عليّ بن سَلَمَةَ بن عامر بن هَرْمةَ بن الهُذَيْل بن رَبيع بن عامر بن صُبَيح بن كِنَانَةَ بن عَدِيّ بن قَيْس بن الحارث بن فِهْر ـ وفهرٌ أصلُ قريش، فمن لم يكن من ولده لم يُعَدّ من قريش، وقد قيل ذلك في النَّضْر بنِ كنانة ـ وفهر بنُ مالك بن النَّضْر بنِ كِنانةَ بن خُزَيمةَ بن مُدْرِكةَ بن إلياس بن مُضَر. قال مَنْ ذكرْنا من النسّابين: قَيْس بن الحارث هو الخُلُجُ، وكانوا في عَدْوانَ ثم انتقلوا إلى بني نَصْر بن معاوية بن بَكْر بن هَوَازِن. فلما استُخْلِف عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أتَوْه لِيَفْرِضَ لهم، فأنكر نَسَبَهم. فلما استُخْلف عثمان أتَوْه فأثبتَهم في بني الحارث بـن فِهْرٍ وجعل لهم معهم ديواناً. وسُمُّوا الخُلُجَ لأنهم اختلجوا ممن كانوا معه من عَدْوان ومن بني نصر بن معاوية. وأهل المدينة يقولون: إنّما سُمُّوا الخُلُجَ لأنهم نزلوا بالمدينة على خُلُج (وواحدُها خليج) فسُمُّوا بذلك. ولهم بالمدينة عدد. قال مُصْعَب: كان لإبراهيم بن هَرْمةَ عمٌّ يقال له هَرْمة الأعور، فأرادت الخُلُجُ نَفْيَه منهم؛ فقال: أمسيتُ ألأم العرب دَعِيَّ أدعياء. ثم قال يهجوهم:

رأيـتُ بنـي فِهْـرٍ سِبَـاطـاً[١] أكُفُّهُـمْ ... فمـال بـالُ ـ أنْبِـونـي ـ أكُفُّكُـم قُفْـدا[٢]

[٣٦٨/٤] / ولـم تُـدْرِكـوا مـا أدرك القـومُ قبلَكـم ... مـن المجـدِ إلا دَعْـوةً[٣] ألحقـتْ كَـدّا

علـى ذي أيـادِي الـدّهـرِ أفلـح جَـدُّهـم ... وخِبْتُـمْ فلـم يَضْـرَعْ لكـم جـدُّكـم جَـدّا

نفاه بنو الحارث بن فهر عنهم فعاتبهم فصار منهم لساعته:

وقال يحيى بن عليّ حدّثني أبو أيّوب المدينيّ عن المدائنيّ عن أبي سَلَمةَ الغِفَاريّ قال:

نَفَى بنو الحارث بن فهرٍ ابنَ هَرْمةَ، فقال:

أحـارِبـنَ فِهْـرٍ كيـف تَطَّـرِحـونَنـي ... وجـاء العِـدا مـن غيركـم تبتغي نَصْـري

---

(١) سباط: جمع سبط: وصف من السبوطة وهي الاعتدال والسهولة والطول. ويكنى بسبوطة اليدين عن الكرم؛ يقال: رجل سَبْط اليدين إذا كان سخياً سمحاً كريماً، كما يقال: رجل جَعْد اليدين إذا كان بخيلاً.

(٢) كذا في ط، وهو الذي يقتضيه سياق الكلام. وفي ب، س: «أكفهم». وجملة أنبوني ـ وهو أمر من أنبأ خففت همزته فحذفت ـ معترضة بين المضاف والمضاف إليه. والقَفَد: مَيَلٌ في الكف. يريد أنهم بخلاء.

(٣) الدعوة (بالفتح وتكسر): الاسم من ادعى بمعنى زعم.

قال: فصار من وَلَد فِهْرٍ في ساعته.

كان يقول: أنا ألأم العرب:

قال يحيى بن عليّ وحدّثني أحمد بن يحيى الكاتب قال حدّثني العبّاس بن هشام الكلبيّ عن أبيه قال:

كان ابن هَرْمَةَ يقول: أنا ألأم العرب، دَعِيٌّ أدعياء: هَرْمَةُ دَعِيٌّ في الخُلُج، والخُلُج أدعياء في قريش.

قصته مع أسلميّ ضافه:

حدّثني الحَرَمِيّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي قال حدّثني عبدالله بن أبي عُبَيدة بن محمد بن عَمّار بن ياسر قال:

زرتُ عبدَالله بن حسن ببادِيَتِه وزاره ابنُ هَرْمَةَ، فجاء رجلٌ من أَسْلَمَ؛ فقال ابن هرمة لعبدالله بن حسن: أصلحك الله! سَلِ الأَسْلَمِيّ أنْ يأذَنَ لي أن أُخبرك خبري وخبره. فقال له عبدالله بن حسن: ائذَنْ له، فأذِنَ له الأسلميّ. فقال له إبراهيم بن هَرْمَةَ: / إنّي خرجتُ ـ أصلحك الله ـ أبغِي ذَوْداً[1] لي، / فأوحشتُ[2] وضِفْتُ هذا الأَسْلَمِيّ، فذَبَح لي شاةً وخبز لي خبزاً وأكرمني، ثم غدوتُ من عنده، فأقمت ما شاء الله. ثم خرجتُ أيضاً في بُغَاءِ ذَوْدٍ لي، فأوحشتُ فضِفْتُه فَقَراني بلبن وتَمْر، ثم غدوت من عنده فأقمت ما شاء الله. ثم خرجتُ في بُغَاء ذَوْدٍ لي، فأوحشتُ، فقلت: لو ضِفْتُ الأَسْلَمِيّ! فاللَّبَن والتمر خيرٌ من الطَّوَى؛ فضِفْتُه فجاءني بلبن حامض. فقال: قد أجبتُه ـ أصلحك الله ـ إلى ما سأل، فسَلْه أنْ يأذَنَ لي أن أخبرك لِمَ فعلتُ. فقال له: ائذَنْ له؛ فأذن له. فقال الأَسْلَميّ: ضافَني، فسألتُه مَنْ هو؟ فقال: رجلٌ من قريش، فذبحتُ له الشاةَ التي ذَكَر، ووالله لو كان غيرُها عندي لذبحتُه له حين ذكَر أنّه من قريش. ثم غَدَا من عندي وغدا عليّ الحَيُّ فقالوا: مَنْ كان ضَيفَك البارحةَ؟ قلتُ: رجلٌ من قريش؛ فقالوا: لا والله ما هو من قريش، ولكنه دَعِيٌّ فيها. ثم ضافني الثانية على أنه دَعِيٌّ في قريش، فجئتُه بلبن وتمر وقلت: دَعِيُّ قريش خيرٌ من غيره. ثم غدا من عندي وغدا عليّ الحَيُّ فقالوا: مَنْ كان ضيفَك البارحةَ؟ قلت الرجل الذي زعمتم أنّه دَعِيٌّ في قريش؛ فقالوا: لا والله ما هو بدَعِيٍّ في قريش، ولكنّه دَعِيُّ أَدْعِياءِ قريش. ثم جاءني الثالثةَ، فقريتُه لبناً حامضاً، ووالله لو كان عندي شرٌّ منه لَقَرَيْتُه إيّاه. قال: فانخذل ابنُ هَرْمَةَ، وضَحِك عبدالله وضَحِكْنا معه.

[٣٦٩/٤]
١٠٣
٤

لقيه ابن ميادة وطلب مهاجاته ثم تبين أنه يمزح:

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاء قال حدّثني الزُّبَير قال حدّثني نَوْفَل بن ميمون قال:

لَقِي ابنُ مَيّادةَ ابنَ هَرْمةَ، فقال ابن ميّادة: واللّهِ لقد كنتُ أُحِبُّ أنْ أَلقاك، لا بدّ من أن نَتَهاجَى، وقد فعل الناس ذلك قبلنا، فقال ابنُ هرمة: بئس والله ما دعوتَ إليه وأحببتَه، وهو يظنّه جادًّا. ثم قال له ابن هَرْمَةَ: أمَا والله إنّني لَلّذي أقول:

---

(١) الذود: القطيع من الإبل من الثلاث إلى التسع، وقيل: ما بين الثلاث إلى الثلاثين، ولا يكون إلا من الإناث دون الذكور. قال النبيّ ﷺ: «ليس فيما دون خمس ذود صدقة».

(٢) يقال: أوحش الرجل إذا جاع ونفد زاده.

[٤/٣٧٠] / إنّـي لَميمـونٌ جِـوَاراً وإنَّنـي إذا زَجَـرَ الطَّيْـرَ العِـدَا لَمَشُـومُ

وإنِّـي لمـلاَّنُ[١] العِنـانِ مُنَـاقِـلٌ[٢] إذا مـا وَنَـى يـومـاً أَلَـفُّ[٣] سَـؤُومُ

فـوَدَّ رجـالٌ أنَّ أُمِّـي تَقَنَّعَـتْ بشيـبٍ يُغَشِّـي الـرأسَ وهـي عقيـمُ

فقال ابن ميّادة: وهلْ عندك جِراء[٤]؟ ثَكِلَتْك أُمُّك! أنت ألأم من ذلك! ما قلتُ إلاّ مازحاً.

أخبرنا [به][٥] وَكِيع قال حدّثنا محمد بن إسماعيل قال قال عبد العزيز بن عمْران:

اجتمع ابن هَرْمَةَ وابنُ مَيّادةَ عند جُمَيْع بن عُمَر بن الوليد، فقال ابن ميّادة لابن هرمة: قد كنتُ أُحبُّ أن ألقاك. ثم ذكر نحوه.

أنكر عليه أن تمضغ الناطف مع قدوم وزير فحمله وتلقى به الموكب:

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثنا عليّ بن محمد بن سليمان النَّوْفَليّ قال حدّثني أبو سَلَمَةَ الغِفَاريّ عن أبيه قال:

وفدتُ على المهديّ في جماعة من أهل المدينة، وكان فيمن وَفَد يُوسُفُ بن مَوْهَبٍ[٦] وكان في رجال بني هاشم من بني نَوْفَلٍ، وكان معنا ابن هَرْمة؛ فجلسنا يوماً على دُكّان قد هُيِّىء لمسجد ولم يُسَقَّف، في عسكر المهديّ؛ وقد كنّا نلقَى الوزراء وكُبَراء / السلطان، وكانوا قد عرفونا؛ وإذا حِيالَ الدُّكّان رجلٌ بين يديه ناطِفٌ[٧] [٤/٣٧١] يبيعه في يوم شاتٍ شديدِ البَرْدِ، فأقبل إذ ضربه بفأسه فتطاير جُفُوفاً؛ فأقبل ابن هرمة علينا، فقال ليوسف: يـأبنَ عمّ رسول الله ـ ﷺ ـ أمَا معك درهمٌ نأكل به من هذا الناطف؟ فقال له: متى عَهِدتَني أحمِلُ الدّراهم! قال: فقلت له: لكنّي أنا معي، فأعطيتُه / درهماً خفيفاً[٨]، فاشترى به ناطفاً على طَبَق للنّاطِفيّ فجاء بشيء كثير، فأقبل يتمضّغه ١٠٤/٤

(١) يقال: ملأ فلان عنان جواده إذا أعداه وحمله على الحضر الشديد.

(٢) كذا في ء. ط. والمناقل: السريع نقل القوائم. وفي سائر الأصول: «مثاقل» بالثاء المثلثة وهو تصحيف.

(٣) الألف: الثقيل البطيء.

(٤) كذا في أكثر النسخ. وفي ء، ط: «جَرْي» والجراء (بالفتح والكسر) والجراية والجري (بالفتح فيهما): الفترة.

(٥) زيادة عن ط ،ء.

(٦) في «اللسان» و «القاموس» و «شرحه» مادّة وهب: «وموهب كمقعد اسم. قال سيبويه: جاؤوا به على مفعل (بالفتح) لأنه اسم ليس على الفعل؛ إذ لو كان على الفعل لكان مفعلاً (بكسر العين). فقد يكون ذلك لمكان العلمية؛ لأن الأعلام مما تغير القياس» اهـ.

(٧) الناطف: نوع من الحلواء. وقال الجوهري: هو القُبَّيْط لأنه يتنطف قبل استضرابه أي يقطر قبل خثورته. وجعل النابغة الجعدي الحمر ناطفاً فقال:

وبـات فـريـق ينضحـون كـأنمـا سُقُـوا نـاطفـاً مـن أذرعـات مفلفـلا

وكذلك جعلها ابن هرمة، كما سيأتي قريباً في ص ٣٧٣.

(٨) يريد بذلك الدراهم الصغار ذات الوزن الخفيف. قال المقريزي في كتابه «شذور العقود في ذكر النقود» (ص ١٦ طبع أوروبا): «وكان الناس قبل عبد الملك يؤدّون زكاة أموالهم شطرين من الكبار والصغار. فلما اجتمعوا مع عبد الملك على ما عزم عليه عمد إلى درهم واف، فوزنه فإذا هو ثمانية دوانيق، وإلى درهم من الصغار فإذا هو أربعة دوانيق، فجمعهما وحمل زيادة الأكبر على نقص الأصغر وجعلهما درهمين متساويين زنة كل منهما ستة دوانيق سواء» اهـ. ثم قال: «صنع عبد الملك في الدراهم ثلاث فضائل: الأولى أن كل سبعة مثاقيل زنة عشرة دراهم والثانية أنه عدل بين كبارها وصغارها حتى اعتدلت وصار الدرهم ستة دوانيق. والثالثة أنه موافق لما سنه رسول الله ﷺ في فريضة الزكاة بغير وكس ولا إشطاط؛ فمضت بذلك السنة واجتمعت عليه الأمة. . . . . إلخ».

وحدَه ويحدّثنا ويضحَك. فَما رَاعنا إلاّ مَوْكِبُ أحدِ الوزيرين: أبي عُبيد الله أو يعقوب بنِ دَاوُد. ثم أقبلتِ المُطَرِّقة[١]؛ فقلنا: مالك قاتلكَ الله! يهجُم علينا هذا وأصحابُه، فيرَوْن الناطقَ بين أيدينا فيظنُّون أنّا كنّا نأكل معك. قال: فواللّهِ ما أحدٌ أولَى بالسَّتْرِ على أصحابه وتَقَلُّد البليّة منك يـاَبنَ عمّ رسول الله! فضَعْه بين يديك. قال: اعزُبْ[٢] قَبّحك الله! قال: فأنت يـاَبنَ أبي ذَرّ، فزبَرْته[٣]. / قال: فقال: قد علمتُ أنه لا يُبْتَلَى بهذا إلاّ دَعِيٌّ أدعياءَ [٤/٣٧٢] عاضٌّ كذا من أمّه. ثم أخذ الطبق في يده فحمله وتلقّى به الموكِبَ، فما مرَّ به أحدٌ له نباهةٌ إلاّ مازَحه، حتى مضى القومُ جميعاً.

مدح عبدالله بن حسن فأكرمه:

وقال هارون حدّثني أبو حُذَافة السَّهْمِيّ قال حدّثنا إسحاق بن نِسْطَاس قال:

كان ابن هَرْمَة مشتهراً بالنبيذ، فأتى عبدَالله بن حسنٍ وهو بالسَّيَالة[٤]، فأنشده مديحاً له. فقام عبدُالله إلى غنم كانت له، فرمَى بساجةٍ[٥] عليها فافترقتْ فِرْقتين، فقال: اخترْ أيَّهما شئت ـ قال: فإمّا أن تكون زادت بواحدة أو نقصتْ بواحدة على الأخرى. قال: وكانت ثلاثمائة ـ وكتب له إلى المدينة بدنانير. فقال له: يا ابنَ هرمة، انقُلْ عِيالَك إلينا يكونوا مع عيالنا. فقال: أفعَلُ يـاَبنَ رسول الله ﷺ.

دعاه صديق وهو يزمع السفر إلى النبيذ فشرب حتى حمل سكران:

ثم قَدِم ابن هَرْمَةَ المدينةَ وجَهَّز عيالَه لينقلهم إلى عبد الله بن حسن، واكترى من رجلٍ من مُزَيْنة.

فبينَا هو قد شَدّ متاعَه وحَمله والكرِيُّ[٦] ينتظره أن يتحمَّل، إذ أتاه صديق له، فقال: أيْ أبا إسحاق، عندي والله نبيذٌ يُسْقِط لحمَ الوجه. فقال: وَيْحَكَ! أمَا ترانا على مثل هذه الحال! أعليها يمكن الشراب! فقال: إنما هي ثلاثة لا تَزِدْ عليهنّ شيئاً. فمضى معه وهم وقوف ينظرون[٧]؛ فلم يزل يشرب حتى مضى من الليل صدرٌ صالح؛ ثم أُتِي به وهو سكران، فطُرِح في شِقّ المَحْمِل وعادلته[٨] امرأته ومضَوْا.

«لامته امرأته على ذلك فأجابها بشعر»:

فلمّا أسْحَرُوا رفع رأسَه فقال: أين أنا؟ فأقبلتْ عليه امرأتُه تلومه وتعذُله، وقالت: قد أفسد عليك هذا النبيذُ دِينَك ودنياك، فلو تعلّلت عنه[٩] بهذه الألبان! فرفع رأسَه إليها وقال:

---

(١) لعله يريد بهم الذين يتقدّمون الموكب يفسحون له الطريق.

(٢) أي اذهَبْ وابعُدْ.

(٣) زبره هنا: نهره وأغلظ له في القول.

(٤) السيالة كسحابة: موضع بقرب المدينة على مرحلة.

(٥) الساجة: ضرب من الملاحف منسوجة، أو هي واحدة الساج وهو خشب يجلب من الهند.

(٦) الكريّ كغني: المكاري.

(٧) في ء، ط، م: «ينتظرون»، وهما بمعنى واحد.

(٨) عادلته أي كانت معه في الشق الآخر من المحمل.

(٩) كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «عليه»، وهو تحريف.

[٤/٣٧٣] / لا نبتغي[1] لبنَ البعيرِ وعندنا ... ماءُ الزَّبيبِ وناطفُ المِعْصارِ

هو أحد من ختم بهم الشعراء في رأي الأصمعيّ:

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وَكِيعٌ قال حدّثنا زكريّا بن يحيى بن خَلّاد قال:

كان الأصمعيّ يقول: خُتِم الشعراءُ بابن هَرْمةَ، والحَكَم الخُضْرِيّ[2]، وابنِ مَيّادةَ، وطُفَيْلٍ الكِنانيّ، ومَكِينٍ[3] العُذْرِيّ.

رهن رداءه في النبيذ:

قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثني أبو حُذَافةَ السَّهْمِيّ أحمد بن إسماعيل قال:

كان ابنُ هَرْمةَ مُدْمناً للشراب مُغْرَماً به؛ فأتى أبا عمرو بنَ أبي راشِد مولى عَدْوان؛ فأكرمه وسقاه أيّاماً ثلاثةً. فدعا ابنُ هَرْمةَ بالنبيذ؛ فقال له غلامٌ لأبي عمرو ابن أبي راشد: قد نَفِد نبيذُنا. فنزع ابن هَرْمةَ رداءَه عن ظهره فقال للغلام: اذْهَبْ به إلى ابن حونك[4] (نبّاذ كان بالمدينة)، فارْهَنْه عنده وأْتِنا بنبيذٍ، ففعل. وجاء ابن[5] أبي راشد، فجعل يشرَب معه من ذلك النبيذ. فقال له: أين رِداؤك يا أبا إسحاق؟ فقال: نصْفٌ في القَدَح ونصفٌ في بطنك.

مدح محمد بن عمران الطلحيّ فاحتجب عنه فمدح محمد بن عبد العزيز فأجازه:

قال هارون حدّثني محمد بن عمر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عَوْف الزُّهْرِيّ قال حدّثني عمّي عبد العزيز بن إسماعيل قال:

[٤/٣٧٤] [١٠٥/٤] / مدح ابنُ هَرْمة محمدَ بن عِمْرانَ الطَّلْحيّ، وبعث إليه بالمدِيح مع / ابن رُبَيح[6]، فاحتجب عنه؛ فمدح محمدَ بنَ عبد العزيز؛ وكان ابن هَرْمةَ مريضاً، فقال قصيدتَه التي يقول فيها:

إنّي دعوتُكَ إذْ جُفِيتُ وشَفَّني ... مرضٌ تَضاعفني[7] شديدُ المُشْتكَى

وحُبِستُ عن طلب المَعِيشةِ وارتقتْ ... دوني الحوائجُ في وُعورِ المُرْتَقَى

فأجِبْ أخاك فقد أناف بصوته ... يا ذا الإخاء ويا كريمَ المُرْتَجَى

---

(١) في ط، م، ء: «لا تبتغي» بالتاء الفوقية. ويكون الخطاب، على هذه الرواية لأنثى.

(٢) في ب، س: «الحضرمي» وهو تصحيف.

(٣) كذا في حـ،ء، ط «والشعر والشعراء» (ص ٤٧٣ طبع أوروبا). وفي ب، س: «دكين» بالدال المهملة. وفي م: «ذكين» بالذال المعجمة.

(٤) في حـ: «ابن هويك». وقد ضبط فيها بالقلم بضم الهاء وفتح الواو وسكون الياء. وفي م: «ابن حوقل» بالقاف واللام.

(٥) كذا في أكثر النسخ. وفي س، م: «وجاء إلى ابن حوقل بن أبي راشد» بزيادة «إلى ابن حوقل» سهواً من الناسخ.

(٦) كذا في ط،ء، م، وسيذكر غير مرة في جميع الأصول كذلك. وفي حـ: «ابن زنيج» بالزاي والنون والجيم. وفي ب، س: «ابن ربيع»، وكلاهما تحريف. وابن ربيح هذا هو راوية ابن هرمة.

(٧) كذا في أكثر الأصول. ولم نجد هذه الصيغة في كتب اللغة تدل على المعنى المراد هنا وهو أضعفني وأسقمني. وفي م، حـ: «يضاعفني» بالياء وضاعفه: جعله ضعفين. فلعل المراد على هذه الرواية: مرض يضاعف شكواي.

ولقـد حُفِيـتَ[١] صَبيـتَ عُكَّـةِ[٢] بَيْتِنـا ... ذَوْبـاً[٣] ومِـزْتُ بصَفْـوِه عنـك القَـذَى

فخُـذِ الغَنِيمـةَ واغتنمنـي إنَّنـي ... غُنْـمٌ لمثلـك والمكـارمُ تُشْتَـرَى

لا تَـرْمِيَـنَّ بحـاجتـي وقضـائهـا ... ضَرَحَ[٤] الحجاب كما رَمَى بي مَنْ رَمَى

فرَكِب إلى جعفر بن سُليمان نصفَ النَّهار؛ فقال: ما نَزَعك[٥] يا أبا عبد الله في هذا الوقت؟ قال: حاجةٌ لم أرَ فيها أحداً أكْفَى منّي. قال: وما هي؟ قال: قد مَدحني ابن هَرْمَةَ بهذه الأبيات، فأردتُ من أرزاقي مائة دينار. قال: ومنْ عندي مثلُها / قال: ومن الأمير أيضاً! قال: فجاءتِ المائتا الدينارِ إلى ابن هَرْمَةَ، فما أنفق منها إلاّ ديناراً [٤/٣٧٥] واحداً حتّى مات، وورث الباقي أهلُه.

امتدح أبا جعفر فلما أجازه لم يرض وطلب أن يحتال له في إباحة الشراب:

وقال أحمد بن أبي خيْثمةَ عن أبي الحسن المَدَائنيّ قال:

اِمتدح ابنُ هَرْمَةَ أبا جعفر فوصَله بعشرة آلاف درهم. فقال: لا تَقَع منّي هذه. قال: وَيْحَك! إنّها كثيرة. قال: إنْ أرادتَ أن تَهْنِئني فأَبِحْ لي الشرابَ فإنّي مُغْرَمٌ به. فقال: وَيْحَك! هذا حَدٌّ من حُدود الله. قال: احْتَلْ لي يا أمير المؤمنين. قال نعم. فكتب إلى والي المدينة: مَنْ أتاك بابن هَرْمَةَ سكرانَ فاضْرِبهُ مائةً واضْرِب ابن هرمة ثمانين. قال: فجعل الجِلْوَازُ[٦] إذا مرّ بابن هرمة سكرانَ، قال: مَنْ يشتري الثمانين بالمائة!

امتدح الحسن بن زيد فأجازه وعرض بعبد الله بن حسن وأخويه لأنهم وعدوه وأخلفوه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني أبو زيد عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو سَلَمَةَ الغِفَاريّ قال أخبرنا ابن رُبَيْح رَاوِيةُ ابن هَرْمَةَ قال:

أصابتِ ابنَ هَرْمَةَ أزمةٌ؛ فقال لي في يومٍ حارٍّ: اذْهَبْ فتكَارَ حِمَارَيْنِ إلى سِتّةِ أميال، ولم يُسَمِّ موضعاً. فرَكِبَ واحداً وركبتُ واحداً، ثم سِرْنا حتى صِرْنا إلى قصور الحسن بن زيد بَبطحاء ابنِ أزْهَر، فدخلنا مسجدَه. فلمّا مالتِ الشمسُ خرج علينا مُشْتَمِلاً على[٧] قَمِيصه، فقال لمولًى له: أَذِّنْ فأذّن، ولم يكلّمنا كلمةً. ثم قال له: أَقِمْ فأقام، فصلّى بنا، ثم أقبل على ابن هَرْمَةَ فقال: مرحباً بك يا أبا إسحاق، حاجَتَك؟ قال: نعم، بأبي أنت وأمي، أبياتٌ قلتُها ـ وقد كان عبدُ الله وحسنٌ وإبراهيم بنو حسن بن حسن وعَدُوه شيئاً فأخلفوه ـ فقال: هاتِها. فقال:

---

(١) حفيت: أُعطيت. وفي م: «خفيت» بالخاء المعجمة وهو تصحيف وفي ب، ط،ء، س: «جفيت» بالجيم وهو تصحيف أيضاً. وفي حـ: «خبيت» ولعلها مصحفة عن «حُبيت» وهي «كحفيت» وزناً ومعنى. والذي ظهر لنا في معنى البيت أنه يريد: لقد منحت خير ما نملك وهو ما في عكتنا من عسل مصفى، يكنى بذلك عن مديحه الحسن.

(٢) العكة: زقيق صغير للسمن والعسل. وفي الحديث: أن رجلاً كان يهدي للنبيّ ﷺ العكة من السمن والعسل. قال ابن الأثير في «النهاية»: «وهي وعاء من جلود مستدير، يختص بهما وهو بالسمن أخص».

(٣) الذوب: العسل.

(٤) كذا في ء، ط. والضرح: أن يؤخذ شيء فيرمي به في ناحية. وفي ب، س: «ضوح» بالواو. وفي م: «صرح» بالصاد وكلاهما تحريف.

(٥) ما نزعك يريد: ما حركك من مكانك وما جاء بك.

(٦) الجلواز: الشرطيّ؛ سمى بذلك لسرعته وخفته في ذهابه ومجيئه بين يدي الأمير.

(٧) كذا في جميع النسخ. وهذا الفعل إنما يتعدى بالباء.

[٣٧٦/٤] / أما بنو هاشمٍ حولي فقد قرعوا نَبْلَ الضِّبابِ[١] التي جَمعتُ في قَرَنِ

فما بيثربَ منهم مَنْ أعاتبُه إلاّ عَوائدَ أرجوهنّ من حَسَنِ

اللّهُ أعطاك فضلاً مِنْ عَطِيَّتِه على هَنٍ وهَنٍ فيما مَضَى وهَنِ[٢]

قال: حاجَتَكَ! قال: لابن أبي مُضَرِّس عليّ خمسون ومائةُ دينارٍ. قال: فقال لمولى له: يا هَيْثم، اركبْ هذه البغلةَ فأتِني بابن أبي مُضَرِّس وذِكْرِ[٣] حَقِّه. قال: فما صَلّينا العصرَ حتّى جاء به. فقال له: مرحباً بك يابنَ أبي مُضَرِّس، أمَعك ذِكْرُ حَقِّك على ابن هرمة قال نعم. قال: فامْحُه، فمحاه. ثم قال: يا هيثم، بِعِ ابنَ أبي مُضَرِّس من تمرِ[٤] الخانِقَيْنِ بمائة وخمسين ديناراً وزِدْه على[٥] كلِّ دينار ربعَ / دينار، وكِلِ ابنَ هرمة بخمسين ومائةِ دينارٍ [١٠٦/٤] تمراً، وكِلِ ابنَ رُبَيْح بثلاثين ديناراً تمراً. قال: فانصرفنا من عنده؛ فلَقِيَه محمد بن عبدالله بن حسن بالسَّيَالة، وقد بلَغه الشعرُ، فَغضِب لأبيه وعُمومته فقال: أيْ ماصَّ بَظْرِ أُمّه! أنت القائل:

* على هَنٍ وهَنٍ فيما مَضَى وهَنِ *

فقال: لا والله! ولكنّي الذي أقول لك:

لا والّذي أنتَ منه نِعمةٌ سَلَفتْ نرجو عَواقِبَها في آخِرِ الزّمَنِ

لقد أُتيتُ بأمرٍ ما عَمَدتُ له ولا تعمَّده قولي ولا سَنَني

[٣٧٧/٤] / فكيف أمشي مع الأقوام معتدلاً وقد رَميتُ بَريءَ العُودِ بالأُبَنِ[٦]

ما غَيَّرتْ وجهَه أمٌّ مُهَجَّنةٌ إذا القَتامُ تَغَشَّى أوجُهَ الهُجُنِ[٧]

قال: وأمّ الحسن أمّ ولد.

لما عرض بعبدالله بن حسن وإخوته قطع عنه ما كان يجريه عليه فما زال به حتى رضي:

قال هارون: فحدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَبَايةَ قال:

لمّا قال ابنُ هَرْمةَ هذا الشعرَ في حسن بن زيد، قال عبدُالله بن حسن: واللّهِ ما أراد الفاسقُ غيري وغيرَ أخَوَيّ: حسنٍ وإبراهيم. وكان عبدُالله يُجْرِي على ابن هَرْمة رزقاً فقطعه عنه وغَضِب عليه. فأتاه يعتذر، فنُحّي وطُرِدَ؛ فسأل رجالاً أن يكلّموه، فردّهم؛ فيئس من رضاه واجتنبه وخافه. فمكث ما شاء الله، ثم مرّ عشيّةً وعبدُالله

---

(١) الضباب هنا: الأحقاد. يقال: في قلبه ضب أي غل داخل، كالضب الممعن في حجزه. والظاهر أنه يريد أن يقول: إنهم سلوا أحقادهم وأظهروا عداوتهم وأنا قد كتمتها وأخفيتها.

(٢) هن: كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان. وقد كررها الشاعر ثلاثاً لأنه أراد ثلاثة أشخاص معينين.

(٣) ذكر الحق: الصك الذي يكتب فيه الدين.

(٤) في ط،ء: «ثمر» بالثاء المثلثة. والخانقان: موضع بالمدينة وهو مجمع مياه أوديتها الثلاثة: بطحان والعقيق وقناة.

(٥) في ط،ء، م: «وزده في كل دينار».

(٦) الأبن: جمع أبنة وهي العقدة تكون في العود تفسده ويعاب بها. وقولهم: ليس في حسب فلان أُبنة، أي عيب، مأخوذ من هذا.

(٧) الهجين: من أبوه خير من أمه أو من أبوه عربيّ وأمه غير عربية، وجمعه: هُجُن وهُجناء وهُجْنان ومهاجين ومهاجنة.

على زَرْبِيَّة[1] في مَمَرِّ المنبر، ولم تكن تُبسَطُ لأحدٍ غيرِه في ذلك المكان. فلمّا رأى عبدَالله تضاءل وتَقَنْفَذَ وتصاغر وأسرع المشيَ. فكأنّ عبدَالله رقَّ له، فأمر به فرُدَّ عليه، فقال: يا فاسقُ، يا شاربَ الخمر، على هَنٍ وهَنٍ! أتُفَضِّل الحسنَ عليّ وعلى أخَوَيّ! فقال: بأبي أنت وأمّي! وربِّ هذا القبر ما عَنَيْتُ إلاّ فرعونَ وهامانَ وقارونَ، أفتغضبُ لهم! فضحك وقال: واللّهِ ما أحسَبُك إلاّ كاذباً. قال: والله ما كَذَبْتُك. فأمَر بأن تُرَدَّ عليه جِرايتُه.

قصيدة له خالية من الحروف المعجمة:

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال أخبرني أبو أيُّوبَ المَدِينيّ عن مُصْعَب قال:

إنّما اعتذر ابنُ هَرْمةَ بهذا إلى محمد بن عبدالله بن حسن.

قال يحيى: وأخبرني أبو أيُّوب عن عليّ بن صالح قال:

/ أنشدني عامر بن صالح قصيدةً لابن هَرْمةَ نحواً من أربعين بيتاً، ليس فيها حرف يُعْجَم؛ وذكر هذه الأبياتَ [٤/٣٧٨] منها. ولم أجد هذه القصيدة في شعر ابن هرمة، ولا كنتُ أظنّ أن أحداً تقدَّم رُزَيْناً العَرُوضِيّ إلى هذا الباب. وأوّلها:

أرَسْـــمُ سَـــوْدةَ أمســـى دارسَ الطَّلَـــلِ ... مُعَطَّـــلاً ردّه الأحـــوالُ كـــالحُلَـــلِ

هكذا ذكر يحيى بن عليّ في خبره أنّ القصيدة نحوٌ من أربعين بيتاً؛ ووجدتها في رواية الأصمعيّ ويعقوب بن السِّكّيت اثني عشر بيتاً، فنسختُها هاهنا للحاجة إلى ذلك. وليس فيها حرف يُعْجَم إلاّ ما اصطلح عليه الكُتّاب من تصبيرهم مكانَ ألفٍ ياءً مِثل «أعْلَى» فإنّها في اللفظ بالألف وهي تكتب بالياء، ومثل «رَأى» ونحو هذا، وهو في التحقيق في اللفظ بالألف، وإنما اصطلح الكُتّاب على كتابته بالياء كما ذكرناه. والقصيدة:

أَرَسْـــمُ سَـــوْدةَ مَحْـــلٌ دارسُ الطَّلَـــلِ ... مُعَطَّـــلٌ ردّه الأحـــوالُ كـــالحُلَـــلِ

لمّـــا رأى أهلَهـــا سَـــدّوا مَطـــالِعَهـــا ... رام الصُّـــدودَ وعـــاد الـــوُدُّ كـــالمُهُـــلِ[2]

وعـــــاد وُدُّك داءً لا دواءَ لـــــــه ... ولـــو دعـــاك طَـــوالَ الـــدّهـــرِ للـــرِّحَـــلِ

/ مـــا وَصْـــلُ سَـــوْدةَ إلاّ وَصْـــلُ صـــارمـــةٍ ... أحلَهـــا[3] الـــدهـــرُ داراً مـــأْكَـــلَ الـــوَعِـــلِ[4] [١٠٧/٤]

وعـــاد أمـــواهُهـــا سُـــدْمـــاً[5] وطـــارَ لهـــا ... سَهْـــمٌ دعـــا أهلَهـــا لِلصُّـــرْم والعِلَـــلِ

---

(١) الزربية (بفتح فسكون): البساط والنمرقة، وقيل: هي كل ما بسط واتكيء عليه، والجمع زرابيّ.

(٢) كذا في أكثر الأصول. والمهل: ما ذاب من صفر أو حديد؛ وبه فسر قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾. وحركت هاؤه للضرورة. ولعله يريد أنه لما حيل بينه وبينها عانى من وده لها ما يعانيه متجرّع هذا الشراب. وفي حـ:

* رام الصدود وعاد الودّ كالعمل *

(٣) في ء، ط، م:

* أحلها الودّ دهراً معقل الوعل *

وهذا لا يتفق والإهمال المراد في هذه القصيدة.

(٤) الوعل: تيس الجبل. يريد بذلك استعصاءها ومنعتها.

(٥) سدماً: متغيرة من طول المكث.

صَدُّوا وصدّ وساء المرءَ صَدُّهُمُ وحام للورْدِ رَدْهاً حَوْمةَ العَلَلِ

ـ حَوْمة الماء، كثرته وغَمْرته[١]. والعَلَل: الشُّرْب الثاني. والرَّدْهُ: مُسْتنقَع الماء ـ:

/379 / وحَلَّئُوهُ[٢] رِدَاهاً ماؤُها عَسَلٌ ما ماءُ رَدْهٍ لَعَمْرُ اللّهِ كالعَسَلِ

دعا الحَمَامُ حَماماً سَدَّ مَسْمَعَه لمّا دعاه رآه[٣] طامحَ الأملِ

طُمُوحَ سارحةٍ[٤] حَوْمٍ مُلَمَّعَةٍ ومُمْرِعُ السرِّ سهلٌ ماكِدُ السَّهَلِ

وحاولوا رَدَّ أمرٍ لا مَرَدَّ له والصُّرْمُ داءٌ لأهلِ اللَّوعةِ الوُصُلِ

أحلَّكَ اللّهُ أعْلَى كلّ مَكْرُمةٍ واللّهُ أعطاك أعلى صالِح العَمَلِ

سهلٌ مَوَارِدُهُ سَمْحٌ مَوَاعِدُهُ مُسَوَّدٌ لِكرامٍ سادةٍ حُمُلِ[٥]

عاب المسوّر بن عبد الملك شعره فقال فيه شعراً:

قال يحيى بن عليّ وحدّثني أبو أيُّوب المَدِينيّ عن أبي حُذَيفةَ قال:

كان المُسَوَّرُ بن عبد الملك المَخْزُوميّ يَعِيب شعرَ ابن هَرْمةَ، وكان المُسَوَّرُ هذا عالماً بالشعر والنّسب[٦]؛ فقال ابن هَرْمةَ فيه:

إيّاكَ لا ألْزِمَنْ لَحْيَيْكَ من لُجُمِي نِكْلاً[٧] يُنَكِّلُ قَرّاصاً[٨] من اللُّجُمِ

يَدُقُّ لَحْيَيْكَ أو تنقادَ مُتَّبِعاً مَشْيَ المُقَيَّدِ ذي القِرْدانِ[٩] والحَلَمِ

/380 / إنّي إذا ما امرؤٌ خَفَّتْ نَعامَتُهُ[١٠] إليّ واسْتَحْصَدتْ منه قُوَى الوَذَمِ[١١]

عقدتُ في مُلْتَقَى أوداج لَبَّتِه طَوقَ الحمامةِ لا يَبْلَى على القِدَمِ

(١) هذا التفسير غير واضح. ولعله المرة من الحوم.

(٢) حلأهم عن الماء: منعهم عنه.

(٣) كذا في ء، ط و «مختار الأغاني» لابن منظور. وفي سائر الأصول:

* لما دعاه ودهر طامح الأمل *

(٤) السارحة: الماشية. والحَوْم: القطيع الضخم. والملمع: الذي في جسده بقع تخالف سائر لونه. والممرع: المخصب. والسر هنا: بطن الوادي وأكرم موضع فيه. والماكد: الدائم الذي لا ينقطع.

(٥) حمل: جمع حمول، وهو كثير الاحتمال لما ينوبه لحلمه وكرمه.

(٦) كذا في ط،ء. وفي باقي الأصول: «... والنسيب».

(٧) النكل: اللجام.

(٨) كذا في ط،ء. والقرّاص (بالصاد المهملة): وصف من القرص وهو معروف. وفي سائر الأصول: «قراضاً» بالضاد المعجمة. والقرّاض: القطاع، وبه يستقيم المعنى أيضاً.

(٩) القردان: جمع قراذة وهي دويبة تتعلق بالبعير ونحوه. والحلم (بالتحريك واحده حلمة بالتحريك أيضاً) قيل: هو الصغير من القراد وقيل: هو الضخم، وهو الأشهر. قال الأصمعي: القراد أوّل ما يكون صغيراً: قَمْقامة ثم يصير حَمْنانة ثم يصير قُراداً ثم حلمة.

(١٠) النعامة هنا: القدم. ويكنى بخفة النعامة عن السرعة؛ يقال: خفّت نعامتهم، أو شالت نعامتهم، إذا أسرعوا.

(١١) الوذم (بالتحريك): سيور تقدّ مستطيلة. واستحصد قواها: إحكام فتلها. وقد يكنى بذلك عن الغضب؛ فيقال: استحصد حبل فلان إذا غضب.

إنّـي امـرؤٌ لا أصـوغ الحَلْـيَ تَعْمَلُـه كفّـايَ لكـن لِسـانـي صـائـغُ الكَلِـمِ

إنَّ الأديـمَ الـذي أمسيـتَ تَقْـرِظُـه جَهْـلاً لـذو نَغَـلٍ بـادٍ وذو حَلَـمِ[1]

ولا يَئِـطُّ[2] بـأيـدي الخـالقيـنَ ولا أيـدي الخَـوالِـقِ إلاّ جَيِّـدُ الأَدَمِ

عاتب عبدالله بن مصعب في تفضيله ابن أذينة عليه:

قال يحيى وحدّثني أبو أيّوب عن مُصْعَب بن عبدالله عن أبيه قال:

لَقِيني ابن هَرْمَةَ فقال لي: يـاَبنَ مُصْعَب، أتُفَضِّل عليّ ابنَ أذَيْنَةَ! أمَا شكرتَ قولي:

فمـا لَـكَ مُخْتَـلاً عليـك خَصَـاصـةٌ كـأنّـك لـم تَنْبُـتْ ببعـض المَنَـابِـتِ

كـأنّـك لـم تَصْحَـبْ شُعَيْـبَ بـنَ جَعْفَـرٍ ولا مُصْعَبـاً ذا المَكْـرُمـاتِ ابـنَ ثـابـتِ

ـ يعني مُصْعَب بن عبدالله ـ قال: فقلت: يا أبا إسحاق، أَقِلْني وَرَوِّني من شعرك ما شئتَ؛ فإنّي لم أَرْوِ لك شيئاً. فروّاني عَبّاسِيّاتِه[3] تلك.

ثناؤه على إبراهيم بن عبدالله وإبراهيم بن طلحة لإكرامهما له وشعره في الأوّل:

قال يحيى: وأخبرني أبو أيّوب المَدِينيّ عن مُصْعَب بن عبدالله عن مصعب بن عثمان قال:

/ قال ابن هرمة: ما رأيتُ أحداً قطُّ أسْخَى ولا أكرم من رجلين: إبراهيم بنِ عبدالله بن مُطِيع، وإبراهيم بن طَلْحَةَ بن عمرو بن عبدالله بن مَعْمَر. أمّا إبراهيم بن طلحة فأتيتُه فقال: أَحْسِنوا ضِيافة أبي إسحاق، فأتيتُ بكلّ شيء من الطعام، فأردت أن أُنْشِدَه؛ فقال: ليس هذا وقتَ الشعر. ثم أخرج الغلامُ إليّ رُقْعةً فقال: ائتِ بها الوكيلَ. فأتيتُه بها، فقال: إنْ شئتَ أخذتُ لك جميع ما كتب به، وإن شئتَ أعطيتُك القيمة. قلت: وما أَمَر لي به؟ فقال: مائتا شاةٍ برِعائها وأربعة أجمالٍ وغلامٌ جَمَّالٌ ومِظَلَّة وما تحتاج إليه، وقُوتُك وقوتُ عِيالك سنةً. قلت: فأَعْطِني القيمة؛ فأعطاني مائتي دينار. وأمّا إبراهيم / بن عبدالله فأتيتُه في منزله بمُشَاش[4] على بئر ابن[5] الوليد بن عثمان بن عَفّان؛ فدخل إلى منزله ثم خرج إليّ برُزْمة من ثياب وصُرَّةٍ من دراهم ودنانير وحُليّ، ثم قال: لا واللّهِ ما بَقّينا في منزلنا ثوباً إلاّ ثوباً نُوارِي به امرأة، ولا حَلْياً ولا ديناراً ولا درهماً. وقال يمدح إبراهيم:

أرَّقَتْنـي تَلُـومُنـي أُمُّ بكـرٍ بعـد هَـدْءٍ واللَّـوْمُ قـد يُـؤْذِينـي

حَـذَّرَتْنـي الـزمـانَ ثُمَّـتَ قـالـتْ ليـس هـذا الـزمـانُ بـالمـأمـون

(١) الأديم: الجلد. ويقرظه: يدبغه بالقرظ لإصلاحه. والنغل (بالتحريك): الفساد. والحلم (بالتحريك): فساد في الجلد، سببه أنه يقع فيه دود فيتثقب.

(٢) يئط: يصوّت. والخالقون: وصف من قولهم: خلق الجلد إذا قدّره قبل قطعه.

(٣) لعله يريد قصائده التي مدح بها بني العباس.

(٤) مشاش: (بضم أوله وشين معجمة أيضاً في آخره): موضع بين دار بني سليم وبين مكة، وبينه وبين مكة نصف مرحلة. (انظر «معجم ما استعجم» للبكري في اسم مشاس ج ٢ ص ٥٦٠ طبع أوروبا).

(٥) في ء، ط: «بئر الوليد». وكان لعثمان بن عفان (رضي الله عنه) ابن يسمى الوليد، ولا ندري أكانت هذه البئر له أم لابنه.

قلتُ لمّا هَبَبْتُ تُحذّرني الدَّهْـ ـرَ دَعِي اللَّوْمَ عنكِ واسْتَبْقِيني
إنّ ذَا الجُودِ والمَكَارمِ إبرا هيمَ يَعْنيه كلُّ ما يعْنِيني
قد خَبَرْناه في القديم فألفَيْـ ـنَا مَوَاعِيده كعَيْنِ اليقين
قلتُ ما قلتُ لِلّذي هو حقٌّ مستبينٌ لا لِلَّذي يُعْطِيني
/ نَضَحتْ أرضَنا سماؤك بعد الـ ـجَدْبِ منها وبعد سُوء الظُّنونِ
فرَعَيْنا آثارَ غَيْثٍ هَرَاقَتْـ ـهُ يَدَا مُحْكَمِ القُوَى ميمونِ

[٣٨٢/٤]

طلب من محمد بن عمران علفاً بإغراء محمد الزهري فأعطاه كل ما ورده:

وقال هارون حدّثنا حمّاد عن عبدالله بن إبراهيم الحَجَبيّ:

أنّ إبلاً لمحمد بن عِمْران تحمل علفاً مرّتْ بمحمد بن عبد العزيز الزُّهْرِيّ ومعه ابن هَرْمةَ، فقال: يا أبا إسحاق، ألاَ تستعلف محمدَ بن عِمْرانَ! وهو يريد أن يُعَرّضه لمَنْعِه فيهجوه. فأرسل ابن هرمة في أثر الحَمُولة رسولاً حتّى وقف على ابن عِمْران، فأبلغه رسالتَه؛ فردّ إليه الإبل بما عليها، وقال: إنِ احتجتَ إلى غيرها زِدناك. فأقبل ابن هَرْمة على محمد بن عبد العزيز فقال له: اغسِلْها عنّي، فإنّه إنْ علِم أنّي استعلفته ولا دابّةَ لي وقعتُ منه[1] في سَوْءة. قال: بماذا؟ قال: تُعْطِيني حمارَك. قال: هو لك بسَرْجه ولِجامه. فقال ابن هَرْمة: مَنْ حَفَر حفرةَ سَوْءٍ وقَع فيها.

وفد على السري بن عبدالله باليمامة ومدحه فأكرمه وكان يحب أن يفد عليه:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنا أبو يحيى هارون بن عبدالله الزُّهْرِيّ عن ابن زُرَيْق[2]، وكان منقطعاً إلى أبي العبّاس[3] بن محمد وكان من أرْوَى الناس، قال:

كنتُ مع السَّرِيّ بن عبدالله باليَمَامة، وكان يتشوّق إلى إبراهيم بن عليّ بن هَرْمةَ ويُحِبُّ أن يَفِدَ عليه؛ فأقول: ما يمنعك أن تكتب إليه؟ فيقول: أخاف أن يُكلّفني من المؤونة ما لا أُطيق. فكنت أكتب بذلك إلى ابن هَرْمةَ، فَكره[4] أن يَقْدَمَ عليه إلاّ بكتاب منه؛ ثم غُلِب فشخَص إليه، فنزل عليّ ومعه راويتُه ابنُ رُبَيْح. فقلتُ له: ما مَنَعك[5] من القُدوم على الأمير وهو من الحِرْص / على قدومك على ما كتبتُ به إليك؟ قال: الذي منعه من الكِتاب إليّ. فدخلتُ على السَّرِيّ فأخبرتُه بقُدومه؛ فسُرَّ بذلك وجلَس للناس مجلساً عامّاً، ثم أَذِن لابن هَرْمةَ فدخل عليه ومعه راويتُه ابن رُبَيْح. وكان ابن هَرْمة قصيراً دَمِيماً أُرَيْمِصَ[6]، وكان ابنُ رُبَيْح طويلاً جسيماً نقيّ الثياب. فسلّم

[٣٨٣/٤]

---

(١) في ط، ء، م: «وقعت معه».
(٢) كذا في جميع الأصول فيما سيأتي (ص ٣٨٦). وفي أكثر الأصول هنا: «عن أبي زريق». وفي م، س: «ابن أبي زريق».
(٣) أبو العباس بن محمد، هو عبدالله السفاح أوّل خلفاء بني العباس.
(٤) في ط، ء: «فيكره».
(٥) كذا في ط، م. وفي سائر الأصول: «ما يمنعك».
(٦) أريمص: تصغير أرمص، وصف من الرَّمَص في العين وهو كالغَمَص، وقيل: الرمص: ما سال مما تلفظ به العين، والغمص: ما جمد، وقيل العكس.

على السَّرِيّ ثم قال له: أصلحك اللّهُ! إنّي قد قلتُ شعراً أثنيتُ فيه عليك. فقال: أنْشِدْ؛ فقال: هذا يُنشد فجلس. فأنشده ابن رُبَيْح قصيدتَه التي أوّلُها:

عُـوجَـاً علـى رَبْـعِ ليلَـى أُمِّ محمـودِ ... كيمـا نُسـائلَـه مـن دون عَبُّـودِ[1]

عـن أُمِّ محمـودَ إذ شَـطَّ المَـزَارُ بهـا ... لعـلَّ ذلـك يَشْفِـي داءَ مَعمـودِ[2]

فعَـرِّجـا بعـد تغـويـرٍ[3] وقـد وقفـتْ ... شمـسُ النهـارِ ولاذ الظّـلُّ بـالعُـودِ

/ شيئـاً فمـا رَجَعـتْ أطـلالُ منـزلـةٍ ... قَفْـرٍ جـوابـاً لمحـزونِ الجَـوَى مُـودِي[4]

١٠٩/٤

ثم قال فيها يمدح السريّ:

ذاك السَّـرِيُّ الـذي لـولا تَـدَفُّقُـهُ ... بـالعُـرْفِ[5] مُتْنَـا حليفُ المجدِ والجودِ

مَـنْ يَعْتَمِـدْكَ ابـنَ عبـدِالله مجتـديـاً[6] ... لِسَيْـبِ عُـرْفِـك يَعْمِـدْ[7] خيـرَ معمـود

/ يـا ابـنَ الأُسَـاةِ الشُّفَـاةِ المُسْتَغَـاثِ بهـمْ ... والمُطْعِمِيـنَ ذُرَى الكُـومِ المَقَـاحِيـدِ[8]

[٣٨٤/٤]

والسَّـابقيـن إلـى الخيـرات قـومَهُـمُ ... سَبْـقَ الجِيـاد إلـى غـايـاتهـا القُـودِ[9]

أنـت ابـنُ مُسْلَنْطِـحِ البطحـاء مَنْبِتُكُـمْ ... بطحـاءُ مكـةَ لا روسُ القَـرَادِيـدِ[10]

لَكُـمْ سِقَـايَتُهـا[11] قِـدمـاً وَنَـدْوَتُهـا ... قـد حـازهـا والـدٌ منكُـم لمـولـودِ

لـولاَ رجـاؤك لـم تَعْسِـفْ بنـا قُلُـصٌ ... أجـوازَ مهْمَهَـةٍ قَفْـرِ الصُّـوَى بِيـدِ[12]

---

(١) عبود وصَغر: جبلان ما بين المدينة والسيالة ينظر أحدهما إلى الآخر، وبينهما طريق المدينة.

(٢) المعمود: من هدّه العشق.

(٣) التغوير: النزول وقت القائلة. وفي ء، ط: «تعويق». والتعويق: الانصراف عن الشيء والانحباس عنه. وفي «مختار الأغاني» لابن منظور: «تطويل».

(٤) المودي: الهالك.

(٥) كذا في حـ. وفي سائر النسخ:

* بالعرف مات حليف المجد والعود *

(٦) في حـ: «مجتهداً».

(٧) معمود: مقصود.

(٨) كذا في أكثر الأصول. والذرى (بضم الذال): جمع ذروة (بضم الأوّل وكسره). وذروة كل شيء: أعلاه، وذروة السنام والرأس: أشرفهما. والكوم: الضخام الأسنمة، الواحد أكوم وكوماء. والمقاحيد: جمع مقحاد وهي الناقة العظيمة السنام. وفي ء، ط، م: «ذرى الكوم الفراقيد» والفراقيد: جمع فرقد وهو ولد البقرة، وقيل: ولد البقرة الوحشية. وظاهر أن الرواية الأولى هي الصحيحة.

(٩) القود: جمع أقود، وهو من الخيل الطويل العنق.

(١٠) اسلنطح الوادي: اتسع. (انظر ص ٣١٧ من هذا الجزء). وروس: جمع رأس، خففت همزته. والقراديد: جمع قردود وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ، وقيل: جمع قردد، وزادوا الياء كراهية التضعيف.

(١١) السقاية: ما كانت قريش تسقيه الحجاج من النبيذ المنبوذ في الماء، وكان يليها العباس بن عبد المطلب في الجاهلية والإسلام. والندوة: دار الندوة بمكة وهي التي بناها قصيّ. سميت بذلك لاجتماعهم فيها لأنهم كانوا إذا حزبهم أمر ندوا إليها للتشاور.

(١٢) كذا في أكثر الأصول. والعسف: السير في المفازة وقطعها بغير قصد ولا هداية. والصوى: الأعلام من الحجارة تنصب في الفيافي والمفازات المجهولة يستدل بها على الطريق. وفي حـ:

* أجواب مهمهة قفر الطوى بيد *

لكــنْ دعــانــي وميـضٌ لاح معتــرضــاً مــن نحــو أرضِــك فــي دُهْــمٍ مَنَـاضِيـدِ(١)

وأنشده أيضاً قصيدةً مدَحه فيها، أوّلُها:

أفــي طَلَــلٍ قَفْــرٍ تَحَمَّــلَ آهِلُــهْ وقفــتَ ومــاءُ العيــنِ يَنْهَــلُّ هــامِلُــهْ

تُسـائـل عـن سَلْمَـى سَفَـاهـاً وقـد نـأتْ بسلمَـى نَـوًى شَحْـطٌ فكيـف تُسـائلُـهْ

[٤/٣٨٥] / وتـرجـو ولـم يَنْطِـقْ وليـس بنـاطـقٍ جــوابــاً مُحِيــلٌ(٢) قــد تَحَمَّــل آهِلُــهْ

ونُــؤْيٌ كخَــطِّ النُّــونِ مــا إن تَبِينُــه عَفَتْــه ذيــول(٣) مــن شَمَــالٍ تُــذَايِلُــهْ(٤)

ثم قال فيها يمدح السَّرِيّ:

فقُــلْ لِلسَّــرِيِّ الــواصــلِ البَــرِّذي النَّــدَى مــديحــاً إذا مــا بُــثَّ صُــدِّقَ قــائلُــه

جــوادٌ علــى العِــلاَّتِ يَهْتَــزُّ للنَّــدَى كمــا اهتــزَّ عَضْــبٌ أخلصتْــه صَيَــاقِلُــهْ

نَفَــى الظُّلْــمَ عــن أهــل اليَمَــامــةِ عــدلُــه فعــاشُــوا وزاحَ(٥) الظُّلْــمُ عنهــم وبــاطلُــهْ

ونــامــوا بــأَمْــنٍ بعــد خــوفٍ وشِــدَّةٍ بسيــرةِ عَــدْلٍ مــا تخــاف غــوائلُــه

وقــد عَلِــم المعــروفُ أنَّــك خِــدْنُــه ويعلَــم هــذا الجــوعُ(٦) أنَّــك قــاتِلُــه

بــك اللّــهُ أحيــا أرضَ حَجْــرٍ وغيــرَهــا(٧) مــن الأرض حتَّــى عــاش بــالبَقْــلِ آكلُــهْ

وأنــت تُــرَجَّــى لِلَّــذي أنــت أهلُــه وتنفَــع ذا القُــرْبَــى لــديــك وَســائلُــهْ

وأنشده أيضاً مما مدَحه به قولَه:

* عُــوجَــا نُحَــيِّ الطُّلُــولَ بــالكَثَــبِ(٨) *

يقول فيها يمدَحه:

دَعْ عنــك سَلْمَــى وقُــلْ مُحَبَّــرةً(٩) لِمــاجِــدِ الجَــدِّ طَيِّــبِ النَّسَــبِ

= والأجواز والأجواب بمعنى، من جاز المكان وجابه إذا قطعه. والطوى: ما يطوى، من طوى البلاد أي قطعها، وطوى المكان جاوزه إلى غيره.

(١) دهم: سود. ومناضيد: متراكبة بعضها فوق بعض. يريد سحباً هذا وصفها.

(٢) المحيل: الذي أتت عليه أحوال فغيرته. يقال: أحالت الدار وأحولت.

(٣) ذيل الريح: ما انسحب منها على الأرض. وذيل الريح أيضاً: ما تتركه في الرمال على هيئة الرسن، وما جرّته على الأرض من التراب والقتام. وقيل: أذيال الريح وآخيرها التي تكسح بها ما خف لها.

(٤) تذايله: لعله يريد أنها تجرّ عليه ذيولها وتعفيه. وفي أكثر الأصول: «تذائله» بالهمز.

(٥) زاحَ هنا: ذهب؛ فهو لازم مثل انزاح.

(٦) في «مختار الأغاني»: «الجور» بالراء المهملة.

(٧) كذا في أكثر الأصول. وحجر (بالفتح) مدينة اليمامة وأُم قراها. وفي م:

* بك الله أحيا الأرض حجراً وأهلها *

(٨) الكثب (بالتحريك): موضع بديار بني طيء.

(٩) حبر الشعر والكلام: حسنه وأجاده.

مَحْضِ مُصَفًّى العُروقِ يحمَده ... في العُسْرِ واليُسْرِ كُلُّ مُرْتَغِبِ

/ الواهبِ الخَيْلَ في أعِنَّتِها ... والوُصَفاءَ الحِسانَ كالذَّهَبِ [٣٨٦/٤]

مجداً وحمداً يُفيدُه كَرَماً ... والحمدُ في الناس خيرُ مُكْتَسَبِ

قال: فلمّا فرَغ ابن زُبَيْح، قال السَّرِيُّ لابن هَرْمَةَ: مرحباً بك يا أبا إسحاق! ما حاجتك؟ قال: جئتك عبداً مملوكاً. قال: [لا!][1] بل حُرًّا كريماً وابنَ عمّ، فما ذاك؟ قال: ما تركتُ لي مالاً إلاّ رهنتُه، ولا صديقاً إلاّ كلّفته - قال أبو يحيى: يقول لي ابن زُرَيْق[2]: حتّى كأنّ لي ديّاناً وعليه مالاً - فقال له السَّرِيّ: / وما دَيْنُك؟ قال: سبعُمائة دينار. قال: قد قضاها اللهُ عزّ وجلّ عنك. قال: فأقام أيّاماً، ثم قال لي: قد اشتقتُ. فقلت له: قل شِعْراً تَشَوَّقْ فيه. فقال قصيدتَه التي يقول فيها: [١١٠/٤]

أَالحمامةُ[3] في نخل ابن هَدّاجِ ... هاجتْ صَبابةَ عاني القلب مُهْتاجِ

أم المُخْبِرُ أنّ الغَيْثَ قد وَضَعتْ ... منه العِشَارُ تماماً غيرَ إخداجِ[4]

شَقَّتْ[5] سَوائِفُها بالفَرْشِ[6] من مَلَلٍ ... إلى الأعارِفِ[7] من حَزْنٍ وأولاجِ[8]

حتّى كأنّ وُجوهَ الأرض مُلْبَسةٌ ... طرائفاً من سَدَى عَصْبٍ ودِيباجِ

/ وهي طويلة مختارة من شعره، يقول فيها يمدح السَّرِيّ: [٣٨٧/٤]

أمّا السَّرِيُّ فإنّي سوف أمدَحُه ... ما المادحُ الذاكرُ الإحسانَ كالهاجي

ذاك الذي هو بعد اللهِ أنقذني ... فلستُ أنساه إنقاذي وإخراجي

لَيْثٌ بحَجْرٍ إذا ما هاجَه فَزَعٌ ... هاجَ إليه بإلْجامٍ وإسْراجِ

لأحْبُوَنَّكَ ممّا أصْطفي مِدَحاً ... مُصَاحِباتٍ لعُمّارٍ وحُجّاجِ

أسْدَى الصنيعةَ من بِرٍّ ومن لَطَفٍ ... إلى قُروعٍ لباب المُلْكِ وَلاّجِ

كَمْ من يَدٍ لك في الأقوامِ قد سَلَفتْ ... عند امرىءٍ ذي غِنًى أو عند مُحْتاجِ

---

(١) الزيادة عن «مختار الأغاني» لابن منظور.

(٢) كذا ورد هذا الاسم هنا في جميع الأصول. (انظر ص ٣٨٢ من هذا الجزء).

(٣) في «مختار الأغاني» لابن منظور: «إن الحمامة».

(٤) أخدجت الناقة: ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمام الأيام وإن كان تامّ الخلق.

(٥) كذا في م. وشقت: انفطرت عن النبات، أو المراد: شق نباتها؛ فأسند الفعل إلى الأرض على سبيل المجاز؛ يقال: شق النبات يشق شقوقاً؛ وذلك أوّل ما تنفطر عنه الأرض. والسوائف: جمع سائفة وهي أرض بين الرمل والجلد أو جانب من الرمل ألين ما يكون. وفي سائر الأصول: «شقت شوائفها».

(٦) الفرش: واد بين غَميس الحمام وملل، كما في «معجم البلدان» لياقوت، نزله رسول الله ﷺ حين مسيره إلى بدر. وملل: موضع بين الحرمين؛ سمي بذلك لأن الماشي إليه من المدينة لا يبلغه إلا بعد ملل وجهد. وقد نزله أيضاً رسول الله ﷺ حين مسيره إلى بدر.

(٧) الأعارف: جبال باليمامة، كما في ياقوت.

(٨) كذا في م. والحزن: ما غلظ من الأرض. والأولاج: ما غمض من الأرض، واحده: وَلَجة. وفي سائر الأصول: «من حزن

فأمر له بسبعمائة دينار في قضاء دَيْنه، ومائةِ دينارٍ يتجهَّز بها، ومائةِ دينارٍ يُعَرِّضُ بها أهلَه، ومائةِ دينارٍ إذا قَدِم على أهله.

قوله: «يُعَرِّضُ بها أهلَه» أي يُهْدِي لهم بها هديّة، والعُرَاضةُ: الهَدِيَّة. قال الفرزدق يهجو هشامَ بن عبد الملك:

كـانـتْ عُـرَاضَتُـكَ الَّتـي عَـرَّضْتَنـا ... يـوم المـدينـة زَكْمـةً وسُعَـالاَ

أنكر شعراً له في بني فاطمة خوفاً من العباسيين:

أخبرني الحَرَمِيُّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني نَوْفَل بن ميمون قال أخبرني أبو مالك محمد بن عليّ بن هَرْمَةَ قال:

قال ابن هَرْمَةَ:

ومهمـا ألاَمُ[1] علـى حُبِّهـمْ ... فـإنّـي أُحِـبُّ بنـي فـاطمـة

بنـي بنـت مَـنْ جـاء بـالمُحْكَمـا ... تِ والـدِّيـن والسُّنَّـةِ القـائمـة

[٣٨٨/٤] / فلَقِيه بعد ذلك رجلٌ فسأله: مَنْ قائلُها؟ فقال: مَنْ عَضَّ بَظْرَ أُمّه. فقال له ابنهُ: يا أبت، ألستَ قائلَها؟ قال بلى. قال: فَلِمَ شتمتَ نَفْسَك؟ قال: أليس أنْ يَعَضَّ المرءُ بَظْرَ أُمّه خيراً[2] من أن يأخذَه ابن قَحْطَبَة[3]!

خبره مع رجل يتجر بعرض ابنتيه:

أخبرنا الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا جعفر بن مُدْرِك الجَعْدِيّ قال:

جاء ابنُ هَرْمَةَ إلى رجل كان بسوق النَّبَط، معه زوجةٌ له وابنتان كأنَّهما ظَبْيَتان [يقود عليهما][4]، بمال فدفعه إليه، فكان يشتري لهم طعاماً وشراباً. فأقام ابنُ هَرْمَةَ مع ابنتيه حتّى خَفَّ ذلك المالُ، وجاء قومٌ آخرون معهم مالٌ؛ فأخبرهم بمكان ابن هَرْمَةَ؛ فاستثقلوه وكَرِهوا أن يعلَم بهم؛ فأمر ابنتيه، فقالتا له: يا أبا إسحاق، أمَا دَرَيْتَ ما النَّاسُ فيه؟ [قال: وما هم فيه[5]؟ قالتا:] زُلْزِلَ بالرَّوْضة، فتغافلهما. ثم جاء أبوهما مُتَفَازِعاً فقال: أي أبا إسحاق، ألاَ

(١) لم يجزم الفعل هنا، وهو شاذ.

(٢) في الأصول: «خير» بدون ألف.

(٣) هو حميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن جعدان الطائي. ولي مصر من قبل الخليفة أبي جعفر المنصور بعد عزل محمد بن الأشعث في أوائل سنة ثلاث وأربعين ومائة. وكان أميراً شجاعاً وقائداً مقداماً عارفاً بأمور الحروب والوقائع، وتنقل في الأعمال الجليلة، معظماً عند بني العباس، وقد حضر مع أبيه قحطبة كثيراً من الوقائع في ابتداء دعوة بني العباس. ومات في خلافة المهدي سنة تسع وخمسين ومائة (راجع «النجوم الزاهرة» ج ١ ص ٣٤٩ طبع دار الكتب المصرية). وفي مختصر كتاب «الأغاني» المسمى «بتجريد الأغاني» من ذكر المثالث والمثاني، لابن واصل الحموي المتوفي سنة ٦٩٧ هـ ورد بعد ذكر هذا الخبر ما نصه: «قلت وإنما خاف ابن هرمة من نسبة الشعر إليه لأن المنصور كان شديد الطلب لمن يميل إلى العلويين والتتبع لمن يحبهم بخروجهم عليه. وكان خرج عليه محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة وأخوه إبراهيم بالبصرة سنة خمس وأربعين ومائة، فهزما وقتلا وحمل رأسهما إليه» اهـ.

(٤) الزيادة عن «مختصر الأغاني» لابن واصل الحموي (ص ١٩٢ من النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠٧١ أدب).

(٥) الزيادة عن «مختار الأغاني» لابن منظور (ص ٨٥ طبع مصر).

تَفْزَعُ لِما الناسُ فيه! قال: وما هم فيه؟ قال: زُلْزِلَ بالرَّوْضة. قال: قد جاءكم الآنَ إنسانٌ معه مالٌ، وقد / نَفَضْتُ[1] [٣٨٩/٤] ما جئتكُم به وثَقُلْتُ[2] عليه؛ فأردتَ إدخالَه وإخراجي. أيُزَلْزَلُ بروضةٍ من رِياض الجنّة ويُتْرَك منزلُك وأنت تَجمع فيه / الرجالَ على ابنتيك! والله لا عُدْتُ إليه! وخرج من عنده. ١١١/٤

وروَى هذا الخبرَ عن الزُّبَير هارونُ بن محمد الزيّات فزاد فيه، قال: ثم خرج من عندهم، فأتى عبدَالله بن حسن فقال: إنّي قد مدحتُك فاسْتَمِعْ منّي. قال: لا حاجة لي بذلك، أنا أُعطيك ما تُريد ولا أسمَع. قال: إذاً أسقُط ويكسُد سُوقي[3]. فسمع منه وأمَر له بمائتيَ[4] دينارٍ؛ فأخذهاوعاد إلى الرجل، وقال: قد جئتك بما تُنفقه كيف شئتَ. ولم يزل مقيماً عنده حتّى نَفِدتْ.

قصته مع محمد بن عبد العزيز ومحمد بن عمران وغيرهما:

قال الزُّبَير: وحدّثني عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد العزيز قال حدّثني عَمّي عِمْران بن عبد العزيز بن عُمَر بن عبد الرحمن بن عَوْف قال:

وَافَيْنا الحَجَّ في عامٍ من الأعوام الخالية، فأصبحتُ بالسَّيَالة، فإذا إبراهيم بن عليّ ابن هَرْمةَ يأتينا؛ فاستأذن على أخي محمد بن عبد العزيز فأذِن له؛ فدخل عليه فقال: يا أبا عبدالله، ألاَ أُخبِرك ببعض ما تَسْتَظْرِف[5]؟ قال: بلى، وربَّما فعلتَ يا أبا إسحاق. قال: فإنّه أصبح عندنا هاهنا منذ أيام محمد بن عِمْرانَ وإسماعيل بن عبدالله بن جُبَيْر، وأصبح ابنُ عِمْرانَ بجملين له ظالعين[6]، فإذا رسولُه يأتيني أنْ أجِبْ؛ فخرجتُ / حتى أتيتُه؛ فأخبرني بظَلْع [٣٩٠/٤] جمليه، وقال لي: أردتُ أن أبعث إلى ناضِحَيْنِ[7] لي بعَمْقٍ[8] لعلي أُوتَى بهما إلى هاهنا لأَمْضِي عليهما، ويصير هذان الظالعان إلى مكانهما. ففَرِّغْ لنا دارَك واشترِ لنا عَلَفاً واسْتَلِنْه بجَهْدك؛ فإنّا مُقيمون هاهنا حتى تأتينا[9] جمالُنا. فقلتُ: في الرُّحْب والقُرْب، والدّارُ[10] فارغةٌ، وزوجتُه طالقٌ إنِ اشتريتُ عُودَ عَلَفٍ، عندي حاجتُك منه. فأنزلتُه ودخلتُ إلى السوق، فما أبقيت فيه شيئاً من رِسْلٍ[11] ولا جِداءٍ ولا طُرْفةٍ ولا غيرِ ذلك إلا ابتعتُ منه فاخِرَه، وبعثتُ به إليه مع دَجاجٍ كان عندنا. قال: فبينا أنا أدور في السوق إذ وقف عليَّ عبدٌ لإسماعيلَ بن عبدالله يُسَاوِمُني بحِمْلِ عَلَفٍ لي، فلم أَزَلْ أنا وهو حتّى أخذه منّي بعشرة دراهم، وذهب به فطرَحه لظَهْرِه. وخرجتُ عند الرَّواح أتقاضَى

---

(١) كذا في م. والذي في «اللسان»: «وأنفض القوم: نفد طعامهم وزادهم مثل أرملوا... وأنفضوا زادهم أنفدوه... ونفض القوم نفضاً: ذهب زادهم... وقوم نَفَضٌ أي نفضوا زادهم». وفي سائر الأصول: «تنضب» وهو تحريف.

(٢) في م: «وثقلت عليكم».

(٣) في «مختار الأغاني»: «شعري».

(٤) في «مختار الأغاني»: بمائة.

(٥) في م: «ألا أخبرك ببعض ما يُستطرف».

(٦) الظالع: الذي يغمز في مشيه.

(٧) الناضح: البعير يستقى عليه، ثم استعمل في كل بعير وإن لم يحمل الماء.

(٨) عمق: ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز، كما في «معجم ما استعجم» للبكري.

(٩) كذا في م. وفي سائر النسخ: «حتى يأتينا».

(١٠) في م: «الدار» بدون واو.

(١١) الرسل (بكسر الراء): اللبن ما كان. والجداء: جمع جدي، وهو الذكر من أولاد المعز. والطرفة: ما يطرف به الرجل صاحبه ويتحفه به.

العبدَ ثَمَنَ حِمْلي، فإذا هو لإسماعيل بن عبدالله ولم أكن دَرَيْتُ. فلما رآني مولاه حيَّاني ورَحَّبَ بي، وقال: هل من حاجةٍ يا أبا إسحاق؟ فأعلمه العبدُ أنّ العَلَفَ لي. فأجلسني فتغدّيت عنده، ثم أمرَ لي مكانَ كلِّ درهم منها بدينار، وكانت معه زوجتُه فاطمةُ بنت عَبَّاد، فبعثتْ إليّ بخمسة دنانير. قال: وراحوا، وخرجتُ بالدنانير ففرّقتها على غُرَمائي، وقلت: عند ابن عِمْران عِوَضٌ منها. قال: فأقام عندي ثلاثاً، وأتاه جِمالُه، فما فَعَلَ بي شيئاً. فبينَا هو يترحَّل وفي نفسه منّي ما لا أدري به، إذ كَلَّم غلاماً له بشيءٍ فلم يفهَم. فأقبلَ عليّ فقال: ما أَقْدِر على إفهامه مع قُعودك عندي، قد والله آذيتَني ومنعتَني[1] ما أردتُ. فقمتُ مُغْتَمًّا بالذي قال؛ حتَّى إذا كنتُ على باب الدار لَقِيَني إنسانٌ / فسألني: هل فَعَل إليك[2] شيئاً؟ فقلتُ: أنا والله بخيرٍ إذْ تَلِفَ[3] مالي وربِحتُ بَدَني. قال: وطَلَع عليّ وأنا أقولُها، فشتمني واللهِ يا أبا عبدالله حتَّى ما أبقَى لي، وزَعَم أنّه لولا إحرامهُ لضربني؛ وراح وما أعطاني درهماً. فقلتُ: [٣٩١/٤]

يا مَنْ يُعِينُ على ضَيْفٍ أَلَمَّ بنا ... ليس بِذِي[4] كَرَمٍ يُرْجَى ولا دِينِ

أقام عندي ثلاثاً سُنَّةً سَلَفَتْ ... أُغضيتُ منها على الأقذاء والهُونِ[5]

مسافةُ البيت عَشْرٌ غيرُ مُشْكِلةٍ ... وأنت تأتيه في شَهْرٍ وعشرينِ

/ لستَ تُبالي فَوَاتَ الحجِّ إن نَصِبتْ ... ذاتُ الكَلالِ وأسمنتَ ابنَ حِرقينِ[6] [١١٢/٤]

تحدّثَ النّاسُ عمّا فيك من كَرَمٍ ... هيهاتَ ذاكَ لِضيفانِ المَساكينِ

أصبحتَ تَخْزُنُ ما تَحْوِي وتجمعُه ... أبا سُلَيمانَ من أشلاءِ[7] قارونِ

مثلُ ابنِ عِمْرانَ آباءٌ لهُ سَلَفُوا ... يَجْزُونَ فِعْلَ ذوي الإحسانِ بالدُّونِ

ألّا تكونَ كإسماعيلَ إنّ لهُ ... رأياً أَصِيلاً وفِعْلاً غيرَ ممنونِ

أو مِثْلَ زوجتِهِ فيما أَلَمَّ بها ... هيهاتَ مَنْ أُمُّها ذاتُ النِّطَاقَيْنِ[8]

فلمّا أنشدها قال له محمد بن عبد العزيز: نحن نُعِينُك يا أبا إسحاق؛ لقوله: «يا من يعين». قال: قد رَفَعك اللهُ عن العَوْن الذي أُريده، ما أردتُ إلاّ رجلاً / مثل عبدالله بن خِنْزِيرةَ وطلحة أطْباء الكَلْبة يُمْسِكونه لي وآخذ خُوطَ سَلَمٍ فأُوجِع به خَوَاصِرَه وجَوَاعِره. قال: ولمّا بلَغ في إنشاده إلى قوله: [٣٩٢/٤]

* مثلُ ابنِ عمرانَ آباءٌ لهُ سلفوا *

---

(١) في م: «قد والله آذيتني ومنعني مكانك معي مما أردت».

(٢) كذا في م. وفي سائر الأصول: «هل فعل إليّ شيئاً».

(٣) في م: «أنا والله بخير أن تلف...» وكلتا العبارتين صحيحة.

(٤) في م: «فليس ذا كرم.....».

(٥) في حـ: «..... على الأقذاء في عيني».

(٦) كذا في أكثر الأصول. وفي: حـ: «ابن حرفين» بالفاء.

(٧) لعله يريد: من بقايا قارون، أو لعلها محرفة عن «أسلاب».

(٨) ذات النطاقين: أسماء بنت أبي بكر الصديق؛ سميت بذلك لأن رسول الله ﷺ قال لها: «أنت ونطاقاك في الجنة». وقد دخل هذا الشعر السناد، وهو أن يخالف الشاعر بين الحركات التي تلي الأرداف في الرويّ.

أقبل عليّ فقال: عُذراً إلى الله تعالى وإليكم! إنّي لم أعْنِ من آبائه طلحةَ بن عُبيد الله. قال: ونزل إليه إسماعيل بن جعفر بن محمد، وكان عندنا، فلم يكلّمه حتى ضرب أنفه، وقال له: فعَنَيْتَ من آبائه أبا سُليمان محمدَ بن طَلْحةَ يا دَعِيّ! قال: فدخلنا بينهما. وجاء رسولُ محمد بن طلحة بن عُبَيْد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّدّيق رضي الله عنه إلى ابن هَرْمةَ يدعوه، فذهب إليه. فقال له: ما الذي بلغني من هجائك أبا سليمان! والله لا أرضى حتى تَحْلِفَ ألاّ تقولَ له أبداً إلاّ خيراً، وحتى تلقاه فتَرَضّاه إذا رجع، وتحتمِل كلَّ ما أَزَلّ إليك وتمدَحه. قال: أفعَلُ، بالحُبِّ والكرامة. قال: وإسماعيلُ بن جعفر لا تَعْرِضْ له إلاّ بخير؛ قال نعم. قال: فأخذ عليه الأيمانَ فيهما وأعطاه ثلاثين ديناراً، وأعطاه محمدُ بن عبد العزيز مثلَها. قال: واندفع ابن هَرْمةَ يمدَح محمد بن عِمْرانَ:

ألـم تـر أنّ القـولَ يَخْلُـص صِـدْقُـه ... وتـأبَـى فمـا تـزكـو لبـاغٍ بَـوَاطِلُـهْ

ذَمَمْـتُ امـرأً لـم يَطْبَـعِ[1] الـذَّمُّ عِـرْضَـه ... قليـلاً لـدى تحصيلِـه مَـنْ يُشـاكِلُـهْ

فمـا بـالحجـاز مِـن فَتًـى ذي إمـارةٍ ... ولا شَـرَفٍ إلا ابـنُ عِمْـرانَ فـاضِلُـهْ

فَتًـى لا يَطُـورُ[2] الـذَّمُّ سـاحـةَ بيتِـه ... وتشقَـى بـه ليـلَ التِّمـامِ[3] عَـوَاذِلُـهْ

/ أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويةَ قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثنا [٣٩٣/٤] أحمد بن عمر الزُّهْريّ قال حدّثنا أبو بكر بن عبدالله بن جعفر المِسْوَرِيّ قال:

مَدح إبراهيم بن هَرْمةَ محمدَ بن عِمْران الطَّلْحِيّ، فألفاه راويتُه[4] وقد جاءته عِيرٌ له تحمِل غَلّةً قد جاءته من الفُرْع[5] أو خَيْبَر. فقال له رجل كان عنده: أعلَمُ والله أنّ أبا ثابت بن عِمْرانَ بن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضر عنده وأخبره بعِيرِك هذه. فقال: إنّما أراد أبو ثابت أن يُعَرِّضَني لِلِسانه، قُودُوا إليه القِطَارَ، فقِيدَ إليه.

طلب من عمر بن القاسم تمراً على ألا يعمل منه نبيذاً ثم عمل:

أخبرنا الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني يحيى بن محمد عن عبدالله[6] بن عمر بن القاسم قال:

جاء أبي تَمْرٌ من صَدَقة عُمَر؛ فجاءه ابنُ هَرْمةَ فقال: أَمْتَع الله بك! أَعْطِني من هذا التَّمْر. قال: يا أبا إسحاق، لولا أنّي أخاف أن تعمَلَ منه نبيذاً لأعطيتُك. قال: فإذا علمتَ أنّي أعمَلُ منه نبيذاً لا تُعطيني. قال: فخافه فأعطاه. فلَقِيه بعد ذلك؛ / فقال له: ما في الدُّنيا أجودُ من نبيذٍ يجيء من صَدَقة عمر؛ فأخجَله. ١١٣/٤

سمع جرير شعره فمدحه:

أخبرنا الحَرَميّ قال أخبرنا الزُّبَير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال:

---

(١) أي لم يَسِمْه بما يشينه. ويحتمل أن يكون من طَبِع الشيء: دنس، وأطبعه: دنّسه.

(٢) لا يطور: لا يقرب. وفي حديث علي كرم الله وجهه: «والله لا أطور به ما سَمَر سمير» أي لا أقربه.

(٣) ليل التمام (بالكسر وقد يفتح): أطول ما يكون من ليالي الشتاء.

(٤) كذا في م. وفي سائر الأصول: «روايته»، وهو تحريف.

(٥) الفرع (بالضم): قرية من نواحي الرَّبَذة عن يسار السُّقْيا بينها وبين المدينة ثمانية بُرد على طريق مكة.

(٦) كذا في م وهو الموافق لما في الطبري (قسم ٣ ص ٢٣٨ طبع أوروبا). وفي سائر الأصول: «عن عبد العزيز بن القاسم»، وهو تحريف.

قَدِم جريرٌ المدينةَ، فأتاه ابن هَرْمَةَ وابنُ أُذَيْنَةَ فأنشداه؛ فقال جرير: القُرَشيّ أشعرُهما، والعربيّ أفصحُهما.

[٣٩٤/٤] / مدح المطلب بن عبدالله قليم لمدحه غلاماً حديث السن فأجاب:

أخبرنا يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني عبدالله بن محمد:

أنّ ابنَ هَرْمةَ قال يمدَح أبا الحكم المُطَّلِب بن عبدالله:

لمّـا رأيـتُ الحـادثـاتِ كَنَفْنَنِـي وأَوْرَثْنَنِـي بُـؤْسَـى ذكـرتُ أبـا الحَكَـمْ

سليـلُ مُلـوكٍ سبعـةٍ قـد تتـابعـوا هـمُ المُصْطَفَـوْنَ والمُصَفَّـوْنَ بـالكَـرَمْ

فلاموه وقالوا: أتمدَح غلاماً حديثَ السنّ بمثل هذا! قال نعم! وكانت له ابنةٌ يُلَقّبها «عُيَيْنة» ـ وقال الزبير: كان يلقّبها «عينة» ـ فقال:

كـانـتْ عُيَيْنَـةُ فينـا وهـي عـاطلـةٌ بيـن الجَـوَاري فحَـلاَّهـا أبـو الحَكَـمِ

فمَـنْ لَحَـانَـا علـى حُسْـنِ المَقَـالِ لـه كـان المُلِيـمَ وكنّـا نحـن لـم نُلِـمِ[1]

شكا حاله لعبد العزيز بن المطلب فأكرمه ثم عاوده فردّه فهجاه:

قال يحيى وحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبيريّ عن نَوْفَل بن ميمون قال:

أرسل ابنُ هَرْمَةَ إلى عبد العزيز بن المُطَّلِب بكتاب يشكو فيه بعضَ حاله؛ فبعث إليه بخمسة عشر ديناراً. فمكث شهراً ثم بعث يطلب منه شيئاً آخرَ بعد ذلك؛ فقال: إنّا والله ما نقوَى على ما كان يقوى عليه الحَكَمُ بن المطّلِب. وكان عبد العزيز قد خطب إلى امرأة من ولد عُمر فردّته، فخطب إلى امرأة من بني عامر بن لُؤيّ فزوّجوه. فقال ابن هرمة:

خطبـتَ إلـى كَعْـبٍ فـرَدُّوكَ صـاغـراً فحـوّلـتَ مـن كعـبٍ إلـى جِـذْمِ[2] عـامـرِ

وفـي عَـامِـرٍ عِـزٌّ قـديـمٌ وإنّمـا أجـازك فيهـم هـزلُ أهـل المقـابـر

[٣٩٥/٤] / وقال فيه أيضاً:

أبـالبُخْـلِ تطلُـب مـا قَـدَّمـتْ عـرانيـنُ جـادتْ بـأمـوالهـا

هيهـات! خـالفـتَ فعـلَ الكـرامِ خـلاَفَ الجِمـالِ بـأبـوالهـا

خبره مع امرأة تزوّجها:

وقال هارون بن محمد حدّثني مُغِيرةُ بن محمد قال حدّثني أبو محمد السَهْميّ قال حدّثني أبو كاسب[3] قال:

تزوّج ابن هرمة بامرأة؛ فقالت له: أعطِني شيئاً؛ فقال: والله ما معي إلاّ نَعْلاي، فدفعهما إليها، ومضى معها

(١) لم نلم: لم نأت ما نلام عليه؛ ومنه المليم (بضم الميم) من ألام الرجل فهو مليم إذا أتى ما يلام عليه.
(٢) الجذم (بالكسر): أصل الشيء.
(٣) في م: «ابن كاسب».

فتورّكها مراراً. فقالت له. أجْفَيْتَني[1]؛ فقال لها: الذي أحفَى صاحبَه منّا يَعَضُّ بَظْرَ أُمّه.

أغراه قوم بالحكم بن المطلب بأن يطلب منه شاة كانت عزيزة عليه فأعطاه الحكم كل ما عنده من شاء:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويةَ قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني المُسَيَّبيّ محمد بن إسحاق قال حدّثني إبراهيم بن سكرة جارُ أبي ضَمْرَة قال:

جلس ابن هَرْمةَ مع قومٍ على شراب، فذَكَر الحَكَمَ بن المُطَّلب فأطنب في مدحه. فقالوا له: إنّك لَتُكْثِر ذكرَ رجلٍ لو طرقتَه الساعةَ في شاةٍ يقال لها «غَرّاء» تسأله إيّاها لردّك عنها. فقال: أهو يفعل هذا؟ قالوا: إي والله. وكانوا قد عرفوا أنّ الحَكَم بها مُعْجَبٌ، وكانت في داره سبعون شاةً تُحْلَب. فخرج وفي رأسه ما فيه، فدقّ الباب فخرج إليه غلامه. فقال له: أعْلِمْ أبا مَرْوان بمكاني ـ وكان قد أمَرَ ألاّ يُحْجَبَ إبراهيم بن هَرْمة عنه ـ فأعلمه به، فخرج إليه مُتَّشحاً فقال: أفي مثل هذه الساعة يا أبا إسحاق! فقال: نعم/ جُعِلتُ فداك، وُلِد لأخ لي مولود فلم تَدِرّ عليه أمّه، فطلبوا / له شاةً حلوبةً فلم يجدوها، فذكروا له شاةً عندك يقال لها «غَرّاء»، فسألني أن أسألكها. فقال: أتجيء في هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة! والله لا تبقَى في الدار شاةٌ إلاّ انصرفتَ بها، سُقْهنّ معه يا غلام، فساقهنّ. فخرج بهنّ إلى القوم، فقالوا: وَيْحَك! أيَّ شيء صنعت! فقصّ عليهم القصة. قال: وكان فيهنّ والله ما ثمنه عشرةُ دنانير وأكثر من عشرة.

١١٤/٤ [٣٩٦/٤]

لما سمع بقتل الوليد أنشد شعراً في مدحه:

قال هارون وحدّثني حمّاد بن إسحاق قال ذكر أبي عن أيُّوب بن عَبَايَةَ عن عمر بن أيُّوب اللَّيْثيّ قال:

شَرِب ابنُ هَرْمةَ عندنا يوماً فسكِر فنام. فلمّا حضرتِ الصلاةُ تحرّك أو حرّكتُه. فقال لي وهو يتوضّأ: ما كان حديثكم اليوم؟ قلت يزعُمون أنّ الوليد قُتِل؛ فرفع رأسَه إليّ وقال:

وكـانـت أُمـورُ النـاس مُنْبَتَّـةَ القُـوَى ... فشـدّ الـوليـدُ حيـن قـام نِظـامَهـا

خليفـةُ حـقٍّ لا خليفـةُ بـاطـلٍ ... رمَـى عـن قنـاة الـدِّيـن حتـى أقـامهـا

ثم قال لي: إيّاك أن تذكر من هذا شيئاً؛ فإنّي لا أدري ما يكون.

كان ابن الأعرابي يقول: ختم الشعراء بابن هرمة:

أخبرني عليّ بن سليمان النحويّ قال حدّثنا أبو العبّاس الأحول عن ابن الأعرابيّ: أنه كان يقول: خُتِم الشعراء بابن هَرْمةَ.

سكر مرّة سكراً شديداً فعتب عليه جيرانه فأجابهم:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني أحمد بن يحيى البَلاَذُرِيّ:

---

(١) أحفيتني هنا: أجهدتني.

(٢) كذا في حـ. وفي م: «فذكرت لي شاة». وفي سائر الأصول: «فذكرت شاة».

[٣٩٧/٤] / أنّ ابن هَرْمةَ كان مُغْرَماً بالنبيذ، فمرّ على جِيرانه وهو شديد[١] السُّكْر حتى دخل منزلَه. فلمّا كان من الغد دخلوا عليه[٢] فعاتبوه على الحال التي رأوه عليها؛ فقال لهم: أنا في طلب مثلها منذ دهر، أمَا سمعتم قولي:

أســألُ اللّــهَ سكـرةً قبـل مـوتـي وصِيــاحَ الصِّبيــان يــا سكــرانُ

قال: فنفضوا ثيابَهم وخرجوا، وقالوا: ليس يُفْلح واللّهِ هذا أبداً.

لم يحمل جنازته إلا أربعة نفر وكان ذلك مصداقاً لشعر له:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: أنشدني عمّي لابن هرمة:

مــا أظــنّ الــزمــانَ يــا أُمّ عَمْــرٍ[٣] تــاركــاً إن هلكــتُ مــن يَبْكِينــي

قال: فكان والله كذلك؛ لقد مات فأخبرني مَنْ رأى جنازتَه ما يحملها إلاّ أربعةُ نفر، حتّى دُفِن بالبقيع.

ولد سنة ٩٠ هـ ومدح المنصور وعمره خمسون سنة وعاش بعد ذلك طويلاً:

قال يحيى بن عليّ ـ أُراه[٤] عن البَلاَذُرِيّ ـ: وُلِد ابن هَرْمة سنةَ تسعين، وأنشد أبا جعفر المنصورَ في سنة أربعين ومائة قصيدتَه التي يقول فيها:

إنّ الغَــوَانــيَ قــد أعـرضــن مَقْلِيَــةً لمّــا رمَــى هَــدَفَ الخمسيــن ميــلادي

قال: ثم عُمِّر بعدها مدّة طويلة.

(١) في «مختار الأغاني» لابن منظور (ج ١ ص ٩٢ طبع مصر): «منبتٌ سكراً» أي منقطع. وفي ء، ط، م: «فمر على جيرانه وهو مثبت سكراً» بالثاء المثلثة وهو تصحيف عن «منبت».

(٢) كذا في «مختار الأغاني» لابن منظور. وفي جميع الأصول: «إليه».

(٣) في حـ: «يا أم سعد».

(٤) في م: «رواه عن البلاذري».

/ ذكر أخبار يونس الكاتب

[٣٩٨/٤]

نسب يونس الكاتب ومنشؤه ومن أخذ عنهم، وهو أوّل من دوّن الغناء:

هو يونس بن سليمان بن كُرْد بن شِهْرِيَار، من ولد هُرْمُز. وقيل: إنّه مولًى لعمرو بن الزُّبَير. ومنشؤه ومنزلُه بالمدينة. وكان أبوه فقيهاً[1]، فأسلمه في الديوان فكان من كُتَّابه. وأخذ الغِناء عن مَعْبَدٍ وابنِ سُرَيْج وابن مُحْرِز والغَرِيضِ، وكان أكثر روايته عن معبد؛ ولم يكن في أصحاب معبد أحذقُ ولا أَقْوَمُ بما أُخذ عنه منه. وله غِناء حسن، وصنعة كثيرة، وشعرٌ جيّد. وكِتَابه في الأغاني ونسبها إلى مَنْ غَنَّى فيها هو الأصلُ الذي يُعْمَل عليه ويُرْجَع إليه. وهو أوّل من دوّن الغناء.

شعر مسعود بن خالد في مدحه:

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال حدّثنا حماد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال / أنشدني مسعود بن خالد ١١٥/٤ المُورِيَانيّ[2] لنفسه في يونس:

يا يونسُ الكاتبُ يا يونسُ ... طابَ لنا اليومَ بك المجلسُ

إنّ المغنّين إذا ما هُمُ ... جاروكَ أخْنَى بهمُ المقبس

تنشُر دِيباجاً وأشباهَه ... وهم إذا ما نشروا كَرْبَسُوا[3]

خرج مع بعض فتيان المدينة إلى دومة فتغنوا واجتمع عليهم النساء فتغنى ابن عائشة ففرق جمعهم إليه:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال: ذكر إبراهيم بن قُدَامةَ الجُمَحيّ قال:

اِجتمع فِتيانٌ من فتيان أهل المدينة فيهم يونس الكاتب وجماعة ممن يُغنِّي، فخرجوا إلى وادٍ يقال له دُومة من بطن العقيق، في أصحاب لهم فتَغَنَّوْا، واجتمع / إليهم نساء أهل الوادي ـ قال بعض مَنْ كان معهم: فرأيتُ حولَنا [٣٩٩/٤] مثلَ مُراح الضأن ـ وأقبل محمد بن عائشة ومعه صاحب له؛ فلمّا رأى جماعةَ النساء عندهم حسَدهم، فالتفتَ إلى صاحبه فقال: أَمَا والله لأُفرِّقَنّ هذه الجماعة! فأتى قصراً من قصور العَقيق، فَعَلا سطحه وألقى رداءه واتّكأ عليه وتغنّى:

---

(١) في «مختصر الأغاني» لابن واصل الحموي: «وكان أبوه مقيماً بها».

(٢) كذا في أكثر الأصول، وهو الموافق لما في «تاريخ الطبري» (قسم ثالث ص ٣٧٠ و ٣٧٢ طبع أوروبا). والموریاني (بضم الميم وكسر الراء): نسبة إلى موريان: قرية بخوزستان. وفي م: «المرزباني» وهو تحريف.

(٣) كربسوا: أتوا بالكرابيس، وهي الثياب الخشنة من القطن.

صوت

هــــذا مُقـــــامُ مُطَـــــرَّدِ هُـــدِمـــتْ منـــازلُـــه ودُورُهْ
رَقَّـــى[١] عليـــه عُـــداتُـــه ظلمـــاً فعـــاقبـــه أميـــرُهْ

ـ الغناء لابن عائشة رملٌ بالوسطى، والشعر لعُبَيْد بن حُنَيْن مولى آل زيد بن الخَطَّاب، وقيل: إنّه لعبدالله بن أبي كثير مولى بني مخزوم ـ قال: فواللّهِ ما قضَى صوتَه حتّى ما بَقِيتِ امرأةٌ منهنّ إلاّ جلستْ تحت القصر الذي هو عليه وتفرّق عامّة أصحابهم. فقال يونس وأصحابه: هذا عملُ ابنِ عائشة وحسدَهُ.

صاحب الشعر الذي تغنى به ابن عائشة وسبب قوله:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّةَ قال حدّثنا أبو غَسَّان محمد بن يحيى عن أبيه قال:

تزوّج عبدُالله بن أبي كَثِيرٍ مولى بني مخزوم بالعراق في ولاية مُصْعَبِ بن الزُّبير امرأةً من بني عَبْد بن[٢] بَغِيضِ بن عامر بن لُؤَيّ، ففرّق مصعبٌ بينهما. فخرج حتّى قَدِم على عبدالله بن الزُّبَير بمكةَ فقال:

[٤/٤٠٠] / هـــــذا مُقـــــامُ مُطـــــردِ هُـــدِمـــتْ منـــازلُـــهُ ودورُهْ
رَقَّـــتْ عليـــه عُـــداتُـــه كَـــذِبـــاً فعـــاقبـــه أميـــرُهْ
فـــي أنْ شَـــرِبـــتُ بجـــمّ مـــا ءٍ كـــان حِـــلاً لـــي غَـــدِيـــرُهْ
فلقـــد قطعـــتُ الخَـــرْقَ[٣] بعـــد الخـــرقِ مُعْتَسِفـــاً[٤] أسِيـــرُهْ
حتّـــى أتيـــتُ خليفـــةَ الـــرَّ حـــمـــن ممهـــوداً ســـريـــرُه
حَيَّيْتُـــه بتَحِيّـــةٍ فـــي مجلـــسٍ حضـــرتْ[٥] صُقُـــورُهْ

فكتب عبدُالله إلى مصْعَب: أنِ ارْدُدْ عليه امرأتَه؛ فإنّي لا أُحَرِّم ما أحلَّ الله عزّ وجلّ؛ فردّها عليه. هذه رواية عُمر بن شبّة.

وأخبرني الحسن بن عليّ عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المَدائنيّ عن سُحَيْم بن حَفْص: أنَّ المتزوّج بهذه المرأة عُبَيْد بن حُنَيْن مولَى آل زيد بن الخَطّاب، وأنّ المفرِّق. بينهما الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة الذي يقال له القُبَاع[٦]؛ وذكر باقيَ الخبر مثل الأوّل.

---

(١) رقى عليه عداته: تقوّلوا عليه ما لم يقل. قال في «القاموس»: ورقّى عليه كلاماً ترقية: رفع. وفي «اللسان» «ونهاية ابن الأثير»: «. . . وفي حديث استراق السمع: ولكنهم يرقُون فيه أي يتزيدون؛ يقال: رقى فلان عليّ الباطل؛ إذا تقوّل ما لم يكن وزاد فيه».

(٢) كذا في أكثر الأصول. وبغيض بن عامر كان شريفاً، وهو الذي نقل الحطيئة إلى جواره من جوار الزبرقان. وأدرك بغيض الإسلام ووفد إلى النبيّ ﷺ فسماه حبيباً. وفي م: «من عبد بغيض». وفي حـ: «من بني عبد الغيض».

(٣) الخرق: القفر.

(٤) معتسفاً: خابطاً الطريق على غير هداية ولا دراية. وفي م: «منقطعاً أسيره».

(٥) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «حصرت» بالصاد المهملة.

(٦) كان الحارث بن عبدالله أميراً على البصرة، ولقبه أهلها القباع؛ وذلك أنه مر بقوم يكيلون بقفيز فقال: إن قفيزكم لقباع. أي كبير =

ذهب إلى الشام فبعث إليه الوليد بن يزيد ليغنيه ثم وصله:

أخبرني عمّي قال حدّثني طلْحةُ بن عبدالله الطَّلْحيّ قال حدّثني أحمد / بن الهَيْثَم قال: ١١٦/٤

خرج يونس الكاتب من المدينة إلى الشأم في تجارة؛ فبلغ الوليدَ بن يزيدَ مكانُه؛ فلم يشعر يونس إلّا برسله قد دخلوا عليه الخان، فقالوا له: أجِبِ الأميرَ - والوليد إذ ذاك أمير - قال: فنهضتُ معهم حتى أدخلوني على الأمير، لا أدري / من هو، إلّا أنّه من أحسن الناس وجها وأنبلهم، فسلمت عليه، فأمرني بالجلوس، ثم دعا بالشراب [٤/٤٠١] والجواري؛ فكثنا[1] يومنا وليلتنا في أمر عجيب. وغنيته فأُعْجِب بغنائي إلى أن غنّيته:

إنْ يَعِـشْ مُصْعَـبٌ فنحـن بخيـرٍ قـد أتـانـا مِـنْ عيشنـا مـا نُـرَجّـي

ثم تنبّهتُ فقطعتُ الصوت. فقال: مالَكَ؟ فأخذتُ أعتذر من غِنائي بشعرٍ في مُصْعَب. فضَحِك وقال: إنّ مُصْعَباً قد مضى وانقطع أثرُه ولا عداوةَ بيني وبينه، وإنّما أريد الغناء، فأَمْضِ الصوتَ؛ فعُدْتُ فيه فغنّيته. فلم يَزَلْ يَسْتَعِيدُنيه حتى أصبحَ، فشرِب مُصْطَبِحا وهو يستعيدني هذا الصوت ما يتجاوزه حتى مضت ثلاثةُ أيّام. ثم قلتُ له: جعلني الله فداءَ الأمير! أنا رجلٌ تاجرٌ خرجتُ مع تُجّار وأخاف أن يرتحلوا فيَضِيعَ مالي. فقال لي: أنت تغدو غداً؛ وشَرِب باقيَ ليلته، وأمر لي بثلاثة آلاف دينار فحُمِلتْ إليّ، وغدوتُ إلى أصحابي. فلمّا خرجتُ من عنده سألتُ عنه، فقيل لي: هذا الأمير الوليد بن يزيدَ وليّ عهد أمير المؤمنين هِشام. فلمّا استُخْلِفَ بَعَث إليّ فأتيتُه، فلم أزَلْ معه حتى قُتِل.

صوت
من المائة المختارة

أصواته المعروفة بالزبائب:

أقصـدتْ زينـبُ قلبـي بعـد مـا ذَهَـب البـاطـلُ عنّـي والغَـزَلْ
وعَـلاَ المَفْـرِقَ شيـبٌ شـامِـلٌ وَاضِـحٌ فـي الـرأس منّـي واشتَعَـلْ

الشعر لابن رُهَيْمة المَدَنيّ. والغناء في اللحن المختار لعُمَر الوادِيّ ثاني ثقيلٍ بالبنصر في مجراها عن إسحاق. وفيه ليونُس الكاتب لحنان: أحدُهما خفيفُ ثقيل / أوّل بالبنصر[2] في مَجْرى الوسطى عن إسحاق، والآخرُ رملٌ [٤/٤٠٢] بالسبّابة في مجرى البنصر عنه أيضاً. وفيه رَمَلانِ بالوسطى والبنصر: أحدُهما لابن المكّيّ، والآخرُ لحَكَم، وقيل: إنه لإسحاق من رواية الهِشَاميّ. ولحنُ يونس في هذا الشعر من أصواته المعروفة بالزَّيانب، والشعر فيها كلّها لابن رُهَيْمةَ في زينب بنت عِكْرِمةَ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام؛ وهي سبعة: أحدُها قد مضى. والآخرُ:

= واسع. (راجع «النقائض» ص ٦٠٧ «وعيون الأخبار» ج ٢ ص ١٧ «والأغاني» ج ١ ص ١١٠ من هذه الطبعة).

(١) في «نهاية الأرب» للنويري (ج ٤ ص ٣١٠ طبع دار الكتب المصرية): «فمكثنا».

(٢) في حـ: «أوّل بالخنصر».

صوت

أقصدتْ زينبُ قلبي ... وسَبَتْ عقلي ولُبِّي
تركتْني مُستهاماً ... أستغيثُ اللَّهَ رَبِّي
ليس لي ذنبٌ إليها ... فتُجازيني بذَنْبي
ولها عندي ذنوبٌ ... في تَنائيها وقُربي

غنّاه يونس رَمَلاً بالبِنصر. وفيه لحَكَم هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة في مجرى البِنصر عن إسحاق.

ومنها:

صوت

117/4 / وَجَد الفؤادُ بزينبَا ... وَجْداً شديداً مُتْعِبَا
أصبحت من وَجْدِي بها ... أُدْعَى سقيماً مُسْهَبا(1)
وجعلتُ زينبَ سُتْرةً ... وأتيتُ أمراً مُعْجِبا

غنّاه يونس ثقيلاً أوّلَ مطلقاً في مجرى البنصر عن عمرو وإسحاق، وهو مما يُشَكُّ فيه من غناء يونس. ولعُلَيَّةَ 403/4 بنت المهديّ فيه ثقيلٌ أوّلُ آخرَ لا يُشَكُّ فيه أنّه لها، / كَتَبْتُ فيه عن رَشَأ الخادم ـ وذكر أحمد بن عُبَيد أنّ فيه من الغناء لحنين هما جميعاً من الثقيل الأوّل ليونس ـ ومن لا يعلم يزعُم أنّ الشِّعر لها.

ومنها:

صوت

إنّما زينبُ المُنَى ... وهي الهمُّ والهَوَى
ذاتُ دَلٍّ تُضْنِي الصَّحِيـ(2) ... ـحَ وتُبْرِي من الجَوَى
لا يُغَرَّنْكِ أنْ دعَوْ ... تِ فُؤادي فما الْتَوَى(3)
واحْذَرِي هِجْرةَ الحبيـ ... ـبِ إذا مَلَّ وانْزَوَى

غنّاه يونس رَمَلاً بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

ومنها:

صوت

إنّما زينبُ هَمِّي ... بأبي تلك وأُمِّي
بأبي زينبُ لا أُكْـ ... ـنِي ولكنِّي أُسَمِّي

(1) أُسهب الرجل (مبنياً للمجهول): ذهب عقله، أو تغير لونه من حب أو غيره.
(2) في حـ: «... تصبي الحليم».
(3) كذا في م. وفي حـ: «إلى التوى» بالتاء المثناة من فوق. والتوى: الهلاك. وفي سائر الأصول: «إلى النوى» بالنون.

بـــأبـــي زينـــبُ مِـــنْ قـــا ضِ قَضَـــى عمـــداً بظُلْمـــي

بـــأبـــي مَـــنْ ليـــس لـــي فـــي قلبِـــه قيـــراطُ رُحْـــمِ (١)

غنّاه يونس رَمَلاً بالبنصر عن عمرو، وله فيه لحنٌ آخر.

ومنها:

صوت

يـــا زينـــبُ الحسنـــاءُ يـــا زينـــبُ يـــا أكـــرمَ النّـــاسِ إذا تُنْسَـــبُ

تَقِيـــكِ نفســـي حـــادثـــاتِ الـــرَّدَى والأُمُ تَفْـــدِيـــكَ معـــاً والأبُ

/ هَـــلْ لـــكِ فـــي وُدّ امـــرىءٍ صـــادقٍ لا يَمْـــذُق الـــوُدَّ ولا يَكْـــذِبُ [٤/٤٠٤]

لا يبتغـــي فـــي وُدّه مَحْـــرَمـــاً هيهـــاتَ منـــكِ العمـــلُ الأرْيَـــبُ (٢)

غنّاه يونس ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.

ومنها:

صوت

فليتَ الـذي يلحَى على زينبَ المُنَى تَعَلّقَـــهُ ممـــا لَقِيـــتُ عَشِيـــرُ (٣)

فَحَسْبِـــي لـــه بـــالعُشْـــرِ ممّـــا لَقِيتُـــه وذلـــك فيمـــا قـــد تَـــراه يسيـــرُ

غنّاه يونس ثاني ثقيلٍ بالوسطى في مجراها عن الهِشامي.

هذه سبعة أصوات قد مضتْ وهي المعروفة بالزيانب. ومن الناس من يجعلها ثمانيةً، ويزيد فيها لحنَ يونس في:

* تَصَـــابَيْـــتَ أم هـــاجـــتْ لـــك الشـــوقَ زينـــب *

وليس هذا منها؛ وإن كان ليونس لحنُه، فإنّ / شِعْرَه لِحُجَيّةَ بن المُضَرَّب الكِنْدِيّ، وقد كُتب في موضع آخر؛ ١١٨/٤ وإنّما الزيانب في شعر ابن رُهَيْمةَ. ومنهم من يَعُدّها تسعةً ويُضيف إليها:

قُـــولا لـــلزينـــبَ لـــو رأيـــ ـــتِ تَشَوُّقي لـــكِ واشترافي (٤)

وهذا اللحن لحَكَم. والشعر لمحمد بن أبي العبّاس السفّاح في زينب بنت سليمان بن عليّ، وقد كُتِب في موضع آخر.

انقضت أخبار يونس الكاتب.

---

(١) الرحم: (بالضم): مصدر رحم كالرحمة.

(٢) المحرم: الحرام. والأريب: ذو الريب. وفي م: «العمل الأعيب».

(٣) العشير: جزء من عشرة أجزاء كالعشر. (٤) الاشتراف: التطلع.

/ أخبار ابن رُهَيمَة

[٤٠٥/٤]

شبب بزينب بنت عكرمة فأمر هشام بن عبد الملك بضربه فتوارى وظهر في أيام الوليد بن يزيد وقال شعراً:

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم قال حدّثني أبو هِفَّانَ عن إسحاق قال:

كان ابن رُهَيْمَةَ يُشَبِّبُ بزينب بنتِ عِكْرِمةَ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ويغني يونس بشعره، فافتضحتْ بذلك. فاستعدى عليه أخوها هشامَ بن عبد الملك، فأمَر بضَرْبه خمسَمائة سوط، وأن يُباح دمُه إنْ وُجِد قد عاد لذكرها، وأن يُفعَلَ ذلك بكلِّ مَنْ غنَّى في شيءٍ من شعره. فَهَرب هو ويونُس فلم يُقْدَرْ عليهما. فلمّا وَلِي الوليدُ بن يزيدَ ظَهَرا. وقال ابن رُهَيْمَةَ:

لئن كنتَ أطردتَني[1] ظالماً ... لقد كشَفَ اللّهُ ما أرْهَبُ

ولو نِلْتَ مِنِّيَ ما تشتهي ... لَقَلَّ إذا رَضِيتْ زينبُ

وما شئتَ فاصْنَعْه بي بعد ذا ... فحُبِّي لزينبَ لا يذهبُ

وفي الأصوات المعروفة بالزيانب يقول أَبَانُ بن عبد الحميد اللاّحقيّ:

أحِبُّ[2] من الغِناء خَفِيـ ... ـفَه إنْ فاتني الهَزَجُ

وأشْنَأ «ضوءَ برقٍ»[3] مثـ ... ـلَ ما أشْنَا «عَفَا مُزُجُ»

وأبْغِضُ «يومَ تنأى و» ... «الزَّيانِبُ» كلُّها سُمُجُ

/ ويُعْجِبُني لإبراهـ ... ـيمَ والأوتارُ تَخْتلِجُ[4]

[٤٠٦/٤]

«أدِيرُ مُدامةً صِرْفاً ... كأنَّ صَبِيبَها وَدَجُ»[5]

يعني أَبَانٌ لحنَ إبراهيم. والشعرُ لأبان أيضاً، وهو:

---

(١) أطرده: صيره طريداً. وأطرد السلطان فلاناً: أمر بطرده أو بإخراجه من البلد.

(٢) وردت هذه الأبيات في كتاب «الأوراق» للصولي (المحفوظ منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٥٣٠ أدب) ضمن قصيدة طويلة مثبتة في ترجمة أبان هذا، ومطلعها:

أأحزنك الألى ردّوا ... جمال الحيّ وادّلجوا

(٣) يريد الشاعر بما وضعناه بين هذه العلامات أصواتاً في الغناء.

(٤) كذا في كتاب «الأوراق» للصولي. وفي الأصول: «تعتلج» بالعين المهملة. وما أثبتناه أنسب بالمعنى. على أن كلمة «تعتلج» قد وردت في بيت آخر من هذه القصيدة، وهو:

نعم فبنات همّ الصدر ... في الأحشاء تعتلج

(٥) الودج: عرق الأخدع الذي يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة. والمراد تشبيه لون الخمرة بلون الدم الذي يسيل من الأخدع عند الذبح.

صوت

أُدِيرُ[١] مُدامَةً صِرْفاً ... كأنَّ صَبِيبَها وَدَجُ
فظَلَّ تخالُه مَلِكاً ... يُصَرِّفُها ويَمتزِجُ

الشعر لأبَانٍ، والغِناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالخِنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوَتَر في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً.

وممّا في غناء يونُس من المائة المختارة المذكورة في هذا الكتاب:

صوت

من المائة المختارة

ألاَ يا لَقَومي لِلرُّقَادِ المُسَهَّدِ[٢] ... ولِلماء ممنوعاً مِنَ الحائمِ الصَّدِي
ولِلحال بعد الحال يركَبُها الفتى ... ولِلحُبِّ بعد السَّلْوة المُتَمَرِّدِ[٣]

/ الشعر لإسماعيل بن يَسار النَّسائي من قصيدة مدحَ بها عبدَ الملك بن مَرْوان؛ وذكر يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق: أنّها[٤] للغول بن عبدالله بن صَيْفيّ الطّائي. والصحيح أنّها لإسماعيل. وأنا أذكُر خبره مع عبد الملك بن مروان ومدْحَه إيّاه بها ليُعْلَمَ صِحّةُ ذلك. والغناء ليونس، ولحنه المختار من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل مطلق في مجرى البنصر. وتمام هذه الأبيات: [٤٠٧/٤] [١١٩/٤]

ولِلمَرْءِ لا عَمَّنْ[٥] يُحِبُّ بِمُرْعَوٍ ... ولا لِسبيلِ الرُّشْدِ يوماً بمُهتدى
وقد قال أقوامٌ وهم يعذِلُونه[٦] ... لقد طال تعذيبُ الفؤادِ المُصَيَّدِ

(١) نسب المؤلف هذين البيتين في (ج ١٢ ص ١١٠ طبع بلاق) المطيع بن إياس. وهو خطأ.
(٢) في «مختصر الأغاني» لابن واصل الحموي: «المشرّد».
(٣) في م: «المتردّد».
(٤) كذا في ط، حـ، ء. وفي سائر الأصول: «أنه للغول». والتذكير باعتبار أنه شعر.
(٥) كذا في م، وفي سائر النسخ: «عما»، وكلاهما صحيح.
(٦) في م: «يعذلونني . . . . . الفؤاد المعبَّد». وفي حـ:
* لقد طاب تعذيب الفؤاد المفند *

[٤٠٨/٤]

/ أخبار إسماعيل بن يَسَار ونسبه

كان منقطعاً إلى آل الزبير ثم اتصل بعبد الملك بن مروان ومدحه والخلفاء من ولده:

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي خَيْثَمةَ قال حدّثنا مُصْعَب بن عبدالله الزُّبَيْرِيّ قال:

كان إسماعيل بن يَسَارٍ النَّسَائيّ مولًى بني تَيْم بن مُرّةَ: تيم قريش، وكان منقطعاً إلى آل الزُّبَير. فلمّا أفضتِ الخلافةُ إلى عبد الملك بن مَرْوانَ، وَفَد إليه مع عُرْوَةَ بن الزُّبَير، ومدَحه ومَدَح الخلفاءَ من ولده بعده. وعاش عمراً طويلاً إلى أن أدرك آخرَ سُلْطان بني أميّة، ولم يُدْرِكِ الدولةَ العبّاسيّة. وكان طَيِّباً مليحاً مُنْدِراً[١] بَطَّالاً، مليحَ الشِّعْر، وكان كالمنقطع إلى عُرْوةَ بن الزُّبَير، وإنّما سُمّي إسماعيلُ بن يَسَارٍ النَّسائيّ[٢]، لأنّ أباه كان يصنعَ طعام العُرْس ويبيعه، فيشتريه منه مَنْ أراد التعريس من المتجمّلين وممن لم تبلُغ حالُه اصطناعَ ذلك.

سبب تلقيبه بالنسائي:

وأخبرني الأَسَديّ قال حدّثنا أبو الحسن محمد بن صالح بن النَّطّاح قال:

إنّما سُمّي إسماعيلُ بن يسار النَّسائيّ لأنه كانَ يبيع النَّجَدَ والفُرُشَ التي تُتَّخَذُ للعرائس؛ فقيل له إسماعيل بن يَسَارٍ النَّسائيّ.

وأخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الخليلُ بن أَسَدٍ عن ابن عائشة:

أنّ إسماعيلَ بن يسار النَّسائيّ إنّما لُقّب بذلك لأنّ أباه كان يكون عنده طعامُ العُرُسات[٣] مُصْلَحاً أبداً؛ فمَنْ طَرَقَه وجده عنده مُعَدًّا.

[٤٠٩/٤] / **نادرة له مع عروة بن الزبير أثناء سفرهما للشام:**

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَب قال حدّثني الزُّبَيْر بن بَكّار قال قال مُصْعَب بن عثمان:

لمّا خرج عُرْوةُ بن الزُّبَير إلى الشأم يُريد الوليدَ بن عبد الملك، أخرج معه إسماعيلَ بنْ يسار النَّسائيّ، وكان منقطعاً إلى آل الزُّبَير، فعادَلَه[٤]. فقال عُرْوةُ ليلةً من اللّيالي لبعض غِلْمانه: انْظُرْ كيف ترى المَحْمِلَ؟ قال: أراه

(١) مندراً: يأتي بالنوادر من قول أو فعل. وبطال: كثير الهزل والمزاح؛ يقال: بطل الرجل يبطَل بَطالةً (من باب فرح) إذا هَزَل.

(٢) النسائيّ: نسبة إلى النساء الذي هو من أسماء جموع المرأة. وفي «اللسان»: أن سيبويه يقول في النسبة إلى نساء: نِسْوِي ردّاً له إلى واحده.

(٣) العرسات: جمع عرس وهو طعام الوليمة. وفي حـ، م: «العرسان» بالنون في آخره. وفي سائر الأصول: «العرسيات».

(٤) عادله: ركب معه في المحمل مقابلاً له.

معتدلاً. قال إسماعيل: الله أكبر، ما اعتدل الحَقُّ والباطلُ قبل الليلة قَطُّ؛ فضحك عُرْوة، وكان يستخفّ إسماعيلَ ويستطيبه.

تساب هو وآخر يكنى أبا قيس في اسميهما فغلبه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي عن أيُّوب بن عَبَايَةَ المخزوميّ:

أنّ إسماعيل بن يسار كان ينزل في موضع يقال له حُدَيْلة[1] وكان له جُلساء يتحدّثون عنده، ففقَدهم أيّاماً، وسأل عنهم فقيل: هم عند رجل يتحدّثون إليه طيِّبِ الحديث حُلْوٍ ظريف قدِم عليهم يسمَّى محمداً ويُكنى أبا قيس. فجاء إسماعيل فوقف عليهم، فسمع الرجلُ القومَ يقولون: قد جاء صديقنا إسماعيل بن يسار؛ فأقبل عليه فقال له: أنت إسماعيل؟ قال نعم. قال: رحِم الله أبويك فإنّهما سَمَّياك باسمِ صادقِ الوعد وأنت أكذب الناس. فقال له إسماعيل: ما اسمك؟ قال: محمد. قال: أبو مَنْ؟ قال: أبو قيس. قال: لا[2]! ولكن لا رحم الله أبويك؛ فإنّهما سَمّياك باسمِ نبيٍّ وكَنَّياك بكُنْيةِ قِرْد. / فأُفْحِم الرجلُ وضحِك القومُ، ولم يَعُدْ إلى مجالستهم، فعادوا إلى مجالسة إسماعيل. ١٢٠/٤

/ **استأذن على الغمر بن يزيد فحجبه ساعة فدخل يبكي لحجبه وادّعى نيته نفاقاً:** [٤/٤١٠]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز[3] قال حدّثنا المدائنيّ عن نُمَير العُذْريّ قال:

اِستأذن إسماعيلُ بن يسار النَّسائيّ على الغَمْر بن يزيد بن عبد الملك يوماً، فحَجَبه ساعةً ثم أذِن له، فدخل يبكي. فقال له الغَمْر: مالكَ يا أبا فائد تبكي؟ قال: وكيف لا أبكي وأنا على مَرْوانِيَّتي ومَرْوانِيَّة أبي أُحْجَبُ عنك! فجعل الغَمْر يعتذر إليه وهو يبكي؛ فما سكت حتّى وصله الغمر بجملة لها قَدْر. وخرج من عنده، فلَحِقه رجلٌ فقال له: أخْبِرْني ويلَك يا إسماعيل، أيّ مَرْوانيّة كانت لك أو لأبيك؟ قال: بُغْضُنا إيّاهم، اِمْرأتُه[4] طالقٌ إن لم يكن يلعَن[5] مَرْوانَ وآلَه كلَّ يوم مكان التسبيح، وإن لم يكن أبوه حضره الموت، فقيل له: قُلْ لا إلَهَ إلاّ الله، فقال: لَعَنَ الله مَرْوانَ، تَقَرُّباً بذلك إلى الله تعالى وإبدالاً له من التوحيد وإقامة له مُقامَه.

شعره الذي يفخر فيه بالعجم على العرب:

أخبرني عَمّي قال حدّثني أبو أيُّوب المدينيّ قال حدّثني مُصْعَبٌ قال:

قال إسماعيلُ بن يسار النَّسائيّ قصيدتَه التي أوّلُها:

---

(١) كذا في ب، حـ،ء، ط. وحديلة محلة بالمدينة بها دار عبد الملك بن مروان. وفي سائر الأصول: «جديلة» بالجيم. وجديلة: مكان في طريق خارج البصرة؛ وهذا لا يتفق مع سياق الخبر.

(٢) في حـ: «قال: ولكن لا رحم... إلخ» بدون «لا».

(٣) كذا في حـ، وهو الصواب. (راجع الحاشية ٢ ص ٢٧٧ ج ٣ من هذه الطبعة). وفي سائر الأصول: «أحمد بن إسماعيل الخزاز» بزايين.

(٤) في ط،ء: «امرته الطلاق». مرة (على وزن ستة): لغة في امرأة.

(٥) كذا في ط، م،ء. وفي سائر الأصول: «إن لم تكن أمه تلعن... إلخ».

مـا علـى رسـمِ منـزلٍ بـالجَنَـابِ[١] لـو أبـانَ الغـداةَ رَجْـعَ الجـوابِ
غَيَّـرتْـه الصَّبَـا وكـلُّ مُلِـثٍّ[٢] دائـمِ الـوَدْقِ مُكْفَهِـرِّ السّحَـابِ
[٤١١/٤] / دارَ هنـدٍ وهـل زمـانـي بهنـدٍ عـائـدٌ بـالهـوى وصَفْـوِ الجنَـابِ
كـالـذي كـان والصفـاءُ مصـونٌ لـم تَشُبْـه بهَجْـرةٍ واجتنـابِ
ذاك منهـا إذ أنـتَ كـالغُصْـن غَـضٌّ وهـي رُؤْدٌ[٣] كـدُمْيَـةِ المِحْـرابِ
غـادةٌ تَسْتَبـي العقـولَ بعَـذْبٍ طَيِّـبِ الطعـم بـاردِ الأنيـاب
وأثيـثٍ[٤] مـن فـوق لـونٍ نَقِـيٍّ كبيـاض اللُّجَيْـنِ فـي الـزِّرْيـاب
فـأقِـلَّ المَـلامَ فيهـا وأقْصِـرْ لَـجَّ قلبـي مـن لـوعـةٍ واكتئـاب[٥]
صـاحِ أبصـرتَ أو سمِعـتَ بـراعٍ رَدَّ فـي الضَّـرْعِ مـا قَـرَى فـي العِـلاَبِ[٦]
[انقضـتْ شِـرَّتـي وأقصـرَ جهلـي واستـراحـتْ عَـوَاذِلـي مـن عِتَـابـي][٧]

وقال فيها يفخَر على العرب بالعجم:

رُبَّ خـالٍ مُتَـوَّجٍ لِـي وعَـمٍّ مـاجـدٍ مُجْتَـدًى كـريـم النِّصـاب
إنّمـا سُمِّـي الفَـوَارِسُ بـالفُـرْ سِ مُضـاهـاةَ رِفْعَـةِ الأنسـابِ
فـاتْـرُكـي الفخـرَ يـا أُمَـامَ علينـا واتـركـي الجَـوْرَ وانطِقـي بـالصَّـوابِ
واسـألـي إن جَهِلْـتِ عنَّـا وعنكـم كيـف كنّـا فـي سـالـف الأحقـابِ
إذ نُـرَبِّـي بَنَـاتنـا وتَـدُسُّـو نَ سَفَـاهـاً بنـاتِكـم فـي التُّـرابِ

[٤١٢/٤] / فقال رجل من آل كَثِير بن الصَّلْت: إنّ حاجتنا إلى بناتنا غير حاجتكم؛ فأفحمه. يريد: أنّ العجم يربُّون بناتِهم لِيَنْكِحوهنّ، والعرب لا تفعل ذلك. وفي هذه الأبيات غناءٌ، نِسْبَتُه:

---

(١) الجناب (بالفتح): الفناء وما قرب من محلة القوم، وقيل: هو موضع في أرض كلب في السّماوة بين العراق والشام. والجناب (بالكسر): موضع بعرَاض خيبر وسَلاح ووادي القرى، وقيل: هو من منازل بني مازن. وقال نصر: الجناب: من ديار بني فزارة بين المدينة وفَيْد. (انظر «معجم البلدان» لياقوت).

(٢) يقال: ألثّ المطر ولث إذا أقام أياماً ولم يقلع. والودق: المطر.

(٣) الرؤد: الشابة الحسنة. والدّمية: الصورة.

(٤) شعر أثيث: كثير عظيم. والزرياب: الذهب، وقيل: ماؤه، معرب زرأي ذهب، وآب أي ماء (خففت الهمزة فأبدلت ياء). وفي حـ: «والزرياب» بواو العطف.

(٥) في ء، ط: «من عولتي واكتئابي». والعولة والعول: البكاء والصياح.

(٦) كذا في أكثر الأصول. وقرى الماء في الحوض: جمعه. والعلاب: جمع عُلْبة، وهي إناء كالقدح الضخم، تتخذ من جلود الإبل أو الخشب يحلب فيها. وفي ء، ط و «تجريد الأغاني» لابن واصل الحموي: «الحلاب» بالحاء المهملة. والحلاب (بالكسر): الإناء الذي يحلب فيه اللبن.

(٧) الزيادة عن «تجريد الأغاني» لابن واصل الحموي، وقد ذكره المؤلف بعد قليل.

صوت

صاحِ أبصرتَ أو سمعتَ براعٍ ... ردّ في الضَّرْع ما قَرَى في العِلاَب
اِنقضتْ شِرَّتي وأَقْصَرَ جهلي ... واستراحتْ عواذلي من عِتابي

/ الشعر لإسماعيل بن يسار النّسائيّ. والغناء لمالك خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. وذكر عمرو بن بانة في نسخته الأولى أنّ فيه للغريض خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر، وذكر في نسخته الثانية أنه لابن سُرَيج. وذكر الهِشاميّ أنّ لحن ابن سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى، وأنّ لحن الغَرِيض ثقيلٌ أوّل. [١٢١/٤]

كان شعوبياً شديد التعصب للعجم:

وحدّثني بهذا الخبر عمّي قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمةَ عن مُصْعَب قال:

إسماعيلُ بن يسار يُكْنَى أبا فائد، وكان أخواه محمد وإبراهيم شاعرين أيضاً، وهم من سَبْي فارس. وكان إسماعيل شُعُوبِيًّا[1] شديدَ التعصُّب للعجم، وله شعرٌ كثير يفخَر فيه بالأعاجم. قال: فأنشد يوماً في مجلس فيه أشعبُ قولَه:

إذ نُرَبِّي بناتِنا وتَدُسُّو ... نَ سَفَاهاً بناتِكم في التُّرابِ

فقال له أشعبُ: صدقتَ والله يا أبا فائد، أراد القوم بناتِهم لغير ما أردتموهنّ له. قال: وما ذاك؟ قال: دَفَن القومُ بناتهم خوفاً من العار، وربّيتُموهنّ لتنكحوهنّ. قال: فضحِك القومُ حتى استغربوا[2]، وخَجِل إسماعيل حتّى لو قَدَر أن يَسِيخَ في الأرض لفَعَل.

/ رماه عبد الصمد في البركة بثيابه بإيعاز من الوليد بن يزيد ثم مدح الوليد فأكرمه: [٤١٣/٤]

أخبرني الجَوْهريّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّةَ قال أخبرني أبو سَلَمةَ الغِفَاريّ قال أخبرنا أبو عاصِم الأَسْلَميّ قال:

بينَا ابنُ يَسَارٍ النَّسائيّ مع الوليد بن يزيد جالسٌ على بركة، إذ أشار الوليد إلى مولًى له يقال له عبد الصمد، فدفع ابن يسار النسائيّ في البركة بثيابه؛ فأَمَر به الوليدُ فأُخرِج. فقال ابن يسار:

قُلْ لِوَالي العَهْدِ[3] إنْ لاقَيْتَه ... ووَلِيُّ العهدِ أولَى بالرَّشَدْ
إنّه واللّهِ لولا أنتَ لم ... يَنْجُ منّي سالماً عبدُ الصَّمَدْ

(١) الشعوبية: فرقة لا تفضل العرب على العجم ولا ترى لهم فضلاً على غيرهم، ويرون التسوية بين الشعوب.

(٢) أي بالغوا في الضحك.

(٣) كذا في أكثر النسخ. وفي ط،ء: «قل لولي العهد... إلخ» بدون ألف بعد الواو. وعلى هذه الرواية يكون قد دخله الخزم، وهو زيادة حرف في أوّل الجزء أو حرفين أو حروف من حروف المعاني نحن الواو وبل وإذا. وأكثر ما جاء من الخزم بحروف العطف. فالخزم بالواو كقول امرىء القيس:

وكأن ثبيراً في أفانين ودقه ... كبير أناس في بجاد مزمّل

وقد يأتي الخزم في أوّل المصراع الثاني، كما أنشد ابن الأعرابي:

بل بُرَيْقاً بتُّ أرقُبُه ... «بل» لا يرى إلا إذا اعتلما

وربما اعترض في حشو النصف الثاني بين سبب ووتد، كقول مطر بن أشيم:

الفخر أوّله جهل وآخره ... حقد «إذا» تذكرت الأقوال والكلم

إنّــــه قـــــد رام منّـــي خُطَّـــــةً لـــم يَـــرُمْهـــا قبلَـــه منّـــي أحـــدْ

فهـــو ممـــا رامَ منّـــي كـــالـــذي يَقْنُـصُ الـدُّرّاجَ[1] مـن خِيسِ[2] الأسَـدْ

فبعث إليه الوليدُ بخِلْعةٍ سَنِيّةٍ وصِلَةٍ وترضّاه. وقد رُوِي هذا الخبر لسعيد بن عبد الرحمن بن حَسّان بن ثابت في قصة أخرى، وذُكِر هذا الشعرُ له فيه.

[٤/٤١٤] / استنشد أحد ولد جعفر بن أبي طالب الأحوص قصيدة فلما سمعها أنشد هو قصيدة من شعره فأعجب بها الطالبي:

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حَمّاد قرأتُ على أبي[3]: حدّثني مصعبَ بن عبدالله قال سمعتُ إبراهيم بن أبي عبدالله يقول:

رَكِب فلانٌ من ولد جعفر بن أبي طالب رحمه الله بإسماعيلَ بن يسار النَّسائيّ حتّى أتى به قُبَاءَ؛ فاستخرج الأحوصَ فقال له: أَنْشِدْني قولَك:

مـــا ضَـــرَّ جِيـــرانَنـــا إذ انتجعـــوا لـــو أنّهـــم قبـــل بينِهـــم رَبَعُـــوا

فأنشده القصيدةَ. فأُعْجِب بها، ثم انصرف. فقال له إسماعيل بن يسار: أمَا جئتَ إلّا لِما أرى؟ قال لا[4]. قال: فاسمَعْ، فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها:

مـــا ضَـــر أهلَـــكِ لـــو تَطَـــوّف عـــاشـــقٌ بِفِنـــاء بيتِـــك أو أَلَـــمَّ فسلَّمـــا

فقال: واللّهِ لو كنتُ سمعتُ هذه القصيدةَ أو علمتُ أنك قلتَها لَمَا أتيتُه. وفي أبياتٍ من هذا الشعر غناءٌ نِسْبَتُهُ:

صـوت

يـــا هنـــدُ رُدّي الـــوصـــلَ أن يَتَصَـــرَّمَـــا وصِلِـــي امـــرأً كَلِفـــاً بحبِّـــك مُغْـــرَمَـــا

لـــو تبـــذُليـــن لنـــا دَلَالَـــكِ مَـــرّةً لـــم نَبْـــغِ منـــكِ ســـوى دَلَالِـــكِ مَحْـــرَمَـــا

[١٢٢/٤] / مَنَـــع الـــزيـــارةَ أنَّ أهلَـــكِ كلَّهـــم أبـــدَوْا لِـــزَوْرِك غِلْظـــةً وتَجَهُّمَـــا

مـــا ضَـــرَّ أهلَـــكِ لـــو تَطَـــوَّفَ عـــاشـــقٌ بِفِنـــاء بيتِـــكِ أو أَلَـــمَّ فسَلَّمـــا

الشعر لإسماعيل بن يَسَار النَّسائيّ. والغناء لابن مِسْجَحٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لإبراهيم المَوْصِليّ رَمَلٌ بالبنصر عن حَبَش.

---

(١) الدرّاج (بضم الدال وتشديد الراء): طائر أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغبر على خلقة القطا إلا أنه ألطف. وجعله الجاحظ من أقسام الحمام؛ لأنه يجمع فراخه تحت جناحيه كما يجمع الحمام. وهو من طير العراق كثير التتاج. وفي المثل: فلان «يطلب الدرّاج من خيس الأسد». يضرب لمن يطلب ما يتعذر وجوده. (انظر كتاب «حياة الحيوان» للدميري ج ١ ص ٤١٧ طبع بلاق).

(٢) خيس الأسد: غابته ومكانه.

(٣) في م: «. . . قرأت على أبي قال حدّثني. . .».

(٤) كذا في جميع الأصول. وظاهر أن المقام مقام «بلى». فلعل هذا خطأ من النساخ.

/ **سمع زبان السوّاق شعره فبكى:** [٤/٤١٥]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عُبَيدةَ قال: أنشد رجلٌ زَبّان[1] السوّاق قولَ إسماعيل بن يَسَار:

مـا ضَـرَّ أهلَـكِ لـو تَطَـوّفَ عـاشـقٌ ... بفنـاءِ بيتِـكِ أو ألَـمَّ فسَلّمـا

فبكى زَبّان[1]، ثم قال: لا شيء واللّهِ إلاّ الضَّجَر وسوء الخلق وضيق الصدر، وجعل يبكي ويمسَح عينيه.

شعره الذي تشاجر بسببه أبو المعافي مع زبان السوّاق:

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيْدَلانِيّ النحويّ صِهْر المُبَرِّد[2] قال حدّثني طلحةُ بن عبدالله بن[3] إسحاق الطَّلْحيّ قال حدّثني الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني جعفر بن الحسين المُهَلَّبيّ قال:

أنشدتُ زَبّان[3] السَّواق قولَ إسماعيل بن يَسَارٍ النَّسائيّ:

صوت

إن جُمْـلاً[4] وإنْ تَبَيَّنْـتُ منهـا ... نَكَبـاً عـن مَـوَدّتـي وازْوِرَارَا

شَـرِّدتْ[5] بـادّكـارهـا النَّـوْمَ عنّـي ... وأُطِيـرَ العَـزَاءُ منّـي فطـارا

مـا علـى أهلهـا ولـم تـأتِ[6] سُـوءا ... أن تُحَيَّـا تَحِيَّـةً أو تُـزارَا

يـوم أبْـدَوْا لِـيَ التَّجَهُّـمَ فيهـا ... وحَمَـوْهـا لَجَـاجـةً وضِـرَارا

/ فقال زبّان: لا شيء وأبيهم إلاّ اللَّحَز[7] وقلّة المعرفة وضِيق العَطَن[8]. فصاح عليه أبو المُعَافَى وقال: [٤/٤١٦] فعَلَى مَنْ ذاك ويلَك! أعليك أو على أبيك أو أمّك؟ فقال له زبّان: إنّما أُتِيتَ يا أبا المُعَافَى من نفسك، لو كنتَ تفعل هذا ما اختلفتَ أنت وابنُك. فوثب إليه أبو المُعَافَى يرميه بالتُّراب ويقول له: وَيْحَك يا سفيه! تُحسن الدِّياثةَ! وزبّان يسعَى هرباً منه.

الغناء في هذه الأبيات لابن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكيّ وحمّاد، وذكر الهشاميّ وحَبَشٌ أنه لابن مُحْرِز، وأنّ لحن ابن مِسْجَح ثاني ثقيل.

---

(١) في حـ: «ريان السوّاق» بالراء والياء المثناة من تحت.

(٢) في «إنباه الرواة» للقفطي (ص ٥٦ ج ٢ قسم أوّل، عن النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٩ تاريخ): «محمد بن جعفر الصيدلاني صهر أبي العباس المبرد على ابنته».

(٣) في ط، م، ء: «أبو إسحاق». ولم نوفق لتحقيق هذا الاسم في المظانّ: أهو كنية لطلحة أم أن إسحاق اسم جدّه.

(٤) في حـ: «إن جملاً خلي تبينت. . . . . .».

(٥) في ط، م، ء: «شَرِقتْ بادّكارها اليوم عيني». وشرقت العين: احمرّت، أو امتلأت بالدمع.

(٦) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «ولم نأت» بالنون.

(٧) كذا في ط، ء. واللحز (بالتحريك): الشح والبخل. وفي سائر الأصول: «اللحن» النون بدل الزاي، وهو تحريف.

(٨) ضيق العطن: كناية عن الجمق وضيق الصدر.

طلبه الوليد بن يزيد من الحجاز فحضر وأنشده فأكرمه:

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق المَوْصِليّ قال:

غُنّي الوليدُ بن يزيد في شِعْرٍ لإسماعيل بن يَسَار، وهو:

حتّـى إذا الصبـحُ بـدا ضـوءهُ ... وغـارتِ الجـوزاء والمِـرزَمُ[1]

خـرجـتُ والـوَطْءُ خَفِـيٌّ كمـا ... ينسـاب مـن مَكْمَنِـه الأرقَـمُ[2]

فقال: مَنْ يقول هذا؟ قالوا: رجلٌ من أهل الحجاز يقال له إسماعيل بن يسار النَّسائي؛ فكتب في إشخاصه إليه. فلمّا دخل عليه استنشده القصيدةَ التي هذان البيتان منها؛ فأنشده:

كَلْثَـمُ أنـتِ الهَـمُّ يـا كلثـمُ ... وأنتـمُ دائـي الـذي أكْتُـمُ

أُكـاتـمُ النـاسَ هـوًى شَفَّنـي ... وبعـضُ كِتمـان الهـوى أحـزمُ

[٤١٧/٤] / قـد لُمْتِنـي ظلمـاً بـلا ظِنَّـةٍ ... وأنـتِ فيمـا بيننـا ألـوَمُ

أبْـدِي الـذي تُخْفِينـه ظـاهـراً ... أرتـدُّ عنـه فيـكِ أو أُقـدِمُ

١٢٣/٤ / إمّـا بيـأسٍ منـك أو مَطْمَـعٍ ... يُسْـدَى بحسـن الـودّ أو يُلْحَـمُ

لا تَتـرُكِينـي هكـذا مَيِّتـاً ... لا أُمْنَـحُ الـودَّ ولا أُصْـرَمُ

أوْفـي بمـا قُلْـتِ ولا تَنْـدَمـي ... إنّ الـوَفِـيَّ القـولِ لا يَنْـدَمُ

آيـةُ[3] مـا جئـتُ علـى رِقْبَـةٍ ... بعـد الكَـرَى والحـيُّ قـد نَـوَّمُـوا

أخـافِـتُ المَشْـيَ حِـذارَ العِـدَا[4] ... والليـلُ داجٍ حـالـكٌ مظلـمُ

ودون مـا حـاولـتُ[5] إذ زرتُكـم ... أخـوكِ والخـالُ معـاً والعَـمُّ

وليـس إلاّ اللّـهَ لـي صـاحـبٌ ... إليكُـم والصـارمُ اللَّهْـذَمُ[6]

حتّـى دخلـتُ البيـتَ فـاسـتـذرفـتْ ... مـن شَفَـقٍ عينـاكِ لـي تَسْجُـمُ

ثـم انجلَـى الحـزنُ ورَوْعـاتُـه ... وغُيِّـبَ الكـاشـحُ والمُبْـرِمُ[7]

فبِـتُّ فيمـا شئـتُ مـن نَعْمـةٍ[8] ... يَمْنَحُنيهـا[9] نحـرُهـا والفَـمُ

---

(١) المرزم: من نجوم المطر، وأكثر ما يذكر هذا اللفظ بصيغة المثنى، فيقال: المرزمان.

(٢) الأرقم: أخبث الحيات، والأنثى «رقشاء»، بالشين، ولا يقال: «رقماء» بالميم؛ لأنه قد جعل اسماً منسلخاً عن الوصفة.

(٣) في ب، حـ: «إيه بما جئت... إلخ».

(٤) في ء، ط، م: «حذار الردى».

(٥) في حـ: «ودون ما جاوزت».

(٦) اللهذم: القاطع من السيوف والأسنة.

(٧) المبرم: الجليس الثقيل.

(٨) النعمة بفتح النون: المسرة والفرح والترفه.

(٩) في ء، ط، م: «جاد بها لي ثغرها والفم».

حتّــى إذا الصبـحُ بَـدَا ضـوءُه وغــارتِ[1] الجـوزاءُ والمِـرْزَمُ
خــرجــتُ والــوطءُ خفــيٌّ كمــا ينســابُ مــن مَكْمَنِــه الأرْقَــمُ

قال: فطرِبَ الوليد حتّى نزل عن فَرْشه وسريره، وأمَر المغنّين فغنّوه الصوتَ وشَرِب عليه أقداحاً، وأمَر لإسماعيل بِكُسْوةٍ وجائزة سنيّة، وسرّحه إلى المدينة.

/ نسبة هذا الصوت [٤١٨/٤]

سمع شيخ قينة تغني بشعره فألقى بنفسه في الفرات إعجاباً به:

الشعرُ لإسماعيل بن يَسَار النَّسائيّ. والغناءُ لابن سُرَيج رَمَلٌ.

حدّثنا أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق الموصليّ قال حدّثنا محمد بن كُنَاسةَ قال:

اِصطحبَ شيخ وشبابٌ في سفينة من الكوفة؛ فقال بعضُ الشباب للشيخ: إنّ معنا قَيْنةً لنا، ونحن نُجِلُّك ونُحِبُّ أن نسمَع[2] غناءها. قال: اللّهُ المستعان؛ فأنا أرقَى على الأطلال[3] وشأنكم. فغنّتْ:

حتّــى إذا الصبـحُ بَـدَا ضـوءُه وغــارتِ الجـوزاء والمــرزمُ
أقبلــت والــوطء خفــيٌّ كمــا ينســاب مــن مكمنــه الأرقــمُ

قال: فألقَى الشيخ بنفسه في الفُرات، وجعل يخبِط بيديه ويقول: أنا الأرقم! أنا الأرقم! فأدركوه وقد كاد يغرَق؛ فقالوا: ما صنعت بنفسك؟ فقال: إنّي واللّهِ أعلمُ من معاني الشعر ما لا تعلمون.

مدح عبدالله بن أنس فلم يكرمه فهجاه:

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويةَ قال حدّثني أبو مُسْلِم المُسْتَمْلِي عن المَدَائنيّ قال:

مدح إسماعيلُ بن يسار النَّسائيّ رجلاً من أهل المدينة يقال له عبدُالله بن أَنَس، وكان قد اتَّصل ببني مَرْوانَ وأصاب منهم خيراً، وكان إسماعيل صديقاً / له؛ فرحل إلى دِمَشْقَ إليه، فأنشده مديحاً له ومَتَّ إليه بالجِوار [٤١٩/٤] والصداقة؛ فلم يُعْطِه شيئاً. فقال يهجوه:

لَعَمْــرُكَ مــا إلــى حَسَــنٍ رَحَلْنــا ولا زُرْنَــا حُسَيْنــاً يــابْــنَ أَنَــسِ

(يعني الحسنَ والحسين رضي الله تعالى عنهما).

---

(١) في ء، ط: «وغابت» وكلتاهما بمعنى.

(٢) في ء، ط: «تسمع» بتاء الخطاب.

(٣) كذا في م. والأطلال: جمع طلل. وطلل السفينة: شراعها. وفي س: «الظلال». وفي سائر الأصول: «الأظلال» وكلاهما تحريف.

ولا[1] عبداً لعبدهما[2] فنَحْظَى بحُسْنِ الحَظِّ منهم غيرَ بَخْسِ

١٢٤/٤ / ولكن ضَبُّ جَنْدَلةٍ[3] أتينا مُضِبًّا[4] في مَكَامِنِه يُفَسِّي

فلمّا أنْ أتيناه وقُلنا بحاجتنا تلوَّن لَوْنَ وَرْسِ[5]

وأعرضَ غيرَ مُنْبَلِجٍ لِعُرْفٍ وظَلَّ مُقَرْطِباً[6] ضِرساً بضِرْسِ[7]

فقلتُ لأهله أبه كُزَازٌ[8] وقلتُ لصاحبي أتُراه يُمْسي

فكان الغُنْمُ أن قُمْنا جميعاً مخافةَ أن نُزَنَّ[9] بقتل نَفْسِ

[٤٢٠/٤] / رثاؤه لمحمد بن عروة:

حدّثني عَمّي[10] قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا مُصْعَب بن عبد الله قال:

وَفَد عُرْوةُ بن الزُّبَير إلى الوليد بن عبد الملك وأخرج معه إسماعيلَ بن يسار النَّسائيّ، فمات في تلك الوِفادة محمد بن عُرْوة بن الزُّبَير، وكان مُطَّلِعاً على دوابِّ الوليد بن عبد الملك، فسقَط من فوق السطح بينها، فجعلتْ تَرْمَحه[11] حتى قطّعته، كان جميلَ الوجه جواداً. فقال إسماعيلُ بن يَسَار يرثيه:

صلّى الإلهُ على فتًى فارقتُه بالشأم في جَدَثِ الطَّوِيّ[12] المُلْحَدِ[13]

بوّأتُه بيديَّ دارَ إقامةٍ نائي المَحَلّة عن مَزارِ العُوَّدِ

وغَبَرتُ أعْوِلُه[14] وقد أسلمتُه لِصَفًا[15] الأماعِزِ والصَّفِيحِ[16] المُسْنَدِ

---

(١) ورد بعض هذه الأبيات في كتاب «عيون الأخبار» (ج ٣ ص ١٥٤ طبع دار الكتب المصرية) منسوباً إلى الحارث الكنديّ هكذا:

فلما أن أتيناه وقلنا بحاجتنا تلوّن لون ورس

وآض بكفه يحتك ضرسا يُرينا أنه وَجِعٌ بضرس

فقلت لصاحبي أبه كزاز وقلت أسرّه أتُراه يمسي

وقمنا هاربين معاً جميعاً نحاذر أن نزنّ بقتل نفس

(٢) كذا في ط، م،ء. وفي سائر الأصول: «العبدهم».

(٣) الجندلة: واحدة الجندل وهي الحجارة.

(٤) أضب في المكان: لزمه فلم يفارقه.

(٥) الورس: نبات أصفر يكون باليمن يتخذ منه طلاء للوجه، ونباته مثل نبات السمسم.

(٦) المقرطب (بكسر الطاء): الغضبان.

(٧) كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «ضرساً لضرس».

(٨) الكزاز (كغراب ورمّان): داء يأخذ من شدّة البرد وتعتري منه رعدة.

(٩) نزن: نتهم.

(١٠) في م: «حدّثني الحسن». وهو الحسن بن محمد عمّ صاحب «الأغاني».

(١١) ترمحه: تضربه بأرجلها.

(١٢) الطويّ: المراد به هنا القبر المعرّش بالحجارة والآجرّ.

(١٣) ألحد القبر: عمل له لحداً.

(١٤) أعول الرجل: رفع صوته بالبكاء.

(١٥) الصفا: جمع صفاة وهي الحجر الصلد الضخم لا ينبت. والأماعز: جمع أمعز، وهو المكان الصلب الكثير الحصى.

(١٦) الصفيح والصفيحة: واحد الصفائح وهي الحجارة العريضة. والمسند: المتراكب بعضه فوق بعض.

مُتَخَشِّعاً للدهر ألبَسُ حُلَّةً ... في النائبات بحَسْرةٍ وتَجَلُّدِ
أعني ابنَ عُرْوةَ إنَّه قد هَدَّني ... فَقْدُ ابنِ عُرْوةَ هَدَّةً لم تَقْصِدِ
فإذا ذهبتُ إلى العَزاء أرُومُه ... لِيَرى المُكاشِحُ بالعزاء تَجَلُّدي
مَنَع التَّعَزِّيَ أنَّني لِفراقِه ... لَبِس العَدُوُّ عليّ جِلْدَ الأربَدِ[1]
ونأى الصديقُ فلا صديقَ أعُدُّه ... لدِفاع نائبةِ الزَّمان المُفسِدِ
فلئن تركتُك يا محمد ثاوياً ... لَبِمَا تروح[2] مع الكرام وتغتدي
/ كان الذي يَزَع العدوَّ بدفعه ... ويردّ نَخْوةَ ذي المِراحِ[3] الأصْيَدِ [٤٢١/٤]
فمضى لوجهته وكلُّ مُعَمَّرٍ ... يوماً سيُدرِكُه حِمَامُ الموعد

دخل على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير ومدحه فأكرمه:

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي خَيْثمةَ قال حدّثنا مُصْعَب بن عبدالله عن أبيه:

أن إسماعيل بن يَسَار دخل على عبد الملك بن مَرْوان لمّا أفضى إليه الأمر بعد مقتل عبدالله بن الزُّبير، فسلَّم ووقف موقف المُنشِد واستأذنَ في الإنشاد. فقال له عبد الملك: الآن يابنَ يسار! إنّما أنت امرؤٌ زُبَيْرِيٌّ، فبأيّ لسان تُنشِد؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، أنا أصغرُ شأناً من ذلك، وقد صفحتَ عن أعظمَ جُرْماً وأكثرَ غَنَاءً لأعدائك منّي، وإنما أنا شاعر مُضْحِك. فتبسّم عبد الملك، وأومأ إليه الوليد بأن يُنشد. فابتدأ فأنشد قولَه:

ألا يا لَقَوْمي لِلرُّقَاد المُسَهَّدِ ... ولِلماء ممنوعاً من الحائم الصَّدي
ولِلحال بعد الحال يركبها الفتى ... ولِلحُبّ بعد السَّلْوة المُتَمَرِّد
ولِلمرء يُلْحَى في التصابي وقبلَه ... صبا بالغواني كُلُّ قَرْمٍ مُمَجَّدِ
وكيف تَناسِي القَلْبِ سَلْمَى وحُبُّها ... كجَمْرِ غَضًى بين الشَّراسيف[4] مُوقَد

حتى انتهى إلى قوله:

/ إليكَ إمامَ النَّاسِ من بطن يَثْرِبٍ ... ونِعْمَ أخو ذي الحاجة المُتَعَمِّدِ [١٢٥/٤]
رَحَلْنا لِأنّ الجودَ منك خليقةٌ ... وأنّك لم يَذْمُمْ جنابَك مُجْتَدي
ملكتَ فزِدْتَ النّاسَ ما لم يَزِدْهُم ... إمامٌ من المعروف غيرِ المُصَرَّد[5]
/ وقُمْتَ[6] فلم تنقُض قضاءَ خليفةٍ ... ولكن بما ساروا من الفعل تقتدي [٤٢٢/٤]

(١) الأربد هنا: الأسد.
(٢) كذا في ء، ط، م. وفي سائر النسخ: «على الكرام».
(٣) المراح: الأشر والنشاط. والأصيد: الذي يرفع رأسه كبراً. ومنه قيل لملك: أصيد؛ لأنه لا يلتفت يميناً ولا شمالاً.
(٤) الشراسيف: أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن.
(٥) صرّد عطاءه: قلله، وقيل: أعطاه قليلاً قليلاً.
(٦) في ء، ط. «وقلت».

ولمّا وَلِيتَ المُلْكَ ضاربتَ دونه ... وأسندتَه لا تأتلي خيرَ مُسْنَدِ

جعلتَ هِشَاماً والوليدَ ذخيرةً ... وليَّين للعهد الوثيق المؤكَّدِ

قال: فنظر إليهما عبدُ الملك متبسّماً، والتفت إلى سليمان فقال: أخرجك إسماعيل من هذا الأمر. فقَطَب سليمانُ ونظر إلى إسماعيل نظر مُغْضَب. فقال إسماعيل: يا أمير المؤمنين، إنما وَزْنُ الشعر أخرجه من البيت الأوّل، وقد قلتُ بعده:

وأمضيتَ عزماً في سليمانَ راشداً ... ومَنْ يعتصمْ بالله مثلَك يَرْشُدِ

فأمر له بألفي درهمٍ صلةً، وزاد في عطائه، وفرض له، وقال لولده: أَعْطُوه؛ فأعطَوْه ثلاثةَ آلافِ درهم.

استنشده هشام بن عبد الملك فافتخر ورمى به في بركة ماء ونفاه إلى الحجاز:

أخبرني عمّي قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمةَ قال ذكر ابن النَّطّاح عن أبي اليَقْظان:

أنّ إسماعيل بن يسار دخل على هِشَام بن عبد الملك في خِلافته وهو بالرُّصَافة جالسٌ على بركةٍ له في قصره، فاستنشده وهو يرى أنه يُنْشِده مديحاً له؛ فأنشده قصيدته التي يفتخر فيها بالعجم:

يا رَبْعَ رامةَ[1] بالعَلْياء من رِيمِ[2] ... هل تَرْجِعَنّ إذا حَيَّيْتُ تسليمي

[٤/٤٢٣] / ما بالُ حَيٍّ غدتْ بُزْلُ المَطِيِّ بهم ... تَخْدِي لغربتهم سَيْراً بتقحيم[3]

كأنّني يوم ساروا شاربٌ سلَبَتْ ... فؤادَه قهوةٌ من خَمْرِ دارُومِ[4]

حتّى انتهى إلى قوله:

إنّي وَجَدِّكَ ما عُودي بذي خَوَرٍ ... عند الحِفاظِ ولا حَوْضِي بمهدومِ

أَصْلي كريمٌ ومجدي لا يُقاس به ... ولي لسانٌ كحَدِّ السَّيْفِ مسمومُ[5]

أَحْمِي به مجدَ أقوامٍ ذوي حَسَبٍ ... من كلّ قَرْمٍ بتاجِ المُلْكِ معمومِ

جحاجحٍ[6] سادةٍ بُلْجٍ مَرَازِبةٍ ... جُرْدٍ عِتَاقٍ مَسَامِيحٍ مَطَاعيمِ

---

(١) رامة: منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة. وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة. وقيل: رامة: هضبة أو جبل لبني دارم.

(٢) رئم (بكسر أوّله وهمز ثانيه وسكونه وقيل بالياء غير مهموز): واد لمزينة قرب المدينة، وقيل: على ثلاثين ميلاً من المدينة، وقيل: على أربعة برد من المدينة أو ثلاثة. (والبريد فرسخان أو أربعة فراسخ، والفرسخ: ثلاثة أميال).

(٣) بزل (ككتب ويسكن): جمع بزول، والبزول: الناقة في تاسع سنيها وليس بعده سن تسمى. وخدي الفرس والبعير: أسرع وزجّ بقوائمه. والتقحيم: طيّ المنازل وعدم النزول بها؛ يقال: قَحَم المنازل إذا طواها، وقحّمت الإبل راكبيها: جعلتهم يطوون المنازل منزلاً منزلاً من غير أن ينزلوا بها.

(٤) داروم: قلعة بعد غزّة للقاصد إلى مصر، والواقف فيها يرى البحر إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ، خربها صلاح الدين لما ملك الساحل في سنة ٥٨٤ هـ تنسب إليها الخمر.

(٥) الظاهر أن هذه الكلمة مرفوعة، وبذلك يكون في الشعر إقواء. على أنه يمكن أن يكون أصل الكلام: «إلى لسان...» بدل «ولي لسان...».

(٦) جحاجح: جمع جحجح، والجحجح والجحجاح: السيد الكريم. والمرازبة: جمع مرزبان، وهو رئيس الفرس.

مَنْ مثلُ كِسْرَى وسابورِ الجنودِ معاً ... والهُرْمُزانِ[1] لفخرٍ أو لتعظيم

أُسْدُ الكتائبِ يوم الرَّوْعِ إن زَحَفُوا ... وهمْ أذلُّوا ملوكَ التُّرْكِ والرُّوم

يمشُون في حَلَقِ الماذِيِّ سابغةً ... مَشْيَ الضَّراغِمةِ الأُسْدِ اللَّهاميم[2]

هناك إن تسألي تُنْبَيْ بأنّ لنا ... جُرثومةً[3] قَهَرتْ عِزَّ الجراثيم

قال: فغضب هشامٌ وقال له: يا عاضَّ بَظْرِ أمّه! أعليّ تفخَر وإيّايَ تُنْشِد قصيدةً تمدَح بها نفسك وأعلاجَ قومك!! غُطُّوه في الماء، فغطُّوه في البركة / حتى كادت نفسه تخرُج، ثم أمر بإخراجه وهو بشَرٍّ ونفاه من وقتِه، [٤/٤٢٤] فأُخرِج عن الرُّصَافة منفيًّا إلى الحجاز. قال: كان مبتلًى بالعصبيّة للعجم والفخر بهم، فكان لا يزال مضروباً محروماً مطروداً.

مدح الوليد والغمر ابني يزد فأكرماه:

أخبرني عمّي قال / حدّثني أحمد بن أبي خَيْثمةَ قال قال ابن النطّاح وحدّثني أبو اليَقْظان: [١٢٦/٤]
أنّ إسماعيل بن يَسَار وَفَد إلى الوليد بن يزيد، وقد أسنّ وضعُف، فتوسَّل إليه بأخيه الغَمْر ومَدَحه بقوله:

نأتْك سُلَيْمَى فالهَوَى مُتَشاجِرُ ... وفي نَأْيِها للقلب داءٌ مُخَامِرُ

نأتْك وهام القلب، نأياً بذكرها[4] ... ولَجّ كما لَجّ الخليعُ المُقَامِرُ

بواضحةِ الأقرابِ[5] خفّاقةِ الحَشَى ... بَرَهْرَهةٍ[6] لا يَجْتَوِيها[7] المُعَاشِرُ

يقول فيها يمدَح الغَمْرَ بن يزيد:

إذا عدّد الناسُ المكارمَ والعُلاَ ... فلا يَفْخَرَنْ يوماً على الغَمْرِ فاخرُ

فما مرّ من يومٍ على الدهر واحدٍ ... على الغَمْرِ إلاّ وهو في الناس غامِر[8]

تراهم خشوعاً حين يبدو[9] مهابةً ... كما خَشَعَتْ يوماً لكِسْرَى الأَساوِرُ

أَغَرُّ بِطَاحِيٌّ[10] كأنّ جبينَه ... إذا ما بدا بدرٌ إذا لاح باهِرُ

---

(١) الهرمزان: الكبير من ملوك العجم.

(٢) حلق: جمع حلقة وهي هنا الدرع. والماذي: الدروع السهلة اللينة أو البيضاء. واللهاميم: جمع لهميم وهو السابق الجواد من الخيل والناس.

(٣) جرثومة الشيء: أصله.

(٤) أي نأتك نأياً وهام القلب بذكرها.

(٥) الأقراب: جمع قُرب وهي الخاصرة.

(٦) البرهرهة: المرأة البيضاء الشابة الناعمة.

(٧) في أكثر الأصول: «لا يستويها». وفي م: «لا يحتويها» وكلاهما تحريف. وما أثبتناه هو تصحيح الشنقيطي في نسخته، وهو الذي يستقيم به المعنى. واجتواه: كرهه.

(٨) في م:

فما مر من يوم من الدهر واحد ... من الغمر إلا وهو للناس غامر

(٩) كذا في حـ، وبه صحح الشنقيطي نسخته. وفي سائر الأصول: «تبدو».

(١٠) البطاحيّ: نسبة إلى البطاح، وهي التي كان ينزلها قريش البطاح، وهم أشرف قريش وأكرمهم. (انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٤ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة).

[٤/٤٢٥] / وَقَى عِرْضَه بالمالِ فالمالُ جُنَّةٌ — لـه وأهانَ المالَ والعِرْضُ وافرُ
وفي سَيْبِه للمجتدين عِمارةٌ — وفي سَيْفِه للدِّين عِزٌّ وناصر
نَمَاه إلى فَرْعَيْ لُؤَيِّ بن غالبٍ — أبوه أبو العاصي وحَرْبٌ وعامر
وخمسةُ آباءٍ له قد تتابعوا — خلائفُ عَدْلٍ مُلْكُهم مُتَواتِر
بَهاليلُ سَبَّاقون في كلّ غايةٍ — إذا استبقتْ في المَكْرُماتِ المَعَاشِر
هُمْ خيرُ مَنْ بين الحَجُون إلى الصَّفَا — إلى حيثُ أفضتْ بالبِطاح الحَزَاوِر[١]
وهُمْ جمعوا هذا الأنامَ على الهُدَى — وقد فرّقتْ بين الأنام البصائر

قال: فأعطاه الغَمْرُ ثلاثةَ آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليد ثلاثة آلاف درهم.

أخبرني عمي قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثمةَ عن مُصْعَبٍ قال:

لمّا مات محمد بن يسار، وكانت وفاته قبل أخيه، دخل إسماعيلُ على هشام بن عُرْوةَ، فجلس عنده وحدّثه بمصيبته ووفاة أخيه، ثم أنشده يرثيه:

عِيلَ العَزَاءُ وخانني صَبْرِي — لمّا نَعَى الناعي أبا بَكْرِ
ورأيتُ رَيْبَ الدَّهْرِ أفردني — منه وأسْلَمَ للعِدَا ظهري
من طَيِّبِ الأثواب مُقْتَبَلٍ — حُلْوِ الشمائل ماجدٍ غَمْرِ[٢]
فمضى لِوجهته وأدركه — قَدَرٌ أُتِيحَ له من القَدْرِ
وغَبَرتُ[٣] مالي من تَذَكُّرِه — إلاّ الأسَى وحرارةُ الصدر
وجَوًى يُعَاوِدُني[٤] وقلَّ له — منّي الجوى ومَحَاسِنُ الذُّكْر
[٤/٤٢٦] / لمّا هوتْ أيدي الرِّجالِ به — في قَعْرِ ذات جَوَانبٍ غُبْرِ
وعلمتُ أنّي لن ألاقِيَه — في الناس حتّى ملتقَى الحَشْرِ
كادتْ لِفُرْقته وما ظلمتْ — نَفْسِي تموت على شَفَا القبر
ولعَمْرُ مَنْ حُبِس الهَدِيُّ له — بالأخْشَبَيْنِ[٥] صَبيحةَ النَّحْرِ
١٢٧/٤ / لو كان نيلُ الخُلْدِ يُدركه — بَشَرٌ بِطِيبِ الخِيمِ والنَّجْرِ[٦]

---

(١) الحزاور: جمع حَزْوَرة، وهي الرابية الصغيرة، ومنها الحزورة: سوق مكة وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه. وفي الحديث: وقف النبيّ ﷺ بالحزورة فقال: «يا بطحاء مكة ما أطيبك من بلدة وأحبك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك».

(٢) الغمر: الكريم الواسع الخلق.

(٣) غبر هنا: مكث وبقي.

(٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «يعاورني» بالراء.

(٥) الأخشبان: جبلان يضافان تارة إلى مكة وتارة إلى منى، أحدهما أبو قبيس والآخر قعيقعان. ويقال: بل هما أبو قبيس والجبل الأحمر المشرف هنالك.

(٦) الخيم: الطبيعة والسجية، وقيل: الأصل. والنجر: الأصل.

لغَبَـــزتَ لا تخشَـــى المَنُـــونَ ولا أَوْدَى بنفســـك حـــادثُ الـــدَّهـــرِ
ولنِعْـــمَ مـــأوَى المُـــرْملِيـــنَ إذا قُحِطُـــوا وأخلـفَ صـائـبُ القَطْـرِ
كـــم قلـــتُ آونـــةً وقـــد ذَرَفـــتْ عينـــي فمـــاءُ شـــؤونهـــا يجـــري
أنّـــي وأيُّ فتًـــى يكـــون لنـــا شَـــرْوَاكَ(١) عنـــد تَفَـــاقُـــمِ الأَمـــرِ
لِـــدفـــاع خَصْـــمٍ ذي مُشَـــاغَبـــةٍ ولِعـــائـــلٍ تَـــرِبٍ أخـــي فَقْـــرِ
ولقـــد علمـــتُ وإنْ ضمنـــتُ جَـــوًى ممـــا أجِـــنّ كَـــوَاهِـــجِ الجَمْـــرِ
مـــا لامـــرىءٍ دون المنيّـــةِ مِـــنْ نَفَـــقٍ فيُحْـــرِزُه ولا سِتْـــرِ

قال: وكان بحضرة هشام رجلٌ من آل الزُّبَير، فقال له: أحسنتَ وأسرفتَ في القول، فلو قلتَ هذا في رجلٍ من ساداتِ قريش لكان كثيراً. فزجره هشام وقال: بئس والله ما واجهتَ به جليسَك؛ فشكره إسماعيل، وجزاه خيراً. فلمّا انصرف تناولَ هشامٌ الرجلَ الزُّبَيريّ وقال: ما أردتَ إلى رجلٍ شاعر مَلَك قولَه فصرَف أحسنَه إلى أخيه! ما زدتَ على أن أغريته بعِرْضك وأعراضِنا لولا أنّي / تَلاَفيتُه. وكان محمد بن يَسَار أخو إسماعيل هذا الذي رثاه(٢) [٤/٤٢٧] شاعراً من طبقة أخيه؛ وله أشعار كثيرة. ولم أجِدْ له خبراً فأذكُرَه، ولكن له أشعار كثيرة يغنَّى فيها. منها قوله في قصيدة طويلة:

صوت

غَشِيـــتُ الـــدارَ بـــالسَّنَـــدِ دُوَيْـــنَ الشِّعْـــبِ مـــن أُحُـــدِ
عَفَـــتْ بعـــدي وغيَّـــرهـــا تَقَـــادُمُ ســـالِـــفِ الأَبَـــدِ

الغناء لحَكَمٍ الواديّ خفيفُ ثقيلٍ عن الهِشَاميّ.

ولإسماعيل بن يسار ابنٌ يقال له إبراهيم، شاعرٌ أيضاً، وهو القائل:

مضَـــى الجهـــلُ عنـــكَ إلـــى طِيَّـــةْ وآبَـــكَ حِلْمُـــك مـــن غَيْبَتِـــهْ(٣)
وأصبحـــتَ تَعْجَـــبُ ممـــا رأيـــ ـــتَ مـــن نَقْـــضِ دَهْـــرٍ ومـــن مِـــرَّتِـــهْ

وهي طويلة يفتخر فيها بالعجم كَرِهتُ الإطالةَ بذكرها.

انقضت أخباره.

(١) شرواك: مثلك.
(٢) كذا في م: وفي سائر الأصول: «أخو إسماعيل هذا رثاه شاعراً...».
(٣) في حـ: «من غيبته» والغية: الضلال والفساد.

صوت (١)

كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كان أكثرَ ناصراً وأَيْسَرَ جُرْماً منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ
رَمَى ضَرْعَ نابٍ فاستمرّ بطعنةٍ كحاشيةِ البُرْدِ اليَمانيِ الْمُنَمْنَمِ (٢)

عروضه من الطويل. الشعر للنابغة الجعديّ. والغناء للهذليّ في اللحن المختار، وطريقته من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. ونذكر هاهنا / سائر ما يغنّى به في هذه الأبيات وغيرها من هذه القصيدة ونَنْسُبه إلى صانعه (٣)، ثم نأتي بعده بما يتبعه من أخباره. فمنها على الوِلاء سوى لَحْنِ الهُذَليّ: [٤/٤٢٨]

كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كان أكثرَ ناصراً وأيسرَ جُرْماً منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ
/ رمى ضَرْعَ نابٍ فاستمرّ بطعنةٍ كحاشيةِ البُرْدِ اليماني المسهَّم (٤) [٤/٤٢٨]
أيا دارَ سَلْمَى بالحَرُورِيَّةِ (٥) اسْلَمِي إلى جانبِ الصَّمّان (٦) فالمُتَثَلَّم (٧)
أقامتْ به البَرْدَيْنِ ثم تَذَكّرتْ منازلَها بين الدَّخُولِ فَجُرْثُم (٨)
ومسكنَها بين الغُروب (٩) إلى اللِّوى إلى شُعَبٍ ترعَى بهنّ فَعَيْهَمِ (١٠)
ليالِيَ تَصْطادُ الرجالَ بفاحمٍ (١١) وأبيضَ كالإغريضِ لم يَتَثَلَّمِ

في البيت الأوّل والثاني لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ آخَرُ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق (١٢) ويونس. وفيهما لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وللغريض في الثالث والرابع والأوّل والثاني ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى. ولإسحاق في الثالث والأوّل ثقيل أوّل بالوسطى (١٣)، ذكر ذلك أبو العُبَيْس

---

(١) في م: «صوت من المائة المختارة».
(٢) برد منمنم: مرقوم موشي. وفي م في هذا الموضع: «المسهم» كما في سائر الأصول فيما يأتي.
(٣) في م: «إلى صاحبه».
(٤) البرد المسهم: المخطط.
(٥) قال ياقوت: الحرورية منسوب في قول النابغة الجعدي حيث قال، ثم ذكر البيتين: أيا دار سلمى، والذي بعده. وربما كان منسوباً إلى حروراء، وهي رملة وعثة بالدهناء، أو موضع بظاهر الكوفة نزل به الخوارج الذين خالفوا عليّ بن أبي طالب، فنسبوا إليه.
(٦) الصمان: بلد لبني تميم أرضه صلبة صعبة الموطىء.
(٧) المتثلم (رواه أهل المدينة بفتح اللام وهو الذي ضبطه به ياقوت، ورواه غيرهم من أهل الحجاز بالكسر): موضع بأوّل أرض الصمان.
(٨) جرثم: ماء من مياه بني أسد تجاه الجواء، كما قال البكري في «معجم ما استعجم»، واستشهد بقول النابغة الجعدي وذكر البيت هكذا:

أقامت به البردين ثم تذكرت منازلهم بين الجواء وجرثم

(٩) الغروب: موضع لم يعينه ياقوت وقال: ذكره صاحب «اللسان».
(١٠) عيهم: موضع على طريق اليمامة إلى نجد.
(١١) الفاحم: الشعر الأسود الحسن. والإغريض: الطلع حين ينشق عنه كافوره. يريد ذلك وجهها.
(١٢) هذه الكلمة ساقطة في ب.
(١٣) في م: «بالبنصر، ولإبراهيم في الأوّل والثاني ثقيل أوّل بالوسطى ذكر ذلك أبو العنبس... إلخ».

والهِشَاميّ. وللغَرِيض في الرابع ثم الأوّل خفيفُ ثقيل بالوسطى في رواية / عمرو بن بانةَ. ولمَعْبَدٍ فيهما[1] وفي [٤/٤٢٩] الخامس والسادس خفيفُ ثقيلٍ من رواية أحمد بن المكيّ. ولابن سُرَيج في الخامس والسادس ثقيلٌ أوّل بالبنصر من رواية عليّ[2] بن يحيى المنجِّم، وذكر غيره أنّه للغَرِيض. ولإبراهيم فيه ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشاميّ، وذكر حَبَشٌ أنه لمعبد. ولابن مُحْرِز في الأوّل والثاني والثالث والرابع هَزَجٌ، ذكر ذلك أبو العُبَيْس[3]، وذكر قُمْرِيّ أنّه لأبي عيسى بن المتوكل لا يشكّ فيه. وللدَّلَال في الخامس والسادس ثاني ثقيلٍ عن الهِشَاميّ، وذكر أبو العُبَيْس أنّه للهُذَليّ. ولعُبَيد الله بن عبدالله بن طاهر في الرابع خفيفُ رَمَلٍ. ولإسحاق في الثالث والرابع أيضاً ما خُورِيّ، ولمَعْبَد خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى فيهما، وقيل: إنّه لحنه الذي ذكرنا متقدّماً، وإنه ليس في هذا الشعر غيره. وذكر حبشٌ أنّ في هذه الأبيات التي أوّلها: «كليبُ لعمري» خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى، وللهُذَليّ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر، وللدَّلَال رَمَلٌ؛ فذلك ثمانيةَ عَشَرَ صوتاً. وأخبرني محمد بن إبراهيم قريص أنّ له فيهما (أعني الأوّل والثاني) خفيفاً[4] بالوسطى.

انتهى الجزء الرابع من كتاب الأغاني
ويليه الجزء الخامس
وأوّله ذكر النابغة الجعديّ ونسبه وأخباره

(١) كذا في م. وفي سائر النسخ: «فيها».
(٢) كذا في م. وفي سائر النسخ: «علي بن أبي يحيى المنجم». وهو تحريف.
(٣) في م: «أبو العنبس» انظر الحاشية رقم ٤ ص ٩٦ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة.
(٤) في م: «خفيف ثقيل بالوسطى».

فهرس موضوعات الجزء الرابع

الموضوع	الصفحة